جامعـــــة الجزائـــر 2
كليـــــة العلــوم الاجتماعيـــة و الإنسانيـــة
قســـم التاريــخ

الإسهامات الحضارية للمرأة الأندلسية من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة

(من 92هـ - 897 هـ/ 711م-1492 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الباحثة:
مليكة حميدي

إشـــراف:
أد:محمد الأمين بلغيث

السنة الجامعية:
1434هـ -1435هـ/ 2013م - 2014م.

جامعـــــة الجزائـــر 2
كليــــــة العلــوم الاجتماعيــــة و الإنسانيـــة

قســــم التاريـــخ

الإسهامات الحضارية للمرأة الأندلسية من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة

(من 92هـ - 897 هـ/ 711م-1492 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة الباحثة:
مليكة حميدي

إشـــــراف:
أد:محمد الأمين بلغيث

السنة الجامعية:

1434هـ -1435هـ/ 2013م - 2014م.

باسم الله و كفى

و صلاة على محمّد

النبي المصطفى

شكـــــــــــر وعرفـــــــــان

الحمد لله الذي بعزته تتم الصالحات

نحمد الله عز و جل على عونه و توفيقه على إنجاز هذا العمل،

فلله الحمد في الآخرة و الأولى ،

فلك الحمد يا ربّ ...... حتى ترضى

و لك الحمد .... إذا رضيت

و لك الحمد .... بعد الرضا،

ثم أتقدم بالشكر الجزيل و الامتنان لفضيلة الأستاذ الدكتور محمّد الأمين بلغيث المشرف على هذا البحث، و أحييه على تتبعه لخطوات البحث توجيه و نصحا ،و على صبره على تحمل عبء هذا العمل حتى أتى على نهايته.

و الشكر موصول لكل من قدم لي مساعدة مادية أو معنوية و لكل أساتذة قسم التاريخ ، و لكل أفراد الأسرة الكريمة و كل أفراد العائلة الكبيرة .

الإهــــــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى أعظم و خير معلّم رسول الله

محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم

الذي بلغنا، (اقرأ باسم ربّك)

و لأمي و أبي يرحمهما الله عزّ وجلّ

و لكل امرأة تَعَلَّمَت و عَلِمَت و عَلَّمَت

في أندلسنا الفردوس الموعود.

مقدمـــــــــة

قامت المرأة بدور فعال في المجتمع الإسلامي لما منح لها فرص الإبداع وإظهار إمكانياتها؛ حيث وقفت إلى جانب شقيقها الرجل في دفع عجلة تنمية المجتمع نحو الأمام سواء تعلق الأمر بتربية الأولاد أو توطيد أواصر الأخوة بين أفراد الأسرة داخل المجتمع الواحد ،إضافة إلى تدعيم هذا المجتمع بنشاطاتها الإبداعية المختلفة.

ربما يبدو الأمر عاديا إذا عرفنا أن المرأة المسلمة مجبولة على أداء هذه المهام بشكل طبيعي، لكننا نجد الأمر يختلف إذا اكتشفنا أن لهذه المرأة أدوارا سياسية فعالة سمحت لها أن تكون صاحبة قرار أو صاحبة استشارة مميّزة ، بعد أن نافست أخوها الرجل في التحصيل العلمي الديني والدنيوي على السواء.

أما اهتمام الدارسين بموضوع المرأة في الأندلس فيرجع للدور الهام الذي أدته المرأة الأندلسية في الأسرة و في المجتمع ، و لتأثيرها البالغ في ربط العلاقات الأسرية والاجتماعية سواء كانت أمّا و أختا و زوجة و بنتا . و أن تمتع المرأة الأندلسية بالصدارة و الحرية في المجتمع هو الذي أهلها لاحتلال مكانة خاصة ميزتها عن نساء العالم الإسلامي مغربا و مشرقا. وقد اكتشفت مدى حضور المرأة الأندلسية في الحياة العامة في فترة الحكم المرابطي للأندلس أثناء انجازي لرسالة الماجستير تحت عنوان " **المرأة المغربية في الدولة المرابطية"** (448هـ/541هـ/1056م -1146م) " ، ولذا تولدت لدي رغبة للبحث عن المرأة الأندلسية في مختلف عهود الدولة الإسلامية في الأندلس، و بالتالي توسيع دائرة البحث والغوص في مختلف الجوانب الحياتية التي أسهمت فيها المرأة الأندلسية .

و لاكتشاف تلك الأدوار و مدى فعاليتها في المجتمع الأندلسي، حاولنا إدراج هذا الموضوع ضمن بحث معمق، في إطار دراسة أكاديمية لتحضير رسالة بدرجة دكتوراه العلوم والذي خصصناه ،لدراسة الإسهامات الحضارية للمرأة الأندلسية من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة " (مابين 92هـ 897هـ / 711م – 1492م) بعد موافقة المشرف أ.د. محمّد الأمين بلغيث على ذلك.

و هذه الدراسة سوف توسع لنا النظرة بشكل كبير في إطار الأدوار التي قامت بها هذه المرأة في إبراز مظاهر الحضارة الأندلسية خاصة إذا علمنا أن المرأة

الأندلسية كانت أوفر حظا من نظيرتها المغربية في التحصيل العلمي و اهتمام المجتمع بها.

و ما حاولنا إبرازه من خلال الرسالة الموسومة بـ : " **الإسهامات الحضارية للمرأة الأندلسية من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة** " (مابين 92هـ- 897هـ / 711م – 1492م) تحت إشراف أ.د. محمّد الأمين بلغيث ، هو البحث عن حل لإشكالية ، لم يكن في البداية الغوص فيها سهلا إلا بعد التمكن من الموضوع قراءة وجمعا للمادة ؛ أي البحث في المهام الكبرى التي تولتها المرأة الأندلسية في مجتمعها، وهو ما يعني البحث بعمق في تلك التأثيرات التي كانت للمرأة الأندلسية و هي تمارس أعمالها المتعددة يوميا .

و البحث في موضوع المرأة الأندلسية يدفعنا إلى إبراز تلك الخصوصيات التي ميزتها عن غيرها من النساء في سائر الأقطار الإسلامية خاصة المغربية منها. ومن هنا يمكن لنا تحديد بعض المشكلات التي تجعل الدراسة أكثر فهما و أعمق تحليلا وأدق تصنيفا:

- كالبحث في الظروف الداخلية و الخارجية، التي ساهمت في بروز المرأة الأندلسية كعنصر فعال داخل المجتمع الأندلسي.
- البحث في المهام العامة و الخاصة التي أوكلت إلى المرأة الأندلسية ، و هي تمارس حياتها اليومية.
- البحث في النجاحات التي حققتها المرأة الأندلسية داخل مجتمعها.
- البحث في الامتيازات الخاصة التي حظيت بها المرأة الأندلسية والتي لم تكن لغيرها من النساء خاصة المرأة المغربية منها، و التي سمحت لها أن تترك بصماتها في مجال بناء سرح الحضارة الأندلسية.

و لاستكمال المنهجية بشكل سليم و تتبع خطاها بشكل دقيق ارتأينا طرح بعض الأسئلة التي رأينها تتماشى و طبيعة المشكلات المطروحة و التي تفرعت أصلا عن الإشكالية المحددة للأطروحة منها:

- من هي المرأة الأندلسية و ما هو العنصر النسوي الأكثر بروزا في المجتمع الأندلسي؛ و ما أسباب انتشاره و ما هي النتائج المترتبة عليه و تأثيراته على الحياة الأسرية و الاجتماعية عند الخاصة و العامة ؟

- هل الزواج المختلط منذ بداية الفتح الإسلامي هو المؤثر الرئيسي في بنية المجتمع الأندلسي ، حتى غاب فيه العنصر العربي تماما في نهاية حكم المسلمين للأندلس؛ وأصبح مجتمع جواري ـ مولدـ ، حيث اعتبرت المرأة المولدة سببا في

سقوط الأندلس؟ و ما طبيعة العلاقة بين المرأة الحرة و الجارية، و ما هو نوع الصراع الذي ساد بينهما ، وكيف استطاعت الجارية ـ أُم الولد ـ في قصور الحكام الأندلسيين منافسة صاحبة القصر الحرّة و إزاحتها من مكانتها واستحواذها عليه ، و لماذا يسمح للجارية بحرية التصرف و يحظر ذلك عن الحرّة ؟

- من هي المرأة التي أجاز لها المجتمع الأندلسي الإسهام في الفن كالغناء و عزف الموسيقى و الرقص، و حرية الحركة و إبداء الرأي بينما حدد ذلك على باقي النساء ، وما انعكاس ذلك على أنوثة المرأة ؟ و لماذا كان سهلا على المرأة الأندلسية أن تعتلي مرتبة المستشارة و الفقيهة والمؤدبة والأديبة والشاعرة و الخطاطة بغض النظر على وضعها الإجتماعي؟.

- إضافة إلى أحقية البحث في عنصر الرجل الأندلسي و دوره في تحرير المرأة من خلال نظرته الخاصة لها، والتي كانت فعالة و كافية لهذه المرأة لكي تفجر طاقاتها كمبدعة في كافة المجالات ؟

لقد فتح لنا هذا الموضوع العديد من المجالات الدراسية سواء المدرجة ضمن هذه الرسالة أو تلك التي سوف تشكل رسائل لغيرنا من الباحثين المهتمين بهذا الموضوع أو مقالات مستقبلا، كتلك المتعلقة بأهمية الجواري و دورهن في تخلف المرأة الحرّة بعد أن أعطيت لها كافة الامتيازات؛ و هذا مما يفسر اختيار الجواري الحسناوات من طرف التجار اليهود و تقريبهن من الأمراء وتشكيلهن لحريم السلاطين. و البحث على التأثيرات والعلاقة بين المرأة الأندلسية والمرأة المشرقية سواء في عهد الخلافة الأموية بدمشق أو الخلافة العباسية ببغداد؛ دون أن ننسى الإشكالية الكبرى التي لم تجد من يوفيها حقها كدراسة معمقة على حِدى وهي تحديد العلاقة بين أسباب سقوط الأندلس وكون زوجات معظم أمراء الأندلس أمهات ولد.

كما لفت انتباهنا و نحن نبحث في المرأة الأندلسية ، موضوع الجواري و ما كان لهن من تأثير داخل المجتمع، ليس لكونهن تمتعن بنفوذ منقطع النظير إلى درجة أن أصبحت الجارية أم ولد صاحبة قرار سياسي ، بل و في كثير من الأحيان سببا في التجسس والمؤامرات و الاغتيال داخل البلاط الأندلسي، مع الإشارة أن البعض منهن كن صالحات ،و البعض الأخر حافظن على دينهن المسيحي و لم يعتنقن الإسلام . ودراسة عنصر الجواري يدفعنا إلى الإجابة على العديد من الأسئلة التي اعتبرت الأساس في الدراسات التاريخية خاصة عندما تعتبر هذه المرأة ضمن هذه الإشكاليات من بين أسباب الانحلال الخلقي و انهيار الأندلس .

ومكنتنا هذه الدراسة من إماطة اللثام على حقيقة الأمر بمعرفة الأسباب التي أدت إلى تسلل المرأة و النفوذ داخل البلاط، و أسباب عدم مقاومة الرجل لسلطتها، ومن الأمثلة عن ذلك ما حدث بين الأمير عبد الرحمان الثاني والجارية"طروب"، مما أدى إلى القول أن المرأة الأندلسية صقلتها ظروف خاصة ببيئة الأندلس وجعلتها تنفلت من تلك الضوابط الشرعية والقيود الاجتماعية في الوقت الذي لانت لها كل من المرأة المغربية والمشرقية. ولأجل ما أسلفت ذكره حاولت إنجاز دراسة شاملة و كاملة لكل إسهامات المرأة الأندلسية لدى الخاصة و العامة ،و في الحواضر و البوادي وفي مختلف الجوانب الحياتية السياسية والاجتماعية والفكرية و الثقافية والإقتصادية، ضمن دراسة تاريخية علمية أكاديمية على ضوء المصادر و المراجع العلمية .

الدراسات السابقة للموضوع

من أجل إنجاز هذا البحث اطلعت على مجموعة من الدراسات التاريخية التي كان لها السبق في دراسة التاريخ الأندلسي و يأتي في مقدمتها مؤلفات محمّد عبد الله عنان، "دولة الإسلام في الأندلس في مختلف مراحل حكمه في 7أجزاء. و مؤلفات حسين مؤنس و عبد العزيز سالم، و لذا اعتمدت عليها خاصة في أبراز إسهام المرأة في الحياة السياسية والحربية في الفصل الثاني.و ركزت على إبراز نماذج لنفوذ النساء في الحكم و مؤامرتهن في البلاط الأندلسي.

إن معظم الدراسات السابقة للمرأة الأندلسية سواء من الجانب التاريخي أو الأدبي، ركزت على فترات معينة من التاريخ الإسلامي للأندلس أي من الفتح الإسلامي إلى فترة الخلافة الأموية على حِدى ، أو اختصت بدراسة عصر ملوك الطوائف في القرن 5هـ/ 11م، الذي استحوذ اهتمام الكثير من الدارسين لِما تميّز به هذا العصر من إبداع أدبي نسوي و للحرية الاجتماعية التي تمتعت بها المرأة الأندلسية و التي حصرتها بعض الدراسات في ثلة من الشاعرات منها الأديبة نزهون القلاعية و ولادة بنت المستكفي .
و للإشارة فإن الدراسات التاريخية المتخصصة بدراسة موضوع المرأة في الأندلس قليلة، و أذكر في مقدمتها كتاب راوية عبد الحميد شافع ، **"المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح إلى سقوط قرطبة"**. التي تناولت دور المرأة الأندلسية في مختلف جوانب حياتها إلا أنها لم تعتمد في دراستها على كتب الفقه و النوازل التي تعد مادة خام و مهمة للدراسات التاريخية خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

و هذه الكاتبة كانت لها بعض الهفوات مثل اعتبار الجارية و أم ولد الأمير محمّد و اسمها "أَثْل" رومية الأصل و هي حسب المصادر من أصل بربري ،

مثلما ذهبت إليه أيضا سحر عبد العزيز سالم في تناولها "النتائج الإيجابية والسلبية للزواج المختلط التي اعتبرت "أثل"رومية. كما ذكرت الباحثة "راوية عبد الحميد معلومة تاريخية عند تناولها لظاهرة التسري ، مفادها أن الرسول ﷺ تسرى بامرأة يهودية و هي "ريحانة " بنت سعد القرظية و أخرى قبطية وهي "مارية" بنت شمعون القبطية دون أن تغيرا دينهما أي لم تعتنقان الإسلام، وهذا الحكم يعد طعنا في البيت النبوي ولم ينص عليه أي مصدر في التاريخ الإسلامي في حدود علمي.

أما كتاب سناء الشعيري، **المرأة في الأندلس** ، وهو عبارة عن دراسة تاريخية للمرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف، إلا أنها لم توثق معلوماتها في الهوامش؛ إضافة إلى دراسات أخرى منها كاتب "**ظواهر اجتماعية -مسيحية و إسلامية في الأندلس-** من الفتح إلى نهاية عصر الإمارة، لخديجة قروعي و كتاب أحمد خليل جمعة ،" **نساء من الأندلس**" الذي هو عبارة عن تراجم لشهيرات نساء الأندلس على مختلف مستوياتهن ؛ وكذا دراسة عبد الهادي التازي : **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**" وهو عبارة تراجم لنساء الغرب الإسلامي عامة . وكتاب سهى بعيون التي خصصت مبحثا لإسهام المرأة الأندلسية العلمي ،ضمن كتابها "**إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس**،عصر ملوك الطوائف.

و أضيف لها دراسة الطاهر أحمد مكي " **دراسات عن ابن حزم من خلال كتابه "طوق الحمامة"** الذي ركز على حركية المرأة الأندلسية و حياتها العاطفية وعلاقاتها الاجتماعية ،و له أيضا "**دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ والفلسفة"**. حيث اعتمد على مصدر أساسي تناول موضوع المرأة الأندلسية و هو طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي . أما كتاب صالح خلاص "**إشبيلية في القرن الخامس الهجري ،دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد"** الذي أبرز الصراع الطبقي بين المرأة الحرة و الجارية في قصور الحكام و الأمراء و ذوي الجاه وإمكانية الجارية في استحواذ على قلب الرجل و مشيرا إلى ظاهرة سفور الجارية و حريتها في المجتمع . أما كتاب ابن زين العابدين رستم: " **بيوتات العلم والحديث في الأندلس** فأورد فيه سوى سير النساء الصالحات العالمات الفقيهات و المقرآت في عصر الخلافة الأموية **.**

و من الدراسات المفيدة ، كتابي محمد الأمين بلغيث ،" **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي" ، و"نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي"**، حيث أورد فيهما الإسهام العلمي لبعض نساء الأندلس؛ وكتاب عبد الواحد ذنون "**الأصالة و**

التأثير وأبحاث في الفكر والتراث"، فقد أفادني في الفصل الرابع حيث تطرق للرحلة العلمية تجاه الأندلس، وانفرد بذكر وفود رسمية لطلبة العلم من أوروبا تضم من بينها أميرات من مختلف الدول أوروبية إلى إشبيلية للنهل من علومها ، وهذا من الأدلة على أن المرأة الأندلسية كانت أوفر حظا و مكانة و سباقة للعلم والمعرفة و الأناقة و النظافة و اللياقة و الجمال قبل المرأة الأوروبية بقرون من الزمن. واستفدت منه في الفصل الرابع حيث أشرت بالأخص للرسالة التي وجهها جورج ملك ويلز رفقة بعثة برئاسة ابنة أخيه الأميرة "دوبان"كانت تضم ثماني عشرة فتاة من الأشراف و الأعيان للسماح لهن التعلم في إشبيلية.

أما عن المرأة في عصر بني الأحمر فلم أعثر على دراسة حول المرأة متخصصة بهذه الفترة ، إنما ذكرت المرأة ضمن الإطار العام للدولة ، وخاصة من الناحية الاجتماعية . و من أجل ذلك رجعت لعدة دراسات عامة و منها كتاب **شوقي** خليل:**مصرع غرناطة** ،و كتاب أحمد محمد **الطوخي، مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر،** الذين أفادوني في الصراع على ولاية العهد بين عائشة الحرة والجارية أم الولد "ثريا" والنتائج السلبية لهذا الصراع الذي أدى إلى انهيار دولة الإسلام في الأندلس.كما اطلعت على دراسات الأكاديمية من أطروحات الدكتوراه والماجستير مثل الدراسة القيّمة والمفيدة التي تناولت من خلالها أوضاع المرأة القرطبية فهي دراسة علي ساسي " **الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية لقرطبة في القرن 4ه/10م**". و هي عبارة أطروحة دكتوراه ، فمن خلالها تطرق لوضع المرأة القرطبية سواء المسلمة أو الكتابية، والتأثيرات الاجتماعية ،و دراسة أحمد ثاني الدسوري،**الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر.** و محمد الأمين بلغيث ، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين،** في الفصلين الثالث و الرابع.

و اعتمدت على كتاب محمّد حقي " **البربر في الأندلس"** فيما يخص وضع المرأة البربرية وطبيعة الزواج لدى الجماعات البربرية و بعض العادات و التقاليد في الحفاظ على الزواج الداخلي في هذه الجماعات، و ذكر نموذج من النساء البربر في الأندلس و هي "أثل" في صراعها مع واقعها المرّ و صمودها من أجل تحقيق رغبتها في إنجاب ولد يكون حاكم للأندلس، و لذا اعتبروها امرأة متمردة عن الأعراف والعادات و التقاليد القبلية؛ و أضاف بعض نماذج من المصاهرة السياسية التي شاعت في المجتمع الأندلسي .

و فيما يخص نساء أهل الذمة – النصرانيات- استمدت المعلومات من المصادر العربية وأضفت لها بعض الدراسات الأجنبية ومنها للمستشرقين ، وأذكر منها: رينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس في 3 أجزاء استفدت منه في الفصل

الثاني و الثالث ، و استغلت كتب ليفي بروفنسال في كل فصول البحث لاسيما على المرأة النصرانية و على الجواري، هما على التوالي : كتاب

. **l' Espagne Musulmane au 10è siècle**: Provençal وكتاب

Histoire de l' Espagne Musulmane, 3 T إضافة إلى كتب

Guichard Pierre:**structures sociales orientales et . occidental dans l'Espagne musulmane**

و Norman Daniel : **The Arabs and Mediaeval Europe** و

Senac philippe et Laliena Carlos : **Musulmans et Chretiens dans le haut Moyen Age** و

Dufourcq(Charles Emmanuel):l**a vie quotidienne dans l'Europe medieval sous domination Arabe .** و استفدت كثيرا من كتاب

Vincent Lagardère :**Campagnes et paysans d'Al-Andalus**,8è-15èS, في الفصل الخامس. و مضيفة إليه دراسة قيمة لأحمد الطاهري ،**الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، من نظام التثمير التعاقدي إلى نمط الانزال الاقطاعي** وغيرها من المراجع ...

و استفدت من وثائق الجنيزة Goitein,SD **:Letters of Medieval jewish Traders** التي أفادتني في معرفة بعض أخبار نساء تجار اليهود الذين كانوا يجبون الرحلة إلى مصر و إلى المشرق من خلال المراسلات التي كانت تتم بين كبار رجال اليهود . و راجعت دراسات أخرى فيما يخص الأسرة اليهودية ،

و أخص بالذكر أهم مرجع عربي أفادني هو لخالد يونس **الخالدي: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس،** خصص مبحثا للمرأة اليهودية و حالتها الأسرية و تعليمها و ثقافتها . و يليه كتاب حاييم **الزعفراني: يهود الأندلس و المغرب،** في جزأين عن مظاهر الحياة الاجتماعية و عن طقوس زواج المرأة اليهودية وأورد عقد زواج يهودي و عقد الطلاق و أشار إلى المشاكل الأسرية، إضافة إلى الرجوع لكتب أخرى فيما يخص الحياة الاجتماعية للطائفة اليهودية مثل كاتب "**المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات**" لمؤلفه ديب علي حسن؛ ، وكتاب "**المرأة عبر التاريخ البشري**" لعبد المنعم الجبري، لمعرفة مشاركة

المرأة في الجانب الاجتماعي و النشاط الاقتصادي . وتطرقت لموضوع نساء أهل الذمة بإشارات خفيفة لأنه، يستدعي دراسة خاصة و مستقلة و مستفيضة و ذلك بالرجوع إلى مصادر و مراجع أهل الذمة .

كما استعنت ببعض الدراسات المحدودة لابن رشد الحفيد و ابن عربي لإبراز مكانة المرأة في الفكر الأندلسي في الماضي مثل كتاب أحمد شحلان ، **"الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون"** ، كتاب **"الأنوثة في فكر ابن العربي"** لنزهة براضة. واطلعت على كتب أجنبية ذات توجهات مختلفة التي اهتمت بموضوع المرأة الأندلسية على أنها المرأة المولدة التي تُمِت للحضارة الغربية جذورا وحضارة.

و تعد الدراسات الأدبية مفيدة جدا لموضوع المرأة ،لأن الأدب شعرا و نثرا يعد مرآة عصره ،حيث كانت المرأة مادة دسمة للشعراء الأندلسيين الذين فتنوا بها وتفننوا بذكرها في شعرهم و في ألوان نظمهم. و من الأبحاث التي استفدت منها كثيرا في هذا المجال ، دراسة لسلمى سليمان علي **" المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف**، تناولت فيه ، صورة المرأة لدى الرجل الأندلسي كأُمٍّ، و بنت ، و أخت وزوجة. و علاقة الجارية بالرجل ، ولباس المرأة و زينتها. كما صنفت شواعر الأندلس إلى جواري و أحرار وضمت بعض أشعارهن وأغراضهن.

أما سامية مصطفى مسعد، فقد أبرزت في كتابها **صور من المجتمع الأندلسي**، رؤية المرأة الأندلسية من خلال أشعار الأندلسيين و أمثالهم الشعبية و هي دراسة قيمة تختلف عن سابقتها في الطرح و التحليل. كما تناول جمعة أحمد خليل في كتابه **"نساء من الأندلس"**بالدراسة لـ 28 امرأة من الأندلس على اختلاف انتمائهن ومجالات إبداعهن . أما مصطفى الشكعة ،في كتابه **الأدب الأندلسي؛** وبوفلاقة سعد ،في كتابه **"الشعر النسوي الأندلسي"** اختصا بذكر شاعرات وأديبات الأندلس في عصر الطوائف وفق التسلسل الزمني و المكاني لشاعرات عصر ملوك الطوائف. أما الدراسات الأجنبية التي تناولت بعض الظواهر الاجتماعية مثل الحب وحرية و جرأة المرأة الأندلسية من خلال أشعار أديبات أو أدباء الأندلس أذكر منها بالأخص دراسة :

Henri Peres **: La poésie andalouse en arabe classique au 11è siecle**

و لا يخفى على الباحث في التاريخ أهمية العلوم الأخرى المساعدة لفهم التاريخ ، خاصة علم الآثار وفي هذا الصدد استعنت بكتابين أفادوني كثيرا في الفصل الخامس لتفسير بعض الأحداث التاريخية أو في إبراز حقيقة تاريخية

ما تزال أثارها تدل عليها لحد الساعة، والكتب هي : لـ ليوبوردو بالباس **طريس: الحواضر الأندلسية** ،ج 1 ، ترجمة محمد يعلى، الذي يطرح من خلال وصف لمسكن في عهد بني نصر ، وأن صغر المسكن و عدد غرفه لا يسمح أن تكون هذه الأسرة متعددة الزوجات ،و أن التمسك بالفردوية الزوجية في هذه الفترة سجل عند خاصة السكان و عامتهم. و هذا يطابق ما جاء في بعض الفتاوى التي أوردت حاجة المرأة للمسكن المستقل والخلافات العائلية في شأنه و كذا تراجع ظاهرة التسري نظرا لتوقف غزوات المسلمين نحو الممالك النصرانية و بذلك تقلص عدد الزوجات في الأسرة الواحدة.

ولإبراز مكانة المرأة بعد وفاتها رجعت في الفصل الخامس لكتب قيّمة في مقدمتها كتاب :

Provençal Levi : **Inscriptions arabes d'Espagne** الذي ضم 17 شاهدا من قبور نساء أندلسيات ما يزال بعضها يحمل الاسم و تاريخ الوفاة وآية قرآنية أو حديث نبوي أو دعاء .و أخص بالذكر مثلا شاهدة قبر لجارية اسمها "شكرى البلاطية " كانت للخليفة الحَكَم المستنصر، و يبدو أن هذه المحظية عاشت قبل السيدة"صبح " أم وليّ عهده هشام المؤيد . و هذه المعلومات واردة على الجارية "شكرى البلاطية " و التي تشير أنها كانت محظية الحَكَم أمير المؤمنين لم تذكرها المصادر العربية المكتوبة التي ركزت على الجارية "صبح " فقط ،و التي أصبحت أم ولده عبد الرحمان ثم "هشام" ولي عهده . كما عثر على بعض أثار الوقف مثل ساقية الماء التي أوقفتها السيدة "صبح " وبقايا نص اللوحة موجود حاليا بالجدار الخارجي لساحة كنيسة سنتا كروز بإستجة. وبالإضافة إلى بقايا أثار تحف و نسيج حريري .

و يضاف لهذه الآثار ما أورده بالباس طاريس عن بقايا مقابر ومنها شواهد قبور تحمل أسماء للنساء في مدن مختلفة مثل المرية ،و طليطلة ، و قرطبة ، و إشبيلية والتي تؤكد على مدى تَديُن المرأة الأندلسية المسلمة ؛ إلا أنه لم يشير إلى وجود بقايا قبور لنساء أهل الذمة . كما تجدر الإشارة إلى الشواهد الطوبونيمية المتعلقة بنسبة بعض المواقع بالأندلس إلى نساء مثل جزيرة "أمّ حكيم " و هي الجزيرة الخضراء، وربض"أم سلمة" بقرطبة و كل ذلك ما هو إلا دليل على الحضور القوي للمرأة الأندلسية .

كما ضمن كتاب السيد عبد العزيز سالم : **"تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس"** على بقيا آثار فنية أفدتني في الفصل الرابع لا سيما لوحات فنية مرسوم

عليها مشاهد من مجالس اللهو و الطرب لقنيات و راقصات أبدت من خلالها نوع اللباس و الحليّ و تسرحة الشعر و السفور و الفجور.

و أطلعت على دراسات قيّمة لباحثين من خلال كتاب سلمى الجيوسي ضمن :" الحضارة الإسلامية في الأندلس في جزئين، أذكر منهم ، ماريا ج. فيغيرا ، **و** رفييل بالنثيا عن الحياة الاجتماعية للمرأة الأندلسية و مكانتها و إبدعاتها .

واستعنت بعدة مقالات قيّمة عربية و أجنبية في **مجلات** مختلفة منها: مجلة دراسات أندلسية، المجلة التاريخية المغاربية، مجلة آفاق و التراث ،. مجلة دعوة الحق، مجلة المناهل، المجلة التاريخية المصرية، مجلة المجمع العلمي. و أعمال الندوات مثل بحوث ندوة الأندلس الدرس و التاريخ، و ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس و مظاهر التسامح . من أهم الباحثين : إبراهيم القادري بوتشيش، و عصمت عبد اللطيف دندش، وسحر عبد العزيز سالم و لدرسات في مجلات أجنبية هي:

Al Andalus ,Al Quantara , و Hesperis Tamuda ,hespéris ,و
أذكر منها مقالين مهمين هما لـ:

Manuel Marin UNA VIDA DE MUJER : SUBH

وهي دراسة عن السيدة"صبح" أم ولد الخليفة الحكم المستنصر و الدراسة الثانية :

Ibn Hawt Allah(m.612h /1215)y dos mujeres de Sevilla تتمثل

قصة الفقيه ابن حوط الله و إخراجه من الأندلس بسبب الخلاف بين امرأتين في إحدى حمامات إشبيلية.

المنهج المتبع

نظرا لما يتطلبه الموضوع للدراسة التاريخية من مادة علمية متنوعة ، اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الاستقرائي ، وذلك بعرض الظاهرة التاريخية اعتمادا على النصوص المصدرية ثم وصفها و تحليلها ، و مقارنتها واستنتاجها. كما جمعت بين بعض الكتابات التاريخية و بعض نتائج الأبحاث الأثرية المتبقية لاستخلاص بعض الحقائق التاريخية منها و إثباتها.

خطة البحث:

تناولت هذا الموضوع بالدراسة بمقدمة وفصل تمهيدي و أربعة فصول ، وخاتمة، و بدأت كل فصل بتمهيد و أنهيته باستنتاج .

عالجت في **الفصل التمهيدي: بلاد الأندلس دراسة طبيعية و بشرية**

و تناولت في المبحث الأول الأندلس طبيعيا :مبتدئة بتحديد الموقع الجغرافي للأندلس و بالتعريف بمصطلح الأندلس و مدلولاته ثم الدراسة الطبيعية لبلاد الأندلس ،و التعريف على أهم التضاريس و نوع المناخ السائد، لأن هذه الطبيعة هي التي ترعرعت فيها المرأة فهي الأرض التي وطئتها و الهواء الذي تنفسته و هي مصدر إلهامها وأحد عوامل نبوغ أديباتها ومكان مثواها الأخير. و في المبحث الثاني ،تطرقت لدراسة البشرية لبلاد الأندلس ؛ و تعرضت بالذكر للعناصر السكانية التي شكلت المجتمع الأندلسي و هي أصول انتماء المرأة الأندلسية ، و هم - السكان الأصليون - العرب - البربر- الموالي

- أهل الذمة وهم النصارى(المستعربون) و اليهود ،و الأندلسيون و (هم المسالمة و المولدون)، ثم عنصر العبيد المتمثل في الرقيق الأبيض و الرقيق الأسود. وامتزاج هذه العناصر السكانية سيشكل في القرن 4ه/10م - في مرحلة نضج الدولة الإسلامية - الأُمة الأندلسية.

وفي **الفصل الأول مساهمة المرأة الأندلسية في السياسة و الحرب**

استفتحت بدور المرأة في السلم والسياسة و تناولت بعض نماذج لنساء الأندلس برزن في النفوذ السياسي ، وتدخلهن سواء في ما يخص الوصاية أو ولاية العهد أو في تعيين و عزل الموظفين الكبار أو في المكائد و المؤامرات والتجسس. و قسمت دور المرأة السياسي حسب مراحل حكم التاريخ الأندلسي الإسلامي كالتالي :
أولا - دور المرأة من الفتح إلى العهد الإمارة و الخلافة الأموية (من 92هـ 422هـ/711 م- 1031م) .

استهلته بالذكر ثلاثة نماذج للمرأة الأندلسية في مرحلة تأسيس المجتمع الأندلسي من -(92هـ – 138هـ/ 771م -756م) والتي تمثلت في قصة "فلورندا" بنت يليان حاكم سبته قبل الفتح الإسلامي ثم دور "إيخلونة(أيلة) ـأم عاصم ـ زوجة عبد العزيز بن موسى بن نصير و "سارة" بنت الألمند(القوطية) لأن الزيجات التي تمت في هذه المرحلة تعد نواة للزواج المختلط الذي يشهده المجتمع الأندلسي و تتسع دائرته على مرّ عصور الحكم الإسلامي للأندلس بكل ما يحمله من إيجابيات و سلبيات.

ونماذج نساء فترة الإمارة و الخلافة الأموية (138هـ ـ756م / **422هـ - 1031م)** متمثلة في الجارية "عجب" الذي استمر نفوذها في عهدي الأمير الحكم

بن هشام و ابنه عبد الرحمان الأوسط ، و أمهات الأولاد "أَثْل" و "طروب" ، و "مرجان" و الحرة "فاطمة القرشية " ، و "صبح " و "الذلفاء".

- **دور المرأة عهدي الطوائف و المرابطين** (ما بين القرنين 5هـ 6ه/11-12م) مثلته أُمّ الأمير عبد الله بن بلقين الزيري ، إعتماد الرميكية (مملكة بنو عباد) و الجارية "قمر" (الدولة المرابطية).

- **دور المرأة في عهدي الموحدين و بني نصر**(ما بين القرن 6هـ 9هـ/ 12-15م) مثلته الزرقاء المردنيشية ، و عائشة الحرة، و ثريا أو إيزابيلا

ثانيا: خصصت **مبحثا لدور المرأة في الحرب** مستشهدة بنماذج لنساء اشتهرن في ميدان الحرب حسب التسلسل الزمني للتاريخ الأندلسي الإسلامي كالتالي : **- المرأة المقاتلة** ،مثلتها جَمْلة – أو جَمِلة- بنت عبد الجبار في قيادة ثورة المولدين إلى جنب أخيها محمود بن عبد الجبار.

- المرأة السبية ، عبرت عنها " بثينة" بنت المعتمد بن عباد ،و معاناة المرأة في الثغور و مأساة سبي نساء بربيشتر و نقلهن لجزيرة صقلية.

- **المرأة المنفية ،** من النماذج ، أم الأمير عبد الله بن بلقين الزيري تمثل أول امرأة فرضت عليها الإقامة الجبرية بغرناطة ثم تم نفيها إلى المغرب الأقصى رفقة عائلتها ؛ وبالمثل نفيت إعتماد الرميكية و بناتها إلى أغمات مع المعتمد بن عباد. وآخر منفية رسميا هي عائشة الحرة و بنات ابنها الأمير أبو عبد الله في 897هـ/1492م.

الفصل الثا ني : إسهام المرأة الأندلسية في الحياة الاجتماعية.

تناولت بالدراسة الوضع الأسري و الاجتماعي للمرأة المسلمة بداية من الزواج ومراسيمه ثم المشاكل الأسرية و منها الطلاق؛ و بيّنت ذلك من خلال نماذج لعقود مختلفة للقرن 4هـ/10م، و 6هـ/12م، و8هـ/14، و خصصت بالدراسة و التحليل عقد زواج للقرن 4هـ/10م . وتعرضت لأنواع الزواج مثل الزواج عند الجماعات البربرية و أنواع الزواج المختلط كزواج المسلمة بغير المسلم ، و زواج المسلم بغير المسلمة و النتائج المترتبة عليه ؛ ثم الوضع الأسري و الاجتماعي للمرأة الكتابية (نصرانية ويهودية). مبتدئة بتكوين الأسرة فأبرزت مظاهر الزواج وبعض أنواعه و مراسمه وطقوسه لدى المرأة النصرانية و اليهودية كل على حِدا.وكنموذج للحياة الاجتماعية للمرأة النصرانية في الأندلس تطرقت لقصة الفتيات الثلاث منهن "فلورا" اللاتي استغلهن النصارى

فيما يعرف لديهم - بحركة الاستشهاد- أما بالنسبة للمرأة اليهودية فإن المعلومات عنها شحيحة جدا، والمرأة الوحيدة التي ذكرت باسمها هي " قسمونة" التي يمكن اعتبارها المعبرة على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية للمراة اليهودية، أمام السرية المحاطة على نساء الجالية اليهودية ،ماعدا ضمن إطار العام للجالية اليهودية.

ثم تطرقت للوضع الأسري للجارية المملوكة و لظاهرة التسري و انتشارها ونتائجها الأسرية و الاجتماعية؛ ثم حاولت إبراز علاقة الأَمة بالرجل و كيف كان يعاملها كونها ملك يمينه و ما نوع الخدمة التي كانت تقدمها ثم ما مدى وفاء الأمة لسيّدها ؟

ثانيا : تطرقت **للمرأة و مظاهر الحياة الاجتماعية** ، في الأعياد و الاحتفالات سواء الموسمية أو السنوية ؛ و إلى العادات و التقاليد و التأثيرات الاجتماعية ، منها خروج المرأة للمنتزهات و الحمامات و زيارة المقابر بين قيود المجتمع و سلطة الدين ومنها مراقبة رجال الحسبة لميولها و رغباتها و تصويبها إذا التزم الأمر . و خصصت مبحثا لاعتناء المرأة بجمالها و للمظهر الخارجي وهو اللباس و الزينة، من لباس الرأس والبدن و ولباس القدمين و التزين بالحلي و اعتناء المرأة بشَعرها و تصفيفه وتعطيره. وتنويعها لمواد التجميل و التخضيب و التطيب الذي وصل إلى حد المبالغة خاصة لدى الجواري و المرأة الغرناطية بالأخص . و أشرت للفروق و الاختلاف في نوع اللباس بين فصلي الشتاء و الصيف و لباس المناسبات واللباس العادي بين المرأة الحضرية و المرأة الريفية ،وبين للباس المرأة المسلمة و الكتابية.

و قد اقتض الأمر نظرا لأهمية المرأة في المجتمع و لطبيعة علاقاتها في محيطها الأسري و الاجتماعي و دورها المحوري و فعاليتها فيه ،أن يأخذ هذا الفصل أكبر حيزا من الفصول الأخرى.

ـ الفصل الثالث إسهام المرأة الأندلسية العلمي و الفني.

أولا: تناولت في مجال الإسهام العلمي العوامل المؤثرة في ثقافة المرأة الأندلسية ، و طرق وأسس التعليم و العوامل المحفزة عليه و طموح المرأة في طلب العلم بشد الرحلة العلمية داخل الأندلس و خارجها . و مجالات إبداع المرأة المتعلمة و أهم إنجازاتها؛ فذكرت ما أفرزت هذه البيئة العلمية من العالمات نبغن في العلوم النقلية منها القراءات ،و الحديث ، و الفقه ، و العلوم الأدبية لاسيما اللغة والشعر . و انتشرت دائرة العالمات و الأديبات في مختلف المدن الأندلسية و لم تقتصر على قرطبة فقط ، متعدية بذلك للفوارق الاجتماعية

المتحكمة في ثقافة المرأة. و تميزت المرأة بنبوغ في قرض الشعر و برعت فيه المرأة الحرّة والمملوكة، و لذا خصصت مبحثا للشاعرات الحرائر الذي بلغ عددهن 15 شاعرة ؛ وللشاعرات الجواري 6 شاعرات.

و أشرت إلى البعثات العلمية لبعض أميرات وبنات حكام بعض الدول الأوروبية اللاتي وفدن على قرطبة و إشبيلية للنهل من علومها ؛ و دور الفتيات الأوربيات المتعلمات في نقل بعض العلوم لبلدانهن منذ عهد الإمارة الأموية .و اعتمدت في ذلك على وثيقة مراسلة من جورج ملك ويلز إلى الخليفة هشام المؤيد بن الحَكَم المستنصر بالله. التي تنص على إفادة بعثة برئاسة ابنة أخيه الأميرة "دوبان" التي كانت تضم ثماني عشرة فتاة من الأشراف و الأعيان . و قد توجهت البعثة إلى مدينة إشبيلية ، و الأروع ما في ذلك أنه كانت تجرى عليهن النفقة من بيت المال المسلمينَ!. و منهن من لم ترجع لبدها ومكثت في الأندلس و أسلمت و تزوجت من مسلم مثل أم العالم "عباس بن فرناس".

ثانيا: <u>إسهام المرأة الفني:</u>

تطرقت من خلاله إلى إسهام المرأة في فن الخط و نسخ الكتب و دورهن في توسيع دائرة العلم ، و ذكرت أهم النساء الخطاطات ، لأن الخطاطة في نفس الوقت كانت تتقن علوم أخرى ،فهي مقرأة و محدثة وشاعرة وخطاطة ، فهي عالمة موسوعية ، ولذلك لم أشير إلى كل الخطاطات إنما اقتصرت على بعض منهن مثل "عائشة بنت أحمد بن محمّد بن قادم، و صفية بنت عبد الله الربيّ.

كما أوردت في هذا المبحث نماذج للمرأة المغنية و الراقصة و الساقية في مجالس الأنس، و العوامل المؤثرة في رواج هذا الفن و تشجيع الحكام له بإنشاء دار المدنيات ـ وسعي الأمراء و ذوي الجاه في طلب أحسن المغنيات من المشرق الإسلامي؛ ، دون إغفال دور اليهود في جلب زرياب و بناته ، و أثر هذه الأسرة الفنية في تطوير الأغنية الأندلسية باستعمال الأدوات الموسيقية وفي نقل بعض العادات مثل اللباس و تسريحة الشعر. و ذكرت دور بعض الجواري القنيات بالدرجة الأولى في مجالس اللّهو و الطرب التي ضمت المغنية و العوادة و الراقصة والساقية و الغلامية . وأوردت بعض نماذج المختلفة للجواري في مجالس الأنس و الطرب التي كانت ترافقها أم الخبائث –الخمر- دون أي وازع ديني في مختلف المستويات الاجتماعية .

و تطرقت في **الفصل الرابع <u>لإسهام المرأة في الحياة الإقتصادية و مكانتها في الفكر الأندلسي .</u>**

أما لإسهام المرأة في الحياة الإقتصادية فتناولت في المبحث الأول مصادر الثروة المالية للمرأة التي تشكلت من الهبات و الوقف والإرث و سقاية الزوج لزوجته ؛ ثم إسهم المرأة في الأنشاطة الإقتصادية المختلفة من فلاحة - زرع و جني الثمار و تربية المواشي و تربية دودة القز- ، و اختصاصها بصناعة النسيج من صوف و الكتان والحرير المتمركزة في البوادي بالدرجة الأولى ، ثم مراودة المرأة للسوق من أجل البيع و الشراء.

و تناولت جانب من حياة الجواري في سوق الرقيق التي يتداولها ثلاثية انتهرزية متمثلة في النخاس و السمسار و الشاري ، سلعة رائجة و مربحة لهم، لكن بالنسبة للجارية رحلة موريعة في انتظار تحديد مصيرها و فقا لتصنيفها ،إما من جواري العلية أم من جواري الوخش. و تطرقت لخدمات أخرى قامت بها المرأة ، مثل أمينة السوق وحاضنة لأبناء الكبار و الأسياد و الطبيبة و الحجامة و القابلة و المرضعة و الماشطة و غيرها من الأنشطة الخدماتية ،و من خلالها تعرضت للحرية الإقتصادية للمرأة الأندلسية و لاستقلالية ذمتها المالية .

ثم تطرقت إلى **نماذج من نساء أعمال الأندلس** اللآئي سهن في أعمال البر و الخير للصالح العام ،و حبسن أموالهن للفقراء و المساكين وللمرضى و لفك الأسرى وبعضهن خصصن الأموال وقفا لبناء المساجد و تمويل طلبة العلم و نسخ المصاحف و التصدق بها.مثال "البهاء" و "الشفاء" إضافة إلى إنشاء مرافق عامة مثل بناء ساقية للماء التي حبستها "صبح " ويوجد بقايا لوحة أثرية تشهد على هذا الإنجاز. و وَقْف المنيات للمحتجين مثل "منية عجب" و حقول "مرجان". وتحملت بعض النساء الصالحات والميسورات نفقات انشاء المقابر التي حملت أسمائهن . وتخليدا لذكرى المرأة اعتنى كثيرا من ذويهن ببناء قبور النساء، و في العصر الحالي عثر باحثون إسبان وأوربيون في علم الآثار على بعض أثار شواهد قبور النساء، ذكرت منهن 17 عينة، تبدو كلهن لنساء مسلمات لكون الشواهد تحمل البسملة و آية قرآنية و دعاء بالرحمة واسم المتوفاة وتاريخ الوفاة.

أما المبحث ثاني من هذا الفصل فخصصته لمكانة **المرأة في الفكر الأندلس** ، منها المرأة و السلطة السياسية و المرأة و العلماء و أبرزت موقف ابن حزم من المرأة، و الفيلسوف ابن رشد الحفيد، ومن المتصوفة ابن العربي و أبي مدين شعيب؛ و بعض الأدباء ،و المؤرخين مثل لسان الدين ابن الخطيب و وصيته لأبنائه يحذرهم من المرأة.

و بما أن لكل بداية نهاية ، وأن مهمة الإنسان على الأرض تنتهي بأجل مسمى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ سورة الرحمان، الآية 26، 27 ، تطرقت لآخر مظهر من مظاهر الحياة ألا و هو موت المرأة ، و لبعض أسبابه والطقوس الجنائزية ، والتعريف بمقابر حملت أسماء نساء الخاصة مثل "مقبرة أم سلمة" ، و لبقايا أثرية لشواهد قبور النساء . وعبرت على **مكانة المرأة بعد وفاتها** بمجموعة مختصرة من المرثيات للأم والبنت والأخت و الزوجة على لسان ذويهن .

و في نهاية الفصل تطرقت للمرأة الأندلسية في الفكر الغربي المعاصر ، وطرحهم السائد عن أصول المرأة الأندلسية و انتمائها الحضاري ،و عن حرية المرأة في المجتمع التي حصروها في "ولادة بنت المستكفي"، وعن الحب و المرأة مستدلة بآراء بعض المؤرخين المحدثين مثل " ليفي بروفنسال" ، "سنشانس ألبورنوس" ، و "بيير غيشار" وغيرهم الذين حاولوا إثبات أن المرأة الأندلسية هي الإسبانية الأصل المحافظة على اللغة الرمانثية و أن العنصر العربي اندثر في المراحل الأولى لفتح الأندلس وأصبح المجتمع مولد نتيجة الزواج المختلط ،وأن لا وجود لامرأة عربية الأصل من أب و أُمٍّ عربيين.

الخاتمة: و هي عبارة عن ما وقفت عليه من استنتاج و ملاحظات لفصول البحث الخمسة.

و في الأخير أرفقت هذا البحث بمجموعة من الملاحق و الخرائط وجداول اجتهدت في إنجازها قدر المستطاع ، و أرفقت البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، إضافة لفهرس الأعلام و الأماكن والمواقع و فهرس القبائل و الشعوب ، و فهرس الآيات القرآنية و في الأخير فهرس المواضيع.

صعوبات البحث

من البديهي أن يواجه الباحث صعوبات كثيرة في مساره العلمي ، والتي تعتبر جزء لا يتجزأ من بحثه خاصة لما يتعلق الأمر باكتشاف حقائق لم تكن تعرف من قبل وتقييدها وفق إطارها الزمني و المكاني. و قد حاولت تلخيص بعض من هذه الصعوبات في النقاط التالية أولها: طول الفترة الزمنية للموضوع حيث وجدت نفسي أمام مادة علمية غزيرة نوعا و كما ممتدة خلال (8)ثماني قرون هجرية. إضافة إلى كون موضوع المرأة تناولته كتب الأدب و الشعر أكثر من مما تناولته كتب التاريخ . و مما زاد الأمر تعقيدا هو تناول الرجل

للمرأة في كتاباته أكثر مما تناولته المرأة عن نفسها، مما دفعني إلى طرح عدة أسئلة حول من المعبر الحقيقي لوضع المرأة في الأندلس ؛و من جهة أخرى فإن إسهام المرأة الحضاري لم يكن على نفس الوتيرة مدة 8 قرون من الزمن؛ نظرا لتفاوته من عصر لأخر حسب مستجدات الأمور السياسية و الاقتصادية وبالموازاة تتنوع المصادر و الكتابات ؛ حيث يتطلب الأمر التحكم فيها و صياغتها بطريقة منهجية صحيحة.

و لكن رغم ضغط الوقت و ظروف العمل و السفر الأسبوعي للعمل ، وفقني ربي الكريم إلى مواصلة البحث حتى أتى على نهايته. و حاولت قدر الإمكان تقليص متن الموضوع للمحافظة على توازن الفصول إلا أن الفصل الثلث الذي يتمحور حول إسهام المرأة في الحياة الاجتماعية أخذ حصة الأسد ، لغزارة المادة العلمية لا سيما الفقهية من جهة ، و لأن المرأة هي أساس بنية المجتمع ،و أن التعددية النسوية في المجتمع الأندلسي تتطلب الخوض في تفاصيل و جزئيات حياة المرأة الحرّة و الجارية والمسلمة و الذمية، الحضرية و الريفية و هذا في معظمه استخلصت معلوماته من كتب الفتاوى والنوازل و الوثائق و السجلات والحسبة والأشعار و الأغاني والموشحات و أمثال العامة التي تعد لسان حال المجتمع.

و الصعوبة الثانية تكمن في أن كثير من المصادر التاريخية و المراجع التي اطلعت عليها تتناول التاريخ العام للأندلس و التي لم تتطرق إلى موضوع بحثي بشكل دقيق وربما تتكرر نفس المعلومة في الكثير منها ، و زيادة عن ذلك فإن ذكر المرأة لا يرد إلا في السياق السياسي لسير الحكام و بطولاتهم. أما كتب التراجم ، ففي معظمها رجولية بنسبة كبيرة ولا يخصص للمرأة إلا حيزا صغيرا – باب النساء- في نهاية الكتاب .

دون أن أنسى الصعوبات التي مثلتها المصادر و الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع، و الغير المتوفرة في بلادنا ، و إضافة إلى أن جلّ الدراسات التي اهتمت بالمرأة الأندلسية كتبت باللغة الإسبانية و لم تترجم إلى اللغة العربية ،و السفر إلى بلدان أخرى حيث اقتنيت ما يلزمني من المادة العلمية. فكانت أولى زياراتي لمصر وبالأخص لمكتبة جامعة القاهرة و معهد الدراسات الإفريقية بالقاهرة و جامعة عين الشمس،و مؤسسة الدراسات الأندلسية بمدينة نصر بالقاهرة التي تزخر بالدراسات الأندلسية. ثم كانت وجهتي نحو تونس إلى المكتبة الوطنية بتونس، ومكتبة كلية العلوم الإنسانية بجامعة تونس

و مكتبة العطارين. ، ثم تيسرت الظروف للسفر لسوريا و رغم أن كم المادة العلمية كان قليل ولكنه مفيدا في مكتبة الأسد بدمشق و من مكتباتها الخاصة.

و رغم ما تحصلت عليه من مراجع إلا أني وجدت ضالتي في المغرب الأقصى الذي استفدت من مكتباته منها مكتبة الرباط الوطنية ومكتبة كلية محمّد الخامس للعلوم الإنسانية بالرباط ، و خاصة مؤسسة آل سعود بالدار البيضاء الثرية بمختلف المصادر و المراجع ، إضافة إلى المكتبات الخاصة ، و أخر سفر علمي كان لبعض مكتابات إسبانيا . كما اقتنيت مادة علمية معتبرة من شبكة الإنترنيت ومن مواقعها المختلفة.

و الحمد لله عزّ و جلّ و كفى ، الذي بعزته تتم الصالحات، و الصلاة والسلام على النبي محمّد بن عبد الله المصطفى. ثم الشكر بالأخص للمشرف على هذا على سعة صدره و صبره فكل الشكر و الامتنان للأستاذ الدكتور محمّد الأمين بلغيث على كل ما تفضل به نصحا و توجيه و تصحيحا ، وإلى كل من أسدل لي مساعدة ماديا و معنويا، و لقسم التاريخ إدارة و أساتذة . والشكر موصول للدكتور عبد القادر بوباية الذي وضع لي خريطة طريق السفر العلمي، وللأساتذة الأشقاء منهم،د. محمد مغراوي و د. إبراهيم القادري بوتشيش من المملكة المغربية، و للمجلس الإسلامي الأعلى رئيسا و إدارة و عمالا و بالأخص لمديرة المكتبة السيدة الموقرة فاطمة الزهراء بوعياد و لكل العاملات الناشطات في المكتبة.و الشكر لكل من قدم لي خدمة في كل مكتباتنا الوطنية والجامعية. وأجزل الشكر و التقدير و الاحترام لكل افراد عائلتي دون استثناء و لكل الزميلات و الصديقات.

عرض و نقد أهم المصادر المعتمدة في البحث.

- المصادر الدينية:

كتب الفقه

أفادتني كتب الوثائق و السجلات من خلال الوثائق و العقود المسجلة في ربط العلاقة بين موضوع المرأة و مضمون الوثيقة ،فكثير من الأمور التي سكتت عنها المدونات التاريخية نجد لها إشارة أو ذكرا في محتوى الوثيقة . و لذا اعتمدت في البحث على استعمال الوثائق ما أمكنني ذلك خاصة في الفصلين الثالث و الخامس . و في مقدمة هذه المصادر تأتي:

كتاب الوثائق و السجلات، لابن العطار (محمد بن أحمد الأموي) عاش مابين(-330ه- 399ه) تحقيق و نشر، ب. شالميتا و ف .كورينطي، الذي أفادني كثير من خلال أحكامه وعقود الزواج والطلاق و الإرث و الوقف في معرفة وضعية المرأة الأندلسية في القرن 4ه/10م. واخترت منه عقد زواج المرأة المسلمة الذي تناولته بالتحليل كنموذج لعقود الزواج في قرطبة القرن 4ه/10م، نظرا لقيمة الكتاب الذي قيل فيه" و جمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعول الناس في عقد الشروط عليه و يلجئون إليه.(ابن بشكوال، الصلة،ج2،ص 710). و استفدت منه في الأحكام متعلقة بنساء أهل الذمة (نصرانية ـ يهودية)؛ إضافة إلى الإشارة إلى حكم المجوسي الذي يسلم و تبقى زوجته على عقيدتها؛ وانتقيت منه بعض عقود الطلاق و الضرر، و بيع و شراء العبيد و المكاتبة و الأباق و غيرها من الأحوال الاجتماعية للمرأة الحرّة و الجارية. و تبين لي من الدراسات السابقة للموضوع أن هذا المصدر قليل التناول من طرف الباحثين في التاريخ الأندلسي عامة و موضوع المرأة خاصة رغم ما يحتويه من مادة علمية ثمينة.

و دعمت بحثي بمعلومات من **"تحفة الحكام في نكت العقود و الأحكام"، لابن عاصم** محمد بن محمد القيسي: مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس ، تحت رقم20247 واستعنت في مواضيع شتى من البحث **بديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام و قطر من سير الحكام ، ، لابن سهل** (أبي الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسري الجياني عاش مابين (413هـ – 486هـ) تحقيق يحي مراد؛ **و كذلك "بوثائق في الطب الإسلامي ووظيفته في معاونة القضاء في الأندلس"** و **"وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس"**، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف؛ أما **المقصود المحمود في تلخيص العقود بما يتعلق بها من الفقه و التقييد**، (لأبي الحسن علي بن يحي) **ابن**

القاسم:، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس ، تحت رقم 11077 ، استفدت منه في بعض أحكام الزواج و الطلاق ،و استفدت من المقصد المحمود خاصة بعقد زواج لأهل الكتاب الذي انفرد بذكره، و بعقد ظئر، ولذا أرفقت العقدين في ملاحق البحث لمزيد من الفائدة؛ وكذا استعنت بنسخة مغايرة للمقصد المحمود محققة من طرف **فايز** (بن مرزوق بن بركي السلمي) لنيل أطروحة دكتوراه. و عثرت على بعض العقود لنسخ مغايرة لابن القاسم أوردها إبراهيم القادري بوتشيش في كتابه تاريخ الغرب الإسلامي، **قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع** و الحضارة ؛ إضافة إلى مجموعة أخرى من المصادر منها:

الباجي(أبو الوليد سليمان بن خلف)، **فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء و الحكام** تحقيق، الباتول بن علي ،1410ه/1990 م. و "**جامع العلوم والحكم" لابن رجب** الحنبلي، تحقيق محمّد تامر، إضافة "و**ثائق المرابطين والموحدين"** لعبد الواحد المراكشي ،تحقيق حسين مؤنس و " **وثائق عربية غرناطية"** لدي لوثينا (لويس سيكو) ،Luis Seco de Lucena ، من القرن9ه/15م ، ذات الأهمية الاجتماعية والإقتصادية.

أما كتاب **الحوادث و البدع للطرطوشي،**(لأبي بكر بن الوليد ،تحقيق محمد الطالبين ، تونس،1959) أفادني في الفصل الثالث فيما يخص الأعياد الاحتفالات و ما تعلق بهما من بدع وعادات شاعت في المجتمع و تعلق بها المسلمون و المسلمات متأثرين بالعادات النصرانية . و فيما يخص **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض (أبو الفضل)** مج 1،2، تحقيق محمد سالم هشام؛ **وتبصرة الحكام** لابن فرحون ، استعنت بهما في الفصل الثاني لإبراز بعض الأحكام فيما يتعلق بوضعية المرأة الأسرية والاجتماعية.أما كتاب "**أخبار النساء"**لعبد الملك بن حبيب ركز على الأحكام الفقهية المتعلقة بالنساء و لم يتعرض لأخبارهن و لا نبذ من تاريخهن.

<u>النوازل و الفتاوى</u> :

لقد أثارت النوازل الفقهية في الأندلس قضايا أعارتها المصادر الأخرى نفس الاهتمام ، وإن طبيعة هذا النوع من المستندات قد جعلتها قادرة على إزاحة الستار على مجموعة من الأحداث سكتت عليها المدونات الإخبارية أو الكتابات الرسمية . وبالرغم أن للنوازل و الفتاوى مضمونها ديني ، فإنها ضمت في ثناياها مادة تاريخية متنوعة تتميز بالموضوعية، ولذلك استعنت ببعض مصادرها لدراسة أوضاع المرأة الأسرية والاجتماعية في الأندلس ومشاركتها في بعض الأنشطة الاقتصادية.

إن النوازل و الفتاوى التي اعتمدت عليها تمتد على معظم القرون و العقود التي خضعت فيها الأندلس للحكم الإسلامي ،إلا أن أهمها كان في القرنين 4و 6ه/ 10، 12م، و ظل هذان القرنين مرجعا لكل المدونات اللاحقة. و الواقع أن تزايد أو تناقص النوازل والفتاوى الخاصة بوضعية المرأة له علاقة أكبر بالنشاط الفقهي. و تأتي في مقدمتها **مؤلفات ابن رشد** (أبو الوليد)-ت مابين 520ه-530 /1126-1135م) . فاعتمدت على **فتاوى ابن رشد،** 3 أسفار، تحقيق المختار بن طاهر التليلي، ، و **مسائل ابن رشد،** مج 2، تحقيق محمد الخطيب التجكاني ، في الفصل الثالث ، و الخامس .و يمكن اعتبارها نبض المجتمع الأندلسي منذ نهاية القرن 5ه/ 11م ،و ذلك لما تتضمنه من مادة علمية المتعلقة بالأسرة منذ تكوينها، و لأنواع الزواج ، والمشاكل الطارئة، و الطلاق ، وحضانة الأطفال ، الإرث ، و الملكية و لطبيعة العلاقات بين المسالمين و أهل الذمة. وكانت تفد على ابن رشد الأسئلة من مختلف أنحاء الأندلس في شؤون المرأة و الأمور الطارئة في بلاد الأندلس التي كانت تتقاسمه النزاعات الطائفية . و يليه في الأهمية **"المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب"** ، للونشريسي (أبو العباس محمّد بن يحي ،ت 914ه /1508م) خرجه جماعة من الفقهاء باشتراك محمّد الحجي، و هو جامع لما سبقه من الفقهاء. و لذا استعنت به في كثير من مواضع البحث في الجانب الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي.

و كشفت لنا **نوازل ابن الحاج** (أبو عبد الله بن خلف،ت 529هـ/1135م) ،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، المغرب الأقصى تحت رقم: 55 التي تحتوي على الكثير من المعلومات عن المرأة و علاقتها بأفراد الأسرة و في مسائل الطلاق و الإرث و الملكية و في نشاطها الاقتصادي؛ بالإضافة إلى **نوازل ابن بشتغير**(أحمد بن سعيد اللورقي المالكي) (ـ ت 516هـ ، دراسة و تحقيق و تعليق قطب الريسوني)، التي استخلصت منها معلومات في الجانب الاجتماعي و الاقتصادي في الفصلين الثاني و الخامس.

و كذا **أجوبة ابن ورد الأندلسي** التميمي(أبو القاسم أحمد، ت - 540ه/ 1146م)، و**المسماة بـ: الجوابات الحسان عن السؤالات ذوات الأفنان** ، فقد أفادني من خلال أجوبته في عدة مسائل أسرية لمنتصف القرن 6ه/ 12م، أما للقرن 9ه/ 15م و اعتمدت على **فتاوى علماء غرناطة، لابن سراج** الأندلسي(ـ أبو القاسم- ت 848ه) ،جمع ودراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان ، لاعتباره مصدرا حيا للمرأة الغرناطية في أواخر عهودها بالأندلس، و نظرا لمكانة أسرة بني سراج في الدفاع على الهوية العربية الأندلسية. **و كتاب "الأجوبة التونسية**

على **الأسئلة الغرناطية"**،(886هـ/1481م) **لمحمّد المواق** و محمّد الرصاع ، تحقيق محمّد حسن، و التي تعبر عن حرص الأندلسيين في الحفاظ على أحكام الشرع خاصة في تكوين الأسرة المسلمة و الحفاظ على هويتها في آخر عهد الإسلام بالأندلس والتي نستدل بها على استمرار وجود المرأة العربية المسلمة تفنيدا لمن قال المرأة الأندلسية فقدت شخصيتها و عروبتها و إسلامها وأن السيادة للمرأة المولدة التي تنتمي أو تميل للحضارة الغربية الأوربية . كما استعنت أحيانا **بفتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام،** ج6 **(**أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) - ت 841ه/1438م-) ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، فيما يخص أحكام العبيد والإيماء و يعد هذا الكتاب مصدرا جامعا لمن سبقه من مسائل الفقهاء .

مصادر الحسبة:

كان للحسبة حضور قوي في المجتمع الأندلسي لا سيما في أسواقها التي تعد نبض المجتمع ، وكانت رجال الحسبة بمثابة الرادع للمرأة الأندلسية و مراقبة تحركاتها خارج منزلها ، سواء في الأعياد و الاحتفالات و في الأعراس ، وفي زيارة المقابر ،والحمامات و المنتزهات ، وخاصة في الأسواق و محاربة غش و تدليس النساء لغزلهن مثلا ، و لذا كانت مصادر الحسبة الأندلسية حاضرة في كثير من ثنايا هذا البحث ، والمتمثلة في : **ثلاث رسائل في آداب الحسبة و المحتسب،** لابن **عبدون** ،و ابن عبد الرؤوف والجرسيفي (تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، 1955). و **كتاب أدآب الحسبة** للسقطي(أبو عبد الله) ، **(**،تح ليفي بروفنسال و كولان) الذي أفادني في الفصل الثاني و الرابع و الخامس، لا سيما فيما يخص وضعية الجواري وما يجرى عليهن من غش و تدليس من طرف النخاسين من اجل رفع ثمنهن؛ و معظم هذه المصادر استدنت عليها في مواضع مختلفة في الفصلين الثالث و الخامس .

مصادر التاريخ

مصادر التاريخ الأندلسي كثيرة لكن ذكرها لتاريخ و لإسهام المرأة يقتصر في معظمه على نساء البلاط ،و اختصر من هذه المصادر الأهم منها:

نسختين لمؤرخ الأندلس ابن القوطية (أبو بكر)، **تاريخ افتتاح الأندلس** ،تحقيق عبد الله أنيس الطباع، و " **تاريخ افتتاح الأندلس"** تحقيق إسماعيل العربي في ذكر قصة جدته "سارة بنت الألمند(القوطية)و الذي اعتمدت عليه في سيرة هذه

المرأة و أثر زيجتها في ظهور عنصر المولدين ومنهم أربعة أسر عريقة في الأندلس.

أما أبو مروان بن حيان الذي يعد مؤرخ الأندلس ، اعتمدت على ثلاثة نسخ لكتابه **المقتبس في أخبار الأندلس،** النسخة الأولى من المقتبس، تحقيق محمود مكي**1971**. ذكر فيها بعض أخبار نساء الخلفاء مثل " عجب" و طروب" و عدد بنات عبد الرحمان الأوسط و بعض جواريه . أما نسخة الثانية ، (من **300ه – 330ه)** و هي الجزء 5، نشره شالميتا بالتعاون مع ف. كورينطي و محمود صبح و غيرهما، بمدريد، **1979**. فتعد نادرة التناول من خلال المراجع التي اطلعت عليها. وذلك أن ابن حيان يخصص باب للنساء في عهد الخليفة عبد الرحمان الثالث، و يخص بالذكر قصة الجارية المغنية "مرجان " و طريقة وصولها إلى الصدارة في القصر بإزاحة نفوذ فاطمة القرشية الحرة ابنة عم الناصر ويذكر السبب الذي أدى لبغض الناصر ابنة عمه إلى أن توفيت. وجعل الناصر ولاية عهده في أبناء أم ولده مرجان التي أصبح لها نفوذا على كل حريم القصر .و لما توفيت انتقلت مكانتها إلى جارية أخرى - أم ولد- و هي مشتاق .

و القصة بتفاصيلها لم يذكرها أي مصدر آخر ماعدا الإشارة إليها، ربما لكون هذه القصة كان مكتوم عليها في عهدها و المتعلقة بالحياة الشخصية لأول خليفة أندلسي . و تمثل هذه القصة نوع من الصراع بين المرأة الحرة و الجارية ، و تشير إلى الحياة الخاصة لحريم القصر و إلى بعض المظاهر و الآفات اجتماعية التي استفحلت في المجتمع كتعاطي الخمر و الشغف بالغناء التي أثرت سلبا على العلاقات بين أفراد الأسرة الحاكمة،و لذا أوردتها في البحث كاملة رغم طولها.

أفادتني تآليف ابن حزم(أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن غالب الأندلسي) ت 456هـ)، **طوق الحمامة في الأُلفة و الأُلاَّف** جمعه و حققه عفيف نايف حاطوم، الذي خصه لذكر أسرار النساء وعلاقتهن العاطفية و الاجتماعية. و يعد من المؤلفات القليلة التي اختصت بالمرأة و الحب. كما استفدت منه في الفصلين الثاني و الخامس حيث ذكر أنشطة المرأة المختلفة كالحجامة، و الماشطة، و القابلة... بالإضافة إلى **رسائل ابن حزم** ،ج2، تحقيق إحسان عباس، خصه بذكر أسماء أمهات أولاد حكام بني أمية،**وجمهرة أنساب العرب**، راجعته في التأكد من بعض أسماء نساء بني أمية .

و أضيف بعض مؤلفات لمجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بينهم**، تحقيق الأبياري ؛ مجهول، **"نبذة**

العصر في أخبار ملوك بني نصر" تحقيق محمد رضوان الداية، آخر أيام غرناطة ؛ مجهول " **تاريخ الأندلس،** تحقيق عبد القادر بوباية الذي ذكر قصة أم ولد الأمير محمّد و هي"أَثْل " البربرية.

و مذكرات الأمير **عبد الله** ، آخر ملوك بني زيري بغرناطة،**المسماة بكتاب " التبيان"**، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال، ضمه تاريخ بني زيري ، و ذكر دور أمه السياسي ونصحها له بوضع يده في يد يوسف بن تاشفين ، و أورد قضية حساسة و هي اتهام النساء بسرقة المال، بالإضافة إلى دور اليهود في دولة بني زيري و استعمال النساء للجوسسة لصالحهم و حكى بالتفصيل قصة نفيه و رحيله مع أمه من الأندلس إلى المغرب.

أما كتاب **البيان المغرب و في أخبار المغرب الأندلس،** لابن عذاري المراكشي في 4مج ،تحقيق ج . س. كولان و ليفي بورفنسال ، استعنت به في مختلف فصول البحث نظرا لأهميته التاريخية لاسيما في الجانب السياسي حيث أورد أخبار نساء الحكام و الولاة مثل:أم عاصم" أيلة" و صبح أم هشام المؤيد ، و الدور الخطير الذي قامت به "الذلفاء" في الفترة العامرية الذي زاد حدة في فتنة قرطبة ؛ و جزء من **البيان المغرب قسم الموحدين** ،تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر و عبد القادر زمامة ، 1985،1 . ابن بسام (أبي الحسن علي الشنتريني) **"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"،4 ج**،تحقيق.إحسان عباس، اعتنى بذكر كثير من نساء الأندلس لا سيما في الجانب السياسي و الفكري، و لذا استعنت به مرارا في الفصل الثاني و الثالث والرابع.

ابن الخطيب (لسان الدين): **تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام،** الذي ذكر فيه وصاية"صبح " على ابنها ولي العهد هشام و علاقتها بالمنصور بن أبي عامر . وكتاب **"معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار"**، دراسة و ترجمة اسبانية للنص العربي ،محمّد كمال شبانة وليفي بروفنسال ، الذي يصف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية و الاقتصادية لبعض المدن الأندلسية و من كتاب " **نُفاضة الجراب "** تعرفت على عقد زواج و شروطه للعهد النصري ، أما كتاب **اللمحة البدرية** وصف في ثناياه نساء غرناطة و ما تميزن به من لباس و شَعر وجمال و حسن الخلق.

و يعد كتاب **ابن الأحمر** (الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد):**نثير فوائد الجُمان في نظم فحول الزمان** ،تحقيق محمد رضوان الداية مصدر مهم للتاريخ السياسي لبني نصر وذكر مأساة غرناطة و صراع "عائشة" الحرة مع زوجها

من جهة ومع ضرتها أم ولده " ثريا" و هي " إزبيلا" ابنة القائد سانشو كمنيس دي سوليس.

كتب الجغرافيا و الرحلات

تأتي في مقدمتها ،كتاب الجغرافية للزهري، بما يضمه من معلومات عن طبيعة الأندلس، و بعض الأحداث السياسية و الأنشطة الاقتصادية التي أسهمت فيها المرأة.

الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** مج 2 تميز بذكر بعض أنشطة النساء من خلال وصفه لبعض المدن مثل المرية و وخروج النساء للنزهة و الحمامات وبعض الألبسة

ابن حوقل: أبو القسم النصيبي: **صورة الأرض** ،مج1 ، دار صادر، بيروت، ط2، خصص بالذكر بعض المدن الأندلسية التي زارها و منها قرطبة ما تضمنته من جوانب حضارية ؛ **ابن خرداذبة** (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) **: المسالك و الممالك** .تح : محمد مخزوم ، أورد دور التجار اليهود في تجارة العبيد إناثا و ذكورا ،و المسالك التي كانت تتم عبرها هذه التجارة ، وعملية الاخصاء لفحول العبيد الذين يوجهون لخدمة حريم القصر .بالإضافة إلى كتاب **البكري** (أبو عبيد الله) : **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب،** جزء من المسالك و الممالك .و كتاب ابن الكردبوس: **تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط** ، تح مختار العبادي. **والعمري**(شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله- ت749ه) ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر2،** تحقيق عبد الله بن يحي السرحي ، من خلال وصف المدن الأندلسية الإشارة إلى بعض عادات النساء و اسهامهن في النشاط الاقتصادي. و **المقديسي** (شمس الدين) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، و** عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، معظم كتب الرحالة و الجغرافية استفدت منها في الفصل الأول للتعريف بالبيئة الطبيعية للأندلس ، بالإضافة إلى استغلالها في الفصل الخامس في مشاركة المرأة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة.

كتب التراجم و الطبقات

يأتي كتاب ابن الأبار" **التكملة لكتاب الصلة"** في المرتبة الأولى من حيث ذكره لعدد تراجم النساء على اختلاف طبقاتهن و ثقافتهن و نشطاهن . و رغم أن تحقيق هذا الكتاب تداوله بعض المحققين حسب النسخ المخطوطة التي تحصلوا

عليها، والتي يختلف عدد تراجم النساء من نسخة إلى أخرى ،إلا أن أهم نسخة مخطوطة محققة هي التي نشرها مصطفى بهجت المنجد في مجلة المورد .و التي استكمل بها نسخ الكتاب السابقة. واحتوت على (68) ثماني و ستون ترجمة، لم يعثر عليها في أي مصدر أخر. حيث تبدأ التراجم من القرن الثاني إلى السابع (2هـ - 7 هـ) وأكبر نسبة لهذه التراجم تتمثل في القرن الثالث و الخامس و ضمت 15 ترجمة لكل من القرنين -أي 30 في المجموع-، ويليها القرن السادس (6هـ) بـ 14 ترجمة، ثم القرن الرابع(4هـ) بـ10 ترجم، و القرن السابع (7هـ)بـ 6 تراجم أما القرن الثاني(2هـ) بـترجمتين -2 - و يضاف للكتاب 6 تراجم ذكرهم ابن عبد الملك في الذيل و التكملة، تحقيق محمد بن شريفة . وتراجم النساء متنوعة المضامين من ألوان العلوم و مختلف الأنشطة و أعمال البر والخير، ومن مكابدة المرأة في المشقة في طلب العلم أو في نشره، و وصل بإحداهن أن شيخها رفض إجازتها رغم اجتهادها و كل جهودها لنيل الإجازة !.

و يتبين من واقع هذه التراجم الممتدة على مختلف عصور الأندلس ،أن دور المرأة ونشاطها لم يقتصر على عصر ملوك الطوائف فقط كما شاع ذلك ، بل تجاوزه إلى عصر المرابطين و الموحدين. كما أن هذا النشاط لم يكن مقتصرا على قرطبة فقط ،إنما شمل عدد من المدن الأندلسية التي انتسبت إليها بعض النساء ، مثل بلنسية ، و دانية، و إشبيلية ، ووادي الحجارة، و غرناطة ، و لوشة ، و ركونة. و استخلصت من خلال هذه التراجم معلومات قيمة استغلتها في مختلف مباحث الفصول الخمسة، وأذكر من بين المؤلفات التراجم :.

كتاب **ابن عبد الملك** (أبو عبد الله محمَّد الأنصاري الأوسي المراكشي): **الذيل والتكملة** لكتابي الموصول و الصلة ، السفر 8، القسم الأول ،تحقيق محمد بن شريفة الذي جمع عدد معتبر من تراجم النساء عددهن 65 ترجمة وبعض التراجم ضاعت في الأوراق المفقودة. و منهن عدد من النساء الصالحات و الأديبات و الفقيهات والمحدثات والمقرئات و الكاتبات و الناسخات و الشاعرات.

كما ذكر ابن بشكوال (عاش مابين 494ه-578/ 1101- 1083م) في كتابه الصلة مج 3، تراجم لـ 16 امرأة أندلسية. أما **المقري** :(شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني – ت1041هـ) في **"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب"**، مج 4، تحقيق إحسان عباس**:** جمع المقري في ثناياه تراجم لـ24 امرأة من عهد الإمارة والخلافة و الطوائف و ضمه مجموعة من شعرهن، في المجلد الرابع ويبدو أنه لم يذكر كل أديبات

الأندلس نظرا لما ورد في نهاية كتابه الجزء الرابع، قائلا: "ولنقتصر على هذا المقدار و نعد على ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الأندلس ذوي الأقدار".

الضبي(أحمد بن يحيى بن عميرة) : **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** : تحقيق إبراهيم الأبيار، ج 2 خصص جزء منه لذكر 13 ترجمة للنساء في العلوم الدينية و في الأدب و الشعر. و ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب**: جزأين ، تح شوقي الضيف. ذكر أخبار نساء الخاصة و العامة إضافة ،إلى ذكر شاعرات الأندلس مثل نزهون الغرناطية وولادة بنت المستكفي و حفصة الركونية وما تميزت به من حرية الحركة والتصرف والإبداع الأدبي.

الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ج1** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ذكر سير وتراجم حكام الأندلس مع ذكر نسبهم و ذكر أسماء أمهاتهم و زوجاتهم و عرَّفنا على كل أسماء أمهات أولاد بني أمية مثل زخرف ،و مزنة، و صبح و غيرهن و عددهن 13 امرأة . أما الجزء الثاني فخصص نهايته لترجمة لثلاث نساء فقط.استعنت به في الفصل الثاني و في إعداد جدول لأمهات أولاد حكام بني أمية.

و كتاب للسيوطي(جلال الدين)849ه- 911 ه/ 1445- 1505 - م) : **نزهة الجلساء في أشعار النساء** ، تح صلاح الدين المنجد، بيروت، دار المكشوف، 1958 كتاب خاص بالنساء الشاعرات جمع فيه 48 ترجمة لنساء المشرق و الغرب الإسلامي قبل سقوط الأندلس منهن تراجم لبعض شاعرات الأندلس. و استعنت بسبعة مؤلفات لا**بن الخطيب** (لسان الدين) تأتي في مقدمتها **الإحاطة في أخبار غرناطة،** 4 أجزاء، تحقيق عبد الله عنان من المصادر التي أولت العناية في ذكر نساء غرناطة و منهن نزهون القلاعية و حفصة بنت الحاج الركونية، و أورد مجموعة من أخبارهن و أشعارهن.

الخشني (أبو عبد الله محمد) ت 456ه/ 1083م، **قضاة، قرطبة،** ذكر بعض تصرفات النساء التي كانت لها نفوذ سياسي و لجوء الحاكم للقضاء للفصل في الأمر كدور "عجب" في محاولة منها التواطؤ مع بعض القضاة لمنع تنفيذ حكم الإعدام في ابن أخيها في عهد عبد الرحمان الأوسط . و ذكر بعض أخبار القضاة مع زوجاتهم. أما ابن الزبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي(628ه- 708ه) في كاتبه **صلة الصلة** ، القسم الخامس ،تحقيق عبد السلام الهراس و سعيد أعراب، خصص باب لتراجم لخمس (5) نساء الصالحات وانفرد بذكر بعضها دون غيره ، و منهن عزيزة بنت جعفر بن نميل التي سمعت على القاضي

أبي بكر بن العربي . و الملاحظ على ابن الزبير لم يذكر الشاعرات الشهيرات واقتصر ذكره للمتدينات فقط .

ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم ت 677/ 1278/) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، الباب 13، في أطباء إفريقية و الأندلس، نشره نور الدين عبد القادر و هنري جامية الذي ذكر من خلاله أسرة بني زهر ومن بينهم بنت أخت أبي مروان و بنتها اللاتين اشتهرتا بالطب في البلاط الموحدي.

و عموما فإن هذه التراجم أفدتني كثيرا في مباحث الجانب السياسي و الاجتماعي ، والثقافي حيث انتقيت منها بعض النماذج للاستدلال بها في موضعها.

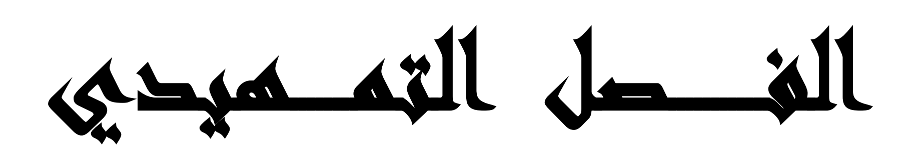
كتب اللغة و الأدب

ابن عبد ربه الأندلسي(أبو عمر أحمد بن محمد): **كتاب العقد الفريد** ، مج 4، مراجعة وتحقيق، محمد صقر، خصص باب للنساء من حرائر و جواري و ذكر طبائعهن وصفاتهن و لباسهن و لم يتعرض بإشارة واحدة إلى نساء الأندلس. و استعنت ببعض الأشعار لابن شهيد و ابن خفاجة و ابن زيدون نظرا لاهتمامهم بوصف المرأة في صور شعرية إبداعية ،فاستدللت بها في مواضع كثيرة خاصة في الفصل الرابع عند الحديث عن لباس المرأة و زينتها. و عبروا عن جمالها و أناقتها و ذلك لكون المرأة كانت مصدر إلهامهم فقارنوها بالطبيعة وبالحب. و وجدت في أشعار الأزجال و الأمثال العامة مادة غزيرة عن المرأة لكن نظرا لسعة الموضوع و ضيق الوقت لم أخد منها إلا القليل من كتاب **"تاريخ الأمثال و الأزجال في الأندلس و المغرب "** لمحمّد بن الشريفة.

أما كتاب ابن رزين **التجيبي** : **فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان ، صورة من فن الطبخ في الأندلس و المغرب في بداية عصر بني مرين،** تحقيق محمد بن شقرون،يعد مصدرا مهما في اكتشاف أنواع الأطعمة و الأشربة اليومية أو في المناسبات وكيفية إعدادها وفوائدها الصحية.

كما استعنت بمعاجم للغة و الموسوعات و الموسوعة الإسلامية و لسان العرب لابن منظور و القاموس المحيط للفيروز آبادي و معجم البلدان لياقوت الحموي .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين


الفصـــل التمـــهيدي

بـــلاد الأندلـــس دراسة طبيعيـــة و بشريـــة

أولا: بـــــــلاد الأندلــس طبيعيـا

- الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية
- تعريف بمصطلح الأندلس
- الدراسة الطبيعية لبلاد الأندلس

ثانيا: التكوين البشري للمجتمع الأندلسي .

- السكان الأصليون ـ العرب ـ البربر - الموالي
- النصارى (المستعربون) ـ اليهود ـ الأندلسيون
- العبيد (الرقيق) : ـ الرقيق الأبيض الرومي ـ الرقيق الأسود.

أولا: بـــــــلاد الأندلـــــس طبيعيـــــا

الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية

تقع شبه الجزيرة الإيبيرية، في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية. و هي عبارة عن هضبة مثلثة الشكل يحيط بها البحر الأبيض من جهاتها الثلاث ..وتشمل كل من اسبانيا والبرتغال حاليا ،تغطي إقليم واسع تصل مساحته إلى حوالي 5600كمُ و تحتل اسبانيا حوالي 6/5 من شبه الجزيرة. و بذلك تعتبر اسبانيا حاليا ثالثة بلاد أوروبا من حيث المساحة بعد روسيا و فرنسا.

يحد اسبانيا من الشمال جبال البرت والتي تسمى البرانس تعرف بالاسبانية pirinéos و تعد حدا فاصلا بين من يعيشون شماله و الذين يعيشون جنوبه. يفصلها من الجنوب عن المغرب الأقصى مضيق جبل طارق (بحر الزقاق)بحوالي 13 كم . ومن الغرب تطل على المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) بواجهة بحرية طويلة غنية بالتعاريج الصالحة للموانئ . ومن الشرق و الجنوب الشرقي تطل على البحر الأبيض المتوسط (بحر الشامي أو بحر الروم) و تضم إليها الجزر الثلاث التي تعرف بالجزائر الشرقية (جزر البليار) و هي منورقة و ميروقة ويابسة) و التي حكمتها دولة بني غانية في القرن 6ه/12؛و لذا كانت شبه جزيرة أيبيريا دائما ذات أهمية بحرية .[1]

- **التعريف بمصطلح الأندلس.**

لم تعرف بلاد الأندلس بهذا الاسم إلا بعد فتح المسلمين لها و هذا اللفظ أطلق على الأقاليم التي خضعت لسلطان المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية و لا يقتصر مدلوله على المعنى الجغرافي بل يشمل مختلف العناصر التي استظلت بظل الإسلام سواء أسلمت أو لم تسلم. ويعبر ياقوت الحموي عن هذه التسمية فيقول :

---

[1] (أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر) الزهري ،**كتاب الجعْرافية**، تحقيق محمّد حاج صادق،الظاهر ، مكتبة الثقافة الدينية،(دت)، ص 128، 129 ؛ مجهول- ،**[جغرافية] وتاريخ الأندلس**،دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية،مؤسسة البلاغ للنشر و الدراسات و الأبحاث،الجزائر،2013، ص56؛ خليل إبراهيم السمرائي و عبد الواحد ذنون و ناطق صالح مطلوب ، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**،بيروت ، دار الكتاب الجديد،ط 1، 2000 ، ص 11 ؛عبد الرحمان علي الحجي ، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق**،دار القلم، ط 5، 1418ه/1997، ص 35، 36.

"هي كلمة أعجمية لم تستعملها العرب في القديم و إنما عرفتها في الإسلام. [1] و باستثناء الإشارات العارضة و القليلة التي وردت في كتب الرحالة و المؤرخين و الجغرافيين والأندلسيين فان المصادر العربية القديمة لا تعرف كذلك كلمة اسبانيا و تقول بالمقابل بلاد الأندلس.[2]

و كلمة الأندلس أخذت من لفظ فاندالسيا wandalacia أو فنداليشيا . الذي يطلق على إقليم باتقة- أيبيريا في القديم – . الذي احتلته قبائل الوندال الجرمانية ما يقرب من عشرين سنة من(408 م - 429م) . و كان النصارى الأسبان يطلقون على هذا الإقليم اسم اسبانية أو شبانية باسم رجل يقال له أشبان اشباالين. hispalis . أما الفينيقيون فأطلقوا التسمية على الشاطئ الذي نزلوا به "ساحل الأرانب".

كان العرب يطلقون تسمية الأندلس في أول الأمر على الأقاليم الجنوبية بالذات، ثم عمموها على شبه الجزيرة الإيبيرية كلها . و هذا التدرج في التسمية يؤيد رواية الحميري[3] ليتضح مما ذكر أن لفظ جاء تعريبا للفظ الوندال و هو اسم إحدى القبائل الجرمانيةvandales التي تحركت في هجرة كبيرة عبر جبال البريني في شمال اسبانيا سنة 408 م لتستقر في سهولها الجنوبية التي ما لبثت أن حملت اسمها : ـــ واندلوس ـــ و بهذا الاسم سماها بربر المغرب الأقصى. فلما وصل العرب قيل لهم أن هذا هو الوندلوس . وسقطت ـــ **الواو** ـــ لأنها أداة تعريف في لهجة بربر إقليم طنجة، و عوضت بأداة التعريف العربية فقيل الأندلس [4] أو

---

[1] (ياقوت) الحموي ،**معجم البلدان**،مج 1،دار صادر، بيروت، ط 2، ص 252.

1(أبو عبيد الله) البكري ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب**، أدريان –باريس 1965ص 104 ؛ (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)المعروف بالشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج 2 علم الكتاب (د م ط) 1989 ،140ص 535 ؛ (عبد المنعم) الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،تح إحسان عباس، بيروت ،مؤسسة ناصر للثقافة، ص 22؛ ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج2، تح ، كولان وليفي بروفنسال، بيروت ،دار الثقافة ط 5 1418ه 1998 ص1 ؛ (أبو القسم النصيبي)ابن حوقل ، **صورة الأرض** ،مج1 ، دار صادر بيروت ط2 (د ت ط) ط1 مطبعة بريل ليدن 1938 ص 108 ؛(شمس الدين) المقديسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر بيروت (د ت ط) ص 216.

[3] و ذكرت عدة تعليلات لهذه التسمية تبتعد عن التحقيق التاريخي و تقترب من الروايات الأسطورية، الحميري، معجم البلدان ، ص 22.

[4] الحميري ، نفس المصدر ، ص 32؛ (شهاب الدين أحمد بن محمد) المقري التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، مج 1، تحقيق إحسان عباس، بيروت ،دار صادر ، ط 2 1997، ص 67؛ حسين مؤنس ، **موسوعة تاريخ الأندلس**، ج 1 مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة -1416ه/ 1996م ، ص 10.

الأندلش [1] مشتقة من أسماء الأندليش الذين سكنوها. و لما فتح طارق بن زياد الجزيرة الخضراء ، عرفت هذه الأخيرة باسم جزيرة "أُمّ حكيم "، نسبة لجارية له .[2] و ظلت التسمية الأندلس سائدة لمدة طويلة، و لم تنته بخروج المسلمين منها، لكن أخذ مدلولها الجغرافي يتناقص تبعا لتطور الوضع السياسي للمسلمين حتى سقوط غرناطة في 897 هـ/1492م .[3] " و أصبح في اللغة الإسبانية لفظ " أندلثيا" –andalucia " – يطلق على ثمانية أقاليم في جنوب اسبانيا و هي: المرية، غرناطة، جيان ، قرطبة، مالقة ، قادش، ولبة، اشبيلية، و إن يكن قد اختفى الأندلس حاليا كحقيقة سياسية فانه يظل دوما قائما كحقيقة تاريخية حضارية.[4]

الدراسة الطبيعية لبلاد الأندلس.

إن طبيعة شبه الجزيرة الإيبيرية ـ الأندلس ـ ، هي عبارة عن هضبة متوسطة الارتفاع(600م) ، و تشمل نحو ثلث مساحة البلاد ويزيد ارتفاعه على (800م) وسلاسل جبلية تصل ارتفاعها إلى أكثر 1600م. .تمتد السلاسل الجبلية امتدادا عرضيا من الشرق إلى الغرب ، و بين كل سلسلة و أخرى يجري واد فسيح يشقه نهر بفروعه، و كل سلسلة جبلية تتكون من كتل جبلية متصلة بنسق.[5]

و أهم السلاسل الجبلية من الناحية الحضارية نجد سلسلة الجبال الوسطى التي تجري بها نهر "دويره" و وادي "آنة" و هي تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وتسمى في المصادر العربية بجبال الشارات، و اسمها حاليا "جوادا رما " Guadarrama و هو تعريب لاسم "وادي الرمل "الذي يمر بالمنطقة . و كانت هذه الجبال في العصور الوسطى تعد الفاصل الطبيعي بين

---

[1] اسمها الأول الأندلش فبدلت الشين بالسين: انظر، (شمس الدين) الربوة ، **نخبة الدهر في عجائب البر و البحر**،بيروت، دار إحياء التراث العربي ط 2 1419ه / 1998ص 319 ؛ الحميري ،الروض المعطار، ص32.

[2] الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص 539.

[3] مجاهد مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تحقيق محمد رضوان الداية، آخر أيام غرناطة ، دار الفكر ، دمشق، دار المعاصر ، بيروت، ط2، 2002 ،ص106،103؛ مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج1، ص 10 ؛ عدنان درويش و محمد المصري ، **الأندلس من نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري**،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، 1990 م، ص 37، 38.

[4] مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس ،ج1، ص11؛ خليل إبراهيم السمرائي و آخرون، المرجع السابق، ص11.

[5] مجهول ،[جغرافية] وتاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ص55. ؛انظر الخريطة الطبيعية لشبه الجزيرة الإيبيرية، الملحق ، رقم 1.

الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية. وفي معظم فترات التاريخ الإسلامي نجد الأندلس هو ما يقع جنوبي جبال الشارات و ما يقع على "الوادي الكبير" guadelquivi" و إلى جنوبه .

و ضمت منطقة الوادي الكبير و جنوبه أكبر مدن الإسلام في الأندلس وهي: قرطبة ، حاضرة الأندلس في العهد الأموي و اشبيلية، حاضرة ابن عاد –عهد ملوك الطوائف وجيان و مالقة .و غرناطة و غيرها من المدن.[1]

أما في شمال بلاد الأندلس، تمتد الثغور التي كانت محصنة بسلسلة من القلاع ، وقواعد بلاد الثغور هي الثغر الأعلى قاعدته سراقسطة، و الثغر الأوسط ، قاعدته مدينة سالم –، Medinaceli - و الثغر الأدنى قاعدته "قورية " - Cori -.[2]
و تشقها طرق المواصلات هامة في نقاط منها الطريق الوسطى الكبيرة التي تمر بسرقسطة و طليطلة وتمتد حتى تصل إلى قرطبة حيث ينطلق عدد من الطرق أين تتخذ شبكة المواصلات فيه شكل نجم.

و في شمال جبال الشارات ، قامت أكبر ممالك اسبانيا النصرانية و هي" قشتالة " و"ليون". ويعد نهر" تاجة" الذي يمر جنوب هذه الجبال الحد الرئيسي الفاصل لبلاد الإسلام . و عليه كانت تقوم" طليطلة" أكبر عواصم الجزء الشمالي للأندلس و أول دار ملك المسلمين.[3] و يلاحظ تنوع الخصائص الجغرافية لشبه الجزيرة الإيبيرية من تباين سطح الأرض و تعدد الأقاليم المناخية و الغطاء النباتي حيث تسود ثلاثة أنماط مناخية ففي الشمال الغربي مناخ محيطي ممطر على مدار السنة و ينتج عنه نشوء مزارع غنية .و يسود الوسط مناخ قاري شبه جاف تغطيه أعشاب قليلة؛ أما في الجنوب الشرقي فيسود مناخ معتدل. أدت هذه الأنماط المناخية

---

[1] ابن الكردبوس ، **تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط** ، تحقيق مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1971ص 130 ؛ الزهري ، كتاب الجغرافية، ص 83 ؛ عدنان درويش و محمد المصري ، المرجع السابق ، ص 46، 47 ؛ الحجي ، المرجع السابق ، ص36. خليل ابراهيم السمرائي، و أخرون، المرجع السابق ، ص 11، 12؛ حسين مؤنس ، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس،** القاهرة،دار الرشاد،ط 1433ه/2003م ، ص 263 .انظر خريطة المدن، ملحق رقم 9.

[2](أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي) العذري ، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك،** تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،(د ت)، ص 22، 24.

[3] - ابن الكردبوس، المصدر السابق ، ص 130 ، 131؛ لطفي عبد البديع ، قطعة **من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس و مدنها بعد الأربعمائة** ،مجلة معهد المخطوطات العربية، مج1، ج 2، مطبعة مصر، رمضان 1375، مايو1955م، ص 288 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ، 562،541، 570، 574 ؛ الزهري، المصدر السابق، ص ، 83 ،105 ؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص264.

المتنوعة إلى تنوع الحياة الزراعية و النشاط الاقتصادي عامة و توزيع الكثافة السكانية . [1].

و هذه الطبيعة هي التي خلبت و سحرت عيون الشعراء و الأدباء و خلدوها في دواوينهم مثل ما قاله ابن الخطيب:

بلد أعارته الحمامة طوقها و كساه ريش جناحه الطاؤوس
فكأنما الأنهر فيه مدامة و كأن ساحات الديار كؤوس[2]

و البعض شبهوها مجازا بالمرأة .فاحتلت المرأة و الطبيعة و الحب مكانا كبيرا في الشعر الأندلسي، فعندما يصف الشاعر موضوع الطبيعة تظهر المرأة وكأنها مرتبطة ارتباطا كبيرا بجمال الحدائقو الزهور و الأنهار... وتذكره الورود و الأحجار الكريمة تشبيها بالفم و الخد و العين. و كأنما للألوان علاقة وطيدة مع شكل المرأة . إن الشاعر الأندلسي جعل الطبيعة تحاكي معايير الجمال عند المرأة فصَور جمالها أروع تصوير مما يدل على أنه كان مؤمنا كل الإيمان بها .[3]

و من الشواهد عن ذلك ما قال ابن اللّبنة [4] يصف العيون:"

و سنان ورد جماله في خده غض و نرجس مقلتيه ذابل

و لقد توفرت في المرأة الأندلسية أمثلة رائعة للجمال المادي و الجمال الروحي و ربما عدت مقاييس خالدة للجمال على مرّ العصور. و كثيرا ما فجرت الطبيعة الساحرة شاعرية أديبات الأندلس و أفشت بعض أسرارهن ، مثلما صدحت به زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية قائلة:

أباح الدمع أسراري بوادي ما له للحسن آثار بوادي [5]

و لعلا هذه الطبيعة الخلابة ـ الفردوس المفقود حاليا ـ هي من دفعت الشاعر ابن خفاجة إلى القول بصدق :

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب ، **تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، ط 2، دار المكشوف ، 1956، ص 4،5 ؛ عدنان درويش و محمد المصري، المصدر السابق، ص 51، 52؛ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص265.

[2] لسان الدين ابن الخطيب، **ريحانة الكُتاب و نجعة المنتاب،مج2**، تحقيق محمّد عبد الله عنان،القاهرة مكتبة الخانجي،ط1401،1ه/ 1981م.،ص250.

[3] Henri Peres **: La poésie andalouse en arabe classique au 11è siecle, ses aspects généraux** ses principaux thèmes et sa valeur documentaire,2è ed, Adrien_Maisonneuve,Paris, 1953,p 397.

[4] سلمى سليمان علي ، **المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف**، القاهرة، مكتبة الثقافة، ط1 1426ه/2006م،ص174 .

[5] المقري ، نفح الطيب ج 1 ،ص 287، 288.

يا أهل أندلس لله دركم ماء و ظل و أنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار
لا تخشوا بعدها أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار[1]

ثانيا: التكوين البشري للمجتمع الأندلسي

إن الحضارة الإسلامية في الأندلس هي نتاج التفاعل و التبادل بين كل العناصر السكانية التي عاشت في أرض الأندلس منذ الفتح الإسلامي ، و انصهرت في بوتقتها حتى أصبحت لها شخصية مميزة شملت مختلف العناصر عرفت بالشخصية الأندلسية ، وارتسمت ملامحها خاصة في عهد نهج و ازدهار وذلك منذ إعلان عبد الرحمان الناصر الخلافة الأموية سنة 316ه / 929م . و بالتالي أصبح المجتمع الأندلسي خليطا من عناصر سكانية شتى تنوعت أصولها البشرية و عقائدها و ثقافتها؛و شكلت فيه المرأة العامل المحوري عن طريق المصاهرة و التقارب بين مختلف الفئات و الذي جسد فعلا الآية القرآنية الكريمة قال ﷻ:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.** ﴾[2] و من أهم العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي منذ مرحلة تأسيسه، نجد :

السكان الأصليون :

كان المجتمع الإسباني قبل الفتح الإسلامي في عام 92ه/ 711م، يتكون من مجموعات إثنية متعددة استقرت في إسبانيا في فترات تاريخية مختلفة. و قد استطاع القوط الغربيين في النهاية بسط نفوذهم على هذه المجموعات وكوّنوا لأنفسهم دولة قوطية كبيرة ؛شملت عند سقوط الإمبراطورية الرومانية عام 476م ، جنوبي بلاد غالة و معظم أراضي شبه الجزيرة الإيبيرية ،و من أهم العناصرالسكانية ما يلي:

- **الإسبانو-رومانيون:** استقر الرومان بإسبانيا منذ عام 218م و استمر احتلالهم لها مدة تقارب ستة قرون ، نقل خلالها الرومان بعض قوانين و شرائع حضارتهم

[1] عدنان درويش و محمد المصري، الأندلس من نفح الطيب ، ص 555؛ حمدان حجاني ،**حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1982 ، ص251، 252.

[2] سورة الحجرات : الآية 13.

، ونشر اللغة اللاتينية التي تفرعت عنها اللغتان الإسبانية و البرتغالية. و بعد احتلال القوط لإسبانيا بقيت عناصر رومانية بها و احتفظت بثلث أراضيها. أما الأرستقراطية الرومانية القديمة فقد تحالفت مع القوط للمحافظة على امتيازاتها و ثرواتها. [1]

ـ **الجرمان،** منذ أوائل القرن 5م ،عرفت إسبانيا هجرات القبائل الجرمانية أهمها قبائل الوندال التي استقرت بمنطقة بيتيكا ، ثم تبعتها قبائل السوفيين التي تمركزت في مقاطعتي جليقية و أستورياس. ويضاف لهذه العناصر هجرة القبائل القوطية لإسبانيا [2] ، التي خاضت عدة حروب مع الوندال و الجرمان و استطاعت في الأخير بسط نفوها على إسبانيا و توحيد شبه الجزيرة الإيبيرية منذ القرن السادس الميلادي تحت حكم عنصر واحد المتمثل في القوط الغربيين. و حكم إسبانيا 16 ملكا قوطيا ،كان آخرهم لذريق الذي تميز عهده بالفتن و الثورات أدت إلى تمزق الوحدة السياسية منذ أواخر القرن السابع الميلادي خاصة بعد وفاة الملك غيطشة و اشتداد المنافسة بين النبلاء على الحكم؛ و تدهور الظروف المعيشية لكل فئات المجتمع منها تضمر حاكم سبتة"يليان" من معاملة لذريق ملك القوط لبنته ، الأمر الذي سهل عملية الفتح الإسلامي. [3]

العرب:

مَثَّل العنصر العربي أبرز عناصر المجتمع الأندلسي رغم قلته ، حيث كان العنصر القائد و المسيطر على هذه البلاد، فالطليعة الأولى لهذا العنصر جاءت مع الفتح الإسلامي أي مع طارق بن زياد و موسى بن نصير، و من نتائج هذا الفتح أن أصبحت اسبانيا ملكا للمسلمين تابعة للخلافة الأموية بدمشق [4] لكن أهم أمر شغل

---

[1] أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب و الأندلس** ، بيروت ، دار النهضة العربية ، (د ت) ،ص 27 ؛ خليل السمرائي و أخرون ،تاريخ العرب و حضارتهم ، ص12، 13.

[2] مؤنس، معالم. ، ص 263 ، 267 ؛ خديجة قروعي، **ظواهر اجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس، من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة**(96ه/711م-316ه/929م)، دمشق، دار النابة، ودار محاكاة، ط1433ه/2012م،ص 84.

[3] مجهول ،[جغرافية] وتاريخ الأندلس،دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، ص 199،201؛ شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية** ، ج1، مصر المطبعة الرحمانية، ط1، 1355هـ/ 1936م، ص 26؛ السمرائي و أخرون ،تاريخ العرب، ص20،21، 22، 26. مؤنس،معالم، ص 268 .

[4] أبو بكر بن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس** تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، مراجعة عمر فاروق الطباع، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ط 1 ، 1415ه/ 1994م، ص 77 -78 ؛ ابن عذارى ،البيان، ج2، ص 13 ،23 ؛ مؤنس ، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص 120-121. انظر خريطة سير الفتح رقم 2.و 3.

بعض الدارسين والمؤرخين تمثل في كيفية دخول الفاتحين إن كان فردى أم اصطحبوا معهم النساء ؛ و على إضفاء صبغة العروبة على الحضارة الأندلسية ؟ و الجواب على هذا السؤال سواء كان سلبا أو إيجابا تنجر عنه عدّة توقعات واحتمالات تختلف رُآها باختلاف نزعة و ميول الدارس.

إن العديد من المؤرخين يرى أن العرب دخلوا أفرادا نظرا لكثرة زواج المسلمين الفاتحين بالاسبانيات * في حين يرى البعض أنهم دخلوا مع نسائهم أي جماعات، مستشهدين بموسى بن نصير الذي اصطحب معه نساءه ، و لا يستبعد أن كثيرا من القادة قد اقتدوا بموسى بن نصير و اصطحبوا أسرهم . و أوردت بعض المصادر معلومات عن دخول أُسَر عبد الملك بن عمر بن مروان وجُزي بن عبد العزيز بن مروان و معها أولادها و بناتها، و تابع ناس كثير من بني أمية و مواليهم و كثروا. [1] كما أشارت المصادر إلى وال الأندلس يوسف الفهري الذي صاحب زوجته و بنتاه وانظموا إلى دار عبد الرحمن بن معاوية . [2]

كما أشير إلى دخول المرأة العربية الأندلس و هذا من خلال الصراع الذي جرى بين عبد الرحمن الداخل من جهة و يوسف الفهري و الصاموئيل من جهة أخرى، لما عرض يوسف الفهري ابنته "أم موسى " للزواج من عبد الرحمن الداخل ، و أم موسى كانت أرملة والى الأندلس " قطن بن عبد الملك [3]. كما ذكرت المصادر أن المنصور بن أبي عامر كان من أبويين عربيين و اسم أمه "بهيرة" [4]

و منهم من يرى أن العرب دخلوا فرادى دون أسرهم، فكان من الطبيعي أن يتخذ العرب لهم نساء من أهل البلاد، و أن تصبح المصاهرة بينهم أمرا لابد منه

---

*قدر عدد العرب الذين دخلوا الجزيرة في طالعة موسى بـ 12 ألف و طالعة بلج :بـ 10 آلاف واصطحب الحُر بن عبد الرحمن الثقفي معه 400 آلاف، فالمجموع 422 ألف فإذا أضيف بعض آلاف أخريين من دخلوا الجزيرة فرادى و جماعات يصبح تقدير من دخل الجزيرة 30000 ألف وإضافة إليه من قتل في الحروب و استشهدوا في الفتوح فان بقية العدد القليل لا يمكن أن تغمر شبه الجزيرة الواسع على هذه الصورة ، حسين مؤنس، **فجر الأندلس** دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأمية (711ه - 752ه) القاهرة ، دار الرشاد، ط 3، 1426ه/ 2005/، ص 296،297.

[1] مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بينهم**، ، تحقيق الأبياري ، القاهرة ،دار الكتاب المصري ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، ط2، 1410ه/ 1989م ،ص 87.

[2] ابن القوطبة، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس ،ص 89.

[3] مجهول، أخبار مجموعة، تح إبراهيم الأبياري ، ص70.

[4] قال عنه المقري: كانت أمه تميمية، فحاز الشرف بطرفيه و التحف بطرفيه . و قيل فيه

تالقت عليه من تميم و يعرب شموس تلالا في العلا و بدور

من الحم يربيك الذين أكلفهم سحائب تهمي بالندى و بصور. المقري، نفح الطيب ،مج 1 ،ص 406.

و يرى ريبيرا Ribera أن العرب كوّنوا أسرهم بعد نزولهم اسبانيا واستقرارهم فيها عن طريق الزواج و التسري بالاسبانيات .[1] و يؤيد هذا الرأي حسين مؤنس قائلا:" ينبغي أن نلاحظ أن جميع العرب الذين دخلوا الجزيرة، دخلوا رجالا بدون نسائهم، ثم اتخذوا النساء من أهل البلاد، و قد توسعوا في ذلك فكثرت نساؤهم و كثر عيالهم أيضا، و أن العرب سواء اليمنية أو القيسية كانوا ينزلون أفراد دون أسرهم ثم يقبلون بعد ذلك على التزوج أو التسري بنساء ذلك البلد أي من الاسبانيات . و مع مرور الزمن تتألف الأسر، و الأجيال الناتجة من هذه الزيجات التي لم تكن عربية خالصة من حيث الدم " .[2]

لكن النصوص التاريخية السابقة الذكر لا تتوافق مع هذا الرأي الأخير. فان كنا نفهم من" ريبيرا" نواياه المغرضة لتغريب الحضارة الأندلسية و اتخاذ من المرأة وسيلة في المحافظة على هذه الغربية ؛فما يثير التساؤل هو ما استنتاجه حسين مؤنس في استئصال دور المرأة العربية من الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية بتأكيده على أن جميع العرب دخلوا الأندلس فرادى !! و ربما ما يفسر قلة أعداد العرب هو ضعف الهجرة العربية من المشرق إلى الأندلس على الرغم من استمرارها ، بالإضافة إلى ما أسفرت عليه الحروب بين العرب المضرية و اليمنية و هذا ما أدى إلى هلاك عدد كبيرة من العرب و من الطرفين .[3] إضافة إلى وقوع صراع بين المولدين و المستعربين من جهة و العرب من جهة أخرى في أواخر عصر الإمارة مما قلص من عدد العرب.[4]

كما يعتبر الزواج المختلط عاملا من عوامل تقلص العنصر العربي الأصيل (النقي) مع بقاء بعض الحالات مثلا كالمنصور بن أبي عامر عاش في القرن 4ه/10م و الذي كان من أبوين عربيين ويقول فيه ابن عذاري :" لقد حاز الشرف من طرفيه. "[5] و في المقابل وجدت حالات مغايرة لذلك ، فإذا تزوج أحدهم بابنة عربي أندلسي، و جدت غير عربية الأصل أُمًّا و أبا ، أي أنها في الحقيقة مولودة.

---

[1] راوية عبد الحميد شافع ، **المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة** ،(92-422 هـ/ 711 – 1031م) الهرم ، مصر،عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، 2006م ،ص44؛ مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 297-305.

[2] مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 297-305 .

[3] ابن عذاري ، البيان المغرب، مج 2، ص 81، 82.

[4] مجهول ، **تاريخ الأندلس**، تحقيق عبد القادر بوباية ،بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ، 2007، ص 195؛ ابن القوطة، **تاريخ افتتاح الأندلس** تحقيق ، إسماعيل العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 30-34 .

[5] ابن عذاري، المصدر السابق ، مج2 ص 274 ؛ المقري، نفح ،مج1 ،ص 406.

لكن أفراد هذه الأسر كانوا يحسبون أنهم عرب و يتعرفون أنهم عرب خلص ويجيدون الفصحى و يحفظون أشعارها ، ويفخرون بأصولهم العربية وبالتالي لا يقدح في عروبة هذه البيوتات.

ويدخل في هذه الطائفة جماعات المولى كانوا يحسبون أنفسهم عربا و يدعون أرومات عربية يقتبسونها من أصول مواليهم، فهذا من" لخم "و ذاك من "جذام " من "أسد "أو من "مضر".[1] و حتى الذين كانوا من أصول اسبانيا منهم ادعوا أصول عربية مع الزمن [2]. و اعتبرت هذه الأنساب عاملا أساسيا فعالا في حياة أولئك الناس، فهم جميعا يعيشون ويتصرفون على أنهم عرب ، يتميزون على غيرهم و لهم حق السيادة والحكم . وقد اعتبر العرب أنفسهم، أصحاب سابقة و يحق لهم الحكم و الاستئثار و تعيين الأمراء والخلفاء، فخلدوا إلى الراحة و امتلاك الأراضي ، وظهرت منهم محاولات استقلال عن الدولة الأموية التي استمرت إلى نهاية القرن 3 ه / 9 م، الأمر الذي جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر و خلفاءه من بعده يفقدون الثقة في الأسر العربية في الأندلس و يحاولون الاعتماد على عناصر بشرية أخرى كالصقالبة والبربر.[3]

و نتيجة لهذا التحول في سياسة الخلفاء الأمويين أصبح عنصر العرب في القرن 4ه/10م مجرد عنصر بشري . سكن الكثير منهم العاصمة قرطبة لما فيها من مباهج الحياة [4] ، وتمسكت خلالها المرأة القرطبية بعروبتها و شرفها ونشاطها ، أكثر منها في النواحي الأخرى مثل في إشبيلية أو في غرناطة اللتان اشتهرتا بكثرة الجواري. [5] واللتان ستعرفان نشاطا حضريا واسعا في عهد الطوائف بعد سقوط قرطبة لتصبحا مراكز ذات امتياز .

البربر:

---

[1] هذه قبائل عربية الأصل وفد بعض أفرادها مع الفاتحين العرب أو ضمن الهجرات اللاحقة للأندلس ، ابن عذاري ، نفسه ، مج2 ص 274.

[2] مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج 1، ص 69،70؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص 321، 322 ، 325.

[3] - ابن عذاري ، البيان، ج2 ص 82-83؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج1 ،ص 69 ؛ محمد عبد الله عنان ، **دولة الإسلام في الأندلس ع1 ، ق 1 من الفتح إلى بداية الناصر**،القاهرة ،مكتبة الخانجي،ط4، 1417ه/1997، ص 71.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق ، مج2 ص 259 ، 274 .

[5] ابن الخطيب ، الإحاطة، ج 1 ص144، 145؛ مريم قاسم الطويل :**مملكة غرناطة**،، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، بيروت ،دار الكتب العلمية، ط 1، 1414ه/ 1994م. ص 258؛ ومريم قاسم الطويل، **مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح** ،(443 – 484ه/ 1051-1091م)، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، بيروت ،دار الكتب العلمية، ط 1، 1414ه/ 1994م ، ص79.

يندرج وفود البربر إلى الأندلس ضمن الجيش الإسلامي الفاتح الذي قاده طارق بن زياد (في 92ه/710م) و رافقت طارق بن زياد في حملته جارية له عرفت "بأُمّ حكيم، التي تركها في الجزيرة الخضراء التي عرفت فيما بعد بجزيرة "أم حكيم" . كما نسب إليها المرسى ،فأصبح يسمى بمرسى أم حكيم. و هذه الجارية تعد الوحيدة التي ذكرت في المصادر إلى جانب نساء موسى بن نصير اللاتي عبرن الأندلس ضمن الجيش الإسلامي الفاتح.[1]

و إن كان العنصر العربي لم يكن يمثل إلا جانبا يسيرا في المجتمع الأندلسي . فان البربر على النقيض جاءوا مع الفتح حيث وجهت جموعهم نحو الأندلس و اندمجت الموجات الأولى منهم في العناصر العربية الأندلسية و في بعض الأحيان هاجرت بطونا بأسرها من القبائل البربرية عابرة إلى الأندلس مثل قبائل مكناسة و نفزة ومغيلة و زناتة لتستقر في نواح قاصية مثل قشتالة القديمة . ولكن أكثر الاستقرار كان في أحواض الأنهار حيث ستنمو بها الجماعات الإسلامية الضخمة التي ستكوّن سكان الأندلس الإسلامي.[2]

أما عن علاقة البربر بالأندلسيين فيما بعد فقد تميزت بالعداوة و البغض، فلا تجد أندلسيا إلا و كان مبغضا للبربر و العكس صحيح، و لكن بالنسبة للبربر كانوا أحوج لأهل الأندلس لوجود بعض الحاجات عندهم. و لكنهم في نظر الأندلسيين "نكد و شؤم والدماء عندهم هوان و إذا غضبوا قتلوا أو جرحوا".[3]

و مما زاد في هذه الفجوة بين الأندلسيين و البربر ما يعرف بالنفرة الطبيعية بين الأندلسيين و المغاربة،[4] و يبدو أن هذه النظرة للبربر كانت نتيجة لما وقع من فتن ومن نزاع بين الطرفين و خاصة في قرطبة . ففي عهد الناصر كان لا يزال البربر في الجنوب، لكن بعد عهد الحَكَم المستنصر و الفترة العامرية و وقوع

---

[1] ابن عبد الحكم ،**فتوح مصر و المغرب**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425ه/ 2004م،ص 233؛ ابن عذاري ، البيان ، مج2 ص 104 ؛ مجهول، **فتح الأندلس** تحقيق، لويس مولينا ، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، 1994 ،ص 140 ؛ أحمد الطاهري ، **فتح الأندلس و التحاق الغرب بدار الإسلام، موسى بن نصير و طارق بن زياد**،،ط 1، مطبعة غرافيسا، ش. م، اسبانيا، 2011، ص 117؛ مؤنس ، فجر الأندلس، ص306 ؛ وديوس هيشكوك ، **التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى**، ترجمة قاسم، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية ، مصر، 1999 ص 140.

[2] مؤنس ،فجر الأندلس، ص258؛ محمد حقي، **البربر في الأندلس**،الدار البيضاء، المكتبة التاريخية،ط2، 1142ه/2001م، ص 33، 34.

[3] مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، ج2، ص 26.

[4] ابن عذاري ، البيان،ج 2، ص274.

ثورة قرطبة التي قام فيها البربر بدور رئيسي، [1] استقل بعض زعماء البربر عن قرطبة مثل "بنو موسى "بن ذي النون في الثغر الأدنى لطليطلة ، وبنو عمر بن مضر الهترولي المعروف بالملاح في جيان. [2]
وتأثرت جماعات البربر المستقرة في الأندلس بالبيئة الجديدة تأثيرا عظيما. فكان الجيل الأول منهم لا يكاد ينقضي حتى يطلع جيل جديد أندلسيا، نسي أصوله و اتخذ الأندلس وطنا له.[3]

أما من الناحية العقلية المعنوية فكانوا يجتهدون في التعرب فيتعلمون العربية وعلوم الدين الإسلامي و التفقه فيه. أما من الناحية المعاشية فلقد حافظ بعض البربر على تقاليدهم من خلال الزواج الداخلي و البعض الأخر ارتبط بمن يجاورونهم من أهل البلاد بالمصاهرة و المقاربة، و أخذوا عن أمهاتهم الاسبانيات لغتهم في الحديث. أي أن شأن أولئك البربر كان شأن غيرهم من مهاجرة العرب، الذين صقلتهم البيئة الأندلسية.*
و من الأرجح أن البربر كانوا أسرع اندماجا من العرب في الأندلس، حيث لم يؤثر على هذا الاندماج لا عصبية و لا لغة مكتوبة .[4]
و من أشهر النساء البربريات التي ورد ذكرهن في المصادر التاريخية الأندلسية " أَثْل" أو "عشار" أم الأمير المنذر بن محمد " ، و التي على الرغم من اختلاف ذكر اسمها   في المصادر إلا أنها تتفق في ذكر و إبراز دورها، و هذا بما امتازت به من قوة شخصية و تحقيق لطموحها. و المرأة الثانية هي المقاتلة "جملة" بنت عبد الجبار التي برزت في ثورة المولدين. و إضافة إلى نساء أخريات منهن صالحات و أديبات [5]

---

[1] (أبو عبد الله) ابن الأبار ، **كتاب الحلة السيراء** ، ج 2، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة ،دار المعارف ط 2، 1985 ، ص 13،32،369 ؛ ابن عذاري،المصدر السابق،   ج 2، ص274؛ محمد حقي،   المرجع السابق، ص217 ،218.

[2] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص 227؛ المقري ، نفح ، مج 6، ص 12؛ حسين يوسف دويدار، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، (138- 422ه/ 755م - 1030م) مصر، ط 1، مطبعة الحسين الإسلامية ، 1414ه/1994م، ص 106.

[3] محمد حقي،   المرجع السابق ، ص،66، 67.

* يطرح محمد حقي إشكالية التعريب البربري في الأندلس و التمييز بين التعريب اللغوي و التعريب الثقافي مع اختلاف الآراء بين التعريب السريع للبربر أو استمرارية اللغة البربرية إلى جانب اللغة العربية ،انظر، كتابه،   البربر في الأندلس، ص 129.

[4] حقي ، المرجع نفسه ،ص ص 129، 139.

[5] انظر في ذلك الفصل   2 و 4 من هذه الدراسة .

لقد لعب البربر دورا هاما في تاريخ الأندلس، إذ يرجع إليهم الفضل الأعظم في نشر الإسلام و الجهاد في سبيله. كما أنهم اختلطوا بأهل البلاد اختلاطا وثيقا، [1] و كانوا أعوان للعرب في تغلغل الإسلام في سائر أنحاء البلاد، الأمر الذي يجعل الطابع البربري ظاهرة واضحة في جنوب الأندلس بدخولهم في ولاء البيت الأموي وتشكيلهم قوة سياسية في الأندلس فعالة كان لها الأثر البالغ في قرطبة. [2]

الموالي

انتمى الموالي في الأندلس إلى أجناس مختلفة منهم من أصل فارسي، مثل بني جوهر، و بعضهم من أصل رومي مثل بني بسيل الذي قدم الأندلس في عهد عبد الرحمان الداخل و منهم من اصل بربري. دخل الموالي الأندلس مع الحمالات الأولى و استقروا بها و أطلق عليهم اسم البلديين .

ودخل آخرون في حملة بلج بن بشر* و قدر عددهم بألفين. [3] و دخلت قبائل من البربر في موالاة البيت الأموي. فمن هؤلاء الموالي اشتهر " بنو الخليع، و بنو وانسوس "؛ و دخل من السكان المحليين الإسبانيين عدد كبير في ولاء بني أمية منهم " بنو بارون، و بنو قسي، و بنو غومس، و بنو قارلة، و بنو مرتين" ؛ [4] و كانوا يُعدون السند القوي الذي اعتمد عليهم عبد الرحمن الداخل في تأسيس دولته ، نظرا لتفانيهم و إخلاصهم للبيت الأموي . ومكافئة لهم قلد أمراء بني أمية خلفاؤهم المناصب الرفيعة، فكان منهم الوزراء و الكتاب، القضاة و القادة، و دخلت

---

[1] (عز الدين)ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**،مج4، راجعه و صححه محمّد يوسف الدقاق ، بيروت، **ط3، دار الكتب العلمية** ، 1418ه/1998م ، ص561 ؛ محمد حقي ، المرجع السابق، ص 168.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشان الأكبر،ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار،بيروت،دار الفكر،1421هـ/ 2000م،ج4 ،ص189؛محمد حقي ، البربر في الأندلس، ص 169، 177، 223.

* بلج بن بشر القشيري: كان واليا على طنجة ثم الأندلس بعد أن قتل واليها عبد الملك بن قطن ، (أبو عبد الله) محمّد الحميدي ، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ج1** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة دار الكتاب المصري، بيروت ، دار الكتب اللبناني، ط2، 1410ه/ 1989م، ترجمة رقم 332 ص109

[3] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس ،ص82.

[4] ابن القوطية ، نفسه ، تح عبد الله أنيس ص85 ؛ ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي بن أحمد) ، **جمهرة أنساب العرب**، راجع النسخة و ضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418ه/ 1998م، ص502.

النساء في الموالاة ، مثل نساء بني وانسوس، وفي هذا الصدد يشار إلى " راضية" مولاة الخليفة الناصر. [1]

و من شواهد التاريخية في محاولة كسب الموالي ، ما ذكر عن " محمد بن موسى، لما ولي الوزارة في إمارة محمد بن عبد الرحمن ؛ أنه بعث في بني عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، و كانوا يشكلون عدد و تهديدا بثورة ضد الأمويين " بمرنانة الغافقين" ـ هي منطقة من شرف إشبيلية ـ فقال لهم :إنكم تدعون أمرا لو كان حقا و علمناه لم يحل لنا الانكفاء عنه. فهلم إلينا أن تخالطونا بأنفسكم و تدعون أهلا، فإن كنا مواليكم كما تقولون فنحن منكم، و إذ نحن من العرب فنحن بنو عمكم، فأجابه القوم و شكروا على ذلك و صاروا أهلا، و صاهر بعضهم بعضا، و انقطعت تلك الإدعاءات من يومئذ وتمت الموالاة. [2]
كما وجدت في الأندلس عناصر من الموالي من أصول صقلبية ، نتجت عن عملية عتق حكام بني أمية لعبيدهم . و كان يطلق عليهم لقب الخلفاء تمييزا عن غيرهم من الموالي، أي أنهم موالي الخلفاء

و كانت حالة هؤلاء الموالي، بأصولهم المتعددة جيدة جدا، حيث ملكوا الأراضي والممتلكات، و كان لهم نفوذ عظيم بين بقية المستقرين في الأندلس. و يرجع سبب نفوذهم إلى طبيعة الظروف التي مرت على العرب في الأندلس خلال عصر الولاة، و انشغالهم بالنزاع فيما بينهم، مما سمح للموالي بتعزيز مركزهم الاجتماعي و تقلدوا مناصب سياسية و إدارية مهمة ، وتوحيد صفوفهم و تشكيل كتلة واحدة ، كان يسعى إلى كسب تأييدها كل الأطراف في الأندلس

أهل الذمة: (النصارى و اليهود)

1- النصارى: (المستعربون)

---

[1] (أبي الحسن علي الشنتريني) ابن بسام ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ق1 ، م1 ،تحقيق إحسان عباس بيروت، دار الثقافة 1417هـ/ 1997م ، ص110 ،112 ؛ مصطفى منجد بهجت، **أعلام نساء الأندلس مستلة من كتاب التكملة لابن الأبار**، مجلة المورد، بغداد، مج 19، عدد1، 1990، ص114.

[2] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس ،ص116-117-119 ؛ محمد حقي ، البربر في الأندلس ،ص 169،166.

ارتبط ظهور هذه العناصر كمجموعة متميزة من حيث الإطار القانوني والخصوصيات الثقافية والدينية بظروف الفتح الإسلامي للأندلس و الذي أفضى بعد عملية الفتح الأولى كما ذكرته المصادر التاريخية إلى تشتت فلول الجيش القوطي وانهيار المقاومة و استسلام المدن و الحصون و القلاع الواحدة تلو الأخرى و هجرة عدد من السكان و التحاقهم بالمناطق المنيعة في شمال البلاد ، و التي ستصبح مركزا للمقاومة النصرانية فيما بعد. [1]

و قد صاحب عملية استسلام النصارى ، إبرام معاهدات صلح التي رسمت من خلالها الخطوط العريضة لإطار التعايش الجديد على أساس النظرية الإسلامية في التعامل مع الأهالي في البلدان المفتوحة. ومن أهم هذه المعاهدات ما عرف بمعاهدة تدمير[2] و التي عقدها عبد العزيز بن موسى بن نصير مع الدوق تدمير theodmirs el Duque سنة 94هـ/ 713 م، و سميت معاهدة تدمير نسبة إلى صاحب المدينة . أما المدينة كان يطلق عليها " أريولة" Orihuela . [3] و كادت أريولة أن تسقط في أيدي الفاتحين لولا الحيلة التي استعملها تدمير في أمر نساء المدينة بنشر شعورهن و أعطاهن القصب ووقفهن على سور المدينة ،و وقف معهن بقية الرجال في وجه الجيش متظاهرا بالقوة حتى استطاع أخذ الأمان ، مما سمح عقد الصلح على نفسه و على أهل بلده ،أي ضمان حماية أهل الذمة ، وبحيلته تلك حافظ على سلطته و تفادى الوقوع في الأسر و النيل من الوضعية

---

[1] مجهول، أخبار مجموعة، تح ، الأبياري ص 100.
وات منتغمري ، **في تاريخ اسبانيا الإسلامية:** (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)، ترجمة ، محمد رضا المصري بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، ط 2، 1998 ، ص68؛
(ريهنات) دوزي **المسلمون في الأندلس ج1**، ترجمة ، حسن حبشي، (د م ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص193،194.
Senec philippe et Laliena Carlos : Musulmans et Chretiens dans le haut Moyen Age aux origines de la reconquete Argonaise, Minerve, 1991 , P 35.

[2] انظر المعاهدة ،ملحق رقم 1

[3] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص،2، 4؛ مجهول، أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الأبياري ،ص 22. الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص 100؛ موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمان حميدة ، بيروت ، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر،،ط 2، 1419ه/ 1998،ص 107؛ مؤنس ، فجر الأندلس ،ص 101- 103 ، 352- 353

الاجتماعية له ولأهل المدينة رجالا و نساء. وعامله الفاتحون بما يستلزم الأمر بأحكام أهل الذمة طبقا للمعاهدة المبرمة.[1]

وقد ضمت هذه القاعدة استمرارية الهياكل القديمة الإدارية و القضائية و الدينية الخاصة بالنصارى. و حافظ المستعربون*[2] بموجب هذه المعاهدة على التشريعات الخاصة بالكنيسة القوطية عامة على ما تم التعارف عليه باسم Liber Judicuna ، ثم تغيّر هذا التشريع إلى Fuero Juzgo.[3] و من الناحية الاجتماعية استمروا على تقسيماتهم الطبقية مع بعض التعديلات التي استوجبها الوضع الجديد.[4] و يبدو أن هذه المجموعة قد حافظت على تفوقها العددي بالنسبة

---

[1] العذري ، المصدر السابق ، ص 4، 5 ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ،تح العربي ،ص 100؛ المقري ، نفح ج1، ص 264 ؛ مجهول، فتح الأندلس ، تح مولينا، ص23.

Terrasse (Henri) :**L'Espagne du Moyen Age cvilisations et arts**, Arthure, Fayard 1966 . P21

* إن مصطلح المستعربين لم يكن متعارفا قبل بداية القرن 5هـ/11م. حسب ما يستفاد من المصادر العربية التي درجت على استعمال مفاهيم مغايرة. كعجم، نصراني، ذمي، معاهد، مشارك، رومي. وقد استعمل المستعربون أنفسهم هذه الأسماء في وثائقهم، حتى بعد اجتياح نصارى الشمال لمدنهم فظلوا ينعتون أنفسهم بالأعاجم . Achemies، ابن عذارى: البيان ج2،ص3. و ورد الاستعمال الأول لمصطلح "المستعربون" في وثيقة ليون Leon عام1024م. و ذلك لنعت النصارى الذين أثاروا الإقامة في ظل الدولة الإسلامية. و قد استعمل المصطلح بمفهوم استنقاص و ازدراء حسب بعض الدارسين، ثم ترددت التسمية بتعديلات طفيفة في عديد من الوثائق اللاتينية للقرن 12م. Encyclopédie de L'islam T7, maison neuve & brill, leiden,1993 , p248

[2] Senac et Laliena ,opcit, P35,36.

Dufourcq(Charles Emmanuel):l**a vie quotidienne dans l'Europe medieval sous la domination Arabe**Paris p36.

سامية مصطفى مسعد، **التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، الهرم ،2007، ص10.

[3]عنان، دولة الإسلام في الأندلس،ع 1"، ق 1، ص66 ؛

André Miquel : **Islam et sa civilisation**, **5è &10 siècle**, avec la collaboration d' Enry Laurens, Paris Armand Colin, 1977, P170 ; provençal Levi: **L'Espagne Musulmane au10è siècle**, Larose, Paris, 1932, maisonneuve &Larose, paris, 1996. P.37

[4] رينهرت دوزي ، **المسلمون في الأندلس المسيحيون و المولدون** ، ج 1، تر حسن حبشي، (د م ط) الهيئة المصرية العامة 1994 ، ص47 ، 48 ؛ ساسي علي ، **الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية في قرطبة خلا 4ه/10م** ،ج 1 أطروحة الدكتوراه الموحدة، إشراف منيرة شابوتو، جامعة تونس 1997 ،ص 304،305 ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس، ص 357 ،365 .

لبقية العناصر الإثنية بالرغم من فرار العديد منهم نحو الشمال و الشمال الغربي. لكن ستشهد الأندلس منذ عهد الإمارة الأموية تحولا تدريجيا سيفضي على مر الأيام نحو تقلص حجم النصارى عدديا و تآكل مقوماتهم الثقافية لعدة اعتبارات منها:

- تزايد الهجرة المشرقية و المغربية للأندلس .
- دخول عدد من النصارى في الإسلام على اختلاف طبقاتهم.
- تأثر هؤلاء النصارى بالحضارة العربية الإسلامية ولجأوا إلى اعتماد أساليبها لغة و عادات و سلوك كما سيتبين لاحقا. و تم ذلك سواء بدافع المحاكاة لما هو أرقى بشأن الشعوب المهزومة من قبل حضارات أرقى أو بدافع المصلحة و الحاجة مستفيدين في ذلك من تشجيع السلطة الإسلامية لهذا الاندماج و من الإجراءات التي اتخذت لصالحهم.

فنتج عن هذا المنهج إقبال متزايد على الثقافة العربية الإسلامية لدى الخاصة و العامة. وكان يوجد بطليطلة مركز هام للترجمة العربية إلى العبرية و اللاتينية. و على إثر سقوط طليطلة بيد النصارى عام 478هـ/1085م انتقلت الترجمات إلى الغرب النصراني الأمر الذي مكنهم و بدافع عقائدي إلى ترجمة الأناجيل و تحرير تفسير العهد الجديد باللغة العربية من طرف القس يوحنا" HIPALENSIS Joahnes "خلال القرن 4هـ/10.[1]

والملاحظ على الإقبال على هذا النوع من الترجمة للعربية ليس تمجيدا لهذه اللغة الحضارية آنذاك فقط، إنما سعيا منهم للحفاظ على العقيدة النصرانية في أوساط العامة خاصة لدى المولدين لأنهم(تسمموا) بالفصاحة العربية حسب وجهة نظرهم وحتى تكون الأناجيل أيضا في متناول من شاء من المسلمين المولدين خدمة لحركة التنصير.[2] كما قام بعض النصارى بإضافة أسماء عربية لأسمائهم

Courbage(Youssef) et Pilippe Fargues: **Chretiens et Juifs dans L'Islam arabe et turc** , ED Payot et rivages, Paris 1997, P71.

Juan Ignacio Perez Alcade **:como se desarrollan los juicios en Al Andalus** , hesperia culturas del mediterraneo,n 3, 2006,p149

[1] Courbage :op.cit ,p 179 .

[2] رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس** ج1 ، ص85؛ لومبارد موريس ،المرجع السابق، ص110، نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس،** ج3، بيروت، دار الأمير، ط1- 1990،ص257-258.

الأصيلة مثل: من حوَّل اسمه من يوحنا هيبلنسيس إلى المطرن أبو سعيد. و من الأسقف ريشموندو Recemundo[1] إلى ربيع بن زيد .

أما فيما يخص نمط حياتهم فقد قلد النصارى- المستعربون رجالا و نساء - المسلمين في أزيائهم و زينتهم . و في القرن 4ه/10م استغرب سفير ملك جرمانية (Atton Grand) لما زار قرطبة أتو الأكبر من امتناع بعض النصارى في قرطبة من أكل لحم الخنزير. كما ظهرت فيهم عادة تعدد الزوجات و التسرى لدى الأوساط الغنية، و هذا علاوة على اعتماد عادة الختان بداية من القرن 3هـ/9م،و على الرغم من عدم إنكار الكنيسة بقرطبة لهذا ، إلا أنه أثار استغراب الأجانب من نصارى أوروبا.[2]

و كان النصارى يجتمعون في طوائف تحت سلطة رؤساء يختارونهم، و رؤساء مسؤولين عن حفظ النظام و جباية الضرائب مثل القمص أو DEFENSOR و هو مندوب الطائفة، و الأسقف، و الجابي و قاضي النصارىCENSOR. [3]

كما ظلت علاقاتها مع الدول النصرانية الشمالية تزداد وثاقة حتى نهاية القرن 4هـ/ 10م ، و على كل حال كانوا يمثلون حلقة اتصال بين الثقافة العربية و الثقافة الأوروبية فقد انتحلوا دورا سياسيا هاما بمحالفتهم للمولدين ضد العرب مع نهاية عصر الإمارة مثل ثورة عمر بن حفصون و شروعهم في الهجرة من الأندلس إلى الممالك النصرانية منذ أواخر القرن 3هـ/9م. [4]

---

[1] Provençal: L'Espagne Musulmane, P36- 37 ; Dufourcq opcit,p48.

[2] عبد العزيز سالم ، **تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس**،(من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية ، مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، 1986، ص132 ؛ أنخيل جنثالث بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة، حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1955، ص485-486. نجيب زبيب ، المرجع السابق، ج3 ،ص 257 ؛ منتغمري ،المرجع السابق ، ص64 ،65 .

[3] مثل القس جومت بن أنطونيان عامل أهل الذمة في عهد عبد الرحمن الثاني. ابن عذارى، البيان ، ج2،ص276؛ عنان ، دولة الإسلام ،ق1، ع1، ص251 ؛ سالم ، تاريخ المسلمين، ص 130.
Provençal Levi : **Histoire de l' Espagne Musulmane** ,t1 , Paris, maisonneuve &Larose,1999 , P73.

[4] دوزي، المسلمون في الأندلس، ج3، ص184، 186. بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة أمين فارس و منير البعلبكي، بيروت، ،ط13، (دت)،ص 293؛ سالم ،تاريخ المسلمين ص 132؛ لومبارد ،المرجع السابق، ص 107؛ أمحمد مختار العبادي ، **في التاريخ**

و يبدو أن العناصر النصرانية المتشددة أثرت الهجرة إلى الشمال للاستقرار ومما ساعد ثورة النصارى على التقوية تعصب الرهبان و حماسة نساء اللائي لبسن مسوح التقوى و الشجاعة و ظهور جيل جديد وصفه "دوزي":بـ: شباب النصراني في الأندلس أنه أقوى من الجيل الواهي الذي سبقه في القرن الثامن الميلادي في اسبانيا".[1]
و في الواقع بقيت الكنيسة النصرانية محافظة على نفوذها و تقاليدها في الأراضي الخاصة للنصارى، [2] في حين جنحت الأغلبية إلى الاستكانة و الاستفادة من الظروف الجديدة التي ستعرفها البلاد بداية من ارتقاء عبد الرحمن الثالث إلى السلطة و إعلان الخلافة(316هـ-350هـ/ 928م-961م) و التي ستوفر لها فرصة الإسهام في البناء والتعمير و نحت ملامح المجتمع الأندلسي الذي توطدت أركانه خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أين تميزت كل طائفة بنمط خاص لعيشها و ثقافتها دون المساس بحرية الطرف الأخر [3].
و توثقت الصلة* بين العجم و المجتمع الإسلامي الأندلسي بتقرب [4] هؤلاء إلى الخلفاء والأمراء بالمصاهرة و من ذلك أمثلة كثيرة منها أن مارية أو مُزْنة. اسبانية نصرانية و هي زوجة الأمير محمد بن محمد و والدة عبد الرحمن الناصر أول خليفة الإسلام في الأندلس. و" صبح" زوجة الخليفة الحكم المنتصر نصرانية وهي

العباسي و الأندلسي ، بيروت ،، دار النهضة العربية ، (د ت) ص 358؛ منتغمري، المرجع السابق، ص 68.

[1] دوزي،المرجع السابق، ج1،ص 27.

[2] - Provençal Levi : encyclopédie de l'islam : art mozarabe , t 8, maison neuve & brill, leiden,1993 ,p489.

[3] زغاريد هونكه ، **شمس العرب تسطع على الغرب،** نقله فاروق بيضون و كمال دسوقي ، مراجعة مارون عيسى الخوري ، بيروت ، دار صادر ، ط9، 2000، ص 499 .

Provençal: Esp musulmane, p 37.

Manuel Marin **:hubo un arte de vivir** ? in hesperis culturas del Méditérraneo,ISSN1698-8795 ,N1 ,2005 , p 126.

* على الرغم مما عرفت به أسرة ايلوج القرطبية النصرانية من كراهيتها للمسلمين و النفور منهم إلا أن أصغر إخوة ايلوج الثلاثة و اسمه يوسف كان أحد موظفي دواوين الحكومة. و احترفا أخواه الآخران التجارة. و ضربت إحدى أخواتهم و اسمها " أونولون" الخمار على وجهها . دوزي، المرجع السابق، ج 3 ،ص 89.

[4] دوزي، نفسه ، ج 3 ،ص 89.

أم ولده هشام المؤيد مثلما كانت إحدى زوجات المنصور بن أبي عامر تسمى "عبدة" أميرة نافارية [1] كما سيتبين ذلك لاحقا.

و عموما ظل النصارى أو العجم يتمتعون بحريتهم الدينية طوال عصر الخلافة الأموية وعصر ملوك الطوائف حتى حدّ المرابطون البعض منها نظرا لخيانتهم ولدسائسهم ضد أمن المسلمين .

و عموما فقد حظي النصارى في الدولة المرابطية بشكل من أشكال التسامح الديني ، رغم بعض المضايقات التي تعرضوا لها بسبب الأوضاع الاقتصادية الطارئة التي عرفتها الدولة. [2] . و زاد نفوذهم في عهد الموحدين و الفترة الثانية لملوك الطوائف حيث تميز أمراءها بالأنانية و حب الذات ؛ و في نفس الوقت اشتدت حركة الاسترداد النصراني ، و شكل المستعربون و المولدون قاعدة خلفية للنصارى في الممتلكات الإسلامية الأندلسية إلى أن أطاحوا بمملكة غرناطة في 897 هـ / 1492م و مستعينين في ذلك بالعنصر النسوي الذي ساهم في إضعاف هذه المملكة و من هؤلاء النساء النصرانيات الجارية "ثريا" كما سيتبين ذلك لاحقا [3]

اليهود:

أكدت الدراسات في مجملها ارتباط العناصر اليهودية منذ القديم باسبانيا عامة و تمركزها في شكل مجموعات تعاطت التجارة عبر عصور الأندلس في مختلف نقاطها الإستراتيجية،* أو ما يعرف بمراكز العبور [4] و السيطرة على بعض

---

[1] ابن عذاري، البيان ج 2 ص 106 ؛ المقري ، نفح الطيب،ج1 ص 399 ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ،ج 2 ص 104 ؛ عبد الله عنان ، **تراجم إسلامية شرقية و أندلسية**، القاهرة ،مكتبة الخانجي، ط 2،1390ه/1970، ص 200 ، ابن الخطيب ،أعلام الأعلام ص 103 ؛

يوسف فرحات ، **معجم الحضارة الأندلسية** ،بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 2000م . ص 279.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش ، **المرابطون و سياسية التسامح مع نصارى الأندلس**، مجلة دراسات أندلسية، تونس ،عدد 11، سنة 1414ه/ 1994م،ص 28.

[3] مجهول ، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ، تحقيق محمد رضوان الداية - آخر أيام غرناطة- ، دار الفكر ، دمشق، دار المعاصر ، بيروت، ط2 ، 2002، ص 49 ، 106.

Juan Ignacio Perez Alcade ,opcit , p 151.

*كانت التجارة المرتبطة بحرا و برا من اختصاص اليهود الرادنيين و أهم مراكز العبور بالأندلس متمثلة في منطقة الجنوب الشرقي و الشمال الشرقي و المنطقة الجنوبية الشرقية حول قادس قرطاجة، أما في الداخل و بالتحديد في اليسانة lucane . و مالقة malaga . و ألبيرة. Ewira. وطركونة tarragana. و سرقسطة . و من هذه المناطق مدت نفوذهم إلى ليون Leon و نهر والرون و منطقة الراين بألمانيا، و نحو شمال إفريقيا عبر المضيق و الموانئ

الأنشطة الحرفية المتميزة مستفيدة من تجانس عناصرها و تماسكها الطائفي، ورفضها الانصهار ضمن الجرمان و القوط الذين استولوا على البلاد. لقد عان اليهود من اضطهاد القوط و الجرمان لهم. و بلغ هذا الاضطهاد ذروته في اتخاذ الكنيسة لقرار يقضي بتنصير اليهود و تعميد أبنائهم, [1] مما دفع باليهود إلى التآمر سرا ضد القوط الغربيين. واتخاذ ملوك القوط لقرارات ضمن نفوذهم السياسي يكمن في طرد اليهود من إسبانيا.

فلا عجب إذن في رد فعل اليهود المتمثل في استقبال المسلمين المحررين للجنس البشري، و مساعدتهم في فتح الأندلس .و بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس تمتع اليهود بتسامح كبير من جانب الفاتحين العرب نتيجة لمؤازرتهم لهم عند الفتح حيث كافأهم المسلمون على ذلك بأن اتخذوا منهم حرسا لما يفتحونه من البلاد إلى جانب الحرس الإسلامي و لقي اليهود تسامحا مطلقا من جانب العرب المسلمين، و في ظلهم بعثت اللغة العبرية و الأدب العبري من جديد.[2]

و بعض اليهود استعربوا فأخذوا لغة العرب و عاداتهم و لباسهم و اندمجوا في غمارهم ، وفي ظل العناية الإسلامية وفد كثير من العلماء و الأدباء اليهود إلى قرطبة خاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(4 هـ/ 10م) . و أصبحت مدرسة قرطبة النموذجية مركز الرياسة و التوجيه للبحث و الترجمة.

المتوسطية لشمال افريقيا. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) : **المسالك و الممالك** .تحقيق محمد مخزوم ط1، دار الإحياء التراث العلمي، بيروت ، 1408هـ/ 1988م، ص 131.

[4] ابن خرداذبة ، نفس المصدر ص 132 . Lombard (Maurice), **l'islam dans sa première grandeur** 8è_9èsiècle, Flammarion, printed in France, 1971 , p80 . Provençal (Levi) , l'Espagne musulmane, p 38. Miquel André ,op.cit,p 109

.

[1] دوزي ، المسلمون في الأندلس، ج 1 ص ص 37، 40 . لومبارد ، الجغرافية التاريخية، ص 108 . سالم ، تاريخ المسلمين و حضارتهم ص 133.هدى درويش ، **أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس** –دراسة عن يهود المارنواس ، الجيزة، ،ط1 ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2008، ص 9، 10. Duby(Georges)et Perrot(Michelle),Histoire des femmes en Occident, 2è :le moyen Age ,ed,Perrin, France,2002 , 234.

[2] Claude cahen , l'islam des origines au début de l’empire Ottmane,Hachette,1995 , p, 275 ., زغريد هونكه،شمس العرب ، ص 536. . لومبارد ، الجغرافية التاريخية، ص 190 ؛ أنخيل بالثنا ، المرجع السابق ص 488، 489. هدى درويش ،الأندلس من خلال نفح الطيب ،ص 11.

فترجم الكثير من الكتب العربية إلى اللغة العبرية و اللاتينية [1]. وأجاد اليهود عدة لغات و نبغ الكثير منهم في علوم الطب * وعلم الفلك . وعلى الرغم من توصلهم إلى المشاركة في الحياة الفكرية، فقد عاشت الجاليات اليهودية إلى حد كبير منعزلة عن حياة البلاد العامة . [2]

أما فيما يخص المعتقد و الحياة العامة، فقد دعيت هذه العناصر إلى الاختيار بين اعتناق الإسلام أو الخضوع للشرع و القبول بوضعية أهل الذمة. و يبدو أن أغلبية العناصر اليهودية أثرت البقاء على دينها، و أصبحت بموجب ذلك راضخة لنظام أهل الذمة، شأنها في ذلك شأن النصارى . [3]

و في ظل ذلك تمتع اليهود بجزء كبير من الحرية، حيث حفظت لهم معابدهم وبيعهم ،و سمح لهم بحبس أملاكهم على مؤسساتهم الدينية ، لكن بالمقابل ألزموا بالتميز في اللباس رجال و نساء، و بحمل خرقة صفراء على ثيابهم أو قلنسوة بهذا

---

1 مجهول، أخبار مجموعة،تح الأبياري، ص 12 ؛ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3،ص290 ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة مج1،ص399 مؤنس، فجر الإسلام ، ص 411،‘414 ؛ عنان ، دولة الإسلام ع1 ق2 ص 516 ؛ سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص 133؛ منتغمرى، المرجع السابق ص 315 ؛ محمد عبد الشافي المغربي ، **مملكة الخزر اليهودية و علاقتها بالبيزنطيين و المسلمين في العصور الوسطى** ، الاسكندرية ،دار الوفاء، 2002، ص 200-201؛ بروكلمان ، المرجع السابق ص 315؛ بوتشيش إبراهيم القادري ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين**، بيروت ، دار الطليعة 1998م ، ص92 ؛ سامية مصطفى مسعد ، **صور من المجتمع الأندلسي، رؤية من خلال أشعار الأندلسيين و أمثالهم الشعبية**، مصر،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، ط 1، 1997 ، ص 234.

. Provençal , L'esp. Musul, P38. Terrasse Henri , L'Espagne Au Moyen Age , P26.

* من أشهرهم في الطب: الطبيب حسداي بن شبروط. و في الفلسفة و العلوم الدينية: ابن ميمون القرطبي (في القرن 6ه/ 12م)

[2] Jose luis Corral Lafuente , Historia de Zaragoza(714-1118),ed Ayuntamiento,1ed,Zaragoza,1998,p36,3 ؛ هدى درويش ، المصدر السابق، ص 11، 12.

[3] انظر عن حقوق أهل الذمة في الإسلام كتاب بوتشيش: مباحث ص ص 96 ،98 . دوزي ، المسلمون في إسبانيا ج1، ص 48 . Henri terrasse , L'Esp au Moyen Age , P21.

Provençal , Hist. Esp. Musul. ,T1, PP80 ,84 .

اللون أو حزام مع إتباع جملة من القواعد السلوكية التي نصت عليها كتب الحسبة.[1] أما سكناهم فقد تمركزت في المدن، حيث استقلوا بأحياء و حارات خاصة بهم، إلا أن ذلك لم يكن بصفة مطلقة، حيث تعايشوا في بعض المناطق و الأماكن في حارات وأحياء مختلطة مع المسلمين، كما دلت على ذلك كتب التاريخ و الحسبة و كتب الفتاوى و النوازل عل الخصوص .[2]

كانت قرطبة حاضرة الخلافة الأموية، أكبر مدينة أندلسية تضم عددا من اليهود تضاف إليها طليطلة و غرناطة [3] التي احتوت أكبر جالية يهودية فسميت بغرناطة اليهود قدر عددهم في النصف الأول من القرن 5هـ /11م ،بين 20إلى 30 ألف يهودي دون تصنيف جنس هذا العدد رجالا و نساء. يبدو أن في ذلك علاقة وثيقة بنوعية الأنشطة التي كانوا يتعاطونها، إذ تجمع أغلب الدراسات على الدور الاقتصادي لليهود في المدن الرئيسية، والذي ظل مقتصرا على التجارة لمواد الترف والبضائع الثمينة كالحرير و الفرو و الذهب و العبيد بأنواعه.[4] و بما أن

---

[1] (عمر بن عثمان بن العباس) الجرسيفي ، **الرسالة الثالثة في آداب الحسبة و المحتسب،** تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ،1955 ص122؛(أبو العباس محمّد بن يحي)الونشريسي ، **المعيار المعرب و الجامع المغرب** عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس ووالمغرب،خرجه جماعة من الفقهاء باشتراك محمّد حجي،نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، و دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1041ه/1981م، ج 5، ص 208.

JuanIgnacio Perez Alcade , opcit,p151.

[2]ابن بسام ، الذخيرة مج1، ص312 ؛ مؤنس، فجر الإسلام، ص 414

Terrasse , L'Espagne du Moyen Age ,p26 ; Jose luis Corral Lafuente, opcit , p58 .

[3] الزيري عبد الله،(بن بلقين بن باديس بن حبو س بن زيري آخر ملوك بني زيري بغرناطة)، مذكراته **المسماة بكتاب " التبيان"**، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال، مصر، دار المعارف،(دت)، ص 32 ،33؛ هدى درويش ، المصدر السابق، ص 13، 14.

[4] الحميري ، الروض المعطار ص435 ؛ بوتشيش ، مباحث، ص 93،95 .

Dufourc , opcit, P187

محمد عبد الشافي المغربي، المرجع السابق ص 201 ؛عبد الإله بن مليح ، **الرق في بلاد المغرب والأندلس** ، بيروت،مؤسسة الإنتشار العربي، ط 1،2004، ص194

Picard Christophe, **L'Océan Atlantique musulman de la conquète à l’epoque** Almohade(vavigation etvmise en valeur des cotes d’Alndalus et du maghreb occidental(Portugal, Espagne ,maroc)Paris, maisonneuve &Larose,1997, P421

Provençal ,Esp- Musul, P38-39 ; Lombard , Géographie, P82. Terrasse , L'Esp au moyen âge, P26.

تجارة الرقيق تشمل ضمن سلعها –النساء- الجواري -،فإن هذا الجانب يكتسي أهمية و علاقة وطيدة مع موضوع هذا البحث كما سيتبين في ثناياه .

لقد ركز ابن حوقل [1] على مهارة التجار اليهود في تجارة الخصيان الصقالبة قائلا: " إن جميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان، فمن جلب الأندلس، و يفعل ذلك بهم تجار اليهود". و هؤلاء الخصيان كان معظم يستغلون لخدمة الحريم في قصور الخلفاء والأمراء و من ذلك فلا عجب في تفضيل التاجر اليهودي أبراهام السرقسطي الاستقرار بمدينة سرقسطة الإسلامية رافضا الامتيازات التي قدمها له الويس التّقي ! Louis Le Pieux.[2] و لا شك أن عالمية تجارة الرقيق السلاف كما يعبر عنها تعددت مسالكها، و تعددت المجتمعات التي تعبرها لذلك فرضت تنظيمات محكمة لها، يدخل في إطارها الاهتمام باختلاف العملات، و ترتيبات النقل، و الاتصال بالتجار المعنيين، و دراسة تقلبات السوق و عمليات البيع و الشراء، وتنظيم العلاقة مع السلطة السياسية التي تعبر هذه التجارة مجالات نفوذها، فضلا عن وجود "بنية تحتية" جيدة و ظروف أمنية خاصة و قرارات سياسية و دينية نافذة. [3]

و قد تجاوز اليهود في عصر ملوك الطوائف الحد خاصة في مملكة غرناطة، حتى أنهم أنشئوا مدينة اليسانة الكبرى ، Lucena و كان لابن النغريلة الإسرائيلي كل السلطان في غرناطة و حوله لفيف من نساء القصر . كما التف اليهود في بطليوس حول المتوكل وهيمن اليهود خلال عصر ملوك الطوائف على المناصب الإدارية والاقتصادية فضلا عن سيطرتهم على أعمال الصيرفة، الأمر الذي مكنهم من الدخول في مرحلة انتعاش مادي دون أن يواجههم اضطهاد يذكر.[4]

و يتضح مما سبق أن اليهود احتلوا مكانة اجتماعية هامة على غرار باقي الفئات الاجتماعية دون اختلاط زيجتهم بالمسلمين عكس ما حدث من زيجات بين

---

[1] صورة الأرض، ص106 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 555، ص571. بن مليح، المرجع السابق، ص 195 ؛ بوتشيش ، مباحث، ص.93

Provençal. , Hist 'Esp Musul, T1, P506.

[2] Jose luis Corral Lafuente , , Historia de Zaragoza, p 38

[3] Goitein,SD ,Letters of Medieval jewish Traders, Princeton University Press, , Princeton, New Jersey,1973,p 26,231, 255, 259, 316.

بوتشيش: مباحث ، ص 93، 94. , Jose luis Corral Lafuente ,

opcit,p36 . Alvaro Machordom Comins , Granada el ultimo rey , Andalusi , Espana, 1996, p 28.

[4] الأمير عبد الله ،كتاب التبيان،ص42 ؛ ابن الأبار ، الحلّة ،ج2 ،ص 106 ؛ المقري ، نفح ج3 ص 447 ؛ الإدريسي ،نزهة المشتاق، ص 571؛ سالم، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص133

Jose luis Corral Lafuente , opcit ,p 38.

المسلمين والنصارى- المستعربون- و أنهم تمتعوا بقدر من التسامح و شاركوا في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بفعالية. إلا أن في الفترة اللاحقة أي فترة المرابطين والموحدين أشارت بعض الكتابات إلى تعرض اليهود إلى مضايقات و تجاوزات إدارية خاصة في عهد يوسف بن تاشفين ...[1]
ومن ذلك رحيل "دفيد "شقيق موسى بن ميمون رفقة أسرته من الأندلس و استقراره بمصر خوفا على تجارته و فراره من الموحدين.[2]

و لكن إذا أمعنا النظر في أحوال اليهود في هذه الفترة الزمنية نقف على حقيقة أوضاعهم الاقتصادية التي تميزت بالرخاء نتيجة الازدهار الشامل لدولتي المرابطين و الموحدين؛ فساهموا في إثراء الحياة الأدبية و العلمية . و من الشخصيات الفكرية البارزة في العهد المرابطي يهوذا اللاوي في العلوم الدينية و الفلسفة ، كما اشتهر في نفس المجال موسى بن ميمون في العهد الموحدي . و لم تذكر من نسائهم الشهيرات إلا "قسمونة".
و عموما فإن وضعية اليهود تأثرت بالأحوال الاقتصادية للدولة المرابطية لذلك ضيق عليهم في بداية تأسيس الدولة و في نهايتها طبقا لطبيعة تصرفاتهم، لكن على مستوى العقيدة الدينية تمتعوا بحرية الممارسة .[3]

الأندلسيون: (المسالمة * و المولودون)

كان لسياسية التسامح الديني التي سار عليها الفاتحون العرب عقب فتح الأندلس أثرا كبيرا في إسلام عدد كبير من الأسبان . و لما كان معظم الفاتحين العرب والبربر قد تركوا نساءهم في بلدهم أو أن الكثير منهم كانوا غير متزوجين فقد أقبلوا على مصاهرة الأسبان من أهل البلد.[4] فعاشر الفاتحون أهل البلد و عن طريق

---

[1] دوزي ،المرجع السابق،ج3، ص169،162 ؛ بوتشيش ،مباحث ، ص 104 ؛ محمد الأمين بلغيث، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، الجزائر ، دار التنوير للنشر والتوزيع، 1406ه/ 2006م. ص12 ؛ عمر بنميرة ، **جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس ألإسلامية** ، مجلة دراسات أندلسية ، تونس ،عدد 14، سنة 1416ه / 1995م. ص 48 .

[2] Goitein,SD , opcit , p28.

[3] بوتشيش ، مباحث ،ص 108 ، 112 ؛ مسعود كواتي ، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، الجزائر** ، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، 1421ه/ 2000م، ص 307، محمد الأمين بلغيث ، **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، الجزائر دار الخلدونية ،، ط 1428،1ه/ 2007 م، ص 15، 16.**

*- المسالمة و المولدون مفهومان يرتبطان بعضهما البعض ارتباطا عضويا وثيقا، فكلمة المسالمة أو الأسالمة، أو أسالمة أهل الذمة ، تعني الذين دخلوا في الإسلام من الإسبان .ثم أطلق على أولادهم الذين نشأوا على الإسلام اسم المولدين. و استمرت هذه التسمية حتى نهاية القرن الثالث الهجري،

المجاورة و المصاهرة انتشر الإسلام في الأندلس انتشارا تجاوز كل التقديرات. وامتزجت دماء الفاتحين المسلمين بدماء أهل البلاد، و نشأ من ذلك جيل جديد من أباء عرب و بربر أو مسالمة و أمهات إسبانيات، عرف هذا الجيل باسم المولدين. [1]

و نشأ المولدون على الإسلام متخذين لأنفسهم نمط الحياة الإسلامية في الأندلس، واجتمعت فيهم خصال الآباء كالنجدة و الكرم، و خصال الأمهات الإسبانيات من رفاهة الحسن و التذوق الجمالي ورقة المشاعر. و توسعت هذه الفئة في المجتمع لتشمل كل إنسان انحدر من أصول إسبانية سواء كان من جهة الأب أو من جهة الأم أو كلتيهما معا و تضاف إليها من هم من نتاج زواج مختلط .و الأمثلة عن هذا الزواج المختلط كثيرة ابتداء من بعض القادة المسلمين إلى أدنى مستويات المجتمع الأندلسي. [2] و قد ساعد تشجيع أمراء و خلفاء بني أمية على انصهار المولدين في الجماعات الإسلامية حتى غدا العنصر الفاتح في القرن 1ه/6م قليل العدد ليحل محله عنصر المولدين و ليظفر بالحياة و السلطان إلى آخر أيام الأندلس الإسلامية، فشاركوا في الحياة السياسية رجالا ونساء. [3]

ثم تلاشت بسبب اختلاط الناس و تحولهم إلى أندلسيين دون تمييز. حسن أحمد محمود، **تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ، 1411 هـ/ 1991م. ص 66 ؛ سامية مصطفى مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي،ص11.

[4] تمثلت هذه الحالات في أم حكيم التي صاحبت طارق بن زياد و في نساء و بنات موسى بن نصير، انظر ما سبق ذكره في هذا الفصل .

[1] حسن أحمد محمود، تاريخ المغرب و الأندلس ص 66 ؛ عنان ، دولة الإسلام ع1 ق1 ص206 ؛ سالم ، تاريخ المسلمين ص127 ،129؛ سحر عبد العزيز سالم ، **الجوانب الايجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس (أدبية –اجتماعية)** ندوة الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 48، الرباط، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، ، 1995 ، ص48؛ راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص60.

[2] سالم ، تاريخ المسلمين و آثارهم. ص128؛

Provençal ,Hist - Esp- Mus-, T1 , P76.

Provençal , Espagne Musulmane, PP 18-19

Carlos Laliena et Phillipe : ,Opcit, P34
Cahen ,opcit, P274
سامية مسعد ، صور من المجتمع الأندلسي، ص 35؛ Alvaro Machordom,opcit,p29

و اشتهر الكثير منهم بالقوة و النفوذ و الثراء الكبير خاصة في اشبيلية التي كانت عامرة بهم و استمرت حتى عهد الطوائف. أما في طليطلة فقد أثرت وفرة المولدين وموالاتهم للمعاهدين (المستعربين) بها إلى استقلال طليطلة عن قرطبة مركز الخلافة الأموية. [1] إن أعداد المولدين قد تفاوتت من كورة إلى أخرى و من مدينة إلى مدينة كما سبق ذكره بصرف النظر عن قرطبة، فحسب ما أورده "بروفنسال" أنهم شكلوا الغالبية العظمى من السكان المسلمين في جنوب و شرق الأندلس، و هذا شيء طبيعي لأن أغلب العرب- الفاتحين- كانوا في هذه الأنحاء الأمر الذي شجع انتشار الإسلام و عملية الاستعراب. [2]

لكن تختلف رؤى بعض المستشرقين في طبع و ميول المولدين، فيذهب بروفنسال للقول:" أن المولدين تميزوا عن غيرهم من أهل الأندلس في أنهم لم يفقدوا طابعهم الإسباني الفريد الذي ساعد عليه تطرف بلادهم عن سائر البلاد الإسلامية" ، [3] و على العكس من ذلك يرى "ديونيسوس أجيوس " و "ريتشارد هيشكوك": أنه رغم الأصل الإسباني للمولدين فقد حاولوا بعد اعتناقهم الإسلام، و من خلال الزواج المختلط والاصطناع المتعمد لشجرات النسب العربية، أن يذيبوا أنفسهم في الأقلية العربية الحاكمة، و ربما يفسر نجاح هذا الذوبان في غياب الإشارة إليهم". [4] و ما يراه بروفنسال صحيح إلى حد ما حسب اعتقادنا، لكنه ليس حكما مطلقا مقارنة بآراء أخرى خصوصا بعد أن بدأت عملية الاندماج ما بين مختلف العناصر السكانية، ووفود هجرات من المشرق، منها هجرة زرياب و بناته . و ما حملوه من عادات اجتماعية معهم مثل تأثيرات في اللباس و تسريحة الشعر و الغناء،و أخذها عنهم الأندلسيون نساء و رجالا دون تردد.

و لكن ما إن حل القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي حتى أصبح من الصعب التمييز بين العناصر و الأجناس البشرية المشكلة للمجتمع الأندلسي أي بين العرب، والبربر و المسالمة، المولدين، و التي أصبح يطلق عليها جميعا

---

[1] ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ،ص 82، 83، 85؛ رجب محمد عبد الحليم ، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف** ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، و دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 377، 378 ؛ عبد المجيد نعنعي، **الإسلام في طليطلة**، دار النهضة العربية،بيروت،(د ت)، ص ص 299، 302.

[2] Provençal , His Esp Mus, t1 p 19 ؛ عبادة كحيلة (عبد الرحمن رضا)، **المولدون في التاريخ الأندلسي** منذ الفتح حتى نهاية عصر الإمارة (92 هـ - 711م/316هـ - 929م) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف أحمد السيد دراج، جامعة القاهرة، 1398ه/1978م، ص146-147 ؛ كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ و حضارة الأندلس46 . Alvaro Machor ,opcit,p29

[3] Provençal , His Esp Mus, t1 pp 19 ,20,

[4] هيشكوك وديوس ، التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى، ص141.

"الأندلسيون" [1] . و في ظل هذا المصطلح* الجديد اندمج المولدون كليا في صلب مجتمع ذابت فيه الانتماءات العرقية و الولاءات القديمة و تلاشت فيه الأنساب و اللامبالاة منذ القرن 4هـ/10م و بإعلان الخلافة الأموية . لكن بالمقابل ظهرت جماعات من المولدين شكلت بنية النشاط الإقتصادي [2] و الثقافي و الاجتماعي و التي كان لها طرفا في الفتن و الثورات إلى جانب من شايعهم من المسالمة والنصارى، و كانت المرأة المولدة طرفا مهما في هذا الصراع لما تحزبت المسالمة مع المولدين، و انضم إليهم نصارى الذمة، فصاروا جميعا إلبا على العرب قائمين بدعوة "عمر بن حفصون". [3] و يتضح مما سبق خاصة في عهد الإمارة الأموية تجلي الأطماع الاستقلالية من بني قسي و بني عمروس و بني شبريط و غيرها من الأسر المولدة المتعصبة ، [4] على أن الأهم في تلك الحروب هو ما نتج عنها من احتكاك بين المولدين و العرب و البربر و المستعربين مما ساهم على خلط و مزج هذه العناصر رجالا و نساء بما تحمله كل هذه العناصر من اختلافات تظهر أثرها في عهد ملوك الطوائف. [5]

العبيـــد(الرقيق)

تشكل العبيد في المجتمع الأندلسي من أجناس مختلفة أهمها العبيد الأبيض و المتكون من الصقالبة و العبيد الرومي من الفرنجة و البشكنس و جليقية ؛ إضافة إلى العبيد الأسود من أصول سودانية.

---

[1] Provençal , Esp- Musulmane P20 et Hist- Esp- Musulmane T1 P76.
Henri Pérès , La poésie andalouse en arabe classique au 11è siècle, p 7.
*يرى بعض الدارسين أن لفظ الأندلسيين ، ظهر منذ القرن3هـ/9م عندما اختفت الألفاظ الأخرى مثل المسالمة و مولدين و استعمله بعض الكتاب و المؤرخين أمثال ابن عبدون الذي ميّز بين الأندلسيين والمرابطين انظر ابن عبدون ، رسالة الأولى في الحسبة، ص9، ص16.

[2] خالد بن عبد الكريم محمد بكر، **النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة**(138– 316ه/ 755– 928م)، ط 1، مكتبة الملك بن عبد العزيز الرياض 1414هـ/ 1993م ، ص52، 53.

[3] عن ثورة عمر بن حفصون: أنظر ابن عذاري ، البيان ج2 ص117 ،131؛ عنان، دولة الإسلام ع1ق1 ص305/300 و عن ثورة موسى بن موسى بن قسي وابنه لب ،انظر عنان دولة الإسلام ع1 ق ،ص ص 298 ، 299 ،301، 302 ؛ كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ و حضارة الأندلس ،ص46

[4] من الأسر المتعصبة: بنو أنجلين Banu Angelina بنو الجريح Banu jorge بنو القبطرية Kabturea بنو مردنيش Martinez
سالم، تاريخ المسلمين، ص 129،128 ؛ كمال السيد أبو مصطفى ،تاريخ و حضارة الأندلس ص46
Provençal , Esp Musu P19
, Jose luis Corral Lafuente , Historia de Zaragoza ; pp 31,33. .

[5] Provençal , Hist Esp Musul , t 3, p 185,186.؛ الطاهر أحمد مكي ، **دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة**، القاهرة، دار المعارف ، ط 1، 1980. ، ص 17، 18.

العبيـــد الأبيـــض:

الصقالبـــة

المقصود بالصقالبة في الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتيكي، و هم جيل حمر صهب الشعور [1] . و كلمة esclave صقلب لفظ فرنسي قديم و تعني عبد أو رقيق وقد اختلف في هذا المصطلح " الصقالبة" و اتخذ مدلولا[2] واسعا عند بعض المؤرخين المسلمين مثل ابن حوقل الذي كان يشمل أجناسا أخرى يتكون بعضها من مجموع الأسرى الذين أسرهم الأندلسيون من البلاد المجاورة لهم وخاصة الثغورمنها- Languedoc- لنكدونك و- **gascogne-** و هم سكان غسقونية و يسمونهم الإفرنج . [3] و قد جاء أكثر الصقالبة أطفالا من الجنسين إلى الأندلس حيث عرفت مدينة المرية كثرة العبيد. وربوا تربية إسلامية و دربوا على أعمال القصر [4]. لكن قبل ذلك و عند مرورهم بثغر بجّانة - Pechina- [5] كانت تتم عملية الإخصاء للذكور * و ذلك من طرف جماعة من اليهود المختصين في هذا المجال. وهي عملية خطيرة قد يذهب ضحيتها العديد من الأفراد و تتم بكل برودة دم، طمعا في الحصول على أموال كثيرا من خلالها لأن ثمن هؤلاء الخصيان في ارتفاع كبير عن ثمن الفحول ، واعتبرت الأندلس مصدر لتصدير الخصيان للبلدان الأخرى[6] .

---

[1] ابن حوقل ، صورة الأرض، ص110

الحموي ، معجم البلدان ،ج3، ص416؛ العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي، ص407.

[2] و سموا أيضا العلوج ، ابن عذاري ، البيان ج3 ص162 .أما كلمة سلاف: التي تعني عبد ،عربها العرب إلى صقلبي و أصبح يطلق بنفس المعنى عند الشعوب الأخرى ، بالإسبانية slavary. ووبالألمانية: skalve ، ويصنف بروفنسال الصقالبة إلى ثلاثة فئات هي: أعلاها الخصيان وأوسطها الغلمان و أدناها الفتيان.

Provençal , Espagne musulmane , t 3, pp 191-193.

[3] ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص110؛ .provençal , Hist 'Esp Musul ,T3, P173

[4] - كان الرقيق الأبيض من الصقالبة يتخذ طريقه الرئيسي إلى العالم الإسلامي من شرق ألمانيا فإيطاليا ثم فرنسا و منها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون و قطلونية حتى ثغر بجّانة بالندلس. وعموما تمثلت المسالك الأوروبية لتجارة العبيد الصقالبة في وجود خمسة مسالك رئيسية تتفاوت من حيث الأهمية و النوعية ، و أشرف تجار اليهود على تجارة الرقيق ومنها الجواري و ما سلم منهم إلا بنات جلدتهم. ابن عذاري ، البيان ، ج2 ص249؛ لوبارد، الجغرافية التاريخية، ص 261، 262؛ بوتشيش ، مباحث ، ص111. بن مليح ،الرق ، ص 192-194 ؛ بروكلمان، المرجع السابق ص295.

[5] يقوت الحموي ، معجم البلدان ج1-ص339 ؛ ابن مليح ،المرجع السابق، ص 194 .

* يورد المقديسي تفاصيل رهيبة عن عملية الإخصاء الفظيعة و عبر عنها بعض المستشرقين بأنها أبشع معاملة تعرض لها العبيد عبر التاريخ ،و هي عملية تقشعر منها الجلود، انظر موريس لمبارد ،الجغرافية التاريخية ، ص 256 .

وقد استخدم الأمويون هؤلاء الصقالبة في الخدمة داخل قصورهم بصفة عامة. أما خدمة الحريم فقد انتقوا لها الصقالبة الخصيان، تبعا لما كان سائدا في بغداد حفاظا على الحريم ،

و أول خصي استحجبه بنو مروان هو "منصور الخصي". و قد ارتفع قدر الصقالبة في الأندلس عندما اتخذ الحكم بن هشام (الربضي) منهم حرسه الخاص.و في عهده ظهر الصقالبة لأول مرة في البلاط بكثرة [1]. و أخذ عددهم يزداد و نفوذهم يشتد خاصة في عهد عبد الرحمن بن الحكم المدعو بعبد الرحمن الثاني (206هـ-328هـ/ 822م- 940م) و ذلك بمساندتهم للجارية طروب التي كان لها شأن عظيم عند الأمير عبد الرحمن الأوسط، و كانت أعظم حظاياه عنده، و أرفعهن مكانة لديه في قلبه و في نفسه و هي أم ولده الأمير عبد الله[2]. و دبرت الجارية طروب المحظوظة مع نصر الخصي مؤامرة للتخلص من الأمير عبد الرحمن الأوسط و ابنه محمد و ساندها في هذه المؤامرة الكثير من الفتيان الصقالبة نصرة لابنها عبد الله .[3]

أما عدد الصقالبة فقد بلغ ذروته في القرن 4 هـ/ 10م في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث كان عددهم 395 صقلبيا بمدينة الزهراء. ثم ارتفع عددهم حتى بلغ 3750 من الرجال، و 6314 من النساء بما في ذلك الزوجات و المحظيات والقريبات والخادمات . وكان يقول فيهم الحكم المستنصر:"هم أمناؤنا و ثقتنا على الحرم، فينبغي للرعية أن تلين لهم و ترفق في معاملتهم". [4]

---

[6] أحمد فؤاد بليغ ، **مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة** ، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1 ، القاهرة 2003.ص ص 37،36.

[1] ابن عذاري ، البيان ج2، ص249 ؛ المقري، نفح، ج3،ص44؛ بن مليح، المرجع السابق، ص 198

[2] - ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس،تح العربي ص58؛ ابن عذاري،المصدر السابق ، ج2، ص92.

ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، ج 1، تحقيق شوقي الضيف ، القاهرة ،دار المعارف ،(دت)، ص47. Provençal , Hist 'Esp Musul , t1, p276 .

[3]-المقري ، نفح الطيب ج1-ص350 ؛ ابن القوطية ، نفس المصدر ،تح العربي، ص67. أحمد خليل جمعه ، **نساء من الأندلس**، بيروت ، اليمامة للطبع و النشر و التوزيع، ط 1،، 1431ه/ 2001م ، ص ص 297-298. Provençal, opcit , t1, p276

[4] ابن عذاري ، البيان ج2-ص 250 259 ؛ شهاب الدين احمد بن محمّد المقري التلمساني ، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ج2، طبعة مزيدة و منقحة تحقيق علي عمر ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1431ه/ 2010م، ص 266 ؛ بن مليح ، المرجع السابق ، ص 216 ؛ لومبارد موريس ، الجغرافية التاريخية ص 262، 263 ؛ ماريا ج. فيغيرا، **أصلح للمعالي، عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس** ، تحريرسلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط2، 1999، ص10،11.

و من أشهر الكتاب الصقالبة لدى الخليفة الناصر "طلال الخصي" الذي نقل بعض أسرار و أخبار حريم قصر الخليفة. كقصة الجارية مرجان و كيدها لفاطمة القرشية، و كيفية بلوغ "مرجان" مرتبة السيّدة في القصر و نيل حظوة الخليفة. فبفضل "طلال" الخصي انكشفت بعض أسرار الحياة الخاصة لحريم الخليفة الناصر. [1] وأصبح للصقالبة في الأندلس مكانة رفيعة فوجد منهم، كتابا و قواد و أمراء ارتبطوا بالاقطاعات العسكرية و من أمثلة ذلك ما عرف بمنية نصر، و هذا العبد "نصر" كان من أكابر الفتيان لعبد الرحمن الأوسط.

و كان للصقالبة دورا كبيرا في الجوسسة و الفتن و القتل و ذلك عن طريق مساندة وتدعيم نفوذ أمهات أولاد الخلفاء اللائي كن في الأصل جواري محضيات من بني جلدتهم ، فحازوا ثروات طائلة في الدولة و ورثوا حتى الخلافة بعد سقوطها. [2] وأنشأ بعض الصقالبة إمارات شاركت في أحداث ملوك الطوائف، و منها حكم المرية من طرف خيران الصقلبي وبعد موته في 419هـ /1028م خلفه "زهير" الطابع في ملك غرناطة فحاربه و قتله أميرها باديس بن موسى في 429هـ /1037م . [3]

الرقيق الأبيض الرومي

توفر هذا النوع من الرقيق عن طريق عمليات الغزو أو عن طريق التجارة في شتى البلاد الإسلامية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط و منها بلاد الأندلس . [4]
وعموما فالرقيق الأبيض من النساء كان يجلب من إفرنجة و من غسقونية و سائر الثغور الأندلسية، و كن يحظين برواج كبير في الأندلس بسبب شقرة شعورهن وبياض ألوانهن و كن أحسن الجواري في نظر أهل قرطبة، وإذا كانت الإفرنجية لا تعرف شيئا من لغة مشتريها، كانت أبهظ ثمنا من سائر الجواري البيض.

و يذكر بروفنسال أن الخلفاء الأندلسيون كانوا يختارون جواريهم من هؤلاء الإفرنجيات. كما كان الخواص يشترونهن بأثمان مرتفعة و أصبحت الإفرنجيات بدخولهن في الحريم وصيرورتهن أمهات أولاد أن يسمن المجتمع الأندلسي بطابع خاص ، خاصة في العهد الأموي. [5]

---

[1] ابن حيان ، المقتبس ، ج5، ص8.

[2] الحميدي ، جذوة المقتبس، ص31؛ حسن أحمد محمود ، تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، ،ص144 ؛ لومبارد موريس ، الجغرافية التاريخية، ص 263. سامية مصطفى مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي، ص14.

[3] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص 16؛ . الأمير عبد الله ، كتاب التبيان، ص34؛ رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص283.

[4] بن مليح، الرق في بلاد المغرب، ص 219، 220.

[5] Provençal , hist. de l’esp.musul, t3, p179.

" فهل فعلا كانت من أمهات حكام بني أمية إفرنجيات؟ و ما الدافع في انتقاء العنصر الإفرنجي من بين العناصر الأخرى ؟ "

و عموما إن المرأة المسترقة حافظت في بيئتها الجديدة على تقاليدها التي ورثتها من بيئتها الأصلية و في نفس الوقت حاولت تكييف ما ورثته مع ما اكتسبته في البيئة الأندلسية الجديدة، ذلك منذ بداية الوجود الإسلامي الأندلسي إلى غاية سقوط غرناطة 879هـ/ 1492 م. ويمكننا حصر ذلك بين مرحلة، "أم عاصم" أم ولد والي الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير و ينتهي بدور" ثريا " أم ولد السلطان أبي الحسن في مملكة غرناطة .[1]

العبيد الأسود.

لم تهتم المصادر التاريخية بهذا الصنف من الرقيق الأسود بشكل بارز ،حيث كانت المعلومات بشأنهم شحيحة،على الرغم من تكوينهم لمجموعات هامة في عالم الرقيق، والأمر ربما يعود إلى كون العنصر الأسود لم يحض بنفس المرتبة التي حضي بها العنصر الصقلبي داخل القصر و رغم ذلك كوّنوا إحدى المعطيات الإثنية في المجتمع الأندلسي.

تعرضت بعض المصادر لذكر الرقيق و تحدثت عن الوصفاء الأكابر و طبقات العبيد وعبيد الدور و العبيد الرماة مع ذكر أوصافهم و مهامهم. و أن الجواري السود كن أكثر انتشارا في المدن الأندلسية أكثر من الرجال، و كن يتخذن للخدمة في القصور دون اتخاذهم أمهات أولاد .[2]

إن مصدر العبيد الأسود هو بلاد السودان، أما مراكز التمويل فكان تمحورها حول السنغال و غانة و تشاد عبر المراكز الصحراوية بالنسبة للمغرب الأقصى والأندلس. و ورقلة و الجريد بالنسبة لإفريقية، و فزان بالنسبة لطرابلس و برقة ومصر.[3] و كان ظهورهم في الأندلس بصفة محتشمة في صفوف الإمارة الأموية.و لم تظهر جماعتهم إلاّ خلال القرن 4هـ/10م حيث اتخذ منهم الخليفة عبد الرحمن الثالث حرسا خاصا، و سيعزز وجودهم في عهد الحكم الثاني و حاجبه المنصور

---

1 سعدون نصر الله ، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس**، بيروت، دار النهضة العربية 1998، ص 384 ، 387؛ عصام محمد شبارو ، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود**، بيروت دار النهضة العربية ط1 2002م/ 1423هـ، ص ص289 ، 291.

2 الونشريسي، المعيار، ص307 ؛ ساسي علي، الأوضاع الاقتصادية ، ص 33، 34.

3 الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج1، ص30، 31 ؛ Provençal, Hist.Esp musul, t2 p 178. ؛ بن مليح ، المرجع السابق، ص188-189. بوتشيش ، مباحث ، ص111.

ابن أبي عامر ثم تزداد أعدادهم في عهد الطوائف في عهد المرابطين و الموحدين الذين جندوهم في جيوشهم .[1]

و شكلت هذه المجموعة خليط من الإناث و الذكور الفحول و الخصيان. و كانت من حيث القيمة في متناول الطبقة الوسطى و حتى بعض المترفين من الطبقة العامة. أما الخدام فقد تم استعماله على نطاق واسع و في شتى المهام، عكس ما عرفه الرقيق الأبيض، الذي تمركز في القصور بالأخص .[2]

و من الأمثلة النادرة التي يستدل بها وصف الأمير المنذر، بأنه كان أسمر جعد الشعر بوجهه أثر الجدري.[3] إضافة إلى أن أُمُّ الأمير المنذر هي من أصل بربري تدعى "أثل." و من خلال الوصف الفيزيولوجي للأمير المنذر يمكن استنتاج أن أمَّه "أثل" كانت سوداء أو على الأقل سمراء . لأن والده الأمير محمد بن عبد الرحمن المنذر كان أبيض مشرب بحمرة.

كما عاين المؤرخ ابن حزم سليمان الظافر (حكم مابين 403ه -1013م/ 407ه - 1016م) و قال فيه :" إني رأيته أسود اللُّمة و اللّحية" عكس باقي الأمراء الأمويين الشقر من أمهات أولاد صقلبيات .[4]

وعلى الرغم من عدم حصول هذه المجموعة من العبيد السود على امتيازات إلا ان وضعيتها تحسنت باستمرار نتيجة ما كان يلحقها بين الحين و الأخر من عمليات عتق و تحرير من قبل السلطان و الخواص.[5] كما ظلت مساهمتها في إضفاء طابع التعددية لتشكيلة المجتمع الأندلسي بقلتها. و لم تشهد تغيرا و تزايدا واضحا إلا في الفترة المرابطية و الموحدية في الأندلس ما بين القرنين (5 ــ7هـ/11-13م).

و إن كانت الشريعة الإسلامية السمحاء قد أوصت بحسن معاملة العبيد، حيث قال الرسول ﷺ :" من ضرب مملوكا ظالما، أقيد منه يوم القيامة".[6]، فإن الواقع

---

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج 2، ص 282. بن مليح ، المرجع السابق ، ص203، 204.

[2] ابن بسام ، الذخيرة مج 4 ص 185؛ الإدريسي، المصدر السابق، مج2، ص l31 ,
Provençal ,Hist.Esp musl , t1 p505.

3 ابن عذاري ،المصدر السابق، ج2، ص 112 ؛ابن بسام،المصدر السابق، مج 4 ص 185. الإدريسي ، المصدر السابق ، مج2 ص31. انظر في شأنها الفصل الثاني من هذا البحث.

[4] (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن غالب الأندلسي) ابن حزم ، **طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاَّف** جمعه و حققه عفيف نايف حاطوم ، بيروت ، دار صادر،ط 2، 1427ه/ 2006م. ص40 ؛ ابن عذاري، البيان ، ج 2، ص94 . Provençal ,Hist EspMus ,t1 p330

[5] ابن عذاري ، البيان ،ج2 ص248-249. بن مليح، المرجع السابق،ص 215.

[6](محمّد ناصر الدين) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المعارف للنشر و التوزيع، ط2، الرياض ،1425ه/2004،ص301.

في المجتمع الأندلسي كان عكس ذلك، إضافة إلى ما يجسده المثل الأندلسي القائل: " أسود بلا سياط بْحاَل جامع بلا حْصُور".[1] و عموما كان العبد لا يعرف طعم الراحة، فإذا انتهى من عمل كلف بعمل آخر و هذا ما يصفه المثل العامي القائل : " أطلق الفأس خذ المصحا [2] و لذا كان الأباق أكبر أمنية لدى العبد حيث يقول المثل: " قل للأسود أَشْكَنْت تعمل لو كنت سلطان قال أخذ ألف مثقال و نهرب ". و كذلك صورت الأمثال الشعبية الأندلسية شعور العبيد بالحرمان ورأيهم في سادتهم من قولهم. " شتمت مولاي تحت كْسايَ".[3]

و يذكر ابن عذاري إن آباق العبيد و سجنهم حدث بسبب قيام إمارة مبارك و مظفر العامريين في شرق الأندلس فانفتح على المسلمين ببلاد الأندلس أمر شديد في أباقة العبيد إذ نزع إليهم كل شريد طريد و كل عاق مشاق.[4] و لا يختلف الأمر في مجالس الأندلسيين في التمييز و النفور من العبيد السود،حيث يروى عن الشاعر ابن سارة أنه قعد إلى جانبه غلام وسيم فقام ، ثم قعد مكانه أسود قبيح، فأنشد:

مضت جنة المأوى و جاءت جهنم — فها أنا أشقى بعد ما كنت أنعم

و ما كان إلا الشمس حان غروبها — فأعقبها جنح من الليل مظلم .[5]

و لعلا هذه الأبيات تعد مرآة عاكسة لمكانة العبيد الأسود في المجتمع الأندلسي ، أما فيما يتعلق بالإناث فالأمر مختلف تماما فقد استعملن للخدمة على نطاق واسع في القصور و الدور.

لكن في الحقيقة، إن ما وقع ابتداء من نهاية القرن الأول الهجري / بداية القرن الثمن الميلادي ، من احتكاك ومصاهرة ، ثم حروب بين المولدين و العرب والبربر و المستعربين هو الذي عمل على خلط و مزج كل العناصر السكانية وحضاراتها المختلفة و صهرها في البوتقة الأندلسية. فأفرز هذا التمازج الجنسي حضارة أندلسية و أمة أندلسية لها كيانها الخاص و شخصيتها المستقلة. ولذا يرى البعض أنه من مظاهر نضوج الشخصية الأندلسية، أن الأندلس أصبحت تحكم بيد

---

[1] -محّمد بن شريفة، **تاريخ الأمثال و الأزجال في الأندلس و المغرب**-بحوث و نصوص،منشورات وزارة الثقافة ، الرباط ،2006 ، ص19

[2] - بن شريفة ،نفسه، رقم 322، ص19

[3] بن شريفة ، نفسه، مَثَل رقم، رقم 188، رقم 199 ص191؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3 ص160؛ سامية مسعد، صور من المجتمع الأندلسي ص110.

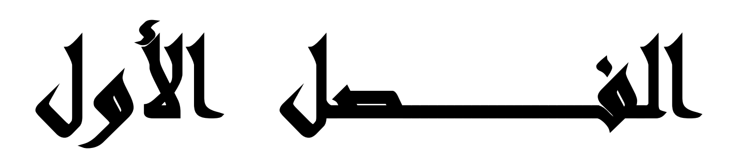
[4] ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2 ص248-249. ؛سامية مسعد ،نفس المرجع، ص110.

[5] - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ج1، ص 420.

أبنائها جميعا و ذلك منذ عهد الخلافة الأموية في عام (316هـ/ 928- 929م) إذ لم يعد للأرستقراطية العربية تلك السيادة القديمة و المكانة المرموقة في الحكم .[1]

و هذا المزج البشري كان أحد أسسه إسهام المرأة الأندلسية اثنيا وحضاريا. و لذلك يرى البعض أنه من الصعب أو من النادر إيجاد نساء عربيات من أصل عربي أباً و أمّا. إنما وجدت المرأة المسلمة و المرأة غير المسلمة من أهل الذمة أي نصرانية أو يهودية. و هذا ما أفضى لوجود صبغة تعددية في واقع المرأة الأندلسية . وارتسم هذا الواقع التعددي الجديد في المجتمع الأندلسي منذ نهاية القرن 2هـ/ 8م حيث اتضحت من خلاله معالم النضج الحضاري و بروز المرأة الأندلسية في شتى مجالات الحياة ، الأمر الذي دعاني للبحث عن الإسهامات الحضارية للمرأة الأندلسية في ظل دولة الإسلام من خلال دراسة تاريخية و علمية أكاديمية على ضوء المصادر و الدراسات الحديثة العربية و الأجنبية .

[1] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الأندلسي ص 37.



أولا: المرأة الأندلسية و السياسة

- دور المرأة من الفتح إلى العهد الإمارة و الخلافة الأموية

(من 91هـ 422 هـ /710 م- 1031م)

- المرأة و السياسة في عهدي الطوائف و المرابطين

(ما بين القرنين 5هـ 6ه/11-12م)

- دور المرأة في عهدي الموحدين و بني نصر

(ما بين القرن 6هـ 9هـ/ 12م- 15 م)

ثانيا: المرأة الأندلسية و الحـرب

- المرأة المقاتلة
- المرأة السبية
- المـــرأة المنفية

أولا: المرأة الأندلسية و السياسة.

تصدرت المرأة الأندلسية مكانة متميزة في المجتمع ،فتمتعت بالقوة و النفوذ، وساهمت في بعض أمور السلطة إلى جانب زوجها ، و تصرفت بملء حريتها في ثروته وأملاكه. ويضم تاريخ الأندلس جوانب كثيرة أتاحت الفرص لبروز اقتدار النساء ونفوذهن ، و يعود ذلك إلى اتصافهن بالحكمة و بعلو مكانتهن . هذه المكانة لم تستمد قوتها من مقامهن السياسي أو العائلي فحسب ، بل استمدتها من قدرة هؤلاء النسوة وما فسح لهن من مجالات الظهور. [1]

ومنذ بداية التاريخ الإسلامي للأندلس لوحظ نفوذ نساء القصر على رجال الحكومة ، سواء تعلق الأمر بالمرأة حرّة أم جارية، فقد نافست الرجل في حسن التدبير لاسيما إذا تمتعت بقوة الذكاء و العزم و كثرة المال والوجاهة و التفاني في تحقيق مآربها . و نمت شخصية بعض الجواري حتى نزعن الحرائر منزلتهن السامية داخل القصور و خارجها. وهذا السباق نجحت فيه الجواري المرتفعات ـ العليات ـ المشهورات بالفطنة و الذكاء و الدهاء و الجمال القادرات على استمالة قلوب الحكام والأمراء الذين اتخذوا مطية لنفوذهن السياسي. [2]

و قد بلغت المرأة في الأندلس من المكانة و النفوذ أن استأثرت بشؤون التولية والعزل حتى كانت حول كل امرأة من المشهورات حاشية تدبر المكائد وتستأثر بالوظائف و المنافع ، وكان لها في الحالين أثرها الفعال في تطور الأحداث وعلى سبيل المثال ما قامت به " إيخلونا "و" طروب" و" صبح " و "الذلفاء" و" ثريا". إن الأمثلة على النفوذ النسوي كثيرة و سأقتصر في هذا الفصل على

بعض النماذج من النساء الشهيرات في مختلف عهود الحكم الإسلامي في الأندلس ابتداء من مرحلة الفتح الإسلامي إلى غاية مملكة بني نصر في غرناطة.

---

[1] محمد جميل بيهم ، **المرأة في حضارة العرب و العرب في تاريخ المرأة**، ط 1،دار النشر للجامعيين بيروت، 1962،ص .261.

[2] محمد جميل بيهم، نفسه

ـ دور المرأة الأندلسية من الفتح الإسلامي إلى قيام الخلافة الأموية (من 92هـ 422ه /711 م- 1031م)

و من شهيرات النساء اللاتي ذكرن في مرحلة فتح الأندلس و برزن في الحياة العامة منذ نهاية القرن الأول و الثاني الهجريين / 8 و9 م ،هن المرأة بنت يليان أو"جليان" حاكم سبته و " إيخلونا " أرملة لذريق و "سارة" بنت المند أو سارة القوطية .

ــ فلوريندا بنـــــت يليـــــان:

ارتبطت بعض روايات الفتح الإسلامي بقصة بنت يليان التي حفز والدها الفاتحين لاجتياز المضيق ،و بالرغم من اختلاف في إثبات صحتها التاريخية ، إلا أن هذه القصة تشير إلى إحدى حالات المرأة الاسبانية منذ فجر الإسلام في الأندلس؛ وتتلخص هذه القصة فيما يلي:

كانت سيرة العجم في إسبانيا قبل فتحها ، إذا كان فيهم من له قدر وصيت يدخل بناته قصر الملك الأعظم ليتأدبن مع بناته و يعلمهن ما تتعلم بناته من العلوم و الصنائع، ثم يختار لهن الملك من أولاد أشراف رجاله من يزوجهن منهم فيجهزها إليهم ليطيب بذلك نفسه إلى الرجال و النساء و الصبيان، وكان بليان أو وليان صاحب طنجة و سبتة من خاصة الملك لذريق ،فأنفذ ابنته إلى قصر لذريق بطليطلة. واسم البنت "فلوريندا "-florinda- كما أورده بروفنصال. [1] و كان "يليان" يزور الملك مرة في العام في أغشت-شهرأوت- محمل بهدايا و تحف و لطائف و طيور الصيد، وكانت ابنة يليان من أجمل النساء ،[2] مما دفع بلذريق أن يميل إليها وهو سكران فواقعها . فلما صحا أخبر بذلك فندم و أمر بكتم ذلك و أن تمنع الصبية بنت (بليان) أن تخلو بأحد فتحدثه أو تكتب إلى أبيها كتابا حتى يقف على الأمر. فلما استحال الأمر ايصال الخبر إلى أبيها ،لجأت إلى حيلة تمثلت في إرسال هدية إلى أبيها من التحف و الطرائف و من بينها بيضة فاسدة.

فبلغت الهدية إلى أبيها و لما رأى البيضة أنكرها و تصفح الأمر بذهنه و أعلم أن ابنته قد فسدت، فقصد لذ ريق في غير الوقت المعهود و ذلك في شهر ينير

---

[1] Provençal, Hist Esp- Mus- T1, P14

[2] مجهول ،فتح الأندلس،تح مورينا ، ص13 ؛ ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ص76.

Guichard Pierre, **Structures sociales orientales et occidentals dans l’Espagne musulmane.** Mouton.Paris.Lahaye.1977,p106 .

فقال له لذ ريق: " ما جاء بك في هذا الشتاء الحاد؟ "، قال له: "جئت لابنتي فإن أمّها مريضة و قد أشرفت على المنية فقالت: " لا بد أن أرى ابنتي قبل الموت "[1] ، فقال له: " وهل نظرت لنا في طيور؟ "، فقال له: "قد نظرت لك في طيور لم تر قط مثلها و أنا آتيك بها عن قريب ، يعني بذلك العرب.

وأخذ "يليان" ابنته و انصرف من فوره إلى إفريقية إلى الأمير موسى بن نصير، حيث لقيه بالقيروان و أخبره بقصة ابنته و قرب عليه مرام الأندلس و سرعة فتحها و كثرة أموالها و جبايتها و إنها بلاد كثيرة المياه و الجنات و الأنهار و الغلات في سقي و ثمار. وكان موسى بن نصير ذا رأي و تدبير و حنكة و تجربة في جميع الأمور فقال له: " إنا لا نشك في قولك غير أنا نخاف على المسلمين من بلاد لم نعرفها ، وبيننا و بينها البحر و بينك و بين ملكك الجاهلية و اتفاق الدين؛ و لكن ارجع إلى مكانك و اجمع جنودك و من يقول بقولك و شن الغارات على بلاده و اقطع ما بينك و بينه، فحينئذ تطيب النفس عليك و نحن من ورائك إن شاء الله".[2]

فكتب موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك معلما بما جاء به يليان، فراجعه أن: " خذها بالسرايا ،انصرف وحشد و جز".[3] و طبق موسى بن نصير أوامر الخليفة في جواز الأندلس . و من خلال هذه القصة تبدو بعض مظاهر الحياة الاجتماعية واضحة قبل الفتح في الأندلس ، و تعسف استعمال السلطة من طرف ملكهم لذريق الذي تضمر رعياه من سياسته و منهم "جليان "حاكم سبة للثأر لابنته. و رغم أن الجانب القصصي يطغى على هذه القصة و على كثير من الأحداث ،فإن البعض يعتبر قصة بنت يليان وثأر أبيها لها ، أحد الدوافع الذي ساهم في فتح الأندلس حسب ما تداولته بعض النصوص التاريخية .

وبعد ما تم الجواز إلى الأندلس تذكر المصادر أن أول امرأة إسبانية ، تنبأت لطارق بن زياد و أنذرت أهلها بنصر المسلمين و سقوط دولة القوط . كانت عجوز تقطن بجهة من جبل طارق ،و كانت تتنبأ لقومها وتصف الشخص الذي يستولي على بلادهم . و يقال لما سمع بها طارق بن زياد أرسل في طلبها، و بعد

---

[1] مجهول ، فتح الأندلس ، تح مولينا، ص 14؛مجهول ،أخبار مجموعة في فتح الأندلس،تح،الابياري ،ص 16 ؛ Provençal, Hist Esp- Mus- T1, P14

[2] مجهول ، فتح الأندلس، تح لويس مولينا ، ص 15 .

[3] مجهول ، فتح الأندلس، نفسه، ص 15 ؛ مجهول ،أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح إبراهيم الأبياري ،ص 16.

معاينتها لشامة على كتف الأيسر لطارق بن زياد ، تيقنت من الفتح ،وانصرفت تنذر به أهلها و أهل بلدها.[1]

أما المرأة الجميلة و المُغرية و الماكرة التي برزت في مرحلة الفتح ، فهي التي حاولت اغتيال القائد مغيث ؛ و يندرج سلوكها في استعمال النساء القوطيات جمالهن لإغراء الفاتحين العرب ووسيلة للانتقام منهم . و أورد القصة المقري عن الحجاري : " أن طارق بن زياد قدَّم "مغيث" لفتح قرطبة في شوال 93ه/ 712م وبعد حصار مغيث قرطبة مدة ثلاثة أشهر ،دخلها و استولى على ما فيها ،و رأى ضمن حريمها جارية كأنها بينهن بدر بين النجوم. وهذه الجارية كانت تتعمد التعرض له بجمالها مرات عدة حتى شك في أمرها . فوكّل عليها من عرض لها العذاب إن لم تقر بما عزمت في شأنه؛ لَما تفطن لِما تضمره من مكر لكثرة تعرضها له بحسنها.

و في الأخير أباحت بسرها و أنها أكثرت التعرض له لتقع بقلبه بحسنها الفتان . وقد أعدت له سما لقتله . فحمد" مغيث" الله تعالى و قال" لو كانت هذه الجارية في صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة".[2]

و لذا يمكن اعتبار تصرف هذه المرأة الجميلة لون من ألوان الإغراء و الصراع الذي واجهه المسلمون الفاتحون بعد انتصاراتهم العسكرية ؛ فقد كاد "مغيث" فاتح قرطبة أن يقع ضحية في يد هذه المرأة بعد انتصاره الباهر. ومن الملاحظ في التاريخ الأندلسي، أن هذه المكائد سوف تتكرر لاحقا باختلاف أساليبها و طرق تنفيذها و تمثيل أدوارها من طرف بعض النساء الإسبانيات .

و في نفس السياق و قياسا على تصرف هذه المرأة الماكرة ، فإنه لا يستبعد ما حدث من طرف "إيخلونا" و زوجة القائد زياد بن النابغة التميمي من مؤامرة نسجت خيوطها هاتين المرأتين النصرانيتين و استغلها قادة جند العرب للتخلص من والي الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي ذهب ضحية تلك المؤامرة ؛رغم اختلاف الروايات في نقلها و في تأويل أحداثها، سأجيز تلخيص أحداث قصة "أيلة" أو "إيخلونا " مع عبد العزيز بن موسى بن نصير بما يلي :

أيلـــــــــة (إيخلــــــــــــونــــــا) : EGILO N

رافق موسى بن نصير أهله إلى الأندلس بعد فتحها ومكث فيها عشرون شهرا. و من أشهر أبنائه عبد العزيز الذي كان له دورا هاما في فتح شبه الجزيرة الإيبرية، والذي أصبح و ليا على الأندلس إلى غاية (سنة 95 هـ/ 714 م). واستقر بأشبيلية واتخذها قاعدة ملكة. و بعد خروج موسى بن نصير تزوج عبد

[1] ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص 133 .

[2] المقري، نفح الطيب، مج 3، ص 12.

العزيز بن موسى من أرملة لذريق و تدعى "أيله " Aila أما المصادر الإسبانية فتسميها إيخلونا EGILON/ EGILAN [1]

كما تعرف في المصادر العربية" بأم عاصم." و هذا لأنها أنجبت ولد من عبد العزيز بن موسى ، فأصبحت تسمى به ، و الملاحظ أنها لم تتزوج به إلا بعد خروج أبيه موسى بن نصر من الأندلس و الذي أقر له إشبيلية عاصمة للبلاد. وكان خروج موسى من الأندلس سنة 95هـ / 714م . و قد عاش عبد العزيز معها مدة ولايته، من شهر ذي الحجة (95هـ/714م) إلى شهر رجب 97هـ/716م) في أشبيلية العاصمة السياسية للأندلس و اتخذ مسكنه معها في جزء من كنيسة سانتا روفينا SANTA RUFINA التي تحولت فيما بعد

إلى مسجد.[2] الأمر الذي أثار الشبهات على هذا الزواج بنصرانية و على اختيارها الكنيسة كسكنى لهما و على قوة شخصيتها في التأثير على زوجها!

و الإشكال في هذه القصة يتمحور حول الدور الذي قامت به هذه المرأة و الذي أدى إلى اغتيال وال الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير ؛ وعن النتائج المترتبة عنه وموقف المؤرخين من هذا الحدث المؤلم؟

يذكر أن " إيخلونا (أم عاصم) كانت على درجة من الجمال و الذكاء بحيث استطاعت أن تفتن زوجها و تملك زمامه . و يبدو من خلال تصرفاتها و ذكائها أنها مباشرة بعد الفتح صالحت على نفسها و أموالها و باءت بالجزية، و أقامت على

---

[1] مجهول ،فتح الأندلس،تح مولينا،ص42.؛ ابن قتيبة ، **قصة افتتاح الأندلس عن كتاب الإمامة والسياسة** ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مراجعة فاروق عمر الطباع .، بيروت ،مؤسسة المعارف 1415، 1994، ص155 ؛ابن عذاري. البيان، ج2 ص23 ؛ المقري ، نفح ج1 ،ص281 ؛ عنان ، دولة الإسلام ع1 ق1 ص 71 ؛ أحمد جمعه ، المرجع السابق، ص279. و تعتبرها بعض المصادر بنت لذريق ملك القوط الذي قتله طارق ، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر و المغرب ، ص240 ؛ و قيل عنها أنها امرأة من القوط ، انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس، ص79. و أخذ عنه الكثير من المؤرخين المعاصرين. لكن الرأي الأرجح أنها زوجة لذريق ملك القوط.
Sanchez Albornoz: La Espana Musulmana T1 P53

Provençal , Hist,esp , t 1,p 33

[2] ابن عذاري ، البيان ،ج2 ،ص23 ؛ و مجهول ، أخبار مجموعة ،تح إسماعيل العربي ص104.
عنان ، دولة الإسلام ع1 ق1 ص71 ؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الإسلام ج1 ص186
Dufourcq, opcit, p37

دينها في ظل نعمتها ؛و لم تتزوج في حينها فكانت تترقب الأوضاع و استقرار الأمن .[1]

و في عام 95هـ/714م تزوجها عبد العزيز بن موسى و فَتَنَتْه إلى درجة أنها تملكت عليه و أصبح يطاوعها في مطالبها. و لما ولدت له "عاصم " سميت باسم ولدها. لكن هذا لا يعني أنها أسلمت بل أنها بقيت على دينها بل أكثر من ذلك فإنها فضلت السكن في الكنيسة. وطلبت من عبد العزيز التشبه بملوك النصارى. و من شدة تأثيرها عليه [2]، أنها قالت له: "إن الملوك، إذا لم يُتوّجوا، فلا ملك لهم !فلو عملتُ لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجا؟ فقال لها ليس ذلك في ديننا من شيء، لكنها كانت ذكية و أرادت توريطه فقالت له: " و من أين يعرف أهل دينك ما أنت فيه في خلوتك؟ و لم تزل تغريه حتى فعل.

و بينما هو ذات يوم جالس، و التاج على رأسه، دخلت عليهما امرأة إسبانية كان قد تزوجها القائد زياد بن النابغة التميمي. و كانت هي أيضا من بنات ملوكهم، فرأته و التاج على رأسه، فلما عادت إلى بيتها قالت لزوجها زياد : "ألا أعمل لك تاجا؟" فقال لها : " ليس في ديننا استحلال لباسه" فقالت له: "و دين المسيح إنه على رأس ملككم و إمامكم". فأعلم بذلك زياد حبيب بن أبي عبده. ثم تحدث بذلك حتى علمه كبار الجند .[3]

فلم يكن لهم همّ إلا كشف ذلك. حتى رأوه عيانا. فقالوا "قد تنصر!" ثم هجموا عليه وقتلوه. و قد حمّلت الكثير من المصادر العربية "إيخلونا" مسؤولية اغتيال عبد العزيز بن موسى على يد أتباعه دون اختلاف في رواية الحدث. [4]

لكن من خلال استقراء النص يبدو أن مسؤولية الاغتيال لا تتحملها "إيخلونا "لوحدها ، إنما جزء منها تتحملها زوجة زياد بن النابغة التميمي. أو تكاد تكون المؤامرة دبرتها المرأتين النصرانيتين لإيقاع بين عبد العزيز بن موسى و جنده ؛إذ لا يستبعد أن هاتين المرأتين كانتا تجهلان ما يحدث من تنافس بين الجند والوالي في خضم الوضع الأمني السائد في الأندلس . كما يبدو أن نسج خيوط هذه المؤامرة كان محكما من طرف ها تين المرأتين الذكيتين اللتين كانتا تتبادل الزيارات . لتتحول إحدى هذه الزيارات إلى تجسس على الوالي عبد العزيز بن موسى ، بحيث تحيّنت زوجة زياد الفرصة و ساعدت زوجها وبعض الجند حتى تمكنوا من رؤية عبد العزيز في خلوته عيانا و صدقا من حيث لم يراهم هو و زوجته إيخلونا .

---

[1] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر و المغرب ، ، ص 240 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2، ص23.

[2] ابن عذاري ، البيان ، ج2، ص23 ؛ مؤنس ، فجر الأندلس ص118،117.

[3] مجهول ، أخبار مجموعة ،تح إسماعيل العربي ، ص 104

[4] مجهول ،فتح الأندلس،تح مولينا،ص43 ؛ ابن عذاري ،البيان ،ج2 ص23؛
Guichard Pierre , Structures sociales ,p106,109.

و آنذاك أجمع الجند أمرهم على أنه تنصر سرا. فهاجموه و قتلوه، دون طلب الاستفسار منه و هو في المسجد يصلي صلاة الصبح ! و لاموا عليه أنه تنصر. وربما يعود سبب ذلك لإقامته في كنيسة سانتا روفينا إرضاء لزوجته ولنفوذها عليه وتدبيرها السيئ أو ربما لرغبتها في للثأر لزوجها السابق لذريق ![1]. وقتل عبد العزيز بن موسى و هو يصلي و يقرأ سورة الواقعة ، فكيف يمكن أن يوافق بين مسلم يصلي الصبح وبين رجل متنصر ؟ و لذا يبدو أن مسألة تنصره ما هي إلا غطاء فقط و حجة داحضة أمام الملأ لقتله .

و لم تشر المصادر إلى العلاقة التي تربط المرأتين غير أن كلتهما نصرانية وإسبانية من بنات الأعيان. فهل فعلا كانتا على صداقة و اتفاق ؟ أم أن زوجة زياد كانت تضمر لصديقتها" إيخيلونا" الشر و الانتقام؟ أو ربما دست زوجة زياد للتجسس من طرف أعوان الخليفة الأموي في الأندلس؟ و لذلك يفترض أن زوجة زياد تتحمل مسؤولية قتل عبد العزيز بن موسى أكثر من أم ولده " إيخلونا" التي ورطته بلبس التاج في خلوته فقط.، إنما صديقتها المتجسسة عليها هي التي سعت في تضخيم حادثة لبس التاج .

و رغم وجود عدة اعتبارات سياسية * في مسألة اغتيال عبد العزيز بن موسى،[2] إلا أن أصابع الاتهام في هذه الجريمة لم توجه إلى هذه المرأة التي ساهمت في تنفيذ الجريمة .

و رويت قصة أخرى في مقتل عبد العزيز بن موسى، و هي أن زوجته هي ابنة لذريق التي لما دخلت عليه قالت له:" مالي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك، و يسجدون لك كما كان أهل مملكة أبي يفعلون له ؟ و لإرضائها أمر بوضع باب في ناحية من القصر، وجعله قصيرا، و جعل لزوجته مجلسا تنظر منه إلى الناس إذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها، فلما رأتهم على ذلك، ظنت أنهم يسجدون له.فقالت له:" الآن قوي ملكك" .و لما بلغ الناس ما أراد بذلك الباب ثار عليه جنده ومن

---

[1] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس ،ص 79 ؛ ابن قتيبة ، قصة فتح الأندلس ،ص174، 175 ؛ عبد الله عنان ، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية، ص 199.

*عَهِد الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد التنكيل بموسى بن نصير ،إلى خمسة نفر من وجوه عرب الأندلس بقتل ابنه عبد العزيز منهم :حبيب بن أبي عبيدة الفهري و زياد بن النابغة التميمي. قصدوا إليه وهو في المحراب يصلي الصبح لما قرأ الفاتحة و سورة الواقعة رفعوا سيوفهم و قتلوه ضربة رجل واحد بمسجد ربينه على باب كنيسة ربينه و بعثوا برأسه إلى الخلافة بدمشق في آخر سنة ثمان و تسعون. ابن القوطية ، المصدر السابق، ص24، 25. ابن عذاري ، البيان، ج2ص24 ؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1 ق1 ص72.

[2] عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد زينهم محمد عزب، القاهرة ،دار الفرجاني، 1994، ص19؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1 ق1 ص72؛ عبد العزيز سالم ، **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس** إسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،1985، ص 11 .

معهم من العامة وقتلوه بمسجد اشبيليا 97هـ / 716م و بعثوا برأسه إلى الخليفة .[1]
و مما سبق ذكره يمكن لنا أن نلاحظ اختلاف الرواية العربية حول صلة "إيخلونا " بلذريق الملك القوطي الذي قتل إبان الفتح الإسلامي للأندلس إن كانت زوجته زوجته أم بنته ؛ وتحميلها سبب القتل و التغاضي عن السبب الحقيقي وهو تنفيذ الجند أمر الخليفة بقتل الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير كتتمة التنكيل بأفراد الأسرة، وما قصة إيخلونة إلا سببا عارضا و تمويه للرأي العام.

و بناء على ذلك فإنه رغم أحداث القصة المؤلمة وعواقبها السلبية إلا أنها أظهرت لنا مدى الألفة و المحبة التي سادت بيوتات الأندلس عقب تزوجهم بالإسبانيات و ترك لهن حرية التصرف و حرية العقيدة . ولذا يعتبر عبد العزيز بن موسى بن نصير من المشجعين لهذا النوع من الزواج الذي عرف انتشارا و توسعا في القرون اللاحقة في المجتمع الأندلسي . و رغم أن بعض المصادر العربية أوردت تورط هذه المرأة إلا أنها تبدو سببا ظاهريا فقط لاغتيال عبد العزيز بن موسى من طرف الجند لأن هذا الحدث له عدة اعتبارات سياسية.[2]

أما المؤرخين المستشرقين فقد انقسموا بين مؤيد و معارض في أن "إيخلونا" هي السبب في اغتيال عبد العزيز بن موسى و اعتبر ألبورنوث[3] - Albornoz - هذا الحدث أول جريمة سياسية في الأندلس. بل شكك في مقدرة مؤرخي اسبانيا الإسلامية في نقل الأحداث بشكل حقيقي لعدم توخيهم الحذر و مبالغتهم في كتابتهم التاريخية غير النزيهة.

ومن أبرز المؤيدين لـ: "ليفي بروفنسال": الذي يرى أن الأميرة إيخلونا أسلمت ظاهريا، لكي تتمكن من الوصول إلى مكانة أفضل لدى زوجها و تعوض بها ما فقدته من مجدها القديم.[4] أما بيير غيشار فيلوم عبد العزيز بن موسى على انقياده الأعمى لاقتراحات زوجته الملحة و متحديا جميع المحيطين به. و كان نتيجة أن ذلك تذمر الجند الذي قرر قتله نظرا لتنصره بل و التمثيل به و إرسال رأسه للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بدمشق. إلا أن المصادر التاريخية تشير أن سبب مقتل عبد العزيز بن موسى يعود إلى أسباب سياسية بينه و بين الخليفة الأموي الذي خاف من تمرده عليه بعد التنكيل بأبيه موسى بن نصير و أخيه ،و

---

[1] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر و المغرب ، ص240. الحميدي ، جذوة المقتبس ،ج1،ص13، و نقل ابن عذاري هذه الرواية عن الواقدي ،انظر البيان،ج 2،ص 24.

[2] ابن قتيبة، قصة فتح الأندلس عن كتاب الإمامة و السياسة ،ص 174، 175. وأورد الحميدي اغتيال عبد العزيز بن موسى لكن دون ذكر قصة زوجه بإيخلونا و لا أنها سبب في إغتياله، انظر :جذوة المقتبس،ج1، ص13.

[3] ClaudioSanchez Albornoz:**L'Espagne musulmane** ,trad :Claude Faraggi,opu/publisud, 1985,p25,26

[4] Provençal: hist,Esp muslm,t1 p,p33.

بالتالي لا علاقة بين زواجه بإيخلونا و مقتله رغم عدم وجود أدلة حاسمة على مشروع عبد العزيز في الاستقلال عن الخلافة الأموية . [1]

و في الحقيقة لا يمكن لنا أن ننفي مطلقا هذا الحدث الذي لا يستبعد فيه المبالغة والمراوغة السياسية ؛ومعارضة الزواج من أرملة رذريق لا تبدو سببا رئيسيا لاغتيال عبد العزيز بن موسى لأننا وجدنا الكثير ممن تزوجوا من اسبانيات أمثال زياد بن النابغة التميمي. أما قضية الإجماع على اغتياله فكانت مبنية على أساس اتهامه بالردة و هو إمامهم ، لأن جزاء المرتد هو القتل؛ إلا أن نقيض القصة يكمن في قتله و هو يصلي صلاة الصبح بسورة الواقعة. و يبدو لي أن عبد العزيز حاول في سياسته التوفيق بين واجبه المنزلي بإرضاء زوجته في خلوته معها ، و مواصلة العمل القيادي لنشر الإسلام في الأندلس أي دون الإخلال بواجباته الأسرية . و عموما كانت نتائج هذا الاغتيال سلبا على أوضاع الأندلس السياسية والأمنية ،حيث شهدت اضطرابا سياسيا و تولى حكمها من بعد عبد العزيز بن موسى 22 واليا.[2]

أما المرأة الإسبانية الأخرى التي كان لها دورا بارزا في فترة عهد الولاة و التي استمر نسلها في أجيال المولدين فإنها:

<u>ســـارة القــوطيـــة:</u>

و هي إحدى نساء الأندلس التي أسهمت في المجال السياسي و إحدى الأميرات القوطيات كما يدل عليها اسمها ـ القوطية ـ ذكرت سيرتها الكثير من المصادر الأندلسية ، لكن فضلت أخذ قصة حياتها من حفيدها الفقيه و المؤرخ أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية.* إنها حفيدة الملك القوطي غطشة و بنت المند، [3]. ،

---

[1] Guichart pierre : opcit, p109.

[2] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر و المغرب ، ص 241 ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ، ص 79؛ عنان ، دولة الإسلام ،ع1-ق1-ص72 ؛ مؤنس ، فجر الأندلس ،ص118، 120.

*ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم عاش في قرطبة و توفي في (376هـ/ 977م) هو من موالي البربر نسب إلى أم جد أبيهم و هي سارة ابنة ملك الأندلس قبل دخول الإسلام إليها، القاضي عياض ،ترتيب المدارك ج2، 182. Provençal, hist, T1,P358

[3] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس،تح الطباع، ص73 ،74. رافاييل بالناثيا ، **إشبيلية الإسلامية تاريخها السياسي و الاجتماعي و الثقافي**،ج 1، ضمن الحضارة العربية الإسلامية، دراسات الوحدة العربية الحضارة العربية الإسلامية تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ص 218 .

كان لها أخوين صغيرين هما: المصر وبل . استولى عمهما ـ Artabas ـ على ضياعها و أملاكها و كذا ممتلكات أخويهما الصغيرين بعد وفاة أبيهم. مما دفع سارة إلى أن تتوجه بأخويها إلى الشام، لتتظلم للخليفة هشام بن عبد الملك و عن هذه الرحلة يقول حفيدها ابن القوطية:

" و أما سارة فقد أنشأت مركبا في اشبيلية، و كان أبوها قد آثر سكنى إشبيلية ثم توجهت إلى الشام حيث نزلت بعسقلان، ثم قصدت حتى وقفت بباب هشام بن عبد الملك بن مروان رحمه الله فأنهت خبرها و العهد المنعقد لأبيها [1] على الوليد ين عبد الملك و تظلمت إليه من عمها أرطباس الذي ظل على مسيحيته.

لم تجد سارة صعوبة في إقناع الخليفة هشام (120هـ/ 738م) بعدالة قضيتها و نجحت في مهمتها و الدليل على ذلك أن الخليفة سارع بالكتابة إلى وليه على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي ** يأمره بأن يصدر أوامره بدوره إلى عامله على الأندلس أبو الخطار الكلبي *** بأن ينفذ عهد الوليد بن عبد الملك و يعيد للأميرة حقوقها و اعتبارها. من جانب آخر اعتنى الخليفة بنفسه في تزويج سارة القوطية من القائد العربي عيسى بن مزاحم الذي رافقها إلى الأندلس بأن ينفذ عهد الوليد بن عبد الملك ويعيد للأميرة حقوقها و اعتبارها. من جانب آخر اعتنى الخليفة بنفسه في تزويج سارة القوطية من القائد العربي عيسى بن مزاحم الذي رافقها إلى الأندلس [2] حيث يقول ابن القوطية:

Provençal, hist, T1,P358.

[1] تضمن العهد حقوق للأسرة المالكة القوطية التي تعاونت مع الفاتحين المسلمين ووقفت في وجه القائد لذريق و الغدر به بقيادة المند و أخيه . و طلبوا من طارق بن زياد الآمان و أن يمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس التي كان عددها ثلاثة ألاف ضيعة. و سميت بعد ذلك صفايا الملوك، ابن القوطية ، تح العربي ، ص 20؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ، ،ص74.

Provençal , hist,t 1p 358. Sanchez Albornoz , opcit, p38 .

** حنظلة بن صفوان الكلبي: أحد أمراء الدولة المروانية و قائد شجاع استخلفه أخوه بشر على إمارة مصر عام 103هـ / 722 م و أقره على الولاية مؤيد بن عبد الملك ثم عزله هشام بن عبد الملك في 105 هـ/ م. ثم أعاده إلى الولاية في 119هـ إلى غاية 124هـ /742 م. و نقل إلى إفريقية فصنع بها ثورة البربر ثم نقل إلى الأندلس فدانت له البلاد حتى اضطرب أمر الخلافة في الشام فأخرجه البربر و عاد إلى دمشق و توفي بها حوالي 130ه /747م. ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب ، ص 205، 251؛ ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ، ص58؛ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ص58.

[2] تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ، ص58

**. أبو الخطار: هو حسام بن ضرار الكلبي: أمير شجاع و شاعر. ولاه حنظلة بن سفيان عامل إفريقية على الأندلس في 125هـ /743 م فأقام بقرطبة، نظرا لتعصبه لليمانية ثار عليه الصميل بن حاتم و أنصاره و قتل من طرف هذا الأخير في 130هـ/ 747م . ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ، ص59،58؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2 ص 34، 35؛ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس،ص ص 283، 285.

" و تزوجت عيسى بن مزاحم فقدم معها الأندلس و قبض ضياعها، أي أنها منحته أملاكها و أقرت بذلك عادة القوط أو الأسبان رغم أنها كانت مسلمة و المعروف أن الإسلام يقر الذمة المالية المنفصلة للزوجة؛ فلها حرية التصرف في مالها كيفما تشاء. و يبدو من خلال ما سبق أنها كانت جادة في نزع أملاكها من عمها النصراني ، لكنها بالمقابل منحتها لزوجها المسلم و لم تستأثر بها لنفسها. و ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث يقول المؤرخ الأسباني ألبورنث: أنها أعطته أيضا أموالها القوطية، و هي على الأرجح عملة ذهبية أو فضية. و كانت تعرف باسم التاج أو الدرهم القوطي ،مثلما ينص عليه قانون الملكية في القوانين القوطية [1].

و من خلال تنازل سارة على أملاكها لزوجها يظهر أنها كانت واثقة و راضية بعيسى بن مزاحم الذي أنجبت منه ولدين هما: إبراهيم و إسحاق اللذان أدركا فيما بعد شرف الرياسة و الجاه في إشبيلية قاعدة المولدين. و من سلالة إبراهيم هذا ينحدر المؤرخ أبو بكر ابن القوطية.[2] و قد طال عمر حياة سارة القوطية حتى أدركت عهد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) و كانت قد رأته صبيا عندما سافرت إلى الشام في شبابها، و كان عبد الرحمن صغيرا يجلس بين يدي الخليفة هشام. [3] و توفي عنها زوجها عيسى بن مزاحم في العام الذي حل فيه عبد الرحمن الداخل الأندلس (138هـ/ 756م) و ها هي الآن أرملة وأصبحت مجال يتنافس عليها بعض الرجال الأعيان في الأندلس نظرا لمكانتها الاجتماعية [4].

فتولى عبد الرحمن الداخل زواجها من عمير بن سعيد الذي أنجبت له حبيب بن عمير. و يولي المؤرخون لزوجها الثاني أهمية أكبر من زوجها الأول لزعمهم أن ولدها من عمير بن سعيد، و المسمى حبيب يعتبر جد لأربع عائلات أرستقراطية من المولدين في الأندلس. [5]

---

[1] ابن القوطية، افتتاح الأندلس، تح العربي، ص20 ، 21.؛ Sanchez Albornoz: op.cit ,p 38. - Duby(Georges)et Perrot(Michelle),Histoire des femmes en Occident, 2è :le moyen Age ,p229.

[2] ابن القوطية، نفسه ، تح العربي ص 20، 21؛ Provençal , hist,t 1p 76.

[3] ابن القوطية، افتتاح الأندلس، تح العربي، ص20 .

[4] تنافس على سارة القوطية كل من حيوة بن ملامس المذحجي، و عمير بن سعيد اللخمي، ولكن ثعلبة بن عبيد الخزامي اعتنى بعمير بن سعيد عند عبد الرحمن بن معاوية، فأنكحه إياها، انظر ابن القوطية ، المصدر السابق،تح عبد الله أنيس ،ص75 ؛ابن القوطية ، تح العربي ، ص 21 ؛ بالناثيا رفائييل، اشبيلية. ص218. Provençal: hist,t 1p 358.

[5] العائلات هم بنو سعيد: بنو حجاج، و بنو مسلمة، وبنو حجر الجزر .ابن القوطية ، المصدر السابق ، تح عبد الله أنيس،ص75 ؛ . Provençal , hist,t 1p358

و نستنتج مما سبق أن **سارة** بنت ألمند أحد أشرف و أمراء الأندلس قبل الفتح تولى زواجها حكام بني أمية . فزواجها الأول تولاه الخليفة هشام بن عبد الملك ،و الزواج الثاني الأمير عبد الرحمن بن معاوية اللذين أكرماها و أنزلاها مكانتها الاجتماعية ولم يهضما حقها، و اعتبرا بمثابة والي أمرها و بالتالي خضع زواجها لشروط زواج المرأة المسلمة . و قد أثرت سارة القوطية في الحياة السياسية بهذه الزيجات من رجال مسلمين، فعيسى بن مزاحم مشرقي تزوجها في المشرق. و كانت هي السبب المباشر لدخوله الأندلس و أنجبت أولاد أندلسيين عرفوا بالمولدين .[1]

و ترجع أهمية زيجات "سارة" في أن الكثير من المؤرخين يعتبرونها البداية الحقيقية لاختلاط الجنس العربي بالجنس الأسباني و الذي نتج عنه "العنصر الجديد في المجتمع الأندلسي الذي عرف بجيل المولدين و من أشهرهم : أبو بكر بن القوطية من زوجها الأول ، و من عمير بن سعيد زوجها الثاني و هو جد بني سعيد: بني حجاج، و بني مسلمة، وبني حجر الجزر . و للإشارة إن عمير بن سعيد كان له أولاد آخرين من امرأة أخرى ؛ و لكن لم يشَرفوا مثل أبناء سارة و هذا على حد تعبير حفيدها المؤرخ أبو بكر ابن القوطية .

و حافظت" سارة" على شرف نسلها في المجتمع الأندلسي ،لاسيما أن الإسلام لم يفرق بين العرب و العجم إلا بالتقوى ؛ و بما تضافر لديها من الجرأة و الإيمان بعدالة قضيتها و استرجاع مكتسباتها من أراضي و أموال . و تكللت مساعيها بالنجاح وامتدت أثارها في نسلها من مولدين الأندلس ، [2] و لذا قيل رغم زواجها من الجنس العربي إلا أنه يسري في عروق نسلها من المولدين الدم الإسباني.![3]

ويبدو دور المرأة واضحا من خلال تأثيرها إيجابا أو سلبا على الرجل ومحاولة نفوذها في مشاركتها في سياسة الأمور؛ فعندما دخل الأمير عبد الرحمان (صقر قريش) الأندلس أهديت له جارية جميلة فنظر إليها و قال: "إن هذه لمن القلب و العين بمكان ، و إن لهوت عنها بمهمتي فيما أطلبه ظلمتها ، وإن لهوت بها عما أطلبه ظلمت مهمتي فلا حاجة لي بها الآن ". لكن هذا النهج المؤقت حاد عنه بنو أمية من بعده. [4] وإن كان عبد الرحمان الداخل مؤسس الإمارة الأموية تفادى هذه الجارية خوفا من تأثيرها السلبي عليه في بداية إمارته فقط ، إلا أنه في المقابل لم ينس فضل دور امرأة أخرى و هي

[1] Guichard pierre : opcit,p142.

[2] Dufourcq : La vie quotidienne: p11 .

[3] Sanchez Albornoz :opcit,p 40. Guichard pierre : opcit,p142

[4] محمد بن صالح السياجي ، **أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس**،مجلة البيان، العدد 48 ،1412ه/ 1992، ص20 .

"**كفات**" المرأة المنقذة له عندما فرّ عبد الرحمان من الاضطهاد العباسي في المشرق ولاحقه جند ابن حبيب بحثا عليه لقتله؛ [1] لجأ عند أخواله بقبيلة "نفزة " بالمغرب ـ لكون أمّه كانت من سبيهم ـ . فلم يكن له بد من النجاة من الجند إلا عند خالته "كفات" التي خبأته تحت ثيابها أثناء تفتيش بيتها .[2]

ولولا أن سخر الله "كفات" لإنقاذ عبد الرحمان ،ما كانت لبني أمية قائمة في الأندلس. ولم ينس لها عبد الرحمان أمير الأندلس هذا الجميل، فلما زارته في قصر إمارته رفقة زوجها "أبو قرة وانسوس البربري، و ذكرها عبد الرحمان بصنيعها و مداعبا لها: "لقد عذبتني بريح إبطيك يا **كفات** على ما كان بي من الخوف وسعطتني من ريح الجيف". فأجبته بسرعة: " بل كان والله يا سيدي منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك".فاستظرف جوابها و أغضى عن مواجهتها و أكرم ضيافتها. [3] و لم يلاحظ تدخل النساء في السياسة في عهده وعهد ابنه هشام بصورة جلية إلا في عهد الأمير الحكم بن هشام ، حيث برزت شخصية الجواري ومنهن ،

الجارية عجب.

لقد لعبت الجارية **عجب** دورا هاما في بلاط بني أمية عهد الحكم بن هشام ، فهي تعتبر إحدى شهيرات النساء القرطبيات . وقد بلغت من حبه لها و ولهه بها ،أن انشأ لها منية خاصة بها حملت اسمها. كما حصلت قدرا كبيرا من التعليم والتفقه في الدين و العلوم الدينة واللغوية. وتمتعت بمكانة فريدة في حياة الأمير الحكم و ابنه عبد الرحمان الثاني الذي كان يستشيرها في بعض أموره. وكانت لها سلطة على فتيان القصر والحاشية عامة و حتى على بعض الشخصيات الحكومية و على القضاة. [4] وكانت عجب السبب في عزل القاضي محمد بن زياد عن القضاء، و ذلك لمجاملته لها لما كان من أمر ابن أخيها . و الذي شُهد عليه بلفظ، نطق به عبثا في يوم غيث، مُهين للإسلام ، فأمر الأمير عبد الرحمان الأوسط بالقبض عليه

---

1 مجهول، فتح الأندلس،تح مولينا، ص69؛ عنان، دولة الإسلام ع1 ،ق1 ص149، 150؛ عنان ، تراجم ، ص 139، 141،140.

2 مجهول ، فتح الأندلس تح مولينا ص ص 70. 77 ؛ ابن عذاري، البيان ج2ص 41 ؛ مؤنس ،موسوعة تاريخ الأندلس،ج1 ص48؛ عنان ، دولة الإسلام ع1 ،ق1 ،ص 150 ؛ مؤنس، فجر الأندلس ص515.

3 ا لمقري ، نفح الطيب،ج1 ،ص333.

4 (أبو عبد الله محمد) الخشني ، **قضاة، قرطبة**، دار المصرية للتأليف و الترجمة ، 1966، ص 90 ؛ مجهول أخبار مجموعة ، تح الابياري ،ص122؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك، ج1، 387 . Provençal : hist,esp,musl,t 1 p 230.

وبحبسه، فتوسطت له عمته عجب اعتمادا على مكانتها من أبيه راجية الشفاعة و كانت مدللة عليه، فقال لها :" نكشف أهل العلم عما يجب عليه في لفظه؛ ثم يكون الفصل في أمره."

و من أجل ذلك ، أمر الأمير عبد الرحمان والي المدينة محمد بن السليم : أن يحضر القاضي [1] محمد بن زياد و فقهاء البلد؛ فجمعهم في مجلس و حضر حينئذ العلماء . فشاورهم في أمره، و أخبرهم بما كان من لفظ ابن أخ عجب . فتوقف عن الإشارة بسفك دمه القاضي محمد بن زياد، و أبو زيد، و عبد الأعلى، وأبان. و أشار بقتله: عبد الملك بن حبيب، و أصبغ بن خليل. فأمرهم محمد بن السليم: أن يكتبوا فتياهم على وجهها في صك؛ ليرفعها إلى الأمير عبد الرحمان ففعلوا.[2]

فلما تصفح الأمير قولهم، استحسن قول عبد الملك و أصبغ؛ و رأى ما رأيا من قتله؛ و أمر حسان الفتى فخرج عليهم فتى ، و هو يقول لصاحب المدينة: قم فَهِم الأمير ما أفتى به القوم في أمر هذا الفاسق.

و من نتائج هذه الفتية أن عزل القاضي عبد الأعلى قائلا له : اذهب فقد عزلناك، وأما أنت يحي بن يحي: فكان يشهد عليك بالزندقة؛ و من كانت هذه حاله فأحرى أن لا يسمع فتياه. و أما أنت يا "أبان بن عيسى": فإنا أردنا أن نوليك القضاء بجيان؛ فزعمت: أنك لا تحسن القضاء؛ فان كنت صادقا: فما آن لك أن تتعلم الفتيا؛ و إن كنت كاذبا: فالكذاب لا يكون أمينا. و قال للآخر كلاما: أمسك عنه صاحب الحكاية؛ . ثم قال حسان الفتى لصاحب المدينة: الأمير يأمر أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين أي : عبد الملك و أصبغ فأمر لهما: بأربعين غلاما من الغلمان ينفذون في هذا الفاسق، ما رأياه. [3] فخرج عبد الملك بن حبيب وهو يقول:" سب رب عبدناه؛ إن لم ننتصر له: إنا لعبيد سوء. [4] ثم أخرج المحبوس؛ فوقفا حتى رفع فيه خشبته و هو يقول لعبد الملك: " يا أبا مروان ، اتق الله في دمى

---

[1] و هم : عبد المالك بن حبيب ، و أصبغ بن خليل، و عبد الأعلى بن وهب، و أبو زيد بن إبراهيم، و أبان عيسى بن دينار، خشني، قضاة، قرطبة ، ص90 ؛ حسين مؤنس ، **شيوخ العصر في الأندلس،** القاهرة، دار الرشاد، ط 2 ، 1417ه/ 1997م،ص 32.

[2] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص90 ؛ (أبو الحسن بن عبد الله المالقي) **النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس:و سماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا،** تحقيق لجنة إحياء التراث العربي،بيروت، دار الآفاق الجديدة ، ط5، 1403ه/1983م. ، ص56 ؛ حوالف عكاشة ، **جهود الفقهاء المالكية بالأندلس إلى نهاية القرن 4ه/ 10م،**أطروحة دكتورة إشراف لشهب أبو بكر، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، وهران، 1427ه -1428ه/ 2006-2007م، ص 103.

[3] الخشني ، المصدر السابق ، ص 91 ؛ عياض ، ترتيب المدارك ، ج1 ،ص316 .النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص 56.

4 الخشني ، المصدر السابق ،ص 91 ؛ عياض ، المصدر السابق ، ج1، 387 ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص 56.

، إني أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمّدا رسول الله" . وعبد الملك يقول: أ الآن ، و قد عصيت قبل، حتى صلب ... و انصرفا الشيخان.

و يتضح من خلال هذا المثال حاجة السلطة خاصة في عهد عبد الرحمان الأوسط إلى الشرعية في علاقاتها الحسنة مع الفقهاء .ولم يسترض الأمير عبد الرحمان الثاني "عجب" في طلبها رغم مكانتها في القصر فقد أخفقت في تخليص ابن أخيها من حكم الإعدام لاستهتاره بالدين الإسلامي .[1]

الجارية طروب

و من بين حريم القصر أيضا **"طروب"** وهي جارية الأمير عبد الرحمان الأوسط و كانت من أعظم حظاياه عنده، و أرفعهن مكانة لديه وهي أقوى جواريه سلطانا على نفسه. وذلك رغم قلة وفائها له. و قد أنجبت له ولده عبد الله الذي تولى الأمر بعده [2]. وقد عملت بكل الوسائل على أن تضمن له ولاية العهد دون ابنه الأخر الأمير محمد ابن جارية أخرى. فلما عجزت دبرت مؤامرة مع كبير الخصيان لاغتيال عبد الرحمان وابنه محمد ولي العهد.

و كان عبد الرحمان الأوسط كثير الميول إلى النساء، وله ولع عجيب ،و طرب غريب بجاريته طروب. وكان قد كلف بها كلفا شديدا، وهام بها هياما عجيبا.و أعطاها حليا قيمته ألف دينار.[3] فقيل له: إن مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزانة الملك...فأجابهم :"إن لابسه أنفس منه و أرفع قدرا و أكرم جوهرا و أشرف عنصرا ...وهل على وجه الأرض من وجه أكمل الله فيه الحسن ونضرته وألقى عليه الجمال بهجته؟ [4] هذه هي طروب المدللة، مهجة نفس الأمير ،وحياة روحه وشمس نهاره...و لعلها أسرته بسحر لواحظها، فله فيها أشعار كثيرة.منها :

---

[1] خليل إبراهيم الكبيسي ، **دور الفقهاء في الحياة السياسية و الاجتماعية في الأندلس في عصري الإمارة و الخلافة** ، دار البشائر الإسلامية ،ط 1 بيروت، 1425ه/ 2004م، ، ص110، 112.

[2] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح العربي، ص58 ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس، ص117 ؛ ابن حيان ، المقتبس،تح مكي ص166 ؛ ابن عذاري ، البيان ج 2 ص92؛ حوالف عكاشة ، المرجع السابق، ص 97.

[3] المقري ، نفح الطيب،ج 1، ص349 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص114 ؛. ابن سعيد ، المغرب ، ج1 ،ص ص 46، 47؛ جمعة خليل، نساء من الأندلس ، ص292

[4] مجهول ، أخبار مجموعة،تح الأبياري ص123 ؛ المقري ، نفح ،ج1 ،ص 349 ؛ ابن عذاري ، البيان، ج2، ص92 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج1، ص116 ؛ خليل أحمد جمعة ، نساء من الأندلس، ص291 ،292 ؛ راوية عبد الحميد ، المرأة في المجتمع الأندلسي،ص112، 113. Provençal, hist, t1, p276.

إذا ما بدت لي شمس النها   ر طالعة ذكرتني طروبا [1]

و من الطريف من أخبار طروب ،أن خيالها كان لا يفارق خيال عبد الرحمان الأوسط في السلم و الحرب.و كان يلاقي الضنى و القسوة إذا غاب عنها أو خرج غازيا، و مع كل مشاغله السياسية و العسكرية فإنه كان دائما يذكر طروب و يقول فيها شعرا. [2]

و كانت طروب تتدلل على الأمير دلالا عجيبا. ومن ذلك ما مفاده:إن الأمير عبد الرحمان أغضبها يوما لأمر جرى بينهما، فصارمته و هجرته وصدت عنه و أبت أن تكلمه ، ورفضت أن تأتيه ولزمت مقصورتها، فاشتد قلقه لهجرها و صدها وضاق ذرعه من شوقها و حبها.و جاهد أن يترضاها بكل وجه من وجوه الترغيب فأبت هي و أعياه هو ذلك حتى عيل صبر. فأرسل من خصيانه من يكرهها على الوصول إليه،و المثول بين يديه.وعندها أغلقت باب مجلسها في وجوههم، وآلت أن لا تخرج إليهم طائعة مهما كلف الأمر و لو انتهى ذلك بها إلى القتل. [3].

وانصرف الخدم و الخصيان إلى الأمير وأعلموه بما قالته طروب و ما فعلته من إغلاق الباب في وجوههم، واستأذنوه في كسر الباب عليها وإحضارها بقوة إلى مجلسه.لكن الأمير نهاهم عن ذلك و أمرهم بسد الباب عليها من حاجه ببدر الدراهم والمال أي بالحقائب و الصرر المملوءة بالمال ،ففعلوا و بنوا عليها بالبدر .لما وقف الأمير أمامه و كلمها مسترضيا راغبا في المراجعة على أن لها جميع ما سد به الباب.و حينئذ لان قلبها أجابت الأمير إلى طلبه و فتحت الباب، فانهالت البدر والأموال في بيتها. و لما رأت ذلك أكبت على رجله تقبلها، و تسأله الصفح عما بادر منها،و حازت المال كله . [4]

و قال في هذا المعنى شاعره عبد الله بن الشمر شعرا يمدح طروب و يرفع من قدرها وجمالها وأنها أنفس من العقد الثمين: انظر ابن عذاري، المصدر السابق ،ج2 ، ص92.

[1] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح العربي، ص58 ؛ ابن الأبار،الحلة ، ج 1، ص 114، 115 ؛ المقري ،نفح الطيب،ج،1 ص349 ؛عنان ، دولة الإسلام ،ع1 ، ق1 ص278.

[2] ابن الأبار ،الحلة ، ج 1، ص117 ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج1 ص47 ؛ المقري ،نفح الطيب ج3 ، ص 613 ؛ جمعة ، المرجع السابق، ص292، 293 ؛ عنان ، دولة الإسلام ،ع 1، ق 1 ،ص277.عبد الهادي التازي، **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار البيضاء، نشر الفنك، ط 1، 1992، ص 224.

4 المقري ،نفح الطيب، ج،1ص 349 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج2 ،ص92 ؛ عمر رضا كحالة ، **أعلام النساء في عالمي العرب و الإسلام** ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ط4، 1402هـ،4 /1982.

ص 366 ؛ جمعة، المرجع السابق، ،ص296 ؛ بنمليح ، المرجع السابق ،ص105.

[4] مجهول ، أخبار مجموعة،تح الأبياري، ص123 ؛ ابن عذاري ،البيان ، ج2 ،ص 92 ؛ المقري ،نفح الطيب، ج1 ،ص350 ؛ . Provençal :hist, t1 ,p 267 ,268.

لكن السؤال الذي يطرح في ما ذا تستخدم "طروب" كل هذه الأموال، وما مكانتها لدى الأمير من بين جواريه ؟

عاش في قصر الأمير العديد من الجواري وبعض منهن أحبهن الأمير عبد الرحمان وتزوجهن مثل "بهير" أم ولده محمد ولي عهده الذي قال عنها المقري: و أحب أخرى اسمها"مدثرة" فأعتقها و تزوجها. و "المؤمّرة" وأخرى اسمها "الشفاء" ،و أما جاريته " قلم" فكانت أديبة، حسنة الخط راوية للشعر،حافظة للأخبار،عالمة بضروب الأدب.و كان مولعا بالسماع ،مؤثرا له على جميع لذاته إضافة إلى الجارية" فضل" و "علم " [1]. و من كثرة ولعه بالجواري صدرت في إحداهن فتوى القاضي يحي بن يحي الليثي الذي أفتى للأمير عبد الرحمان الأوسط بصيام الكفارة لانتهاكه حرمة رمضان نهارا، وشدد عيله لكي لا يستسهل الأمر لو أفتى له بالإطعام . [2]

أما طروب، فتُعد من الجواري الجميلات اللواتي استأثرن بقلب الأمير وأخذت مساحة كبيرة من حياته ومن قصره، وكان لها سلطة و تأثيرا بالغا على الخليفة. أما تأثيرها السياسي فكانت تبرم الأمور مع "نصر" الخصي * مولى زوجها [3] ، فلا يرد شيئا مما تبرمه. وكان نصر الخصي يخدم طروبا، و يساند ابنها عبد الله الذي كان أبوه عبد الرحمان قد رشحه للولاية بعده. لكن عبد الله كان مستهترا منهمكا في اللذات فكان أولو العقل والنهي يميلون إلى أخيه محمد الذين و ولوه بدلا عن عبد الله ليلة وفاة الأمير.

وكانت طروب من قبل ذلك تصطنع أهل القصر من النساء و الفتيان وأكثر الخدمة طمعا في تثبيت ولاية العهد لابنها ، ولما عجزت عن تولية ابنها دبرت مؤامرة للتخلص من عبد الرحمان الأوسط وذلك بإغراء الخدم بالمال. وكان "نصر" الخصي مبغضا لمحمد مائلا مع عبد الله ابن طروب فأراد قتل مولاه والأمير محمد إرضاء لطروب و حفاظا على مكانته في القصر.و أما ولي العهد الأمير محمد، فاختلف في اسم أمه ،فقيل "تبر" أو "تهتز" أو" بهير" وهذا الأخير

---

[1] ابن عذاري، البيان ، ج2ص93؛ المقري ، نفح الطيب، ج1 ،ص350 ؛ منجد مصطفى بهجت ، أعلام النساء ،ص109،108.

[2] أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** مج 1، تح محمد سالم هشام، بيروت، دارالكتب العلمية ، 1418ه/ 1998م ،ص 310؛ الكبيسي ، المرجع السابق، ص211.

* ويكنى أبو الفتوح و ذكر الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن حزم أن نصرا هذا الذي إليه تنسب منية نصر_ الأثير_ عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم، و كان من الفتيان المنتقين الذين خصاهم أبوه الأمير الحكم من أبناء الناس الأحرار الذين تعبدوا ليستخدمهم داخل قصره .و أبوه المعروف بأبي الشمول من أسالمة أهل الذمة من أهل قرمونة، نال بابنه نصر دنيا عريضة، و كان موته قبيل مهلك نصر ابنه بأيام. و أخبار "نصر" كثيرة. انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس، ص 117 .

[3] ابن حيان ،المقتبس،تح مكي ،ص149 ،150. 166؛ عنان، دولة الإسلام ،ع ،1 ق1 ،ص277.

هو الأرجح. وأرضعت وليّ العهد جارية أخرى و هي "الشفاء" و كانت جميلة تقية و عاقلة. و"الشفاء" خرجت مع زوجها الأمير في إحدى غزواته فأصابها المرض، فأعادها إلى قرطبة لكنها ماتت في الطريق و دفنت في قرية مجاورة لقرطبة. [1]

و حكى الحسن بن محمد بن مفرح في كتابه قصة مهلك نصر هذا سنة 236ه/ 850م ، فقال: كان السبب في مهلك نصر الفتى الكبير الغالب على الأمير عبد الرحمن بن الحكم المظاهر لسيدته طروب حظية الأمير عبد الرحمن. [2] فأتى الأمر بقتله عن طريق طبيب الأمير المعروف بالحرانى[3]، و كان يثق به، فخلا معه و قال له: " ما رأيك في شيء تحوز به حسن رأيي، و تعجيل العطاء الرغيب مني، و تعتقد المنة علي؟ فقال: " يا سيدي. بعض هذا غاية أملي! فكيف لي ببلوغه؟

فقال له: " فقد أمكنك! فخذ هذه الألف دينار ابتداء، فأصلح بها من شأنك، و اعمل لي سنون الملوك، من أجل ما تقدره عليه ، فيدك فيما عندي منطلقة! فأعده لميقاتك الذي أعرفك به.[4] فلم يخطر على عصيانه، و أراه الرغبة في صلته، و الحرص على قضاء حاجته، و قبض الألف منه، وعمل له سنون الملوك كما أراده . [5] و اتفق أن شكا الأمير إلى نصر فتورا يجده، فأشار عليه بالدواء المسهل، و كان من عادته، فذكر بإدخاله، و أوصل إليه طبيبه الحرانى، فوافقه على إدخال الدواء، و حد له تقديمه، و رسم له التوحش لإدخاله ليوم سماه، فتقدم الأمير إلى نصر بإدخال الحرانى إلى خزانة الطب، و تمكينه مما يريد من أخلاط دوائه ليقيمه على حده. فشرع الحرانى في ذلك، واحتال في أن دس في خفية إلى " فجر" حظية الأمير عبد الرحمان و ضرة "طروب" مع بعض من كان يستطب لها عنده من ثقات قهارمتها يشير لها على ما دبر ضد الأمير. فأمكنت الحرانى منها فرصة و أوحى إليها بشأن الدواء، وأوصاها أن تحذر الأمير من شرب أي دواء يأتيه به نصر أو يرسله إليه وأن يعمل على أن يبدأ بسقي نصر من هذا الدواء، فبلغت " فجر" الأمير بذلك خفية . [6]

---

[1]. ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس، ص 117 ؛ ابن حيان، المقتبس، تح مكي ص 149 ؛ ابن سعيد ، المغرب ،ج 1 ص 52؛ ابن الأبار ،الحلة السيراء، ج 1 ، ص 114.

[2] ابن القوطية ، المصدر السابق ، تح عبد الله أنيس، ص 117 ؛ العبادي ، في التاريخ العباسي ووالأندلسي ص365 ؛ عنان ، دولة الإسلام ،ع 1 ، ق 1، ص277؛ provençal:hist, t 1,p 276

[3] صاعد الأندلسي،**طبقات الأمم** ، تحقيق حياة بوعلوان، بيروت ،دارالطليعة للطباعة والنشر،ط1،1985،ص186.

[4] ابن القوطية ، المصدر السابق، عبد الله أنيس ، ص117 ، 118.

[5] ابن القوطية ، نفس المصدر ،تح عبد الله أنيس ص 117 ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ،تح مكي، ص151 ،166؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج1 ،ص49.

[6] ابن القوطية ، المصدر السابق ،تح عبد الله أنيس ، ص 117، 118 ؛ ابن حيان ، المقتبس ، تح مكي ، ص 150، 151 ؛ دوزي ، المسلمون في الأندلس، ج 1، ص97.

وبَكَّر نصر إلى الأمير بالشراب المسموم في يوم موعده، لكن أظهر الأمير وعكا و امتنع عن شربه. و أمر لحينه نصرا بشربه وأكرهه عليه حتى شربه و أسرع نصر بالخروج إلى داره، و بادر الإرسال في الطبيب الحراني، فعرفه ما جرى عليه، و إستغاثه، فأمره بشرب لبن المعز، فآل إلى أن طلب له وجئ به، فأعجل عليه السم، فمات، و لم يشربه [1]. و هلك "نصر" بدل الأمير و هذا الفعل هو ما ينطبق عليه القول الشائع" من حفر بئر لأخيه وقع فيه"، و قد ارتاح الناس لموت نصر.

و من أسباب تلك المؤامرة أن للأمير عبد الرحمان الأوسط الذي لم يعمل على تعيين احد أبنائه وليا للعهد بصفة رسمية؛ مما ترك الساحة خاوية للمشاحنات بين نسائه،ومحاولة كل واحدة أخذ ولية العهد لابنها. وكان الأمير يظهر ميله لابنه محمد مما جعل "طروب" تدبر تلك المؤامرة للتخلص منهما. 3 لكن الغريب في الأمر أن المصادر العربية و في مقدمتها "ابن القوطية" لم تذكر ما حدث لطروب بعد إفشال هذه المؤامرة وموت الفتى "نصر".

و يبدو أن الأمير عبد الرحمان الثاني لم يعاقب طروب على تواطئها في المؤامرة للتخلص منه، وعفا عنها ،و تغلب حبه لها على عقابها ولم يمسسها بسوء. لكن توفي عبد الرحمان الأوسط فجأة عام(238هـ/ 852م) الأمر الذي يدعو للشك في موته المفاجئ، إن لم يكن مؤامرة أخرى دون علم طروب ؟ لأنه لما اطلع أكابر الفتيان على وفاته أغلق أبواب القصر، وأبلغ باقي الفتيان بالحدث و ستروا موته ولم يبلغوا أي من حريمه و لا حتى طروب سيّدتهم. وأسرعوا في تدبير الأمور لصالحهم، ورفعوا أصواتهم بلسان واحد :"و سيدنا وابن سيّدتنا المربية لنا والمحسنة إلينا." فأجابه أحدهم وكان ذو فضل :" أنا على رأيكم ، وإني أشكر السيدة لفضلها على دونكم ...و لكن قد علمتم عبد الله و حاله من استهتار و فسوق... ، وخوّفهم من سوء عاقبتهم إذا ولي الأمر... و تشاوروا بينهم و بعد حوار حاد وجاد اتفقوا على العدول على الأمير عبد الله و استُحْلف الفتيان على المصحف على مبايعة الأمير محمد، ولما أخذ أكابر الفتيان موثقهم قصد الأمير محمد يبلغه بوفاة والده و بنيتهم في توليته الحكم من بعده ؛ [2]

---

[1] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ،تح عبد الله أنيس ص 117، 118؛ ابن حيان ، المقتبس ،تح مكي ، ص 150، 151؛ العبادي ،في التاريخ العباسي و الأندلسي، ص 364 ؛ Provençal, hist; t1, p276.

[2] ابن القوطية، ، المصدر السابق ، تح عبد الله أنيس ، ص 118، 119، 120. ابن حيان، المقتبس ، تح مكي ،ص 153 ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ،ج1 ،ص52 ؛ عمر مصطفى لطف ،**تاريخ الصقالبة في الأندلس دراسة تاريخية جديدة**،ط 1 ، مركز البرنس للطباعة، (د.م. ط.) 1423هـ/2003م، ص28 ؛
Provençal : hist , t1, p276.

لكن كان محظور عليه دخول قصر أخيه عبد الله حيث توفي الخليفة إلا أن الفتيان استعملوا الحيلة لإدخاله و هم أدرى بكل شؤون القصر و ما فيه و بعلاقات أفراد الأسرة .

و منها أنه كان لمحمد بنت صغيرة يأنس بها أبوه عبد الرحمان الأوسط ، ويبعث فيها لقصره ،وما استطاع الفتى سعدون إدخال الأمير محمد إلى قصر الإمارة إلا وهو متنكرا في زيي إبنته. فقد كان الطريق إلى القصر محفوف بالمخاطر من كل النواحي . وكيف يتسنى له عبور باب قصر "طروب " و ابنها عبد الله التي تسعى أن يكون ولي العهد و كانت من قبل دبرت محاولة قتله !!! كما سبق ذكره.

ولما وصلا في أ سطوان باب الجنان، أوقفهم عبد السلام البواب و قال لكبير الفتيان سعدون :"أرى شخصا غير شخص الابنة التي كانت تدخل علي. وليس و الله يجاوز هذا الباب أحد إلا من أعرفه .

فقال له : "و يحك هذا يكشف الحرم؟ وحينئذ قال له الأمير محمد:" يا ابن عبد السلام اتقي الله ، فإني أتيت لوفاة والدي رحمه الله. وبعدما تأكد البواب من وفاة عبد الرحمان الأوسط ، أدخل محمد و الفتى سعدون لرؤية الأمير؛ و بعد تعزية الأمير محمد تمت له البيعة في تلك الليلة.[1] و يبدو أن وفاة عبد الرحمان الأوسط ما هي إلا مؤامرة أخرى دست له في قصره، من ورائها "طروب" لكن هذه المرة لم تنكشف أسرارها و لم تذكرها المصادر . و مما يؤكد هذا الطرح أن طروب" لم تكف عن محاولة فرض ابنها ، فقد عملت ما بوسعها لإعلان ذلك بمساعدة اثنين من فتيانها ، هما سعدون و قاسم لكن مساعيها باءت بالفشل.[2]

بعد وفاة عبد الرحمان الأوسط لم تشير المصادر لشيء من أخبار" طروب" ، يظهر أن سلطتها قد انقطعت بانقطاع حياة زوجها،و لا يعلم على وجه التحديد متى توفيت ، لما آلت الأمور لمن كانت تبغضه و تحرمه من ولاية العهد ؛ و بعد أن تولى عنها فتيانها من الصقالبة الذين كانوا أداة طيعة في تنفيذ أوامرها و الذين تحولت وجهتهم لنصرة و خدمة الأمير محمد حفاظا على مصلحتهم.

<u>أَثْل البربرية</u>

---

[1] ابن حيان، المقتبس ، تح مكي ،ص 116،153 Provençal : hist ,esp,musul, t1, p276.
عمر مصطفى لطف ، المرجع السابق، ص 29، 30؛ دوزي ، المرجع السابق،ج1 ص ص 113، 116.

[2] ابن القوطية ، المصدر السابق ،تح عبد الله أنيس ، ص 119 ؛ دوزي، المرجع السابق ، ج1، ص 112.

هي إحدى زوجات الأمير محمد* بن عبد الرحمان الأوسط . و يبدو انه كان له عددا كبيرا من أمهات أولاده، و ذلك اعتبارا لعدد أبنائه الذي بلغ ثلاثة وثلاثون ذكور، وإحدى و عشرون بنتا.[1]
وتعتبر"أَثْل" من أندر النساء البربريات في القصر الأموي،[2] و التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية وهي "أم الأمير المنذر بن محمد.[3] و رغم اختلاف تسميتها ، وقيل اسمها "عشار"، تتفق المصادر في إبراز دورها، و قوة شخصيتها في تحقيق طموحها ولكن تعتبرها بعض الدراسات رومية الأصل، و يمكننا الكشف عن أصلها الحقيقي
من قصة حياتها التي تتلخص فيما يلي:

" يحكى أنه ألقي في روعها أنها ستكون أم خليفة، فكانت تتكبر على قومها بذلك و تستحقرهم ، فأخذها خال لها فسار بها إلى قرطبة وباعها، و اشترتها "سكن" أم الوزير هاشم بن عبد العزيز[4] و بعثتها إلى ولدها هاشم، و كان جميل حسن الوجه ؛ فنظر إليها فوجد جارية شمّاء شهماء ذات همّة تلبي على ظفران. و رغم المكانة الاجتماعية لهذا الوزير و حسن جماله إلا أن "أثل " ترفعت عنه وامتنعت وواجهته بكلام منيع و لاذع [5] لم يتعهد ذلك من جواريه، قائلة:

" لا طمع للرجال في و لا لي طمع فيهم، و لا أرضى بالرق لك و لا لمثلك، و إنما أريد خليفة فانه ،لا بد لهذا الوعاء من خليفة يحمله و أنت لست منهم و لا من أبنائهم". فغاظه ذلك، و أعاد الكرة معها عدة مرات دون جدوى، فضربها فأدمها، و قالت حين رأت الدم:

" ما أخلك تسلم من يد من أسلمت أمّه إلى ما هي فيه" ـ تعني لولدها الخليفة في المستقبل ـ، فضحك و تركها استهزاء بها. وفي حين جمعت أثوابها عليها

* محمد بن عبد الرحمن حكم سنة(238ه -273ه/ 852-886م) و كان ألين الخلفاء بالأندلس وأكثرهم تنزيها و تثبيتا وأناة وكان البغي ساقطا عنده . مجهول، فتح الأندلس ، تحقيق ، لويس مولينا تحقيق ، لويس مولينا ،ص 113 ؛ابن القوطبة ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح العربي، ص 170-172 ؛ ابن الخطيب ،أعلام الأعلام ، ص 23،20؛ ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص169 .

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج 2 ص 93-94 ؛ ابن سعيد،المغرب ، ج1 ، ص52، 53.

[2] ابن حزم ، نقط العروس، ص 193؛ مجهول ، تاريخ الأندلس، تح عبد القادر بوباية ، ص 196

[3] كان المنذر من أجود ملوك الأندلس ولد سنة 229ه /841م و توفي في 275ه/888م. تولى الحكم في 273ه و الذي دام سنتين غير خمسة عشر يوما.انظر ، ابن حزم ، نقط العروس ، ص 193 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج 2 ص114 ؛ ابن قوطبة، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح العربي، هامش 2 / ص 75 ، و ص 82 ،174.

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ص 105 ؛ ابن حيان ، مقتبس،تح مكي ،ص 11 ،15 ؛ ابن الخطيب ،أعلام الأعلام، ص 24 .

[5] مجهول ، تاريخ الأندلس، تح بوباية، ص 197.

و خرجت إلى دار ابن سليم و عرفته بأمرها و أنها امرأة حرة، فأوصلها إلى محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الذي اتخذها زوجة و أنجبت له ولي عهده " المنذر" ، و ولدته لسبعة أشهر. و أكمل الله لها مرادها. [1]

و لم تذكر المصادر بعد ذلك عنها شيء أو عن نفوذها أو تربية ابنها إلا أنه لم يسلم الوزير هاشم من يد الخليفة المنذر الذي لقي حتفه على يده لما ساء ت علاقته به وقتله، و بذلك لم يذهب دم" أثل "سدى ، و تحقق ما توعدته به في شبابها من قبل بحيث ثأر لها و لدها المنذر ممن أذاها في شبابها. [2]

و رغم المعلومات الشحيحة عن هذه المرأة البربرية إلا أنها تعد ممن تميزن بالصبر و رباطة الجأش والتأني في تحقيق هدفها ودفاع عن حريتها. إنها صممدت على أنها ليست جارية تباع بيع الرقيق و تعامل بالذل و الاحتقار ؛إنما رأت في بيعها من طرف خالها الحل الوحيد للوصول لبيت الإمارة نظرا لما كانت تتمتع به الجواري من حظوة لدى الأمراء و لما كان يجلو في خاطرها من طموح. وبولادتها للأمير المنذر تكون هذه المرأة البربرية قد ساهمت في أن تكون عضوا في الأسرة الأموية الحاكمة .

وهذه الحقيقة التاريخية التي وردت في المصادر العربية ، قد أغفل عن ذكرها جلّ الدارسين لأمهات الخلفاء الأمويين.و أذكر من الباحثين "ليفي بروفنسال" الذي يقول بأن كل أمهات أولاد الخلفاء الأمويين هن إفرنجيات.مثلما وصفت "سحر سالم" في دراستها للزواج المختلط ،"أن أثل أو "عشار" جارية إسبانية أصبحت أم ولد من الجواري الشهيرات لدى عبد الرحمان الأوسط . وهذا السند غير صحيح إنما هي أم ولد لابنه محمد السالف الذكر. أما راوية عبد الحميد فلم تذكر إطلاقا أنها بربرية [3] ، و باستثناء دراسة محمّد حقي الذي يرى أن شعور البنت بكونها أماً لخليفة دفعها إلى احتقار أبناء قومها ، يعني رفض الزواج منهم ، و هو ما يعني الخروج عن تقاليد القبيلة و تمردا عليها ؛ و هذا ما يعتبر عار و فضيحة فلابد من التخلص منها و دفن العار بطمس انتساب البنت إليهم.[4] و للأسف لم توفينا المصادر إلا القليل عن أخبار أثْل البربرية.

دُ ر أو "ونقة" بنت فرتون البشكنيسية.

[1] ابن عذاري ،البيان ، ج2 ص 105؛ مجهول ، تاريخ الأندلس، تح بوباية ، ص263.
[2] ابن الخطيب ، أعلام الأعلام ص 24 ؛ انظر سبب قتل الوزير هاشم عند ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح العربي، ص 71/ هـ 2، ص 174؛ ابن سعيد ،المغرب ج1 ص53.
[3] سحر عبد العزيز سالم ، الجوانب الإيجابية للزواج المختلط ، ص 35.؛
. Provençal: hist,t3,p179. ؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع، ص116.
[4] محمّد حقي، البربر في الأندلس ، ص 105، 106

هي بنت ملك نافارا، فرتون بن غرسيا Fortun Garces المعروف بالأنقر ،الذي وقع في أسر المسلمين وأقام بقرطبة عشرين سنة. و زوج ابنته "ونقة" onneca و بالإسبانية الحديثة Iniga "الأمير الأموي "عبد الله بن محمد جدّ الخليفة عبد الرحمان الناصر،و ذلك قبل أن يتولى الإمارة الأندلسية.[1] و أطلق عليها اسم "در" وأنجب منها ولده محمد والد عبد الرحمان الناصر*.[2]

و ونظرا لصلة القرابة التي ربطت الناصر عن طريق هذا الزواج فقد لجأت إليه الملكة "طوطة" "dona toda " ملكة البشكنس ، و الوصية على عرش نبرة في سنة 347ه/958م في رفقة حفيدها شانجة المعروف "بسانشو السمين" " Sancho el craso"" الذي عزل من قبل نبلاء ليون و قشتالة عن عرش نبرة وليون، و ولوا مكانه أخاه " أوردونيو الرابع. وترجع صلة القرابة عن طريق " در" التي تزوجت في صباها و قبل أن يتزوجها الأمير عبد الله ، من" أثنار سانشيس" " aznar sanchez" وأنجبت منه "طوطة" ملكة عرش نبرة . وبذلك أصبح الأمير محمد والد عبد الرحمان الناصر أخا لطوطة من أمه و بالتالي فهي عمة الناصر. وقد أكرم الناصر وفادة عمته و حفيدها . و كان من نتائج هذه السفارة أن عقدت محالفة بين الناصر و بينهم . و كسب الناصر سنة 350ه/ 961م من ورائها حصونا في مملكة شانجة مقابل مؤازرته لهم والعمل على استرجاع عرش أخيه.[3] و أم

---

[1] (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة) الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق الابياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتان اللبناني ، بيروت ط 3، 1410ه/ 1989م، ص 39 ؛ ابن عذاري، البيان ج 2، ص 97؛ عنان ، تراجم ص172. Provençal : hist, 1t. p278. ؛ رجب محمد عبد الحليم ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية، ص152.

* ولد عبد الرحمان الناصر في 22 رمضان عام 277ه/17 –1 –891م لو يكن ابنا لعبد الله آخر الأمراء الأمويين،إنما كان حفيدا له .مات والده في ظروف غامضة عند اشتراكه في مؤامرة ضد أبيه عبد الله فقتله. ويبدو أن الأمير عبد الله أحس بتأنيب ضميره فكفر عن ذلك بالمبالغة في العناية بعبد الرحمان. بويع عبد الرحمان في ربيع الأول عام 299هـ/أكتوبر عام 912م وعمره أربع وعشرون سنة ،ولم يعرض هذه البيعة أحد من أعمامه نظرا لما ساد الفترة من الاضطرابات.استمر حكمه خمسين سنة وستة أشهر.أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ، العقد الفريد،ج5،ص239 ؛(أبو الوليد عبد الله بن محمّد.)ابن الفرضي ،**تاريخ علماء الأندلس**، ج 1، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني،ط 2، 1410ه/ 1989 ص 14، 15.

[2] ابن حزم ، جمهرة الأنساب، ص100؛ مجهول ، تاريخ الأندلس،تح ، بوباية، ص206 ؛ ابن عذاري ، البيان،ج2،ص156 ،157 ؛ المقري ، أزهار الرياض،ج2،ص258 ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة،مج 3،ص460 ؛ عنان ،تراجم إسلامية ص167 ؛ Provençal : hist,t3,p71.

[3] ابن حيان ، **المقتبس في أنباء أهل الأندلس ج5 ،(من 300ه – 330ه)** نشره ف. كورينطي وم.صبح و غيرهما، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، كلية الآداب ، الرباط، 1979 ، ص 402؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 2،ص120، 121 ؛المقري ،نفح الطيب ،ج 2، ص156.

عبد الرحمان الناصر هي أيضا جارية اسبانية نصرانية تدعى "ماريا" أو "مزنة "حسب الرواية العربية.[1]

لقد برهن عبد الرحمان الناصر عن حنكة سياسية داخل الإمارة الأندلسية بإدراكه الضعف الذي وصلت إليه الإمارة, فأعاد الوحدة السياسية للإمارة الأموية[2] وتحويلها إلى خلافة أموية سنة 316ه/929م.و أصبح عصر الخلافة عصر النضج الحقيقي في جميع النواحي ومنها الجانب السياسي[3] . الذي طالما تتدخل فيه النساء من أجل ارتقائهن بالتآمر و المكائد السياسية و الجوسسة .فقد قدر عدد نساء قصر الزهراء بستة آلاف وثلاثمائة امرأة (3600) من النساء الكبار والصغار وخدم الخدم[4] . فكيف كانت طبيعة العلاقات بينهن و ما هو الوجه الأخر للخليفة الناصر بين حريمه ، ومن هن النساء اللائي كان لهن دور فعال في حياته والتأثير على سياسته ؟

لقد ذكرت المصادر بعض أسماء من حريمه مثل : فاطمة القرشية بنت عمه زوجته و "مرجان" و "مشتاق" و هما أمهات أولاده و جواري أخريات. و لم تخف المصادر التاريخية ذكر المعاملة السيئة التي تلقاها الناصر من إحدى عماته في صغره. فذكر ابن عذاري المراكشي عند وفاة السيدة بنت الإمام عبد اللّه (سنة 319ه/ 931م) و هي عمته بأنها طالبته في أيام أبيها ـــأي جدّ الناصر ـــ وآذته وكانت تبغضه . ولما ولي الناصر الحكم كانت تتخوف من انتقامه ومعاقبتها لسوء معاملتها له. لكن الأمر كان غير ذلك،و بالعكس فقد رفع الناصر من منزلتها و مكانتها واختصها في جملة من اختص من أهله و بنات عمه، و يأخذ بمشورتها حتى صارت أقربهن منه و ربما توثقت هذه العلاقة أكثر بعد أن فقد الناصر ابنته "عائشة" في رجب سنة (305هـ/917م)[5] لكن الأمر يختلف مع عمة أخرى التي أخرجها الناصر من القصر، لأن عمه أي شقيقها تولى قتل أبيه. فلجأت إلى

---

[1] ابن حزم ، نقط العروس، ص 193.

[2] استمرت هذه الفترة مدة 62 سنة من(238هـ ـ300ه/852م ـ912م) تولى خلالها الحكم ثلاث أمراء .و يمكن تسميتها بفترة ضعف سلطة الحكم المركزي في قرطبة .ولما بلغه ضعف الخلافة بالعراق وظهور الشيعة بالقيروان تسمى بأمير المؤمنين وتلقب الناصر لدين الله. الضبي، بغية الملتمس ،ص 39؛ ابن الأبار الحلة ، ج1 ص198 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ،ج2 ،ص92،93 ؛ ابن خلدون، تاريخه،ج 4، 178، 180، 182،184 ؛ عصام شابرو،المرجع السابق، ص147.

[3] انظر الخريطة السياسية للأندلس في عصره الذهبي ، رقم 4

[4] المقري ،أزهار الرياض،ج2،ص 268 ؛ عمر مصطفى لطف ، المرجع السابق، ص 34.

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ص 206 ؛ المقري ، نفح الطيب ،ج1 ص265 ؛ المقري ،أزهار الرياض، ج2ص 268 ؛ عنان ، تراجم ص189 ؛ مليحة رحمة الله ، المرجع السابق ص 125.

موسى بن حدير الذي أواها إلى أن ماتت في داره.[1] أما قريبته فاطمة كانت لها معاملة خاصة.

فاطمة القرشية :

هي من قرابة الخليفة الناصر لدين الله فهي بنت أخي جده الأمير المنذر بن محمد .كانت السيدة الوحيدة الحرة في القصر. وقد شغف بها لأول خلافته قبل من استحظاه بعد من كرائمه ،لما كانت من أول نسائه.تزوجها بقصر الخلافة حيث مسكنه فيه في كنف جده الأمير عمها الذي تبنها بعد مهلك أخيه المنذر- والدها- وكفلها و أسكنها معه وأحسن إليها. وتزوجها الناصر لما أصبح الأمر إليه [2] . و ولد له منها ابنه "أبو الحكم المنذر بن عبد الرحمان المعروف بابن القرشية و إحتباها الخليفة لقرابتها وكلف بها و متعها حقلا لها. وكانت فاطمة من أكرم عقلاء بني أمية و أسراهم إلا فيما لا تسلم النساء فيه من ضعف رأي... و ذلك ما يتضح من قصتها مع الجارية مرجان. [3]

مرجـــــــان:

قيل عنها هي الزائدة الحظوة على جماعتهن لديه و لقبت " بأم الكرم." ولدت له من الذكور "الحكم" و لي عهده ، و شقيقيه عبيد الله و عبد العزيز،و المتميزة عن جميع ضراتها بولادة بكره المحظوظ بولاية عهده و وارث سلطانه، من بعده فرقّاها الناصر بمتانة أسبابها و مزية رجحانها فوق مرتبة جميعهن و سماها السيدة الكبرى دونهن، و ذلك عندما إتضعت لديه حرّته القرشية الفذة في نسائه بالحرية التي تخطت جماعة نسائه إليها.و نالت مرجان الحظوة لدى الخليفة الناصر أولا، بولادتها لولي عهده "الحكم"؛ وله منها بنتين هما " هند" و " ولادة".[4]

و ثانيا، بمنافستها لكل نساء الخليفة و خاصة لزوجته الحرة فاطمة القرشية. و يورد لها ابن حيان قصة مطولة في الوسيلة و الخطة التي سلكتها و طبقتها الجارية مرجان و استطاعتها إزاحة ضرتها فاطمة القرشية من مكان الصدر و الاحترام و الوفاء لدى الخليفة الناصر لتحل هي محلها أو أكثر، بحيث الخليفة ترك و كره فاطمة القرشية إلى الأبد دون الرجوع في حكمه عليها رغم أنها من قرابته و من الحرائر النساء. وتفطنت مرجان لنفسية القرشية التي تميزت بالإعجاب بنفسها

---

[1] ابن حزم ، نقط العروس ، ص 106.

[2] ابن حزم، نفسه ، ص 66 ، المقري ، أزهار الرياض، ج2ص 268.

[3] ابن حيان ، المقتبس ،ج 5، نشر . كورينطي ، ص 9 ، 10 Provençal :hist ,esp musl T2 .P121….

[4] ابن حيان، نفسه، ج5 ، ص 13.

و الازدهار لشرفها والثقة بابن عمها و التعاظم بأبيها، فاستغلته للكيد لها.[1] و سعت لاستذلالها عند مليكها حتى أصابت من ذلك غرتها، فهوت لدى الخليفة معاملاتها إلى الحضيض هويا لم تستقله في دهرها. و تفردت مرجان بالأثرة و القيادة من بعدها،و صارت عقبى ضرتها القرشية إذ اعتزلها الناصر لدين الله و أرجأها متروكة في عصمته سابغة القسيم من نعمته إلى أن توفيت في حياته. و هي أم ولده المنذر الذي يعرف بابن القرشية.[2]

و قصة مرجان وارتقائها أوردها ابن حيان نقلا عن الفقيه الحسن بن محمد بن مفرج القبشي الذي عرف ما جرى في قصر الخلافة وفي حريمه عن طريق كاتب الخليفة الذي هو "طلال" الخصي الصقلبي القصري الذي كان من كبار الخدام الصقالبة و عقلائهم و ثقاتهم المتصرفين في خدمة الحريم. قال: "كانت السيدة الكبرى مرجان أم الخليفة الحكم من السريات المفضلات عليهن لفضل أدب كان لها و رشاقة حركة يستحسنها الخليفة الناصر لدين الله ، فلا يزال كذلك يستدنيها كثيرا و يعجب بخدمتها و يكثر تقريبها و تُعجبه لباقتها. و قد كانت أوتيت من الكبابة و الفطنة واللطف و الحلاوة وجمال الصورة و عذوبة المنطق و مِلاحة الإشارة و حلاوة الخلقة أكثر ما أوتيته أنثى.[3]

فكانت صواحبها يستحسنها ذلك و ينافسنها فيه، فتتقوى باستعمال ذلك و تترقى، وتزداد به عند الناصر لدين الله حظوة إلى أن عزتهن جميعا، و اعتلت على عظيمتهن الحرة القرشية، فنالت ذروة السيادة و تفردت بأثرة الخليفة . و كان السبب في إيثاره لها على سيدتها ابنة عمّة القرشية بنت الأمير المنذر و جميع حظاياه، أنه انفرد يوما لراحته في بعض رياض القصر بمن استدعى من جواريه، فقضى و طرأ من لذّته و طرب إلى التحول إلى حرية السيدة القرشية بنت الأمير المنذر بن عم أبيه .[4]

و قال: فلما أن تشوقها الناصر لدين الله في يوم سروره ذلك دعا ببعض الوصائف القوامات فقال لها: انطلقي إلى السيدة الكبرى بعينها فأبلغيها سلامنا و عرّفيها أن ضيوفها الليلة فلتستعد لنا، إن شاء الله".

قال فانطلقت إليها الوصيفة فأبلغتها رسالة الخليفة فاهتزت لها و قالت " يا مرحبا بسيدي و أهلا و كرامة و رحبا، حبّذاها من بشرى أنا لها ساعية و بعرجها طائرة ".

و أمرت للوصيفة بجائزة سنية. و قد اتفق أن صادفت متحملة الرسالة عندها جماعة من كرائم الخليفة الناصر لدين الله و أمهات أولاده حضورا. و فيهن الجارية " مرجان" أُمُ ولي العهد الحكم فيما بعد ، فلم تُمتلك "مرجان" بغالب ظرفها و

---

[1] ابن حيان، المقتبس،ج5 ص 7، 9، 10.
[2] نفسه ، ج5 ص7 .
[3] ابن حيان، نفسه، ج 5، ص 8.
[4] نفسه ج5 ص 10.

مرهق حيلتها أن قامت إلى القرشية مهنئة لها بالفرحة غابطتها بالليلة. فأكبّت على أطرافها مقبلة وقالت: "بارك الله لك" أيتها السيدة الشريفة في هذه النعمة الحادثة و هنّاك هذه البشرى القادمة، و أفرغ عليك فيها الاستحسان و منحك نهاية السرور و الموافقة، طوبى لك أن يكون خليفة الله ضيفك الليلة و تبيتين ضجيعة سيدة البرية، يهنئك يا سيدتنا، و يهنئك ويهنئنا لك و منك.[1]

و ازدهتها أريحية تناولت لها العود فقرعته مغنية بإيقاع هزّ أعطافها بنظم سنح لها :

يا ليلة لو أنها تبتاع أو تشترى شريتها بكل ما أطلبه من المنى

فسكرت من الأريحة مبدئة معيدة، فقالت لها القرشية بفضل وقارها: ويحك، يا مرجان، لقد أفرطت في إطرابي هذه الليلة و ذلك من فرط صلفك و مجونك[2] و أين يقع من أول ليالينا الغراء المخجلة، ليالي الأنس. و ما قد تسرني به، هذه الليلة المزرية بكل لومة و الزائدة على كل خلوة في منزلي عنده و حقي منه. فقالت لها: " يا سيدتي اللذة مع الجدة و النفس موكلة بأذى أحدث منزلة، و الله، أن الدنيا بأسرها لتقل عند ما أحدثه الله لك من هذه النعمة فهنئتها تامة مسوغة و الله لو استعطت شراءها بجميع ما أملكه في وقتي لا أحاشي سوى ثوبي الذي اشتريته لخرجت عن جميعه طيبة النفس و لعددت أني رابحة الصفقة".

فقالت لها القرشية: " ويحك، أتبتاعين مني ليلتي التي أطلت الخطب فيها إن بعتك إياها". قالت:" أي و الله يا سيدتي، فاسأليني ما شئت". فقالت لها القرشية في سبيل الشطط ومعنى المهزلة: " أعطيني بها عشرة آلاف دينار، و أنا أبيعها منك". فقالت:" قد قبلت و اشتريت واغتبطت".

فذهبت مرجان إلى منزلها من القصر فجمعت ما كان عندها من المال كمل عشرين بدرة ملأت عين القرشية و لحقها لحينها الرغبة، فأمرت قهرمانتها بقبضها و قالت لها مرجان: " لا بد لي، و الله، من أن أخذ خط يدك العزيزة، أيتها السيدة الكريمة بيعك مني هذه الليلة و **استحقا** في إياها لأستظهر به عند مولانا أمير المؤمنين فيعطيني بحقي". فاستخفت فاطمة القرشية بالشأن بهذا الطلب، و توكلت على لطفه و قدرت أن فعلها يجري عند الخليفة ابن عمها مجرى عبث النساء المضحكة، فكتبت لمرجان رقعة بخطها وأشهدت لها من حضرها من كرائم الخليفة.

و انصرفت مرجان بالرقعة إلى منزلها، فأصلحت من شأنها و نجدت منزلها ومقصورتها وأعدت عدتها و أبلغت في عطرها و زينتها و قعدت في طريق الخليفة

---

[1] ابن حيان ، المقتبس ، ج 5، ص8 .
[2] ابن حيان ، نفسه ،ج5 ، ص 11.

الذي يقوده إلى القرشية [1] . فلما أقبل الخليفة قاصدا حرّته، تصدت له مرجان في أجمل شارة و أفخر حلية و أسطع طيب فقالت له: " إليّ، إليّ يا بن الخلائف فقد حباني الله بقربك و عرّضني لعدلك و أنت حاكم الحكام و رحمة الله على الأنام فقد اشتريت مبيتك عندي اللّيلة بما حوته يميني و أدّيته فضلا عليه. فعبثت حرّتك ما باعتني و هي لا تدري، و هذه الرقعة تنبئك عن مطلبي فأعطني بحقي" و ناولت الرقعة بخط القرشية و الشاهدات عليها من كرائمه ببيعها منها اللّيلة. فلما نظر فيها عظم عليه فارتد وجهه و هاجت نفسه غضبا على ابنة عمه. ثم تطلق سريعا و ارتياحا لمرجان و عجبا من شرف فعلها بصدق مودتها و قال لها: " يا مرجان أحملتك الرغبة في قربي و الحرص على الاستكثار مني أن بذلت له مثل هذا المال الذي أهديته لك، في ثمن ليلة تعجلتها مني لم تكن لتفوتك بدنوي نوبتك؟ "

فقالت له: " يا بن الخلائف و تراني في فعلي غبية؟ و الله، و الله، و الله أو أني ملكت هذا القصر وما يحويه لما رأيته ثمنا في ساعة أخلص فيها إليك و لحظة أنفرد بها منك، فكيف أن أستكثر ليلة منك بهذا المال الذي جادت به يدك الكريمة ؟ "، قال لها: " وَرِيَت زنادي، يا مرجان فابشري ثم أبشري، فقد ربحت تجارك و زكت صفقتك و دللت على شرفي نفسك و صدق مودتك، و تبت يا ابنة عمي التي جهلت حقي وباعتني بالثمن الخسيس زهدا فيّ، و الحق أولى بي فيك فاقتاديني إلى قصرك، فإني طوع يمينك و حبيس هواك" [2] ثم صار إليها و بات عندها و أطال المقام أياما لديها، و كان ذلك سبب استحواذها عليه و غلبتها على قلبه، و راع لها حق تحببها إليه وازدلافها لديه، فاتخذها سيدة نسائه، و كبرى حظاياه، و قيّمة قصره، و ألقى إليها بمقاليده ووثق بها في سرّه و جهره .[3]

و أخلف لها عاجلا المال الذي حملته إلى حرّته القرشية و أولاها بأضعافه. و لم تزل منزلتها تزيد عنده حتّى ملكت زمام قياده و طاعت له في جميع مراده. فتقدمت لديه جميع نسوانه حتى كانت كرائمه و حظاياه لا يصلن إلى مطالبهن و رغباتهن من الناصر لدين الله إلاّ بشفاعة مرجان و لا يمرضه غيرها و لا يسكن إلاّ إلى علاجها و لا يصيب الراحة إلا بمداولتها و رفقها. [4]

من الطرائف ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر أنه أراد الفصد، فقعد بالبهو في المجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء، و استدعي الطبيب لذلك و أخذ الطبيب الآلة و حبس يد الناصر فمبينها هو على ذلك ، إذا أطل زرزور فصعد على إناء ذهب بالمجلس ينشد. [5] و جعل يكرر ذلك مرة بعد المرة فاستظرف أمير

---

[1] ابن حيان ، المقتبس ، ج 5، ص 12؛ الحبيب الجنحاني ،**الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمان الناصر من خلال المقتبس لإبن حيان**،مجلة المناهل، عدد 29،سنة 11،وزارة الشؤون الثقافية، الرباط ،1404ه/1984م. ص352.

[2] ابن حيان ، نفسه ،ج 5، ص13.

[3] ابن حيان نفسه، ج 5 ص13

[4] ابن حيان، نفسه ،ج 5، ص360.

[5] أهدته السيدة الكبرى مرجان أم ولده وليّ عهده الحكم المستنصر بالله، زرزور علمته لينشده:

المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف، و سرّه غاية السرور و سأل عمن أهده إلى ذلك و علّم الزرزور . فذكر له أن السيدة الكبرى "مرجان" أم ولده وليّ عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك و أعدته لذلك. فوهب لها ما ينيف على ثلاثين ألف دينار. و منذ نجاح مرجان في كيدها لفاطمة القرشية ، أصبحت منفردة بالأثرة عن سائر زوجته و بقيت على ذلك إلى أن توفيت؛ فانتقلت الأثرة و الحظوة إلى جارية أخرى المسماة "مشتاق".

تورد المصادر في شأن **" مشتاق"** أنها المقبرة لأمر الناصر لدين الله ـأي ماتت بعده ـ، الغالبة على أمره آخر عمره، و هي أم أصغر أولاده "المغيرة" و هي آخر نسوته في كبر سنه و ابنها كان آخر من أثره من الفريقين و غلب عليه من البشر.

وتمثل هذه الحادثة نوع من الصراع الطبقي بين النساء الحرائر و بين الجواري الحسان اللائي ملأن قصور الحكام، وكيف تستطيع الجارية الداهية الارتقاء في السلم الاجتماعي و تحتل الصدارة في قلب الخليفة.ومن ثم توجه سياسة القصر وفق أغراضها و طموحها. و يبدو من هذه القصة عدم استفادت فاطمة الحرة من نسبها القرشي و لا قربتها من ابن عمها الخليفة الناصر؛ لما استهترت بعواطفه.و فقدت بمقابل عشرة آلاف دينار مكانتها عند الخليفة و تصدرها حريمه. أما الجارية "مرجان "فقد استردت من المال الذي دفعته ،أضعافا ما اشترت به تلك الليلة الخالدة في ذكراها والتي نالت بها مودة ومحبة الخليفة الناصر على مدى حياتها ،و هكذا لم ينفع الجاه مع الغباء و لا المال مع الاستهزاء. ويبقى هذا النوع من الصراع متواصل بين المرأة الحرة و الجارية إلى آخر عهود الإسلام في الأندلس والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها بالخصوص ما حدث في الدولة النصرية بغرناطة .[1]

إن الخليفة الحكم المستنصر بالله هو ابن الجارية "مرجانة" الذي اشترت ليلتها بكل ما امتلكت من مال من فاطمة القرشية. وتدرب الحكم على ولاية العهد فترة طويلة في حياة والده الناصر ، و ولي الخلافة في الأربعين من عمره وشارك أباه ظروف النجاح كلها وظروف البناء كلها. و يبدو أنه تلقى تربية خاصة من طرف والده .[2] و في هذا الشأن يقول ابن حيان

أيّها الفاصد رفقا بأمير المؤمنين إنما تفصد عرقا فيه محيا العالمين ،

المقري ، أزهار الرياض ، ص 265 ؛ و نفح الطيب،ج1،ص360.

[1] مجهول ، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،** ،تحقيق محمد رضوان الداية ، آخر أيام غرناطة ، دار الفكر ، دمشق، دار المعاصر ، بيروت، ط2 ، 2002،ص 49 ؛لسان الدين ابن الخطيب ، **نُفاضة الجراب في علالة الاغتراب** ، نشر و تعليق أحمد مختار ، العبادي ،الدار البيضاء، دار النشر المغربية، (دت ط)، ص45

[2] ابن حيان ، المقتبس، ج5 ص 6.

:"لم يفسح له أبوه الخروج من القصر يوما و لا مكنه مع ذلك من اتخاذ امرأة صغيرة ولا كبيرة استيفاء منه لشدة غيرته عليه...و ألا يشاركه غيره في عنايته. فكان ذلك من أذل الأمور على عزة نفس "الحكم " فأفنى نحبه في تراخي أمر أبيه مطايب عمره وعطل بواطن لذته نظرا لأرث الخلافة ، فنالها عن عمر قالص وشهوة قابضة". [1] و ربما لهذا السبب لم يشهد عهده استكثار الحريم من أمهات الأولاد على غرار من سبقه و من يأتي من بعده من الحكام الأندلسيين ،و استئثاره بالجارية "صبح" دون غيرها من بنات جنسها التي استحوذت عليه قلبا وقالبا.

لكن الشواهد الأثرية المادية تفيدنا بمعلومات عن جارية كانت أم ولد قبل صبح ؛ وردت عند بروفنسال من خلال دراسته الأثرية لشواهد القبور ، ولم تذكرها المصادر المكتوبة . و شاهدة القبر موجود في قرطبة و يرجع إلى نصف القرن 4ه/ 10م، ينص على معلومة دفينة قبر لأم ولد الحكم و مكتوب عليها ما يلي :" هذا قبر "شكرا البلاطية ...أم ولد ابن الحكم أمير المؤمنين رحمه الله عليهم أجمعين... و توفيت يوم الخميس."[2] وتوفي الابن صغير و ربما هذا ما يفسر رغبة الحكم الشديدة في الولد من الجارية صبح من أجل الحفاظ على ولاية العهد. و هذا الأثر التاريخي المادي يفند ما نصت عليه كثير من المصادر المكتوبة ،أن الحكم كان لا يولد له .

صُبـــــــح

قامت الجارية "صبح " زوجة الخليفة الحكم المستنصر بالله [3] بدور سياسي هام وخطير بالنسبة للخلافة الأموية في الأندلس. فقد استمرت مدّة طويلة تسيطر بسحرها و نفوذها على خلافة قرطبة و تشترك في تدبير شؤونها في السلم و الحرب مع أعظم رجالات الأندلس كما سيتضح ذلك . و أول ما يتبادر إلى الذهن هو السؤال عن ماهيتها و العوامل و الأسباب التي قدمتها على غيرها من نساء القصر لتصبح "السيدة صبح " أ هو الجمال أو الذكاء أو الحب أو المال؟ و من خلال النصوص التاريخية التي ذكرتها يمكن تقسيم دورها السياسي حسب الفترات التالية و مستحدثات الأمور التي تركت بسماتها عليها، و هي

أ: صبح و مولاها الحكم المستنصر بالله .

ب: صبح الوصية على هشام المؤيد (الخليفة القاصر)

---

[1] ابن حيان ، المقتبس ، ج 5 ص16.

[2] Provençal Levi :
Inscriptions arabes d'Espagne ,E,J,Brill Leyden-Hollande, et imprimerie orientalisme,e Larose, paris, 1931 , p 26,27.

[3] عن حياته انظر ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،ج 1ص 31، 32 ؛ ابن الأبار ،الحلة السيراء ،ج1 ،ص200 ،203.

ج: سياسة صبح مع محمد ابن أبي عامر:

1: المحبة و المهادنة - 2 : الجفاء و القطيعة

أ:صبح و مولاها الحكم المستنصربالله.

يبدو من معنى اسمها أنه كلمة أو صيغة التي تعني الفجر أو الصباح الباكر ربما لإشراقة جمالها، بحيث تجمع المصادر[1] أنها كنت فتاة رائعة الجمال. و أنها جارية بشكنسية أي نافارية و لا تذكر المصادر إن قد استرقت بالأسر في بعض المواقع أم كانت رقيقا بالملك و التداول إلاّ أنها تصفها بالجارية الحظية و أن اسمها "صبح" ترجمة لكلمة فرنجية " Aurore"، و يظهر من هذا أنه ليس الاسم الإسباني التي كانت تحمله صبح ولم توردت لنا المصادر التاريخية غيره. و ظهرت صبح في بلاط قرطبة في أوائل عهد الحكم المستنصر، و كانت مغنية رائعة الحسن والخلال . فشغف بها الحكم، و أغدق عليها حبه و عطفه و كان الخليفة لا يولد له وقد بلغ من العمر ست و الأربعون سنة، و في هذا الشأن يقول ابن حيان لما حملت "صبح":" فسّر به، و بقي يترقبه، فأتت به أول خلافته و سماه عبد الرحمن في (عام 351هـ/ 962م) ،كان الخليفة الحكم شديد الكلف بطلب الولد لعلوّ سنه، فبشر في بعض خلواته باشتمال أم ولده على حمل، سرورا عظيما و لقب حضيته صبح " بجعفر"[2].

و لهذا السبب استأثرت لديه بكل نفوذ و رأي و ازداد هذا النفوذ توطدا و تمكنا لما رزق منها بابنه الثاني هشام الملقب بالمؤيد. الذي سيصبح ولي العهد بعد موت أخيه الأكبر عبد الرحمن صغيرا و الذي حزن عليه الحكم حزنا شديدا. و استحقت صبح وهي حامل بوليّ العهد مدح وزير الحكم في أبيات شعرية.[3]

1- المصادر العربية، ابن حزم ،طوق الحمامة، ص 17 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، مج،7 ص368 ؛ ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2 ص 251 ، 253.

2 يروى ابن حزم أن من شدة افتتان الحكم المستنصر بصبح فقد امتنع عن التعرض للولد من غيرها...، طوق الحمامة ، ص17 ؛ و هذا الخبر يخالف ما سبقه وما يليه من المصادر التاريخية منها ابن عذاري، البيان ، ج2 ص253 .

3 أرسل إليه وزيره جعفر بن عثمان المصحفي تهنئة لصبح حين حملت بهشام: أم ولده:

هنيئا للأنام و لإمام	كريم يستفيد على كرام
مرجى للخلافة و ماء	مأمول لأمال عظام
أضاءه على كريته ضياء	فلم تعلم بغاشية الظلام
و لم لا يستضاء بجانبها	و بين ضلوعها بدر تم

و لكن هل إنجاب ولي العهد كان كافيا لهذه الجارية الحظية في الارتقاء بين النساء القصر الذي كان يعج بالنساء. الجواري و تستأثر بقلب الخليفة الحكم حيث كان يثق في إخلافها و يستمع لرأيها في الكثير من الأمور؟ لكن يبدو أن صبح كانت تتميز عن الكثير من الحريم بذكائها و ثقافتها و طموحها بحيث كانت تشاطره الحديث في كل الأمور. و هذا ما يوحي أنها لم تكن يومئذ جارية أو حظية فقط. بل كانت ملكة قرطبة. و ما يستبدل به على أنها كانت تتمتع في البلاط و الحكومة بما يشبه مركز الملكة الشرعية هو ما نعتتها به الرواية الإسلامية بالسيدة صبح أم المؤيد [1] أو السيدة أم هشام. و تصفها الكتابات الحديثة " بالسلطانة صبح" [2].

و من مظاهر مشاركتها السياسة أنها كانت تشاطر الخليفة المستنصر(زوجها) في الحكم حيث كانت كلمتها هي العليا في تعيين الوزراء و رجال البطانة. و من أبرز هؤلاء الرجال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي كان يجتهد في خدمتها و في إرضاءها ويستأثر لديها و لدى الخليفة الحَكَم بنفوذ كبير الذي لم يصل إليه إلاّ عن طريق" صبح". كما عيّنت محمد بن أبي عامر وكيلا لابنها عبد الرحمن و بعد وفاته أصبح وكيلا لهاشم المؤيد [3] و يظهر من أخبار صبح أنها كانت امرأة حازمة بارعة في تدبير شؤون الدولة . كانت وافرة الذكاء، شديدة الإخلاص لسيدها الذي أحلّها مكانا رفيعا من قلبه و قصره، فكانت تساعده في تدبير مهام الحكم و أعمال الدولة بشيء من الذكاء و البصيرة و حسن التصرف، و تسهر معه على سلامة الدولة و العرش، و يذكر أ ن الحكَم كان شديد الكلف بصبح، فعندما خرج في غزوته المعروفة(شنت أشتين) [4] سنة 352هـ/ 963 م و أكثرت من التعلق به و الحزن لفراقه فقال مستعبرا:

ابن عذارى ، البيان ، ج، 2 ص237 ؛ ابن الخطيب ،أعمال الأعلام ص 42،43.
عنان ، دولة الإسلام ع 1 ق2، ص502، 503 .

1 ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2 ص267-282 ؛ عنان ، دولة الإسلام العصر1 القسم 2 ،ص 520؛ فاطمة المرنيسي ، **سلطنات منسيات**، نساء حاكمات في بلاد الإسلام ،ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل ، الدار البيضاء ،نشر الفنك، ط1، 2000. ص 67، 69. يقال أن صبح مسيحية و أسيرة حرب لكن لم تشر المصادر إلى ديانتها بعد أن أصبحت أم ولد . عمر كحالة ، أعلام النساء ص323.

2 Manuela marin: UNA VIDA DE MUJER: SUBH ,Madrid,digital.CSIC.ES /BITSTREAM/ 1061 / MARIN 2-E8T . PDF.M.MARIN ,1997 , ,p427

3 عياض، ترتيب المدارك،ج2 ،ص190 ؛ابن الأبار ، الحلّة السيراء،ج1 ص257 ؛ ابن بسام الذخيرة ،ج 4 ص 372 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2 ص251 ؛ عنان ، دولة الإسلام العصر1 القسم 2 ، ص521

4 ابن عذارى، المصدرالسابق ، ج2 ص 236 . والتسمية الكاملة لها هي شنت اشتين دي غرماج ،انظر سالم ، تاريخ المسلمين و أثارهم في الأندلس ص290 ؛ السامرائي ،المرجع السابق، ص 189.

عجبت لما ودعتها كيف لم أمت

و كيف انثنت عند الفراق يدي معي

فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دما

و يا كبدى الحرى عليها تقطع [1]

و يبدو أن سلطة صبح ترسخت في الجهاز الحكومي أكثر من ذي قبل حينما تقدم السن بالخليفة الحَكم الذي قارب 60 سنة من عمره و زاد اهتمامه بالعلوم و الكتب و إهمال شؤون دولة [2] ،فدفعها ذلك إلى البحث على سند متين و قوي و طموح تسعى من خلالها تجسيد أهدافها في تثبيت سلطتها في الدولة و الحفاظ على ولاية العهد لابنها هشام المؤيد. وللإشارة فإنها لم تلاقى منافسة حادة من طرف النساء كما عرف ذلك في قصور الحكام بصفة عامة بين أمهات الأولاد و إنما صراعها السياسي كان مع الرجال و هم الحجاب (وزراء ولي العهد بالدرجة الأولى) و الصقالبة الفتيان ، حتى أن أحد الفتيان الذي حررته و هو ميسور أصبح يسمى الجعفري نسبة لصبح [3] .

فإن كان الحاجب جعفر المصحفي قد أفنى عمره في خدمة السيدة صبح و رعاية ابنها هشام:

كما تقدم ذكره؛ فإن ابن أبي عامر كان يتميز عنه بعدة خصال التي لم تَقِل أهمية على تلك التي تمتعت بها السيدة صُبح في فضاء قصر الخلافة الذي يسيّر برهن إشارتها بكل ذكاء و دهاء.

كانت أولى خطوات ابن أبي عامر في القصر الأموي حينما طلب الحكم وكيلا لولده عبد الرحمن فقدم له الوزير جعفر بن عثمان المصحفي و لزوجه(صبح) جماعة من الرجال اختارت منهم ابن أبي عامر[4]، و هنالك رواية أخرى حسب المقري: أن ابن أبي عامر كان يجلس في دكان عند باب القصر، ليكتب للخدم و المترافعين للسلطان، إلى أن طلبت صبح من يكتب عنها، فعرفها به بعض من كان

---

[1] ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج 1 ص 204 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج2، ص251 ؛دويدار ، المجتمع الأندلسي . ص328، 329

[2] إن هذا التصرف أدى ببعض المؤرخين إلى لوم الحَكَم المستنصر وتحميله مسؤولية الأحداث التي وقت بعد وفاته؛ منهم ابن الخطيب ، الإحاطة مج ص103 ؛المقري ، نفح الطيب ، ج1ص399؛ ابن بسام ، الذخيرة ،ج4 ،ص 37 ؛عنان، دولة الإسلام العصر1 القسم 2 ، 522.

[3] عمر مصطفى لطف ، المرجع السابق، ص 50

[4] ابن بسام ،المصدر السابق ، ج4، ص 37 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج7 ص366 ؛ عنان ، دولة الإسلام. العصر1. القسم2 ،ص522.

يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر، فاستحسنت كتابته، و عينته أمينا لبعض شؤونها.

و المهم أن كلا الروايتين تولي أمر اختيار ابن أبي عامر إلى "صبح" فهي التي اخترته. وبما أن كلمة صبح سارية المفعول، نصبه الحَكم لخدمتها و خدمة ابنها عبد الرحمن سنة 352ه/ 963 م و استمرت وكالة ابن عامر لهشام المؤيد بعد وفاة ابنه عبد الرحمان[1]. و كان ابن أبي عامر في سن السابع و العشرين من عمره حين التحق بالقصر الأموي، و كان فائق الجمال و الثقافة مهذبا و مطلعا على العلوم الدينية و ذا قدرة على استخدام الوقت و الناس حسب مراده و التدرج إلى المعالي.[2]

و انبهرت "صبح" بالشاب شأنها في ذلك شأن الذين انظموا للقاء في القصر. و من هنا بدأ بين "صبح "و كاتبها ابن عامر نسج خيوط علاقة متينة، لم تخف على الخليفة ذاته، فكان يذكرها في ثنايا حديثة مع بعض المقربين منه متسائلا: " ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملك قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلاّ هداياه و لا يرضين إلاّ ما أتاه، إنه لساحر عظيم أو خادم لبيب، و إنيّ أخاف عليّ ما بيده.[3]

فإن كانت سياسة التهادي التي انتهجها ابن أبي عامر، و هذا بإتحاف سائر حرم القصر بالهدايا النفيسة، حتىّ جلب قلوبهن، فإننا نجده أن خص السيدة صبح بأروعها و أندرها ، وهذا بما يليق بمكانتها والتي ميزتها عن سائر حريم القصر ، أُمّ وليّ العهد و صاحبة الأمر النافذ، ! و يحكى أن من أروع الهدايا التي قدمها لها ابن أبي عامر، أنه حمل على رؤوس رجاله قصرا صنعه من فضة ، إظهارا لمقامها المميز [4] مما جلب حبّها إلى درجة كانت تقوم شخصيّا بأمره عند مولاها

---

[1]انظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ص 36،37 ؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1،ق2،ص521-522.

[2]و كانت أمه تميمية فحاز الشرف من طرفيه و التحف بطرفيه ، ابن خاقان ، (أبو نصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الإشبيلي) ، **مطمح الأنفس و مسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس** ، دراسة و تحقيق محمّد علي شوابكة،بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط 1، 1403ه/1984م. ص388 ،389. و يسرح ابن أبي عامر فيما بعد أن فكرة لازمته منذ صغره و هي فكرة حُكم الأندلس مستقبلا. النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ص81.

[3] ابن عذارى ، البيان،ج2ص251؛المقري، نفح ج3ص88 ؛ مؤنس ،موسوعة تاريخ الأندلس ج1،ص34. ؛

Manuela MARÍN, UNA VIDA DE MUJER : SUBH,p428.

[4] استدعي من طرف الخليفة الحكم للاستفسار عن الأموال التي نفذت: انظر ابن عذارى المصدر السابق ،ج2،ص252. و كانت أمثال هدايا الوزير جعفر المصحفي و القائد غالب عبد الرحمن الناصري

الحَكَم. [1] و الذي كان يتخوف من عواقب هذا الاقتراب و التهادي ،و فقد حدث المقربين منه بأن هذا الفتى ابن عامر، قد سلب عقول حرمنا بما يتحفهم به [2] .

و لم تشير المصادر إلى هدايا ابن أبي عامر للخليفة الحكم على ما كانت تسير عليه العادة آنذاك من إهداء الحكام. و الظاهر أن تلك الهدايا قد أثمرت لابن أبي عامر و ذلك بارتقائه في القصر الأموي و استماله السيدة" صبح" بحسن الخدمة و موافقة المسرة وحسن البذل في باب الإتحاف و المهداة، حتى ا ستهواها و غلب على قلبها،و هو يجتهد في برّها و المثابرة على ملاطفتها، فيبدع في ذلك و يأتيها بأشياء لم تعهد مثلها من قبل. و ما لبث نجم ابن أبي عامر في التألق يوما بعد يوم منذ قصد قرطبة إلى أن خولت له أم هشام المؤيد النظر في أموالها و ضياعها فزاد أمره في الترقي أثناء عهد الحَكم المستنصر حتى تحدث الناس بشغفها به .

و قد استطاعت "صبح" أن تستمل قلب الحَكَم و تحول ولاية العرش لابنها هشام، التي نالت بسببه الحضوة في القصر الأموي. لكن سياسة الحكم في مسايرة رغبتها و فرحته بولي عهده من صلبه لم ترض الكثير من الأطراف. و من ذلك ما ذكره ابن حيان: أن رغم رجاحة الحَكم، فكان ممن استهواه حُب الولد و أفرط فيه و خالف في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الإخوة و فتيان العشيرة ومن يكمل للإمامة بلا محاباة، فرط هوى ..."[3]. و لكن بالمقابل يورد ابن الخطيب جماعة *عديدة ممن أخذت البيعة لهشام في حياة أبيه وكان أكثرهم من أهل قرطبة.[4]

صاحب مدينة سالم إلى الخليفة الحكم ، ابن عذارى ، البيان ،ج2 ،ص257؛ عنان ، تراجم ، ص202 ؛ المراكشي ، المعجب ص30 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال ص59.

[1] ابن بسام ، الذخيرة،ج4، ص37 ؛ ابن الأبار ، الحلة ، ج1ص 268 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق،ج 2،ص252 ؛ عنان ،دولة الإسلام،ع1،ق2،ص511، 512 ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج1، ص 199.

[2] كان الخليفة الحكم يعتقد في الحدثان: 1- أي النبوءات، و يتخيل في أبي عامر هو المذكور فيها:" بأن القائم عليهم من الجزيرة الخضراء، أصفر الكفين، فكان يقول لأصحابه: أما تنظرون إلى صفرة كفيه؟

فإذا قالوا له:" أرح نفسك منه! يقول:" لو كانت به شّجة لكانت تكملة صفاته" انظر إلى بقية القصة عند ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج2، ص 257-258 .

[3]و ينعي ابن حيان على الحَكَم هذه السياسة في اختيار ولده الطفل لولاية العهد. فيقول أنه"أي الحَكَم" على ما وفص من رجاحة: " كان ممن استهواهم حب الولد و أفرط فيه، و خلاف في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الأخوة، و فتيان العشيرة، و من يكمل للإمامة بلا محاباة، فرط الهوى، ووهلته انتقدها الناس على الحَكم، و عَدوها الحانية على دولته، و قد كان يعيبها على ولد العباس قبله، فأتاها هو مختارا و لا مرد لأمر الله. ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص 48،44، 57 ؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1 ق2 ،ص 510.

*أورد ابن الخطيب بيانا بأسماء 138 من الفقهاء و العلماء الذين استجابوا لدعوة البيعة لهشام و قد تعمد كثرة الأسماء:انظر أعمال الأعلام ، ص48 ، 57 لأنه أراد بهذا البيان أن يبرز صحة البيعة لغلام، لأنه عندما فرَّ من الأندلس لجأ إلى كنف أبي فارس عبد العزيز أبي زيان محمد السعيد، و هذا تولى العرش لابنه الصغير أبي زيان محمد سعيد، و الذي تولى العرش سنة 774ه/1372م، تحت وصاية الوزير أبي بكر بن غازي صديق ابن الخطيب الذي أكرمه و أمنه لتأييد صحة بيعة

إن الخليفة الحكم لم يلبث أن أصيب بعلة "الفالج". و كان هشام لا يزال صغيرا فشلت حركة الحكم، و صارت السلطة بيد وزرائه و حاشيته و نسائه و ما لبث أن لفظ الخليفة الحكم أنفاسه في 366هـ/976م و استلم ابنه هشام المؤيد الخلافة الأموية في نفس السنة وعمره إحدى عشرة سنة و ثمانية أشهر.[1] و بدأت أمور تدبير شؤون الدولة تتخذ مسلكا جديدا و خطيرا و حذرا في نفس الوقت مما يثير الفضول و التساؤل عما كان يستهدفه ويخطط له كل من "صبح" أم الخليفة و الحاجب محمد بن أبي عامر.

و مما سبق ذكره فإن صبح كانت تعطف على ابن أبي عامر و تثق فيه و تمده بالأموال اللازمة ليستمل العساكر إليه و تضمن بالتالي سندا وولاء لابنها القاصر الذي لم يتجاوز اثني عشر سنة حينما استلم الخلافة لأنها هي التي تتحمل عبء الوصاية على ولدها هشام [2]. و كانت السيدة صبح هي القائمة بأمر المملكة، فكان الحاجب المصحفي و الوزراء لا يقطعون أمرا إلا بمشورتها، و لا يفعلون شيئا إلا بأمرها. وكان ابن أبي عامر هو الداخل عليها والخارج بالأوامر منها للحاجب و الوزراء.[3]

و من جهة أخرى كان محمد ابن أبي عامر يرى في "صبح" المرأة التي اجتمعت السلطة بيدها بعد وفاة مولاها الخليفة الحكم. و أصبحت تمثل إليه الأداة السهلة الطيعة في تحقيق مآربه و يسخرها ماديا و معنويا في تحقيق مشاريعه الطويلة المدى، و هو الذي ألف عطفها و كسب ثقتها لأنه سبق لابن أبي عامر إدارة أملاكها في حياة زوجها. فكانت له اليد الطولى و الدراية الكاملة بكل مكتسباتها من أموال و ضياع و علاقاتها مع الوزراء و حاشية القصر. و سد كل أبواب القصر و لم يترك منها سوى باب السيدة "صبح" و هكذا أصبح صاحب الكلمة المطلقة بحيث كانت

ذلك الغلام وولايته و والوصاية عليه . و لهذا الوزير ألف ابن الخطيب كتابه، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. أثناء ولاية الصبي أبي زيان محمد السعيد(776/774ه/ 1372-1374) لكن لما عزل الغلام و تولى مكانه أبو عباس المستنصر أعقب ذلك نكبة ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ص83. ؛ مؤنس ، شيوخ العصر في الأندلس ،ص 84 ،85.

[1] ابن عذارى ، البيان ، ج2 ،ص253 ؛ و ولد هشام سنة 254هـ حسب ابن عذاري ، نفس المصدر، ج2 ص237-253 أما حسب ابن الأثير فكان عمره عشر سنوات ، الكامل، ج8 ،ص677 ،و حسب ابن الخطيب قدر عمره بتسع سنوات ،أعمال الأعلام ،ص83؛ جمعة، نساء الأندلس ص 284 ؛ مليحة رحمة الله ،**الحياة الإجتماعية ، كما وردت في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذاري المراكشي**، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد44، السنة السادسة عشر، 1412هـ/1991م ، ص125.

[2] ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ،ص 100 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2،ص253 .

[3] مجهول، [جغرافية]و تاريخ الأندلس ،تح بوباية، ص 294,

صبح تفوض إليه كل السلطة و كل أمر؛ فكان يدير لها كل الشؤون بمهارة و قدرة عجيبة .[1].

لكن الجو السياسي في القصر الأموي كان يشوبه الحذر و الترقب و الخوف من عدّة أطراف و إلى حد الآن لم يتمكن لابن أبي عامر ابتزاز السلطة من وصية ولي العهد وكان يتدرج في محاولة إزاحة أكبر العقبات في طريقة و هو الوزير جعفر بن عثمان المصحفي [2]، وليّ نعمته و هو الذي أوصله لخدمة صبح كما سبق ذكره.

ففي بداية خلافة هشام المؤيد، كانت المعادلة السياسية بين الأطراف الثلاث: السيدة "صبح"، الوزير المصحفي و الحاجب ابن أبي عامر،تكاد تكون متكافئة، نظرا لوجود خطر مشترك بينهم كان لابد من إزالته و المتمثل في صقالبة القصر،* [3] وحين أزيلت شوكتهم توجهت خطط ابن أبي عامر إلى إزاحة الوزير المصحفي عن طريقه لاسيما أن هذا الأخير تراجعت مكانته لدى "صبح" مع تألق نجم ابن أبي عامر، و استعان هذا الأخير بالسيدة صبح و سائر حريم القصر لإزاحة المصحفي عن الوزارة، و ولي ابن أبي عامر صهره غالب خطة الوزارتين بأمر من السيدة صبح بعد أن امتدحه لديها و عمل على القضاء على المصحفي. و لم تتم فسخ خطوبة أسماء بنت غالب من أحد أبناء جعفر المصحفي و زواجها من ابن أبي عامر، إلاّ بعد تدخل صبح. و يتبين من ذلك أن تحالف ابن أبي عامر مع جعفر

---

[1] المراكشي، المعجب، ص38 ؛ مجهول، [جغرافية]و تاريخ الأندلس ،تح بوباية، ص 294؛ عنان ، دولة الإسلام ،ع1 ،ق2 ،ص 252 ؛ حسن أحمد محمود، تاريخ المغرب و الأندلس، ص150 ؛ حسين دويدار ،المجتمع الأندلسي ، ص328؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص120.

[1] انظر حياته عند ابن حيان ،المقتبس،تح عبد الرحمان حجي ،بيروت ، الدار العربية للكتاب، 1983 ،ص119 ؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ص153؛ ابن عذارى، البيان، ج2ص254 ،256 ؛ ابن بسام، الذخيرة،ج 4 ص42 ؛ ابن سعيد ،المغرب، ج 1ص200 ، 201؛ ابن الأبار ، الحلة ،ج1 ص259؛ علي أدهم ، **منصور الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، 1974،ص 88،89.

* الصقالبة و على رأسهم الفتيان فائق و جوذر التآمر ضد توليه هشام الخلافة و عملوا على اختيار عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر لولاية العرش مما أخاف المصحفي ومحمد ابن أبي عامر.فاستصدر أمرا من الخليفة هشام المؤيد بعزلهم نهائيا. انظر ابن بسام، الذخيرة ،ج، 4ص 38 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ،ص 278، 280؛ المقري، نفح الطيب ، مج،1 ص402، و مج3 ،ص94،

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص57،60 ؛ مؤنس، معالم تاريخ الأندلس ،ص390 ،391؛ عنان، دولة الإسلام ، ع1 ،ق2 ص517 ، 518؛ السامرائي و آخرون، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس ص194،195 ؛ أبو زيد(سعيد أحمد)، **سببية الموت و القتل عند الأندلسيين**، دار الحسين للطباعة والنشر ،ط 1 1427 هـ/2006م ص 531؛ عمر مصطفى لطف ، المرجع السابق، ص51، 52، 53.

المصحفي كان تحالفا مصلحي و ظرفي فقط [1]، إذ احتل ابن عامر مكانه و أصبح هو وزير الخليفة هشام بتزكية من السيّدة صبح .

و يتضح في هذه الفترة دور السيدة صبح الوصية على الخليفة القاصر و إلى جانبها الوزير ابن أبي عامر الذي اخترته عن سائر حاشية القصر و الوزراء لما رأت ما فيه القوة و الكفالة و ما يحقق لها مرادها. و تميزت علاقاتها به بالعطف و المساندة المالية و مسايرة أوامره مما ضاعف نفوذه في القصر الأموي يوما بعد يوم [2] خاصة بعد القضاء على كل حركة معارضة لسياسته منها محاولات بعض القضاة أمثال: محمد بن إسحاق بن منذر بن أبي عكرمة ت367هـ/ 977 م و عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي وجماعة من الفقهاء والقضاة بقرطبة في خلع خلافة هشام المؤيد الذي تم إعدام البعض منهم من طرف ابن أبي عامر في 368هـ/ 978 م [3] بالرغم من ذلك فإن الشبهات أخذت تثور، و اتسع المجال للأقاويل عن العلاقة بين صبح و محمّد بن أبي عامر، حتى قيل إنه كانت تربطها به صلة عاطفية و أن ذلك كان من وراء ما بلغه من نفوذ و مكانة. [4]

و مما يستدل به على هذا التلاعب و التآمر في حق رعاية الخليفة هشام وتحمل مسؤوليته، ما أورده ابن الخطيب: " فكان الخليفة الفتى هشام المؤيد بالله، ميالا بطبيعته و سنه إلى اللهو و الدعة، و لم يكن له شيء من تلك الخلال الرفيعة، التي تهيئ الأمراء للاضطلاع بمهام الملك. فكان يلزم القصر و الحدائق، و يقضي كل أوقاته في اللهو واللعب بين الخصيان و آلات الطرب و كانت صبح و ابن أبي عامر يشجعان هذه الميول السيئة في نفس الأمير و يريانها ملائمة لمقاصدهما.

---

[1] ابن خاقان ، مطمح الأنفس،ص 156 ؛ابن عذاري ، البيان، ج2، ص265؛ ابن بسام ، الذخيرة،ج4، ص40 ؛ المقري ، نفح الطيب، ج3، ص99؛ عنان ، دولة الإسلام ،ع1 ،ق2،ص524 ؛خليل جمعة ، نساء من الأندلس ،ص 286 ؛ السامرائي و آخرون، المرجع السابق، ص 195 ؛ابن الخطيب ، أعمال الأعمال، ص61.
مليحة رحمة الله ،الحياة الاجتماعية ،ص113.

[2] تدرج ابن أبي عامر في عدة مناصب منها ، وكيل ولي العهد عبد الرحمن(356هـ 967م) ، ثم وكيل لهشام المؤيد و تسلم خطة السكة و المواريث ثم الشرطة ، فحاجب الخليفة هشام المؤيد (رئيس الوزارة) انظر: النباهي ،تاريخ قضاة الأندلس،ص81 ؛ ابن بسام ، الذخيرة ج4 ص37؛ ابن عذاري،المصدر السابق، ج2 ص ص 256 ، 259 ؛ ابن الأثير ،الكامل مج7 ص368 ؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1، ق2 ،ص521و 522 ؛ جمعة أحمد ،نساء من الأندلس ،ص28،284.

[3] ابن الفرضي ،تاريخ علماء الأندلس ، رقم 1077، ص289 ؛ ابن حزم ،طوق الحمامة،ص 72 ؛ عياض ، ترتيب المدارك ،ج2 ص 188 ؛ السامرائي و آخرون، المرجع السابق، ص205 ؛ أبو زيد ، سببية الموت، ص 57 ؛الكبيسي، المرجع السابق ،ص138، 144 .

[4] دويدار ، المرجع السابق، ص 328 ؛ خالد العفوي ،عصر المنصور الأندلسي ص 19؛ سناء الشعيري، **المرأة في الأندلس**، منشورات مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات، الرباط، 2009 مطبعة الأمنية، ص38.

Provençal: hist .esp .musl.T1; P 129 . Manuela MARÍN: UNA VIDA DE MUJER: SUBH, p 429.

و منذ ولي هشام حجر عليه ابن أبي عامر و ذهب إلى أبعد من ذلك حيث أثر على

صبح بدهائه و قوة عزمه على أن يجد الأعذار لحجب ولدها و سايرته في ذلك في بادئ الأمر. حتى أصبح هشام شبه معتقل أو سجين [1] و هذا ما يدعو إلى التساؤل لماذا لم تعمل صبح على تهيئة ابنها لتسلم زمام الحكم كما فعلت من قبل في الأخذ لولاية العهد له من الحكم المستنصر. ولماذا تركته تحت تصرف ابن أبي عامر؟"

و من ذلك يقول ابن الخطيب: "و لهذا كان هشام مندرجا في طي كافله الحاجب المنصور، بحيث لا ينسب إليه تدبير، و لا يرجع إليه من الأمور قليل و لا كثير، إذ كان في نفسه و أصل تركيبه مضعفا مهينا مشغولا بالنزهات، و لعب الصبيان والبنات، و في الكبر بمجالسة النساء و محادثة الإماء"[2]

و على الرغم من الضيق الذي عشه هشام لم تحرك صُبح ساكنا ،ربما لما رأته من مصلحة لها و لابنها و لكي لا تفقد مساندة ابن أبي عامر لها! فكانت العلاقة بين صُبح و ابن أبي عامر، تزداد كل يوم توثقا، ولاسيما منذ وفاة الحَكَم. و كانت صبح تغدق كل عطفها و ثقتها على هذا الرجل القوي الذي سحرها بخلاله، و قوة نفسه وباهر كفايته، و تضع فيه كل أملها لحماية العرش الذي يشغله ولدها الفتى صوريا فقط.[3] أما ابن أبي عامر فكان يرى في "صبح" المرأة التي تجتمع في يدها السلطة الشرعية بوصايتها على ولدها الطفل، أداة صالحة هينة يستطيع أن يخضعها لإرادته، و يسخرها لمعاونته على تحقيق مشاريعه البعيدة المدى فقد كان له عيون بالليل والنهار،لا يقع أمر من الأمور حتى يعلم به.[4]

وهذه العلاقة بين صبح و ابن أبي عامر كانت مدعاة لاختلاف المؤرخين القدماء والمحدثين. ممن يقولون أن العلاقة كانت عاطفية و أن "صبح" سقطت في حبال ابن أبي عامر . و هناك من قال أنها السيدة و الأم التي ضحت برغبتها في سبيل واجبها كزوجة خليفة أولا ، و كأمّ و وصية على خليفة قاصر بعد موت زوجها الخليفة الحَكَم؟ كما تساءل البعض عن مدى استمرارية علاقة صبح و ابن أبي عامر التي لم يكتفوا إدراجها في إطار التعاون السياسي فقط. وفي هذا الشأن يذكر المقري : "أن ابن عامر سيغدو الحاكم الفعلي للأندلس خلال وقت قصير، و أنه سيبعد صبح و يحتفظ بابنها هشام رهينة في قصره، و قد أثار الحسد الكثيرين و حيكت حوله الدسائس. و أن أعدائه كانوا يتهمونه بصبح

---

[1] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص58 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،مج7 ص366.

[2] ابن الخطيب ، نفسه ، ص58؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع1، ق2 ،ص525.

[3] ابن بسام ، الذخيرة ، ج4 ص 37 ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع1، ق2 ص524 . جمعة أحمد، نساء من الأندلس 285؛ Provençal: Hist Esp Musul . T1, P206 ؛عمر مصطفى لطف، المرجع السابق، ص 51.

[4] النباهي ،تاريخ قضاة الأندلس ، ص80 ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع1، ق2،ص524؛ رواية عبد الحميد ، المرجع السابق، ص119 ؛ حسين دويدار ،المجتمع الأندلسي، ص328 ؛ حسن أحمد محمود ،تاريخ المغرب والأندلس،ص153.

البشكنسية، و يرى المقري أن هذا الأمر طبيعي حينما يتعلق الأمر بإنسان محظوظ ذي مواهب متعددة بحيث ينجح في كل ما يقدم عليه نجاحا باهرا "[1]

و يتخذ المقري موقف محايدا و متعوذا بالله من ألسنة الشعراء و بذلك يتبرأ من كل الاتهامات الموجهة لابن أبي عامر و صبح، و يسترجع إلى الله تعالى في هذا الأمر. أما المراكشي فيعطي تفسيرا أقل بساطة للعلاقة التي كانت بين صبح و ابن أبي عامر، حيث يغدوان معا شريكين في اللعبة السياسية كل منهما يزوّد الآخر بما يحتاجه و يستفيد من التعاون معه [2] أما ابن الأثير فلم يتعرض لهما بسوء. لكن كل هذه الشائعات تجاوزها ابن حزم من قبل ،في ذكره لغرائب المناكح :" و يقول قائلون إن أم هشام استحلها ابن أبي عامر بنكاح سر. و الله أعلم " رغم أنه نقل الخبر الذي شاع وقتئذ إلا أنه تجاوز ذلك إلى "الزواج السري".[3] و يدعم ذلك ما عرض به أحد الشعراء السيدة "صبح".[4]

أما بعض المؤرخين المحدثين يرون في" صبح" أنها متآمرة مبتذلة و غبية في نفس الوقت، و سقطت في حبال كاتبها الذي كانت السلطة همه الوحيد و اتخذوا من بعض أشعار و أناشيد شعبية حجتهم ؛ و إن كان المقري أورد بعض الأبيات إلا أنه تبرأ منها و استبعد مضمونها. و من ذلك ما قيل في هشام و أمّه صبح و قاضيه ابن السليم *: اقترب الوعد و حال الهلاك و كل ما تحذره قد أتاك [5]

لم تسلم "صبح" من ألسنة الشعراء المعجبين بها، فهذا الشاعر أبو مضر يتغزل بجمالها في مجلس شراب ذات يوم مع المنصور محمد بن أبي عامر. قائلا:

صدقت طيبة الرصافة عنا وهي أشهر من كل ما يتمنى

---

[1] المقري ، نفح الطيب، ج1 ،ص603.

و يقول المقري ":في ذلك أن هذا بهتان و زور و أفظع منه رميهم القاضي بالفجور...و نعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين يطلقون ألسنتهم في العلماء و الأئمة." :نفح الطيب ، ج 1ص603.

[2] المعجب ، ص 38؛ ابن الأثير، الكامل ،مج 7،ص368 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1 ،ص 603. المرنيسي ، المرجع السابق، ص72.

[3] ابن حزم ، نقط العروس، ضمن الرسائل ابن حزم، ج2،تح إحسان عباس،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط2، 1987،ص 68.

[4] ابن عذاري،البيان ،ج 2ص280.

* هو أبو بكر محمد بن إسحاق الشهير بالسليم ،قاضي الجماعة بقرطبة ولي خطة القضاء من طرف الخليفة الحكم المستنصر. ابن حيان ،المقتبس،تح حجي ،ص 149 هـ1 /ص206، ص230.؛ القاضي عياض ،ترتيب المدارك، ج2،ص174،173 ؛ ابن الأبار ،الحلة ج 1، ص258 ؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس،ص75

[5] ابن عذاري، المصدر السابق،ج 2ص280.

** محمد بن الحسين التميمي الطبني (ت 394هـ /1003م) ينتمي إلى إحدى البيوتات الشهيرة بقرطبة المعروفة ببني طبنة انظر ابن سعيد، ج1، رقم 133، ص 206 .

هجرتنا فما إليها سبيل غير أن نقول كانت و كُنّا.

و في إحدى مجالسه غنت جارية بهذا الشعر، و أدخلت على المنصور ليبتاعها واستعاد الطبني** هاتين البيتين، فأنكر ذلك المنصور عندما أحس من الأبيات التي غنتها الجارية للشاعر أن فيها تعريض به، و رأى أن هيبته لم تملأ قلب الشاعر فلا بد من أن يخرس لسانه حفاظا على سمعته و مكانته. فأمر ابن أبي عامر بقتل الجارية عندما أومأ إلى بعض خصيانه فأخرج رأس الجارية في طست، [1] ووضعه بين يدي الطبني و قال له المنصور: أمرها فلتُعِد، فسُقط في يده...[2] و من خلال ذلك يبدو على المنصور الصرامة في القتل و التخلص من كل منافسيه. ونستخلص مما سبق أن صبح كانت محط أنظار و ألسنة حادة ليس بالنسبة لعلاقاتها مع ابن أبي عامر فقط لكن أصبحت فضيحة قصر ذائعة مع القاضي ابن السليم أيضا و مثيرة لعواطف الشعراء والمغنيات.

و من الكتاب المحدثين الذين تناولوها بذلك: عبد الله عنان القائل : " كان حبها المضطرم لذلك الرجل الذي ملك عليها مشاعرها و عقلها يدفعها دائما إلى مؤازرته والإذعان لرأيه ووحيه. و كان إعجابها الشديد بمقدرته و ثقته يضاعف ثقتها به". [3] ثم استطاعت أن تفرض سلطانها على زوجها الحَكَم و تتدخل في شؤون الدولة مع قوته ... و لما ظهر ابن أبي عامر اتخذته كاتبا لها في حياة زوجها الحَكم.... ثم بعد موته توثقت الصلة بينها و بين ابن أبي عامر. بعدما تمكن في قلبها و تمكنت في قلبه، فعيّنته حاجبا – أي رئيس وزارة- و أطلقت يده في الحكم فتسلم كل أعمال الخلافة بالتدريج حتى أصبح الحاكم الفعلي.

مهما اختلف المؤرخون في تحديد طبيعة هذه العلاقات فإنها دامت بينهما أكثر من ثلاثين سنة.كانت عشر سنين منها في حياة الخليفة الحَكم، و هي فترة التعارف من (356هـ/ 966)م تاريخ تعين ابن أبي عامر كاتبا لصبح إلى غاية وفاة الخليفة الحكم366هـ/ 976 م). و دام تعاونهما بمدة من(366هـ / 976 م) إلى أن حدثت الخصومة كبيرة.[4]

و يجمع جل المؤرخين أن ابن أبي عامر كان شديد الذكاء في معاملته مع صبح. ففي 370هـ/980م. بعد أن تقوى مركزه انتقل إلى مدينة الزاهرة و أحاط قصره الجديد بحراسة مشددة و بث عيونه على هشام و حاشيته و أهمل شأنه كخليفة و ما لبث أن حجبه في أعماق قصره مدعيا أنه تفرّغ للعبادة و أوكل له أمور الدولة

---

[1] سناء الشعيري ، المرأة في الأندلس ، ص39.

[2] ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 50 ؛ ابن سعيد ، المغرب ،ج1، ص207 ؛ أبو زيد ، سببية القتل ،ص 56،57 ؛ .Provençal : Hist esp musul .T1, P 203

[3] تراجم إسلامية ص207 . Provençal: Ibid t1,p 218.

[4] ابن بسام ، الذخيرة ،ج4 ،ص 44 ؛ ابن عذاري ، البيان ،ج 2، ص 252 ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج1، ص201.

[1] .حجر المنصور على هشام المؤيد بحيث لا يراه أحد منذ وليّ الحجابة. و ربما أركبه بعد سنين و جعل عليه برنسا، وعلى جواريه مثل ذلك ،فلا يعرف منهن . ويأمر من يتنحى من طريقه حتى ينتهي هشام المؤيد إلى موضع تنزهه. [2]

فما موقف صبح أم الخليفة من هذا التصرف تجاه ابنها الحَاكم الشرعي للدولة؟

أن حجر ابن أبي عامر على هشام المؤيد كان بمثابة الصفعة التي أيقظت "صبح" وفتحت بصيرتها على حقيقة حاجبها ابن أبي عامر و أهدافه الخفية والخطيرة المهددة لمستقبل ولدها هشام و للخلافة الأموية ككل. هذا مما أثار حفيظتها و أعلنت الحرب على ابن أبي عامر. و كانت صبح في هذه الفترة في حوالي الأربعين من عمرها حينما تحوّل حبها القديم لابن أبي عامر إلى سخط و بغض ثم جفاء وانقطاع و مقاومة لمراميه. و يبدو أن صبح كانت في حيرة من أمرها حيث لجأت إلى التستر للانتقام من ابن أبي عامر و هي تبحث عن مساعدة قوية و مخلصة. فبدأت في إرجاع الثقة في نفس ابنها بأنه هو الخليفة و لا بد له من استرداد الحكم من ابن أبي عامر و يتولى أمور سلطة بنفسه.

و من جهة أخرى عملت "صبح " في التشهير بحجر ابن أبي عامر على هشام المؤيد عن طريق أعوانها من الناقمين على الحاجب، و قالت لابنها يوما: " أما ترى ما يصنع هذا الكلب؟

فقال لها : " دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا". [3] كما عملت على نشر شكوى هشام من الحجر عليه و التي جاء فيها قوله:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعا عليه

و تملك باسمه الدنيا جميعا و ما من ذاك شيء في يديه [4]

و من خلال نشر الشكوى تفضح ابن أبي عامر و تمكن العامة من التعرف على حقيقة وضع الخليفة المزرية والإطلاع على سياسة ابن أبي عامر و اغتصابه للسلطة الشرعية. [5]

فلم تقف صبح عند هذا الحد بل حاولت في نفس الوقت القيام بمحاولة لمقاومة ابن أبي عامر و إسقاطه. و لا شك أن في تدبير "صبح" و تحريضها أثر في

---

[1] النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، ص81 ، مجهول ،تاريخ الأندلس ، تح ، بوباية ، ص213 ؛ ابن حزم ، جمهرة الأنساب ،ص 100 ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،ج2 ص240 ؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام، ص 61 ،62.

[2] ابن عذاري ، البيان ،ج،2 ص280؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1 ،ص590؛ ابن خلدون، تاريخه ،ج2،ص232، 299.

[3] ابن سعيد ، المغرب،ج1 ص195.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ص280.

[5] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص ص 62، 63،64.

الخلاف الذي وقع بين ابن أبي عامر و صهره القائد غالب، و من جهة أخرى لا يستبعد وقوع مؤامرة بين صبح والقائد غالب نظرا لأن هذا الأخير هو الوحيد الذي يستطيع التصدي لابن أبي عامر والقضاء عليه. و هذا ما يبدو من خلال استدعاء القائد غالب لصهر ابن أبي عامر في وليمة و في نهايتها حاول القائد غالب قتل صهره ابن أبي عامر الذي نجا بأعجوبة ، و تحول العداء إلى مواجهة ضارية بين أبي عامر و المعارضين لسياسته مثل القائد غالب. [1] و في عام 371هـ/ 981 م تسمى ابن أبي عامر بالمنصور و دعي له على المنابر إلى أن توفي في 392هـ/ 1002 م) و ما يوضح سياسته في هذا الشأن قوله:"إن أبقينا ابن مولانا كانت الدولة لنا، وإن استبدلنا به استبدل بنا". [2] وهذا النوع من الوفاء المغرض ، كان من أسباب ارتقائه و نجاحه في تحقيق مآربه وطموحه . و هكذا سحب بساط الخلافة من هشام المؤيد إلى أبنائه وتحول الحكم من الأسرة الأموية إلى الأسرة العامرية.

و غدت السيدة "صبح" بمضي الزمن من ألد خصوم ابن أبي عامر وأخطرهم ؛ في حين كان سلطان ابن أبي عامر المنصور يتوطد، و مركز هشام المؤيد يزداد سوءا وانحلالا يوما بعد يوما خاصة لما عمد المنصور إلى اتخاذ ألقاب السيادة و الملك. [3]

فحينما شعرت صبح بأن الضربة القاضية أضحت على وشك الوقوع. قررت أن تضاعف العمل في سبيل حماية ولدها و تحريره من قبضة المتغلب عليه . فكررت دعايتها القديمة ضد المنصور ، و اتهمته على يد دعاتها و أعوانها باغتصاب سلطة الخلافة ومقاومة رغبة الخليفة في تولي الحكم بنفسه. و يبدو أن صبح كانت ذات دراية بالأمور السياسية للدولة و بعلاقات ابن أبي عامر الدبلوماسية و لم تنسحب نهائيا من الميدان السياسي و ستحاول مرة أخرى مقاومة ابن أبي عامر فعملت على الاتصال سرا بزيري بن عطية حاكم المغرب الناقم على المنصور. [4]

فبعثت إليه رسلها و من ذلك ما نقله ابن بسام :" و لما وقعت وحشته بين ابن أبي عامر وأُمّ المؤيد كان سببها تضريب الحساد فيما بينهما و علم أنه ما دبر ضده إلاّ من جانب حاشية القصر ففرقهم و مزقهم، و لم يدع فيه منهم إلاّ من وثق به أو

---

[1] عنان ، دولة الإسلام ، ع1،ق 2،ص ص538 ، 537، 539.

[2] ابن سعيد ،المغرب،ج1 ص199 ؛ عنان ؛ تراجم، ص 209.

[3] بعدما تسمى ابن أبي عامر بالمنصور و دعي له على المنابر ، رشح ولده عبد الملك للولاية و قدم أخاه عبد الرحمن الوزارة، و ترك اسم الحجابة و اقتصر على تسمي بالملك الكريم.ابن عذاري ،البيان، ج2 ص279؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص61؛ عنان ،تراجم، ص209 ،210.

[4] لأن زيري بن عطية كان ينقم من سياسة المنصور في الحجر على هشام المؤيد، و كان من قبل غاضبا على المنصور لما منح له لقب الوزارة فقط و هو الذي كان يطمح للحصول على مرتبة الإمارة.ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص 281،282؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1، ق2، ص546 ؛ السامرائي ، تاريخ العرب، ص 202-203

عجز عنه. وذكر له أن الحرم قد انبسطت أيديهن في الأموال المخزنة بالقصر، و لما كانت السيدة صبح أخت رائق تفعله من إخراج الأموال عند ما حدث من تغيرها على ابن أبي عامر، و أنها خرجت في بعض الأيام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب و الفضة و موّهت ذلك كله بالمري و الشهد و غيره والأصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤوس. الكيزان أسماء ذلك، ومرّت على صاحب المدينة، فما شك في أنه ليس فيها إلا ما هو عليها، و كان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار"[1]. و كان غرضها من إفادته هذا المال هو تجهيز جيوشه و العبور إلى الأندلس.

و كان المنصور يقضا و متتبعا لخطط صبح و أعوانها رغم ما كان يعانيه من مرض، فأرسل ابنه عبد الملك على رأس قوة من الجيش لمحاصرة القصر و نقل الأموال حيث يؤمن عليها فيه. و دافعت صبح ما بالقصر من الأموال و لم يتمكن من إخراجها. فعمد ابن عامر إلى إقناع هشام المؤيد الذي وافق على نقل المال و أسرع في نقله فورا إلى مدينة الزاهرة * . و التي قدر مبلغها بخمسة ألاف دينار عن قيمة ورق و سبعمائة ألف دينار.

و هكذا جرد ابن أبي عامر "صبح" من أهم أداة و أخطرها التي كانت تعتمد عليها في تنفيذ أمورها ألا و هو المال، و يستقل نهائيا عن صبح و يقطع كل علاقة بها. إن تسرب المال من بين أيدي صبح يعني فشل كل محاولتها و الاستسلام للواقع الجديد بعد النفوذ القوي الذي تمتعت به في عهد وليّ نعمتها الحكم المستنصر. وعندما أصبحت وصية أمر ولي العهد. و لم يفسد ذلك الصراع المتأخر إلا عن توطيد سلطان المنصور ابن أبي عامر. و لم تعد صبح أهلا لمقاومة من أحسنت إليه و الوقوف في وجهه، و لما أدركت أن لا جدوى من المقاومة أمام رجل قوي و ذكي استحوذ على المال و الرجال، ركنت للسكينة و العزلة على مضض.؟

رغم كل ما تمتعت به هذه السيدة الكبيرة ، وذكرها في مختلف الروايات الإسلامية إلا أنه لم يفصل في حقها إذا كان الحَكَم اتخذها زوجة بإشارة واضحة و صريحة، كما أشارت لغيرها ممن أقل شأنا و مكانة من زوجات الحكام.[2] و بعد أن قضت حوالي ثماني و ثلاثون سنة نشاطا ،تأرجحت بين قوة و ضعف و ذلك منذ أن أصبحت أم الولد، ولدت عبد الرحمن 351هـ/ 962 م) إلى غاية و فاتها في حوالي

---

[1] ابن بسام ،الذخيرة ،مج4 ص44، 45.عبد العزيز فيلالي ، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب**، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع ، ط2، 1999، ص 239

* الزاهرة: بناها المنصور بنفسه شمال شرق قرطبة، عام 368ه وانتقل في 370هـ/980م إلى الزاهرة و حجر على الخليفة هشام و عزله عن العالم. ابن خاقان، مطمح،ص392؛ ابن عذاري ،البيان،ج 2، ،ص 275 ،276 ؛ المقري ، نفح الطيب ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص62 ؛ ابن سعيد المغرب، ج 1،ص201

[2] عنان تراجم ،ص 201.

29 ذي الحجة 389هـ/999/12/11م ؛ لم تمر وفاتها و لا مآثرها مرور كرام على أهل قرطبة، بل مدحها الشاعر ابن دراج القسطلي الأندلسي (ت 421هـ، 1030م) و رثاها بقصيدة طويلة.[1] و صلى عليها المنصور بن أبي عامر، و وزع خمسمائة دينار على قبرها.[2] و هذا ما يستدل به على قوة شخصية هذه المرأة و مكانتها في القصر الأموي.

و من خلال القصيدة الرثاء تبدو مآثر صبح بعد وفاتها على العكس ما كان شائعا من أخبار لاذعة في حياتها عن علاقاتها العاطفية مع ابن أبي عامر و مع قاضيها ابن سليم، و في هذا الصدد يمكننا استخلاص أن لو كانت فعلا صبح تتمتع بما وصفتها أشعار عامة قرطبة و علاقتها الودية مع ابن أبي عامر لكانت ثارت على ابن عامر عند زواجه بأسماء بنت غالب سنة (367هـ/ 978م) بل شجعته على ذلك.و كان بوسعها آنذاك التحالف و التآمر مع الوزير المصحفي الذي لم يزل يتمتع بنوع من النفوذ وقتئذ ضد المنصور. أو ربما ترجع طبيعة علاقتها مع ابن أبي عامر لكونها جارية نصرانية فلم تراع في ذلك حدود الشرع الإسلامي ، الأمر الذي لم يرض أهل قرطبة .

و لكن بعد الحجر على الخليفة هشام اتضح فعلا صراعها مع ابن أبي عامر أنه صراع سياسيا. و أدركت أن تقدمه للجيش و تصفية كل من لا يثق فيهم ما هو إلا لعبة سياسية لها و لولدها يحركها ابن أبي عامر متى و كيف يشاء و من خلالها تلاعبه بشعارات الخلافة الأمية التي لم يبق منها إلا الاسم فقط لتمويه الرأي العام والتخفيف من غضبهم و تضمرهم تجاه سياسته.

فهل ترضى و هي السيدة الكبرى أم الخليفة و زوجة الخليفة الحكم المستنصر، الذي رفعها من ذل العبودية و الرق إلى سيدة القصر أن تكون خليلة الحاجب في قصر الخلافة؟ . يبدو من خلال مركزها الحساس في الدولة إما كانت محسودة ومحط أنظار الجميع خاصة لما تركت العنان لحرية مطلقة لم تراع فيها عرض زوجها. ولذلك تعددت التهم عليها و اختلفت الآراء بين متهم لها و مبرئ و محايد. و رغم كل ذلك اعتبرت السيدة صبح من بين النساء الخالدات في التاريخ

---

[1] هل الملك يملك ريب المنون أم العز يصرف صرف القضا

هو الموت يصدع شمل الجميع و يكسو الربوع ثياب العغاء

ألم ترى كيف استباحت يداه حريم الملوك و علق النساء

جزاك بأعمالك الزكيات خير المجازين خير الجزاء. انظر عنان، تراجم ،ص 211.

[2] مجهول، جغرافية و تاريخ الأندلس، تح عبد القادر بوباية، ص 302؛ عبد الوهاب خلاف ، **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس** مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لابن سهل (أبو الأصبغ عيسى) ، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ط 1، 1980.، ص 412 .

الأندلسي و حملها التاريخ جزء من عوامل سقوط الخلافة الأموية التي لبثت مدة بأيدي الأسرة العامرية و ذلك باغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي هشام المؤيد.[1]

و يبدو أن صبح لم تكن امرأة انتقامية و لا عدائية حيث لم تثبت في المصادر أنها كانت دسيسة لنساء المنصور ابن أبي عامر أو لا حد من أبنائه. رغم أن المنصور كوّن أسرة كبيرة تعددت فيها زوجاته و أمهات أولاده و اشتهر البعض منهن بالبغض والدسائس و النفوذ في السلطة. و ما ذكر أنها سعت في زواج ابن أبي عامر من أسماء بنت غالب عام (367هـ/ 978م) و لم يذكر أنها أضغنت لها مكيدة أو حقد رغم ما قيل عن شعورها و مؤازراتها لابن أبي عامر. وهذا ربما دليل عن رضاها أو أن إزالة خطر المصحفي كان أولى بالاهتمام و ما هذا الزواج إلا لخدمة مصلحتها.

و من زوجات المنصور بن أبي عامر عبدة بنت سانشو غرسيا(sancho garcia)تزوجها في (371هـ/ 981م)، إثر الإتفاق الذي أبرمه أبوها بعد هزائمه مع المنصور وزوجه ابنته. و أسلمت هذه البنت و حسن إسلامها، و كانت من خيرات نسائه.أنجبت له ابنه عبد الرحمن شنجول [2] سنة 374ه/984 م والذي عرف عنه قلة الذكاء و التهور[3].و أعقب هذا الزواج هدنة بين قرطبة و البشكنس.[4] و من زوجات المنصور أيضا تاراسيا " Teresa" أو "تيرس"(Teres)هي بنت برمود الثاني حاكم ليون ،قدمها للمنصور هبة مقابلة مساعدته في توطيد أركان مملكته، فاتخذها المنصور سرية أو زوجة [5] . و من محظيات المنصور السيدة "الذلفاء" أم ولد التي ولدت له عبد الملك المظفر[6] الذي تولى الحجابة من بعده ، و لهذه المرأة أثر بالغ في الدولة العامرية و في سقوط الخلافة الأموية.

---

[1] مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 402، 403.

[2] شنجول: أطلق عليه من طرف أمه حتى يذكرها بأبيها شانجة تصغيرا لشانجة أي سانشو الصغير وحرفته العامة إلى شنجول،ابن عذاري ،البيان ،ج 3، ص37 ؛ ابن الآبار،الحلة،ج 1،ص128ص272.
Provençal :hist esp musul, t1, p291. ؛عنان ،دولة الإسلام،ع1ق2 ص583 ؛محمود مكي:**تاريخ الأندلس السياسي**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط2، 1999 ،مج 1،ص97.

[3] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص63؛ ابن الخطيب ،الإحاطة، مج 2 ، ص104 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج2 ص44 ، و ج3 ص 38 ؛السامرائي ، المرجع السابق، ص199 .
Provençal:hist esp musulm, t1, P294-209 .

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 3 ص39.

[5] عنان ، دولة الإسلام ، **الخلافة الأموية والدولة العامرية** ع1،ق2،، القاهرة ، مكتبة الخانجي،ط 4،1417ه/1997، ص 583 ؛مليحة ،المرجع السابق ص 125.

[6] تولى الحجابة بعد وفاة أبيه سنة 392هـ توفي 399هـ، استمر في الحجابة مدة 7 سنوات.
ابن عذاري ، المصدر السابق، ج3 ،ص3 . .

دور الذلفـــــــاء

" الذلفاء" أم الولد و كان لها دورا في إقصاء الوزير عيسى بن سعيد و إبعاده عن الوزارة و ذلك سبب حقدها عليه نظرا لمباركته لزواج ابنها عبد الملك المظفر من ابنة أحد الجنائيين عندما تولى الحجابة .

و تذكر المصادر العربية أنه عندما رأى عبد الملك هذه الفتاة هام بها حبا، و هان عليه لفرطه ، و عفته فاتخذها زوجة، و لما أخبرت الذلفاء بذلك كادت تجن و أنكرت عليه هذا الزواج من قنية و هو الحاجب !، و لذا سعت لدى الوزير عيسى بن سعيد للتدخل و مراجعة ابنها و إفشال هذا الزواج. [1] لكن تهب الرياح بما لا تشتهيه السفن ، فما كان من هذا الوزير إلاّ أن زاده استحسانا بهذا الزواج و وافقه عليه. ولما علمت "الذلفاء" أن الوزير عيسى يسير في عكس اتجاهها و يفشل خططها و لم يقم بما طلبته منه ، حقدت عليه ، إلى أن أتهم بالخيانة و أبعد عن منصبه. [2]

و الأمر في هذا أنه كان للذلفاء علاقة حسنة مع جارية أخرى لها تسمى " خيال" و هي أم لولدها عبد الملك المظفر الذي لم ترض له الزواج من بنت أحد الجنائيين، ولذا اتهمت الوزير عيسى بن سعيد بالإساءة إلى " خيال". و لفقت له التهم معها. و يتضح مما سبق أن الوزير عيسى بن سعيد لم يكن طيّعا سهلا في يد الذلفاء و لذا عملت على إبعاده من القصر لأنه أعاق تحركاتها و اشتدت الفتنة بينها.[3]

يقول ابن عذاري في ذلك: "لم يستطيع أعداء عيسى بن سعيد التغلب عليه إلا بمساعدة الحرم و الحاشية لاسيما "الذلفاء" أم الحاجب عبد الملك وجواريها فإنهن احتملن عليه حقدا.و سع عبد الملك عن طريق رجل متفقها عدلا لإثبات تهمة تآمر عيسى بن سعيد ضد الحجابة العامرية و أخذ البيعة لهشام بن عبد الجبار . واستدرج هذا الرجل الفقيه أبو حاتم بن ذكوان [4] (صاحب المظالم) بالكلام حتى أسر إليه و أكد له خبر تآمر عيسى بن سعيد . و كانت **الذلفاء** تثق كثيرا في ابن "ذكوان و كان عادة يصل إليها من وراء حجاب. فأسرع الرجل إلى نقل الخبر إلى الذلفاء ،و لما سمعت أنه من ابن ذكوان مصدر ثقتها، دخلت في الحين إلى ابنها عبد الملك و صدقته عن تهمة عيسى بن سعيد،و عزمت عليه في

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج3، ص29.؛ Provençal IBID T1 P278. ؛ السامرائي ، المرجع السابق، ص 209.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق ، ج3 ص29.

[3] ابن عذاري ،نفس المصدر ، ج3، ص32 ،33، 34 ؛ مليحة رحمة الله ،الحياة الإجتماعية. ص125.

[4] ابن ذكوان هو قاضي القضاة انظر ترجمته و محنته عند القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص 252،255.

قتله. فلم يشك عبد الملك في صحة خبرها وخرج لوقته وأمر بقتله ، [1] لأنه كان لوالدته "الذافاء" سلطانا قويا عليه ،و لم يغير لها حالا ، و لا خالف لها أمرا". [2]

و بعد وفاة عبد الملك المظفر إما مسموما أو بعلة الذبحة ، تولى بعده الحجابة العامرية عبد الرحمان بن أبي عامر الملقب بشنجول نسبة لجده شنجة النصراني . وبعد شهر و نصف من تقليده الحكم الذي افتتحه بالخلاعة جهرا؛ ،طلب من الخليفة هشام المؤيد أن يوليه عهده ففعل؛ الأمر الذي أدى إلى حدوث الفتنة في قرطبة والثورة على العامريين ؛ لما طلب عبد الرحمان من الخليفة هشام التنازل له عن ولاية العهد و اختاره دون بني عمه لأنه ليس له ولد يخلفه .و ما وصول عبد الرحمان إلى غايته هذه إلا باستعمال الحيلة وتوسط له بصلة الخؤولة التي بينهما بحيث أمّهما بشكنشيتين،أي "صبح" و"عبدة".وبتقدير عبد الرحمان لهذه القرابة سما إلى نيل الخلافة . [3] مستظهرا في ذلك كتابا يضم عقدا لنفسه بولاية عهد المسلمين على الخليفة هشام . و هذا الأمر لم يجرأ عليه أبوه المنصور و لا أخوه المظفر من قبل. [4]

و كانت الذلفاء السبب الرئيسي في تحريض محمد بن هشام بن عبد الجبار* للثورة ضد عبد الرحمن شنجول السابق الذكر ــ ابن عبدة ــ، و هو أخو ابنها عبد الملك المظفر الأصغر، و ذلك لاعتقادها بأن ولدها المظفر قتل بشراب مسموم دس له من قبل أخيه عبد الرحمان .أما الذلفاء واتهمت عبد الرحمن شنجول بالتدبير بذلك وحقدت عليه أشد الحقد [5] و سعت إلى التخلص منه بسرية تامة، بأن أرسلت فتى يدعى "بشير" الصقلبي إلى جماعة من الصقالبة الذين أرشدوه إلى محمد بن هشام ابن عبد الجبار و أخبره بنوايا "الذلفاء. و بما تمده بما يطلب من الأموال إذا خلصها من عبد الرحمن شنجول [6] و فعلا قبل ابن عبد الجبار عرض "الذفاء" وتطورت الأحداث لصالحه في مؤامرة شائكة تعددت أطرافها.

---

[1] الوزير عيسى بن سعيد سعى إلى التآمر لقلب نظام الحكم و توليه أحد الأمراء خليفة على البلاد فاكتشفت المؤامرة في مهدها و حكم عليه و على أعوانه بالإعدام في سنة 397هـ ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج3 ،ص28، 29. ص 30؛ مليحة رحمة الله ، المرجع السابق، ص125.

[2] ابن عذاري، نفس المصدر ، ج3 ص 39، 42.، 43 ،44، 45، 46.

[3] ابن عذاري ، البيان،ج3، ص 38، 42،44، 46.

[4] ابن عذاري، نفسه ، ج3 ص 36، ص37 ؛ محمود مكي ، تاريخ الأندلس السياسي، ص97

* هو محمد بن عبد الجبار بن عبد الناصر لقبه المهدي وكنيته أبو الوليد.أمه أم ولد اسمها "مزنة" ولقبها "كباره" وتعرف بالعرجاء لخلع كان بها.ولي يوم خلع هشام المؤيد سنة 399ه/ 1009م و قتله عبد الرحمان بن أبي عامر.ابن عذاري ، نفسه ،ج3 ص 50، ص 59، 60.

[5]. ابن عذاري ، نفسه ،ج3، ص52. Provençal: hist, Esp, musul, t1 p 298.

وفي نهاية المطاف ألقي القبض على عبد الرحمان و أخذت منه نساؤه وعددهن سبعون جارية بعثهن إلى قرطبة و لقي عبد الرحمن حتفه و حققت "الذلفاء" ما أرادت و شفت غليلها و انتقمت لابنها.[1] وهذا التصرف لم يلاحظ في سيرة " صبح" التي كانت أكثر شعبية و تعاطف أهل قرطبة لأنها والدة هشام المؤيد. فلم تسعى إلى تدبير المكائد و الجرائم في حق أبناء ابن أبي عامر رغم مكانتها الرفيعة و شرعية ابنها فقد استبدوا بالحكم و سحبوه من ابنها .

لكن نتائج هذه المؤامرة انعكست سلبا على "الذلفاء " والقصر العامري بصفة عامة ؛و انقلبت الأوضاع في مدينة الزاهرة واشتدت المناوشة بين أنصار ابن عبد الجبار و العامة. وتغلبت هذه الأخيرة على قصر المظفر بن أبي عامر الذي كان فيه ولده وأمه الذلفاء ،وأخرجوها وأخذوا من أمتعتها ما لا يحصى من الذخائر والأموال، وهي التي أعانت ابن عبد الجبار بمالها و حرضته على أمره. ولجأ محمد بن عبد الجبار إلى إرسال أمانا إلى أهل الزاهرة حتى يرفعوا أيديهم ويستولي هو على نفائس قصر بني عامر.[2] و كان يرى أوليته في الذب على الأسرة العامرية التي فيها الحرم وعلى الأموال ، لذلك أسرع في نقل كل الغنائم إلى قصر الخلافة بقرطبة . لكن ما مصير حريم القصر العامري في هذه المعضلة ؟

يقال أن محمد بن هشام مّيز حرم آل عامر لمّا صرن في يده ، فأطلق الحرائر واصطفى الإماء منهن لنفسه ، و وهب البعض منهن إلى وزرائه و أصحابه . ويعد هذا التصرف أدهى مما أنكره على من سبقه. أما فيما يخص" الذلفاء" فقد اعتنى بها محمد بن هشام و كذا بابن ابنها الذي كان برفقتها،و أذن لها في نزول دارها بجوف المدينة. وبموجب أوامره انتقلت في الأخير إلى دارها بما بقي لها من أموال، وأقامت بها مطلقة اليد في أموالها التي خبأتها قبل هذه الأحداث لأنها كانت تتوقع ما لا يحمد عقباه. وهكذا رد لها جميل مساعدتها له و وصوله إلى السلطة.

و تعد الذلفاء من النساء القلائل اللائي احترمهن ابن عبد الجبار لما اشتهر به من فسق و سوء الأخلاق حتى مع حريم أصحابه . و ما سبب فراره من قرطبة إلى طليطلة إلا خوفا من إلقاء القبض عليه ،ذلك لما خان أحد أصدقائه الذي استقبله في منزله .و لما خرج صاحبه لبعض شأنه تاركا ابن عبد الجبار داخل المنزل؛ و وجده هو عائدا مع زوجته فاشتكاه إلى الشرطى خفية . ولما تفطن ابن عبد الجابر هرب مع ثلاث عشرة جارية كن معه إلا واحدة.[3]

---

[6]ابن بسام، الذخيرة ،مج1 ص76؛ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس،ص 407، 408؛ سناء الشعيري،المرجع السابق،ص38.

[1] ابن عذاري، البيان ،ج 3، ص ص 71، 73.

[2] ابن عذاري ، نفسه،ج3، ص 63 ، 64.

[3] ابن عذاري ، نفسه ، ج3 ،ص92.

واستبد محمد بن هشام بالحكم و أمر بسد أبواب القصر على هشام المؤيد، وأخرج جواريه و صقالبته ولم يترك له غير جاريته "شعب" و خادمتين معها.[1] . واظهر ابن عبد الجبار من الخلاعه و الضعف ما أفقده ثقة الرعية؛ من ذلك أنه إشتري له صقلبي كان يتعشقه ، و بعث إلى نساء كان يصحبهن منهن جارية أبي القاسم المصري اسمها "بستان"، وامرأة ابن الشرح التي تسمى " واجد" . وقد بدا من فسقه واختلال دينه وعقله أمر لا يظهر إلا من أهل الدعارة و كان لا يفيق من سكر و لا يراع عن منكر بالنساء و الصقالبة والملاهي...فكان هذا من جملة أسباب القيام عليه. و قتله سنة أربعمائة للهجرة .[2] و لم تسلم من خطره امرأة مهما كانت مكانتها إلا الذلفاء التي مهدت له طريق السلطة .

المرأة و السياسية في عهدي ملوك الطوائف و المرابطين

ـ عهد ملوك الطوائف [3]

بسقوط الخلافة الأموية في الأندلس انتهى الحاكم الشرعي الذي كان يجمع بين القوى المتناحرة من عرب و بربر و الصقالبة والموالي والمولدين و المستعربين؛ فقامت في كل مدينة دويلة. و انقسمت الأندلس إلى 23 دولية متنازعة، سميت بدول ملوك الطوائف. امتد عصرملوك الطوائف من (422هـ 478هـ/1031م -1085م)، أسهمت فيه المرأة إيجابا و سلبا ،و من ذلك مايلي:

ـ المرأة عهد بني زيري بغرناطة.

عرفت دولة بني زيري منذ تأسيسها بغرناطة إلى غاية سقوطها (403ه ـــ483ه/1013م ـــ1090م) تنافسا بين أبنائها على الحكم في البلد مدعمين في ذلك من طرف موالهم من العجم ومن أهل الذمة خاصة اليهود ، مما أدى إلى ظهور نوع من الفساد السياسي في الجهاز الحكومي. وكان الوزراء لا يرون وسيلة يشغلونهم بها حتى يستبدوا هم بالحكم إلا بإغرائهم في الملذات وإشغالهم بالنساء اللائي كثرن وكوّن فرقا ، كل فرقة منهن كانت تطمح في تربية أبناء السلطان حتى يكون لها الحظوة والغلبة ، فكثرت مؤامرات البلاط لهذا السبب.[4] ومن دلائل دس النساء ما تمثل في شكوى وزير الأمير عبد الله لأقرانه ،أن الأمير يستأثر

---

[1] ابن عذاري، نفسه ، ج 3، ص 77.

[2] ابن عذاري ، نفسه ، ح3 ص 79، ص 100؛ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 409، 410.

[3] انظر الخريطة السياسية للأندلس عصر ملوك الطوائف رقم 5

[4] الأمير عبدالله ، كتاب التبيان ،ص41 ؛ عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** ،ج3، القاهرة ، مكتبة الخانجي،ط4، 1417ه/1997،ص 134؛ رجب ، العلاقات،ص296.

بتسيير دفة الأمور بنفسه فنصحه أقرانه بإشغال الأمير بالنساء و التعجيل له بابتياع الرقيق .[1]

و مما أعان على الفساد في إمارة " باديس بن حبوس" ، أنه كان مع أمهاته اللائي ربَين ولده المعز -أخ الأمير عبد الله(المؤلف)- على ضد من الأمن لإفراغهن المال على ابنه طفلا صغيرا و منعه هو منه. فلجأ إلى اليهودي " ابن النغرالة * لجلب المال. وكانت أمهاته يطالبونه بالمال ويمنعونه من صحبة اليهودي .و لما شعرا –الاثنان- بذلك ,اتفقا معا على مطالبة النساء بالمال و اتهامهن بسرقته و تهريبه . فلما وقف باديس على هذه القضية اشتدت الفتنة بين النساء و بين ابنهن المعز، وفي الأخير ردت التهمة على اليهودي وأصبح هذا الأخير ملوما من طرف "باديس " والنساء معا. وقد تحايل النساء حتى برأن أنفسهن مما قذفن به.

ودعت الضرورة سيف الدولة" بلقين" أن يتصالح مع النساء والرجوع إلى أبيه معهن. و ردت القصة في الأخير إلي رأس اليهودي ابن النغرالة الذي حاول تبرئة نفسه بدهائه [2] و دس التهم و المؤامرات لكبار الموظفين في الدولة. ومن مساعي جهوده المبذولة في استرجاع مكانته هو سعيه في تولية "ماكسن" ابن عم عبد الله بن بلقين ولاية العهد. .وبعد استشارة بني جلدته، قال له أحد مشيخة اليهود :"هذا ماكسن أخوه مخمول فإن أنت قتلت بلقين ووليت ماكسن قدمت عنده يدا لا ينساك عليها." وهكذا سولت له نفسه قتل بلقين بن باديس .[3]

و لكن أُمّ ماكسن كانت تأنف المعاملة مع الوزير اليهودي ابن النغرالة الذي صاحبه ابنها ماكسن و مالت في معاملتها إلى خال اليهودي الذي يعرف بأبي الربيع الماطوني قابض الوجيبة و طلبت منه المال باسم السلف. الأمر الذي أثار غيرة الوزير و عمل على طلب "ماكسن"و أمّه و حاشيته فافترى عليهم عند السلطان باديس بن حبوس،و شهد له عليه جماعة من أهل الدولة. وغضب السلطان على ما حدث إلى أن أمر بقتل أمه و دياته وبعض من انتمى إليهم. واتبع الوزير اليهودي نفس المسلك مع "باديس" فقتل خاله غدرا في منزله.[4]

---

[1] الأمير عبد الله ، كتاب التبيان ،ص 85؛ ابن سعيد ، المغرب ج2 ،ص 13 ؛ رجب ، نفس المرجع،ص299.

* استولى على دولة باديس كاتبه اليهودي اسماعيل بن النغرالة ثم ابنه يوسف من بعده.فكانت بيده أمواله .وكان بلقين المرشح لولاية العهد منكرا على اليهودي استلائه على الملك وتنويهه اليهود من قومه وانطلاق يده على المسلمين. الأمير عبد الله ، المصدر السابق ،ص48 ؛ ابن عذاري ،البيان،ج3 ،ص 264،265؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام،ص230 ،231 ؛ عنان ،دولة الطوائف،ص 134 .

[2] الأميرعبد الله ،المصدر السابق ، ،ص48 ، ص67

[3] الأميرعبد الله ، نفسه ،ص 40.

[4] الأميرعبد الله، نفسه ،ص48

و هذا الوزير اليهودي كان متحفظا في معاملاته مع الآخرين. فلما رأى طغيان النساء و كل فرقة منهن تريد ولاية من تريد من أبناء السلطان و رأى تغيّر مولاه عليه، شاور مشيخته من ذوي الرأي الذين نصحوه بالفرار من البلاد والبعض منهم أشاروا عليه بالصبر و التريث حتى يموت السلطان "باديس بن حبوس" لأنه كبر سنه ،ثم يولي حفيده "المعز". و بالفعل كان اليهودي يرغب في الأخذ بالرأي الأخير لولا صغر سن "المعز"، و كان يرهبه في نفس الوقت لأن لهذا الحفيد -"المعز" - أمهات وطبقات جمة من النساء و الحاشية تختلف أهوائهم عليه ، إضافة إلى حقد "المعز" عليه لأنه سقى والده سماّ قاتلا .[1]

و كان اليهودي يوسف بن نغرالة يضع عيونه وجواسيسه من خاصة باديس في القصر وفي حريمه،فلا يكاد باديس يتحرك أو يتلفظ بكلمة حتى يعلمها اليهودي في الحين.وكان في نفس الوقت يحيط بلقين بعيونه من فتيان ونساء و يتقصى سائر حركاته وسكناته ويقف على نياته نحوه.و كان بلقين يبغض اليهودي لكن يبدي له المودة ويتردد على داره...فاعتزم اليهودي يوسف التخلص من بلقين قبل أن يقضي هو عليه.[2].ولما بحث باديس في أمر مقتل ولده بلقين صرف الوزير اليهودي التهمة إلى طائفة من فتيان ولده وجواريه وقرابته وعاث فيهم باديس قتلا وإبادة ففروا عنه...

ولما أراد باديس بن حبوس الفتك بأهل المدينة يوم الجمعة ارتج البلد لذلك.ويذكر أن وزيره اليهودي دس نسوانا إلى معارف لهن من زعماء المسلمين بغرناطة ينهاهم عن حضور المسجد يومهم و يأمرهم بإخفاء أنفسهم .و بفضل مساعي النساء فشا الخبر الشنيع وتخلف الناس عن شهود الجمعة ولم يأته إلا نفر من عامتهم؛واستطاعت النساء حفظ أرواح عدد من وجهاء غرناطة و ذلك بنجاحهن في أداء مهمتهن بكل حذر وذكاء.[3] أما "ماكسن"* الذي آلفه اليهودي اتصف بالسفه وسوء الطبع و إساءة معاملة الناس و أجمع الكل أن لا خير فيه ، من ذلك قصته مع ابنة عمه "أم العلو " التي كانت طامعة بزواجه ،و كانت مطاعة في قومها قد استمالت أكثر نساء الجند لها. فأول ما ابتدأه "ماكسن" شتمها واحتقارها و أنها لا تصلح له زوجة. فزاد ذلك في نحسه والسعي عليه خاصة من طرف أمه وابنة عمه .[4]

---

[1] الأمير عبد الله ، نفسه ، ص48.

[2] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3،ص265 ؛ عنان ،دولة الطوائف،ص134 .

[3] ابن عذاري ، نفسه ،ج3 ،ص265 ؛ ابن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج1 ،ص473؛ عنان، دولة الطوائف، ص 140، 141.

* كان ماكسن سيء الطريقة، قليل البر، يَعِد الناس بالشر حتى كرهه أهل دولة أبيه وأبغضوه وكثر عليه الطلب عند أبيه ، الأمير عبد الله ،مذكراته ،ص48 ؛عنان ، دولة الطوائف،ص142

[4] الأمير عبد الله ، نفس المصدر،ص 67.

و كانت كريمة المظفر ساعية في خبره مع ابنة عمه بعد سعيها في مقتل أمه. و قد غارت من زواج " ماكسن" من "أم العلو" خوفا منها أن تجعل منها حاشية و تمنع حرمته.

كما تحذر من هذا الزواج و تآمر على إفساده، كل من العلج "واصل" و امرأته لدى امرأة المظفر باديس فقالا لها :
"أي فائدة حاكمة على داره. لكي في زواج "أم العلو"؟ و الأولى بك أن تعطيه صبية من تربيتك و تكونين من أجلها " .
فأخذت بنصيحتها وزوجت "ماكسن ممن اخترتها له من صبياتها و رافقتها بأموال حتى يرضاها "ماكسن".و أوهمت السلطان المظفر باديس أن الصبية ماتت لئلا يطلبها السلطان في قصرها بسم فتاة أخرى ماتت عندها من قبل. واشتد غضب وحقد"أم العلو" على الصبية،و سعت للانتقام من" ماكسن "بمساندة نساء البربر.كما تدخلت بين امرأة العلج "واصل" و بين كريمة "ماكسن" .و في وشاية لها قالت لامرأة "ماكسن " إذا أردت لانفراد بماكسن ،فما حمل امرأة العلج السكنى معه؟ فمنعت امرأة "واصل" زوجها من الدخول إلى داره.[1]

و كان مع ذلك زوجها "واصل" يؤثر عليها صبية كانت لها ويؤذيها من أجلها فاجتمعت لدى امرأة واصل الغيرة و الأنفة التي ازدادت حدتهما حينما طردت من دار "ماكسن". و لم تلبث هذه المرأة أن ذهبت إلى أبي الربيع النصراني ،و بعد أن عرفته بهويتها أنها أمة المظفر أباحت له بأسرار مؤامرة تدبر في الخفاء وبينت له جميع ما رموا من غدر بالمظفر . و احتاط أبو الربيع مما نقلته له هذه الأمة وأسرع بمخاطبة الحاجب مسرورا قائلا له :"انظر كيف تبدأ سعادتك في تشتيت هؤلاء القوم...[2] وهكذا نتيجة للغيرة تبوح هذه المرأة بأسرار الدولة لأبي الربيع النصراني الذي هلل لتدبير المكائد بين أفراد الأسرة الحاكمة .

ــ المرأة في عهد بنــي ذي النــون:(427هـــ478 ه/1036م ــ1085م)

كانت طليطلة تحت حكم بني ذي النون،[3] وكان سبب غزوها من طرف عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر انتقاما لابنته. ففي سنة 458هـ/ 1064 م

---

[1] الأمير عبد الله ، المصدر السابق ،ص68

[2] و بهذا الدور لأحدى نساء بني زيري في حكم باديس بن حبوس ينتهي ما هو موجود في نسخة مذكرات عبد الله من تاريخ جد المؤلف ، نفسه، ص68.

[3] مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ص 418، 419. انظر موقع الدولة على الخريطة رقم 5

لما وصلته أخبار معاملة صهره عبد الملك لابنته جاشت حفيظته. و كانت المصاهرة بينهما من قبل بحيث أن هذه البنت كانت متزوجة بأخ عبد الملك و لما مات أخوه لم يرض بفصل علاقاته "بيحي بن ذي النون". فزوجه هذه البنت حفاظا على أواصر المودة ، لكن "عبد الملك "لم يراع أواصر المصاهرة فأساء عشرة زوجته وبالغ في إهانتها وإيلامها. و كان عبد الملك خليعا مائلا إلى الفتيان و الغلمان منهمكا في الشراب و كثرة استغراقه في اللذات. [1] ورغم أن ابنة يحي توفيت إلا أنه في عام 458هـ/ 1064م. نفذ والدها مؤامرة الإطاحة بعبد الملك بن أبي عامر حينما زاره في بيته في طليطلة و استطاع أن يغدر به حينما أقام في قصره ؛فدبر كمينا لصهره عبد الملك و قبض عليه ثم همّ بقتله لولا أن شفعت فيه زوجته ابنة المأمون .وبذلك استحوذ ابن ذي النون على شرق الأندلس لنفسه نهائيا. [2]

أما أبو بكر بن عبد العزيز بن المنصور بن أبي عامر فقد استولى على بلنسية، وعمل على توطيد علاقاته مع الأمير "أبي جعفر أحمد بن المؤتمن بن هود" وذلك بتزويجه ابنته سنة 477هـ/ 1085 م. و رأى من جانبه أن هذه المصاهرة تكون سببا في ضم المملكتين سرقسطة و بلنسية في مملكة قوية موحدة .واحتفل بعقد هذا الزواج بسرقسطة في حفلات شائقة كانت مضرب الأمثال في البذخ والبهاء في ليلة 27 رمضان من نفس السنة. و بهذه المصاهرة استقرت الأوضاع بينهما و عمرت دولة أبي بكر بن عبد العزيز حوالي عشر سنين بعد تولية ابنه من بعده بوصية منه (من 477هـ—498هـ)

المـــــــرأة عهد بني عباد في إشبيلية:

إن سياسة المعتضد بن عباد لم تكن قائمة على الصدق والولاء،إنما على الخديعة والمصانعة؛ فقد غدر بأمراء القبائل، وهم :أبو نور بن أبي قرة صاحب رندة حليفه وصديقه، و محمد بن نوح الدمري صاحب مورور، و عبدون بن خزرون أمير بني يرنيان صاحب أركش و ضواحيها . [3] و نظرا لاضطراب العلاقات ، خرج بنو يرنيان بأموالهم و حريمهم و ما جمعوه من أموال من غرناطة نحو قلعة أركش بعد الاتفاق مع باديس بن حبوس صاحب غرناطة و مالقة و أعمالها ثم خرجوا منها

---

[1] ابن عذاري ، البيان، ج3 ،ص165؛ عنان ، دولة الطوائف،ص223 .

[2] عنان ،دولة الطوائف ،ص224.

[3] العذري، نصوص عن الأندلس، ص 108 ؛ ابن عذاري ،المصدر السابق ، ج3 ص 271 ، 295 ؛ عنان، الطوائف، ص 132.

برفقة عدد من بني برزال . فلما ابتعدوا عن القلعة تعرض لهم ابن عباد بفحص شِلب فوقعت الحرب بينهم .وحينئذ لجأ البربر إلى ربوة قريبة للتحصن بها. [1]

و اشتدت الحرب بينهم فهزمهم ابن عباد بعد أن لاقى "بو يرنيان "همة وشدة عظيمة في الدفاع على حريمهم و أموالهم حتى أبيد معظمهم . ولما رأى أميرهم "محمد بن خزرون"، تفوق عدد جند ابن عباد و وقعوه في كمينه، أمر غلامه بقتل امرأته لأنها كانت لطيفة المحل من قلبه فطعنها برمح و هي راكبة فسقطت جثة هامدة، و أمر أن يفعل بأخته نفس العمل لكي لا تقع نساء بيته في سبي بني عباد لما اشتهر به المعتضد من جمع خليط من النساء. وقتل "محمد بن خزرون "في بداية الحرب بعد أن أباد أسرته بنفسه ، و انتهت هذه الحرب آخر يوم من سنة ثمان خمسين و أربعمائة(458هـ /1065م) و ملك ابن عباد قلعة أركش و ما حولها [2]. وهكذا سقطت الإمارات البربرية الصغيرة الأربعة في حوزة بني عباد وضمت كلها إلى مملكة إشبيلية القوية . [3]و اشتهرت إمارة بني عباد بالمجون والخلاعة و شرب الخمر و الاستغراق في الملذات الجسدية و الإكثار من الجواري و النساء ، و كان هذا قاسما مشتركا بين جميع ملوك الطوائف.

و يقال على المعتضد بن عباد أنه: كان كلف بالنساء إلى حد لم يبلغه أحد من نظرائه و خلط في أجناسهن، فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد نظرائه. و منهن الجارية العبادية التي أهداه إياها مجاهد العامري صاحب "دانية".[4] وأما ابنه المعتمد فقد خلف ثمانمائة امرأة من أمهات الأولاد و جواري المتعة و إماء الخدمة بالإضافة إلى ولوعه بالخمر و انغماسه في الملذات و جاء في النفح:" ...و هو مستمسك بعرى لذاته، منغمس فيها بذاته، ملقى بين جواريه..."[5]. ومن نسائه المشهورات التي ورطته ،

إعتمـــاد الرميكية

و قيل تلقب بالمعتمد بعد ارتباطه بها حيث كان يلقب بالمؤيد و الظافر لينتظم اسمه حروف اسمها اقترابا منها و إجلالا لها. و قيل أنه غير اسم (روميكا) إلى اعتماد و عرفت فيما بعد بـالسيدة الكبرى و كانت تكني بأم الربيع ..و أنجبت منه الملوك [6]. و من بناته الأميرة بثينة الأديبة. وقد بلغ من إعزاز المعتمد لاعتماد أن صنع أبياتا يبدأ كل منها بحرف من حروف اسمها و منها:

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج3،ص ص272 ،273 ؛ عنان ،الطوائف، ص 132

[2] ابن عذاري، نفس المصدر، ج3 ص293- ص313 ؛ عنان ،دولة الطوائف ص 156؛ مؤنس معالم . ص 427، 428.

[3] انظر المجال السياسي لإمارة بني عباد في الخريطة رقم 5

[4] المقري ، نفح الطيب ، ج 4، ص283.

[5] ابن الأبار، الحلة، ج2،ص55؛ المقري ،نفح الطيب ، ج 4، ص213 ؛ رجب ، العلاقات ص296.

[6] ابن الأبار، نفس المصدر ، ج2،ص61،60، 62.

دسست اسمك الحلو في طيته   و ألفت منه حروف "اعتماد"

و قال فيها شعرا كثيرا.[1] لقد تمتعت" اعتماد" بصفات ممتازة إلا أنها حياتها قضتها سافرة مدعاة للطعن في تصرفها وأخلاقها. [2] فعندما التقى المعتمد بهذه الجارية الساحرة كان معه صديقه الوزير الشاعر ابن عمار الأندلسي (ت488هـ) الذي أصبح عدوه اللدود في أخر حياته و سبب هذا العداء العنيف هو هجاء ابن عمار للمعتمد و زوجته الرميكية بقصيدته اللامية [3] الشهيرة و منها:

ألا حي بالغرب حيا حلالا   أناخوا جمالا و حازوا جمالا

و عرج بيومين[4] أم القرى   و نم فعسى أن تراها خيالا

تخيرها من بنات الهجان   رميكية ما تساوي عقالا [5]

وقيل إن ابن عباد حقد على ابن عمار قوله:

مما يزهدني في أرض الأندلس   أسماء معتضد فيها و معتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

فربما كان هذا سببا، مع الهجاء المقذع و إغراء الرميكية للمعتمد قتل ابن عمار وضربه بالطبرزين [6] و تركه في رأسه ؛ فقالت الرميكية: "قد بقي ابن عمار هدهدا".

و قد أبغض الفقهاء اعتماد و رموها بأنها هي التي ورطت المعتمد فيما ورطته من الخلاعة والاستهتار والمجاهرة، حتى كتب أهل اشبيلية عليه ذلك، وبتعطيل صلوات الجمع، عقودا رفعوها إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فكان من أمره معه ما كان..."[7] ولم تكن اعتماد تلقي بالا إلى أولئك الذين بذلوا قصارى جهدهم في إزالة ملك بني عباد. أما المعتمد فقد مضى على حاله معها ولم يقصر معها في شيء يجلب لها السعادة و السرور، و بذل لأجل ذلك أموالا طائلة منها ما ذكر عن قصة " ولا يوم الطين"، إلى أن تحولت هذه النعمة إلى نقمة مع

---

[1] ابن الأبار، الحلة ، ج2،ص61؛ المقري ،نفح الطيب الطيب ،ج 4 ، ص 211.

[2] أنظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص142؛ المقري ،نفح الطيب ،ج4 ،ص211 ؛عنان ، دولة الإسلام ،ع1، ق2، ، **عصر المرابطين والموحدين،** القاهرة ، مكتبة الخانجي،ط4،1417ه/1997،، ص 67،68،69 ؛ آنخيل بلنثيا ،تاريخ الفكر الأندلسي ص96،

[3] عدنان درويش ،الأندلس من خلال نفح الطيب،ص536.

[4] يومين: هي قرية بأشبيلية كانت منها أولية بني عباد ، نفح الطيب ، ج5 م3، ص343,

[5] نفح الطيب، ج 4، 212

[6] الطبرزين: هي الفأس، عبد الواحد المراكشي ، المعجب، ص 129 ؛ المقري ،نفح الطيب ، ج 4، 212 ؛ مؤنس، معالم...ص 429

[7] ابن بسام ، الذخيرة، ص70.

نهاية حكم الطوائف .[1] و كر عليه الدهر بعوائده و هو مستمسك بعرى لذاته ، منغمس فيها بذاته، ملقى بين جواريه ، مغتر بودائع ملكه و عواريه، التي استرجعت منه في يومه.[2]

المـــــــرأة في نهـــــاية عهد ملوك الطـوائـــف و دولة المرابطين

شهد القرن 5هـ/ 11م انقلابا في ميزان القوى السياسي و العسكري لصالح الممالك النصرانية في شمال اسبانيا. و أصبح زمام الموقف في يد "قشتالة" و "ليون" ، وأصبح المسلمون مجرد سجناء في شبه الجزيرة و لن يطلق سراحهم إلا بالموت أو الفرار منها إلى أرض أخرى. و أما النساء فأصبحن رهائن للنصارى بعد سبيهن وتحولت الحرائر إلى سبايا و جواري.

و ما هذا الواقع الجديد إلا نتيجة لتلك العوامل و تلك السمات التي اتسم بها عصر ملوك الطوائف، و هي سمات لا تنطوي إلا على ضعف و اضطراب سياسي واجتماعي و اقتصادي شمل الأندلس من أدناها إلى أقصاها. [3] و بذلك فشل ملوك الطوائف في قيادة الصراع ضد نصارى الشمال. و كانت نتيجة فشلهم هذا هو ضياع" بريشتر" Balbastro و "طليطلة " Toledo. و غيرها من المدن و الحصون إلى الأبد، و ضياعهم هم أنفسهم بعد ذلك ،وحينما قدم المرابطون عام 479هـ/ 1086م قضوا عليهم غير آسفين إنقاذا للبلاد و الإسلام من الضياع [4] ،وما تلقوه من شكوى أهل الأندلس لإغاثتهم من طرف يوسف بن تاشفين الذي حقق أعظم انتصاراته في معركة الزلاقة [5].

أما في عهد علي بن يوسف بن تاشفين فقد تراجع الجهاد في الأندلس ومن أسباب ذلك ما قامت به الجارية " قمر". أم ولده التي كان لها دور في تراجع الجهاد في الأندلس. فكانت الجارية "قمر" تدير سياسة الدولة المرابطية وفق عواطفها ولا يعقد علي بن يوسف أمرا إلا باستشارتها في الشؤون الإدارية و السياسية.ولما عيّن ابنه تاشفين على ولاية الأندلس أبلى بلاء حسنا في الدفاع على الثغور و في جهاده للنصارى وحماية المسلمين؛ فأحبه الناس و تملك نفوس الرعية بالعدل و جنده

---

[1] المقري نفح الطيب ، ج 4، 212 ؛ عدنان درويش ، المصدر السابق ، ص456، 457.

[2] المقري، نفس المصدر ،ج 4 ص 213 ؛ مؤنس، معالم. ، ص429.

[3] ابن عذاري ، البيان ،ج3 ،ص304 ، 306 ؛ بنمليح ،الرق، ص. 133.

[4] انظر خريطة الأندلس في عهد المرابطين رقم 6.

[5] ابن عذاري ،المصدر السابق ، ج3 ص306 ؛ رجب ،المرجع السابق، ص301-302 ؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص253، 254. انظر خريطة أهم المعارك رقم 7.

بالإنصاف وذاع صيته في العدوتين.[1] فغارت "قمر" والدة الأمير "سير" من انتصارات "تاشفين ابن ضرتها "ضوء الصباح" ، لكي لا يعلو شأنه و يتملك في بلاد الأندلس .فسعت إلى إقناع والده على عزله و رجوعه إلى مراكش.

و لما مات ابنها "سير " سعت على منع تاشفين من ولاية العهد ونقلها إلى إسحاق ابن جارية أخرى. لكن لم يتحقق لها ذلك بسبب صغر سن إسحاق و اختيار الناس لتاشفين. و ربما بسبب هذا الفعل الشنيع الذي أشار إليه المراكشي ، أن من عوامل اختلال أحوال الأندلس في أواخر أيامهم سيطرة النساء على مقاليد الأمور قائلا: "فأما أحوال جزيرة الأندلس فإنه لما كانت دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف اختلت أحوالها اختلالا مفرطا ،أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم إلى الدعة وإيثارهم الراحة و طاعتهم النساء ،فهانوا على أهل الأندلس و قلّوا في أعينهم، و اجترأ عليهم العدو."[2]

فعملت الجارية "قمر" بأنانيتها على تشتيت ملك المرابطين في الأندلس بعد عزل الأمير تاشفين ،وانهيار دولتهم بالمغرب نتيجة النزاع الأخوي على الإمارة وبالتالي إغفالهم الدفاع على أمن الأندلس فتكالب النصارى و ازدادت هجمتهم الانتقامية من المسلمين. [3] وسقطت دولة المرابطين بيد الموحدين الذين سعوا بدورهم لإنقاذ الأندلس من هجمات النصارى المتزايدة.

المرأة فى عهـــد الموحـــدين و بنى نصر من القرن 6هـ - 9هـ /12م – 14م .

- فى العهد الموحدي:من القرن 6هـ - 7هـ/ 12م - 13م.

لقد قام الحريم بدور كبير في توجيه سياسة دولة الإسلام في الأندلس بتعاقب عهود الحكم المختلفة التي عرفتها الأندلس ، و من هذه العهود الدولة الموحدية التي اجتازت المضيق لنجدة الأندلس بعد قضائها على دولة المرابطين. [4]

---

[1] ابن عذاري ، البيان، ج 4، ص 97 ؛ مليكة حميدي ، **المرأة المغربية في عهد المرابطين** (448هـ - 541هـ/ 1056م-1146م) الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة، 1432هـ/ 2011 م ، ص 123 .

[2] المراكشي ،المعجب ص208 .ابن عذاري ،المصدر السابق ،ج4 ص 97 . مليكة حميدي، المرجع السابق ، ص 121، 122

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، مج 1، ص 447؛ حسن علي حسن ، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين و الوحدين،** مكتبة الخانجي،ط1، 1980، ص360 ؛ مليكة حميدي ، المرجع السابق، ص124.

[4] انظر الموحدين في الأندلس خريطة رقم 8.

و يبدو من خلال المصادر أن دولة الموحدين لم تشهد تدخل النساء في طوري تأسيسها و ازدهارها بالمغرب و ربما يرجع ذلك إلى تعصب الموحدين الديني في بداية أمرهم ، لكن تصادفنا بعض الإشارات عن تدخل النساء لما اجتازوا الأندلس.[1] أما في عهد الانحلال الدولة الموحدية فقد شهدت جملة من دسائس الحريم والجواري ، من أشهرهن حبابة الرومية زوجة المأمون و أم الرشيد.[2] إلا أن المرأة الأندلسية التي كان لها الأثر السياسي في الدولة هي :

الزرقاء المردنيشية ،

امرأة أندلسية حرة ، زوجة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، احتلت الزرقاء المردنيشية، في نفسه مكانة طيّبة ، رغم أنها كانت بنت عدوه "محمد بن سعد بن مردنيش" أحد المتغلبين على شرق الأندلس الذي دخل فيما بعد في طاعة الموحدين. و كان من نتائج الصلح الذي تم بينهما أن تزوج الخليفة من بعد بالأميرة الشقراء التي غلب على تسميتها الزرقاء المردنيشية، واسمها صفية بنت محمد بن سعد بن مردنيش [3].

لقد استطاعت هذه المرأة الأندلسية أن تتغلب على الخليفة حتى كان الناس يضربون المثل بحب الخليفة لها. و بفضل هذه المنزلة التي و صلت إليها استطاعت أن ترفع مكانة بعض أفراد أهلها مشيرة على زوجها (الخليفة) بتعيين بعض أقاربها في المناصب العليا و ذلك استنادا لما أورده ابن الخطيب مسيرا لها: "و اتفق لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر و لا مخالف ملك من إعادته إلى ملكه فأنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف " سعد بن مردنيش" على بلنسية و جهاتها، و قدم "غانم بن محمد" على أساطيل العدوة بسبتة ، و أمسك "هلالا" بحضرته أثير الرتبة لديه". [4]

و بفضلها استفاد بنو مردنيش بحصولهم على المناصب العليا من جهة، كما بسط الخليفة أبو يعقوب يوسف نفوذه على الأراضي التي كان يأمل الحصول

---

[1] لدور المرأة في العهد الموحدي، انظر كرراز فوزية: : **دور المرأة في الغرب الإسلامي**،(من القرن 5ه إلى منتصف القرن 7ه/ 11م – 13 م)،دار الأديب للنشر و التوزيع، وهران، 2006 ،ص ص 30، 33.

[2] ابن عذاري ، **البيان المغرب قسم الموحدين** ،تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمّد زنيبر وعبد القادر زمامة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1985، ط 1 ، ص360.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مج 10، ص37؛ عنان ، دولة الإسلام ،ج2 ص 384؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ. ،ص217؛ عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ،مج6 عهد الموحدين المملكة المغربية،(د م ط) /1407 ه/ 1987، ص46-47 .

[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص 271.

عليها.[1] ورغم سلطانها الكبير في الدولة الموحدية ، اعتبرت هذه المرأة عربون محبة للحفاظ على توازن العلاقات بين المغرب و الأندلس؛ غير أن هذا النفوذ للمرأة الموحدية لم يبلغ درجة الخطورة التي وصلت إليها الجارية "قمر" في العهد المرابطي الذي أثر سلبا على الوضع الأمني في الأندلس.[2]

ومن نساء الأندلسيات اللاتي سعين لدى أمراء الموحدين يشتكين حالهن و تميزن بالجرأة، حفصة الركونية[3] و هي من شهيرات نساء الأندلس و شاعراتها التي قابلت أبي يعقوب المنصور[4] و أنشدت ارتجالا بين يديه:

يا سيد الناس يا من	يؤمل الناس رفده
امنن عليّ بطرس	يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه	الحمد لله وحده

وأشارت بذلك على العلامة السلطانية عند الموحدين . فكان السلطان يكتب بيده بخط غليظ في رأس المنشور:" الحمد لله وحده."[5] اشتهرت حفصة بالحسب و المال و الجمال الذي كان سبب فتنة وتباغض بين المعجبين بها و هما : السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن أمير غرناطة الذي غار من أبي جعفر بن سعيد . و تطورت هذه الغيرة حتى أدى به الأمر إلى قتله.[6]

---

[1] ابن عذاري، البيان قسم الموحدين، ص 360؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص 271؛التازي ، التاريخ الدبلوماسي، ج6، ص ص 51،52 ؛ كرراز فوزية ، المرجع السابق، ص 39.

[2] حميدي، المرجع السابق، ص ص124،121

[3] ستأتي ترجمتها في الفصل 4

[4] اختلفت المصادر فيمن قيل فيه هذه الأبيات ،أ في عبد المؤمن أم في أبي يعقوب المنصور،فالمقري وابن سعيد و السيوطي يرجحون أنها قيلت في عبد المؤمن. ،انظر نفح،ج 4، ص 171 ؛ نزهة الجلساء، ص 41. أما ابن الخطيب ،فقال:" ...و انتهت إلى أن علمت النساء في دار المنصور ، وسألها يوما أن تنشده ارتجالا ، فقالت ثم ذكر الأبيات: الإحاطة ،مج 1 ، ص 493. و إذا علمنا أن عبد المؤمن حكم ما بين (524- 558ه) و المنصور حكم ما بين (580 - 595ه)، فنص ابن الخطيب أرجح، لأن حفصة الركونية لم ترحل إلى مراكش إلا بعد مقتل خليلها أبي جعفر سنة 559ه /1198م. بسنين بعدما هددها الأمير السيد أبي سعيد عثمان بالقتل وبانتزاع منها أملاكها. انظر دراسة الطاهر أحمد مكي ، **دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة**، القاهرة، دار المعارف ، ط 1، 1980، ص101 ؛ سعد بوفلاقة، **الشعر الأندلسي الأندلسي**، (أغراضه و خصائصه الفنية)، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 ، ص178.

[5] ابن الأبار، **المقتضب من كتاب تحفة القادم** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار اكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتان اللبناني ، بيروت ط 3، 1410ه/ 1989م ص 219. المقري ،نفح الطيب،ج 4، ص 171،

[6] المقري ، نفح الطيب، ج 4،ص 179، 204 ؛ عدنان درويش ، الأندلس من خلال نفح الطيب ،ص 507، 508. انظر الفصل الرابع .

و يبدو أن سطو ولاة الموحدين كان شديدا على الأندلسيين رجالا و نساء ، فمن مدينة إشبيلية كتبت **أسماء العامرية** إلى عبد المؤمن بن علي رسالة تمت إليه فيها بنسبها العامري ، وتسأله في رفع الإنزال عن دارها و الإعتقال عن مالها. و في آخر الرسالة كتبت قصيدة أولها:

عرفنا النصر و الفتح المبين لسيدنا أمير المؤمنينا

إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجونا.

ورثتم علمه فعلمتموه و صنتم عهده فغدا مصونا [1]

مثلما تكرر المشهد في عهد الخليفة يعقوب المنصور، فكتبت امرأة تسمى "الشلبية" [2] رسالة تتظلم من ولاة بلدها و صاحب خراجه و عبرت عن شكواها الحزينة في قالب شعر . و ألقي كتابها يوم الجمعة على مصلى المنصور الموحدي فلما قضى الصلاة تصفح هذه الأبيات:

قد آن أن تبكي العيون الآبية ولقد أرى أن الحجارة باكيـة

يا قاصد المصر الذي يرجى به إن قدّر الرحمان رفع كراهيـة

ناد الإمـام إذا وقفت ببابــه يا راعيـا إن الرعيـة فانيـه

أرسلتها همـلا ولا مرعى لهـا وتركتهـا نهب السبـاع العافيـه

شِلْب كلا شلبٍ وكـانت جنـة فاعادهـا الطاعـون نارا حاميـه

خافوا وما خافوا عقوبـة ربهـم والله لا تخفـى عليــه خافيــه [3]

فلما تبين حقيقة وضعها ، أمر لها بصلة و كشف ظُلامتها بعزل ذلك الوالي.[4] ويتضح من خلال ما سبق أن حكام الموحدين لم يجد غضاضة في مقابلة النساء و التحدث معهن ، و هذا التصرف الذي كان ينكره محمد بن تومرت على المرأة في الدولة المرابطية [5] و كان عبد المؤمن آنذاك من المقربين إليه في دعوته. و على كل فإن قضية الشاعرتين تتشابه في الموضوع ، فكلتاهما تعرضت لظلم والي بلدها فشكته للأمير المؤمنين. وإن كان يعقوب المنصور قد

---

[1] (أبو عبد الله محمَّد الأنصاري الأوسي المراكشي) ابن عبد الملك، **الذيل و التكملة** لكتابي الموصول و الصلة ، السفر 8، القسم الأول ،تح محمد بن شريفة، الرباط، مطبعة دار المعارف الجديدة، 1984 ؛ المقري ، نفح الطيب،ج 4، ص 292 ؛ سعد بوفلاقة ،المرجع السابق ، ص180.

[2] لم يفصح عن اسمها إنما نسبت لبلدتها شِلْب . أحمد جمعة،نساء من الأندلس، 264.

[3] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة، س8، رقم 239،ص 480 ، رقم 286، ص 495؛ المقري ، نفح الطيب ،ج 4، ص 294 ؛ أحمد جمعة ، المرجع السابق، ص 266.

[4] المقري ، نفس المصدر،ج 4، ص 29

[5] حميدي ، المرأة في عهد المرابطين، ص ص 57، 59.

بحث في قضية الشلبية ، و رفع عنها الظلم و أمدها بصلة، فإن المصادر سكتت عن ذكر موقف عبد المؤمن بن علي من قضية أسماء العامرية.

المرأة في مملكـــة بني نصر في منذ ق 8هـ / 14 م:

وكسابق قصور حكام الأندلس ، عج القصر الملكي لبني نصر بالحريم و تنافس الجواري المحظيات في إمكانية تعيين ولاية العهد من ذوي بطانتهن ؛ كما استغل بعض الأمراء نساء القصر لتحقيق أغراضهم السياسية نظرا لمكانتهن في القصر . و الشواهد التاريخية على ذلك كثيرة و لذا أقتصر على ذكر البعض منها فقط ابتداء من القرن 8ه/ 14م.

لما جلس السلطان أبو الوليد إسماعيل الأول بن فرج على عرش غرناطة في شوال(713هـ/1314م) ، عمل على توطيد أسس الملك، و استقرار الأمور و إحياء عهد الجهاد. فخاض عدة معارك مع مملكة قشتالة منها موقعه إلبيرة و مدينة بياسه سنة 724هـ/ 1324م. و استولى عنوة على مرتش و أخذ منه سبيا كثيرا في رجب 725هـ/1325م. و لم تمض على عودته ثلاثة أيام حتى قتل بباب قصره من طرف ابن عمه "محمد بن إسماعيل" صاحب الجزيرة .[1]

و سبب مصرعه هو حقد ابن عمه عليه لانتزع منه جارية رائعة الحسن ظفر بها في موقعه مرتش ، و بعث بها إلى حريمه بالقصر، ولما عاتبه " محمد بن إسماعيل" رد السلطان أبو الوليد بجفاء و أنذره بمغادرة البلاط. و حينئذ دبر له مؤامرة للإطاحة به في وقت اشتد فيه الصراع على السلطة. و يقال أن من أجل هذه الجارية التي احتفظ بها لقي مصرعه و لفظ أنفاسه متأثرا بجروحه 26 رجب 725هـ/جوان1325م. و يبدو لي أن هذه الجارية ما هي إلا أحد الأسباب أو سببا مباشرا لاغتيال الملك لأن القصر الملكي كان مشحونا بالاضطرابات و الخلافات الأسرية من أجل السلطة.[2]

وخلفه ولده أبو عبد الله محمد و هو فتى لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وكانت أمه نصرانية تدعى" عَلوة" أحظى عند أبيه .[3] وفي عهده أقام الحدود

---

[1] ابن الأحمر (الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد)، **نثير فوائد الجُمان في نظم فحول الزمان** ،تحقيق محمد رضوان الداية،دار الثقافة،(دم)، 1967،ص18 ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين، ج7 مصر، الهيئة المصرية للكتاب ،2001 ، ص118-119؛ أحمد محمد الطوخي،**مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص36.

[2] ابن الأحمر، نثير فوائد الجُمان ، ص18

[3] ابن الخطيب ، الإحاطة .،مج1 ص382 ؛ الطوخي ،مظاهر الحضارة .، ص36 ؛ عنان ، نهاية الأندلس، ج7، ص 121.

وأخمد البدع، و حرمت المسكرات و طورد الفساد الأخلاقي و حرم جلوس الفتيات في ولاء الرجال .[1]

عرفت الدولة النصرية اضطرابات كثيرة سياسية و انقلابات عديدة و متشعبة، منها الانقلاب الذي وقع في غرناطة و الذي أود بالسلطان أبي الوليد اسماعيل الثاني في761ه/1360م والسبب المباشر لهذه الانقلابات يرجع إلى الخلافات الشخصية بين أعضاء الأسرة الملكة و منها أن السلطان أبا الحجاج يوسف بن نصر قد تزوج من امرأتين من جواريه و هما " بثينة " و "مريم" .فأنجب من الأولى محمدا و عيشة. و من الثانية إسماعيل و قيسا و عدة بنات، و تزوجت إحداهن أمير من أفراد الأسرة و هو الرئيس أبو عبد الله المعروف بالبرميخو.[2] و عقد له أبو الحجاج عل بنته لوقوع القحط في رجال بيته.[3]

و كان إسماعيل أصغر من أخيه بنحو تسعة اشهر ، غير أن أمّه " مريم "حاولت أن تستغل حب السلطان لها في أن تقدم ولدها إسماعيل وليا للعهد بدلا من أخيه الأكبر محمد ،إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل و آل العرش بعد موت أبي الحجاج يوسف إلى مستحقه الشرعي و هو محمد الخامس الغني بالله.[4]

ولقد حاول هذا السلطان الجديد أن يرضي إخوته و زوجة أبيه " مريم" بشتى الوسائل ، و لم يضايق عليها فيما استأثرت به من بيت المال ؛غير أن طموح هذه المرأة والأموال التي تركها لها زوجها السلطان الراحل ، دفعها إلى التآمر سرا مع زوج ابنتها " البرميخو" للتخلص من السلطان محمّد الغني بالله و تولية ابنها إسماعيل مكانه. و استخرجت لصهرها المال الذي بثه في الدعوة حتى بلغ مراده . وكان إسماعيل بدوره يضمر لمحمّد عداوة و حقدا بسبب زواجه من ابنة عمٍّ لهما كان إسماعيل يحبها و يريدها لنفسه مما زاد من شدة الصراع الأسري .

و في الأخير نجح المتآمرون في الوثوب ليلا على قصر الحمراء و إقامة إسماعيل سلطانا على غرناطة غير أنهم لو ينجحوا في قتل السلطان محمد الخامس لأنه كان مقيما وقتئذ في جنة العريف (وهي الحديقة المجاورة للقصر الملكي. Generalife .) لما سمع بالمؤامرة فرّ إلى مدينة و منها إلى مدينة فاس حيث أقام في كنف السلطان المغربي أبي سالم إبراهيم المريني.[5]

وأما المرأة البطلة في دولة بني نصر فهي :

---

[1] ابن الخطيب ،الإحاطة، ج 1 ، ص388؛عنان، نهاية الأندلس ، ج7 ص 121.

[2] ابن الخطيب ، نُفاضة الجراب، ص13، 14.

[3] ابن الخطيب ؛ الإحاطة، ج 1، ص 163.

[4] ابن الخطيب، نُفاضة الجراب، ص 14.

[5] ابن الخطيب، نُفاضة ، ص 14، 15؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، مج 1، ص 398.

عـــــائشـــــة الحـــرة:

اقترن اسم هذه المرأة بسقوط غرناطة ، فما هي العمال التي خلدتها في تاريخ نـهاية الأندلس؟

ظلت مملكة بني نصر في غرناطة * في مأمن من الهجومات النصرانية التي اجتاحت ممتلكات المسلمين في الأندلس، حتى تم الإتحاد بين مملكتي قشتالة وأرغون عام 873هـ /1469م، و بزواج فرديناد الخامس إيزابيلا الكاثوليكية ورثة عرش قشتالة. و كانت إيزابيلا تجيش بنزعة صليبية، و واقعة تحت تأثير رجال الكنيسة المتعصبين ، فارتكبت أبشع الجرائم باسم النصرانية باجتماع الدولتان القويتان على إمارة بني الأحمر تصليانها الحرب الهوان طوال عشر سنين.[1]

ورافق ذلك تقهقر أحوال غرناطة نتيجة خلافها الداخلي و انقسامها أحزابا تتصارع و يلجأ بعضها إلى (الملوك) النصارى لمقاومة بعضهم البعض ... و أصبح قصر الحمراء ملعبا لدسائس النساء ومكايدهن، و أشعلت في المملكة الثورات الأهلية استفاد منها الأسبان.

---

* في الوقت الذي أخذت قواعد الأندلس تضيع، ينتزع بعضها ابن هود و ثوار النواحي و بعضها الآخر ينتزعه النّصارى، ظهر محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر، سليل بني نصر الذي يرجع نسبهم إلى سعد بن عبادة سيّد الخزرج رضي الله عنه. ولد ابن الأحمر في أرجونة (مدينة من حصون قرطبة في 595ه/1198م. و ساعد ابن الأحمر في اكتساح الجنوب كلّه أصهاره بنو أشقيلولة، و بذلك قامت دولة بني الأحمر في غرناطة على أثر انهيار الموحدين و بني هود. ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 36 ؛ **خالد بن عبد الله الشريف،مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها**(دراسة سياسية و الاقتصادية)892/422هـ،ط 1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،المملكة العربية السعودية،1430هـ/ 2009م، ص113.

2 الإحاطة، مج 2، ص ص 100،99 ؛ خالد بن عبد الله الشريف،المرجع السابق،ص113

* أبو الحسن هو ولد السلطان محمد بن سعد بن إسماعيل الملقب بالغالب بالله، الذي حاول أن يجدد الهدنة مع قشتالة، لكن الملكين الجديدين (فرديناند و إيزابيلا) رفضا ذلك إلا بعد دفع جزية سنوية ، فرض أبو الحسن طلبهما. المقري؛ نفح الطيب،ج 4، ص511؛ عبد الواحد ذنون طه،**دراسات أندلسية**، بيروت ،المدار الإسلامي، ط1،2004، ص180 . شوقي أبو خليل ،مصرع غرناطة ، ص68.

** قال عنها المستشرق الإسباني سيكو دي لوثينا، أنها فاطمة بنت الأمير الأحنف لكن عبد الله عنان يرجح بقرائن من الوثائق الغرناطية المختلفة أنها السيدة عائشة بنت الأمير محمد الأيسر. ويؤكد هذا النسب مجاهد مجهول من المقاومة الإسلامية في غرناطة و هو صاحب "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ،تح محمد رضوان الداية ،ص 49 ؛ المقري، نفح الطيب ،ج 4، ص 512 ؛ ؛ ابن الأحمر، نثير فوائد الجُمان ، ص 15، 45 ؛ ابن الخطيب ، نفاضة الجراب، ص 44، 45 ؛ عنان ، نهاية الأندلس،ص198؛ أحمد محمد الطوخي ، المرجع السابق ،ص 44.

و قد كان أبو الحسن * قد تزوج من عائشة ابنة عمه الأمير محمد الأيسر ، وهي المعروفة باسم "عائشة الحرّة" ** و اسم هذه المرأة نجم لامع بالبطولة مع الأسى و الشجن في المأساة الأندلسية.

لقد خلد التاريخ "عائشة الحرة" بأنها تحلّت بشخصية قوية، مع سمو في الروح ومع رفيع القيم و المثل،و قلب جرئ يجابه المحن، و مجد يشع ليخبو بضوئه الأخير . رزقت عائشة الحرّة بولدين هما أبو عبد الله محمد، و أبو الحجاج يوسف [1]، إلاّ أن زوجها أبا الحسن كان يكثر من التسري بالجواري، فشغف بجارية اسبانية شغفا عظيما و استولت على إدارته حتّى تزوجها ثم أسلمت و غيرت اسمها فأحلها المنزلة الأولى من نسائه و هجر ابنة عمه التي أدركها من الغيرة ما يدرك النساء و وقع بينهما نزاع كثير نتيجة الصدمة التي تلقتها في حياتها الزوجية [2].

و هذه الجارية هي رومية نصرانية الأصل تدعى "ثريا" أو " كوكب الصبح" و تعرف في الروايات الإسبانية: "بايزابيلا" دي سوليس. و تقول الرواية الإسبانية هي ابنة القائد الأسباني:"سانشو كمنيس دي سوليس" أخذت أسيرة في بعض المعارك و هي صبية فتية و ألحقت وصيفة بقصر الحمراء،فاعتنقت الإسلام و تسمت بثريّاً .فلما تزوجها عرفت عائشة بالحرّة تميزا لها عن الجارية الرومية" ثريا" أو ربما سميّت بذلك لعفافها و طهرها و أصلها. واقتسمت قصر الحمراء مع عائشة، لكن طموح"ثريا " و دهائها استطاعت إقناع زوجها بإقصاء عائشة وولديها و الأكثر من ذلك هو إقناعه باعتقالهم جميعا. و لقد تمت المؤامرة على عائشة، و زجت مع ولديها في برج قمارش أمنع أبراج الحمراء، و شدّد الحجر عليهم و عملوا بمنتهى الشّدة و القسوة. [3]

و من جراء تسري أبو الحسن بثريا ، أصبح القصر الغرناطي مطية للدسائس و الفتن. لكن الأخطر من ذلك هو أن أبا الحسن الذي أثقلته السنون أصبح أداة سهلة في يد زوجته "ثريا"، التي استحوذت عليه بجمالها و دهائها . فقد أصبح لا يرى إلا بعينيها ، و لا يفكر إلا بعقلها. فقد كانت ثريا تتطلع إلى إن يكون ولدها الأكبروليا

للعهد بعد ما كان المؤهل لولاية العهد" أبو عبد الله" ابن عائشة الحرة

[1] مجاهد مجهول من المقاومة الإسلامية في غرناطة (900- 1000هـ) : **آخر أيام غرناطة ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ،تحقيق محمد رضوان الداية ، دمشق ، دار الفكر، بيروت ،دار الفكر المعاصر،ط 2، 1423هـ/ 2002م ،ص 49 ؛ عنان ، نهاية الأندلس، ص 197.

[2] مجهول ، نبذة العصر، ص 49 ؛ ابن الخطيب ، نفاضة الجراب، ص 45 ؛ عنان نهاية الأندلس، ص197..

[3] عنان ، نهاية الأندلس، ص 200؛ ذنون ؛ دراسات أندلسية،ص180 ؛أحمد جمعة، نساء من الأندلس، ص 280؛ فاطمة الزهراء المرنيسي ،المرجع السابق، ص 21 .

.[1] وكنتيجة حتمية لهذا الصراع على ولاية العهد في قصر الحمراء بين حرّة وجارية ـ أم ولد ـ ، انقسم المجتمع في مملكة غرناطة الصغيرة إلى فريقين [2] هما:

ـ فريق يؤيد السلطان و محظيته ثريا، وهي سيدة غرناطة الفعلية المستأثرة بكل سلطة و نفوذ.و تمركز في مالقة و غرب الأندلس .و بدت نوايا "ثريا" الحقيقية في صراعها مع عائشة الحرة إذ حرضت زوجها أبا الحسن الهرم على قتل ولده أبي عبد الله ابن عائشة بحجة أن النجمين تنبؤا له عند مولده بأنه سيرقى العرش، و يكون آخر من يرقاه من الملوك المسلمين، و سوف تسقط غرناطة على يده. فهل صدق فعلا هذا تنبؤ أم كان مكيدة الخطط السرية المسطرة ضمن أهدافها من طرف أهلها النصارى؛ وما " ثريا" إلا أداة تنفيذية للإطاحة بالعرش الغرناطي ؟. لكن للأسف أبو الحسن الهرم كان قصير النظر وشديد الطاعة لزوجته "ثريا" .

2- فريق يؤيد الأميرة الشرعية عائشة الحرة و ولديها:

كانت عائشة و ابنيها متحصنين في منطقة وادي آش و أعمالها. ورغم الحصار المفروض على هذه المنطقة فإن عائشة لم تستسلم إلى واقعها المؤلم و سعت بكل ما تسنى لها من إمكانيات إلى الخلاص من المأزق السياسي الخطير. فاتصلت سرّا بمؤيديها و أنصارها في مقدمتهم بنو سراج، و تمكنت من الهرب من قصر الحمراء في ليلة من ليالي جمادى الثانية سنة 887ه/1482م، بمساعدة بعض الأصدقاء المخلصين لها. حيث استطاعت بواسطة أغطية الفراش أن تصنع حبالا و الهبوط بواسطتها من نوافذ البرج الشاهق . و هبطت بعد أن دلت ولديها من البرج ثم توجهت بهما حيث مجمع أنصارها في منطقة وادي آش...

و شاعت قصة فرارها المثيرة للعطف و الإعجاب لدى أنصار ابنها " أبوعبد الله" التي زادت من حماسهم و صمودهم . و بفضل جرأة و شجاعة "عائشة" الحرة جلس الأمير أبو عبد الله محمد على عرش غرناطة في مكان أبيه عام 887هـ/ م و عمره نحو خمس و عشرون سنة (25) و انتصر على النصارى في عدّة معارك.[3] وعرفت غرناطة ثورة داخلية تعاطفا مع عائشة الحرة و ولديها. و في هذه الأثناء و مع مستجدات الأحداث فرّ زوجها الملك الهرم أبو الحسن إلى "مالقة" وكان فيها أخوه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف" بالزغل" يدفع عنها جيشا جرارا سيّره ملك قشتالة للإستلاء عليها. [4] و حين عودته تعرض له النصارى

---

[1] وَلَدت ثريا لأبي الحسن ثلاثة أبناء، مات واحد منهم و بقي اثنان هما سعد و نصر . و قد وقع الأخوان تحت تأثير الملكين الكاثوليكيين و خمنيث فارتدا عن الإسلام و شدّا أمهما ثريا على الإرتداد . محمد رضوان الداية، آخر أيام غرناطة ، هـ 7/ ص 51؛ شوقي خليل ، **مصرع غرناطة** ،أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر ، بيروت،دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ط2، 1998، ص68؛ الطوخي ، المرجع السابق،ص45

[2] المقري، نفح الطيب،ج 4، ص512؛ عنان ، نهاية الأندلس، ص 200.

[3] عنان ، نهاية الأندلس، ص 201؛ فاطمة الزهراء المرنيسي، سلطنات منسيات ، ص 20 ؛ الطوخي ، مظاهر الحضارة الأندلسية ،ص45

[4] المقري ،نفح الطيب،ج 4، ص511 ؛ عنان ، نهاية الأندلس، ص 202.

في ضواحي قلعة" اللّسانة" [1] التي كان يزعم حصارها، و خسر المعركة و سيق أسيرا على إثرها في عام 888هـ/ 1483م. [2]

و عاد المسلمون المقاتلون إلى غرناطة دون ملكهم، فارتاعت العاصمة لذلك ... لكن عائشة الحرة أمسكت أعصابها و احتفظت بهدوئها و سكينتها، حتى أنها قالت لزوجة ولدها ــ و هي ابنة الأمير علي العطار ــ ، معنفة لها :"إن الدموع لا تليق بابنة مجاهد و لا بزوجة ملك، و أن الخطر الأشد على ملك يتمتع بقصره منه حين يأوي إلى خيمته، و إنه لواجب على زوجك أن يشتري سلاح عرشه بمخاطر الميدان". [3]

ومن جانب آخر يبدو أن عائشة الحرة حاولت التفاوض مع فرديناند، ويتبن ذلك مما تبرزه الرواية الإسبانية عن هذه الفترة ،من أن أم أبي عبد الله الصغير "،عائشة الحرّة، عرضت على فرديناند أموالا بشرط أن يحكم ابنها غرناطة باسم ملك قشتالة مع دفع جزية سنوية، و إطلاق أسرى إسبان في كل عام، و أن يقدم معونة عسكرية لقشتالة.

ولكن فرديناند أراد في الحقيقة تنفيذ برنامجا حربيا، مستغلا قلة خبرة أبي عبد الله الصغير، و انعدام حزمه و ضعف إرادته و طموحه للحكم، و اتخذه أداة يوجهها كيف ما شاء في سياسته العدوانية . فأقنع فرديناند أبا عبد الله الصغير أن الصلح مع قشتالة خير،وبالتالي أخذ عبد الله الصغير ينفذ خطة فرديناند دون وعي و شعور لعواقبها. و كان يرسل من يقنع المسلمين بأن الصلح خير؛ و بالمقابل كانت سياسة فرديناند تضرب على وترين للإطاحة بغرناطة؛ أولهما سياسي - سلمي كما سبق ذكره؛ و ثانيهما قمعي حربي إبادة في حق المسلمين . فكان ينزع ما أمكنه من أراضي مملكة غرناطة مستعملا النار و الحديد و مرهبا السكان بذلك لإخلائها. و في الأخير اتفق أبو عبد الله الصغير مع فرديناند على تسليم المدينة في الثاني من ربيع الأول897ه/- 2يناير 1492م . و من شروط اتفاق أهل غرناطة مع ملك قشتالة: أن يؤمنهم على أنفسهم و بلادهم و نسائهم و صبيانهم و مواشيهم و مراعهم.... [4]

خرج أبو عبد الله الصغير و أسرته من قصر الحمراء و الوجوم يغطي محياه. و احتبست الزفرات في الصدور، و سار بركب قاتم حزين، لملك منفي، و أمه

---

[1] اللّسانة - lucena - بلدة صغيرة حصينة في أيام دوله غرناطة، وهي إلى الجنوب الشرقي من مدينة قرطبة ، وتعرف بمدينة اليهود لتمركزهم فيها، الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص571.

[2] مجهول ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 62، 64.

[3] عنان ،نهاية الأندلس، ص 204.

[4] مجهول ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 105 ، 106 ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص 277.؛ انظر عن حكم الشرع الإسلامي فيمن نبذ بيعة الإمام ، مجهول ، نفسه ،ص 156.

عائشة الحرة على جوادها و الحزن يشع من محياها الوقور بعد أن سلم مفاتيح الحمراء لفرديناند.....[1]

و لما أشرف على غرناطة أجهش بالبكاء على تلك الربوع العزيزة التي شهدت مواطن عزة الإسلام و سلطانه. فصاحت به أمّه عائشة الحرة قائلة:

"أجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطيع أن تدافع عليه كالرجال."

و لا يزال هذا الموقع يسمى زفرة المغربي الأخيرة يعاينها سكان تلك المنطقة للسائح المتجول.[2]

وبهذه المقاومة تحتل شخصية عائشة الحرة في مجريات سقوط غرناطة مكانة بارزة . و ليس ثمة في تاريخ تلك الفترة الأخيرة من المأساة الأندلسية شخصية تثير من الإعجاب و الاحترام، و من الأسى و الشجن، قدر ما يثير ذكر هذه الأميرة عائشة، التي تذكرنا خلالها البديعة، و مواقفها الباهرة ، و شجاعتها المثلى إبان الخطوب المدلهة بما نقرأه في أساطير البطولة القديمة. و لا غرابة أن كل أبي يقف في ذاك المكان إلا تذكرها و بكى لبكائها.[3]

ومجمل القول عن مشاركة المرأة في سياسة حكم الدولة هو الغرض منها الحفاظ على مكانتها لدى الحاكم ومن خلال ذلك يتسنى لها السيطرة و الارتقاء على باقي الحريم.أما مسألة ولاية العهد فتعد من المسائل الأولية في انشغالاتها وأصبحت من القضايا الشائكة التي تسببت في كثير من المشاكل السياسية الخطيرة انعكست بالسلب على العلاقات بين أفراد الأسرة الحاكمة من جهة و على استقرار أمن الدولة ككل من جهة أخرى. و أذكر من ذلك دور "صبح" كوصية على ولي العهد القاصر فضيعته و ضاعت معه الخلافة الأموية في قرطبة. و التدخل الخطير "للذلفاء" الذي كان من أحد الأسباب في ثورة العامة و سقوط الخلافة الأموية في 422 هـ/ 1030م . و نهيك عن دور " ثريا" في التأثير على أبي الحسن النصري ، ومنافستها لعائشة الحرة للاستحواذ على مقاليد الحاكم. فانزلقت الدولة في مأزق سياسي خطير هوى بدولة الإسلام في الأندلس وسقطت آخر معاقله - مملكة غرناطة - في يد النصارى في 897هـ/ 1492 م.

---

[1] عدنان درويش ، الأندلس من نفح الطيب ،ص314،315؛ محمد توفيق بلبع، **غرناطة و قصر الحمراء مقدمة في تاريخ المدينة و الأهمية المعمارية للقصر،** المجلة التاريخية المصرية،مج 16،القاهرة،مطبعة جامعة عين الشمس،1969، ص84، 85.

[2] عنان، نهاية الأندلس،ص ص 267.

[3] عنان ، نفس المرجع، ص 197.

ثانيـــــــا: المـــرأة و الحـــــرب:

المـــرأة المقاتلة

من النساء من حملن السلاح و قتلن قتال الأبطال حتى و قعن في ساحة الوغى. ومنهن من انتهى مصيرها بالأسر فذاقت هوان الغربة و ذل الأسر . و منهن من ساهمت بالنصح و التوجيه للزوج أو الابن مؤازرة له في أشد الظروف مواجهة الحياة أو الموت ؛ و منهن من ماتت مدافعة عن سيدها بنفسها دارئة عنه الموت ...، ومن هذه الحالات اذكر بعض الشواهد التي حفظتها المصادر الأندلسية .

جَمْلة بنت عبد الجبار

لما ثار المولدون في عهد الأمير عبد الرحمان بن الحكم بن هشام شارك فيها النساء؛ و من اللائي اشتهرن في ثورة" ماردة " جملة "بنت عبد الجبار وهي تعرف بـ: جميلة [1] العذراء التي عرفت بالفروسية البارعة و شجاعة النادرة و النجدة ومبارزة الفرسان. و من الجانب الحسي اشتهرت بروعة جمالها في جميع أنحاء الأندلس وقتئذ و ربما اشتق اسمها جميلة من حسن و جمال خلقتها. و لم يتغلب أخوها محمود * على أهل "باجة" الذين قاتلوه قتالا شديدا إلا بمعاونته أخته جميلة التي قادت نساء ماردة في المعركة. [2] .

و التزمت جميلة بخطة أخيها الذي أمرها بتنفيذها في حينها ؛ و المتمثلة في : أمر النساء بإسبال الشعور و ركوب الخيل ، ولبس الأسلحة، و الوقوف بناحية معينة حيث يتخيلهم أهل باجة على البعد أنهم رجال مدد لمن تقدم نحوهم . و وضع عبد الجبار بيد أخته جميلة علما من أعلامه و أمرها بأن تسير على مهل . و لما اشتد القتال في جند أخيها ، أشرفت جميلة في مركب النساء من كدية مطلة على ميدان المعركة و العلم مرفوع بيدها. فلما رآها أهل" باجة" ضنوا أنهم مدد

---

[1] اسمها: جَمْلَة عند ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ،ص 112.

* محمود بن عبد الجبار بن زاقلة أو زاتلة من بني طريف و كان أبوه عبد الجبار قائما بماردة. أما محمود فهو الثائر بماردة أيام بني أمية و انظم إليه النصارى المعاهدون ، مجهول، مفاخر البربر، تح بوباية ،ص 189 ؛ ابن حزم ،جمهرة أنساب العرب. ، ص 501 ؛ انظر موقع "ماردة" في الخريطة رقم 7 .

[2] ابن حزم، جمرة أنساب ،تحقيق و تعليق عبد السلام محمّد هارون، القاهرة، دار المعارف ، ط 7، 2010م ، ص 501؛ عنان ، دولة الإسلام ، ق1، العصر 1 ص 257 .

من رجال عبد الجبار، فانتابهم الخوف و الهلع ، و تفرق جمعهم و اسحبوا منهزمين. وهكذا أبلت جميلة في هذه الثورة بلاء حسنا حتى بلغت بطولتها كل أرجاء الأندلس ، وتغنوا بها في الأعراس زمنا طويلا. و إثرها بسط محمود نفوذه على باجة . [1]

لكن هذا الانتصار كان مؤقتا، فقد استأنفت القتال و لم يستطيع عبد الجبار الصمود و هو يقاتل خصومه من حوله حتى لحقه أعداءه و حينئذ فر وصحبه إلى" جليقية" و استجار بملكها "ألفونسو" الثاني الذي رحب به. و لما أراد التوبة و الرجوع إلى طاعة الأمير عبد الرحمن أثار ذلك مخاوف ألفونسو فحاصره بجنده من كل النواحي إلى أن قتل و هو يدافع عن نفسه دفاع الأبطال [2] و أسر ألفونسو أهل وأصحاب محمود بن عبد الجبار و من ضمنهم أخته ، فإلى ماذا آل إليه مصير هذه الحسناء جميلة سنة 225هـ/840م. ؟

و وقعت جميلة في الأسر و أصبحت من نصيب أحد كبراء النصارى الذي أجبرها على التنصر و الزواج منه . و كان ولدها منه فيما بعد هو أسقف "شنت ياقب" [3] الذي يرجع إلى أصول أمه البربرية. و لم تكن جميلة لتتحمل مسؤولية هذا المصير المفروض عليها والذي لا ترغب فيه، لأنها كانت من قبل تدعو إلى طاعة الخليفة بقرطبة وتنصح أخاها لما أدركت خطورة الوضع ؛ لكن أخوها محمود الذي بادر إلى الخلاف و معصية الخليفة لم يراع نصائحها.

فدفع ثمن موالاته للنصارى و المولدين الثائرين بحتفه و بعبودية أخته للنصارى إلى الأبد. [4]

أما ثغر سرقسطة فقد شهد عدة أحداث و مؤامرات في عهد بني قسي. وفي سنة 248ه/ 862م، ولي موسى بن موسى مدينة الحجارة ، و حاربه صهره " أزراق بن منتيل" و الذي كان زوج ابنته. أما "لب بن موسى" فكان يتحيّن الفرصة للدخول لحصن المدينة ، و لما سمع بوجود مأتم بأرنيط تحظره

---

[1] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح العربي، ص 62 ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج1 ،ص 4 .
محمّد المغراوي ، نظرات في تاريخ المرأة الأندلسية،ص 23.

[2] ابن القوطية ، المصدر السابق، تح العربي، ص 62 ، عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ق1، العصر 1، ص 257-258 ؛ .ابن سعيد ،المصدر السابق، ج1 ،ص48.

[3]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس ، ص 112؛ ابن سعيد ، المصدر السابق، ج1 ،ص 4 .

[4] العبادي، الإسلام في أرض الأندلس ص 62 ؛ راوية عبد الحميد ، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص 42 .

زوجته "عجب" مع بعض النساء ، خرج متخفيا و لم يتمكن من دخول الحصن إلا بعد ما قتل البواب. ولما سمع إخوته بوجوده ،طلبوا منه الخروج إليهم و حينئذ كبلوه ، ثم أخذوه إلى أرنيط حيث توجد زوجته "عجب" و طلبوا منها تسليم الحصن مقابل إطلاق سراح زوجها ؛ فرفضت و امتنعت ، لكن لما أيقنت أن زوجها "لب " سوف يقتل إذا لم تستجب لمطلب إخوته ، سلمت لهم الحصن ، و أنقذت زوجها الذي أطلق سراحه ثم توجه نحو منطقة بقيرة و استقر حتى مات.[1]

المرأة في دولة آل حمود[2]

بنت محمد بن إدريس

إن الصراع بين أفراد أسرة بني حمود الأدارسة أقحم نسائهم في الخوض في حروبه. و إن لم يذكر أسماء نسائهم إلا إن بنت إدريس بن علي ثأرت للأسرة . وكان لها أخوين هما محمّد و يحي . و هذا الأخير كان يعرف بحيون . و لما تأكدت أن زوجها وكان ابن عمّها "حسن بن يحي" هو الذي قتل أخوها "حيون" ناولته سُمًا و قتلته ثأرا لأخيها .[3]

أُمّ محمد بن إدريس :

لما قامت ثورة البربر على محمد بن إدريس و التي تميزت العنف ؛ ثبت ثباتا شديدا بفضل والدته التي كانت تشد من أزره وتقوي منته ،وتشرف على الحرب بنفسها و تحسن إلى من أبلى فيها. فلما رأى البربر شدة عزمه وثباته انحلوا عن إدريس بن يحي.[4] لم أعثر على اسم هذه المرأة التي أشادت المصادر بدورها الفعال ، ولا عن الخطط الحربية التي أفادت بها ابنها و قادته إلى

---

[1] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص 31.

[2] ينتسبون إلى الأدارسة كانوا قد دخلوا في خدمة المنصور بن أبي عامر وأولاده، و لما اشتعلت فتنة قرطبة تطلعوا إلى الخلافة، و دام حكمهم مابين (407هـ- 414هـ/1016م -1023م) ابن عذاري ، البيان ،ج 3،ص131؛ أبو عبد الله التنسي، تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب الدر و العقيان) تح عبد الحميد حاجيات، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص57، 58، 59 .عصام محمّد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردس المفقود،ص205، 206.

[3] الحميدي، جذوة المقتبس، ،ص65؛ ابن حزم ، نقط العروس، ص 67، 206؛ لويس سيكو دي لوثينا، الحموديون سادة مالقة و الجزيرة الخضراء،تر عدنان محمّد آل طعمة،دمشق،دار سعد الدين،ط1996،1،ص40.

[4] الحميدي، جذوة المقتبس، ص 32 ؛ ابن حزم ، نقط العروس ، ص 207.

النصر،لكن نجاح ابنها ما هو إلا نتيجة قيادتها الحربية الرشيدة و سياستها التي تكللت بانتصارهم جميعا.

المرأة و حروب الطوائف:

لما زالت الدولة العامرية،بقي الناس بدون إمام لهم، و ثار كل قائد بمدينته وتحصن في حصنه بعد النظر لنفسه و اتخاذ العسكر وادخار الأموال، فتنافسوا على الدنيا وطمع كل واحد في الأخر و إذا كان لا يصح الأمر بين إثنين ، فكيف يتم بين سلاطين كثيرة وأهواء مختلفة؟

إن هذا الواقع السياسي المستحدث في القرن 5هـ/11م تميز بالصراع والتحالف العسكري و الأمثلة على ذلك كثيرة أقحمت فيها المرأة طوعا أو كرها. و يصف لنا ابن عذاري [1] مشهدا من مأساة قبيلة "بني دمّر" بمورور حينما أغارت عليها جيوش كل من ابن جوهر وباديس بن حبوس وأبي النور و حاصرت حصنا من حصونها ونازلته منزلة الكفار حتى دخلوه عنوة. فقتلوا رجاله عن آخرهم وهتكوا الأستار و فتكوا بالأبكار و أخرجوهم عاريات باكيات.و استحوذ السودان و سفال العسكر على النساء، فكانت مخابئهم مملوءة منهن واستمر انتهاك الحرمات مدة ثلاث أيام إلى أن أمر باديس بطرد هن عاريات حافيات من الحصن. فخرج نساء حصن بني دمّر إلى سائر القرى و الحصون المجاورة يلتمسن الستر والمأوى. [2]

أما أهل "رندة" ،فلما بلغهم غدر ابن عباد بأميرهم "أبي النور" وسجنه قدموا على أنفسهم إبنه "باديس" الذي عاملهم بما لم يكن في الحسبان، [3] إذ أباح لرجاله انتهاك الحرمات من النساء و البنات. فكانوا يأخذون النساء من أزواجهن و البنات من أبائهن. ولما بلغ أبوه المسجون ما حدث إضافة إلى خبر أخر صاعق، مفاده أن ابنه "باديس" زنى بامرأته و بعمته !! ولما تخلص أبو النور من سجنه رجع إلى رندة و اقتص من ابنه "باديس" حيث ضرب رقبته وألحق به عمته. وانتهت مأساة أهل رندة (سنة 449ه/ 1057م)التي توفي في آخرها أبي النور و خلفه على رندة ابنه "أبي النصر" بوصاية من أبيه. [4]

---

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج3، ص 113، 268، 269؛ عنان ، دولة الطوائف، ص152.
[2] ابن عذاري ، نفس المصدر ، ج3، 269؛ عنان ، الطوائف، ص 154، 155.
[3] ابن عذاري، نفسه ، ج3، 214.
[4] ابن عذاري ، نفسه ، ج3، 214.
* عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبو س بن ماكسن بن زيري . لم تكن دولته طيلة حكمه إلا سلسلة من الاضطرابات الداخلية والمشدات المسلحة مع جيرانه من الملوك الطوائف والتواطؤ مع ملك قشتالة "ألفونس السادس. وساهم الأمير عبد الله في معركة الزلاقة عام(479ه/1086م)و في

أما في غرناطة فبرز دور أمّ الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس* بعد وفاة زوجها "باديس". و في حياته ، عيّن باديس بن حبوس ابنه تميم عاملا على مالقة ،وابنه عبد الله وليا لعهده. و لكن في فترة حكم الأمير عبد الله، استقل أخوه تميم بحكم مالقة وتلقب بالمنتصر بالله [1]. و استبد و ساء ت سيرته مع أخيه و من ذلك أنه شن غارات على بعض الأراضي تابعة لأخيه الأميرعبد الله ؛ الأمر الذي أدى إلى القتال بينهما. فتدخلت أمهما في الأخير لحل الخلاف بين ابنيها المتقاتلين. وكانت ذات بصيرة وبعد نظر و تميزت بالصبر و طول النفس و هي تتجرع مرارة القتال بين فلذات كبدها، فالأمر ليس بالسهل أمام تمسك تميم بفكرة الانفصال . و استطاعت في الأخير إقناعهما و خاصة إقناع "عبد الله" و وقف القتال وتهدئة الوضع . و نتيجة لمساعيها تنازل الأمير عبد الله لأخيه تميم عن حكم مالقة و نواحيها الغربية، نظرا للخطر المحدق بمملكته و خشية من أن يتحالف ابنها " تميم " مع ابن عباد صاحب إشبيلية الذي اشتهر بحركته التوسعية الانتقامية آنذاك. [2]

إن آثار الفتن في الأندلس امتدت فترة طويلة و لم تكن على وتيرة واحدة مع اختلافها من منطقة لأخرى.فمن بين الآثار أن الأندلس فقدت جموعا كبيرة من سكانها. و انتشرت إبان الفتنة نهب الأموال،والسطو على الممتلكات و سبي النساء .و من الآثار التي خلفتها الفتن بين بعض عناصر المجتمع الأندلسي من ناحية أو بينها و بين الإدارة الحكومية من ناحية أخرى يقتادهم الطرف المنتصر.

و من وقائع هذه الفتن ما يعرف بثورة قرطبة في عام 513ه/1119م حين امتدت يد عبد من عبيد الوالي المرابطي "ابن رواد" على امرأة خرجت ضمن جمع من النساء يوم عيد الأضحى؛فأغاثها أهل قرطبة بثورة يوم كامل مطالبين بالقصاص من العبد رغم تدخل الوالي وإطلاق سراح المرأة؛ ونهب القرطبيون دور المرابطين وساءت العلاقات بينهم . [3]

محاصرة حصن ليّيط (ALEEDO)عند دخول المرابطين دفاعا عن الأندلس .و بعد شهر من حصاره من طرف المرابطين فتح أبواب مدينته أمام الجيش المرابطي الذي دخلها (في 13 رجب483ه/11 /1090/9م).و في الأخير سلم نفسه للجيش المرابطي ،فأرسل إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى مكناسة. وألف كتابه التبيان عن الحادثة الكائنة، المعروف بمذكرات الأمير عبد الله.الأمير عبد الله ، و الذي اعتمدت عليه في هذا البحث ، ص 157 ، 160 ،161.

[1] الأمير عبد الله ، كتاب التبيان (مذكراته)،ص90 ؛ ابن الخطيب، الأعلام، ص236 ؛ عنان، دولة الطوائف، ص144 خالد بن عبد الله الشريف، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها ، ص71.

[2] الأمير عبد الله ، المصدر السابق ،ص91 ؛ عنان ، دولة الطوائف، ص144 ؛ خالد بن عبد الله الشريف، المرجع السابق...ص 74، 75.

[3] (أبو علي الحسن)ابن القطان ، **كتاب نظم الجمان**، تحقيق محمود علي مكي ،تطوان ، مطبعة المهدية ،(دت)، ص23 ؛ مجهول ،الحلل الموشية ،ص86،87 ؛ ابن السماك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق عبد القادر بوباية، بيروت ،دار الكتب العلمية ،2010، ص151؛ سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي ،ج4، الإسكندرية، منشأة المعارف،1995، ص404 ،405 ؛ حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين، ص74 .

أما المرأة التي تسكن في منطقة الثغور[1] ، فإنها عاشت دوما في حالة حذر ورعب وقلق وخوف من عواقب الغارات النصرانية على ديار المسلمين.
و يوجد عدة أمثلة عن ذلك في التاريخ الأندلسي [2].
لقد ساهمت المرأة الأندلسية في حالة الحرب دفاعا عن نفسها وعن ذويها وبلدها إثر الغارات النصرانية على الثغور الإسلامية منها حصار" ابن رادمير" على مدينة "أفرغة " عام 528ه/1134م. لما اشتد القتال بين المسلمين و النصارى،خرج أهل المدينة جميعهم ذكورهم و إناثهم؛ فانشغل الرجال بقتل من وجدوا في ساحة القتال ،أما النساء فدخلن محلة العدو حصن ألفونسو و أسرعن بأخذ كل ما وجدوه من قوت وعتاد وآلات و أسلحة إلى المدينة و وضعناها في خدمة الجيش المرابطي. [3]

أورد المستشرق أشباخ يوسف قائلا استنادا إلى وثيقة مسيحية وجدت في الكوباز عام 1596م؛عن مشاركة النساء في الجيش المرابطي :"وهؤلاء النساء كن يرتدين ثياب الرجال يقاتلن على طريقة الفرسان.و لم يكتشف النصارى ذلك إلا بعد الموقعة حيث وجدوا الكثير منهن بين القتلى". [4] وهذا إن دل على مشاركة المرأة في القتال إنه يشير بوضوح إلى أن المرأة كانت في هذه المعركة تقتحم صفوف العدو وتحتل مراكز الهجوم عكس ما عهد منها من الخدمات في الحروب كإسعاف الجرحى و تضميد الجروح و قرع الطبول لإثارة الحماس .و هذا بدليل وجود جثثهن في أرض العدو و استشهادهن في ميدان الوغى. [5]

---

[1] ـ تعرف هذه المناطق بالجبهة الأندلسية و هي الحد الفاصل بين الإمارا ت الإسلامية في الجنوب والإمارات النصرانية في الشمال وهي أرغون وقشتالة والبرتغال التي يفصل بينها نهر "تاجة" من منبعه إلى مصبه.. و تمتد الحدود بعد المنبع نحو الشمال مع تقويس يسير حتى تصل إلى البجر الأبيض المتوسط عند مدينة طركونة. و أطلق المسلمون على خط الحدود الطويل من الشرق " الثغر الأعلى"و أهم ثغوره:قننقة،كتندة،سرقسطة، أفرغة و لاردة.وأطلق على وسطه "الثغر الأوسط" وأهم ثغوره هي:شنترين، الزهري ،جغرافية الأندلس، ص 83 ؛ عبد العزيز سالم ، **المغرب الكبير**،ج2، بيروت، دار النهضة العربية، 1991م ، ص787

[2] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ، ص76، 78.

[3] ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق محمود علي مكي ، ص218 ؛ عنان، دولة الإسلام ،عصر المرابطين والموحدين، ج4، ص 122،121؛ ؛(سلامة محمّد سليمان) الهرفي ، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**-دراسة سياسية و حضارية-،بيروت،دارالندوة الجديدة،1405هـ/1985م ، ص ص 236، 238 . انظر أهم معارك المرابطين في الأندلس خريطة رقم 7

[4] أشباخ يوسف ،**الأندلس في عهد المرابطين**،ترجمة عبد الله عنان،مؤسسة الخانجي ،القاهرة،1985 ،ص246.
[5] حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين ، ص ص73 ،74 ،75 .76 .

و أدت حروب الطوائف إلى ثكل النساء و تطليقهن و تيتيم الأبناء و من ذلك قصة صبيحة بنت إبراهيم بن همشك. لما وقع الشقاق بين ابن مردنيش وصهره ابن همشك ،بسبب طلاق ابن مردنيش لزوجته "صبيحة بنت إبراهيم بعد أن بالغ في إهانتها و إيلامها ، غادرته إلى كنف أبيها وأسلمت له ابنها منه. ومما يروى عن صبيحة أنها سئلت عن ولدها وكيف تصبر عن ولدها فأجابت:" جرو سوء ، من كلب سوء لا حاجة لي به". فاشتهرت بين نساء الأندلس و أصبحت مقولتها مثلا متداولا بينهن. ولهذا السبب دخل ابن همشك الذي كان في منطقة جيان في طاعة الموحدين عام 564ه/1169م. [1]

و كان الموحدون في الأندلس يحملن النساء معهم في حروبهم ، ففي غزوة "شنترين" سنة 580ه/ 1184م) حمل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدي معه عددا من نسائه. وقتل هذا الخليفة أثناء محاصرته لحصن "شنترين" وهو في وسط عبيده، و برز في الدفاع عليه ثلاث من جواريه، اللائي دفعن عليه دفاعا مستميتا حتى طعن و قتلن من أجله قبل أن تصيبه الضربة القاضية. [2] ومن النساء اللائي شهدن حصار بلنسية ، أم العز بنت أحمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل ؛ إحدى حرم الأمير محمد بن سعد بن مردنيش شهدت حصار بلنسية ، و توفيت بشاطبة إثر خروجها من حصار بلنسية في أحد عشر ربيع الأمل سنة ست وثلاثين وستمائة (636 ه/ 1238م) [3]

و كذلك شاركت نساء مملكة بني نصر في غرناطة في الحروب،ومنها في عهد السلطان يوسف الأول أبو الحجاج (الغالب بالله)(حكم من 733ه - 755/ 1333م -1354م) في معركة ضد جيش البرتغال - و الذي كان خليطا من القشتاليين و الأرجونيين و البرتغاليين - في الجزيرة الخضراء،في سنة 741هـ / 1340م . و وقع السلطان الغالب بالله في كمين العدو الذي انقض على مؤخرة الجيش الإسلامي . ووصل النصارى في هجومهم إلى حيث ضرب السلطان فسطاطه و هاجموه ،فخرج النساء يدافعن فقاتلوهن كلهن. و كان من بين من استشهدن من حظاياه، عائشة بنت عمه أبي بكر بن يعقوب بن عبد الحق، و فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي . ولم يكتف جنود النصارى بقتلهن بل استلبوهن، و مثلوا بجثثهن، ثم أضرموا النار في المعسكر. وكانت هزيمة منكرة. و بعد المعركة تفقد الطاغية القشتالي المنطقة حتى وصل إلى فسطاط السلطان

---

[1] عنان ، عصر المرابطين والموحدين ج2 ،ص 39.

[2] (أبو الحسن) ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغلب وتاريخ مدينة فاس،** راجعه عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، المطبعة الملكية ،ط 2، 1420هـ/1999م، ،ص282

[3] ابن عبد الملك ،الذيل والتكملة ، سفر8، رقم 243، ص 482.

، و لما رأى المشهد المريع للجثث أنكر قتل النساء و الولدان ... ثم قفل راجعا إلى بلاده. [1]

عــائشة الحرّة

هي المرأة المقاتلة في آخر دولة بني نصر التي أدارت الحرب بنفسها. و ما خلدت المصادر العربية بطولتها إلا نتيجة لدورها السياسي والعسكري معا في أشد الظروف قسوة و حرجا دفاعا على الهوية العربية و الإسلامية في آخر معقل لها بغرناطة، [2] حيث واجهت أكبر قوة نصرانية اتحدت ضد مملكة بني نصر . و قاتلت عائشة على جبهتين حربيتين و قابلتها في المواجهة امرأتين ، الأولى ضرتها "ثريا" التي نافستها مع ولدها على العرش من جهة، و خدمت بكل إخلاص المرأة الثانية الملكة " إيزابيلا" التي قادت حروب الاسترداد إلى جانب زوجها " فرديناند". فإن كان زواج " إيزابيلا" جمع به شمل النصارى ضد مسلمي الأندلس وزادها قوة و إصرارا ،وأضرموها حربا عاتية؛ [3] فإن عائشة الحرة كافحت على صعيدين .الأول : ـ الصعيد الداخلي ، جمع صفوف المسلمين التي انشقت نواياها وأهدافها بين مؤيد و معارض لها ولابنها .كما سبق ذكره. و لم يكن زوجها أبو الحسن أزرا لها بل عاداها و قاتل حزبها.
ـ الثاني :على الصعيد الخارجي: تمثل في مواجهتها لأكبر و أقوى جيش عرفته الأندلس في حروبها الصليبية تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية. [4]
و لم تهزم عائشة الحرّة نتيجة هفوة أو سوء تدبير ،إنما خذلها ابنها برضوخه واستسلامه للأعداء . و بقي تأنيبها له مضرب مثل على مرّ الأيام حين قالت له: "أبكي مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال". [5]

إلا أن الدراسات الحالية تثني على قرار أبي عبديل ،و ترى في رضوخه واستسلامه أمر إيجابي جاء ببعد نظره و حكمته و شفقته على المسلمين و على مآثر أجدادهم في الأندلس. ففضل عقد الاستسلام على مواصلة المقاومة المستميتة للمسلمين حفاظا على أرواحهم وحتى لا يقطع أثر الإسلام في الأندلس نهائيا

و تدمير أثاره العمرانية من جراء سياسة النار و الحديد التي انتهجها الملكان الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا. ومن أروع ما يزال شاهدا على روائع الحضارة الإسلامية "قصر الحمراء" بغرناطة الذي سلمه للملك فرديناند قبل أن يغادر المنطقة التي شهدت بطولة عائشة الحرة المقاتلة.

---

1 ابن الخطيب، كناسة الدكان ،ص 34.

2 عنان ، نهاية الأندلس، ص 196.
3 مجاهد مجهول ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 54، 55، 69، 73، 88.
4 مجاهد مجهول ، نفس المصدر ، ص 90؛ عنان، نهاية الأندلس،ص200،213.
5 عنان، نهاية الأندلس،ص ص 267.

و هكذا يتبين لنا مما سبق دور الأمهات الأميرات أمثال "أُمّ محمد بن إدريس" و "أم الأمير عبد الله الزيري" و "أم الأمير أبو عبديل" أنهن كن على إطلاع واسع بأمور الحكم. و كن مصدر نصح و ثقة للأمراء الذين كنوا يلجؤون إليهن لطلب المشورة في أدق تفاصيل الحكم في السلم و الحرب.

المرأة الأندلسية السبية (الأسيرة).

السبي ظاهرة عريقة في التاريخ وهو عبارة عن ورقة ضغط على العدو وإرهابه وإذلاله [1].عرفت الأندلس السبي منذ أن وطأت أقدام الفاتحين المسلمين أراضيها وذلك من جراء حروب المسلين مع النصارى أحيانا ؛ وبين الأطراف المحلية المتصارعة أحيانا أخرى. اتسمت هذه الظاهرة بالظفر أو بالانكسار بين القوى المتناحرة فتأرجحت من خلالها أوضاع المرأة في الأندلس.و يدخل في معنى السبي ،سبي المسلمين لنساء النصارى،وسبي النصارى للنساء المسلمات،وسبي محلي وهو سبي المسلمين لحريم بعضهم البعض في الفتن والحروب.

ـ سبي المسلمين للنصارى:

توقف الغزو الإسلامي عقب معركة بلاط الشهداء في سنة 114ه/732م في غاليس(جنوب فرنسا) ،ثم استأنفت المسلمون غزواتهم البحرية على النصارى منذ أوائل القرن 3ه/ 9م . و منها نزول سرية قوية من البحارة المسلمين على شواطئ "بروفانس سنة 294ه/ 908 م، وسبوا النساء و تزوجوا بهن ليكثر نسلهم [2]. وانضم إليهم كثير النصارى المغامرين من أهل المنطقة.كما تقص الرواية الكنسية ،"أن سيدا نصرانيا من سادة المنطقة اسمه "إيمون" دفعه شغف المغامرة والكسب إلى محالفة المسلين والاشتراك في غاراتهم.فوقعت ذات يوم امرأة رائعة الحسن فاستبقاها لنفسه .لكن زعيما مسلما أخذها قسرا منه.وبسبب هذه المرأة غضب "إيمون" وتحول عدوا للمسلمين وتحالف مع الكونت "روتبالدس" حاكم بروفانس العليا لمحاربة المسلمين [3]. يتبين من هذه القصة النوايا الحقيقية لهؤلاء المغامرين في موالاتهم للمسلمين من أجل تحقيق المكاسب أو ربما بسبب نوايا انتقامية من سياسية دولهم و لم يعتنقوا الإسلام على قناعة .

كانت معظم غزوات المسلمين للممالك الإسبانية في الشمال ، باتجاه جليقية والبشكنس في إقليم الغربي للأندلس . و اعتبرت هذه المناطق مصدرا لسبي

---

1 هيكل محمد خير، **الجهاد و القتال في السياسة الشرعية،** بيروت ، دار البيارق و دار ابن حزم ،ط2 ،1418هـ/1996م ،ص 142.

2 عنان، دولة الإسلام ع1،ق2، ص468 .انظر موقع غاليس(غاليش) الخريطة رقم2 و 5.

3 عنان ، دولة الإسلام ع1،ق2 ، ص471

البشكنسيات و الجليقيات منها مثلا "صبح البشكنسية". و كان هذا السبي سببا في اتساع ظاهرة الزواج المختلط في إقليم غرب الأندلس الذي انتشر فيه العنصر المولد و الذي قام بعدة ثورات ضد الإدارة الأموية.[1] و من اشهر رواد عملية السبي في الأندلس المنصور محمّد بن أبي عامر الذي قيل عنه:

"لم يزل أبو عامر محمّد بن أبي عامر طيلة أيام حكمه مدة سبع و عشرين سنة مواصلا لغزو الروم،مفرطا في ذلك لا يشغله في ذلك شاغل.و غزا نيف و خمسين غزوة وفتح فتوحا كثيرة ووصل إلى معاقل كانت قد امتنعت على من كان من قبله. وملأ الأندلس غنائم وسبيا من بنات الروم و أولادهم ونسائهم.".[2] و يقول عنه المؤرخ الإسباني" منديث بيدال:" في عهد المنصور أصبح نصارى الشمال يعيشون في حالة دفاع ،كأنهم لم يعيشوا إلا لتأدية الجزية والسلاح والأسرى و المجد للخلافة الأموية.[3]

و حين مات المنصور بن أبي عامر هتف الناس مات الجلاب..استعملت الكلمة بمعنى المدح والترحم عليه ،وهذا ما يدل على رضا العامة بسياسة المنصور الذي أشبعهم بالسبايا.[4] و في عهد ابنه المظفر بلغ عدد السبي خمسة ألاف و خمسمائة و سبعين[5]؛ لتستمر عملية السبي في العهود اللاحقة بشكل متفاوت و من الأمثلة على ذلك ما عرفته الدولة الموحدية.

فلما دخل المنصور أبو يعقوب الموحدي الأندلس سنة(580ه/ 1184م) شن غارات على مدينة لشبونة ...ثم انصرف إلى العدوة بثلاثة عشر ألف سبية من النساء و الذرية .[6]

وكانت لأبي يعقوب المنصور في نصارى الأندلس نكاية كبيرة ،من أعظمها غزوة الأرك[7] سنة 591 ه/1195م .غنم فيها المسلمون و نجى "النفش" إلى طليطلة في أسوء حال .و تبعه أبو يعقوب إلى طليطلة و حاصره و رماه بالمنجنيق وضيق عليها، ولم يبق إلا فتح طليطلة... وآنذاك خرجت إليه والدة "النفونش" وبناته ونساؤه و بكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن . فرق لهن المنصور ومنّ عليهن و وهب لهن من الأموال و الجواهر ما جلّ، و ردهن مكرمات وعفا بعد

---

[1] سحر سالم ، الجوانب الإيجابية ...،ص60.

[2] عبد الواحد المراكشي ، المعجب، طبعة1994، ص 44 . انظر عن غزوات المنصور خريطة رقم 4.

[3] عنان ، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية و الحجابة العامرية ،ع1 ،ق 2.ص586 .

[4] ابن عذاري ، البيان ج 3،ص13؛ دويدار ،المجتمع الأندلسي . ص ص73، 74.

[5] ابن عذاري ، نفس المصدر، ج 3 ص8

[6] ابن أبي زرع،الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص287

[7] غزوة الأرك، انظر خريطة أهم المعارك رقم 7

القدرة ثم رجع إلى قرطبة...و بعدها جاءه رسل النفونش بطلب الصلح فصالحه".[1]

إن إشادة النص بعفو أبي يعقوب و إطلاق سراح نساء النصرانيات المحاصرات في طليطلة يندرج في إطار الأخلاق النبيلة ضمن العفو عند المقدرة ، لكن في الواقع أرى أنه لا ينطبق تماما مع الوضع السياسي و الأمني الذي وسم الأندلس آنذاك و أنه فرط في طليطلة ؛ لأن موقع طليطلة في الثغر الأدنى يعد في قلب أرض الأندلس، ذات موقع استراتيجي، و من حكم طليطلة حكم كل البلد ، ويرى البعض أن قرطبة لم تكن المركز السياسي لأي دولة تريد إخضاع شبه الجزيرة كله، وإذا أراد العرب سيادة شبه الجزيرة ، فكان لا بد أن تكون عاصمتهم في إقليم طليطلة أي وسط شبه الجزيرة لكي يكونوا على بعد معقول من كل نواحيها[2]، بالإضافة إلى غنى الهضبة الإسبانية و أهميتها الاقتصادية ، فهي من أغنى مناطق إنتاج القمح و اتساع المراعي و الألبان و اللحوم ؛ إن بلاد النصارى ومنها طليطلة كانت أغنى من بلاد المسلمين. و المناطق الغنية التي كانت في أيدي المسلمين كلها مناطق ساحلية خارج الهضبة . و يقول الزهري عن تخزين المواد الغذائية : " مدينة طليطلة بها نهر تاجة ، و هي كثيرة الزرع و الضرع يبقى فيها القمح 178 سنة لا يسوس".[3] و قد سيطر المسلمون في زمن القوى على وسط شبه الجزيرة و كانت طليطلة داخلة في سلطانهم ، لكن كانت دائما مهددة من طرف نصارى الشمال حتى استولوا عليها. و يعد سقوط طليطلة من عوامل ضعف الدولة الإسلامية في صراعها الدائم مع دول النصارى في الشمال .[4]

وقد تجلى ذكاء النفونش في استعمال النساء في التفاوض لدى الخليفة الموحدي استعطافا له ، و تذكرنا هذه الخطة الحربية بما قام به " تدمير" عند فتح الأندلس.[5] لكن بالمقابل لم يشعر أو لم يدرك هذا الخليفة المغوار أنه ضيع فرصة العمر لإنقاذ الأندلس بضياعه طليطلة و التراجع عن فتحها و بانقياده لطلب نسائها و توقيع الصلح مع حاكمها النفونش. لأن هذه المدينة "طليطلة"

---

[1] المقري ، نفح الطيب ،ج1 ،ص443.

[2] انظر موقعها على خريطة المدن رقم 9.

تقع طليطلة على نهر التاجة ، و إلى جنوبي طليطلة ببضع كيلومترات يقع الوسط المركزي لشبه الجزيرة ،و انطلاقا منه يمكن رسم دائرة تمر بكل سواحل شبه الجزيرة ؛ فقرطبة تبعد عن طليطلة بنحو 400كلم في أرض كلها جبال خشنة و عسيرة ،. و المسافة من طليطلة إلى ساحل البحر الشمالي حوالي 400كلم . و بلاد النصارى كانت تقع على الهضبة و لكي يصل إليها المسلمون كان عليهم أن يقطعوا نحو 700كلم في جبال عالية و عسيرة، و سرعة الجيوش آنذاك لا تتعدى 25كلم في اليوم. مؤنس ،موسوعة تاريخ الأندلس، ص 127، 129

[3] الزهري ،جغرافية الأندلس، ص 83.

[4] مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص 129 ،131.

[5] عن خطة "تدمير" انظر الفصل الأول .

كانت قاعدة انطلاق الحملات الهجومية النصرانية على ممتلكات مسلمي الأندلس المجاورة لها و التي لم تكن تملك قوة دفاعية تحافظ بها عن وجودها في الأندلس. و منذ سقوط طليطلة في أيدي النصارى سنة (478ه/ 1085م) لم يحقق المسلون انتصارا مماثلا لما حققه أبو يعقوب المنصور لاسترجاع طليطلة الحصينة التي استغلها النصارى فيما بعد الموحدين كقاعدة لانطلاق غزواتهم على ممتلكات المسلمين. و يعد سقوط طليطلة من الأسباب غير المباشرة أو الجوهرية التي أدت إلى سقوط الأندلس نهائيا، لأن مصير الصراع على سيادة شبه الجزيرة تحدد عندما استولى النصارى على طليطلة .

السبــي المحلـي

إن آثار الفتن في الأندلس امتدت فترة طويلة و لم تكن على وتيرة واحدة مع اختلافها من منطقة لأخرى.فمن بين الآثار أن الأندلس فقدت جموعا كبيرة من سكانها. و انتشرت إبان الفتنة نهب الأموال،والسطو على الممتلكات.و من الآثار التي خلفتها الفتن وقوع بعض عناصر المجتمع الأندلسي أسرى لدى إخوانهم من العناصر الأخرى في العديد من الحروب التي دارت بين الطوائف الاجتماعية من ناحية أو بينها و بين الإدارة الحكومية من ناحية أخرى يقتادهم الطرف المنتصر. وهو ما عرف بالسبي المحلي. [1]

و إذا كان عادة الأسرى من المحاربين الذين قد يلام آسرهم كثيرا في استخدام هذا الأسلوب معهم ؛فإن مسألة سبي النساء والأطفال بادرة خطيرة في تعامل المسلمين في الأندلس، نظرا لما أسفرت عليه المواجهة العسكرية و الخلافات السياسية من استرقاق العديد من نساء و بنات الأندلس. [2] و من ذلك ما كان يردده بعض العلماء منهم "محمد بن وضاح" في مجالسه متأسفا :"كتاب الله قد بدل،و سنة رسول الله ﷺ ،قد غيّرت،و دماء قد سفكت، وكرائم قد سبيت..."

و يبدو أن السبي و الأسر قد أفضى حينئذ إلى نتيجة أفظع و هي استعباد الأحرار.ومنها ما ذكره الونشريسي: "أن استرقت امرأة من سبتة ظلما وبيعت بالأندلس،فحكم بحريتها و استعد المحكوم عليهم القضاة على بائعيها." [3]

و لما اشتعلت الفتنة بين العامة و البربر في قرطبة وأمر ابن عبد الجبار أن يأتي برأس كل بربري، اقتحم جنده الديار و منها دار رجل صالح فذبح بداره . وهتك حريمهم وسبي نساؤهم و باعوهن في دار البنات و قتلوا النساء الحوامل. [4]

---

[1] بنمليح، الرق في بلاد المغرب، ص132، 133.
[2] بنمليح ، نفس المرجع، ص131
[3] الونشريسي ، المعيار، ج9، ص220 ، ص221.
[4] ابن عذاري، البيان ، ج3 ص 81.

وانعكست ثورة البربر في قرطبة على المرأة الأندلسية بكل ثقلها و مأساتها، وأصبح القتل يميز بين عناصر النساء . ومما يدل على اشتداد المحنة في قرطبة،أن كل من يتلفظ بالصلح يقتل مهما كان منصبه ، وكل من يشتبه فيه أنه من البربر يقتل ويدخل في هذا الاعتبار الرجال و النساء. و الأمثلة كثيرة اقتصر منها القليل ومما يحكى ،أن جاءت امرأة من الفرن فأوقعت قدرا ، فانكسرت . ولما رأوا أن هذه المرأة سوداء اللون قال ، الجمع من الأندلسيون ؛ بربرية سوداء و قتلوها. و صعدت امرأة أخرى من الوادي بجرة فوقعت عن كتفها وانكسرت فلما رأوها قتلوها على أنها بربرية. و يبدو من هذه القصة محافظة المرأة البربرية على العادات القبلية ومنها استعمال الجرة التي هي من أدوات السقي اشتهرت بها نساء البربر.

و في المقابل انتقم البربر من أهل مالقة و من أهل ألبيرة فناهبوهما و سبوا النساء ،و إذا علم البربر أن للنساء مالا علقوهن من ثدييهن باعتبارهن نساء الرجال الميسورين أو المقاتلين ... و مات أكثر هؤلاء النساء من جراء الأخذ بالثأر...حتى لجأ بعض النساء إلى الزواج من بعض العسكر لجلب الحماية والأمن نظرا لفقدان أهلهن واشتداد المحنة عليهن. [1]

و لما ثارت عامة قرطبة على الخليفة هشام بن محمد الملقب بالمعتد بالله ـ آخر خليفة أموي ـ انقلبت أوضاع أسرة الخليفة رأسا على عقب؛إذ تشردت ولجأ مع حريمه وولده إلى ساباط .و أول ما سأل المعتمد بللّه الشيوخ هو إحضار كسيرة خبز يسد بها جوع طفلته ،التي كان يحتضنها ويسترها بكمه من شدة برد تلك الليلة. و يقول لهم أنها لصبية تشكو من الجوع مذهولة لما أحاط بها فزادت من همه [2].و أما نسوته جلسن حوله مولولات شعثات حاسرات وهو لا يملك لنفسه و لا لهن صرفا و لا نصرا. ،وسأل سراجا ليأنس بضوئه هو ونسائه ؛ فأبكى من كلمه من الشيوخ نظرا لما رآه من تحول النعمة ثم أحضر له ما طلب. و رغم كل جهوده في إخفاء نساءه فقد سبيت منه لما اكتشف مخبأه . [3]

و من النتائج الأمنية لهذه الفتن تحالف المتنازعين من ملوك الطوائف مع النصارى ضد بعضهم مقابل تسليم عدد من الحصون ،كان قد أخذها الحكم بن عبد الرحمان الناصر ومحمد بن أبي عامر و ابنه المظفر و ذلك استخفافا بهشام المؤيد. [4]

---

[1] ابن عذاري ، البيان ،ج3، ص102، 103،

[2] ابن الخطيب ،الإحاطة ،مج 4 نص310 ،317.

[3] ابن بسام،الذخيرة ج3،ص ص329 ،331.؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ،مج4، ص317 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص146، ص151

[4] ابن عذاري ، نفسه، ج3 ، ص103.

بثينة بنت المعتمد بن عباد

لما استولى المرابطون على قصر المعتمد بن عباد في عام 484هـ/1091م،عثروا على 8000 آلاف جارية فاستولوا عليهن .وتشت شمل الأسرة العبادية حيث نفي المعتمد بن عباد رفقة زوجته اعتماد الرميكية و بنتيهما، و أما بثينة فوقعت في الأسر و امرأة أخرى من بيته قيل أنها تنصرت [1].

و بثينة بنت المعتمد كانت من جملة من سبي في القصر ،محاولة منها الفرار من قبضة الجيش المرابطي ؛إلا أنها أثناء ذلك ألقي عليها القبض. وبيعت في سوق الجواري بإشبيلية. فاشتراها أحد التجار دون أن يعرف هويتها.وكانت بثينة من الأديبات المشهورات في اشبيلية ،وبفضل ملكتها الشعرية خلدت ملحمة سبيها حيث فاضت قريحتها:

لا تنكروا أني سبيت وأنني	بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره	وكذا الزمان يؤول للإفساد
قام النفاق على أبي في ملكه	فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ	لم يأت في إعجاله بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضمني	من صانني إلا من الأنكاد [2] .

و كان للحروب الداخلية في الأندلس عند قيام المرابطين بخلع بعض ملوك الطوائف ،تأثيراتها على الأوضاع الاجتماعية ، حيث يتضح من إحدى القضايا الفقهية أن بعض الجواري بمدينة إشبيلية سقطن في أيدي جند المرابطين عن طريق الغصب، فترتب عن ذلك نوازل فقهية، لما طالب أسيادهن باسترجاعهن و أثبتوا أحقيتهم فيهن ،و اضطر المرابطون إلى إعادتهن إليهم. [3] و تتكرر مشاهد السبي المحلي في العهود اللاحقة مرارا في أوقات الفتن والحروب في الأندلس دفعت فيها المرأة الأندلسية ثمنا غاليا.

سبي النصارى للمسلمات.

---

[1] المقري، نفح الطيب ،ج 4 ،ص284؛ حميدي مليكة، المرجع السابق ،ص86.

[2] المقري ،نفح الطيب، ج4، ص284 .

[3] الونشريسي ، المعيار، ج9 ، ص203 ؛ كمال السيد أبو مصطفى، **صورة من المجتمع الأندلسي** في عصري المرابطين و الموحدين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد37، 1990، ص39.

تعرضت الثغور الأندلسية إلى غارات النصارى من الشمال ، و من بين ضحايا الثغور نساء مسلمات ، رغم ما أولاه الحكام من أهمية لتلك المناطق لأنها درع لمسلمي الأندلس. ففي عهد الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمان تعرضت منطقة الثغر الأعلى ـ سراقسطة وأعمالها ـ و الثغر الأدنى ـ طليطلة و أعمالها ـ [1] لهجمات الإسبان .وزار المنطقة بعد ذلك مبعوث الأمير ،فسمع امرأة من ناحية وادي الحجارة تقول :" وأغوثاه ! يا حكم ضيعتنا وأسلمتنا و اشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا." و رفع إلى الأمير شعر في هذا المعنى والغرض [2]، فجهز الحَكَم جيشا و كتم أمره حتى بلغ منطقة الثغر وانتقم للمرأة.ولما قفل راجع منتصرا في غزوته ،مرّ بالناحية التي فيها تلك المرأة؛ فأمر لأهل تلك الناحية بمال يفدون به أسراهم ويصلحون به أحوالهم. و خصّ المرأة و آثرها و أعطاها عددا من الأسرى تفادي بهم من أسر من أهلها .[3] . ثم سألها هل أغاثك الحكم؟ فأجابت :"أي و الله أغاثنا و ما غفل عنا". [4]

فما أروع جرأة هذه المرأة البسيطة التي لبى نداءها الأمير الحكم بن هشام والذي كان بإمكانه صرف نظره ،لكن تلبية صرخة هذه المرأة أنقذت كل أهل المنطقة نساء و رجالا. ـ و هذا الفعل يذكرنا استغاثة المرأة بالخليفة المعتصم بالله العباسي و شهامة هذا الخليفة في نجدتها ـ [5] و من غزوات الإسبان على مسلمي الأندلس غزوة "أردون بن أذفونش" لمدينة "يابرة" غربي الأندلس سنة(301ه/952م) حيث سبى النصارى جميع نساء وذرية أهل يابرة ،وقتل رجالهم كافة ماعدا عشرة رجال معروفين لجأوا بأهلهم إلى بعض المباني الأولية و اعتصموا في أعاليها طول النهار.

ولما جنا الليل نزلوا من أماكنهم و فروا إلى مدينة "باجة" مستخفين. و سبي جميع نساء و ولد و أهل عامل مدينة "يابرة" بالإضافة إلى سبي نيف أربعة ألاف من النساء و الولدان؛ بعد ما قتل داخل المدينة سبعة مائة رجل ،لم تشهد الأندلس قبلها أشنع منها و لا أفظع منظرا . [6] و لا أحد يدري المدة التي تقضيها الأسيرات المسلمات ، فمنهن من سعفها القدر و وجدت منفذا و منهن من يجهل مصيرهن

---

[1] انظر موقعهما على الخريطة رقم 9

[2] تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تغيث و تنصرا ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج3،ص343

[3]مجهول، أخبار مجموعة،تح الأبياري، ص117 ؛ حوالف عكاشة ، جهود فقهاء المالكية بالأندلس، ص 96.

[4] ابن الخطيب ،الإحاطة، ج1،ص479؛ المقري، نفح الطيب ،ج3 ، ص 344 ؛ مجهول ،تاريخ الأندلس،تح بوباية،ص179.

[5] قال فيها الحكم بن هشام:" ألم ترى يا عباس أني أجبتها على البعد أقتاد الخميس المظفر" ؛ المقري ،نفح الطيب ،ج3 ، ص 344.

[6] ابن حيان، المقتبس ، ج 5 ، ص94 ،95.

أو قضين باقي عمرهن أسيرات النصارى يترقبن الفرج في عهد قوة دولة الإسلام ورغبتها في فك الأسرى.

و من شواهد ذلك ما وقع في عهد المنصور ابن أبي عامر حيث سار أحد رسله في بعض مسيرته إلى غرسيه صاحب البشكنس، و طالت مدته عنده. و بينما هو يتفقد الكنائس إذ عرضت عليه امرأة قديمة السن قويمة على طول الكسر، فعرفته بنفسها وقالت له: "أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها ". وناشدته الله في إنهاء قصتها وإبراء غصتها.و عندما رجع الرسول أبلغ المنصور ابن أبي عامر قصة المرأة المأسورة ، فما كان من المنصور إلا أن جهز غزوة على غرسية بن شانجة الذي تفاجأ بجند المسلمين ،و حلف له أنه ما ارتكب ذنبا يستحق به التأديب...

و لكن أنبأه ابن أبي عامر على ما اتفق بينهم :"من أن لا يبقى ببلاده مأسورة أو مأسور ،و لو حملته في حواصلها النسور" .و قد بلغني بقاء المسلمة في تلك الكنيسة. والله لا انتهي عن أرضك حتى أصحبها.[1] فأرسل له ابن شانجة المرأة و اثنتين معها. و أقسم أنه ما أبصرهن و لا علم له بهن...و مل المنصور المرأة إلى أهلها مع الأسيرتين .[2]

نكبة نساء بربشتر BARBASTRO

أدى اختلال التوازن و عدم الاستقرار في الأندلس بعد سقوط قرطبة (422ه/1031م) إلى فترة خمول على مستوى النشاط ـــ الحربي ـــ الجهادي لمسلمي الأندلس على تخوم الجبهة النصرانية و ذلك بعد فترة نشاط كثيف و دؤوب أيام المنصور بن أبي عامر في النصف الثاني من القرن 4ه/ 10م.فلم يعد يسمع عن حملات إسلامية منظمة ضد الممالك النصرانية وذلك بفعل الفتنة التي استفحلت نتيجة غياب سلطة مركزية قادرة على قيادة مثل تلك الحملات العامرية السابقة؛ إذ على العكس من ذلك شهدت فترة ملوك الطوائف منذ بداية القرن 5ه/11م انكماش الحمية الجهادية و يقظة ما يعرف بحركة الاسترداد الإسباني.وأصبح اتجاه حركة السبي من الجنوب إلى الشمال بعدما كان من الشمال نحو الجنوب.

[1] (أبو النصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله) ابن خاقان ، **مطمح الأنفس و مسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس** ، دراسة و تحقيق محمّد علي شوابكة، بيروت، دار عمار مؤسسة الرسالة، الطبعة 1،1403هـ/1983م ،ص390، 391 ،392 .

[2] ابن خاقان ، نفسه ،ص391، 392.

و يعبر اقتحام الإسبان المدعمين بإيطاليين مدينة "بربرشتر" [1] ــ BARBASTRO ــ في الثغر الأعلى عام456ه/ 1064م عن هذه الحقيقة المرة بجلاء والتي اعتبرها ابن عذاري من "أشد الرزايا بهذه الجزيرة" . [2] نظرا لما قام الإسبان به عند دخولهم المدينة "بربشتر" ؛ فانقضوا على أهلها قتلا وغصبا ونهبا وسبيا واستولوا على نساء أهل بربشتر" وذريتهم و عددهم قرابة المائة ألف.وحسب رواية ابن بسام ، فإن حصيلة القتل والسبي معا بلغت مائة ألف نسمة. [3]

أما "ابن غالب" [4] فيقدر عدد السبي بخمس آلاف من نساء المسلمين .و رغم الاختلاف الوارد في عدد السبايا فالأهم و الأَمَر هو مآل إليه مصير النساء! فقد وزعت السبايا على المعتدين وبلغت حصة قائد الحملة من الجواري المسلمات ألف وخمسمائة . وتم إهدائهن إلى صاحب القسطنطينية وهو العدد الذي عبر عنه المقري بألوف عدة يشمل بنات المسلمين الجواري الأبكار و الثيبات ذات الجمال ومن صبيانهم ولم يحدد المقري العدد بدقة لكثرة السبايا. [5]

أما أهل المدينة فطردهم الإسبان منها ثم استجلبهم من جديد لأغراض خسيسة يندى لها الجبين وتصفها المصادر بكل أسى:"أن المحتلون يهتكون حريم أسراهم و بناتهم بحضرتهم إبلاغا في نكايتهم ،ويعبثون بالثيب و البكر،و زوج تلك وأبو هذه موثق في الحديد و من لم يرض منهم أن يفعل ذلك أعطاهن لغلمانه يعبثون فيهن." [6]

و ما هذا إلا أحد مشاهد الانتقام الشرس و الوحشي الذي لم يراع فيه أدنى أخلاقيات الجنس البشري؛ [7] فما رد فعل نخوة المسلمين من هذه الغارة الدنيئة التي خلدها شعر الفقيه ابن العسال:

هتكوا بخيلهم قصور حريمها لم يبق لا جبل و لا بطحاء

كم وضع غنموه لم يرحم به طفل و لا شيخ و لا عذراء

و لكم رضيع فرقوه عن أمه فله إليها ضجة و بغاء

---

[1] هي مدينة من بلاد بربطانية بالأندلس وهي حصن على نهر مخرجه من عين قرية بها . و هي من أمهات مدن الثغر الفالقة في الحصن و الامتناع ، ملكها النصارى مدة تسعة أشهر ،الحميري ،الروض ، ص 90. انظر موقعها على الخريطة رقم 7.

[2] البيان ،ج3 ،ص225.

[3] الذخيرة في محاسن الجزيرة، ج 3، ص 119.

[4] ابن غالب، فرحة الأنفس ص 286 .

[5] المقري ، نفح الطيب، ج 4، ص450.

[6] ابن بسام ،الذخيرة ، ج3 ،ص119 ؛ المقري، نفح الطيب،ج4 ، ص450،440.

[7] هذه الحادثة تذكرنا بجرائم المستعمر الفرنسي في أرض الجزائر و ما قام به في حق النساء انتقاما من الرجال الأشاوس أثناء ثورة التحرير 1954-1962.

و مصونة في خدرها محجوبة قد أبرزوها مالها استخفاء

و لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبائر ما لهن خفاء

ما كان للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الداء

فشرارها لا يختفون بشرهم وصلاح منتحلي الصلاح رياء [1]

إن رد الفعل الجريء تمثل في إغارة "المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود الذي دخل مدينة "بربشتر"ـ كانت ضمن نفوذ إمارته سرقسطة ـ اقتحم رجاله المدينة واسترجعها عام (457ه/1065م) بحصيلة ضمت نحو ألف سبية، و ألف فرس... وقد استحق ابن هود بهذا الإنجاز في استرجاع مدينة "بربشتر" صيت بعيد المدى. [2]

ولئن تراجعت العمليات الجهادية في القرن 5ه/11م،فهذا لا يعني توقفها نهائيا ومن ذلك ما قام به مجاهد العامري الذي أشادت الكتابات القديمة و المعاصرة بخلاله و عبقريته الحربية و السياسية و مآثره العلمية و الأدبية . كانت مملكة دانية في عهده من أغنى ممالك الطوائف و أكثرها رخاء. و اشتهر بغزواته لسردانية و شواطئ إيطاليا و كان من أعظم فرسان عصره أرحمهم لأهله. توفي سنة(436ه/1044م) بعد أن حكم مملكة "دانية" أكثر من ثلاثين سنة. [3] و لما اتجه إلى سردانية غنم وسبى إلى أن كسد في زمانه السبي وخست فيه الأثمان. لكنه دفع ثمن ذلك الجهاد غاليا بضياع أسرته و حرمانه من ابنه مدة عشر سنوات.

وكانت أعوص محنة لاقاها مجاهد العامري المعروف بموجيتو؛ هو أسر ولده وأهله في سردانية. و قد استطاع أن يفتدي زوجته و بناته وإخوته في مدة قريبة. ورفضت أمّه و كانت نصرانية العودة إليه ،و كذلك أختها ـ خالته ـ وأثارتا العيش في سردانية و هي أرض نصرانية . [4].و بقيت مشكلة ولده "علي" من أم نصرانية ؛فقد رفض النصارى كل عرض لافتدائه رغم أنه صغير السن في السابعة من عمره ووحيد أبويه و ذلك لأغراض سياسية احتفظوا به رهينة عندهم . [5]

كما توالت غزوات النصاري في القرن 5 ه/ 11م و منها غزوة الكمبيطور على بلنسية التي أسر فيها العديد من نساء و أطفال المسلمين الذين استنجدوا

[1] الحميري ، الروض المعطار، ص ص90، 91 .

[2] ابن غالب ، فرحة الأنفس ،ص 286. الحميري ، الروض المعطار ، ص 91.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 221؛ ابن عذاري، البيان، ج3، ص 175؛ عنان ، دولة الطوائف، ص 199.

[4] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص221 ؛ عنان ، دولة الطوائف، ص195.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج 3 ، ص175؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص221 ؛ عنان، دولة الطوائف، ص198، 199.

بالمرابطين للدفاع عنهم.[1].. و تستمر عملية السبي إلى آخر أيام غرناطة ؛ ومنه ما سبي من نساء و رجال و الصبيان و أخذ الأموال كلما دخلوا منطقة من أراضي المسلمين مثل مدينة الحمّة و قصبتها.[2] و لما رأى العدو عجز المسلمين على أخذ الحمّة و نصرة من فيها من الأسرى، و قع له الطمع في كل بلاد الأندلس ، فأخذ في الاستعداد و الخروج للإستلاء عليها تدريجيا. [3] فاستولى على مالقة في عام 892هـ/1486م و أسر كل أهلها و سبى نساءهم و أولادهم و جميع أموالهم و فرقهم على قواده.[4]

واستمرت هذه السياسة بشراسة إلى أخر مقاومة أهل غرناطة للعدو، واضطر الكثير من الأسرى إلى الهجرة لبلاد المغرب ؛ ثم رضخ أهل غرناطة للاستسلام لملك الروم سنة 897ه/ 1492م . و من شروطهم له أن يؤمنهم على أنفسهم و بلادهم و نسائهم و صبيانهم...[5]

فداء المرأة السبية:

حاول ذوي المسلمات السبايا فداء أهالهم من زوجات و بنات. لكن عملية الفداء تخضع في الواقع لشروط المنتصر وقليل ما تثمر جهودهم في استرجاعهن . فمثلا ما حدث خلال ثورة العامة على محمد بن عبد الجبار بقرطبة،إذ عمد هذا الأخير على قتل كل متشبه بالبربر. فقتل الأطفال و شقوا بطون الحوامل . وأخذوا بنت رجل من البادية جميلة حسنة إلا أن والدها عرف العلج الذي أخذها ؛ فقصد الحاجب "واضح" وأبلغه أن فلانا العلج أخذ ابنته و هي ليست بربرية . فنهره قائلا ليس لرجوعها من سبيل...فمضى الأب باكيا إلى العلج نفسه يتوسل إليه في ردها وقدم له أربعمائة دينار فأخذها العلج المال لكن قتله. و هذا الرجل المظلوم ذهب ليفتدي ابنته بكل ماله لكن مقابل ذلك ذهبت نفسه و ماله و بقيت ابنته سبية العلج.[6]. و نظرا لاشتداد محنة الأسر كان حكام بني أمية يخصصون أموالا لافتداء الأسرى .[7]

و من بعض ما احتفظته لنا المصادر ،ما حكاه أحد تجار الرقيق بعد زيارته بربشتر والذي صور لنا مشهد من حياة بعض المسلمات الأسيرات .و قال عنه ابن بسام "قصد بعض تجار اليهود بربشتر بعد الحادثة السابقة الذكر ملتمسا

---

[1] Provençal :la toma de Al Andalus ,vol xiii,fasc 1 ;Madrid 1948,p116 , 117 .

[2] مجهول ، نبذه العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 53،

[3] مجهول ، نفس المصدر ، ص 62، 65، 66، 72.

[4] مجهول ، نفس المصدر ، ص 82، 83.

[5] مجهول ، نفسه ، ص 104 ، 105 .

[6] ابن عذاري، البيان ج3 ،97.

[7] المقري ، نفح الطيب ، ص 423؛ الونشريسي، المعيار،ج 7 ، ص 140.

فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها و حصلن في سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه.

قال التاجر: "فهديت إلى منزله، واستأذنت عليه، فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه،رافلا في نفيس ثيابه ،و المجلس والسرير كما تخلفهما يوم محنته لم يغير شيئا من رياشها و زينتها ،و وصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه، ساعيات في خدمته .فرحب بي ،وسألني عن قصدي.

فعرفت وجهه،و أشرت إلى وفور ما أبذله في بعض اللواتي على رأسه وفيهن كان حاجتي .فتبسم و قال لي

:" ما أسرع طمعك فيمن عرضت عليك !أعرض عن هذا و تعرض لمن شئت ممن سيرته لحصني من سبيي و أسراي أقارب فيمن شئت منهن".

ثم قال:"...سُمني ببعض من هنا من السبايا فإني أصير إلى رغبتك..."[1]

و لما اطلع العلج على ما يحمله التاجر اليهودي من النفائس ،ندى بعض أولائك الخادمات باسم :يا مجة ! يريد "يا بهجة" فغير الاسم بعجميته . و طلب منها عرض ما في الصندوق من ثروة كبيرة ومتنوعة الأموال و الكنوز والحلي والأقمشة ورثها من صاحب البيت ، و لم يكن من قبل يملك شيئا. فبهت التاجر اليهودي لما رآه واستقلل ما كان عنده من أموال تجارته.

ثم قال له:"أترى التي بين يدي ؟ فهي ابنة صاحب المنزل، وله حسب في قومه،إ اصطفيتها لمزيد جمالها لولادتي ... و أزيدك علما بان تلك الخودة الناعمة، و أشار إلى جارية أخرى قائمة ، ونداها ــ بلكنته ــقائلا لها:" خوذي عودك تغني زائرنا بشجواك ".فأخذت عودها و الدمع يسكب على خديها لما آل إليه حالها، فتُسرع في مسحه خشية تفطن العلج إليه، ثم اندفعت تغني بشعرها الذي لم يفهمه التاجر اليهودي فضلا عن العلج ...فلما يئس التاجر من فداء السبايا المسلمات؛ عاد إلى تجارته متعجبا لما رآه من السبي ومن الغنائم لدى نصارى مدينة"بربشتر".[2]

و يتبين مما سبق ذكره أن فداء الأسيرات المسلمات لم تكلل بالنجاح ، و إذا ما نجحت عملية الفداء فقد تتعرض الحرة إلى العبودية بعد افتدائها وتتحول الحرّة إلى أمة يمتلكها التاجر أو الرسول إلى دار الحرب كان مسلما أم يهوديا ، بحيث يعامل أسرى المسلمين و حرائرهم كعبيد و إماء له ، ويطأ من يشاء و يبيعهن كسائر ما يملك. وهذا يسفر على انتهازية هذا الصنف من التجار المكلفين بفداء الأسرى وهو الأمر الذي انتقده ابن حزم على من سمح بهذا التصرف المذل

[1] ابن بسام، الذخيرة ج3 ص121.

[2] ابن بسام ، نفسه، ج3، ص121 ؛ المقري، نفح الطيب، ج، 4 ص412.

للحرائر.[1] كما استغل اليهود ثراءهم الفاحش في تكوين رابطة يهودية لافتداء أسراهم سواء من إسبانيا أو من الأندلس ، و يتجلى ذلك من خلال رسالة كتبها يهودي في طليطلة سنة 520ه/ 1126م ، تتضمن فدية سجينة يهودية في مملكة أراغون. و يتأكد ذلك برسالة أخرى كتبها أحد التجار المرموقين إلى أحد أصدقائه يطلب منه فيها الاتصال بأقاربه وبصاحب الشرطة لإطلاق سراح السجينة المذكورة.[2]

ويرى ابن الكردبوس أن من أسباب استفحال الغارات الإسبانية على ممتلكات المسلمين ،هو الاختلاف الذي حدث بين حكام المسلمين، و ضعف بعضهم بعض إلا بمساعدة الروم فبذلوا للأفنش ما يحبه من الأموال،و هو مسرور بهذه الفتنة وهم مشغولون بشرب الخمر واقتناء القيان وركوب المعاصي وسماع العيدان...ووكلوا أمور المسلمين إلى اليهود فعاثوا فيهم عيث الأسود وجعلوهم حجابا و وزراء و كتابا . و تطوف الروم في كل عام على الأندلس يسبون ويحرقون ويهدمون ويأسرون.[3] وازدادت حدة هذا السبي في عهد بني نصر في غرناطة لما ضاع الكثير من ممتلكات المسلمين إلى أن استولى عليها الإسبان نهائيا.[4]

المـــرأة المنفية

أم الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس

يروي الأمير عبد الله [5] معاناته عندما استولى المرابطون على ممتلكاته ،لما رأى اختلال حاله و نكول أهل بلده الدفاع عنه نصحته أمّه و خاصته بالخروج إلي الأمير يوسف بن تاشفين و التصالح معه فلقاه هو وأمّه خارج المدينة وكان الأمير عبد الله شديد الارتباط بأمّه التي تشد من أزره [6] حيث يقول: "ثم أتانا الفقيه ابن سعدون من عند أمير المؤمنين يطالبنا بإحضار الأموال...فقلت إن أباح لي المسير بنفسي لاستخراج الكل وإلا فهذه أمّي،تتولى ذلك..."

و كان عند خروجي ،قد وقع في نفسي من خوف الثقات ما خشيت الفرقة منها إن تركتها في القصر، فخرجت معها، ولم ألتفت على ما سواها . وأنا في حيرة لا أدري

---

[1] بنمليح ، الرق. ، ص175.

[2] Goitein : Letters of Medieval jewish,p 332,333,335.

[3] ابن كردبوس ، تاريخ الأندلس، ص 77، 78.

[4] مجاهد مجهول ، نبذه العصر ، ص ص 107، 111.

[5] يقول عنه ابن الخطيب ، أنه كان جبانا، مغمد السيف، متكاسلا عن الخيل زاهدا في النساء،موصوفا بالضعف؛ لكنه يكتب ويشعر، أعمال الأعلام،ص، 235 .

[6] الأمير عبد الله ، كتاب التبيان، ص154؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص235 ؛ عنان، دولة الطوائف ص341 .

لما يصير أمري...و جعل "قرور" يقول لي و لأمّي : "اكشفا لي عن ثيابكما ،فقد أخبر السلطان أن خيرة الجواهر على أوساطكما ". فتبرأنا له عن ذلك. و صار الكل فيا من خدم و غلام ،ما خلاني و أمي. و قد أخرجت مع أمي صبية طمحت أن أنجو بها، وتكون لي عدة لما بعد ...و أخذت مني .[1]

ثم إنه أمر والدتي بالطلوع إلى القصر لاستخراج الأموال. فتكدرتُ لذلك أياما،ما منها من يوم إلا ونضن أنها لا ترجع إلي، حتى دفعت إليهم الكل بالأزمة ،ولم يغادرهم من ذلك قليل و لا كثير، حتى يشدد على الوالدة، فتأتي عنها و تحملها إليهم .[2] وبعدما أخرج كل ما لديه رجع إلى والدته وقال لها:"أسألك بلّله ،ألا أشفقت عليّ؟ فربما أخرجتنّ شيئا لا أعلمه، فيظهر بعدي ،و يكون فيه هلاكي و هلاكك، و الدنيا أقل من هذا كله...فأيك أن تشمتي بى. و إذا تبرأنا له ، لا يمكن له تضييعنا....فلما سمعت ذلك كله بكت وقالت:" نخشى أن نبقى فقراء وللموت أهون لنا من الفقر". فسهلت لها ذلك وحينئذ قالت:إن الله لا يضيع من خلق. وربما لهذا الضعف و الاستسلام الذي وصف به الأمير عبد الله ، جعل ابن الخطيب يصفه بالجبن والهوان وعدم الدفاع عن نفسه.

و بعد هذا الحوار المقنع كتب تسمية بما أودعه من متاعهما تلك الليلة التي حان خروجهما في غدها.[3] و ذكرت أن عند" لذّة" خادم ابن أبي خيثمة - هو كاتب المؤلف - سُبيبات لبعض جواريها ، و عند ابن الزيتوني أربعة آلاف مثقال و حليا، أرسل فيه على المقام ، نحو خمسة عشر عقدا . فأما الحلي فأتاها وأعطته لقرور مباشرة. و أما الذهب فلما جلبته من ابن الزيتوني ، بادر به إلى السلطان و تحمله لنفسه.[4] فقال له قرور أياكم أن يبقى عندكم شيئاَ.! فرجع الأمير عبد الله مرة أخرى يبكي و يتوسل لدى أمّه بأن تسلم كل ما تملكه. فقالت له :"مالي شي عند أحد أكثر ! فأخذا المصاحف وحلفا فيها لقرور أنه مالهم من شيء أكثر ،لا مودوع و لا مرفوع ،و بعد البحث و الاستقصاء لم يجد أكثر مما قالت والدته.[5] .

و بعد تجريدهما من كل ما امتلكا، أذن لهما بالرحيل إلى الجزيرة الخضراء. ورحلة منفى أم الأمير عبد الله كانت شاقة وطويلة محفوفة بالأخطار ،مجهولة المصير.و سارت هذه المرأة في جزع و هلع بين أهوال أمواج البحر في يوم عصف إلى أن وصلت سبتة. وطال انتظارها مع ولدها لا تدري ما يفعل بهما، ثم نقل الركب إلى مكناسة الزيتون حيث تحسنت معاملتها في انتظار مقابلة يوسف بن تاشفين بعد عودته من الأندلس. واستقر الأمير عبد الله في الأخير بأغمات

---

[1] الأمير عبد الله ، كتاب التبيان ،ص155 ،156.

[2] الأمير عبد الله ، نفسه ، ص 157

[3] الأمير عبد الله، نفسه ، ص 342

[4] الأمير عبد الله ، نفسه ، ص158 ،1 59 .

[5] الأمير عبد الله ، نفسه ، ص159

بالمغرب الأقصى رفقة والدته و التي تعد أول امرأة من أميرات الطوائف تعيش في المنفى ؛ [1] أما المرأة الأميرة المنفية التي تلتها هي :

اعتماد الرميكية.

أمام تخاذل ملوك الطوائف عن الجهاد، قرر يوسف بن تاشفين خلعهم.[2] حفاظا على الإسلام بالأندلس . أما اعتماد فقد أخذها ابن خلف لتسليمها لبعض الملثمين ، ولما سمع ابنها عبد الجبار بخبرها طلبها منه، فأبى تسليمها له ، فقاتله و ضمها إليه. و بقيت اعتماد عند ابنها بقلعة أركش إلى أن نزل عليه عساكر الأمير سير بن أبي بكر و ضرب عبد الجبار بسهم فمات، و حينئذ أخذت اعتماد و خرجوا بها ليلا إلى طليطلة. [3] و استولى المرابطون على كل ما احتواه قصر المعتمد وعثروا على ثمانمائة جارية. فأسر المعتمد من طرف الأمير سير بن أبي بكر، ثم نفي إلى أغمات بالمغرب رفقة أهله عام (484هـ/1091). [4] وتشتت أفراد أسرة المعتمد وقتل البعض من أبنائه الأمراء. أما نساء هذه الأسرة فالبعض منهن تعرضت للنفي وهي إعتماد وابنتيها ، و بثينة سبيت وقيل أن إحداهن و هي زوجة ابنها تنصرت...[5]

لقد اشتدت وطأة الأسر على حظية المعتمد، التي عرفت باسم " إعتماد الرميكة"،[6] ولم تقوى على مغالبة المحنة، إذ تغير مجرى حياتها تغييرا جذريا .[7] وبعدما كانت تعيش في نعيم قصور إشبيلية أصبحت أسيرة في إحدى قلاع أغمات تسترجع أيام زمان، وتعزي نفسها في محنتها بالأحلام. ويبدو أن حزنها كان شديدًا واضحا من خلال شعر زوجها.[8] . ومن أيام عزها ما عرف بـ"ولا بيوم

---

[1] الأمير عبد الله ، كتاب التبيان ،ص160 ،161 ؛ لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،ص 20.

[2] عن الخلاف الذي وقع بين المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين أنظر: الحميري ، روض المعطار، ص291-293 ؛ ابن الكردوس ، تاريخ الأندلس ، ص94.

[3] عبد الله ابن عساكر، و أبي بكر بن خميس، **أعلام مالقة،** تقديم و تعليق عبد الله المرابط الترغي، بيروت،دار الغرب الإسلامي ودار الأمان ، ط 1، 1420ه/ 1999م، ص 263.

[4] ابن بسام ، الذخيرة، المصدر السابق ، مج2، ص52، 53، 57 ، ؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ مج8، ص468-469؛ المراكشي،المعجب، ص141 ، 146. الحميري ، الروض المعطار، ص46؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص109 ؛ عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،** دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 1960، ص352.

Terrasse (Henri) : l'Islam d'Espagne, une rencontre de l'orient et de l'occident. Librairie, Plon, Paris 6e, 1958, P138-139.

[5] عبد الله عنان، دولة الطوائف، ط ،تونس، ص 345.

[6] المقري، نفح الطيب ، ج4، ص212.

[7] ابن بسام ، المصدر السابق، ص70.

[8] قالت هنا هنا مولانا جاهنا

الطين".* وقضت أواخر حياتها أسيرة بأغمات منذ عام (484هـ/1091م).و لما اشتد مرضها، أشرف على علاجها الطبيب أبو العلاء بن زهر. استفحل فيها المرض حتى وفتها المنية.** ولا يعرف تماما سنة وفاتها لكن من المحتمل أنها توفيت قبل زوجها المعتمد الذي وفته المنية في (488هـ/1095م)،[1]

لقد زار لسان الدين ابن الخطيب: مقبرة أغمات في (761هـ/1359م) حيث يصف ذلك "هو بمقبرة أغمات في نشز من الأرض، فقد حفت به سيدرة وإلى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما وحشة التغرب ومعاناة الخمول بعد الملك". [2] و هذا المآل يتخيله أحد الشعراء من خلال رؤية ابن عمار فيبدي شماتته فيها قائلا :

في فؤادي من الرجال جروح   و جروح من بعض كيد النساء

و الرميكية اللعوب أرادت   طول حزني و غربتي و بكائي

و لم تفكر بأن أغمات دار   لابن عبادها و للأشقياء [3]

كما تعرضت بعض بناته إلى النفي معه، وعرفت مشقة العيش والأسى. فوصفهن المقري [4] بما يلي:" حينما دخلن على والديهن بمناسبة العيد وعليهن أطمار كأنهما كسوف وهن أقمار، يبكين عند التساؤل ويبدين الخشوع بعد التخايل، والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن، وأقدامهن حافية وآثار نعيمهن عافية".فدوام الحال من المحال، و سبحان المغير الذي لا يتغير.

قلت لها إلهنا صيرنا إلى هنا. انظر المقري، نفح الطيب ،ج4 ، ص212.

* "ولا بيوم الطين": مفاده أن الرميكية رأت ذات يوم نساء البادية يبعن اللبن في القرب، وهن رافعات عن سوقهن في الطين، فاشتهت ذلك، فأمر المعتد فسحقت أشياء من الطيب، وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين ، وخاضتها مع جواريها . وأباد المعتمد في هذا اليوم من الأموال ما لا يعلمه إلا الله ، أنظر: المقري، نفح الطيب،ج4 ، ص212 ؛ من هذا النص يتبين الفرق الشاسع بين المستوى المعيشي المترف لنساء الأمراء والفقر والبؤس لنساء العوام في عهد المعتمد بن عباد وشقاء البدويات من أجل الكسب.

** استدعى أمير المسلمين الوزير والطبيب أبو العلاء بن زهر بمراكش، لعلاجه، فانتهز المعتمد فرصة وجوده بمراكش وكتب إليه راجيا إياه معالجة السيدة اعتماد الرميكة التي انهارت قواها: ابن بسام ، المصدر السابق، ق2، مج1، ص 227؛ المراكشي ، المصدر السابق، ص155.

[1] المراكشي ، نفس المصدر، ص 146 ؛ وانظر ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص119.

[2] المقري، نفح الطيب ،ج 6، ص495.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 164؛ كما زار المقري نفس المقبرة أنظر، نفح الطيب، ج4، ص98؛ عبد الرزاق حسين ،**الأندلس في الشعر العربي المعاصر**،الكويت،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، 2004، ص162.

[4] المقري نفح الطيب، ج4، ص273.

زايدة الأندلسية ، المنفى الإختياري أو الفرار

أما المرأة الأندلسية التي تداولتها الروايات المسيحية بأنها ابنة المعتمد فهي: زايدة المسلمة Ceida أو Zaida la Mora التي تعد من حالات الشاذة بالنسبة للأندلسيات المسلمات، وما يلفت الإنتباه هو إختلاف الرواية المسيحية عن الرواية الإسلامية في شأن "زائدة" التي يقال عنها فرت وتنصرت خوفا من الوقوع في حوزة المرابطين. و حدث هذا لما استولى المرابطون على قرطبة في (صفر 484هـ/مارس 1031م)، وقتل الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون فرت زوجته زايدة إلى مملكه قشتالة واعتنقت المسيحية وبنى بها الملك ألفونسو السادس وسميت بزايدة المسلمة أو "ماريا وهي التي أنجبت له ولده الوحيد "دون سانشو" و لقد توفيت عند وضعها له.[1]

لكن يبدو أن فرار زائدة كان مهيئا قبل ما تقع المواجهة مع المرابطين من طرف زوجها المأمون بن المعتمد الذي أرسلها مع أولاده وأمواله إلى حصن المدور.[2] لكي تستطيع أن تلوذ عند الضرورة بحماية ملك قشتالة.[3] وربما هذا الحدث الذي أعرض ابن الخطيب عن ذكره عند استيلاء القائد المرابطي محمد بن الحاج على قرطبة:" واتصلت المحاصرة، ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها، فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وأربعمائة".[4] ومرّ عليه مرور الكرام. لكن الروايات الإسبانية النصرانية،[5] المعاصرة تشير إلى أن "زائدة" هي ابنة المعتمد بن عباد أمير إشبيلية، وقد زوجها والدها بالملك بألفونسو السادس الذي اتخذها خليلة. وأنجب منها ولده الوحيد سانشو، وذلك حين شعر

---

[1] الأمير دون سانشو: Don Sanchon أو شانجة كما تذكره المصادر العربية، كان سنه في موقعه أقليش حوالي15 سنة، ويروي ابن أبي زرع أن ألفونسو السادس حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين هو قائد الجيش الإسلامي، أشارت إليه زوجته أن يوجه ولده سانشو عوضا عنه لأن تميم ابن ملك المسلمين، وشانجة ابن ملك الروم فسمع منها وذلك لإثارة حماس لجند، انظر ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ، ص 114 .

[2] يقع جنوب غربي قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير يعرف بالإسبانية بـ:Almodar del Rio أنظر:عنان، دولة الإسلام. ،ع 2، ص.345.انظر الخريطة الطبيعية لشبه الجزيرة الإيبيرية رقم 1.

[3] عنان، نفسه. ع 2، ص 345 . وأنظر:

Levi Provençal : **«La Mora Zaida » : femme d'Alphonse VI de castille, et leur fils : « L'Infant D.Sancho** », In Hesperis, T.XVI, fascicule I, 1er Trim, IMP: A. Tayone, 1934, P6

[4] الإحاطة مج2، ص116.

[5] الروايات التي تذكر قصة زائدة لخصها المؤرخRamon Mendez Pidal في كتابه Espana del cid أنظر في ذلك ليفي بروفنسال: المرجع السابق،**«La Mora Zaida»** : ص1 ،2؛ عنان ، دولة الإسلام العصر الثاني ص 345 ، 346.

المعتمد بخطر المرابطين الداهم على مملكته،[1] فاستغاث بألفونسو لمعاونته على دفعه وهو الذي قدم ابنته المذكورة للملك النصراني و تنازل له عن أراضي مملكة طليطلة التي كان قد افتتحها، لتكون مهرا لابنته.

وتقول الرواية القشتالية في هذا الصدد، إن زائدة كانت تحب الملك ألفونسو السادس " بالسماع" وتتوق إلى الزواج منه. وان المعتمد -بزعم أن زائدة ابنته- قد تنازل لملك قشتالة في هذه المناسبة عن الأراضي الذي افتتحها من مملكة طليطلة، وذلك كمهر يقدمه لزائدة سنة (1090 أو 1091م/483هـ أو 484هـ) [2] وأصبحت خليلة أو زوجة ملك قشتالة في (485هـ/1092م).

والذي يثير التساؤل كيف أن ابن عباد يزوج ابنته من عدوه ألفونسو السادس ،[3] وهو القائل حين حذروه من مغبة الاستنجاد بيوسف بن تاشفين لدفع خطر ألفونسو:"[...] لأن يرعى أولادنا جمالهم أحب إلينا من أن يرعوا خنازير الفرنج" . كما قال لابنه الرشيد:"أحب إلينا أن[أكون راعي] إبل العدوة من أن ألقى الله وقد حولت الأندلس دار كفر".[4] فإذا صح هذا القول عن المعتمد فكيف يرضى أن تكون ابنته زوجة كافر ثم ما لبثت أن تنصرت!و قد تكون هذه الرواية من الافتراءات .

وعموما فإن الأندلسيات المسلمات اللائي وقعن في أسر النصارى أصبحن طعمة سائغة في فم العدو بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. ولم يول لهن النصارى أهمية مثل ما كان الشأن مع زائدة التي اشتهرت بالتنصر، وبزواجها بالملك ألفونسو السادس ملك قشتالة فأطلقت عليها الروايات المسيحية اسم "زائدة المسلمة" « ZAIDA LA MORA ».أي اسمها بقي مقرونا بالإسلام رغم أنها اعتنقت المسيحية. لكن في الحقيقة أن هوية أصل هذه المرأة -التي كانت زوجة للفتح بن عباد المأمون- مجهولة و غير مستبعد أنها من أصول رومية أسلمت مثل الكثير من الجواري الأندلسيات الروميات اللائي تزوجن بالمسلمين أو بقين على دينهن .[5]

---

[1] لمزيد من المعلومات على الحلف المبرم بين المعتمد بين ابن عباد وألفونسو السادس أنظر:عنان ، دول الطوائف، ص73.

[2] Levi Provençal: la mora.–Op.cit P2 و عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق.2، ص345.

[3] لم يكتف ابن عباد برفض طلب النصارى إنما قتل رسولهم إليه. أنظر: الحميري ، الروض المعطار، ص 287 وابن عذاري، البيان ج4، ص131.

[4] ابن عذاري، البيان ، ج4، ص 114؛ وأنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ، مج7، تحقيق إحسان عباس ، بيروت، دار صادر،1414ه/1994م ،ص115؛ ابن الخطيب، الإحاطة مج2، ص109 ؛.

Philippe Conrad : « Histoire de la Reconsquista », Que sais-je ? PUF Paris, 1998, P 57

[5] حميدي ، المرأة في عهد المرابطين، ص 164، 165.

عائشة بنت الأمير الأيسر- عائشة الحرة-:

تمثل هذه المرأة آخر دور في تاريخ نساء حكام الأندلس الإسلامية ؛بعد ما أبلته من عزيمة و صبر وجهاد لإنقاذ مملكة ابنها من الوقوع بين مخالب إيزابيلا .لكن لما خذلها "أبو عبد الله الصغير"، انقسم صف المسلمين بين مؤيد لها و معارض؛ استنفذت قواها في الصمود أمام ضربات النار و الحديد النصرانية.

و بعد الاستسلام الرسمي لابنها و إبرام اتفاق التنازل على كل أملاكه للملكين النصرانيين ؛ و كذلك بيع الأميرات أملاكهن إلى الملكين الكاثوليكيين ، قرر"أبو عبد الله الصغير"، الرحيل إلى المغرب في ذي الحجة 898هـ/ أكتوبر1493 م. و كانت تتألف أسرة أبو عبد الله من والدته "عائشة" و أخته عائشة و زوجته "مريم" و ولده الصغير، إلا أن زوجته توفيت قبل مغادرة الأندلس.[1] تختلف الرواية التاريخية في تاريخ وفاة أبي عبد الله اختلافا بينا ، لكن لم تذكر وفاة والدته الأميرة عائشة الحرة .[2] ولم تكن أسرة أبو عبد الله آخر أسرة نفيت من البلاد ،بل كانت تعد بداية لسلسلة من الهجرات التي عرفتها جماعات من النساء اللائي فررن مع أسرهم من الأندلس خوفا من الوقوع في أيدي النصارى و في مقدمتهم أسرة بني سراج الشهيرة.[3]

و في خضم هذه الأحداث باع الكثير من النساء أملاكهن قبل رحيلهن النهائي ، منهن "فاطمة بنت أبي القاسم الأبار التي باعت حديقتها الكائنة بربض باب الفخارين للقائد القشتالي " أندريس قلدون " في جمادى الثانية 897ه/ مارس 1492م .[4]
وصدرت فتوى في هذا الشأن عند الونشريسي في أواخر القرن 15م وبداية القرن 16 م،أفتى بها جوابا عن سؤال:"

أيستطيع المسلم أن يغادر الأندلس إلى إفريقية. كان جوابه بتحتيم الهجرة على من يستطيعها من المسلمين بعد استيلاء الإسبانيين على الأندلس ،محافظة على نسائهم ،لئلا تعقد زوجة بعضهم أو ابنته صلتها بأعداء الدين،فيقودها الأمر إلى ترك الإسلام.

---

[1] عنان، نهاية الأندلس ،ص 274 ، 277، 278.

[2] تحدد سنة وفاته حسب المقري في نفح الطيب سنة 1534م.، أما في أزهار الرياض في سنة 1518م؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 288.

[3] مجاهد مجهول ، نبذة العصر ، ص 108؛ عنان، نهاية الأندلس ، ص310.

[4]لويس سيكو دي لوثينا،:(Luis Seco de Lucena)**وثائق عربية غرناطية**، من القرن9ه/15م معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد،1380هـ/1961م، ،رقم 181، ص130. رقم184 ، ص134. رقم85 ص 135 عنان ، نهاية الأندلس ص 310.

" ومنها الخوف على الإبضاع و الفروج و متى يؤمن ذو زوجة أو ابنة أو قريبة وضيئة أن يعثر عليها وضيء من كلاب الأعداء و خنازير البعداء فيغيرها في نفسها و يغترها في دينها و يستولي عليها فتطاوعه و يحال بينها و بين وليها بالارتداد و الفتنة في الدين كما عرض لكنة بن عباد و من لها من الأولاد.أعاذنا الله من البلاء و شماتة العداء ."[1]

و بعد سقوط غرناطة كثف الأندلسيون هجرتهم إلى المغرب ، حيث توجه مسلمو مالقة و المرية إلى تلمسان ، في حين توجه مسلمو الجزيرة الخضراء إلى طنجة، أما أهل غرناطة فقد توجهوا إلى بجاية و وهران و قابس و غيرها من المدن المغربية لاسيما الساحلية منها .[2]

فإن السبي أو الأسر كان جزءًا من معاناة المرأة واضطهادها في هذه الفترة، وتعتبر هذه الظاهرة هاجسا مثيرا لها ومهددا لحياتها. و ما للمرأة الأندلسية إلا أن تدفع ثمنا باهظا ضمن هذه الأحداث التي أعطت لظاهرة الأسر والسبي الحظ الأوفر فيها. فكانت معاناتها شديدة إلى درجة أن غيرت من مجرى حياتها. و لم يكن هذا بالأمر الغريب على المرأة الأندلسية التي كانت تتعرض دائما لنفس الاضطهاد كلما تعرضت دويلة ما إلى الانهيار أو التقهقر ، سواء كانت المرأة أمّا أو زوجة أو أختا، أو بنتا، حرّة أو مملوكة فهن في العبودية سواء. ولذلك فإن وضع المرأة تجاذبته الظروف السياسية والعسكرية للدولة متأرجحة بين القوة والضعف. و قد اشتدت عليها وطأة السبي خاصة في فترة الفتن الداخلية و ضعف القوى الدفاعية على الثغور الأندلسية .[3]

أما سبي النصرانيات يبدو أنه كان أخف من سبي النصارى لمسلمات في الأندلس إثر إغارتهم على ديار المسلمين، لأن على الأقل بعض السبايا النصرانيات حفظن على كرامتهن و تمتعن بحرية العقيدة أو اعتنقن الإسلام على طيب خاطر، وعوملن معاملة حسنة في قصور الأمراء والأغنياء، لاسيما إذا كانت الأسيرات ذات حسن وجمال وأصبحن أمهات أولاد، و ساهمن في البناء الحضاري ، حتى أن البعض منهن احتفظت بعقيدتها النصرانية في وسط أسرة مسلمة دون حرج في ذلك. امتثالا لقول الله عزّ و جلّ:﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ**

---

[1] الونشريسي المعيار،ج 2 ،ص133 ،134. PROVENÇAL LEVI : : «LA MORA ZAIDA»,P200.

[2] مجاهد مجهول ، نبذة العصر، ص 106 ، 107؛ عنان، نهاية الأندلس ، ص 311.

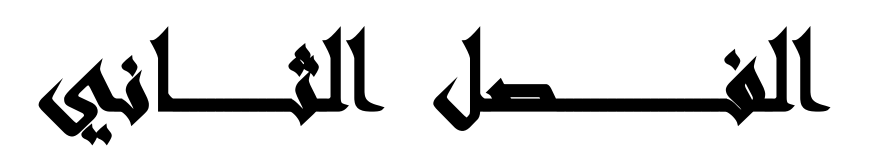
[3] ابن عذاري ، البيان قسم الموحدين، ص30؛ وأنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان ، مج 5، ص49. أسر النصارى النساء المسلمات منها في غزواتهم عام 526هـ/1132م. أنظر ابن القطان، نظم الجمان، ص197.

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [1] إلا أن هذا الأمر لم يكن يمارس بنفس المرونة والتسامح مع الأسيرات المسلمات اللائي تعرضن لشراسة الانتقام النصراني على الإسلام في الأندلس وأرغمهن على التنصر والتجرد من كل أثر يمت بصلة للعروبة والإسلام.[2]

---

[1] سوره البقرة، الآية 256

[2] مجهول، نبذة العصر، ص 109، 110؛ عنان، نهاية الأندلس ،ص 314، 315.


الفصل الثاني

إسهام المرأة الأندلسية في الحياة الاجتماعية

ـأولا الوضعية الأسرية و الاجتماعية للمـــرأة الأندلسية

- المـــــــرأة المسلمـــة
- **المرأة النصرانية في الأندلس**
- المرأة اليهودية في الأندلس
- الأمة (الجارية) في الأندلس

ثانيا: المرأة و مظاهر الحياة الاجتماعية:

- الأعيـــاد و الاحتفـــالات
- العـــادات و التقاليد و التأثيرات الاجتماعية
- اللّبــــــاس و التزيـــــن
- الحلي - مـــــواد التجميـــــــل

أولا:الوضعية الأسرية و الاجتماعية للمــرأة الأندلسية

تمهيــــد

تعتبر المرأة في كل زمان و مكان عنوان المجتمع و مرآته التي تعكس حياة الخاصة و العامة معا،و تحديد درجة التقدم والحضارة التي وصل إليها هذا المجتمع والمدى الذي بلغه أفراده من رقة الشعور و تهذيب النفس والقدرة على الإحساس بالجمال و تذوق الفن في صوره المتعددة. وهذا الوصف هو ما ينطبق على المرأة الأندلسية الذي أكدته كتابات المؤرخين و الأدباء و الشعراء ،بأنه أحسن وضع في العصور الوسطى. . فكانت انطلاقتها في المجتمع الأندلسي أوسع مما كانت عليه في البلدان العربية والإسلامية الأخرى.[1] و كلما كثرت الجواري في بلاطات الحكام في الأندلس إلا ازدادت العناية بتهذيبهن و ثقافتهن ، فنمت شخصية بعضهن . و كان الحكام يمتلكون المئات من هؤلاء الجواري لا سيما المغنيات و أمينات السر والأديبات.

أما مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي فتباينت حسب انتماءاتها في المجتمع ،فحال المرأة لدى الوسط الأرستقراطي يختلف عن حالها لدى العامة ولدى الطبقة الفقيرة. إلا أننا نجد المعلومات الفعلية الملموسة عن النساء الأندلسيات و نشاطاتهن أوسع عندما يتعلق الأمر بعلاقتهن بالرجال ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة ؛ فنسمع عن نساء ينتسبن إلى عائلات الحكام أو الرجال البارزين، و عن نساء كن خادمات أصبحن يمتلكن الجواري. [2]

و بالتالي كانت المرأة في الأندلس تمثل صورة من صور المجتمع الأندلسي،و قد استطاعت أن تلعب دورا رئيسيا في المجتمع. أما وضعها الاجتماعي فقد اختلفت وفق انتمائها الطبقي و علاقتها الأسرية و الاجتماعية. وأول مجال لدور المرأة هو دورها الأسري . و قد تبين ذلك من خلال التراث الأندلسي المتمثل في وثائق اجتماعية و عقود زواج و طلاق تثبت أن المرأة تمتعت بكافة حقوقها المدنية. [3]

إن الأسرة هي أساس المجتمع و لا تتم إلا عن طريق استكمال الخطبة والزواج بالرضا و التآلف وما تعلق بهما من شروط . ورغم اختلاف هذه المظاهر بين العناصر المشكلة للمجتمع الأندلسي ، فإن الصبغة الغالبة عليها هي الصبغة الإسلامية التي يسودها المذهب السني و الذي يتصدره المذهب

---

[1] صالح خلاص ،**إشبيلية في القرن الخامس الهجري ،دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد** ،(414 ه/ 461م) بيروت ، دار الثقافة ،(دت) ،ص90، 91.

[2] خلاص ، نفسه ،ص91؛ ماريا فيغيرا،أصلح للمعالي، عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس ، ج2، ص 1008.

[3] سامية مصطفى مسعد ،صور من المجتمع الأندلسي ، ص111

المالكي. فإن كانت الخطبة إحدى المراحل الأساسية والمهمة لبناء الأسرة، تمهيدا للزواج فلا بد من تتبع المراحل الأساسية لهذا الركن ، و معرفة المشرفين عليها وبالأخص معرفة موقف الفتاة أو المرأة و ما يقرر لها أو عليها في إطار ممارسة حقوقها؟ وفي حالة إتمام الخطبة وانعقاد القران فما مصير المرأة كزوجة و كأُمّ ترعى الأبناء؛ وفي نفس الوقت مرتبطة بعلاقات اجتماعية واسعة لابد لها من مراعاتها؟

بناء على هذا الطرح و تداعياته و نتائجه على وضع المرأة ، أحاول إبرازه في بداية هذا الفصل مراحل تكوين الأسرة الأندلسية التي تعد إحدى نعم الله على الناس لقول الله ﷻ **﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا. ﴾** [1]

1الوضعية الأسرية للمـــــــرأة المسلمـــة

ـ تكويـــــــن الأســـــــرة.

الخطبـــــــة:

تعد الخطبة [2] أولى خطوات التعارف بين الزوجين،و كانت تتم عادة بالتواعد على الإيجاب والانعقاد بتوقيت زمان يحضره الشهود ويبرم فيه الأمر. وبعد انتهاء فترة الخطبة يتم عقد القران بتسجيل عقد الزواج . لقد منح الإسلام المرأة كافة الصلاحيات في اختيار شريك حياتها و كان تكريمه للمرأة في تكريم رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها حين قال: **"فإنما هي بضعة مني يُرْبيني ما أرباها ويؤذيني ما أذاها "**. [3] .و بشر النبي من أعل البنات بقوله:" ما من رجل تدرك له

---

[1]سورة النساء، الآية 1

[2] عرفت الخطبة عند العرب قبل مجيء الإسلام وأهما هي الخطبة التي ألقاها أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم حينما خطب له خديجة بنت خويلد. انظر :أحمد الشامي،**التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام،دراسة مقارنة**،كلية الأدب،جامعة الزقازيق،مصر،1982،ص17.

[3] وقال : **"فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني "**، ابن حجر العسقلاني ، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، مج 7 ،رقم3767، القاهرة ، دار البيان العربي ،2007،ص12

ابنتان فيحِن إليهما ،ما صحبتاه أو صَحِبهَما إلا أدخلتاه الجنة" [1]. و أمرنا الله ﷻ باتباع رسوله بقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.**﴾ .[2] و من وصايا رسول الله ﷺ ،حيث قال :" من عال ابنتين أو ثلاثا ، أو أختين أو ثلاثا حتى يبِنَّ أو يموت عنهن كنت أن و هو في الجنة كهاتين." وأشار بأصبعيه السبابة و التي تليها. [3] و قال في هذا الشأن أحد الأندلسيين:"البنون نعَم والبنات حسنات، والله عزّ وجلّ يحاسب على النعم ويجازي على الحسنات. وبالمقابل يقول مثل العامة :"من عندُ وْلِيَ عَنْدُ بْلِيَ".[4]

و كانت تتولى مهمة الخطبة عادة إحدى النساء الخاطبات التي تعمل على إبداء صفات وحسنات كل من الرجل والمرأة في حالة ما لم يسبق التعارف بينهما، والخاطبة تقوم بالتمهيد للاتفاق بين المتقدم للزواج وأهل العروسة ، وعقب ذلك يرسل الخاطب أهله وهم في غالب الأحيان، والده وإخوته إلى دار العروس للاتفاق النهائي، وعلى كل ما يتصل بشروط إتمام عقد الزواج، خاصة من ناحية العروس ومطالب والدها من صداق وهبة وهدية وغيرها. [5]

وأحيانا، كان يقوم بعض أصدقاء الخاطب بهذه المهمة، مثلما حدث لأخ سعيد بن منذر بن سعيد، أو يقوم بالمهمة الرجل نفسه. [6] وذكر الخشني أن بعض الرجال الأندلسيين كانوا يصرون على رؤية زوجاتهم في فترة الخطوبة، وقبل البناء بهنّ والعقد عليهن. ومن ذلك قصة زياد بن عبد الرحمان مع صهره معاوية بن صالح، قال الخشني: "إن زيادا رغب النظر إلى زوجته في بيت أبيها قبل بنائه بها، على ما يفعله الناس، فتحايل النساء عليه، وأتين بالخاطب - زياد - عند العشاء، وتخبأ في الأسطوان. ولما رأته دابة معاوية بن صالح نفرت منه واشتد قلقها، ولما سمع معاوية حسها رباه أمرها، فأخذ مصباحا ودخل الأسطوان، فوجد زيادا في مزود الدابة، وأدرك الأمر، فقال له: استوصوا بكم (أي النساء) خيرا، ثم خرج

---

[1](أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني) ابن ماجة ، **صحيح سنن ابن ماجة،** مج3، تأليف ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع لصاحبها سعد عبد الرحمان الراشد ،ط1، 1417ه/ 1997م ، رقم 2885، ص 189 .

[2]سورة، الأحزاب، الآية : 21

[3] (زكي الدين عبد العظيم عبد القوي) المنذري، الترغيب و الترهيب **من الحديث الشريف،** خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد حلمي، 2مج ، دار التقوى ،(دم) ، (دت) ،مج1،رقم 2936، ص 772.

[4] (أبو يحي) الزجالي ، **أمثال العوام،** القسم 1، 2،دراسة محمّد بن شريفة،أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة القاهرة، 27-2-1969م،ج2،رقم 1254 ،ص291.

[5] يلاحظ تغيرا وتطورا واضحا في صيغة عقود الزواج من ناحية الشكل، لكن مضمون العقد ظل ثابتا لم يتغير، وحدوث التغيير الشكلي كان لتطور مسايرة وسائل الحياة وتطورها وتقدمها ؛ انظر الشامي، المرجع السابق، ص 16.

[6] ابن حزم، ، طوق الحمامة ، ص 57.

معاوية إلى الصلاة، ولم يرى في ذلك حرجا ولا عاتب زيادا على فعله، بل بالعكس وافقه على ذلك، ويبدو أن ذلك كان شائعا عند الأندلسيين المصرين على رؤية المخطوبة"[1]. و يبدو ذلك من وصف ابن الخطيب للحرم قائلا:" أما الحرم فهم مغارس الولد ورياحيين الخلد و راحة القلب...و احذر أن تجعل لفكر بشر من بصر إليهن سبيلا".[2]

ولا يرى بعض الأندلسيين حرجا في خطبة الرجل لابنته إذا وجده رجلا صالحا، ومن ذلك أن أسماء بن داود التي كانت تسكن في مدينة بلنسية، زوجها أبوها من أحمد بن محرز الذي كان يقرأ عليه، واختاره لابنته لما اتصف به هذا الفتى من فضل وعقل، فصارحه في أحد الأيام قائلا له: "أتُحبّ أن أزوّجك ابنتي؟" فخجل الفتى المخطوب، ثم أبدى له حاجته في ذلك، وتمّ زواجهما بهذه الطريقة، ومن نافلة ذلك أن نذرها والدها دارا وزفّها إليه [3].

كما يروي الأستاذ أبو بكر بن دحمان قصة مصاهرته لأحد شيوخ[4] مالقة الأجلاّء بان مصاهرته تمت باستدعائه إياه، وكان الأستاذ حينئذ فتى مشتغلا بالطب على عفاف وصون، ما أعجب الشيخ به، فقال له: "يا فتى، أريد أن أزوجك ابنتي وعندي ما تحتاج إليه"، وفعلا قبل الأستاذ أبو بكر هذا العرض، وبدليل أنه يروي لنا قصته، وكان دائما يصف هذه الزوجة بأنها ذات دين وعقل إلى أن ماتت [5]. كما تخضع الخطبة للتأثر بالخلافات العائلية، ففي إحدى العائلات الأندلسية، عزم رجل أن يسافر إلى الحج مع أمه، فقال له عمه شامة في أمه: "اترك السفر مع أمك وأزوّجك ابنتي وأعطيك عشرة مثاقيل"[6].

ويبدو في الأسر الأندلسية تفضيل الآباء في تزويج إحدى البنات دون الأخرى، وهذا ما يستشف من كتب الحسبة، بحيث برز دور المحتسب في نصح الأب إذا كانت له ابنتان أو أكثر، ألا يزوّج الكبيرة على أنها الصغيرة، أو العكس، وأن لا يزوج الأقل جمالا على أنها هي الأجمل من أختها [7]، وهذا لتفادي المشاكل منها مراعاة لشعور الفتاة التي تفضل عليها أختها، وبما أنها أقل جمالا من جهة، ومن جهة أخرى تفادي المشاكل مع الأصهار عند اكتشافهم لهذا النوع من الغش في

---

[1] الخشني ، قضاة قرطبة، ص 34 .

[2] (لسان الدين) ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج4،تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ط1، 1397ه،1977، 625.

[3] **ابن عساكر** عبد الله و أبي بكر بن خميس ، **أعلام مالقة،** تقديم و تعليق عبد الله المرابط الترغي بيروت،دار الغرب الإسلامي ودار الأمان ، ط 11420ه/ 1999م. رقم 27، ص 124.

[4] هو الشيخ محمد بن سعيد بن مدرك الغساني، ابن عساكر، نفسه، ص 124.

[5] ابن عساكر، المصدر السابق ، ص 124.

[6] ابن رشد ، **فتاوى ابن رشد** ، تح المختار بن الطاهر التليلي ،السفر3، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1407 ه/1987م، م 649، ص 1633.

[7] ابن عبد الرؤوف، **الرسالة الثانية في آداب الحسبة و المحتسب،** تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، 1955 ، ص 82.

الخطبة. لكن السؤال في هذا الصدد يطرح عن حرية الفتاة فهل منح لها حق الاختيار في اتخاذ قرارها بالقبول أو الرفض لمن يطلبها للزواج؟ و من خلال ما سبق عرضه لا يمكن لنا أن نتجاهل حق المرأة و ما مدى تمتعها بالحرية الكاملة في اتخاذها للقرار سواء كان بالقبول أو بالرفض.

ذكر ابن حزم حوار قصة جارية جميلة رفضت من تقدم إليها . كما أن الشاعرة **عائشة** بنت أحمد القرطبية عارضت خطابها من الرجال والشعراء الذين توددوا لها، وخلدت تلك المعارضة في أبيات شعرية معبرة عن موقفها من الخطاب قائلة:

أنا لبؤة ولكنني لا أرتضـي نفسي مناخا طول عمري من أحد

لو أنني أختار ذلك ما أجب كلبا وقد غلقت سمعي عن أســـد [1].

وقد تستحسن المرأة الخاطب أو تستبشعه دون إحراج، ومن ذلك ما مثله شعر **نزهون** بنت القلاعي الغرناطية في هجاء الخاطب قائلة:

عَذيري من عاشــق أَنْوَكِ سفـــيه الإشارة والمنزع

يروم الوصال بما لو أنني يروم به الصفع لم يصفـع

برأس فـــــــقير إلى كيَّة ووجه فقير إلى بُرقُـــــع. [2]

ويبدو أن زواج المرأة من غير الكفء أمرا يمس الشرف،حيث قيل:" إذا لم تجد المرأة كفئا فخير زوج لها القبر." [3]

وإن كان المثالين السابق ذكرهما يخصان إحدى شاعرات الأندلس التي ربما لم يتوفر الكفء لهما فإن موقف" ولادة "من الزواج لم يزل يعتريه جانب من الغموض. فرغم ما تميزت به من جمال فتان و مال وافر والحسب العريض و المواهب الفنية ، يطمع فيها الرجال، فقد صرفتهم بعنف و كبرياء، ورغم كل ما تمتعت به تظل عانسا و قاربت التسعين من عمرها ، و لو شاءت الزواج لوجدت أكرم الأكفاء .[4]

ويبدو أن ظاهرة العزوف عن الزواج ظاهرة استمدت جذورها بين بنات الخاصة منذ القرن الرابع الهجري، حيث بلغ المجتمع درجة عالية من الترف

---

[1] المقري، نفح الطيب ،ج4، ص 290. بوفلاقة سعد ، **الشعر الأندلسي الأندلسي**، (أغراضه وخصائصه الفنية)، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 290،1995 ص 121.

[2] (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة) الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق الابياري القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني،ط 2، 1410ه/ 1989، رقم 1591، ص 476.

[3] (أبو عمر أحمد بن محمد) ابن عبد ربه الأندلسي، **كتاب العقد الفريد** ، مج 3، مراجعة وتحقيق، محمد صقر، القاهرة ، مكتبة مصر ، ط 1 ، 1429ه/ 2008م، ص 224.

[4] سلمى سليمان علي ، المرجع السابق، ص 306 .

وأصبحت المرأة المثقفة يتنافس الرجال عليها لكنها لم ترتبط لكفاءتها العقلية ولطموحها و لسعة مالها بأحد مثل عائشة بنت أحمد بن قادم ماتت بكرا و فاطمة بنت زكريا بنت عبد الله في عمرها 94 سنة و المحدثتان **أمة الرحمان** بنت أحمد بن عبد القهار العبسي في عمرها 80 سنة؛ وحفصة بن الأستاذ ابن العروس، و في عمرها 27سنة.[1]

وبالمقال يطرح موقف و حال نساء عامة الأندلس في مسألة الخطبة والقبول أو الرفض؟ ذلك ما نستشفه من كتب الحسبة والفتاوى، والتي تذكر أن من صحة شروط الزواج إتمام الإيجاب و القبول،و أن تسمع موافقة المرأة علانية، فالفتاة البكر اليتيمة لا تزوّج إلا بإذنها، وإذنها صمتها، [2] فحين تسأل عن رأيها، فإن صمتت زوّجت. وإن أنكرت بالقول أو بالبكاء، أو ما يظهر عليها ما يدل على الرفض، لم تزوّج [3] ، أما الثّيّب فيشترط أن تسمع موافقتها علانية، ولا تجبر ولا تكره على الزواج بدون موافقتها وإذنها [4] وينصح الأب بأن لا يزوّج ابنته الشابة كرها شيخا كبيرا ولا رجلا ذميما وفاسقا، فإنه يخاف عليها الفتنة . [5]

ومن خلال الواقع الأندلسي المعاش، فقد كانت بعض الأسر تعارض خطاب بناتها، لما تراه من مصلحة للبنت أو للولد في السعي له بحثا عن عروس . ويبرز تدخل بعض الأمهات أكثر من الآباء، ففي هذا الصدد، ذِكرت أم يحيى بن محمد التي منعت ابنها من الزواج من جارية، وذلك ببيعها حتى تمنعها عنه على غير درايته، وذهبت إلى تزويجه من إحدى العامريات، حتى أصيب الولد بالجنون لإصرار أمه على ذلك [6].

كما رفضت السيدة الذّلفاء أم عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (المنصور) زواج ابنها عبد الملك من بنت الجنّان مَوْلاته التي تأدّبت تأدّب أهله، فقد أنكرت عليه

---

[1] عن حياتهن انظر الفصل 4 من هذا البحث.

[2] في حالة ما إذا تزوج العبد أو المدبر أو المكاتب المرأة الحرة بإذن سيده ، و كانت بكرا فلا بد أن تتكلم برضاها... و ليس صمتها هنا رضا و تعبر عن نفسها و يسمع الشهود منها ذلك ، بخلاف لو تزوجت حرا. انظر ص 15، 16؛ (محمد بن أحمد الأموي) ابن العطار ، **كتاب الوثائق والسجلات**، تح و نشر، ب. شالميتا و ف .كورينطي، مدريد ، مجمع الموثقين المجريطي ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، 1983، 15، 16.

[3] (أبو الوليد سليمان بن خلف) الباجي ، **فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام** تح، الباتول بن علي ، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية،1410ه/1990، ص363؛ ابن عبد الرؤوف، الرسالة الثانية في الحسبة، ص 80 .

[4] الباجي، نفس المصدر، ص363 ؛ الونشريسي، المعيار، ج 3، ص 130- 131.

[5] (جلال الدين) السيوطي، **نزهة المتأمل ومرشد المتأهل في الخاطب والمتزوج**، تحقيق محمد التنوخي. بيروت، دار أمواج للطباعة و النشر و التوزيع، ط2 ،1989، ص13.

[6] أحمد طاهر مكي، **دراسات عن ابن حزم و كتابه طوق الحمامة**، مكتبة وهبة، القاهرة ،ط2،1397ه/ 1977م.ص261.

والدته زواجه منها نظرا للفوارق الاجتماعية بين فئتي المجتمع الأندلسي، الخاصة والعامة، وسعت بكل الطرق لمنعه، لكن رغم كل ذلك استطاع عبد الملك الزواج من بنت الجنان بمساعدة أحد كبار دولته وهو عيسى بن سعيد، وكان زوج أخته، ولكن عواقب هذا الزواج تمثلت في كراهية الذلفاء الشديدة للوزير عيسى[1].

وقد يحدث عدم الموافقة على الخاطب حتى ولو كان من نفس العائلة و من الأقارب.ومن ذلك ما حدث لعبد الرحمان بن هشام * الذي أحبّ ابنة عمه سليمان المستعين والمدعوة بـ "حبيبة"، وأراد خطبتها، لكن أم حبيبة رفضت هذه العلاقة وماطلته، فانصرف عبد الرحمان بن هشام إلى قرض الشعر الذي صب عليه جام غضبه ولوعته على ابنة عمّه، لمكان نشأتهما معا.

فكتب قصيدة [2] من 24 بيتا يستعطف بها قلب "شنف" زوجة عمه ومنها:

وماذا على أمّ الحبيبة إذا رأت	جلالـــة أن أكون لهـــــا صهرا
جعلت لها شرطا عليّ تَـعَبُّدي	وسُقتُ إليها في الهوى مهجي مهراً[3]

كما تنوه بعض المصادر بموقف بثينة بنت المعتمد بن عباد التي رفضت الزواج من الشاب الذي وقعت أسيرة والده إلا بعد استشارة والدها المعتمد ، وأخذ موافقته، وهو بعيد عنها، سجين المرابطين بأغمات بالمغرب الأقصى، وأرسلت له قصيدة في غاية اللطف والأدب وشدة الحزن تطلعه على وضعها، وعلى صفات الشاب المتقدم إليها، وتستأذنه في موافقته، وممّا قالته ما يلي:

وأرادني في نكاح نجْل طـــــــاهر	حسن الخلائق من بنـــي الأنجاد
ومضى إليك يسُوم رأيك في الرضى	ولأنت تنظر في طريق رشــادي
فعســــــــاك يا أبتي تعرفني به	عن كان مِمّـــن يرتجى لودادي

---

[1] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 18؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن الجزيرة، مج 1، ص 78؛ ابن عذاري، البيان،ج 3 ص 37،39.

* هو المستظهر بالله أبي المطرف عبد الرحمان بن هشام بن عبد الجبار الناصري، بويع سنة(414 هـ/ 1023م)كان على حداثة سنه ذكيا لبيبا أديبا حسن الكلام، مليح البلاغة، عفيفا.. حكم سبعة وأربعين يوما (47)، قتل وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة في قرطبة.؛ ابن بسام،المصدر السابق ، مج 1، ص 28 ؛ ابن الابار، الحلة، مج 2، ص 12 ، 13.

[2] ابن حزم ، **رسائل** ،ج2،تحقيق إحسان عباس بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،ط2، 1987، ص 202.

[3] اسمها: "شنف عند ابن بسام".انظر المصدر السابق ، مج 1، ص 32 ؛ ابن الأبار،الحلة،مج 2، ص 14.

وهكذا أثبتت بثينة شخصية المرأة المسلمة رغم ظروف أسْرِها، فقد حافظت على موافقة وليّ أمرها قبل عقد زواجها، كما نص عليه الشارع الإسلامي [1].

وربما تبادر أحيانا الفتاة بنفسها في إبداء مشاعرها ورغبتها فيمن يستهويها حتى تصل إلى مبتغاها، وهو إما الزواج منه أو القطيعة الأبدية معه [2]، ومن ذلك ما حدث لأخت أبي عامر بن المظفر بقرطبة التي وعدها ابن عمها عبد العزيز بالزواج لأنها كانت تملك جوهرا ثمينا من عهد أخيها أبي عامر، لكن لما أسلمته الجوهر، غدر بها، فقضت بقية حياتها تجفوه وتشتمه. [3]

ومن مشاكل الخطبة، خطبة الرجل على خطبة غيره، فتطلعنا مثلا الفتوى، أنها لما توفى والد الفتاة المخطوبة، انتهز هذه الفرصة خاطب ثاني وعقد على الفتاة و هذا ما يرفضه الشرع [4]. وعلى كل حال، فقد تعد الخطبة من المناسبات المفرحة، و التي يهنئ الأندلسيون فيها بعضهم بعضا بعد إتمام الخطبة سواء مشافهة أو مراسلة، ومن نموذج هذه الأخيرة ما عُبّر عنها بما يلي: "يا لها خُطبة ما أسعدها وأسناها، وبغية تُنيل مبتغيها... فهنيئا له بقرينة يفوز منها بوسطى سلك الحَسب"[5].

وبعد انتهاء فترة الخطبة، يتم عقد القران[6] بكتابة وثيقة نكاح، ولا تعطى هذه المهمة إلا لرجل فقيه ورع،و يلتزم الزوجان أو أحدهما على دفع أجرة القاضي [7]، وحذرت كتب الفقه الفقهاء من التساهل في العقود و من أقوالهم في ذلك : اتق الله

---

[1] ابن عبد الرؤوف، الرسالة في آداب الحسبة، ص 80 ؛ (محمد بن محمد القيسي) ابن عاصم ، **تحفة الحكام في نكت العقود و الأحكام**، المكتبة الوطنية بتونس، مخطوط ، تحت رقم20247 ،و 16.

[2] ابن حزم، طوق الحمامة، ص 47،61، 75.

[3] ابن بسام، الذخيرة، مج 1، ص 187.

[4] ابن سراج ، الأندلسي(- أبو القاسم) ،**فتاوى علماء غرناطة**، جمع ودراسة و تحقيق محمد أبوالأجفان،أبو ضبي،المجمع الثقافي، 1420ه/2000م ، ص 70.

[5] ابن عسكر و ابن خميس ، أعلام مالقة، ص 175.

[6] انظر في ذلك أرجوزة ابن عاصم ، المصدر السابق، و 15 .

[7] ابن عبدون، **الرسالة الأولى في آداب الحسبة و المحتسب**، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، 1955 ، ص 13.

ابن رشد (الجد)، فتاوى، سفر 2، م 373، ص 1176 ؛ و الفتاوى، السفر 3 م 534 ص 1460. ، (أبو عبد الله بن محمّد) ابن فرحون، ، **تبصرة الحكام** في أصول الأقضية و مناهج الأحكام، ج2،تخريج الأحاديث جمال مرعشلي ، ج1، بيروت،دار الكتب العلمية،1416ه/1995م ص 124.

* معناه: لا تخالف حده فيه بالتحليل فتكون إذا فعلت ذلك سببا للجمع بينهم كالمسمار الذي يجمع بين الخشبتين المفترقتين، فيكون بذلك معهما في النّار، إلا أن يتجاوز الله عنك: ابن رشد، فتاوى، س 2 م 378، ص 1181؛ (أبو القاسم أحمد) ابن ورد الأندلسي، **السؤالات ذوات الأفنان**، تحقيق محمد الشريف ت - 540ه/ 1146م - **أجوبة ابن ورد الأندلسي** التميمي، **السماة بـ: الجوابات الحسان** ، الرباط، طوب بريس، ط1، 2008،مسألة 373 ،ص 1176.

ولا تكن مسمار نار. * و يجب على الموثق أن يتقي الله تعالى و يكتب كما علمه الله وينصح فيه لمن استعمله،فيتوثق للمُحق.[1] ولعلا أهم وأشمل وثيقة عقد نكاح هي التي وردت عند ابن العطار [2] والتي اخترتها كنموذج ـ لدراسة ـ بتحليل ودراسة لوضعية المرأة المسلمة في القرن 4 ه/ 10م بقرطبة حاضرة الخلافة الأموية ؛و مقاربة مع عقود زواج أخرى للمرأة المسلمة و بالأخص عقود زواج منها واحد في القرن 6ه/12م [3] و عقدين من القرن 8ه/ 14م و الأخرى من القرن 9هـ/ 15م بغرناطة [4] و هذه العقود تمت وفق المنظور العام الذي سارت عليه الإدارة الإسلامية في تسجيل عقود الزواج والتي تتضمن النقاط التالية: ـ اسم الزوج و الزوجة ، ـ الولي، ـ الصداق، ـ الشروط ،ـ الشهود،ـ التاريخ فإذا رجعنا أركان الزواج من خلال هذا العقد لابن العطار الأندلسي نلاحظ ما يلي:

المهر: كان مكلفا للزوج، إذ تنص الوثيقة على انقسامه إلى قسمين نقدا وكالئا، فالنقد يدفع مقدما لولي البنت زوجة المستقبل لتجهز به، أما الكالئ،[5] أو المؤجل، فيؤخر إلى أجل يزيد وينقص حسب ما يقع عليه الاتفاق، ويحدد أجله في العقد. وللمرأة الاختيار في المطالبة به آجلا أو عاجلا، أو التنازل عليه في حالة حسن العشرة والعلاقة الطيبة والمتينة مع الزوج أو بعد وفاة زوجها.[6] و في حالة موت الزوجة يطالب وليها بالكالئ من زوجها[7].و أما إذا حدث العكس وساءت معاملة الزوج لها أو حاول طلاقها، فإنها تستخدم هذا الشرط وتطالب به، ويكون ذلك بمثابة السلاح الرادع للزوج ، خاصة إذا كان الكالئ من المهر مرتفعا يفوق الطاقة المالية للزوج.

أما عن قيمة المهر في المجتمع الأندلسي عامة، فقد كان يختلف حسب موقع

---

[1] أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم:**المقصد المحمود في تلخيص العقود بما يتعلق بها من الفقه و التقييد،** مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس ، تحت رقم 11077، و 1.

[2]انظر الوثيقة كاملة في الملحق: رقم 3. ، مأخوذة من كتاب الوثائق و السجلات لابن العطار

[3] وثيقة لابن القاسم، المقصد المحمود ، ملحق رقم 4 ؛ و ملحق رقم 5 وثيقة عربية غرناطية للمقارنة و المقاربة بين تطور عقود الزواج في الأندلس.

[4] انظر الملحق، رقم ، 6.

[5] والكالئ هو النسيئة والعربون، والمقصود به هنا المؤجل من مهر الزوجة الذي نُسِئ إلى أجل تطالب الزوجة به أو وَليها: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ، بيروت دار الجيل،دار لسان العرب ،1408ه/ 1998 م، ص207

[6] ومن ذلك ما طالبت به امرأة زوجها لما ضاع كتاب صداقها، ـ و حدث كثير مثل ذلك في وقت الفتنة ـ ، وطلبت من زوجها كالئها، فقال لها: مالك شيء، أو ماتت وطلب ذلك الورثة، فإن كان البلد معروفا بالكالئ فلها ما يشبه كالئ مثلها. ابن بشتغير (أحمد بن سعيد اللورقي المالكي) ، **نوازل ابن بشتغير،** دراسة و تحقيق و تعليق قطب الريسوني، بيروت، دار ابن حزم، ط 1، 1429ه/ 2008م.،رقم 434، ص366 ؛ابن رشد، فتاوى: س 2، مسألة 391،ص 1217 ، 1218 ؛ ابن القاسم ، المقصد ،مخ ،ص 9؛ ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج 1 ، ص 166.

[7] لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية ، ،رقم 23، ص48؛ انظر الملحق ، رقم 6

العائلات في الهرم الاجتماعي، وقد حدد أدناه عند الإمام مالك بربع دينار[1]، و يتضح ذلك من خلال كتب الفتاوى والنوازل حول ما يسوقه الرجل لزوجته.

و كانت ظاهرة السياقة عرفا ملزما في المجتمع الأندلسي، ومعنى السياقة أن الزوج يقدم عند عقد الزواج لزوجته هدية من العقار غالبا، وفي مقابلها يجهز الأب ابنته بما يساوي قيمة السياقة أو بما يفوقها إن كان ثريا [2]. فأحيانا يسوق الرجل لزوجته قرية بكاملها وأحيانا أخرى نصف ما يملكه كله، وأحيانا مالا ودارا [3]، ويختلف الكالئ حسب قدرة الزوج والرضا عليه. و بلغ كالئ مهر فاطمة بنت الفقيه فلان ستون مثقالا، وكان مقدار صداق الزوجة الثّيّب أقل عادة من مقدار صداق البكر، وكان الزوج يدفع الصداق لزوجته عينا فيشتري لها الكسوة اللازمة وبعض الحليّ. ومن الآباء من يتصدق على ابنته البكر جميع ممتلكاته أو ثروته من مال وعقار وثياب ودوابّ [4].

و في بعض الأحيان تكون للزوج شروط على زوجته ، كان يشترط مثلا، أن ما يستجد بينهما بعد الزواج يكون مناصفة بينهما، وهذا إضافة إلى استمتاعه بجهاز الزوجة التي جهزت به من أموال الصداق أو المهر، ويستمتع بالأبسطة و الأفرشة التي أحضرتها الزوجة معها من هذا المال، وبهدايا العروس التي حملتها من أهلها، بل كل ما حملته يورث عنها في حالة وفاتها بعد الزواج. [5]

ونتيجة لاستفحال هذا العرف ـ السقاية ـ لدى الأندلسيين، كان بعض الآباء يخرج الهدايا لابنته على سبيل التفاخر والتباهي أمام الناس، على أن تردّ مرة أخرى بعد

---

[1] ابن عبد الرؤوف، الرسالة الثانية في الحسبة، ص 80؛ انظر ملحق ابن العطار ، ص3؛ ملحق ، وثائق عربية غرناطية، ص 8؛ ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 52.

[2] أبو الوليد بن رشد، **مسائل ابن رشد**، مج 2، تح محمد الخطيب التجكاني، بيروت، دار الغرب و دار الأفاق الجديدة، ط2، 1414ه/ 1993 ، رقم 331، ص 1260؛ ابن رشد، الفتاوى، السفر 3 مسألة 518، ص 1418؛ ابن القاسم ، المقصد ،مخ و 6. انظر الملحق رقم 6 . .

[3] ابن رشد، فتاوى، سفر 2 ،مسألة 208، ص 838 ، ابن بشتغير،المصدر السابق، رقم 432 ص 365 .و رقم: 422، ص 369؛ (أبو عبد الله بن خلف) ابن الحاج ، **النوازل** ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، المغرب الأقصى تحت رقم: 55، ص 4 ، 6؛ ابن ورد، أجوبة ،مسألة 33 ص 96؛ Lagardère Vincent ,histoire et **société et en occident musulman au moyen Age , Analyse** du mi'yar d'al wansharisi,Madrid ,1995,p98,99,101,102, p 125,126 .

[4] ابن العطار،كتاب الوثائق ، ص 217 – 218؛ ابن ورد، أجوبة ، مسألة 73 ص 129.، ج 6، ص 429- 430.

[5] ابن رشد، فتاوى، ص 2، مسألة 348، ص 1118، رقم 376 ص 346؛ ابن الحاج ، النوازل،ص 1؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ،ص 10؛ الونشريسي، المعيار، ج 3، ص 116 – 117.

جرت مناقشة بين أبي الوليد بن رشد وتلميذه ابن مسرة فيما يخص مهور النساء، وممّا ورد من إشكال: "ومن الغرر في الصداق أن يتزوج الرجل المرأة بأرض لزوج، ولا يسمي موضوع الأرض، ولا حدودها، ولا ذرعها، ولا تعرف بعينها، أو توصف بحالها". ابن رشد، المسائل، مج 2، ص 967.

إتمام الزواج، ولذلك تسببت ظاهرة تجهيز الفتاة في المجتمع الأندلسي في إحداث عدة مشاكل بين الزوجين أو بين الأسرتين المتصاهرتين، وذلك نظرا لطمع الزوج في الاستيلاء على ما بين يديه، وعدم اعترافه بردّ تلك الأشياء التي أخرجها الأب على سبيل التباهي والتفاخر، ومنها هدايا للزوج كالغفارة والمحشو والقميص والسراويل، وليس ملكا خالصا أو هبة لا تردّ. [1]

لقد شكل تجهيز الفتاة هما كبيرا على بعض الآباء غير ميسوري الحال، فكان الأب يضحي بما يملك من أجل سعادة ابنته، والظهور أمام الغير بما يليق ويرضي، ومن ذلك أن محمد بن أفلح غلام الحَكَم المستنصر ، ضاق به الأمر عند تجهيز ابنته وحُمل ما لا يطيق، حتى لم يبق معه سوى لجام محلى بالذهب، فذهب به إلى المنصور بن أرى عامر، وكان صاحب ضرب العملة آنذاك، وأعلمه بحاجته فأعطاه دراهم وزن اللجام بحديده وسيوره، ففرح فرحا عظيما، وكان لا يصدق ما حدث من كرم المنصور معه، حتى أنه قال عنه: "لو حملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت"، وما حمله على هذا القول إلا الفرج على ما كان عليه من همّ وغم لتجهيز ابنته [2].

كما تحملت بعض الأمهات الفقيرات همّ تجهيز بناتهم، ومن ذلك شكوى امرأة للفقيه أبي بكر عبد الرحمان بن صفوان الذي قدم لها ثلاثين دينارا [3]. و يروي ابن حزم أن النساء المسنات كن يعرن حُلِّيّهن و يجهزن العروس المقلة. [4] و قد يستدين الزوج من زوجته مبلغ مالي من أجل شوار بنته و يسجل ذلك في عقد اعتراف بدين و يبقى ملزم به.[5]

أما قيمة المهر فهو مرشّح للارتفاع والتنازل حسب الظروف السياسية التي كانت عرفتها الأندلس، وانعكست بدورها على الحياة الاجتماعية، فقد حدث أن تغالى الناس في مهور بناتهم، وما يجهّزونهم به من الثياب والحلي والدور في عهد المنصور بن أبي عامر، لما اشتهر به من غزوات النصارى التي نتج عنها أسرى، وتوفّر الإماء والجواري إلى حد التخمة، واجتهد الناس من الخاصة والعامة على اقتناء الجواري والتسري بهنّ، وعزفوا عن الزواج من الحرائر، فأصبح الجاذب الوحيد للآباء في تزويج الفتيات الحرائر هو الرفع من كرامتهن حتى تراجع الناس عن الزواج بالتسري طمعا في المال [6]، كما شكل التسري أيضا ضغطا وضيقا على المرأة الحرة التي قيّدته في عقد زواجها بالاشتراط على الزوج بعدم التسري،

---

[1] ابن رشد، الفتاوى، مسألة 518، ض 1418؛ ابن الحاج، نوازل ، و 1؛ لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية، رقم 22، ص 22.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ج4، ص 38؛ المقري، نفح الطيب، ج 3 ،ص 88.

[3] ابن عساكر، أعلام مالقة، رقم ،173 ، ص 367.

[4] طوق الحمامة، ص 62 ؛ أحمد طاهر مكي، دراسات عن ابن حزم، ص 261.

[5] دي لوثينا ، المصدر السابق، رقم 9، ص 22.

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص61.

وهذا ما يبدو شائعا في المجتمع من خلال كتب الفتوى والنوازل [1] .إلا أن هذا الشرط لم يعد له قيدا في بعض عقود القرن 9ه/ 15م نظرا للتحولات السياسية و الاجتماعية التي عرفها المجتمع آنذاك.[2]

وفي إحصاء لعدد الشروط في هذا النموذج من عقد زواج لابن العطار ، بلغت عددها ستة شروط، كلها في صالح الزوجة و بمثابة تحذير للزوج ، مبتدئة بحرف **"لا"**

وهي ستة لاءات متتالية في العقد تضمّنت ما يلي: 1- ألاّ يتزوج عليها.2- لا تسرّى معها. 3- لا يتخذ أم ولد. 4- لا يغيب عنها غيبة متصلة إلا للحج. [3] 5 - لا يرحلها عن دارها. 6 - لا يمنعها من زيارة جميع أهلها. [4]

فهذه اللاءات الست تضمن للزوجة مكانة منيعة، تقيها جور الزوج وتضعها على قدم المساواة معه، وتعطيها مسؤولياتها كاملة. ويتضمن العقد النموذجي استثناءً في حالة إخلال الزوج بأي شرط من الشروط السابقة، فيمنح للزوجة ستة اختيارات تصون بها كرامتها، وتتلخص فيما يلي:

1 -إما أن تطلق نفسها وبمحض إرادتها (أمرها بيدها). 2 - إما أن تطلق عليها الزوجة الثانية (الداخلية عليها). 3 - إذا اتخذ أم ولد، فالزوجة إن فضلت البقاء معه عتقها أو باعها. 4 - تصبح السُّرية أم ولد يحرم بيعها شرعا، فللزوجة أن تعتقها فتصبح أم الولد حرة، فلا تحل له زوجة. وهذه الشروط مجتمعة في هذا العقد هي التي يتمحور عليها أسئلة فقهاء القرون اللاحقة: مثل ابن بشتغير، ابن الرشد، وابن الحاج و ابن القاسم ، وابن السراج، وابن ورد، و محمّد المواق، و الونشريسي ....[6] وهكذا يتضح من خلال هذا العقد أن هذه الشروط والإجراءات تضمن للمرأة المسلمة حقوقا وضمانا للاستقرار الأسري من خلال إلحاحها على حق الفردوية الزوجية.

---

[1] ابن العطار،كتاب الوثائق و السجلات ، ص 7؛ ابن رشد، فتاوى، سفر 1، مسألة 10، ص 173؛ ابن القاسم، المقصد ، ص 1 ، 2 ؛ ابن ورد، أجوبة. ، ص163.

[2] انظر الملحق، رقم ، 6 ؛ دي لوثينا، المصدر السابق ،ص 8.

[3]شرط المغيب: إذا كتب الموثّق شرط المغيب فلا يترك أن يكتب غيبته قريبة لا بعيدة بالسلطان حيث كان. أما شرط الرحلة: فكلما رحل بإذنها ثم ردّها فهي باقية على شرطها: ابن بشتغير،نوازل ، رقم 375 ص 345 ؛ و رقم 402 ص ؛354 و رقم 427 ص 364؛ ابن رشد، فتاوى، السفر، م 185، ص 385؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ، ص 5.

[4] انظر العقد ، الملحق ، رقم 3 .

[6] ابن بشتغير، المصدر السابق ، رقم 443 ، و رقم 444 ص 370، ابن رشد، فتاوى، سفر 1 مسألة 186، ص 789 ؛ و الفتاوى سفر 2، مسألة270 ص 950؛ ابن القاسم، المقصد المحمود ، ص5.

وقد أقر بعض الدارسين أن الفردوية الزوجية في الأسرة المسلمة كانت تتم لضيق ما في يد الزوج في الطبقة الوسطى أو العامة، لأن الزواج بامرأة أخرى أو ثانية يتطلب نفقات إضافية باهظة، لا يطيقها إلا الأثرياء ، واشترطوا على أنفسهم أن الداخلة على الزوجة طالق [1]، لاسيما وأن الفقه الإسلامي يفرض على الرجل الذي يجمع بين أكثر من واحدة على أن يعدل بينهن في الملبس والطعام والمبيت [2]، لكن الواقع الأندلسي والشواهد التاريخية تفيد غير ذلك، وهناك رجال من الطبقة الخاصة التزموا بالفردوية الزوجية بطيب خاطر، ومن ذلك ما حدث للقاضي أبي بكر بن حزم [3] الذي تزوج عاتكة بنت قند صاحب الثغر الأعلى في عهد المنصور بن أبي عامر، "وأن الزوجين كانا لا يزالان في تغاضب و تعاقب مدة ثمانية (08) أعوام إلى أن توفي أبو بكر في الطاعون الذي اجتاح قرطبة سنة إحدى وأربعمائة، (401ه /1011م)ولم يكن له قبلها ومعها امرأة غيرها، وهي كذلك لم يكن لها غيره، وكانت تقول بعد موته لأمها وجميع جواريها:

"ما يقوّي صبري ويُمسك رَمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته إلا سروري وتيقّني أنه لا يضُمُّه وامرأةً مضجعُ واحد أبدا، وقد أمِنت هذا الذي ما كنت أتخوّف غيره، وأعظم آمالي اليوم اللّحاق به"، ولحقت به بعد عام .[4]. وإذا سلمنا بأن أبي بكر بن حزم توفي و عمره 22سنة ، وعاش مع زوجته الوحيدة 8 سنوات ؛فإن عمره حين زواجه يقدر بـ 14 سنة. و يعتبر هذا سن مبكر بالنسبة للرجل في وقتنا الحالي.

كما أورد ابن حزم قصة بنت زكريا بن يحيى[5] ابنة أخ قاضي الجماعة محمّد بن يحيى، التي كانت متزوجة من يحيى بن محمد بن يحيى بن إسحاق الذي مات بعد قضاء مدة قصيرة معها، فبلغ من حزنها وجزعها عليه أن باتت ليلة موته معه في دثار واحد، وجعلته آخر صلة بعالم الرجال إلى أن ماتت أسفا عليه [6]. و يذكر أن

[1] ابن ورد، أجوبة، مسألة 59 ص 117 ؛ كمال السيد أبو مصطفى، مالقة، ص 64 -

[2] ابن عبد الرؤوف، الرسالة الثانية في الحسبة ،ص 83.

[3] هو أخ الفقيه والمؤرخ ابن حزم ، توفي وعمره اثنتين و عشرين سنة. ابن حزم ،طوق الحمامة، ص 130.

[4] ابن حزم، طوق الحمامة ، ص 130 ؛ مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس،ص 480؛ أحمد طاهر مكي، دراسات عن ابن حزم، ص 261.

[5] طوق الحمامة ، ص 78، و هو المعروف بابن برطال، توفي سنة 359 هـ/ ترجمته عند (أبو الوليد عبد الله بن محمّد)ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس** ، تحقيق إبراهيم الأبياري القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني،ط 2، 1410ه/ 1989، ص 129؛ (أبو الفضل)، عياض، **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** مج2، تح محمد سالم هشام، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1418ه/ 1998م، ص 187 .

[6] ابن حزم، طوق الحمامة ، ص 78.

محمّد بن هود عاهد زوجته ألا يتخذ عليها امرأة طول عمره [1]. و ما هو الأهم أي أن الرجل الأندلسي في الأساس كان يحترم المرأة و لا ينظر إليها نظرة الاذلال.

و في هذا السياق وردت العديد من هذه الحالات في كتب الفقه منها ، نازلة لمن قال لامرأته، كل امرأة أتزوجها عليك في حياتك وبعد وفاتك طالق، وكل سريّة أشتريها عليك في حياتك وبعد مماتك حرّة. [2] و ربما هذا ما أكدته الدراسات الأثرية الحديثة منها التي قام بها "بالباس عن عدد أفراد كل مسكن ؛ أنه كان رجال الطبقة الوسطى و عوام الناس البسطاء ، و هم أغلبية المجتمع يتخذون زوجة واحدة فقط و يؤكد هذا الرأي ضيق منازلهم . في حين كان عدد النساء المرتفع ـ أي الزوجات و المحظيات ـ عند أزواج يتمتعون ميسورين الحال ، ويضاف لهم فروعهم وخدامهم ، مما يبرر الاتساع الهائل لمنازلهم [3] . كما أكد "بروفنسال" بشيء من التحفظ :أنه عادة ما كان المنزل يضم عائله واحدة، ولكنه في الأسر الفقيرة كان للزوجين غرفة واحدة فقط داخل منزل واحد . وهذا يدل على أن من الأزواج من يفضّلون الفردوية الزوجية، لكن ليس في كل الأحوال، فهناك من الأزواج من ينقض هذا الشرط، فتتلوّم الزوجة للقاضي مطالبة بالأخذ بشرطها. [4]

أما فيما يخص الإخدام، وهو آخر شرط في هذا العقد، حيث نصت الوثيقة [5]: " فلما علم فلان أن زوجه فلانة ممن لا تخدم نفسها. وأنها مخدومة لحالها ومنصبها، فأقر أنه ممّن يستطيع إخدامها، وأن ماله يتسع لذلك، فطاع بالتزام إخدامها".[6] لكن الملاحظ على هذا الشرط أنه يتحول أحيانا إلى أحد أسباب الخلاف والنزاع بين الزوجين فيما يخص ملكية الخدم وطبيعة الخدمة وعدد الخدام اللازمين للقيام بهذه المهمة [7].

وعموما، فإن صيغة العقد تكاد تكون واحدة في معظم العقود، فبعد البسملة تأتي الصيغة القانونية للعقد من حيث أداء الصداق المترتب على الإيجاب والقبول والتعبير الشائع في هذه العقود هو:"هذا ما أصدق فلان بن فلان ثم يذكر النسب، ويذكر اسم المدينة التي يسكن فيها العريس، ثم يلحق اسم العروس صاحبة الصداق واسم أبيها أو وليّها في الزواج، ويبيّن حالتها إن كانت أيما (ثيّبا) أو بكرا، ويذكر

---

[1] هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي الملقّب بالمتوكّل على الله، أحد أمراء الأندلس. ابن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص 128.

[2] ابن ورد،أجوبة،مسألة 59 ص117؛ الونشريسي، المعيار، ج 4، ص 267.

[3] ليوبرد طريس بالباس، **التاريخ الحضاري الإسلامي" الحواضر الأندلسية"**،ج 1 ،ترجمة، محمد يعلى، الرباط ،ط 1 ،2007 ، ص 177.

[4] الونشريسي، المعيار، ج4، ص 431 ، 432.

[5] ابن العطار،كتاب الوثائق و السجلات، ص 7.

[6] ابن القاسم المقصد ، مخ ، ص 5.

[7] ابن رشد، مسائل، مج 2 ، ص ص 848 ، 849؛ ومج 2، ص 1313.

قيمة الصداق ويحدد المعجل منه وهو الذي يدفع إلى الزوجة عن طريق وليّها ساعة العقد أمام الشهود، كما يحدد المؤجل منه ويبيّن كيفية سداده، هل سيؤدّيه الزوج إلى الزوجة منجما (بالتقسيط) أو دفعة واحدة بعد أجل معلوم" [1]. وشروط عقد الزواج لابد أن تكون واضحة وملزمة للطرفين، ولا يلتزم أحدهما بعد الزواج بشروط لم تدوّن في عقد الزواج [2] ، ويلاحظ على عقود القرن 9ه/15 م أنها تنتهي بتوقيعات . كما أنه كان يخوّل للمرأة الوصية توقيع عقد الزواج [3].

أما على مستوى الواقع المعاش، فإن الوعي الاجتماعي، أقر بوجود تراتبيّة فعلية تجلت مظاهرها في المعاملات، مثل الكفاءة بين الزوجين ومهر المثل والإخدام التي كشفت عن بعضها كتب الفقه والنوازل ومختلف المؤلفات التاريخية والأدبية. ولعلاّ مضامين هذه العقود أصدق معبّر على مكانة المرأة المسلمة، فقد تعزز بموجب تلك العقود موقفها، وانعكس ذلك على نمط حياتها وسلوكها ومواقفها، فطالت يدها مختلف الميادين التي ظلّت مقتصرة على الرجل في أماكن أخرى.

وقد تميّزت وضعية المرأة المسلمة في الأندلس بجملة من الخصائص التي أهّلتها إلى نيل مرتبة محظوظة مقارنة مع وضعية قريناتها من الكتابيات والمملوكات، وحتى من مسلمات البلاد المغربية والمشرقية، إضافة إلى ما ضمنه لها الشارع الإسلامي من حقوق وواجبات، يجعلها في كل الحالات في موقع لا يضاهيه موقع الكتابية ولا المملوكة (الجارية) في المجتمع الأندلسي. والثابت تاريخيا أن الأندلس عرفت تدفق عدد كبير من السبايا والجواري غير المسلمات بصفة مستمرة، ارتفعت وتيرتها في القرن 4 هـ/ 10 م، و اتّخذ معظمهن للحريم والخدمة.

إن هذا الصنف من النساء ـ الجواري ـ بحكم تبدّل أحوالهن كنّ يُعتقن إن عاجلا أو آجلا،[4] كما سيتبيّن لاحقا، للالتحاق بصف الحرائر أو باعتناقهن الإسلام، وبالتالي فقد سَهِمْن في ارتفاع عدد المسلمات الذي كان يفوق بكثير قريناتهنّ من الكتابيات والمملوكات، وبناء على هذا الطرح، فإن وضعية المرأة المسلمة كانت في الواقع تهمّ أغلب نساء الأندلس، وبالتالي ترجح على أنها المعبّرة ـ الحقيقية ـ عن واقع المرأة الأندلسية.

مراسيـــــــم الزواج

إن حفلات الزواج من الأحداث الهامة والمفرحة التي اتّسم بها المجتمع الأندلسي، وتفاءل بها خيرا، وأولى لها عناية بالغة، فمن تعبيرات الأمثال العامة لها: "تزوّجوا يغنكم الله"، و "تزوج يفتح الله عليك". ومن أبرز مراسيم الزواج، زفاف

[1] أحمد الشامي، التطور التاريخي لعقود الزواج ، ص 18. .
[2] انظر نماذج من عقود الزواج في الأندلس، الملاحق رقم3، 4، 5، 6.
[3] انظر ملحق رقم 6 .
[4] دي لوثينا ،وثائق عربية و غرناطية، ص 68، 69.

العروس التي كثيرا ما كانت توصف و تشبه بالطبيعة والرياض إذا اشتدّ حسنها قائلين: [1] وأحيانا كانت تشبه الأيام الرغدة والنعمة بأيام العروس، ومن ذلك ما وصفت به أيام عبد الرحمان بن الحكم، فقيل لأيامه أيام العروس[2].

ومن أبرز مراسيم الزواج بعد الخطبة. ، زفاف العروس وخروجها من بيت أهلها إلى بيت زوجها، وما ترتديه من ثياب، فهي مثار إعجاب المدعوين و حب التطلع عليها من طرف جميع الناس، خاصة النساء اللائي كنّ يقدّرن قيمة الثياب بمجرد النظر إليه، و ذلك فهو المؤشر لمكانة العروس إما تقديرا أو إذلالا لها أو إبداء عدم إعجابهن بها. ومن خلال كتب الحسبة، يبدو أن العامة أحدثت ظاهرة جديدة في أعراسها، وهي جلاء العروس على غير ذي محرم منها، ولذلك نهت كتب الفقه والحسبة عن ذلك .[3] ومن ذلك ما صوره لنا الشاعر الأندلسي حفلات الزواج ووصف زفاف العروس وخروجها من بيت أهلها، حيث يقول:

و إليكها مثل العروس زفّتها سكرى تجرّ ذيولها بتبختر

عذراء إلا أنني حملتهـــا عذر التأخر ليت لم أتأخّـر

ويصف ابن خفاجة مشهد الحفل:

زفّ الزجاج بها عروس مدامه تجلّى ونوار الغصون نثار[4]

أما زفاف بنات الحكام أو البيوتات الكبرى،فمن مشاهده زفاف محمد بن أبي عامر بأسماء بنت غالب الذي لم يرى مثله شهرة وجلالا. وزفت عليه ليلة النيروز. ويصف الوزير ابن زيدون حفل زواج المعتضد من ابنة مجاهد العامري أمير دانية قائلا:

أسبوع أنس محدث لي وحشة علما باني فيه لست أراكا.

مما يدل أن مدة العرس دامت سبعة أيام، لكن الغريب أنه لم ير العروس طيلة هذه المدة، أي أسبوعا كاملا، عكس ما يحدث عند العامة من تجلي للعريسين.[5]

---

[1] أما الرّياض فإنّهن عرائس لم يحتجن حِذار عين الكالئ

جاء الربيع لها بنقد مهورها دَفعا ولم يبخل بوزن الكالئ

تثني الصبا منها أكفّ زَبَرْجَدِ منظومة أطرافها بالآلي.

ابن سعيد، المغرب، ج، ط4، ص 419.

[2] ابن سعيد، نفس المصدر، ص 46.

[3] ابن عبد الرؤوف، رسالة 2 في الحسبة، ص 83 ؛ابن ورد الأندلسي، أجوبة، مسألة 21، ص 87.

[4] سامية مسعد،صور من المجتمع الأندلسي، ص80 .

[5] ابن عذاري، البيان،ج 2ص 267 .

وعموما، فقد يتم الاستعداد للاحتفال بالأعراس مدة من قبل الموعد المحدد، فتنحر فيها الذبائح، ويعد فيها الطعام، إلى جانب ذلك، يحضر مغنيين ومغنيات وتدق الطبول وتعزف المزامير، [1] ويشرب فيها الخمر، فتصبح هذه الأعراس فرصة لالتقاء النساء الفساق بالرجال، وهذا الأمر الذي استنكره الفقهاء والعلماء، ومن ذلك ما ورد عن ابن عبد الرؤوف الذي أمر بمنع اللهو كله على أنواعه، كالعود وغيره، إلا ما كان من الدّف العربي ، وإن كان لابد من إبداء الفرحة والابتهاج بالعرس اقتداءً بالسنة النبوية العطرة، وعليهم أن يضربوا الدف في الأفراح، لكن في الحقيقة، فإن الواقع الأندلسي في هذه الأعراس يتعدى النصوص الفقهية كما أوضحت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان لدى إقبالهم في العرس قبل أن يشربوا، وذلك منعا لحدوث أي مشاجرات [3] أو حوادث لا تحمد عقباها، ويذهب ابن عبدون إلى منع تقدم الحواة موكب الزفاف. [4]

ومن خلال ما تقدم، يظهر أن الفقهاء والعلماء كانوا يشاركون في بعض الاحتفالات و لا يغفلون عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فيقول ابن عساكر عن يوم زفافه: لما تزوجت، صنعت طعاما معدّا للعرس على جري العادة بين الناس، فلما كان يوم الذبح، أكبرت الفقيه أبا الفضل[5] على أن أستدعيه لمثل ذلك اليوم، كان في نفسي أن لا أستدعيه إلا يوم الإطعام، لكون يوم الذبح هو يوم مِهنة وتعب. [6] ويبدو أن ابن عساكر كان مشفقا على القاضي أبي الفضل وأرجأ استدعاءه ليوم الإطعام المعد لأهل الخاصة.

يبدو أن الاحتفالات بالأعراس كانت متعبة ومكلّفة، وأنها لا تتم إلا بعد الاستعداد التام لها والقدرة عليها، ورغم أن الزواج طيّب لكن نفقاته كانت كبير، ومن الشواهد على ذلك ما حفظته الذاكرة الشعبية من أمثال العامة، مثل: "ما أطيب العرس لولا النفقة"، و "زَوْجُوه حَوْجُوه"، وقال أيضا: "من زُوّج حُوِّج"[7]. وقال بعض الأعراب:" التزوج فرح شهر، وغمّ دهر، وكسر ظهر"[8].

و أما حق العرس، فهو معونة يدفعها الزوج للمرأة أسسه الناس لأن النقد يصرف في ثياب و شوار و كراء حلي...وينبغي على الزوج ألا يخرج عن هذه العادة. لكن رغم ما يبذل من استعداد ونفقات، فإن الزواج قسمة ونصيب كما يقوله المثل الأندلسي: "زوّجني واضمن لي البخت"، أي الزوجة الصالحة وحسن العشرة الزوجية، فربما بعد كل المصاريف الباهظة يجد الزوج عيبا في زوجته،

---

[1] ابن حزم، رسائله، ص 225.

[3] ابن عبدون، رسالة 1 في الحسبة، ص 54.

[4] ابن عبدون، نفسه، ص 51.

1 هو القاضي عياض اليحصبي صاحب كتاب ترتيب المدارك.

[6] ابن عسكر، أعلام مالقة، ص 331؛ ابن بسام، الذخيرة، مج 1، ص 76.

[7] ابن شريفة، تاريخ الأمثال و الأزجال في الأندلس و المغرب ،ج3 ،ص305 .

[8] السيوطي، نزهة المتأمل ، ص 13.

فيخيّر بين أمرين: إما أن يمسكها، أو يطلّقها. [1] وقد تحدث مشاكل من إحدى الزوجين تؤدي إلى شجار أو طلاق، رغم أن عقود الزواج تضمن شروط متفق عليها من طرف الزوجين، إلا أن كثير من الأعراس انفكّت أواصرها وآلت نفقاتها الباهظة إلى هباء منثوربعد فترة وجيزة.

وتفاديا لعواقب لا يحمد عقباها بالنسبة للمرأة، كان معظم الأولياء ذوي الثراء يهبون بناتهم قبل الزفاف بستانا أو دارا، أو أحد العقارات حسب الاستطاعة إكراما لبناتهن ورغبة في توفير السعادة لهن، أو ليسْتَعنَّ بعائد العقارات على المعيشة اليومية، وجزء من الهبات تستعمله المستفيدات لتجهيز أنفسهن عند زواجهن أو تستغله بعد وفاة أوليائهن، لكن هذه الهبات ليست في متناول كل الفتيات، بل تنطبق فقط على بنات الطبقة الثرية. [2] أما بنات العامة، ففئة منهنّ كنّ يسعين وراء الثراء في أي فرصة زواج أتيحت لهن. ومن مظاهر ذلك أن بعض الفتيات تزوّجن بالشيوخ الأثرياء، حتى أصبح هؤلاء الشيوخ مصدر سخرية من بعض الأندلسيين، في الفتاة التي تخيّر بين الشيخ الغني والشاب الفقير .

وهذا رغم تحذير الأب من تزويج ابنته الشابة شيخا كبيرا، ولا رجلا ذميما، خوفا عليها من الفتنة. [3] ولم تسلم الزوجة صغيرة السن من ألسنة العامة، فقد وصفتها أمثالهم بقولهم: "زوجة الشيخ مْدَلَّل" [4]، وبالعكس، سخرت أيضا من زواج المرأة العجوز برجل يصغرها بأعوام كثيرة، فقالت: "وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر" . كناية على مبالغتها في التجمل للمحافظة على منظر فتيّ. وبالمثل سخرت من زواج الرجل العجوز بالفتاة الصغيرة، ورأته زواجا غير متكافئ، حيث قال مثل العامة: "إذا أزوج الشيخ لصبيَ، يفرح صبيان لقويَ"[5].

رغم ذلك، فإن سن الزواج لم يتم تحديده، و لم ينص عليه عقد الزواج سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل، لكنه يتحكم فيه العرف الأندلسي، لذلك جاءت أمثال العامة معبرة عن ذلك، باستثناء الإشارة في العقد إلا أن تكون المرأة بكرا أو ثيّبا. وتنص بعض الفتاوى إلى زواج بعض الرجال بالمرأة الثّيّب، ولم يحدد سنها، لاسيما إذا

---

[1] ابن عبد الرؤوف، رسالة 2 في الحسبة، ص 81؛ الونشريسي، المعيار،ج 3،ص156

[2] ابن بشتغير، نوازل، رقم 176 ص 252؛ ابن الحاج ،نوازل ، و 1 ، 2؛ ابن القاسم ،المقصد محمود ، ص 10.

[3] السيوطي، نزهة المتأمل، ص 46.

وفئة من البنات الأندلسيات كنّ يرفضن الزواج من الشيخ الكبير، وهذا ما عبر عنه الشاعر ابن حمديس قائلا:

قدح المشيب بمفرقيه زنـادا	لا يستطيع لناره إخــمـادا
اكترث من ذكر الفتاة وقلّما	تبقى بعصمته بقاء عسيب

[4] ابن شريفة، المصدر السابق، ج 3، رقم 1044، ص 308.

[5] الزجالي ، أمثال العوام، ج 2، رقم 3 ، ص 112،

كانت ثرية، ومن بيوتات كبرى في المجتمع [1]، وذلك طمعا في أموالها أو مكانتها الاجتماعية. وربما لتكاليف الزواج الباهظة، وتغالي المهور أحيانا، ولتفاقم المسؤوليات، عزف بعض الرجال عن الزواج وفضلوا حياة العزوبية أو التسري خوفا مما يفرضه الزواج من مسؤوليات جسيمة. والبعض من تزوّج مرة ثم ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسؤولية البيت، وعبر على هذا النوع من الزواج الزجال ابن قزمان قائلا:

صرت عازب وكان لعمري صواب ليس تزوج حتى يشيب الغراب

أنا تايب يا له تقول بـــــــــزواج ولا جلو ولا عروس بتـــــاج

لا رياســــــة غير اللعب بالزجاج والمبيت برا والطعام والشراب[2]

كما قال أيضا:

أنفقت في زواجي وأرْهَـــــــفت وَجَاتْنِ الملالة وخـــــــــلِيت [3]

وهذه الرؤية للزواج، خاصة بابن قزمان أو لأقلية مما يشبهه، لأن أغلب الأندلسيين سواء من العامة أو الخاصة، كانوا يجمعون أكثر من زوجة واحدة، وتضاف لها بعض السراري. و يتبين مما سبق في عقد الزواج رفض الزوجة العيش مع زوجة أخرى أو جارية التي تصبح أم ولد، أي أن فكرة الضرّة مرفوضة لدى المرأة الأندلسية، وتؤثر الموت على ذلك، والمثل العامي أصدق تعبير عن ذلك، قائلا : "مَشْية للحُفْرة، ولا مشية لبيت أخرى" [4]. لكن بالمقابل تحث أمثال العامة على الزواج بامرأة أخرى، ومنها: "أَزْوَج يفتح الله عليك"[5]، و وصف الزوج الذي يجمع بين امرأتين بـ: "خروف بين شاتين" [6]. ومن ذلك، فإن بعض الأسر الأندلسية عرفت التعددية الزوجية مثلما عرفت الفردوية الزوجية، وشاعت ظاهرة تعدد الزوجات التي لم يمنعها الدين الإسلامي من خلال الآية الكريمة حيث قال الله ﷻ :﴿ **وإِنْ خِفْتُم ألاّ تَقْسِطُوا في اليَتامىَ فانْكِحُوا ما طَابَ لَكُم مِن النِساءِ مَثْنىَ**

---

[1] بوتشيش ، دراسات أندلسية، ص 12؛ سامية مسعد ، صور من المجتمع الأندلسي، ص 98.

[2] ابن قزمان القرطبي، ابن ديوان قزمان : **إصابة الأغراض في ذكر الأغراض**(إمام الزجالين)، تحقيق فيديريكو كورِيَّنْتي ، دار أبي الرقرقاق للطباعة و النشر ،(دم ط) 1334ه-2013م ،ص 100

[3] ابن قزمان ،ديوانه ، ص 86.

[4] ابن شريفة، تاريخ الأمثال و الأزجال،ج2 ، ص 212، رقم 1541.

[5] ابن شريفة،نفس المصدر، ج2، رقم 82، ص 132.

[6] ابن شريفة، نفسه،ج2، رقم 908، ص 281. وقال أحد الشعراء:

تزوّجتُ امرأتين لفرط جهلـــي بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهمـــــا خروفا أنعم بين أكرم نعجـــتين

فصرت كنعجة تمسي وتضحي تردد بين أخبث ضرّتيـن . ابن شريفة، نفسه.

وثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةًأَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذلك أدنى ألاّ تَعُولُوا ﴾[1].

وقد ضبطت كتب الحسبة والفتاوى التعددية الزوجية ووضعوا لها شروطا، منها المساواة بين الزوجتين أو أكثر في الملبس والطعام والمبيت، ولا يفضل واحدة منهما على صاحبتها إلا ما يستطيع العدل فيه. [2] وأوصى الزوج بتقوى الله، امتثالا لحديث الرسولﷺ :" **فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتومهن بأمان الله و استحللتم فروجهن بكلمة الله".** [3]. و ربما تفاجأ الزوجة بالضرة دون سابق علم بها، و من مظاهر ذلك أن رجلا اشترى مملوكة وأدخلها داره، فلما رأتها زوجته قالت له: أنا لا أبقى مع هذه بدار واحدة، ولا في عصمتك إلا أن كتبتها لي في صداقي، وشهد بها العدول أنها لي من جملة الخدام التي لي عليك، فإني أردها إليك تفعل بها ما أردت، وكتبها في صداقها كما قالت. [4]

ويبدو أن الأندلسيين فهموا الوضعية الحساسة للبنت داخل الأسرة منذ ولادتها إلى غاية زواجها، فتداول العامة عدة أمثلة فالبنت تظل في ولاية أبيها حتى تتزوج، وهو مسؤول عنها مسؤولية مادية ومعنوية بعكس الولد الذي قد تسقط نفقة والده عنه متى بلغ سن الرشد، ولم يكن زواج البنت إيذانا بانتهاء مؤونتها بالنسبة للآباء والأمهات، بل يظل همّها باقيا حتى وفاتها، ومن ذلك ما عبّر عليه المثل العامّي: "هَمُّ البنات للممات"، [5].وهذه المخاوف المستقبلية وهموم البنات أوردته الكثير من الفتاوى الأندلسية، يظهر من خلالها الحرص الشديد على تأمين الوضع المادي والمالي للبنت من خلال نصوص العقود الهبات والوصية والوقف.

ولم تورد المصادر سن زواج الفتاة إلا في بعض الحالات منها سن زواج أخ ابن حزم. أما في المناطق الريفية فشاع تزويج البنات في سن مبكرة، وربما يرجع ذلك لحساسية وضعية البنت النفسية والاجتماعية داخل الأسرة الريفية، التي جعلت العطف عليها مطلوبا من بقية أفراد الأسرة، خاصة من طرف الآباء والأمهات و الرغبة في تزويجها. [6] و يلاحظ من جهة أخرى، قد يمنع الوالد زواج ابنته إلا من الكفء،و هذا من شدة حرصه عليها ،و يقول في ذلك أحد الشاعر:

بِكر بخلتُ على الأنام بوجهها ومنعتها من ليس من أزواجهــا

---

[1] سورة النساء، الآية 03.

[2] ابن عبد الرؤوف، الرسالة 2 في الحسبة ، ص 83.

[3] (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) **صحيح مسلم** ،بشرح النووي و حققه وفهرسه عصام الصباطي و حازم محمّد و عماد عامر، مج 4، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1415هـ/ 1994م، ص432.

[4] الونشريسي، المعيار، ج 5، ص 275.

[5] ابن شريفة، تاريخ الأمثال و الأزجال ، ج 2، رقم 27، ص 120.

[6] سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر، ص 100.

وصرفتها محجوبة بصوانـها   مثل السلوك تصان في أدراجها

كما تعرضت النوازل العديدة إلى ما يعرف بزواج المتعة، ويبدو أنه كان سائدا في الأندلس، لاسيما بين بعض طلبة العلم كوسيلة لتجنب الزنى. فكان الزوجان يتفقان معا ويحددان مدة الزواج حسب رغبتهما. أما عقد الزواج في هذه الحالة فيكون دون وليّ المرأة، ولم يتجاوز المهر في هذا النوع من الزواج نصف درهم كما ورد في بعض النصوص.[1]

و هذا النوع من الزواج محرم شرعا لما يخلو فيه من واجبات وحقوق، منها أنه لا ميراث فيه ولا عدة للمرأة، ولا وفاة ولا طلاق.[2] وفي حالة ما حدث، يعاقب فيه عقوبة موجعة كل من الزوجين والولي والشهود، والموثقون.[3] ومن ذلك، ما ذكرته نازلة أندلسية: أن رجلا من أهل مدينة بطليوس تزوج امرأة نكاح متعة إلى أجل مسمى، بلا وليّ ولا صداق إلا نصف درهم، وأقرّ القاضي بوطئها، وبرر اضطراره إلى هذا الزواج - رغم تحريمه - بأنه لا يستطيع أن يتزوج زواجا مشروعا خوفا من أبيه الذي لم يكن يسمح له بهذا الزواج، كما أن الذي تزوّجها زواج متعة لم تكن تصلح لمثله، وأنه خشي أن يزني بها، فلجأ إلى زواج المتعة[4].

الـــــــزواج المختلــــــط:

زواج المرأة المسلمة بغير المسلم:

قد يقع هذا النوع من الزواج في حالتي الحرب والسلم في الأندلس، ففي أغلب ظروف الحرب تقع المرأة المسلمة في أسر النصارى،و تجبر على التنصر وعلى الزواج بالنصراني، و هذه حالات استثنائية .ولكن الأمر الذي يستدعي التقصي هو زواج المسلمة بغير المسلم من أهل الذمة في حالة السلم، أي في الحياة العادية و الدوافع لذلك و مدى انتشاره في الأندلس و نتائج ذلك على تربية الأبناء و انتمائهم العقائدي.

---

[1] ابن عبد الرؤوف، رسالة 2 في الحسبة، ص 81.
[2] ابن عبد الرؤوف، نفسه ، ص 81.
[3] ابن عبد الرؤوف، نفسه ، ص 81.
[4] الونشريسي، المعيار، ج 4، ص 49؛ كمال السيد أبو مصطفى، صور من المجتمع الأندلسي من خلال نوازل ابن رشد، ص 20، 21 ،
عندما عرضت هذه النازلة على ابن رشد أفتى بإقامة الحد على من تزوج زواج متعة، كمال السيد أبو مصطفى ، صورة من المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف و المرابطين من خلال نوازل ابن رشد، ص21،

أما في حالة الحرب، تطلعنا المصادر التاريخية على نماذج لبعض النساء اللائي وقعن في أيدي النصارى، أو لجأن إليهم التماسا للأمن، ومن ذلك مثال عن المقاتلة جمِلة بنت عبد الجبار المصمودي، التي وقعت في الأسر بعد ثورة ماردة [1]، وأجبرت على الزواج بأحد قوامسة جليقية وأنجبت له ولدا، القدّيس يعقوب أصبح فيما بعد أسقفا على مدينة شناقب Santiago de Compostelo galicia)[2]. وإن كانت هذه المرأة قد أجبرت على ذلك، فالحالة تختلف مع امرأة أخرى في عهد الطوائف، التي لجأت بمحض إرادتها إلى قشتالة بعد مقتل زوجها وهي زائدة المسلمة زوجة المأمون بن المعتمد بن عباد التي تزوجت ملك قشتالة وليون "ألفونسو السادس" وأنجبت منه ابنه الوحيد سانشو، وتذكر الرواية التاريخية أنها توفيت بعد ولادته. [3] وطرح هذا النوع من الزواج قلقا للعلماء، فأورد الونشريسي فتوى في ذلك ،أي بتحريمه. [4]

أما في حالة السلم، فالأمر يختلف، لأن هذا النوع من الزواج غير مرغوب فيه إطلاقا في الشريعة الإسلامية ، لأن الكفاءة في الدين من الشروط الأساسية لعقد زواج المسلمة الصحيح. لكن المجتمع الأندلسي كان خليطا من الأجناس و الأهواء ،و مع وجود حرية تحرك المرأة في المجتمع، يحتمل أن تقع في عين غير المسلم لاسيما بعد القرن 5ه/ 11م و من نماذج ذلك ، ما قيل عن إسلام أبي الفضل بن يوسف بن حسداي وهو من يهود الأندلس، بسبب جارية ذهبت بلبّه وغلبته على قلبه، فجنّ بها جنونه، وخلع إليها دينه، أي أنه اعتنق الإسلام لكي تحلّ له. ولما علم صاحب هذه الجارية بذلك زفّها إليه، لكن يقال أن أبا الفضل تجاف عن وصالها أنفة من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها. [5] ويبدو من هذا النص التاريخي أن ابن حسداي رغم دخوله الإسلام، عزف عن المسلمة أو ربما تظاهر بذلك نظرا لتحفّظ اليهود من المسلمين مراعاة لعاداتهم في العزلة، وتمسكهم بطقوسهم، أو أن إسلام أبا الفضل بن حسداي كان لأغرض في نفسه لم يُبْدِها، وهذه من صفات اليهود التكتمية.

كما تجسدت هذه الظاهرة ـ زواج االمسلمة من غير المسلم ـ لدى بعض المولدين في الأندلس خاصة بعض حكام المسلمين الذين أقدموا على تزويج بناتهم من ملوك وأمراء نصارى دون حرج، وينحصر هذا النوع من الزيجات في أسرة بني قسي المولدين أصحاب الثغر الأعلى.

ومن أمثلة ذلك زواج أورية (Oria) بنت موسى بن موسى بن فرتون بن قسي أول ثوار هذه الأسرة على السلطة المركزية في عهد عبد الرحمان الأوسط من ابن غرسية Garcia Iniguez)ملك نبرة النصرانية التي أنجبت منه موسي بن

[1] انظر قصتها في الفصل الثاني،
[2] ابن عذاري ، البيان ج 3، ص37 .
[3] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ، ص 114 .
[4] المعيار، ج 2، ص133 ،134.
[5] ابن بسام، الذخيرة، ج 3، ص 290.

غرسية.[1] كما زوّج موسى بن موسى بنتي أخيه لب من ولدي ونقة بن شانجة أحد أمراء البشكنس، وكذلك تزوجت أراكة بنت عبد الله بن محمد بن لب بن موسى بن موسى من فرويلة بن أذفونش ملك أشتورياس وليون وأنجبت منه ولديه أردون و ردميره. يرجع السبب في عدم تحرّج بني قسي من تزويج بناتهم من أمراء وملوك مسيحيين.

وفيما يبدو، إلى أن بني قسي كانوا أكثر المولدين اعتزازا بأصولهم الإسبانية على حساب إسلامهم وكانوا يلتمسون في مصاهرة ملوك وأمراء إسبانيا النصرانية لهم، نوعا من التحالف ضد السلطة المركزية بقرطبة، إذ كانوا دائمي الثورة على أمراء بني أمية، وكثيرا ما خاضوا مع قوات الإمارة معارك طاحنة. وهناك مثل أخر لامرأة مسلمة هي بنت عمر بن عبد الله بن عمرو من أحفاد المنصور بن أبي عامر، تزوجت بمحض إرادتها من النابة بن غندشلب ، فارس نصراني.[2]

وعلى أية حال، كان الزواج المختلط ظاهرة شائعة في إسبانيا الإسلامية والنصرانية على السواء تتمشى مع عادات هذه البلاد، وإن كان زواج المسلمين من إسبانيات نصرانيات أكثر شيوعا من زواج مسلمات بنصارى فمرجع ذلك هو تحريم الإسلام لهذا النوع من الزواج و الالتزام بحدود الله عزّ وجلّ لدى ذوي التقوى و الإيمان. إلا أنه يكمن من وراء أي نوع من أنواع الزواج أهدافا مختلفة تختلف باختلاف نوايا الأطراف المعنية أي قد تخفي من وراء الزواج والمصاهرة بين الأفراد والجماعات في الأندلس، أغرضا سياسية واقتصادية واجتماعية، وشخصية بحتة، ولم يقتصر الزواج على تحقيق هدفه الأصلي، وهو بناء الأسرة والمحافظة على رعاية أفرادها من أجل تحقيق غاية استمرارية النسل البشري وتوسيع دائرة التعارف الودي بين مختلف شرائح وعناصر المجتمع الأندلسي، فما هي الأهداف المختلفة التي ميّزت نوعية المصاهرة، وما هي نتائجها على حياة المرأة الأندلسية ،ثم على المجتمع؟

من بين الأمثلة التي أشارت إلى الأهداف السياسية في بداية تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس، العرض السياسي الذي تلقاه عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) حينما دخل الأندلس من يوسف الفهري بتزويجه ابنته "أم موسى"، وذلك في محاولة من يوسف لكسب عبد الرحمان الداخل، وذلك خوفا من شعبية عبد الرحمان الداخل الكبيرة التي ما فتأت تزداد يوما بعد يوم من جهة، ومن جهة أخرى خوفا من إفلات الحكم من بين يديه، ومحاولة الاستئثار بحكم الأندلس لنفسه عن طريق

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ص502؛ كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ و حضارة الأندلس،ص 91، هـ 51.

[2] ابن حزم ، رسائله، ج 2، ص 71.

هذه الزيجة. وفي الواقع تفطن عبد الرحمان بن معاوية لتلك النوايا المغرضة ليوسف الفهري والمدسوسة تحت غطاء المصاهرة، فرفض ذلك الغرض [1].

ويتكرر هذا المشهد في عهد الحكم بن هشام (مده حكمه)الذي خرج عن طاعته عماه: سليمان وعبد الملك، واشتدت الفتنة بينهم، أما عبد الله البلنسي فقد استطاع إخماد نار الفتنة بمراسلة الأمير الحكم ابن هشام، بتزويج أولاد عبد الله بإخوة الأمير الحكم، وبفضل هذه المصاهرة ذات المصالح المبنية على المصالح المتبادلة ، هدأت الأوضاع الأمنية بين الطرفين. [2] كما صاهر أحد كبار ثوار المولدين و هو ابن شالية، [3] عمر بن حفصون زعيم ثورة المولدين في ببيشتر بتزويج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون، ولم يتم القضاء على ثورة ابن حفصون إلا في عهد الخليفة الناصر، نتيجة تقوية مكانته وقواته بمؤازرة أصهاره [4].

عرف الثغر الأعلى عدة ثورات ضد الإمارة الأمية بقرطبة اعتبرت فيها المصاهرة السياسية نسيجا للعلاقات بين مختلف مناطقه.ومنها أسرة موسى القسوى ومن أبنائها إسماعيل الذي ولاه الأمير محمد على بعض حصون الثغر الأعلى ليختبر طاعته. و تظاهر إسماعيل بالطاعة و تزوج من" سيدة" بنت عبد الله بن خلف بن راشد عامل الأمير على "برطانية"، ثم خدع صهره وقتله في وليمة عقيقة ابنه محمد واستولى على أعماله و ذلك لما أحس بقدوم جيش الأمير إليه. [5]

كما تكررت هذه المشاهد الانتقامية ؛في حركة لب بن محمد الذي تزوج   ابنة محمد بن عبد الملك بن شبريط و الذي انتهز فرصة انتصره على أعدائه ليطلق سراح كل الأسرى من بني شبريط و أعاد صهره ابن شبريط إلى سابق ولايته بِوُشقة. [6] كما تودد موسى بن موسى صاحب الثغر الأدنى لدى "أزراق" ببنت منبت صاحب وادي الحجارة وثغرها، لما تخوف من تحرّكه ضده، وعرض عليه مصاهرته وذلك بإغرائه بجمال بنته الفائق، وأن ليس بالأندلس من أجمل منها، وأكّد له أنه لا يرغب في تزويجها إلا من أجمل شباب الأندلس، وفي النهاية، أجابه أزراق إلى ذلك وعقد على الابنة.[7]

---

[1] مجهول، أخبار مجموعة، ص 70، 75   ؛ المقري ، نفح الطيب،ج 3، ص29 ،30؛ ابن عذاري، البيان، ج2 ص 45؛ عنان، دولة الإسلام، ع1، ق1، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ص151

[2] ابن الأثير، الكامل، مج 5، ص 308.

[3] هو عبد الله بن أمية، ابن الابار، الحلة، ج 1، ص 230.

[4] ابن الأبار، نفسه ، ج 1، ص 231؛

[5] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص 32،33؛   كمال السيد أبو مصطفى،تاريخ و حضارة المغرب،ص62، 63.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، نفس المرجع ، ص69.

[7] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس ، ص 131.

و في الحقيقة، إذا كان الجمال عامل مغري للزواج، إلا أنه ليس مؤشرا لنجاحه في مثل هذه العلاقات الاجتماعية، و مشاهده في تاريخ الأندلس كثيرة ، ومن أمثلته زواج "أسماء" بنت غالب [1] من المنصور محمد بن أبي عامر، وتمت هذه الزيجة نتيجة العداء الشديد الذي كان بين المنصور بن أبي عامر والحاجب جعفر بن عثمان المصحفي. حيث بادر الحاجب المصحفي بخطبة أسماء بنت غالب لابنه، ففطن المنصور لعواقب هذه الزيجة، ولما يدبره له المصحفي لاحقا إذا تمت المصاهرة ، ولذلك سعى بمساعدة نساء القصر على إفساد الخطوبة وفسخها، وتودّد من جهة أخرى إلى القائد غالب حتى نال رضاه ووافقه على خطبة ابنته أسماء التي عقد عليها في محرم 368 هـ/ 978م.و كانت أسماء تتصف بجمال بارع وأدب صالح و حظيت عند ابن أبي عامر فلم يفارقها. وبهذه المصاهرة استطاع المنصور إبعاد خطر الوزير المصحفي واستصدر أمرا من الخليفة هشام المؤيد بعزل الوزير المصحفي وسجنه. [2]

كما ذكر الحميدي زواج حبيبة ابنة عبد الله بن يحيى بن أبي عامر وأمها المدعوة "بريهة" بنت المنصور بن أبي عامر، التي زوجها خالها المظفر عبد الملك بن المنصور من أحد مواليهم وهو عبد الله بن قند، مما أثار حفيظة الوزير أبو مروان عبد الملك بن أبي عامر، [3] فأنشد قائلا. [4]... ويبدو من هذه المصاهرة أنه تم خروج عن أصول العادة والعرف، لتحقيق أغرض سياسية بحتة.

والأمثلة على ذلك كثيرة نظرا لما عرفته الأندلس من ظروف أمنية حرجة خاصة في عهد ملوك الطوائف. و من أشهر البيوت الأندلسية التي تميزت بناتها بالجمال والجاه بيت "مجاهد العامري" حاكم جزيرة دانية، الذي رزق عدة بنات ووصفن أنهن أحسن من الشموس وأفتن من الطواويس، فتنافس ملوك الطوائف عليهن لجمالهنّ، ورغبة في التودد لوالدهن (مجاهد العامري)، مما جعل هذا الأخير يستغل زواج بناته للتجسس على أصهاره. ومن أشهر أصهاره أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر[5]، الذي هاجم صهره مجاهد العامري و استولى على دانية. و هكذا فشلت إحدى خطط مجاهد العامري مع صهره ابن هود . [6]

---

[1] هوالوزير أبو تمام غالب الناصري،صاحب مدينة سالم والثغر الأعلى، ابن عذاري، البيان ج 2 ص265.

[2] ابن عذاري، نفسه، ج 2 ص 267، 268.

[3] جذوة المقتبس، رقم 935، ص 358. .Provençal :histoire , t1 , p200

[4] أنشد ما يلي: عربيّ مزوج عبدُه بنت أخته
قبَّح الله مثل ذا ورما له بمقته. الحميدي، نفسه،ص 358؛ رسائل ابن حزم ،ج 2، ص70 .

[5] ابن بسام، الذخيرة، مج 4، ص 158، 160.

[6] ابن بسام ، نفس المصدر، ص 158 .

كما تحتفظ لنا المصادر التاريخية بإحدى الرسائل السلطانية التي بعثها مجاهد العامري حينما زفّت ابنة أخرى إلى المعتصم بن صمادح، وما جاء فيها: "وأسلمتها بعد طول صيانة، ما زفّت إلا إلى كريم يحملها محمل الأمانة... ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وفيما قاله في مثل هذه قدوة يقتدى بها، وتلا قول الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾ [1]، وقال ﷺ: "**إنّما فاطمة بضعة منّي، فمن أكرمها فقد أكرمني، ومن أهانها فقد أهانني**"، اللهم بارك وبارك عليها .[2] وهذه الرسالة تظهر مدى اهتمام ابن مجاهد و حرصه على الحفاظ على مكانة وكرامة بناته لدى أصهاره.

أما الهدف الاجتماعي، فكان الأندلسيون حريصين على أن لا يزوّجوا بنتاهم إلا للأمجاد من الرجال ضمانا لمستقبلهن، و هذا زرياب الوافد على الأندلس، زوج بناته الثلاثة من وجهاء البلاد، "**علية**" من الحاجب محمد بن رستم، و **فاطمة** من وهب عبد الله بن حزم، و **حمدونة** من هاشم بن عبد العزيز.[3] و في مدح البنات يقول الشاعر ابن حمديس:

أما بناتي المفردات فإنها	من الحسن أشهر من بنات حبيب
لا ينكح العذراء إلا ماجد	تبقى بعصمته بقـــــــاء عسيب[4].

كما طلب المعتضد من الأديب أبو علي إدريس بن اليماني العبدري اليابسي مدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته التي مدح بها آل حمود قائلا له: "أشعاري مفهومة، وبنات صدري كريمة، فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها"[5].

ويحكي لسان الدين ابن الخطيب عن منزلة أسلافه في غرناطة التي ترجع إلى اختيار أحد أجداده لبيت مصاهرة رفيع الدرجة، كان سلفه يعرفون ببني وزير بقرطبة، وهم أهل نباهة وبيتهم بيت فقه وخيرية ومال، ولما ظهرت ثورة وغضب أصهارهم عليهم من بني الطنجالي بلوشة، فرّ عنهم عبد الله [6] خفية وأقام بغرناطة

---

3 سورة ، الفرقان ،الآية 54.

4 ابن بسام، الذخيرة، ج 3، ص 83؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص192؛ سعيد أحمد أبو زيد، **المرية في عصر بني صمادح**،(433ه - 484ه/ 1041- 1091م)،القاهرة، ط 1، 2003. 476 ، 477.

[3] المقري، نفح الطيب ، ج 3، ص 24 . Provençal :hist , t1 ,p 270.

[4] سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص 100.

[5] ابن بسام، الذخيرة ، ج3، ص 213؛ وزاد المقري أنه خصص له جائزة قدرها مائة دينار في حالة مدحه . نفح الطيب، مج 4، ص 75.

[6] هو عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني، والد الكاتب لسان الدين بن الخطيب، ابن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص 386 ،388.

وصاهر أشرف بيوتاتها بزواجه من بنت الوزير أبو العلي أضحى بن أضحى الهمذاني، وبعد وفاتها تزوج بنت القائد أبي جعفر أحمد بن محمد الجعدالة السلمي، وهي أم أب جد لسان الدين بن الخطيب. [1] كما كانت أم عبد الله والد المنصور بن أبي عامر بنت الوزير يحي بن إسحاق وزير الناصر لدين الله و طبيبه.و بدوره صاهر عبد الله التميميين المعروفين بقرطبة بني برطال فتزوج "بهيرة"بنت يحي بن زكرياء و هي والدة أبو عامر المنصور. و يقال عن هذا الأخير أنه حاز الشرف من طرفيه و التحف بمطرقيه. [2] إلا أن بعض حفيدات المنصور بن أبي عامر تزوجن من مواليهم ، الأمر الذي لم يرض أبناء عمومتهم.[3]

أما نظام الزواج في الجماعات البربرية ، تظهر لنا بعض النصوص أن الزواج المفضل عند البربر هو الزواج الداخلي اللحمي إما داخل العشيرة الواحدة ،أو بين عشيرتين أومن قبيلتين مختلفتين . و من شواهد ذلك ، أن القاضي منذر بن سعيد زوج ابنته من ابن عمها" فضل الله ".أما عبد الله بن بلقين فيقول:" وأن في تلك الفترة ـ مابين 479ه و 483ه ــ رأينا من الصلاح النظر لمن معنا من البنات و تزويجهن قبل أن يفجأ أمر ، فيكن على غير عصمة و لا كفيل . فتخيرنا لهم من بني عمهما شاكلة منهم "معدن" بن يعلي و "يضيف" ، فقد كان كثير من سلاطين الأندلس رام ذلك." [4] و من خلال تلك الحالتين تبين لنا مدى حرص البربر على تزويج بناتهم من أبناء الأعمام دون ذكر أكان ذلك من بنت العم الشقيقة أو من بنت العشيرة أو ربما من ابنة الجنس البربري. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو البحث في الأغراض التي كانت وراء تفضيل البربر للزواج الداخلي ؟

يبدو من خلال ما نقلته لنا المصادر التاريخية ، أن جماعات البربر حرصت على الزواج الداخلي من أجل صيانة شرف الجماعة وحمايته ، لأن خروج المرأة من جماعتها قد يعرض هذه الجماعة للإهانة. و هذا ما يتضح جليا في ما ذكره ابن القوطية عن زواج إرزاق بن منت بابنة موسى بن موسى القسوي ، قائلا :"فلما تشفى من زوجته خرج في نفر يسير من أتباعه حتى وقف على باب الجنان من قصر قرطبة ليشرح للأمير موقفه و تصرفه. قائلا له :" ما يضرك أن يكون وليّك يطأ بنت عدوك." [5] و يوضح لنا هذا النص أسلوب الشماتة و التشفي الذي انتشر في المجتمع الأندلسي جراء الفتن والحروب . ولذا عمل العرب و البربر على حد السواء على تجنب كل ما يمكن أن يسبب وقوع العار بالمرأة الأندلسية من ويلات و محن في القرن 5ه /11م نتيجة هذه المصاهرات المختلفة.

---

[1] ابن الخطيب ، الإحاطة، مج 3، ص 386 - 388.
[2] ابن عذاري ، البيان ج2 ص257؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس،ص 389،388.
[3] ابن حزم ، رسائله ،ج2، ص70، 71.
[4] الأمير عبد الله، كتاب التبيان،ص 139 ، 143
[5] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس ، ص118،117.

و ربما لهذا الغرض تم الزواج بين عشيرتين بربريتين في الثغر الأوسط و شرق الأندلس و هما بنو ذي النون من هوارة و ثابت بن عامر المديوني الذي كان خالا لابن ذي النون [1] و ذلك حفاظا على نسائهم . كما نجد رجال ينتسبون إلى بربريات مثل زكريا بن يحي بن شموس المعروف بابن الطنجية (ت 300ه) و نسبته إلى الطنجية ربما يدل على أن الزواج من البربريات حالة نادرة أو ربما أن ابنها زكريا ينعت بها احتقارا له . لكن في كثير من الأحيان كان الزواج مفتوحا و يتم الاقتران بين مختلف العناصر دون حواجز. [2] ومن الشاهد على ذلك وصف السقطي للجواري البربريات الذي ما هو إلا صدى لما ساد من زواج من البربريات في الأندلس ، لكن المصادر سكتت عن هذا الزواج.

كانت نوعية اختيار بيوت المصاهرة محطة إجلال وإكبار أو نظرة ازدراء واحتقار في المجتمع الأندلسي، حتى يهنئ بعضهم بعضا بذلك، ومن عبارات إجلال الاختيار: "سبحان الذي أرشدك لبيت الستر والعافية والأصالة، وشحوب الأبرار، قاتلك الله ما أجلّ اختيارك..."[3] هذا من جهة، أو يعاتب عن ذلك ، مثل زواج قاضي غرناطة أبو القاسم بن هشام بن أبي جمرة ـ مع جلالة قدره في العلم و الدين و البيت، من **ليلى** معتقة الوزير أبي بكر بن الخطاب . و سبب ذلك أن هذه المرأة فاقت نساء عصرها في الذكاء و الفهم في كل نوع من العلم . و رغم أنها كانت أمة فقد تعرض لخطبتها جماعة فلم تجبهم لذلك ، و رضيت بأبي جمرة لتوافقهما العلمي معه .وولع بها كثيرا حتى قال فيه بعض معانديه و حساده ما يلي:

قل لابن جمرة الحديث شجون   أصبتك ليلى أم عراك جنون

بعت الأمانة و الديانة و التقى   و مضى يعض بنانه المغبون

ولكن **ليلى** توفيت عنده قبل ولايته قضاء غرناطة بمدة ،حيث تولى القضاء سنة 528هـ/ 1133م [4]

وعموما، أفرزت بيوتات المصاهرة نتائج تتماشى مع أغراض وأسباب المصاهرة، فالمصاهرة السياسية نتجت عنها فتن وحروب و انفصام أواصر الأسرية و من ذلك ما سبق ذكره في الفصل الثاني. أما المصاهرة الاجتماعية ولاسيما لدى بيوتات العلماء، فلقد أفرزت نساء عالمات في العلوم الدينية، و الأدب، والخطاطة التي سأتعرض لها في الفصل الرابع بإذن الله تعالى.

و بعد عرض للزواج و مراسيمه فالسؤال الذي يطرح في شأنه هو ما مدى احترام الزوجين لعقد الزوجية بينهما و الذي سماه الله عزّ و جلّ بالميثاق الغليظ؟ إن المتصفح لكتب الفتاوى و النوازل يمكنه تحديد عمر هذا العقد الذي يمكن أن

[1] ابن حزم، جمهرة الأنساب ، ص500 .
[2] محمد حقي، البربر في الأندلس، ص105، 106 .
[3] ابن الخطيب، الإحاطة، مج 3، ص 321.
[4] ابن الزبير ،صلة الصلة ، ق5، ص 309.

يتراوح من يوم واحد إلى أيام أو شهر أو سنة أحيانا أو تكتب له الحياة على مدى عمر الزوجين. ! وهذا تماشيا مع طبيعة العشرة الزوجية و العائلية و مدى استطاعتها التغلب على الخلافات و المشاكل العديدة التي تؤدي إلى أبغض الحلال إلى الله سبحانه و تعالى، ألا و هو الطلاق و الخلع و اللعان و غيرها من الخلافات الأسرية والتي تكرر ذكرها في المصادر الفقهية التي أحاول من خلالها استخراج بعض الحالات و واقعها في المجتمع الأندلس.

المشاكل الأسرية

يعد الطلاق من أكبر المشاكل التي تتعرض لها الأسرة و رغم أنه مشروع في حالات معينة فهو أبغض الحلال إلىالله ﷻ [1] ؛ و إنه لمن المفيد البحث عن حيثيات الطلاق في الأندلس و على أثاره في حياة المرأة و في الأسرة و المجتمع، لاسيما أنه من شروط المرأة التي أكدت عليه في عقد زواجها . وإذا اعتبرنا الشِعْر مرآة عاكسة لأوضاع المجتمع فيبدو أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في الأندلس على حد تعبير الشاعر:[2]

" كأن بلادهم كانت نساء   تطالبها الضرائر بالطلاق"

وبحثا عن أسباب الطلاق نجدها تختلف و تتنوع شكلا و مضمونا بحيث تُجلي كتب الفقه و النوازل الكثير من حالات الطلاق التي مردها إما لأسباب شخصية أو أسرية أو اجتماعية أو سياسية . ويبدو جُل ذلك واضحا من خلال الأسئلة الواردة في كتب الفتاوى والتي كان يطرحها الفقهاء بين بعضهم البعض لالتباس معناها، نظرا لتنوع ألفاظ الطلاق من لفظ صحيح و لفظ كناية .* و ربما يتلفظ الزوج بعبارات مثل ملكتك أمرك أو و شأنك فتقول هي ،قد طلقت نفسي.[3] و كانت تلتبس بعض ألفاظ الكناية على الفقهاء مثل ما جرى من شجار بين رجل و

---

[1] و يقصد به طلاق السُنة و هو ما ندب الله إليه:"هو أن يطلق الرجل زوجته في طهر لم يمسسها فيه طلقة واحدة ، و يتركها تمضي في عدتها، فإن أحب إرجاعها كان له ذلك ما لم تنقض عدتها، فإذا انقضت عدتها كانت أحق بنفسها." الباجي، فصول الأحكام ، ص366 .

3 الشاعر أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجاج ،انظر ابن بسام: الذخيرة،ج 3 ص 58.

* من ألفاظ الطلاق الصريحة أن يقول لها قد أبنتك أو فارقتك وقد سرحتك ... الونشريسي: المعيار ج4 ص 395. أما ألفاظ الكناية مثل:سيري إلى أهلك .أو :أنت وشأنك، أمشي عن وجهي ،مال بك حاجة...ابن سراج:فتاوى ،م 78 ص 144. الونشريسي ، المصدر السابق، ج4،ص39،396

[3]ابن العطار ،كتاب الوثاق و السجلات ، ص 535 ، ابن سراج، فتاوى م95 ص153؛ الونشريسي ، المصدر السابق، ج4 ،ص 402.

امرأته فقال لها: تأخذ حقها وتقعد تربي بنتها و ما لها عليا من سبيل أو ما لي عليها سبيل و شك أي اللفظين قال وهل يلزمه الطلاق؟ [1] ومن خيّر زوجته ،فقالت اخترت الطلاق فهي طالق.[2]

كان حرص الفقهاء واضحا في تحذير الموثقين ،من كتابة وثيقة الطلاق في ورقة مجردة ؛ وفي حالة عدم إحضار وثيقة عقد النكاح، لأن بعض الناس كانوا يجعلون تلك المرأة صورة فقط و ليست زوجة لهم؛ بل كانوا يحضرون الشهود عند كتابة ورقة طلاق المرأة أو عند مراجعتها و تدرأ ورقة الطلاق عنه التهمة. [3] ومن الأسباب التي أوجبت على المرأة تطليق نفسها، و ذكرت جليا إنما هي خلافات زوجية ذاتية و عاطفية مثل الكراهية، فمنهم من هدد زوجته بالطلاق إن مات الصبي . [4] و ربما تنمو الكراهية بين الزوجين لأسباب معقولة أو لأسباب عديدة من موجباتها الأولى اغتصاب الزوج مال الزوجة بدون إذنها و رضاها أو سوء معاملة الزوج لها ،كسبّها أو ضربها أو تقتر عليها في النفقة، رغم ثراء بعض الزوجات . كما حثت فتوى أن من حق المرأة الصالحة ، أن تسأل طلاقها إذا كان طعام زوجها غصبا وهي لا مال لها. [5]

وكثيرا ما تلجأ الزوجة للقاضي تشكو حالها فيحاول القاضي حل الخلافات الزوجية بإرسال رجل أمين أو امرأة أمينة لتتعرف على أحوال الزوجين المتخاصمين رجاء في الصلح بينهما ،و الصلح خير في كل الأحوال [6] .و إذا اشتد الضرر بالمرأة يودعها القاضي عند قوم آمنين حتى يتعهد الزوج بتغيير معاملته لها أو تطلق منه. ومن المشاكل الطارئة، أن بعض النساء ضاع منهن عقد الزواج أثناء الفتنة ولما طلبت الزوج بالكالئ أنكر ذلك .

و الملاحظ هو أن هناك أسباب دفعت المرأة إلى تطليق أو خلع نفسها قبل البناء ،خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعيب فيها سواء عضوي أو لمرض يخاف من خطره على الزوج أو الأبناء مستقبلا أو لعدم النفقة أو لطول غياب الزوج، [7] أو لخلاف يحدث بين الأب و صهره . و مما ورد في هذا الصدد:"... بارأ فلان

---

[1] الونشريسي، المعيار ، ج4، ص396، 398.

[2] ابن بشتغير،نوازل، رقم، 399 ص353.

[3] ابن العطار، كتاب الوثائق و السجلات ، ص، 165؛ ابن بشتغير،نوازل ،رقم : 390ص350.

[4] الونشريسي، المصدرالسابق ،ج4 ص 438.

[5] ابن بشتغير، المصدر السابق ، رقم 274 ص 296. و رقم 47،ص ص 192 ،193.

[6] .ابن عبد الرؤوف ، الرسالة الثانية في الحسبة ،ص 82 ؛ ابن بشتغير، المصدر السابق،رقم 418 ص359؛ (محمد بن علي)،ابن الأزرق الغرناطي ، **بدائع السلك في طبائع الملك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم AMSS 05937 ، و 14.

[7] ابن العطار؛ المصدر السابق ، 165؛ ابن بشتغير ؛ المصدر السابق ،رقم ، 390ص350.

زوجه فلانة بنت فلان قبل بنائه عليها بطلقة ملكت بها أمر نفسها على أن وضع عنه أبوها نصف الصداق الذي كان يجب لها من معجل المهر ومؤجله ، وسقط جميع مهرها". [1] و تصرف الأب بهذا الشكل يبدو حرصا منه على تخليص ابنته من هذا الزوج لما رأى من مصلحة لابنته .ويبدو أن شدة الغيرة على الزوجة تنعكس سلبا عليها أحيانا [2] ، من ذلك أن رجلا كانت له زوجة جميلة فقال لها إذا رأتك عين فأنت طالق. .كما كان لأحدهم أربع زوجات أخرجت إحداهن رأسها من الطاقة ،فقال لها الزوج :"إن لم أطلقك فصواحبك طوالق". [3]

و من المشاكل الأسرية اتهام الزوجة بالسرقة [4] .وفي مدينة "بياسة" [5] عهد رجلا من زوجته أنها تأخذ بعض ثيابه و تبيعها أو تعطيها أحد أبويها،لكن لما سرق بعض ثيابها هي لم يصدقها زوجها وضن أنها أخفتها كعادتها ،فحلف بتطليقها إلى أن تجدها أو تعوضها. [6] كما ذكر أن ر جلا تشاجر مع زوجته من أجل طحين الزرع و لما فاجأها يمين زوجها،أعطت زرعا لامرأة تطحنه لها بأجرة من عندها كي لا يلزمه الطلاق. [7]
و من طرائف النوازل أن رجلا حلف لزوجته أن تتعشى معه وإلا عليه الطلاق الثلاث والمشي إلى مكة فأبت عليه ... وتحذيرا من الاستهتار بالطلاق يقول الرسول ﷺ :**"ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد ومنهم الطلاق".** [8] كما سئل القاضي ابن حمدين أن ابن أبي عبد الصمد حلف بالأيمان اللازمة أن لا يطبخ خبزه في فرن يقاربه لكراهة الفران فيه .فأخذت امرأة من داره خبز وحملته إلى الفران...فاعتزل ابن أبي عبد الصمد امرأته حتى استفتي في أمره سنة 499هـ/1105م

و من النساء من يتسببن في إثارة المشاكل بالتطاول في الكلام القبيح مع الزوج وإسماعه مالا يرضيه حتى تثير حفيظته فيرد عليها :" أنت علي حرام ". [9]
وقد تتظاهر بعض النساء بالغضب و الانفعال كي تنفصل عن أزواجهن ، وفي هذا الصدد ، ورد أن امرأة أغضبتها خادم لها، فأقسمت على صيام العام

---

[1] ابن القاسم،المقصد المحمود ،مخ ، ص 10؛ الونشريسي، المعيار ،ج 4 ص267.
[2] الونشريسي، نفس المصدر،ج4ص177،ص217.
[3] الونشريسي، نفسه ،ج 4،ص267، ص277 ؛ ج 4 ص1176.
[2] الونشريسي، نفسه ، ج4 ، ص398.
[5] هي إحدى المدن الأندلسية مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة وهي ذات أسواق و متاجر: الحميري، روض المعطار ،ص121.
[6] الونشريسي ، المصدر السابق، ج 4 ص 82
[7] نفسه، ج4، ص417.
[8] (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) أبو داود، **سنن أبي داود ، حكم** أحاديثه و علق عليها ، (محمّد ناصر الدين) الألباني ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض،(د ت) ،رقم 2194، ص 266 .
[9] الونشريسي ، المصدر السابق ،ح4 ص 288 .

إذا لم تخرج الخادم من الدار؛ و إن ردها سيدها لا تبقى معه في نفس الدار .إلا أن الزوج لم يطاوعها في ذلك و اخرج الخادم من بيته محافظة على أسرته. [1]

أما فيما يخص مسالة تأديب الزوجة ،تذكر بعض الفتاوى حالة الضرر الجسدي الجسيم ،وإذا خافت الزوجة على نفسها ،تطلق عليه طلقة بائنة، لأن في بعض الأحيان تصل درجة تأديب الزوجة إلى القتل.[2] و نص ابن عبد الرؤوف " أن يؤدب من اشتكت به امرأته ،و عليها أثر ضرب مبرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها"، [3] لقول الله تعالى:﴿ **واهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَاكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاَ ﴾.** [4]

و تفاديا للضرر الجسدي و المعنوي في النفس و المال ،فإن بعض الزوجات سجلن شرط الضرر في عقود زواجهن،لكن السؤال يطرح على العقود التي لم تحمل تلك الشرط ؟ لتجيب كتب الفتاوى عن ذلك قائلة:" إن على المرأة التي يشهد لها بالضرر في نفسها و مالها أن تثبت ما ذكرت بكتابة وثيقة بالضرر[5] مع التأكيد أن الضرر حصل من غير ذنب استوجب عليه". [6] . لقوله ﷺ :" لا ضرر و لا ضرار". [7]

و في هذا الصدد تطلعنا إحدى وثائق ابن العطار ما شهد به شهداء هذه الوثيقة."أنهم يعرفون فلان بن فلان، الذي كان زوج فلانة بنت فلان إلى أن بارأها...أنهم سمعوا من لفيف النساء سماعا فاشيا و الخدم و غيرهن أنه كان يضر زوجه فلانة و يؤذيها و يسيء معاشرتها ،وصح عندهم إضراره بها و إكراهه لها إلى أن خالعته أو بارأها أو افتدت منه [8]". و يبدو أن هذا الضرر كان مقصودا لأن من الرجال من أوقف طلاق زوجه بتنازلها عن صداقها .[9] و تلجأ الزوجة إذا

---

[1] الونشريسي ، المعيار ، ج4 ،ص 130 .

[2] ابن ورد ، أجوبة ،مسألة 34 ص97؛ ابن فرحون، تبصرة الحكام ،ج 2، ص253

[3] الرسالة الثانية في الحسبة ص 83

[4] سورة، النساء ، الآية: 34.

[5] انظر ملحق رقم 8 ، عقد بشهادة الاسترعاء على الضرر،مسائل ابن رشد ،مج2،ص845. وملحق رقم 9 ؛ ابن الأزرق الغرناطي، بدائع السلك في طبيعة الملك ، و 20.

[6] ابن فرحون ، تبصرة الحكام ، ج 1 ص 125؛ ابن بشتغير، نوازل ،رقم384 ص 348 ؛ ابن رشد ، مسائل ،مج 2 ، ص 845.

[7] الإمام مالك بن أنس، **الموطأ** ج 2 ،صححه وخرج أحاديثه و علق عليها، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت) ،ص506 ؛ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والأحكام، ص401.

[8]ابن العطار، كتاب الوثائق ، ص327؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخ ،ص24؛ ابن سراج، فتاوى ، مسألة 86 ص 148.

7 ابن بشتغير، المصدر السابق ، رقم 383 ص 348؛ ابن ورد ، المصدر السابق ، رقم 34، ص97.

اشتد بها الضرر إلى طلب الخلع و ربما تُخلع بجميع مالها إذا لم تكن ملكت نفسها في عقد زواجها [1] .

وقد تختلف فتوى خلع اليتيمة التي لا والدها على قيد الحياة. [2] و يذكر ابن الحاج ، أن امرأة خلعت زوجها على أن حطت عنه جميع كالئها و غير ذلك مما تضمنه عقد الخلع و على أن لا تتزوج إلا بعد عام من تاريخ الخلع، فإن تزوجت قبل العام فعليها أن تغرم له مائة مثقال مرابطية. [3] وهذا السلوك نوع من تعسف الزوج في حق زوجته ذمته تعاليم الدين الإسلامي. و من الرجال من يخير زوجه ،فإذا اختارت الطلاق مثلا طلقت منه ثلاثا. [4] وذلك لعدة أسباب منها أن رجلا أراد الحج وقد ملك زوجته في نفسها، وبعد ثلاثة أشهر من غيابه أرادت المرأة الخلاص بإيقاع الطلاق لتتزوج غيره.[5]

و من مسائل الطلاق الاستثنائية تشير إحدى النوازل إلى حق نساء المفقودين في المعارك الجهادية كمعركة قتندة وكم يضرب لهن الأجل ، و كيف إذا طلقت المرأة منهن بشرطها في المغيب؟ وكم تعتد؟ و إن كان في شرطها بعد أن تحلف فطلقت نفسها في موضع لا حكم فيه أو زوجت نفسها دون أن تحلف؟ و قد ترتبت عن الحروب و الأوبئة و الكوارث الطبيعية أيضا وفاة الآباء و تزوج النساء مرة ثانية أو العكس وفاة الأم . مما انجر عنه اختلافات عدة حول الإنفاق على الأبناء و تربيتهم و خاصة على الفتاة سواء كانت الابنة أو الربيبة . فهذه القضايا و غيرها تبين لنا مدى التداعيات الحاصلة في الأسرة الأندلسية من جراء الحروب و الآفات الطبيعية .[6].

كما تبين من خلال بعض النصوص الفقهية أن المرأة الأندلسية لم تقف مكتوفة الأيدي بسلبية الموقف حيال وقوع طلاقها. كما أنها لم تبد دائما رضاها بالانفصال عن زوجها و تسلم بالأمر الواقع بسهولة،إنما كانت تحاول دائما

---

[1] ابن بشتغير، نوازل ، رقم 396، ص352 ، و رقم 400 ص 353؛ ابن رشد،مسائل،مج 2 ،ص 846؛ ابن سراج، المصدر السابق، مسألة85 ، ص147 ؛ و ص 25 ، ص91.انظر وثيقة ملحق رقم 8.

[2] ابن رشد، الفتاوى ،سفر 3 ،مسالة 569 ،ص 1559.

[3] ابن بشتغير، المصدر السابق ، رقم390 ، ص 350 ؛ الونشريسي ،المعيار،ج 4 ص791.

Lagardère Vincent:la vie sociale et economique de l'Espagne musulmane au 11è-12è siècle à travers les fatwas du Mir'yar d'al wansarisi , p 125.

[4] ابن العطار، كتاب الوثائق ، ص 525؛ الونشريسي، المصدر السابق ، ج 4، ص 402؛ ابن فرحون، تبصرة الحكام ،ج 1 ،ص 161.

[5] عياض، ترتيب المدارك ، ج 2 ص 235 .

[6] ابن رشد ،مسائل ،مج 2، ص1246،1244؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ،مخ و 126؛ محمّد **المواق** و محمّد الرصاع، **الأجوبة التونسية** على الأسئلة الغرناطية،(886هـ/1481م)، تحقيق محمّد حسن، بيروت،دار المدار الإسلامي، ط 1،2007.، م 20، م 21، م 22، ص98.و مسألة 24 ص 99، 100.

مراجعة زوجها لأسباب ذاتية وأسرية. و يظهر ذلك جليا من خلال سعيها لدى أهل الصلاح طالبة (التشفع)لها. وفي هذا الصدد ذكرت المرأة التي رفعت للقاضي جعفر الشقوري و هو في مجلس قضائه، "بأنها تحب مطلقها تبغي الشفاعة لها و في ردها إلى زوجها". فوقع أبو جعفر على الرقعة بالشفاعة لها وفي ردها إلى زوجها و ذلك تأسيا بشفاعة الرسول ﷺ لبريرة في مغيث. [1]

و شكت امرأة أخرى إلى القاضي أن زوجها حنث فيها بالثلاث، ثم خيرها حين سمع بشكواها فاختارت البقاء معه و لم تفارقه. [2] و في هذا الصدد وردت نازلة فيمن طلق زوجته بدعوى أنها أسقطت عنه صداقها ،فأنكرت قائلة له :" لم أسقط عنك شيئا ،و ما طلقتني إلا طلقة من غير فداء". وحينئذ تراجع زوجها عن أقواله و قال للشهود الحضور: أشهدوا أني راجعتها طلقة من غير فداء. [3]

و يذكر النباهي، أن القاضي أبا عبد الله بن محمد بن يحي بن بكر الأشعري، كان في مجلسه بغرناطة إذ امرأة رفعت بطاقة مضمونها : " يا سيدي إنما محبتها في الرجل الذي طلقها و هي تريد من يكلمه في إرجاعه لها و ردها إليه". [4]
و ما هذه إلا بعض الحالات استطاعت من خلالها بعض النساء الحفاظ على روابط أسرهن. ومن المطلقات من لا يقنعن بالفتوى الصادرة من أحد القضاة فيسعين إلى قاض بعينه ، ومن ذلك ما أفتى به جميع فقهاء طليطلة بطلقة واحدة في حق زوجين .لكن الزوج لم يطمئن لهذه الفتوى فأرسل زوجته إلى امرأة القاضي ابن دراج تراجعها في الفتوى.

و حاولت استعطافها في ذلك بأن حملت لها حليا ثمينا ، فلما رآه القاضي وشعر بحاجة زوجته للحلي ،اشترى لها في الحين حليا مثله وطلب منها إرجاع الأول لصاحبته ، ولم يتراجع في نص الفتوى. [5] . و من الأدلة على تعظيم النساء أن الرجل يستحلف بالله الذي لا إله إلا هو و بالمشي إلى بيت الله و بصدقة ماله وعتق رقيقه ، فيسهل عليه و لا يأنف منه ، فإن استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه و طار الغضب من دماغه و يمنع و يعص و يغضب و يأبى، و إن كان المحلف سلطانا مهيبا ، و إن لم يكن يحبها و كانت قبيحة. [6]

و لذا يبدو أن اليمين بالطلاق كان أمرا عظيما في المجتمع الأندلسي ، وتعدى أسباب حدوثه قضايا الأسرة وخلافاتها ،و أصبح توظيفها لدى الطبقة

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، مج 2 ،ص 178،176

[2] الونشريسي ، المعيار،ج 4 ،ص288.

[3] الونشريسي، نفسه ، ج 4،ص 316

[4] تاريخ قضاه الأندلس، ص145 .

[5] القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 2 ،ص 198.

[6] النباهي ، تاريخ قضاه الأندلس ، ص 59؛ أحمد طاهر مكي، دراسات عن ابن حزم، ص 272.

السياسية أمرا واقعيا للتهرب من بعض الوظائف و المسؤوليات الكبرى والتهديد بطلاق الزوجة .[1] من مشاهد ذلك رفض القاضي زياد استلام مهام قضاء قرطبة لما عرض عليه في عهد الأمير هشام ، وقال للوزراء : "أما إن أكرهتموني على القضاء، فزوجتي طالق ثلاث...." فلما سمعوا ذلك منه أعفوه من القضاء.[2] أما محمد بن بشير فقد حلف بطلاق زوجته و عتق رقيقه عندما عرض عليه القضاء، فعزله الأمير الحكم بن هشام. ولما أراده ثانية ،اعتذر إليه بنفس الأيمان السابقة رجاء أن يعفيه. لكن في هذه المرة منحه الأمير جارية من جواريه مقابل تطليق زوجته و مالا عوض ماله ، فقبل القضاء هذه المرة و لم يجد مفر منه لكن زوجته طلقت ثلاثا منه بغير سبب ودفعت ثمن يمينه.[3]

و كان الفقيه محمد بن بشير مقربا من طرف الأمير الحكم ، فلما توفي اغتم عليه كثيرا ،وهجر فراشه ،و أقام ليله يدعو الله عز و جل أن يوفقه لعالم عوضا عنه يوليه القضاء . و ما كان لأحد أن يتطلع لتصرف الأمير الحكم بن هشام و يفشي سره إلا إحدى نسائه التي تفطنت له، أنه انصرف عنها خفية و اعتزل عنها حتى شكّت أنه تركها و ذهب إلى أخرى.و لما تقفت أثره وجدته يصلي و يدعو و يبكي على القاضي. و من الرجال من ربط طلاق زوجته ببعض الأماكن، قائلا ،كل امرأة أتزوجها بقرطبة فهي طالق.[4] ومنهم من قال متى حلى لي الزواج في هذه الجزيرة فهو علي حرام ، لكن بعد أن أقام فيها غير رأيه خوفا من العنت والعصمة.[5]

و منهم من ربط الجهاد بالطلاق وهو عكاشة بن ناصر الذي حلف بطلاق نسائه أنه لا يقاتل مع عبد الرحمان بن محمد بن أبي عامر" شنجول" لأنه زنديق متلاعب بالإسلام.[6] و نظرا لخطورة مسألة الطلاق و ثقلها على الزوجين ،فإن من القضاة من كان يحلّف الناس بقرطبة بالطلاق تخويفا لهم و تحريا للصدق .[7] وفي كثير من حالات سوء التفاهم بين الحكام و الأمراء تتحمل نتائجها النساء ! ،فبعد عقد أواصر المودة بالمصاهرة تتحول العلاقات الأسرية إثر وقوع الطلاق إلى صراع نفسي مرير ...

---

[1] النباهي ، تاريخ قضاه الأندلس ،ص. 15
[2] النباهي ، نفسه ، ص55.

[3] النباهي ، نفسه، ص 59.
[4] النباهي ، نفسه ، ص 59.
[5] ابن سراج، فتاوى ،مسألة 74، ص 141
[6] ابن عذاري، البيان ،ج 3، ص68،
[7] ابن فرحون ، تبصرة الحكام،ج 2، ص 117

و الأمثلة على ذلك كثيرة لاسيما في عهد ملوك الطوائف و منها ،طلاق محمد بن مردنيش ابنة إبراهيم بن همشك. و من شدة الصدمة على هذه المرأة أنها سلمت له ابنه . وكلّما سئلت عن صبرها على ولدها تقول:" جَرْوُ كلب ،من كلب سوء". و أصبحت هذه العبارة يضرب بها المثل في الأندلس.[1]

و يبدو أن الحنث في الأيمان اللازمة - أي طلاق الزوجة ثلاثا - ، شاع في بعض الحواضر الأندلسية من خلال ما و رد في المناظرة التي جرت بين الأستاذ أبي عبد الله المنثوري الذي يدعي:" أن العرف فيها الثلاث هو الشائع في ضن الأندلسيين" . أما مناظره يدعي :" أنها واحدة لكثرة صدور الفتوى فيها عن الأستاذ أبي سعيد بن لب بلزوم الواحدة "،حتى صارت عند هذا المناظر عرفا. و لذا لجأ الأستاذ أبو عبد الله المنثوري إلى طرح السؤال على رجل من غير الحاضرة ،كان يسكن في الريف بجبل "فلوش" في المرية ؛ فأجابه أنه في هذه الحالة طلاق الثلاث في زوجته واجب. [2]

وتفاديا لهذا العرف الذي استحدث مُنع أحد المفتين في الأندلس من الفتوى والتدريس لترخيصه في الثلاث - أي جمع ثلاث طلقات في طلقة واحدة - و هذا ما ينافي النص الفقهي عند المالكية. [3] ويتبين من هذه المناظرة مدى انتشار الواسع للطلاق الثلاث في الحاضرة حتى التبس على هذا المفتي حكمها و تساهل فيها واعتبرها عرفا. ويبدو بالمقابل إما أنه كان قليل الحدوث في الريف مما جعل أهله يحافظون على الحكم الشرعي السني المالكي دون تحريف ، أو أن حرص الفقهاء والعلماء في تطبيق الأحكام الشرعية في الريف كان أشد صرامة منه في المدن.

كلما ارتفع عدد السكان زادت حاجاتهم المادية و المعنوية و تداخلت مصالحهم و كثرت مشاكلهم و في مقدمتها مشكل السكن ؛ حيث لاحظنا في عقود الزواج مدى حرص بعض الأولياء على سعادة بناتهم بتوفير لهن المسكن ، إما هبة أو سياقة؛ [4] لكن هذا لا ينطبق على الطبقة العامة أو الفقيرة فكان بعض أفراد العائلة الواحدة يحاولون إسكان المحتاج و البعض يلجأ كراء غرفة. [5] و قد

---

[1] ابن الخطيب ، الإحاطة ،ج1 ،ص296. ؛ عنان ، دولة الإسلام، ع1، ق 2، ص39 ؛ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ،مج6 عهد الموحدين المملكة المغربية ، ص4.

[2] الونشريسي، المعيار ،ج 4 ،ص137 ، ص436، 437

[3] ابن بشتغير،نوازل،رقم407 ،ص 356،و رقم 412،ص 358 ، ورقم 362 ص338 .

[4] ابن رشد، فتاوى، سفر 2،م 208، ص 838.

[5] بالباس طريس ليوبوردو ، **الحواضر الأندلسية** ، ج 1 ، تر محمد يعلى ، الرباط، دار أبي قراقر، ط1، ،2007. ص 177.

تطرح هذه القضية بطريقة مغايرة حين ينتقل الزوج من سكنى دار زوجته إلى دار يكتريها أو يشتريها.[1]

إلا أن المشكل يطرح بجدية في حالة وقوع الطلاق و تجريد الزوجة من السكن. ومن وقائع الأندلس في ذلك ، رجل أسكن أخاه في منزل ،وبعد مدة طلق الأخ زوجته فأخرج صاحب الدار المطلقة و قال لها إنما أسكنت أخي . وهذا خلافا على ما نصت عليه الفتوى الفقهية في حالة إذا ما سكن الزوج مع امرأته في دارها ثم طلقها ،فعليها أن تعتد في الدار و عليه الكراء وعلى الزوج أن لا يرحلها من دارها.[2]

و قد عبرت نوازل المواق عن سيادة الأسرة الصغيرة، و ما يترتب عن ذلك من علاقة بين الزوجين و غياب الأسرة الواسعة ذات الصبغة العشائرية. و هو ما يعبر عن تحول طرأ في بنية المجتمع الأندلسي منذ القرن 7هـ/ 13 م حيث عرف هجرات عديدة من المناطق التي عرفت حركة الاسترداد نحو إمارة غرناطة . و هي توافق الفترة الزمنية التي أولت الدراسات الأثرية الحديثة عناية خاصة منها ما قام به "الباحث بالباس طريس.

ومن خلال نصوص النوازل و الفتاوى يبدو أن المرأة الأندلسية تمتعت بقسط وافر من حرية التصرف. و قد نتج عن امتلاكها للمنزل علاقة أكثر توازنا مع الزوج رغم ما طفا من مشاكل أسرية أخرى. و تشير نازلة أن رجالا أوقف طلاق زوجه بمحلّها بالدار و يحلف بالثلاث على زوجته إذا دخلت دار أختها ، أو لا دخلت أختها دارها فهي طالق،وهذا ما انعكس سلبا على العلاقات الأسرية .[3] وفي هذه الحالة يحتمل أن يكون الأبوين إما عامل إفساد بين أفراد الأسرة أو عامل إصلاح، و لمّ الشمل و صلة الرحم. و من مشاهد ذلك ما حدّث عنه محمد بن عمر بن اللبانة ،أنه كان جالسا عند القاضي سليمان بن أسود ، فجاءه رجل يخاصم ختنه - زوج ابنته - ، وكانت الابنة في ولاية الأب و الزوج ساكنا معها في دارها ، فطلب الأب من الزوج أن يرحل الابنة من دارها و يكريها لها فتنتفع بكرائها فهو أفضل لها[4] . ولما تأكد القاضي أن ليس للزوج مسكن يلجأ إليه ، عاتب الأب قائلا :" لا كرامة لك ، تخرج بنتك من دارها إلى دار خراج مع زوجها ، فتمشي بفراشها إلى عنقها من دار إلى دار ، فتهتك سترها ، ليس هذا من حسن النظر لها. وحاول القاضي إصلاح ما بينهما و صيانة كرامة الزوجة في بيتها .[5]

---

[1] محمد المواق، الأجوبة التونسية،مسألة ،17 ص97.

[2] ابن بشتغير، المصدر السابق، ص 338.

[3] الونشريسي، المعيار ،ج4 ص 420؛ المواق، الأجوبة التونسية ،مسألة 17، ص73.

[4] الخشني ،قضاة قرطبة ، ص 116

[5] الخشني ، نفسه ، ص 116

أما أُمُّ الفقيه القاسم بن نابل ، فقد وكلت ابنها الفقيه بمخاصمة طليقها أي والد الفقيه، في حقوق ادعتها أيام فراقها لزوجها . فتحرج هذا الفقيه في وكالة أمّه و استشار الفقهاء في قرطبة فنصحه بعضهم بطاعة أمّه و يتوكل لها على والده ، لأن مبرّة الأم تأكد الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة ،قال :" قالوا يا رسول الله من أبرٌّ؟ قال ﷺ **" أمّك ، قال ثم من؟ قال أمّك ، قال ثم من ؟ قال أمّك ، قال ثم من ؟قال أباك ، قال ثم من؟ قال الأدنى فالأدنى".** [1]

ومن تداعيات وقوع الطلاق تطرح مشكلة حضانة الأطفال و مدى أحقية كل من الزوجين في تلك الحضانة. وتذكر النوازل العديد من الحالات منها : رجل طلق امرأته وله منها ابنة تركتها عند والدتها و تزوجت من آخر. و مكثت الابنة معها حوالي خمسة أعوام ،و عندئذ أراد الأب أخذ ابنته فرفضت والدتها . ولجأ الأب إلى القضاة و أهل الفتوى. [2] و تشير نازلة أخرى أن الزوجة بعد طلاقها ،كانت تترك ابنها وابنتها غالبا عند أمها. و في حالة زواجها مرة أخرى كان الأب ينفق على ابنه وابنته. [3] و من خلال نوازل ابن رشد ، نازلة في امرأة خلعت بمؤونة الحمل و ما يحتاج إليه ما تصفه من مؤونة حتى فطامه فتحرم منها . [4]

و قد تتفاقم المشاكل و عدم الثقة بين الزوجين حتى يصل الأمر بينها إلى اللّعان.[5] و أول من لاعن زوجته بالأندلس هو ابن الهندي القرطبي[6] في عهد القاضي ابن السليم فأرى الناس العمل في اللعان بالعيان، و لاعن زوجته بالجامع في قرطبة في سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة 388 هـ/ 998 م، فعوتب على ذلك و قيل له مثلك يفعل ذلك ؟ فقال : أردت إحياء السنة . [7]

كما سئل ابن لبابة عمن قال لزوجته أن حملها ليس منه هل يستوجب اللعان . مثلما شأن المرأة التي طلب زوجها بنفقة حملها منه بعد مبارأته إياها , وأنكر هو أن يكون الحمل منه . [8] و ربما تردد الإفتاء باللعان في حالات متكررة في المجتمع

---

[1] ابن ماجة ،صحيح سنن ابن ماجة ، رقم 2966، ص 213.

[2] ابن رشد ، فتاوى، مسألة 58، ص 295، و مسألة 79،ص339، الونشريسي، المعيار ، ج 4،ص 417.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، صور من المجتمع الأندلسي ،ص22.

[4] ابن رشد، فتاوى، ،مسألة 59 ،ص 297.

[5] انظر ملحق اللعان، رقم 9؛ الونشريسي، المصدر السابق ، ج 5 ،ص 68، 69.

[6] هو أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بابن الهندي . القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،ج 2 ،ص246

[7] عياض، نفس المصدر، ج2، ص 299 ؛ ابن بسام، الذخيرة ، ج 1 ، ص 364؛ ابن سعيد، المغرب ،ج 1 ،ص217.

[8] ابن ورد ، أجوبة ، مسألة 76 ،ص 131؛ الونشريسي، المصدر السابق ، ج4 ، ص68 ؛ و. ج 5 ص70 ،71 ؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام ، ج 1 ص 20.

الأندلسي نظرا لانتشار الزنا و لكثرة الفسقة من العوام .[1] أما آخر لعان في الإسلام ، فقيل حدث في الأندلس و بالتحديد في قرطبة عام 388هـ/ 998 م لما لاعن " ابن عات" " ابن الرُندي". فلما عوتب عن ذلك ؛ قال: أردت إحياء سنة اندثرت. و لاعن لزوجته بحكم صاحب الشرطة المسمى ابن الشرقي. .[2] و كانت ملاعنتهما في المسجد بقرطبة. و قال عنه القاضي عياض هو آخر لعان في الإسلام.[3]

وبعد إتمام الزواج وبناء الأسرة الجديدة في الظروف العادية و دون مشاكل أسرية تستدعي الانفصال ، تأتي الأحداث السعيدة للأسرة شأنها شأ الأسر الإسلامية و أهل الذمة على حد السواء، بمجيء المولود الأول وتزداد الفرحة إذا كان المولود ذكرا عند عامة الأسر. فتقام حفلة السابع أو العقيقة كما يحتفل بالأم و تقدم لها الهدايا ، وتجهز أنواع من المأكولات و الفواكه والحلوى على حسب مستوى الأسر .[4] ؛ إلا أن هذه العادة تختلف عند بني زيري فالأمير عبد الله الزيري يصرح أنه يفرح بالأنثى بكرا أكثر من الذكر.[5]. و قد سجلت النصوص الفقهية و الشعرية معلومات مفصلة عن الإجراءات التي تتخذ لحماية الطفل الرضيع و الصبي(ة) الصغير(ة) و الفتاة من التأثيرات الضارة.[6] و تشير أن حنو الآباء على بناتهم كان منقطع النظير ؛ فأبي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي ،من مرسية و المعروف بابن سكرة ،عندما خرج غازيا إلى كتندة ، أوصى أن لا تفطم ابنته فاطمة التي قاربت الفطام من بعده، لكي لا تتضرر بجمع الفطام وفقدانه، و استشهد هذا الأب في هذه الغزوة بعد أن أبلى فيها بلاء حسنا و ضرب أروع مَثل في الشفقة لبنته ، و التي لما كبرت أصبحت إحدى عالمات الأندلس .[7]

---

[1] الونشريسي، المعيار ،ج4، ص 72.

[2] الونشريسي ، نفس المصدر ، ج 4 ص 76

[3] الونشريسي، نفسه، ج4، ص76

[4] provençal : hist,t 2 ,p 103. ؛ عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني**، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي،لبنان، 1408ه/ 1988م، ص 332.

[5] كتاب التبيان، ص 199.

[6] ابن رشد ، فتاوى، مسألة 58، ص 295، و مسألة 79،ص339، الونشريسي، المصدر السابق ج 4،ص 417 .

[7] ابن عبد الملك **الذيل و التكملة** لكتابي الموصول و الصلة ، السفر 8، القسم الأول ، ،ص 489. عن هذه الابنة الصالحة انظر: الفصل الرابع.

2- الوضعية الأسرية و الاجتماعية للمرأة الكتابية (أهل الذمة)في الأندلس.

تتضمن المصادر الفقهية و التاريخية معلومات هامة فيما يخص أوضاع طائفة أهل الذمة و تعايشها مع المجتمع المسلم، إذ شاع في المجتمع الأندلسي زواج المسلم بالمرأة الكتابية النصرانية و الذي عرف بالزواج المختلط ، إلا أن هذا الزواج طرح عدة تساؤلات و شكل انشغالات الفقهاء في مسألة تسجيل عقد زواج الكتابية [1] و من أحق بذلك، أهل دينها، أم تشريعات زوجها المسلم؟ [2] و عن حياتها الزوجية و تربية الأولاد و عن عدة مسائل فقهية و أخلاقية أخرى ... و سعى أصحاب الوثائق والعقود إلى و ضع صيغة نموذجية يعتمدون عليها. [3] وقد ضمت وثائق ابن العطار للقرن4هـ/10م أحكام فقهية فيما يخص المرأة النصرانية و كذلك أحكام متعلقة بالمرأة المجوسية إذا أسلمت و هي ذات زوج ، و نصت الأحكام على انقطاع عصمة زواجها من أهل الذمة و تجرى عليها الأحكام الإسلامية لا النصرانية ولا اليهودية و لا المجوسية [4] .

و صدرت في هذا الشأن فتوى لابن العطار في زواج المجوسي الذي أسلم في تحريم زوجه المجوسية عنه ،امتثالا للشريعة الإسلامية. و هذا ما يؤكد حرص العلماء في تجسيدهم للفقه الإسلامي من جانب ،كما يوضح طواعية حديثي العهد بالإسلام الامتثال لأحكامه من جانب أخر . و لكن في الواقع المعاش ، ارتبط الرجل الأندلسي المسلم بالمرأة الأندلسية النصرانية (كتابية)، حرّة كانت أم أمة، ارتباطا وثيقا عن طريق الزواج أو التسري . وأصبح هذا النوع من الزواج عادة منذ زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير ، و سار على نهجه قواد الجند و أصبح واقعا يضغط بثقله على المجتمع. [5]

وما لبث هذا الزواج المختلط أن انتشر بين مختلف الفئات من راع و رعية مما وسع من رقعة آثاره الاجتماعية و الثقافية . واهم مظهر لذلك ازدواجية لغوية يومية

---

[1] انظر ملحق رقم 7،

[2] ابن العطار ، كتاب الوثائق ،ص414 ؛ علي ساسي، المرجع السابق،ص ص 335، 336

[3] ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج 1، ص 100 ؛ بوتشيش، **محطات في تاريخ التسامح بين الأديان بالأندلس** ، مجلة دراسات أندلسية، تونس ،عدد 31، سنة 1425هـ/ 2004م. ص 78.

أحمد شحلان، **الحياة العامة في أندلس عصر الوسيط**،،مقال ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح ، تنسيق عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء ، مطبعة الأمنية، ط 1، 2003، ص204

[4] ابن العطار، كتاب الوثائق و السجلات، ،ص 414 ؛ ساسي علي، المرجع السابق، ص335، 366.

[5] انظر الفصل الأول

مزجت بين العربية و اللطينية أو فيما عرف بـ "الرمنثية" التي أسهمت في تمتين عرى التواصل بين المسلمين و أهل الذمة عامة. و لجأ الفقهاء إلى تأليف كتب في الوثائق و العقود ضمنت صيغا من عقود نكاح الكتابية و تأكد أن العقد في هذه الحالة لا يختلف عن عقد المسلمة.[1]

نماذج من زواج المرأة النصرانية في الأندلس:

أجاز الإسلام الزواج بالكتابية عملا بقول الله ﷻ:﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.**﴾ [2] بينما حرم الزواج بغير الكتابية الحرة والمجوسية الحرة لقول الله ﷻ : ﴿ **وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ .[3] ونستخلص من الآيتين الكريمتين السالفتين الذكر أن الله تعالى رخص الزواج بالكتابية المحصنة الحرة وعدم ترخيصه فيه بالمجوسية و إيماء أهل الكتاب لكي يعطي للمسلم فرصة الإشراف على تربية أولاده.[4]. لقد أصبح الزواج بالإسبانيات النصرانيات تقليدا شائعا عند أهل الأندلس، أمراؤهم وخلفاؤهم وخاصّتهم وعامتهم.[5]

و شاعت هذه الظاهرة عند المولدين في الثغور بالأخص و في البيت الأموي بقرطبة ومن أمثلة ذلك،أن موسى بن فرتون بن قسي[6] الذي تولى حكم "برجة" " Borja

[1] الجزيري(علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي)، **المقصد المجمود في تلخيص العقود** ،تحقيق فايز بن مرزوق بن بركي السلمي ، أطروحة دكتوراه تحت إشراف محمد نبيل غنايم ،جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،1422ه، مج 1، ص 33.

[2] سورة المائدة: 5

[3] سورة البقرة: 221

[4] الباجي ، فصول الأحكام، ص364 و هامش 7، ص 365.

[5] راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص 49، 50، سلمى الشعيري، المرأة في الأندلس، ص 28.

[6] " بنو" قسي":Cast " تعريبا للإسم اللاتيني. Cassius أسرة قوطية الأصل تنتسب إلى جدها الأعلى "قسي" " كان قومس أي كونت للثغر الأعلى قبل الفتح الإسلامي للأندلس. أسلم على يدي الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ،و احتفظ بأملاكه في منطقته. و تعاقب بنو قسي على رياسة الثغر الأعلى طول عصر الإمارة الأموية في الأندلس.ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص502 ؛ سحر عبد العزيز ، الجوانب الإيجابية و السلبية للزواج المختلط ،ص 35.

،كان " بالثغر الأعلى ـ حاليا من أعمال سرقسطة ـ [1] و كان متزوجا من أميرة "نبرة"بشكنسية تدعى "أسونة" Assona" و بعد وفاته تزوجها ونقة (أينيجو ارتسيا Inigo Aviat-) أمير نبرة أي بنبلونة النصرانية – pampalona) وعلى هذا كانت توجد علاقة بين بني قسي وبين انيجو ارتسيا و كانوا إخوة لأم واحدة و هي " أسونة" ويعرفون في المصادر العربية ببني ونقة، وارتبطوا فيما بعد بالمصاهرة. [2]

أما عن زواج أمراء بني أمية في الأندلس من نساء البشكنس و الجلالقة ممن يقعن في أيديهم سبيا بسبب الحروب المتواصلة والغزوات المتتابعة، انتشر إلى أن اعتبر البيت الأموي بيتا مولدا، وأن كان هؤلاء الأمراء ـ الذين هم في كثير من الأحيان نتاج هذا الزواج المختلط ـ يعتزّون بأصولهم العربية ويتغاضون عن أصولهم الإسبانية.

و إذا رجعنا إلى البيت الأموي منذ تأسيس الإمارة الأموية تصادفنا شجرة عائلية لنساء حكام بني أمية اللائي كن في معظمهن إسبانيات غير عربيات و البعض غير مسلمات، فعبد الرحمان الداخل كان له من الولد 11 من الذكور و 9 بنات. [3].

وأمّ ولده هشام الرضا بن الأمير عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) كانت جارية إسبانية اسمها "حورا" [4].، وأم الحكم الربضي بن الأمير هشام الرضا ، كانت أم ولد اسمها " زخرف [5] أهداها قارلة بن بليان الرومي لأبيه عبد الرحمان الداخل عند مسالمته له.و كان له 21 بنت. وأم عبد الرحمان الأوسط اسمها "حلاوة". [6] كما كان لعبد الرحمان الأوسط العديد من الجواري الإسبانيات.بعضهن كن أمهات أولاده . ومن جواريه الشهيرات: "طروب" أم عبد الله.. و"مجد" والشفاء" أم المطرف،

---

[1]. أو الثغر الأقصى هو المنطقة الشمالية للأندلس حتى جبال البرتات.كانت سرقسطة قاعدة هو الثغر الذي كان يضم مدن "وشقة" و "تطيلة" و "الاردة" و "طركونة" و "طرطوشة" و غيرها، وكان الثغر الأعلى يمثل إقليما مهما. فهو المركز الدفاعي المتقدم في واجهة إسبانيا النصرانية خاصة مملكتي البشكنس و أراغون. العذري ، نصوص عن الأندلس، ص24؛ كمال السيد أبو مصطفى ،تاريخ و حضارة الأندلس، هـ 2/ص77.

[2] " ونقة" أو ينيجو أريستا ذكره ابن حيان أنه هو الذي أسس مملكة "نبرة" ـ عقب انتهاء الحكم الإسلامي بها (183هـ/798م). توفي وترك ثلاثة أبناء كانوا يلقبون بألقاب الإمارة في نبرة أو بنبلونة،وهم: "ونقة بن ونقة" و" غرسية " و " فرتون"و هم إخوة لموسى بن فرتون بن قسي من الأم "أسونا". ابن حزم، جمهرة الأنساب ،ص 502؛ ابن حيان،المقتبس، تح مكي، ص146 ؛العذري، المصدر السابق، ص 29، 30.

[3] ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،مج5 ،ص280.

[4] الحميدي،جذوة المقتبس ص 15؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تح العربي، ص38؛ ابن حزم ، رسائل ،ج2 ص 192، و تسمى "جمال" عند ابن عذاري، البيان، ج2 ، ص61.

[5] الحميدي ، المصدر السابق، ص 16 ؛ ابن حزم ، رسائل ، ج2 ص 192.

. [6] الحميدي ، نفس المصدر، ص 17؛، ابن حزم، رسائل، ج2 ،ص 192 ؛ الضبي، بغية ،ص19 ؛ ابن عذاري، البيان، ج2 ،ص 68 .

و "متعة" و "قلم " أم إبان و "اعتزاز" أم المغيرة . وكان له من الولد 50 ولد و 50 بنت. [1]

و كانت أم الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الأوسط أم ولد اسمها "عشار" ،أو اسمها "أشار":. ، وقيل "بهار" [2]. وكانت أم الخليفة عبد الرحمان الناصر أم ولد رومية اسمها " مزنة" " مزينة" . وكان هو نفسه حفيد أميرة نبرية الأصل كانت أم ولد للأمير عبد الله تعرف باسم "ونقة" أو" أنيجة" (Iniga) بنت فرتون غرسية الأنقر(Fortun Garces) حفيد أنييجو أريستا، وعرفت في المصادر العربية باسم " دُر". [3].

كانت " طوطة" (Dona Toda) "ملكة البشكنس" والوصية على عرش نبرة (ت 349هـ-960م) عمة الخليفة عبد الرحمان الناصر عن طريق جدته "دُر"، إذ أن أباه محمد كان أخا لها من أمه. وكانت "دُر" المذكورة وهي نفسها أنيجة (Iniga) بنت فرتون، قد تزوجت في صباها من أمير نبري هو إثنار سانشت، وأنجبت منه "طوطة" التي أصبحت وصية على عرش نبرة. [4] ثم تزوجت "أنيجة " بعد ذلك من الأمير عبد الله جد عبد الرحمان بن محمد الذي سماها درّ".وأنجبت من عبد الله ابنه محمد والد عبد الرحمان الناصر، بمعنى أن الأمير محمد والد الناصر كان أخا لـ "طوطة" من الأم، فهي لذلك عمة عبد الرحمان الناصر. [5] و هذه الرابطة الدموية هي التي تشيد بها بعض الكتابات الأجنبية مثل" ليفي بروفنسال " و ويمجد عهد الخليفة الناصر و ابنه الحَكم.

كانت كذلك أم الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمان الناصر، أم ولد إسبانية الأصل اسمها "مرجان". [6] أما هشام المؤيد بالله بن الحكم فكانت أمه السيدة " صبح" أم ولد بشكنسية نصرانية. و أنجبت له ولده هشام المؤيد في سنة 354هـ/965م. كذلك كانت أم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد

---

[1] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس،ص117؛ ابن الأبار، الحلة،ج1 ،ص 114 . ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 2 ،ص93؛ المقري، نفح ،ج 1 ،ص350؛ و عدد بناته 45 بنتا عند ابن حيان في المقتبس تح مكي، ط 1971، ص164.

[2] الحميدي، جذوة المقتبس ، ص 18؛ الضبي ، بغية ، ص20؛ ابن عذاري، البيان ،ج2 ،ص120.

[3] الضبي، المصدر السابق، ص21؛ ابن الخطيب، الإحاطة ،مج3، ص460 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق،ج 2،ص 156.

[4] ابن حيان، المقتبس، ج 5، ص402؛ ابن عذاري، المصدر السابق ،ج 2،ص 156؛ المقري، نفح الطيب ،ج 2 ،ص 156.

[5] و كان لعبد الله هذا 11 ولد و 13 بنت. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 2 ،ص 120،121.

[6] الحميدي ، المصدر السابق ، ص19؛ وتسمى"مرجانة" و اسماها " مرجان الرومية" عند ابن حيان ،المقتبس ،ج 5 ص10،13.

الرحمان الناصر أم ولد اسمها " مُزنة " [1] ومن بين أمهات خلفاء بني أمية في الأندلس، إسبانيات الأصل،" ظبية "أم سليمان المستعين ، و"غاية "أو "غادة" " أم المستظهر بالله . و "حوراء" أم المستكفي بالله و"عاتب" أم المعتد بالله. [2]

وفي بعض الظروف السياسية، قدمت بعض النساء النصرانيات الحرائر كهدايا و عربون سلام بتزويجهن من المسلمين، ومنها تقديم ملك ليون في القرن العاشر ابنته البكر هدية إذعانا للسلطة الإسلامية(و منهن بعض نساء المنصور محمد بن أبي عامر، الذي هابته ملوك النصرانية، و وادعته ابتغاء مرضاته وسلمه ، أهديت له " **تيريسا"** (Teresa) بنت ملك ليون" برموده" الثاني (Vermudo) الذي أهداها والدها للمنصور في سنة 382هـ/ 992م مبالغة في خطب وده. فتسرى بها المنصور ثم أعتقها وتزوجها.[3] كما أهداه شانجة غرسية (Sancho Garcés Abarca) ملك بنبلونة، ابنته التي عرفت في المصادر العربية باسم **"عبدة"** بنت شانجة النصراني فتزوجها المنصور وحسن إسلامها [4] كما أن المستكفي تزوج بأمة نصرانية حبشية و اسمها **"سَكرى"** الموررورية و هي أمّ الأديبة "ولادة" [5]

أما في عهد ملوك الطوائف فقد استمر هذا النوع من الزواج المختلط وأحسن مثال على ذلك بيت بني عباد في إشبيلية ، و قيل أن المعتضد بن عباد كان كلف بالنساء و عدد في أجناسهن، فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد نظرائه. و كذلك انطبق أمر على ابنه المعتمد الذي امتلك ثمانمائة امرأة من أمهات الأولاد و جواري المتعة و إماء الخدمة. [6]
أما مجاهد العامري ، فأمّه نصرانية وكذا خالته و فضلتا البقاء على دينهما وحتى زوجته أم ولده علي بقيت على النصرانية. [7]
و كذا في دولة بني نصر فأم الأمير أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل نصرانية الأصل و تسمى "علوة".و استمرت هذه الظاهرة بشكل واسع و خطير في

---

[1] الحميدي، جذوة المقتبس ، ص 21، 22؛ ابن حزم، رسائل ،ج2 ، ص 193؛ الضبي، المصدر السابق ، ص 24.

[2] الحميدي ، المصدر السابق ،ص22، 24.،27، 28؛ الضبي،بغية الملتمس ،ص 31،30؛ ابن عذاري ، البيان ،ج 3 ،ص 135،91، 140.

[3] ابن عذاري ، نفس المصدر، ج 3ص 39؛ Dufourcq : op.cit, p132,134. Provençal ,hist, t1,p209.

[4] ابن الأبار، الحلة ،ج1 ص 128؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 3 ،ص34؛ ابن الخطيب ،الإحاطة ،مج 2 ،ص 104 Provençal , hist, T1, p 291.

[5] ابن حزم ، رسائل ،ج2 ، ص 69؛ ابن بسام، الذخيرة،مج1، ص 270؛ ابن سعيد، المغرب، ج 1 ، ص 55.

[6] ابن عذاري، البيان ، ج3، ص 272، 273؛ ص293، ص313؛ عنان ،دولة الطوائف ،ص156؛ رجب، العلاقات، ص 296.

[7] ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ص 221؛ عنان ، دولة الطوائف، ص 195

هذه الدولة ، ومن ذلك زواج أبو الحسن بن نصر من "إيزابيلا الإسبانية أو "ثريا" النصرانية وهي ابنة القائد الأسباني:"سانشو كمنيس دي سوليس..[1] و حذا حذوهم الوزراء والقادة والشعراء و الأدباء و الكتاب و منهم العلامة عبد الرحمان بن خلدون الذي تزوج جارية رومية تدعى هِند [2]. إن هذه الأمثلة ما هي إلا فيض من غيظ ، وإن كان انتقاء البعض منها ينطبق على الحكام و بعض الأمراء فقد تعدى انتشارها للقادة و الجند و بين عامة الأندلسيين تبعا لهم، وصف منقطع النظير إلى غاية سقوط الأندلس .

و كان أخطر ما في الزواج بالنصرانيات، ما كان من بنات أمراء النصارى وملوكهم الشديدي الحقد على الإسلام ؛ إذ كونت تلكم الزوجات جبهة داخلية خطيرة ضد الإسلام تنخر همم الرجال وتفت في عضد الحكام والقواد و تدفعهم بعيدا عن الحق الذي يرضي الله عزّ وجلّ. [3] .. لكن في الواقع الأندلسي كان هذا الزواج بالإسبانيات يواكب زواجهم من المسلمات عربيات أو بربريات . و مما ساعد على انتشار هاتين الظاهرتين، هو تقبل المسلمين لمبدأ تعدد الزوجات و التسري بالجواري و الإيماء كما سبق و قد أشرنا في عقود زواج المرأة المسلمة.

ويحفظ لنا الشعر الأندلسي مغازلة بعض الأندلسيين للمرأة النصرانية. و من الشواهد على ذلك ما سجله التاريخ الأندلسي من زواج بعض الوزراء و الشعراء بالنصرانيات. فهذا الشاعر تمام بن عامر بن علقمة (ت283ه) تزوج من بنت رومانس ـ قمس جنوب إسبانيا زمن القوط ـ والتي تكنيها المصادر العربية بأم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية. و كانت أم الوليد بارعة الجمال ، فما أن رآها تمام حتى علق بها. [4] وكان أعداؤه يعيبونه بزواجه من نصرانية ، فقال فيها أبيات شعرية منها: "

يكلفني العذال على التي أبى الصبر عنها أن يحل محلها [5]

و كلف الشاعر ابن الحداد(ت480ه/ 1087م) بجارية نصرانية سلبت عقله كان يسميها "نويرة". [6] ولم يكن الزواج المختلط وقفا على العرب، فقد اتبعهم في ذلك البربر. ومن الأمثلة الدالة على زواج كبار قادة البربر من سيدات

---

[1]ابن الخطيب ، الإحاطة ،مج 1 ،ص 532 ؛ ذنون، دراسات أندلسية، ص 180؛ شوقي أبو خليل، مصرع غرناطة، ص 68.

[2] ابن الخطيب، ريحانة الكُتاب ،مج2، تحقيق محمّد عبد الله عنان،ص 226.

[3] الباجي، فصول الأحكام ، ص52

[4] و كان من نسله الكثير من الكتاب و العلماء و القضاة منهم الوزير عيسى بن فطيس و ابنه عبد الرحمان المحدث و قاضي الجماعة بقرطبة من (394هـ ـ 395هـ) ابن حيان، المقتبس، تح مكي ، ص 182؛ ابن حزم، نقط العروس ،ص70 ؛ بالنثيا، الفكر الأندلسي ، ص603.

[5] ابن سعيد، المغرب، ج 1 ، ص 144.

[6] ابن بسام، الذخيرة،ج2 ، ص 707؛ ابن سعيد، المصدرالسابق ،ج2 ،ص144، 145؛ سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص132

وأميرات إسبانيا المسيحية، شأنهم في ذلك شأن العرب الفاتحين، زواج مونوسة القائد البربري الشهير وحاكم إقليم شرطانية في عصر الولاة (في طليعة القرن الثاني للهجرة) من أخت بلاي(Pelayo) القوطي مرة، ومن مينين بنت إيوديس(Eudes) دوق أقطانية (Aquitania) مرة أخرى، وإن كان جيشار يعتقد أن اسم "مونوسة "كان اسم الشخصين مختلفين وليس لشخص واحد .[1]

و قد يطرح زواج المسلم في حالات استثنائية بامرأة نصرانية أسيرة غير حرة ،عدة تساؤلات على الفقهاء ،ومنها أن رجل مسلم أسره العدو ومكث بأرض الحرب خمسة و عشرين سنة. فتزوج امرأة أسيرة و كان له معها بنت ، ففدى ابنته من النصارى و بعثها لأرض الإسلام ، لكن أخذت في الطريق فأسرت . فخرج والدها لأرض الإسلام وفداها مرة ثانية ،و زوجها ونحلها و لكن مات قبل بناء الزوج بها ... فادعى البعض أن زواجها ونحلتها لا تصح لأنها ولدت في أرض حرب وهي بنت زنى.[2]

ومن دلائل شيوع الزواج بالنصرانيات ،و ما جعل الموضوع خصبا هو ما ورد في كتب الحسبة :"انه يؤجل الرجل المريض الممنوع من ماله أن يتزوج ما دام مريضا مسلمة و لا ذمية.".[3] و تذكر إحدى النوازل أن رجلا تصدق على زوجته النصرانية بدار بشرط على أن تدخل الإسلام فأسلمت .[4]. كما تذكر نازلة في حق مرتد ، أن رجلا تنصر وتزوج في أرض العدو بامرأة نصرانية أقام معها سنتين ،ثم عاد الإسلام و أسلمت معه في زمن واحد وخرجا إلى بلاد الإسلام .[5] وهذا ما يوحي أن تعلق البعض بالنصرانيات كان واقعا حتى في أرض العدو. و ربما تكررت هذه الحالات للمقيمين في أرض العدو و لم تذكرها المصادر العربية.

كما نصت فتوى في صبيين مسلمين توفيت أمّهما ، و أم الأمّ نصرانية (أي الجدة) . ما نصه :"فهمنا وفقك الله ، ما كشفت عنه من أمر الصبين اللتين توفيت أمّهما، و تركت أمّا نصرانية، و للصبين جدة لأب نصرانية أيضا . والذي يجب فيه أن الحضانة للأم النصرانية و هي أحق من الجدة للأب و لو كانت مسلمة".، و

---

[1] Guichard :opcit,p 106.

[2] الونشريسي، المعيار ، ج3 ،ص 168 .

[3] (أبو عبد الله) السقطي ، **كتاب أدآب الحسبة**،تحقيق ليفي بروفنسال و كولان، باريس، إرنست لروا،(دت) ، ص 82 ؛ أحمد شحلان، الحياة العامة في الأندلس ص. 205 .

[4] (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) البرزلي، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام**، ج6، تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ، ط 1، 2002م ،ص 97؛ إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون و سياسية التسامح، ص 33.

[5] ابن سراج ، فتاوى ،مسألة 73 ، ص140 .

هكذا أفتي أن الحضانة تكون لأم الأم النصرانية و إن كانت أم الأب مسلمة.[1] و هذه الفتوى تعمل على تطبيق النص الشرعي في حضانة الأطفال بغض النظر على الممارسة الدينية للأم. ويبدو أن رغم تحذيرات الفقهاء من التعامل مع المستعربين ، إلا أن الأمر لم يكن كذلك،فقد تم الاختلاط بين الطرفين ؛ وإن دعوة رجال الحسبة بتجنب الاختلاط معهم لم يمثل إلا الجانب النظري ، أم الواقع فقد ظهر عكس ذلك.[2]

و في رحاب هذا القضاء وجد أهل الذمة من نصارى و يهود ،على حد السواء من وجوه العدل والإنصاف و البر و الإقساط ما تحقق لهم به النصح لهم في دينهم و دنياهم مشمولين بالأمان والتأمين.[3] وما هذه الشواهد إلا مقتطفات من واقع لنساء أهل الذمة في الأندلس التي استمرت على مدى التاريخ الإسلامي للأندلس. و تظهر نتائج هذا الزواج في الحياة اليومية من اندماج هذه الفئة مع السكان في الحياة الاجتماعية و الأنشطة الثقافية و العلمية و الاقتصادية. فإن كانت هذه نماذج استدلال على - تفادي- التعصب الديني بين المسلمين و المستعربين و اندماجهم في المجتمع الأندلسي فهذا لا ينفي وجود بعض الحالات المحافظة و المتعصبة ،و من أشهرها الفتيات اللاتي دفعهم رجال التعصب الديني الانضمام لما سموه - بحركة الاستشهاد - حسب اعتقادهم و اعتبرت من المنظور الإسلامي حركة ردة للمسلم و عملية انتحارية للنصارى. و اشتدت هذه الحركة في الردة و التنصير و مهاجمة المسلمين في دينهم قبل إعلان الخلافة الأموية في فترة ضعف للسلطة المركزية.[4]

قصة الفتيات النصرانيات

عرفت تدرجا و تطورا خطيرا نظرا لاستماتتهن و تمسكهن بموقفهن حسب ما أوردته الكتابات الأجنبية و في مقدمتها قصة "فلورا" ؛التي يحكى فيها أنه ، كانت في قرطبة فتاة شابة رائعة الجمال تدعى "فلورا"، نشأ بينها و بين" أيولوج" حب روحي عجيب. وكانت " فلورا" نتيجة الزواج المختلط ابنة رجل مسلم و أم نصرانية ، فاعتبرت فلورا مسلمة. و مات أبوها شابا و هي مازلت طفلة ، فنشأتها أمّها على النصرانية مع أختها "بلديجوتون" (Baldegatone") ،أما أخوها

[1] عبد الوهاب خلاف ، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ، ص 86 ؛ أحمد شحلان، الحياة العامة في الأندلس ص. 205 حسن الوراكلي ، **فضاء التواصل الحضاري بين المسلمين وأهل الذمة** ، ضمن ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس و مظاهر التسامح ، تنسيق عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء ، مطبعة الأمنية، ط 1، 2003. ص493، 494

[2] بوتشيش، المرابطون و سياسية التسامح مع نصارى الأندلس، ، ص 31،30.

[3] حسن الوراكلي ، فضاء التواصل الحضاري بين المسلمين و أهل الذمة ،ص 492.

[4] عمر بن نميرة، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، ص 57.

فكان مسلما مثل أبيه.[1] و نظرا لازدياد المشاكل اجتماعيا تمزقت أواصر العائلة . ونتج عن ذلك عدم ذهابها إلى الكنيسة نظرا لمراقبة أخيها لها لكنها جهرت يوما ببعض تعاليم النصرانية و منها:" كل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات. و من ينكرني قدام الناس أنكره قدام أبي الذي في السماوات" .[2] و غادرت البيت مصطحبة أختها التي ربما كانت تشاطرها عواطفها حسب بعض الروايات، لتعيش علانية مع النصارى دون إذن أمّهما.

و في محاولة أخيها البحث عنها دون جدوى ، اتهم بعض رجال الدين و ضيق عليهم في المعابد، فرجعت "فلورا" إلى أهلها معلنة أنها نصرانية ، و لم تكن مسلمة من قبل. فحاول أخوها تغيير رأيها باللين مرارا ثم بالشدة ولما استعصت عليه عرضها على القضاء على أنها كانت مسلمة . و أفهموها أن عقوبة المرتد القتل في الإسلام ، ولم يحكم عليها بالإعدام ، إنما عوقبت بالجلد لأن ردتها لم تثبت. و لما خفت جراحها فرت من البيت ليلا و لجأت إلى دار أحد معارفها النصارى و هناك تعرفت على أيولوج الذي وطأ علاقته بها معجبا بحماسها.

وبعد فترة عادت إلى البيت و أثنائها تعرفت على فتاة اسمها" ماري" Marie * وهي راهبة في أحد أديرة قرطبة تحمل نفس الفكرة ، و أقسمت كل منهما ألا تفارق الأخرى ما عاشتا .و قررت الفتاتان الذهاب إلى القاضي و تسليم أنفسهما ، وصرحت " فلورا" أنها أنكرت المسيح تحت التهديد و أنها ولدت من أصل عربي- ربما إيحاء للقاضي أنها مرتدة عن الإسلام-. و أنها كانت مصابة بظلامية الجهل باتباعها دين أبيها ...و حبيسة أخطاء العرب واعترفت بألوهية عيسي و إنكار أخيها- بأنه كافر حسب معتقدها هي...- وأفصحت عن نواياها الحقيقية ،بمهاجمة الرسول ﷺ " بحجج ذكية"داخل المحكمة ويبدو أنها كانت على دراية بأن حكم المرتد عن الإسلام هو قتل ، لذلك كانت مصمم على ذلك.[3] .

---

[1] دوزي، المسلمون في الأندلس ،ج 1 ، (المسيحيون و المولدون) 1994، ص 90.
Norman Daniel : **The Arabs and Mediaeval Europe**, Longman, librairie,1986 pp 26,27 .

[2] دوزي، المرجع السابق، ج1 ،ص 91. Norman Daniel, ibid , pp 25,26 .

* هي أخت أحد رهبان الدير الستة الذين ضحوا بأنفسهم أسوة بإسحاق و الذين ذهبوا من تلقاء أنفسهم إلى القاضي للنيل أمامه من الرسول ﷺ ،و انتهى الأمر بقتلهم. دوزي، المسلمون في الأندلس ، ج 1، ص109.

[3] (أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسري الجياني) ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام و قطر من سير الحكام** ،تح يحي مراد ، القاهرة ، دار أ الحديث ، 1428- 2007م، ص707؛ دوزي ، المرجع السابق، ج1، ص 109، 110؛ غنيمة أحمد، **حركة شهداء قرطبة خلال القرن الثالث الهجري –التاسع ميلادي**، مقال بمجلة الآداب و العلوم الانسانية ، العدد 4،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ،1425ه/ 2004، ص 117، 118.

أما "ماري" فأعلنت أنها أخت الشهيد ، و أنها تتبع نهج أخيها في إدانة الدين الإسلامي .و لما رأى القاضي عناد الفتاتان المصممتان على رأيهما و كأنهما يستفزانه ، أودعهما السجن . وفي شأنهما كتب "ايولوج" وثائق عن شهادة استشهادهما ، منها أن القاضي أمرهما بالبغاء ، و هذا من المستحيل أن يصدر عن سلطة القاضي التي تراعي دوما تعاليم الشريعة الإسلامية ، إنما يبدو هذا الحكم صادر من خيال مريض و متعفن يهدف إلى تأجيج العواطف. وفي الأخير أصدر القاضي حكم الإعدام في حقهما. (في جمادى الأولى 237ه/ 24- 11- 851م) [1].

و كانت في قرطبة فتاة تعرف باسم ليوكريتيا - Leocirtia- ولدت من أبوين مسلمين إلا أنها تلقت في الخفاء أسرار الديانة النصرنية على يد راهبة من أسرتها ،وانتهى بها الأمر بمصارحة أبويها . ثم اتصلت بأيولوج و أصبحت صديقة أخته "أنولون" و كان يعلمها في بيته سرا، و يبدو أنها أحيت في قلبه ذكرى "فلورا"، فوعدها بإخفائها حالمة في الإفلات من أهلها ، فلا يعلم بها أحد. و لما نضجت الفكرة لدى الفتاة فرت من أهلها ، و أخفاها" ايولوج " مع أخته عند صديق لهما . [2].

و سعى أبويها في البعث عنها بمساعدة الشرطة فلم يعثروا عليها. وفي إحدى الليالي ذهبت إلى دار أيولوج ، ولما تأخرت اضطرت إلى المبيت ،إلا أن أمرها افتضح من طرف أحد العيون الذين يبحثون عنها و الذي أخبر الشرطة ،و إثرها تم إلقاء القبض على أصحاب البيت .و لما سأل القاضي أيولوج على فعله ، أجابه ": أن من واجبي تعليم من جهل ... كما كنت أود أن أفعل معك نفس الشئ... " و لو طلبت أنت أيها القاضي ما طلبته هذه الفتاة ما قصرت إزاءك..." [3] وكان ايولوج قد انتخب رئيس أساقفة طليطلة و على وشك أن يكون رئيس أساقفة إسبانيا ، لولا الظروف السابقة الذكر التي دفعته إلى الاستشهاد .

وعموما تبدو شخصيته غامضة فقال عنه :دنيال نورمان: "كان شجاعا متواضعا محسنا عفيفا ،و كان يمقت الزواج كما يصف ذلك بدقة ، و يتزوج من جهة أخرى ويبحث عن الرهبنة في وسط الشهوة و الرغبة ،ربما لم يجد سبيلا إلا الزواج". [4] و هذه هي الرهبانية المبتدعة ما كتبها الله عليهم حيث قال فيهم ﷻ **﴿ ورَهْبانِيَةً ابْتَدَعُوهَا ما كَتَبْناها عَليْهِم إلا ابْتِغاءَ رِضْوانَ الله فَما رَعَوْها حَقَ رِعايَتِها. ﴾** [5] فقد حرم رجال الدين النصارى الزواج الشرعي على أنفسهم

---

[1]دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج1، ص111. . Norman Daniel : Opcit, pp 23,26

[2] دوزي ، المرجع السابق ، ج1، ص124، 125. .Norman Daniel, , Opcit , p 29

[3] دوزي : نفسه ، ج1،ص125، 126؛ غنيمة أحمد، المرجع السابق ،118.

[4] Norman Daniel , Opcit , p 39 .

[5] سورة الحديد، الآية 27.

لكنهم اتخذوا الخليلات . و لذا حذرت كتب الحسبة [1] النساء النصرانيات من دخول الكنائس في غير أيام الأعياد ، ونهيك عن تحذيراتهم الشديدة للمسلمات لما يقع من تآلف بين النساء و التأثير على المسلمات المولدات بوجه خاص. و عموما إن هذا الإنتحار هو ما سموه(بحركة الإستشهداء) و تعبيراتها الأدبية نشأت في وسط التوتر النفسي والاجتماعي ، و من هذا التوتر انبثقت المواقف النصرانية الغربية تجاه الإسلام ، لتشكل جوهر العداء الغربي لمدة زمنية طويلة متخذة من المرأة النصرانية مطية .[2]

الوضعية الأسرية و الاجتماعية للمرأة اليهودية في الأندلس :

ظلت سلطة اليهود و قضاؤهم و مقاليد أمورهم الدينية الخاصة بهم بين أيديهم . فقد جرت العادة أن تعين السلطة رأس الجالوت أو "الناسي" أو شيخ اليهود للقضاء في أمورهم و بتشريعهم. و هذا الشيخ يمثل الواسطة بينهم و بين السلطة المدنية التي حددت قواعد معاملتهم وفق التشريع الإسلامي لأهل الذمة. [3]

أما نظرة الشريعة اليهودية إلى المرأة ، يقول عنها الحبر اليهودي بابا بترة: "ما أسعد من رزقه الله ذكورا، وما أسوء حظ من لم يرزق بغير الإناث"، إذن فهي نظرة احتقار وصغار. ولا يسمح اليهود للمرأة بالالتحاق بالمدارس الدينية، و اعتبروها نجسا دينيا وهي في شريعتهم خفيفة عقل وقد جاء على لسان الحاخام أليعازر: "كل من يعلم ابنته التوراة، فكأنما يعلمها السخافة". [4] ومهمة المرأة تقتصر عندهم على الإنجاب وتأدية مهام البيت وتربية الأطفال وإذا تزوجت، وكان لها خدم في بيت أبيها، وأحضرتهم معها إلى بيت زوجها فعندئذ يمكن أن تعفى من

---

[1] ابن عبدون، الرسالة الأولى في الحسبة ،ص 48، 49.

[2] Norman Daniel ,Opcit ,p38,39. ؛ غنيمة أحمد، حركة شهداء قرطبة ، ص120، 121.

[3] عبد الله بن بلقين ، كتاب التبيان، ص 131؛ أحمد شحلان ،الحياة العامة في الأندلس عصر الوسيط ، ص186؛ محمود مكي، **التسامح الإسلامي ،الأندلس نموذجا** ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط2، 1999، ص61..

[4] علي حسن ديب ، **المرأة اليهودية بين فضائح التوراة و قصة الحخامات**، دمشق ، صفحات للدراسة و النشر،، ط 1، 2007، ص95، 99، 103.
عبد المنعم جبري، **المرأة عبر التاريخ البشري**، دمشق، صفحات للدراسة و النشر،ط 2، 2009، ص82 ، 83. كواتي مسعود ، **اليهود في المغرب الإسلامي**،الجزائر ، دار هومة ،2000، ص 132.
مسعود كواتي ، نفس المرجع، ص132؛ خلد يونس الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس**، الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة و الإعلام ، ط 1، 2002، ص323.

بعض الأعمال. ولكن مهما كان عدد الخدم الذين أحضرتهم معها، فهي ملزمة في بعض الأشغال . ويعد المشرع اليهودي المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون بحيث لا يجوز لها البيع والشراء.[1]

إن تشدد الشريعة اليهودية تجاه المرأة، و عدم الإفصاح عن دورها و لا حتى الإشارة إلى أسماء بعضها لرغبة في استمرارية إخفاء هذا الجنس ضمن الحريم ، المستغل في الدسائس و التجسس، مما يفسر السرية والكتمان الذي طغى على دراسة هذا العنصر في المصادر التاريخية الأندلسية حيث تكاد تنعدم الإشارة إلى المرأة اليهودية بذكر اسمها أو الأدوار التي أدتها داخل المجتمع الأندلسي .[2]

أما فيما يتعلق بالنوازل الفقهية فالأمر يختلف حيث تم التطرق إلى ما سكتت عنه المصادر التاريخية. وقد اهتمت كتب الحسبة بالنساء الكتابيات و سعت إلى تقييد سلوكهن وفق ضوابط الآداب العامة ، دون أن تنكر حقهن في الاختلاف و البقاء على دينهن.[3] وللعلم فإن هذه المعلومات لا يمكن أن تساهم في تشكيل الصورة الحقيقية للمرأة اليهودية ،مما دفعني إلى توضيحها من خلال الشريعة اليهودية التي تعتبر مصدر التشريع الأولي الذي استمد منه يهود الأندلس نظرتهم تجاه المرأة و طرق معاملاتهم لها.

زواج المرأة اليهودية في الأندلس :

نصت الشريعة اليهودية على أن الزواج فرض من الفروض على كل يهودي مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية، فهو فرض على الصغار والكبار والفقراء والأغنياء والعلماء والجهلاء لأنه يجب عليهم الاشتراك في استبقاء النسل .[4] و في كيفية إتمام هذا الركن تشير الطقوس إلى أن الزواج يستهل بالخطبة - يسمى "الشيدوخين "بالعبرية - و يهيأ لها كل من الأسرتين. و لا يثبت إلا بالهدية أو"سبلانوت" و بمباركة تلاوة " القيدوشين " ويتم رسميا بالصداق الذي يحدده عقد -" لكتوبة"- ، أو النكاح الذي هو "نيسوئين ". و يجرى حفل الزفاف في إيقاع

[1] علي ساسي ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية ،ص 460؛ عمر بنميرة، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية ،ص 65.

[2] حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس و المغرب**، ج 1 ، باريس، ميزو ناف و لاغوز،1996، ،تر.أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة الرباط، ص280،278.

[3] ابن العطار، كتاب الوثائق ، ص412.

[4] لمزيد عن الزواج لدى هذه الطائفة انظر حاييم الزعفراني ، يهود الأندلس و المغرب،ج 1 ،ص 441؛ الأمير عبد الله الزيري ، كتاب التبيان ،ص48؛ ابن عذاري،البيان،ج3 ص 265،264 ؛ ابن الخطيب، للأعلام،ص230 ،231.

من البهجة والسرور بحضور " المنيان "و الحبر و القاضي و عضو من مجلس الطائفة "المعتمد " . و بعد استحمام التطهير "- اطبل - " ترتدي العروس لباس رائع يعرف بـ :" لكسو لكبير" [1] وتتربع على كرسي الزوجية " تلمو ". كما يرتدي الزوج بعد استحمامه كسوة الاحتفال . و تدوم الأفراح أياما و تنتهي بـ " تورنبادو " أو عودة الزوجة من الحمام .[2]

وتحرم شريعة اليهود الزواج من غير اليهود الذين تسميهم كفارا.ويجوز عند اليهود الزواج من بنت الأخ وبنت الأخت، بينما لا يجوز للمرأة أن تتزوج ابن أخيها أو ابن أختها، وحرم كثير من علمائهم زواج بنت الأخ، وهناك شاعر يهودي أندلسي اسمه موسى بن عزرا أحب ابنة أخيه، وطلب أن يتزوجها، لكن أباها رفض ذلك . مما يشير إلى أن هذه المسألة كانت خلافية بين علمائهم في الأندلس، وقد سمح ليهود الأندلس بالزواج على طريقتهم، ولم يعارضوا حتى في الزواج من المحارم وقد جاء في المدونة "قلت أرأيت أهل الذمة إذا كانوا يستحلون في دينهم نكاح الأمهات والأخوات وبنات الأخ أنخليهم وذلك، قال: أرى أنه لا يعرض لهم في دينهم، وهم على ما عوهدوا عليه، فلا يمنعون من ذلك إلا إذا كان ذلك مما يستحلون في دينهم". [3]

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمسلم أن يتزوج من يهودية ،حيث صرح بذلك فقهاء المسلمين، نذكر منهم ابن العطار، الذي قال: "وللرجل المسلم أن يتزوج الحرة النصرانية واليهودية في مذهب مالك" [4] ومع وجود هذه الإباحة، إلا أننا لم نقرأ فيما أطلعنا عليه من مصادر، عن مسلمين تزوجوا من يهوديات في الأندلس، بينما كثرت حالات الزواج بالنصرانيات كما سبق ذكره ، وسبب ذلك في تصوري يعود إلى تحريم شريعة اليهود لتزويج نسائهم من غير اليهود، إضافة إلى المبادئ اليهودية العنصرية التي تجعلهم أكثر ميلا إلى المحافظة على عنصرهم اليهودي من الاختلاط بغيرهم، كما أن صورة اليهود في أذهان المسلمين والتي تكونت من خلال مواقفهم القديمة المعادية للأنبياء وللإسلام، جعلت المسلم لا يميل إلى الزواج من يهودية يمكن أن تصبح أمًا لأولاده.[5]

وقد يتزوج اليهودي امرأة ثانية و خاصة أرملة الأخ الذي توفي و لم يترك ولد. وعلى الرغم من ذلك فلقد وجد من اليهود من عزف عن الزواج، مثل

---

[1] تسمى هذه الكسوة في المغرب باللاتينية traje berberesco وتتكون من خمسة أجزاء. أحمد شحلان، الحياة العامة في الأندلس ، ص 201.

[2] أحمد شحلان ،نفس المرجع ، ص207.

[3] ابن العطار، كتاب الوثائق ، ص 412 ؛ عبد المنعم جبري، المرجع السابق، ص 87، 88. حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج 1، ص280 ؛ خلد يونس الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس ،ص327.

[4] ابن العطار، المصدر السابق، ص410.

[5] خلد يونس الخالدي، المر جع السابق ، ص328

اليهودي الأندلسي إسحاق بن قسطار (توفي: 448ه /1056م)، الذي "لم يتخذ قط امرأة". وبسبب اشتغال كثير من اليهود بالتجارة الخارجية، وعدم اصطحابهم لزوجاتهم في أغلب الأحيان، وغيابهم الطويل عن ديارهم ، كثرت حالات زواج يهود أندلسيين من يهوديات غير أندلسيات حيث تشير وثائق الجنيزة أن يهوديا أندلسيا اتخذ زوجة يهودية من القاهرة ، وآخر اتخذ زوجة من اليمن .[1]

ويبدو أن بعض هؤلاء التجار، كان يترك زوجاته في بلدها، وينزل عندها كلما مرَ بهذا البلد، و يمكن أن نفهم ذلك من رسالة بعث بها تاجر يهودي من الأندلس إلى زوجته في القاهرة يقول فيها: إني أعتزم المجيء إلى الجيتاني،- وهي سفينة يمتلكها تاجر من جيتا (في إيطاليا)- لأن تجار اليهود كانوا يفضلون السفر في البحر على السفر في البر. [2] كما تزوج أشخاص يهود زوجات غير أندلسيات، و هم ليسوا تجارا، مثل يوسف ابن إسماعيل بن نغرله ابن وزير غرناطة ورئيس طائفتها، الذي تزوج ابنة العالم التلمودي الكبير نسيم بن يعقوب المقيم في القيروان.[3] و القليل من التجار من رافقتهم أسرهم معهم ، كدافيد - -شقيق موسى بن ميمون الذي استقر مع أسرته في مصر. و مات غرقا في أحدى رحلاته التجارية إلى الهند . [4]

ومن الإجراءات المتبعة عند اليهود تحرير عقود شرعية ليتم الاعتراف بهذا الزواج، ويصحب هذا العقد بيان كل القطع التي تحضرها العروس معها، إضافة إلى ما يتفق عليه من شروط. [5] والزواج من أكثر من امرأة عند اليهود جائز، ولم يرد في تحريمه نهي لا في الكتاب المقدس، ولا في التلمود ، العكس لدى النصارى . وقد مارسه يهود الأندلس و كان مسموحا في بعض الحالات المعينة. و أريد بتعدد الزوجات الحفاظ على العرف والعادة ، لكنه كثر بين أغنيائهم فقط . وقد وجه سؤال إلى الحبر موسى بن حنوخ في قرطبة (ت:360ه /970م) يبين أن يهوديا يدعى يعقوب تزوج من امرأتين هما "ليّا" و "راحيل". [6] وقد نتج عن تعدد الزوجات مشكلات تتسبب فيها أغلب الحالات الزوجة الأولى. وهناك حالات عديدة طلبت فيها زوجات يهوديات أندلسيات الطلاق وحصلن عليه، و أخذن حقوقهن المنصوص عليها في العقد ، [7] وذلك بالرغم من حبهن لأزواجهن، ودافعهن فقط هو رفض الإهانة التي تراها الزوجة في زواج زوجها من امرأة

[1] Goitein SD :Letters of Jewish Traders, p 316, 317

[2] Goitein SD : ibid , p213,214.

[3] خالد يونس الخالدي ، المرجع السابق ، ص328.

[4] Goitein SD : Opcit, p28 .

[5] انظر العقد عند حاييم الزعفراني ، المرجع السابق، ج1 ص 282

[6] خالد يونس الخالدي، المرجع السابق ، ص 329.

[7] عبد المنعم جبري، المرجع السابق ، ص 88

أخرى.[1] خاصة و أن شريعتهم تسمح بالتعددية مثلما جاء في التلمود:"إنه إذا أساءت المرأة إدارة البيت أو وجد الرجل امرأة أجمل منها فله الحق في أن يطلقها." [2]

وكانت إحدى أهم المشكلات الاجتماعية المتعلقة بموضوع الزواج، هي غياب الأزواج عن زوجاتهم مدة طويلة، وعن ذلك يقول نؤمان: "وعدد لا يحصى من النساء اللائي تركهن أزواجهن، والذين لم يعودوا، أجبرن على البقاء مهجورات، لأنه لا يوجد هناك سبل شرعية لتحريرن.[3] كما أن أحد التجار اليهود استوطن مصر و تزوج بها و لما انتقل إلى صقلية طلب من زوجته الاتحاق به فرفضت مرافقته.[4]

نموذج للمرأة اليهودية في الأندلس :

يبدو أن الشِعْر كان مهما في الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس سواء بالعربية أو بالعبرية.[5] و يستدل على ذلك من خلال الإشارات القليلة للمرأة المتمثلة في الشاعرة "قسمونة" بنت إسماعيل اليهودي. و يدل تمكنها من الشعر العربي على وجود نساء يهوديات في الأندلس أخذن بنصيب وافر من التعليم .و يفهم من المعاني التي عبرت عنها في شعرها على بعض صفات المرأة اليهودية في الأندلس، أنها فتاة محافظة، وترغب في الارتباط برجل، ولكن عن طريق الزواج الشرعي، كما أنها حييّة لا تصرح إلى أهلها برغبتها في الزواج، بالرغم من حاجتها إليه ، كل ذلك يفهم من أبيات شعرية عربية قالتها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعرا اعتنى بتأديبها، [6]

نظرت قسمونة في المرآة فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزويج، ولم تتزوج، فقالت:

---

[1] Neuman(A.A) THE JEWES IN SPAIN : their social political and cultural life during the midlle Age, vol 2, Philadelphie, 1944, p 40 ,50.
خالد يونس الخالدي ، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس ،ص329

[2] محمد صبري، **التلمود شريعة بني إسرائيل ..حقائق و وقائع**،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2001، ص 35. حاييم الزعفراني ، المرجع السابق، ص281 ،282؛

[3] خالد يونس، المرجع السابق ، ص 329 .

[4] Goitein SD : Opcit, p 316, 317.

[5] ريموند شاين دليين : **اليهود في إسبانيا المسلمة** ،مقال ضمن : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج 1 ،تحليل سلمى الجيوسي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2 1999، ص308. رغم أهمية هذه الدراسة إلا أنها لم تشر إلى شِعْر المرأة اليهودية في الأندلس.

[6] المقري، نفح الطيب، ج 5 ص 72، 73؛ مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي، ص 234؛ سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي.ص 275 .

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أدري من يمد لها يدا

فوا أسفي يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها.

وقالت في ظبية عندها :

يا ظبية ترعى بروض دائما إني حكيتك إلى التوحش والحور

أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر [1]

وفي الظاهر أن اختلاط يهود الأندلس بالمسلمين، ورؤيتهم لمكانة المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية، وفي المجتمع الإسلامي، قد أثر في عقلية يهود الأندلس، ودفعهم للتحرر من بعض قيود شريعتهم المهينة للمرأة، والبحث عن مخرج لهم من تلك القيود . فالشريعة اليهودية وأحبارها يمنعون المرأة من التعلم في المدارس ، لكننا نجد أن أبا قسمونة قد اهتم بتعليم ابنته بنفسه حتى أصبحت شاعرة مقتدرة واعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسما، فأتمتها هي بقسم آخر، وقال لها أبوها يوما : أجيزي :

لي صاحب ذو مهجة قد قابلت نعمى بظلم واستحلت جرمها

ففكرت غير كثير وقالت:

كالشمس فيها البدر يقبس نوره أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها [2]

فقام كالمختبل، وضمها إليه، وجعل يقبل رأسها، ويقول : أنت والعشر كلمات أشعر مني. ولا يمكن أن تكون قسمونة هي الفتاة اليهودية الوحيدة في الأندلس التي حظيت بالتعلم من قبل أبيها، بل هي في رأيي واحدة من بين الكثير من اليهوديات اللائي تعلمن في بيوتهن و لم يفصح عن أسرارهن . وقد بينت الأبيات الشعرية لقسمونة إحدى صور لحياة الفتاة اليهودية في كنف والدها.[3]

كما سئل ابن زرب عن حضانة امرأة يهودية لابن لها أسلم وهو ابن ثمانية أعوام ، هل يحال بينها و بينه، أو بين أبيه وبين الابن؟ فأجاب أن لا يحال بين الأم

---

[1] المقري، نفح الطيب ، ج 5 ص 72، 73؛ (جلال الدين) السيوطي ، **نزهة الجلساء في أشعار النساء** ، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار المكشوف، 1958 ، ص87؛ سلمى سليمان، المرجع السابق ، ص271 ؛ محمد أحمد القضاة ، **شاعرات الأندلس**، مجلة آفاق و التراث السنة الثانية، العدد 7،1415ه/1994م، ص30،29.

[2] السيوطي،نزهة الجلساء ، ص87.

[3] المقري، نفح الطيب،ج3، ص530.

وابنها . [1] ويظهر من خلال هذا الحكم الإسلامي قمة الرحمة بالأمومة و التسامح الديني رغم ما سيشكله خطورة تأثير دين الأم و عاداتها النصرانية على الطفل الصغير المسلم . وقد وجدت توافقا في هذا الأمر مع ما استنتجته من نصوص المصادر الإسلامية، منها :"إدعاء يهوديين أنهما حازا ما حبساه من الجنة على ابن أخيهما لما كان صغيرا." [2] وبين ما في نصوص المصادر اليهودية، حيث لا ترث البنات عندما يكون هنالك أولاد، ولكن إعالتهن ومهرهن كان من أملاك الأب، مما يبين اختلاف كبير بين حق المرأة اليهودية في القانون، ومكانتها في الحياة". [3]

و ورد ذكر امرأة يهودية قرطبية من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عند الونشرسي حيث يقول :" وسئل فقهاء قرطبة عن يهودي ذكر أن امرأته طلبته، وهي منهم عند قضائهم بأشياء ادعتها على أبيه، [4] وأنه على الفعل عليه فيما طالبته به، وأن بيده سجلا لقاضي الجماعة، ووثائق منعقدة بالخط العربي، وشهود المسلمين، وأثبت أن قضاة اليهود وفقهاءهم على عداوة أبيه، [5] وأتت المرأة، وزعمت أن حقها ثبت عند قضاتهم، وشهودها من اليهود، ومتى خرج نظرها عنهم بطل حقها". [6] وهكذا استغلت هذه المرأة عداوة قضاة ملتها مع زوجها لتحقق أغراضها لما لجأ زوجها لعدالة الحكم الإسلامي لإنصافه.

وتظهر المرأة اليهودية الأندلسية في هذه الرواية قوية ترفع قضيتها بنفسها، وتقف أمام القضاة اليهود، وتناقش القضاة المسلمين، وتحاورهم من أجل إثبات حقها .وأرى أن هذه الشجاعة والجرأة لا تصدر عن امرأة جاهلة مما يدل على أن تلك المرأة كانت مثقفة و على دراية بالفقه الإسلامي. و يبدو مما سبق أن اليهود لم يكتفوا باغتصاب حقوق بنات جلدتهم بل تعدى بهم الأمر إلى اغتصاب حقوق المسلمات. فقد وردت نازلة في هذا الشأن تتعلق بتعسف اليهودي ابن المهاجر على المرأة الأرملة التي تحضن أيتاما...فأغار على أبنائها وأخذ أموالهم و أغرم أمّهم مالا، وباع عليها تحت الإكراه و الضغط مملوكة كانت مالا لها...إلى أن توفيت هذه المرأة و لم تسترد حقها منه." [7]

و عموما يبدو أن تحفظ النساء اليهوديات طبقا لتعليم التوراة الصارمة، وعلاوة على محدودية عددهن بالمقارنة مع النساء النصرانيات، قد جعل تواجدهن يمرّ مرور الكرام دون أن يلفت النظر . فالإشارات القليلة التي وردت

---

[1] الونشريسي، المعيار، ج2، ص354

[2] الونشريسي، نفسه، ج10،ص129

[3] ساسي علي، الأوضاع الاقتصادية، ص 461.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص 130

[5] الونشريسي، نفسه

[6] الونشريسي ، نفسه ، ج10، ص 130

[7] الونشريسي، نفسه ، ج9، ص612،611.

في بعض المصادر لا تسمح بالتوسع في تقدير عددهن و سلوكهن . لكن هذا لا يمنع وجودهن الفعلي وتصرفهن وفق الأحكام الخاصة بالطائفة اليهودية المتحفظة على التستر عليهن في المجتمع الأندلسي.

الوضعية الأسرية و الاجتماعية للأمة –الجارية-:

- الوضعية الأسرية للأمة

أوصى الرسول ﷺ بحسن معاملة الإيماء فقال:" **ثلاثة يأتون أجورهم مرتين ،رجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ،ثم أعتقها فتزوجها، ومملوك أعطى حق ربّه-عزّ و جلّ- و حق مواليه ، و رجل آمن بكتابه و بمحمّد** ".[1] و يطلق لفظ الأمة أو الجارية في المجتمع الأندلسي على المرأة المملوكة خلاف الحرة،* فما هي وضعية الجارية التي ينطبق عليها الشرطين الأنوثة و الرق في آن واحد ؟

و طبقا على تصنيف الجواري [2] إلى صنفين هما جواري العليا ، و جواري الدنيا فهل باستطاعة الجارية الانتقال من درجة إلى أخرى طوعا أو كرها و ما مدى تأثير ذلك على مجرى حياتها ؟

يبدو من مشاهد حياة الجواري ،أن الانتقال من الدرجة الثانية إلى الدرجة الأولى متوقف على جمال الجارية و ذكائها و ما تتقنه من فنون خاصة الغناء و الشعر. و من الأمثلة في ذلك "مرجان" و " اعتماد" الرميكية [3] و يعد الفن مجالا لمنافسة شديدة في عالم الجواري بين بعضهن البعض من جهة ومع حرائر السادة من جهة أخرى. والأمثلة على ذلك كثيرة في ثنايا هذا البحث [4]

أما انتقال الجارية من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية ، فقد يكون أمرا استثنائيا يرتبط بدرجة وفاء الجارية لسيدها وتفضيلها الخدمة و الخروج من جملة المتخذات للنسل و الحال الحسن ؛ أو نتيجة معاملة السيد للجارية كأن

---

[1] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المعارف للنشر و التوزيع، ط2، الرياض ،1425ه/2004. ص 190.

* وهي المرأة ذات العبودية المستعبدة وجمع الأمة أموات وإماء وآم و إموان وأموان ويجوز أمات. انظر ابن منظور،لسان العرب،مج 14 ،بيروت ،دار الجيل ،دار لسان العرب،1408ه/1988م ، ص ص 44، 45، 46.

[2] انظر في هذا الشأن الفصل الخامس.

[3] المقري، نفح الطيب ،ج 4، ص 211.

[4] ابن حزم ، طوق الحمامة ص 94 ،95؛ ابن حيان ، المقتبس، ج5 ، ص7 ،8.

يحتقرها أو يعاقبها فينزلها من مكانتها العلية ، وهذا ما يدل على أن الأمة عند بعض الناس كانت محتقرة [1] ، أن الأمة المملوكة رغم جمالها إذا وهبت لرجل قبيح المنظر مذموم السيرة تشعر معه بالذل والهوان والأسر، وتكون حياتها منغصة أكثر من جواري الوخش الراضيات بوضعهن.

ومن الأمثلة على ذلك أرجوزة الأديب أبي عبد الله بن مسعود من شعراء القرن الخمس

الهجري المتكونة من 33 بيتا، و التي وضحت لنا صورة الجارية المملوكة التي وهبها سيدها إلى الوزير ابن بقنة وضاعت حالها بين يديه، فجاءت على لسانها صورة قد تمثل وضع فئة معينة من الجواري الأندلسيات[2] ،قائلة:

و من تعبير إحداهن ما يلي :

جعلتني أسيرة مملوكة   لطلعة هائلة صعلوكة

يُعزي على الفالِ إلى مسعود   وهو شقيٌ ليس بالمحمود

و بلغت الجارية "العِلِيَة "نفوذا سياسيا على مدى التاريخ السياسي الأندلسي. ويبدو أن بعض الجواري لم تحقق أمانيها التي كانت قد أخفقت فيها كونها لم تكن ضمن جواري المتعة المنعمات المرفهات تحت ظل أسيادهن فذهبت أمنيتها هباء بعد أن صدمها سيدها فجعلها ضمن جواري الخدمة و أصبحت عاملة في صناعة الغزل. [3]

وكنت أرجو معه للراحة   إذ لم يفر بطائل المَلاحَة

إذا به أدخلني في شُغل   لفَرْطِ الإلمام بسوق الغزل

ونتيجة المعاملة السيئة تتمنى الجارية أن يكون سيدها أحد الجنود الأبطال ،حيث تقاسمه طموحه، و يتبين من خلال أمانيها مدى نمو الوعي السياسي و الوطني لدى بعض الجواري التي قالت :"

أو ليتني كنت لبعض الجند   فربما حاز نفيس المجد

يضرب بالسيف ولا يقاسي   خطة خسف بسؤال الناس [4]

وهكذا تبدو الجارية مرهفة الحس، كثيرة الأسى و الضجر في تقلبها بين منازل الأسياد إذا لم يُتسرى بها.

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة ، مج1، ص 345.

[2] ابن بسام، نفسه، مج1، ص 345.

[3] سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص126.

[4] ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 345.

التســــــــري: (السراري)

عرفت ظاهرة التسري بالإماء و الجواري منذ القدم ، و استمرت في المجتمع الإسلامي عبر عهوده المختلفة و اختلف أهل اللغة في الجارية التي يتسر بها مالكها ، لما سميت سُرِيّة؟ فقال بعضهم نسبت إلى السُّرور و هو الجماع . وضُمت السين للفرق بين الحرّة و الأمة توطأ. فيقال للحرّة إذا نُكحت سرًّا أو كانت فاجرة :سِرّية ـبكسر السين ـ وللمملوكة يتسرها صاحبها: سُرّية مخافة اللبْس. و قيل السّرُّ السُّرور ،فسميت الجارية سُرية لأنها موضع سرور الرجل.

و قد تسرى سيد الخلق و حبيب الحق محمّد ﷺ **بمارية** بنت شمعون القبطية [1] . و**بريحانة** بنت سعد القرظية [2] والتي تقول عنهما الباحثة "راوية عبد الحميد شافع" : "...فكما هو واضح من هذا النص ـ أي نص للطبري ـ،كانت الأولى نصرانية، والثانية يهودية ، و لم يصادفنا نص حول الموضوع نفهم منه تغيير أي منهن لديانتها" [3] و تعتقد هذه الباحثة أن "ريحانة" بقيت على دين اليهودية و هي سُرّية في البيت النبوي . ولا ترى حرجا أن سيدنا رسول الله ﷺ يتسرى بغير مسلمة **!!**

لكن الجواب على عدم وجود نص في ذلك كما زعمت، وارد في "تاريخ الطبري" نفسه و في أحداث السنة الخامسة [4] و التي على ما يبدو تجاوزت الباحثة هذه الصفحة؛ حيث ذكر فيه ما يلي: " أن ريحانة حين سباها رسول الله ﷺ ،قد تعصت بالإسلام و أبت إلا اليهودية ،فعزلها رسول الله ﷺ و وجد لنفسه لذلك من أمرها . فبينما هو جالس مع أصحابه جاءه ثعلب بن سعية يبشره بإسلام ريحانة، فسره ذلك." [5] و نفس الخبر عن عزل رسول الله ﷺ لريحانة و لم يتسرى بها إلا بعد إسلامها يَرد في مصادر أخرى. [6]

أما فيما يخص "مارية القبطية فقد تسرى بها الرسول ﷺ ،و اختار اسم إبراهيم لابنها تأسيا بأبي الأنبياء إبراهيم الخليل الذي كان حنيفا مسلما. و عمرت "مارية" خمس سنين بعد وفاة الرسول ﷺ ؛ و لما توفيت صلى عليها

---

[1] أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية إلى الرسولﷺ هدايا و جوار منهن مارية و هي أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ . (أبو جعفر محمّد بن جرير) **الطبري، تاريخ الطبري**،،مج 2 ، **تاريخ الأمم والملوك -224ه/310ه بيروت ن دار الكتب العلمية، 1417ه/ 1997م** ،ص 128.

[2]تاريخ الطبري مج 2، ص 126 ضمن أحداث السنة العاشرة

[3] راوية عبد الحميد ، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص49

[4] الطبري ، تاريخ الأمم ، مج 2 ، ص 103،

[5] الطبري ، نفسه ، التي اعتمدت عليه الباحثة و يبدو أنها متعمدة في إغفال هذا النص!

[6] أنظر : ابن هشام(أبو محمد المعافري)، **السيرة النبوية** ، ج 3 ،المنصورة،مصر دار الغد الجديد، ط 1 ،1424 ه/2003م، ص 186؛ الطبري ، المصدر السابق ،مج 2 ص103؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى،مج 8، ص131 .

الخليفة عمر بن الخطاب.[1] فهل يصلي الصحابة و المسلمون على قبطية ،نصرانية ؟؟؟ و في هذا السياق ما حدث في العهد الراشدي حيث أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان بتطليق الكتابية التي تسرى بها، في إحدى فتوحاته ،قائلا له: " عزمت عليك أن لا تكمل كتابي هذا حتى تفارقها ".[2] و ذلك خوفا على أمن الدولة و على بنات المسلمين لأنها لم تسلم، هذا حرص عمر على رعيته !، فكيف يصلي عمر على قبطية إن لم تكن أسلمت و تدفن في البقيع بمقبرة المسلمين؟

إن تسرب هذه المعلومات في الدراسات التاريخية الحديثة فيها خطورة و شبهة وطعن في البيت النبوي الذي ضم أمهات المؤمنين مسلمات قانتات على اختلاف أصولهن. و لم يرض الله تعالى لهن إلا الإسلام دينا ،فكيف يتعدى رسول الإسلام هذا الحد و يتسرى بمشركة أو كتابية لم تعترف بآخر الكتب و خاتم رسل الله تعالى .؟ وحتى القرآن صريح في هذا الشأن ، قال الله تعالى:

﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَاراً.﴾[3] و نزل القرآن في امرأة مؤمنة ،هي ميمونة بنت الحارث، وهبت نفسها لرسول الله الرسول ﷺ[4]. و قال الله عز وجل **﴿... وامْرَأةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبتْ نَفْسَها للِنَّبِيِّ ...﴾**[5] هذا دليل بأن البيت النبوي كان يضم المسلمات المؤمنات، رغم أن الله تعالى أحل للمسلمين الزواج بالكتابيات لحكمة بالغة .

إن التاريخ الأندلسي ما هو إلا حلقة من التاريخ الإسلامي الذي عرف ظاهرة التسري منذ عهد واليها الثاني عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى آخر عهود الإسلام بها. وظاهرة التسري بجواري درجة الأولى أو ما يعرف بجواري اللذة،اللاتي يستخدمن لتسلية أسيادهن و جلب المتعة إلى نفوسهم بمختلف الوسائل. و قد كن على وجه العموم يثقفهن بثقافة خاصة يساعدهن على أداء واجباتهن. فكن يتعلمن رواية الشعر والغناء و الموسيقى و الرقص، و يخترن من بين الجواري الشبات الحسان المرتفعات الثمن . و كان هدفهن الأساسي كسب حب السيد و

[1] عبد المنعم الهاشمي، أزواج النبي، الكويت، مكتبة ابن كثير،بيروت ، دار ابن حزم، ط1425،1، 2004، ص528.

[2] (أبو جعفر محمّد بن جرير) الطبري ،**تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن**، مج2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1418ه/ 1997م ، رقم 4224، ص 389؛ البيهقي(أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي ، ت 458ه)، **السنن الكبرى** ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، ج 7، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1420ه/ 1999م، رقم 13984، ص 280.

[3] سورة التحريم :الآية 5.

[4] صالح بن عبد الله بن حُميد و عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن ملوح، **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم**،مج 1، جدة، دار الوسيلة للنشر و التوزيع، ط8 ،1433ه /2012م، ص410.

[5] سورة ،الأحزاب ، الآية :50.

رضاه. ولا شك أن عددهن الكبير يجعل هذه المهمة صعبة الأداء و غايتهن عسيرة التحقيق.[1] واللاتي ينجحن في هذه المهمة عددهن محدود و إن لم يكن يتمثل في جارية محظية واحدة على مدى حياتها ، كشأن الجارية "دعجاء" مع عبد الرحمان بن معاوية و " طروب " مع الأمير عبد الرحمان الثاني و الجارية "مرجان" المغنية مع عبد الرحمان الناصر و الجارية "صبح" مع الحكم المستنصر.[2].

و يقول عنهن بروفنسال، أنهن صبغن البيت الأموي بطابعهن وعادتهن غير العربية. إلا أنه يحدد جنس و أصل أمهات أولاد حكام البيت الأموي ويقول أنهن فرنجيات[3]. و نقل عنه توفيق بن عامر هذه الفكرة.[4] فإذا اعتبرن مدلول "إفرنجية"أطلقه على كل جواري الواردات من أوروبا دون تحديد مواطنهن الجغرافية بدقة ، فيمكننا الأخذ بوجهة نظره ؛ أما إذا كان يقصد بمصطلح فرنجيات نسبة "الفرنجة " و هي بلاد الغال(فرنسا حاليا) فالنصوص التاريخية التي بين يدي لم تذكر أي أم ولد لحكام البيت الأموي إمارة و خلافة من أصل إفرنجي، إنما كلهن جواري شُقْر من أصل إسباني ،ما عدا واحدة هي "أَثْل" أم الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم من أصل بربري.[5] وبالمقابل وفي موضع أخر يذكر أن عبد الرحمان الداخل منذ بداية حكمه رفض عرض ملك فرنسا شرلمان في توثيق علاقات مصاهرة بينهما[6] .

وصحيح أن السبي ورد نتيجة بعض الغزوات إلى منطقة " أقطانية " وجنوب فرسا و ضم نساء إفرنجيات لكن لم تكن من بينهن واحدة أم ولد لأحد حكام البيت الأموي.! اللهمّ إلا إذا استثنينا زواج "مونوسة" القائد البربري الشهير وحاكم إقليم شرطانية في عصر الولاة (في طليعة القرن الثاني للهجرة) من "لامبيجية" أو" مينين" بنت إيوديس(Eudes) دوق أقطانية (Aquitania) التي كانت إفرنجية.[7]

---

[1] صالح خلاص ، **إشبيلية في القرن الخامس الهجري** ،دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد ،(414 ه/ 461م) بيروت ، دار الثقافة ،(دت) ،ص98.

[2] ابن حزم، طوق الحمامة، ص 17،18؛ ابن حيان، المقتبس ، ج 5، ص 10،13 ؛ ابن عذاري ،البيان، ج2،ص 253. و سبق الحديث عنهن في الفصل الثاني.

[3] Provençal :hist…t 3, P 178,179.

[4] انظر كاتبه : **الحضارة ا لإسلامية و تجارة الرق خلال القرنين الثالث و الرابع للهجرة** ، سلسلة 8، مج 7، أطروحة دكتوراه دولة ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، 1996، ص255

[5] ابن حزم، نقط العروس، ص193؛ مجهول، تاريخ الأندلس ،تح بوباية ،ص 196 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق ،ج 2 ،ص 112؛ محمد حقي، المرجع السابق ، ص105.انظر الملحق رقم 10

[6] Provençal :hist esp musul, t 1, p 120.

[7] مؤنس، فجر الإسلام، ص 260، 261.

و رغم أن التسري قد أدى إلى تعدد النساء في الأسرة الأندلسية الميسورة و حتى في أوساط العامة ، إلا أنه يبدو على بعض الرجال عدم الاقتناع بملك يمينهم، أنه كان رجلا يملك أكثر من ستين جارية ،و لكنه مع ذلك كان يقصد منازل البغايا، ومعلنا عن نفسه انه كالكلب لا ينبح إلا على من لا يعرفه. كما نستشف من هذا النص مدى انتشار البغاء و تخصيص أماكن له رغم جهود العلماء ورجال الحسبة في محاربة هذه الآفة المحرمة شرعا.[1]

زواج الإيمـــاء

إن الجارية إذا أنجبت من سيدها يحتفظ بها، وترتفع مكانتها فلا تباع ولا تشترى وتسمى جارية "أم ولد" وفي تاريخ الأندلس تطالعنا أسماء لامعة لأمهات الأولاد " حلل" أم هشام بن عبد الرحمان. [2] ، و "زخرف" والدة الحكم بن هشام.و"أثل" والدة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، و"مزنة" والدة الناصر لدين الله- التي عرفت بالعرجاء ، لخلع بها ، و"صُبْح" والدة هشام المؤيد التي كانت أعظمهن نفوذا، وغيرهن من أمهات أولاد البيت الأموي الحاكم .[3]

وتطالعنا الجارية أم ولد في عصر الطوائف أُمًّا للملوك والوزراء أيضا ،كـ "حوراء " والدة محمد ابن عبد الرحمن المستكفي بالله . و"عاتب" والدة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. وتعد "ثريا " آخر أم ولد لأبي الحسن في دولة بني نصر. [4] . و أمهات الأولاد تواجدن على نطاق واسع عند مختلف الرجال وفي مختلف أوسط المجتمع أي لدى السياسيون ، الجند، الفقهاء ،الأدباء و الشعراء وبعض العامة... ومما أورده المقري،"أن لسان الدين بن الخطيب تسرى بجارية رومية اسمها "هند" و أُرْسِل له أبيات شعرية صبيحة البناء بها .."[5]

و تسرى عبد الرحمان بن خلدون بجارية اسمها **"هند"**[6] وعموما اشتهر بنو أمية بشغفهم بالشقرة قال ابن حزم: " ...كلهم مجبولون على تفضيل الشقرة...فما منهم إلا أشقر نزاعا إلى أمهاتهم ،حتى قد صار ذلك فيهم خلقة،حاشا سليمان الظافر.فكلّ من

---

[1] السقطي؛ كتاب أدآب الحسبة ، ص 49، 54.

[2] الحميدي ،جذوة المقتبس، ص 15؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،تح العربي ص38؛ المقري، نفح الطيب ، ج1، ص341

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 17 ،ص21.؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ،مج ،3ص460 .انظر ملحق رقم 10

[4] الحميدي،المصدر السابق ، ص 28؛ ابن حزم ، نقط العروس، 202 ، 203؛ ابن عذاري، البيان ،ج 2، ص 140.

[5] نفح الطيب ،ج 6 ،ص174.

[6] ابن الخطيب، ريحانة الكُتاب، ج 2، ص226.

الناصر و الحكم المستنصر وهشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمان المرتضى ،كانوا شقرا شهلا" . [1]

أما عن عادة بني أمية في دمشق، فأنهم كانوا لا يبايعون لبني أمهات الأولاد، [2] فكان الناس يرون ذلك استهانة بهم، أو لما كانوا يرون أن زوال ملكهم يكون على يد ابن أم ولد. لذا نجد حال الجارية أم ولد في الأندلس أحسن بكثير من حالها في المشرق في عهد بني أمية ، وربما تعرض ابن الأمة عندهم إلى استهجان الناس له ولحقه عار فقد قال الشاعر في ذلك :

أما الإماء فلا يدعونني ولدا إذا ترامى بنو الأموان بالعار [3]

و قد وصف الخليفة الأموي "هشام بن عبد الملك ـ بدمشق ـ زيد بن علي أنه ابن أمة ولا يصلح للخلافة. فأجابه :"... بأن إسماعيل بن أمة ،أخرج الله من صلبه خير البشر محمّدا صلى الله عليه و سلم ، و إسحاق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة و الخنازير". [4] ويبدو اختلاف النظرة لابن الأمة بين المشرق و الأندلس يرجع لبعد الأندلس و ضعف العصبية فيه؛ فلم يسمع من يقول عن أمراء الأندلس أنهم أبناء أمة مستحقرة .[5]

بينما نجد ابن الحرة ظل موطن فخر واعتزاز ، يقول ابن دراج القسطلي (421 – هـ/1030م) :

وقد عجمت مني الخطوب ابن حرة أبيا محزاني لوقع مداها

جديرا إذا أكدا الزمان برحلة يحقر بعد الأرض عرض فلاها . [6]

لكن بالمقابل يوجد من أبناء الجواري من لم يتنكر لأصله ،فهذا الواعظ الأندلسي يحي بن نجاح ، كان إذا وعظ و ارتج الناس له ، قال :" كان والدي عبدا لفلان وأمي جارية اشتريت بكذا و كذا دينار فلا يغرنك يا يحي مدح الناس". [7] و الأخطر في ذلك أن بعض الأزواج ذهب ضحية تسريه سرا على زوجته التي

[1] طوق الحمامة، ص 40

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4 ، ص 321

[3] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ،ص128

[4] ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج 4، ص320.

[5] محمّد سعيد الدغلي ،**الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها على في الأدب العربي**، دار أسامة،ط1، 1404هـ/1984م ، ص45.

[6] سلمى سليمان علي ،المرجع السابق ،ص 128.

[7] هو الذي صنف كتاب "جامع سبل الخيرات".انظر(أحمد بن محمّد بن احمد بن محمّد بن إبراهيم) **السلفي ، أخبار و تراجم**، مستخرجة من السفر للسلفي، تحقيق إحسان عباس، بيروت ، دار الثقافة، المكتبة الأندلسية ، رقم 7، ط1، 1963، ص34.

وعدها بعدم الزواج بامرأة .فأخفى الجارية التي أعجبته عند صديق له، وكان يزورها من حين إلى أخر،إلا أن صديقه خانه و استأثر بها لنفسه وتسرى بها. وفي إحدى زيارته لها أمر صديقه أربع من خدامه بخنقه بالوسادة إلى أن لفظ أنفاسه ،ثم أعلن أنه مات فجأة و ذلك خوفا أن يأخذ منه الجارية.[1]

و قد اهتمت الكتب الفقهية بهذا الجانب و مما قيدته عقود النساء ضمن شروط الزواج أن لا يتسرى زوجها بجارية و أن يكون بيدها حق الطلاق متى شاءت ،أو متى بقيت على قيد الحياة . و رغم ذلك يبقى التسري ظاهرة اجتماعية شائعة في الأسر الأندلسية الخاصة و العامة ، بكل ما تحتويه هذه الظاهرة من إيجابيات وسلبيات.[2]

و عموما إن الشريعة الإسلامية أولت عناية بالإيماء من أجل تحسين ظروف حياتهن لم تعرفها الشرائع السابقة ،لأن هذه الشريحة من المجتمع عرفت إجحافا في حقوقها الإنسانية عبر تاريخ البشرية. و كرم الرسول ﷺ الأمة بقوله:" **ثلاثة يأتون أجورهم مرتين، رجل له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم اعتقها فتزوجها**".[3] فمن فضل الله على الإيماء أن أقر لهن حقوقا مثل الحرائر قال الله ﷻ:﴿ **وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** .﴾[4] فهذه الآية تحث على إعطاء الأمة مهرها على طيب خاطر و رضا نفس ،و لا ينبغي للرجل أن يبخس من هذا شيئا استهانة بالأمة لكونها مملوكة، ولا يكون زواجها إلا بإذن سيِّدها.[5] و هكذا تبرز عظمة التشريع في تحديد اللفظ المناسب لكل حالة من حالات الزواج ، فجعل الصداق و المهر للحرائر ، وعبر بالأجر للحالات الأخرى التي كانت موجودة في وقتها.

و حثت الشريعة الإسلامية بأولوية الزواج بالأمة المؤمنة لقول ﷲ ﷻ ﴿ **وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**.﴾[6] وبوضع الجارية الولد تصان كرامتها فلا تباع و لا تهاب ،و بموت سيدها تصبح حرة.[7] كما رعت الأحكام الشرعية نفسية الجارية و عواطفها تجاه أبنائها ،أن لا يفرق بينهما ، و حتى بين

---

[1] هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي الملقّب بالمتوكّل على الله، أحد أمراء الأندلس، ابن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص 128

[2] أحمد شحلان ، الحياة العامة في الأندلس العصر الوسيط ،ص205.

[3] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ص190.

[4] سورة: النساء، الآية: 25.

[5] الجزيري، المقصد المحمود ،مج 1 ، ص 32، 37.

[6] سورة البقرة : الآية 221.

[7] مالك بن أنس ، الموطأ، ج 2،ص 488؛ ابن رشد، مسائل،مج،ص358؛ ابن رشد فتاوى ، مسألة 86، ص 352؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام،مج 2،ص 1186,

الأخوة في الأسرة إلى غاية بلوغهم سن معين .[1] و تتجلى حكمة الإسلام من التسري، أي" ما ملكت أيمانكم" فيما يلي:

- القضاء على الرق لأن سيّدها إذا ما استأثر بها لنفسه تنجب أحرارا. و بمجرد إنجابها تصبح أم ولد، و لا يصح له أن يبيعها أو يهبها أو يزوجها لغيره و تعتق فور موته.
- وهو بذلك يمنعها من من إنجاب العبيد ،، لأنه إذا ما زوجها لعبد أو سيد ، فإن أولادها يكونون أرقاء، حيث أن الأولاد يتبعون أمّهم في الرق و الحرية.
- إنه يرفع عنها نير العبودية و يكرمها.
- يؤمن لها راعيا يحصنها من الفحشاء و المنكر.[2]

و بالتالي سعى الإسلام إلى توسيع مخارج الرق و تضييق منافذه، و بأمل تقلص دائرة الرق في المجتمع الإسلامي و تخف وطأته إذا ما عُمِلت الجارية وفق النصوص الفقهية الصحيحة التي لم تشهدها البشرية من قبل الرسالة المحمدية العطرة.

الوضع الاجتماعي للأمة – للجارية- :

– علاقــة الأمـــــــة بالرجـــل :

إن لجواري الأندلس عالم خاص بهن، وما قيل فيهن من أشعار وما جاءنا من أخبارهن وحظوتهن عند أسيادهن، أكبر دليل على أنهن استطعن أن يؤثرن في الرجال تأثيرا عميقا. ولم تعد الجارية متعة جسدية فحسب بل أصبحت عند بعضهم حاجة روحية، ولهفة عقلية وفكرية كما أصبحت ذات شأن في تدبير وإدارة عقول الملوك ، فلم تعد صلتها بهم صلة أنس ، ونديمة خمر، تدخل البهجة والسرور إلى نفسه ونفوس نادماه فقط .[3] و في شأن اختيار الجارية قال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ، و من أرادها للولد فليتخذها فارسية ، و من أرادها للخدمة فليتخذها رومية.[4] لكن في الواقع الأندلسي صنف من الروميات العليات اتخذن للذة وليس للخدمة.

---

[1] عبد الواحد المراكشي ، **وثائق المرابطين و الموحدين** ،تحقيق حسين مؤنس ، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 1997 ، ص 333، 334.

[2] نعيمة شومان ، **المرأة في العصر الحجري و المرأة في الإسلام**، بيروت ، دار الفرابي، ط 1، 2011م، ص 69

[3] خازن عبود ، **الخلفاء و الأمراء والوزراء العشاق**، بيروت، دار الكتب الحديثة ، ط 1، 1419ه /1999م، ص 48، 75، 138.

[4] ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد، ص 299.

إن وضع الأمة الجارية و مكانتها تأرجحا بين مد وجزر و كرامة و ذل ، فعلى سبيل المثال إن عبد الرحمن الداخل ،مؤسس الدولة الأموية في الأندلس كان إذا أهداه أحد جارية ردها إليه ، أما الحَكَم الأول فكان يفضل خمس جواري على سائر حرمه و قال فيهن شعرا عند هجرناه .[1] في حين نجد للجارية " طروب" مكانة متميزة تمتعت بها عند سيدها عبد الرحمن الأوسط. و رغم أن الجارية"طروب" كانت محظية الأمير عبد الرحمان الأوسط ،إلا أنه كان مولعا بالنساء و لا يتخذ منهن ثيبا أبدا. [2]. و من شدة ولعه بهن و قع على جارية في رمضان ولم يصبر عنها و طلب الفتيا من القضاة. فأفتاه يحي بن يحي الليثي بأن يصوم شهرين متتابعين كفارة هذا الخطأ ،و لم يختر له الحل الثاني الذي هو العتق حتى يصعب عليه الحل و لا يعود لمثلها ثانية. [3].

و "مرجان" جارية عبد الرحمن الثالث.و "صبح" جارية عند الحكم المستنصر، ومن المحظيات الجارية سكرى المروزية ـ حبشية ـ أُمُ الشاعرة ولادة عند المستكفي ، و"ثريا" عند أبي الحسن بن النصر.[4]

و تفيدنا بعض الأخبار عن عبد الرحمان الناصر، أنه كان لا يبالي بأحد من أجل مشاعره ومطلق الحرية في تصرفاته. فصورة الناصر البطولية أمام الملأ وفي تاريخه السياسي و الجهادي مغايرة تماما في خلواته و مع جواريه. فكان له قصر يضم عشرة ألاف صقلبي و صقلبية و ستة آلاف من النساء و الخدم .[5] و رغم ذلك :أنه كان يركب الجارية "رسيس" و هي امرأة من دار الخراج ماجنة . ويصحبها في موكبه مكشوفة بقلنسوة وبسيف قلدته .و هي عجوز سوء فاجرة إلى مناكر كانت له باطنة ، الله أعلم بها" و كانت "رسيس" تجاهر بالتكشف في وسط قرطبة وكانت لها سمعة سيئة و من هي النساء الخرجيات. [6] كما لم يكن بمنأى من استئثاره بالغلمان ، و ذلك لما رأى غلاما جميلا من النصارى ـ لم تقع العيون على مثله ـ عند وزيره ابن شهيد لامه عليه، فأهداه إياه. و لذا لما أهديت لابن شهيد جارية جميلة ، خاف من عتاب الناصر له فبعث له الجارية هدية ، و كتب له: [7]

---

[1] مجهول، تاريخ الأندلس،تح بوباية، ص 176، 177. Provençal :hist esp musul, t 1, p95,

[2] ابن سعيد، المغرب،ج 1 ،ص47.

[3] عياض، ترتيب مج 2 ص 292 ؛ سالم ، تاريخ المسلمين و أثارهم ، ص 233.

[4] ابن حيان ، المقتبس ،ج5 ، ص 13؛ ابن عذاري، البيان، ج 2 ص 251 ؛ طه ذنون ،دراسات أندلسية،ص180

[5] ابن عذاري، المصدر السابق ،ج1 ،232 ؛ المقري ،أزهار الرياض،ج2، ص 268 ؛ موريس لومبارد، الجغرفية التاريخية، ص 258

[6] ابن حيان ، المقتبس ، مج 5 ،ص37؛ ابن حزم ، نقط العروس في تاريخ الخلفاء ، ص 76 ؛ سامية مصطفي مسعد، صور من المجتمع الأندلسي ، ص 109.

[7] . وكتب له هذين البيتين: أمولاي هذا البد سار لأفقكم للأفق أولا بالبدور من الأرض

و لهذا السبب تضاعفت مكانة ابن الشهيد لدى الخليفة .[1] كما ورد ت على الناصر لدين الله هدية عظيمة الشأن من وزيره عبد الملك بن شهيد من بينها عشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم و جميع آلاتهم.[2] لقد كثرت قصص الجواري مع الرجال من أمراء وخلفاء وملوك، و شعراء ، و اعترف هؤلاء بأنهن قد خلبن ألبابهم ، وليس على وجه الأرض أحسن من وجودهن .و بلغ بهم الأمر أن قتل بعضهم أقرب الناس إليه بسببهن. و من أمثلة ذلك قصة الأمير الطليق، و هو(عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمان بن مروان بن أمير المؤمنين الناصر) المتوفى سنة (400 هـ) الذي قتل والده لأنه أحب جارية كان أبوه قد رباها معه ، و ذكرها له ثم استأثر بها وانفرد بها . واشتد غضب الأمير لما وجد والده معها فقتله. و عقابا له سجن مدة ستة عشر سنة ،ثم أطلقه المنصور بن أبي عامر لما رأى الرسول ﷺ في المنام يأمره بإطلاقه ،فلقب بالطليق.[3].

ولعظم الجواري ومحبتهن تلقب بعض الملوك بأسمائهن مثل المعتمد و محظيته" إعتماد"، ناهيك عن الأخبار التي ساقها لنا ابن حزم الأندلسي في طوق الحمامة مؤكدا تضحية الرجال بأنفسهم بسبب عشقهم للجواري والقيان .وذكر لنا أن رجلا أندلسيا باع جارية كان يجد بها وجدا شديدا لفاقة أصابته بحيث كادت نفسه أن تخرج، وأراد استردادها فأبى المشترى ، فرفع قضيته إلى الملك فلما مَثُل بين يديه أخبره بقصته واسترحمه وتضرع إليه، فرّق له الملك فأمر بإحضار الرجل المبتاع ، فلما حضر أبى وقال : " أنا أشد حبا لها منه وأخشى أن صرفتها إليها استغيث بك غدا وأنا في أسوأ من حالته". فعرض له الملك بالأموال فأبى واعتذر له فلما يئس الأندلسي رمى بنفسه من أعلى الأرض، فارتاع الملك، وطلب من المبتاع أن يرمي بنفسه من أعلى، ولكنه رفض فقال : يا غلمان خذوا بيديه وارموا به إلى الأرض فلما رأى العزيمة قال : "أيها الملك، قد طابت نفسي بالجارية". فقال له : "جزاك الله خيرا "، فاشتراها منه، ودفعها إلى بائعها وانصرف. [4]

ويخبرنا عن رجلين جليلين مشهورين مرضا بسبب حبهما للجواري، فالأول مروان بن يحيى الذي تعلق بجارية لأخيه فمنعها منه، وباعها لغيره ، والثاني يحيى

أراضيكم بالنفس و هي نفيسة و لم أر قبلي من بمهجته يرضي .

المقري، نفح الطيب ،ج1 ،ص161،ص 361 ؛ بنمليح، المرجع السابق ، ص93

[1] المقري، نفح الطيب، ج 3 ،ص 362.

[2] المقري، أزهار الرياض، ج 2 ص262،261.

[3] الحميدي، جذوة المقتبس،ص308 ؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص 40؛ الضبي، بغية الملتمس،ص403؛ المقري ، نفح الطيب، ج 3 ،ص 580؛ ابن سعيد ، المغرب ،ج 1 ص191؛ يوسف فرحات، معجم الحضارة الأندلسية، ص48. خازن عبود، المرجع السابق،ص 138، 194؛ محمد لحضر فورار ، **الشريف الطليق الأندلسي**، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع5 ،ديسمبر 2003، ص 179 .

[4] ابن حزم، طوق الحمامة، ص 120.

بن محمد بن أبي عبده ، باعت أمه جارية له، كان يحبها وذهبت إلى زواجه من بعض العامريات.[1]

وأما سعيد بن جودي،فله قصص كثيرة في علاقته بالجواري وفي سيرته يذكر ابن الأبار "أنه حملت إليه جارية من قرطبة فلما خلا بها أعرضت عنه، فأنشدها شعرا. ولما رأى جارية أخرى أنشدها أيضا شعرا، وتكرر نفس الموقف مع جواري أخريات . وأكثر من ذلك فقد هام حبا بجارية الأمير محمد بن عبد الرحمان اسمها" جيجان" ، ولما لم يستطيع الوصول إليها اشترى جارية و سماها "جيجان" لتذكره بمحبوبته الأولى. وكان لعبد الملك المكنى بابن الفخار البالغ من العمر ستين سنة و الساكن في قرطبة، عشرين جارية تساوي كل جارية خمس مائة دينار . وكان بنيانه علالي ،خصص لكل جارية بنيانها .أما هو فيسكن في أول العلالي و لا يدخل أحد عليهن إلا على عينه، رغم أنه كان لا يدخل داره أحدا و شديد الحراسة عليهن ، إلا أنه أباح يوما بسرّه لأحد جيرانه و هو "بقي بن مخلد قائلا :"أن لي اليوم عشرين سنة ما أبيت إلا في ثيابي بعمامة كما تراني و ما أمس واحدة منهن".[2]

وهكذا تبدو أنانية بعض الرجال في الاستئثار بالجواري و جعلهن من الأمور التزينية وتركهن رهنات الدور. و ربما هذه ظاهرة انتشرت في بعض الأوساط في الأندلس والتي تدخل من باب التباهي في امتلاك أكبر عدد من الجواري العليات وأرفعهن ثمنا.[3] فإن كان للأمير ابن هذيل جارية واحدة دفع ثمنها ثلاث آلاف دينار نظرا لإتقانها لشتى العلوم و الفنون، فلابن الفخار عشرون جارية ثمنهن مجتمعة خمسة آلاف دينار مقيدات الحرية ولم يسمح لهن لا بالتعلم و لا الخروج من الدار و الاستمتاع بالحياة.

كما ذكر الحميدي أن النحوي اللغوي* أنشد شعرا في جارية كان يحبها و لكن فُرِق بينهما قائلا :

لا تحسبي صبرت إلا كصبر ميت على النزاع

---

[1] ابن حزم ،طوق الحمامة ، ص 120 .

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء،ج 1 ص158،157.؛ راويه عبد الحميد شافع ، المرأة في المجتمع الأندلسي،ص 53..

[3] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج 2 ،رقم 1413،ص 815 ، 816؛ الضبي ، بغية الملتمس ، رقم 1344، ص403.

* هوأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي،إمام النحو و اللغة.استأذن المستنصر في العودة إلى إشبيلية فلم يأذن له،توفي حوالي 380هـ أ و379 ه انظر ابن سعيد، المغرب،ج 1 ،ص 255،256.

ما خلق الله من عذاب　　　أشد من وقفة الفراق [1]

ومنهم من غيّر دينه وأسلم بسبب حبه لجارية كالوزير أبي الفضل بن حسادي الإسلامي فقد ذكر ابن بسام أن جارية ذهبت بلبه ، وغلبته على قلبه، فجن بها جنونه، وخلع إليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها إليه، ووضع زمامها بين يديه. [2] فلو سلمنا جدلا، إن كل هذه الأخبار التي سيقت من إنشاء المؤرخين فسياقها بهذا النهج يدل دلالة قاطعة على النفوذ والسيطرة والحظوة التي تمتعت بها الجارية عند سيدها. و على سبيل المثال المعتمد بن عباد الذي على الرغم ما توافر لديه من الجواري وكثرتهن ـ فحين خلع عن العرش وجد عنده ثمانمائة جارية ـ ، وكان يتمنى أن يديم الله السقم عليه لتبقي جاريته المفضلة "سَحَر" إلى جانبه تخفف آلامه و أوجاعه، وقد احتلت الجارية "سحر" جزء من قلبه ، ربما لحنانها الفياض وعاطفتها الرقيقة، و ربما "سحر" تكشف لنا عن صفات إنسانية نبيلة تحلت بها الجواري و لم تنفرد بها وحدها فقط، فلا بد من وجود مثيلات لها بتلك الخصال [3].

ومن عادة السادة و الشعراء إطلاق الكُنى على اللواتي أحبوهن فغيروا أسماءهن مثل المعتمد اشتق اسم محظيته "اعتماد " من اسمه. [4] ويعترف ابن الحداد المتوفى (480 هـ) بجنونه بسبب حبه لجارية سلبت عقله و التي ربما لم يطلها، وكان يسميها "نويرة" و فقال فيها:

رأيت جنوني من نويرة كاسمها　　　نارا تضل، وكل نار ترشد

والماء أنت، وما يصح لقابض　　　والنار أنت، وفي الحشا تتوقد

وتبدو نويرة نصرانية تتردد على الكنائس ، ربما لتأدية المراسيم أو لقضاء حاجة أخرى وقد علق بها في ذلك المكان. [5] و هكذا سلبت الجواري بحسنهن وثقافتهن ألباب أسيادهن و لب من يشاهدهن ، لا سيما الشعراء الذين يعدون لسان حال مشاعرهم .

---

[1] الحميدي ،جذوة المقتبس، رقم 799، ص308 ؛ الضبي،بغية الملتمس ،رقم 1343، ص 403.

[2] ابن بسام، الذخيرة ،ج 3 ، ص290.

[3] سأسأل ربي أن يديم بي الشكوى　　　تمنيت أن تبقى بجسمي وأن تقوى

شكوت وسحر قد أغبت زيارتي　　　فقد قربت من مضجعي الرشا الأهوى

فيا علتي دومي فأنت حبيبة　　　ويا رب سمعا من ندائي والشكوى. ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج2 ص 707 ؛ سلمى سليمان علي،المرأة في الشعر الأندلسي، ص132

[4] دسستُ اسمك الحلو في طيِّه　　وألفتُ منه حروف اعتماد ؛ المقري، نفح الطيب، ج 4 ص 212 . خازن عبود ،المرجع السابق ، ص 84، 85.

[5] ابن بسام ، المصدر السابق ،ج1،431.

إن الشيء بالشيء يذكر، فقد بَهَتت صورة الجارية على التوبة المبتهلة إلى الله، الشاعر ابن شهيد الذي صور لنا ضمن قطعة شعرية صورة الجارية في ليلة 27 رمضان التي حرصت على التوبة والغفران، لِما عرف عنها من ابتذال و الحياء. لذا ولت مسرعة حين وقعت عينها على الشاعر ابن شهيد خيفة التشبيب بها، وكانت هذه الجارية من أعيان أهل قرطبة معها جواريها يسترها وهي ترتاد موضعا لمناجاة ربّها ، وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها. و كانت منتقبة خائفة ممن يرقبها وأمامها طفل لها وصف كأنه ـ غصن آس أو ظبي يمرح في كناس ـ فلما نظر إليها ابن الشهيد فضحها بمقولته. [1] و هكذا حاول إفساد توبتها حتى في رمضان شهر التوبة الغفران.

وقد بدت "جَوْهَرَة" جارية المعتمد بن عباد نقية طاهرة بعيدة عن الابتذال، ربما لأنها لم تناقلها الأيدي يقول فيها : والسعد أن طالعنا نجمه وغبت، فهو الآفل الناكص

سموك بالجوهر مظلومة مثلك، لا يدركه غائص [2]

ولقد جسد ابن حزم الأندلسي صورة العفة والنزاهة والخير والصلاح ، فالجارية التي خلبت عقول الأمراء والملوك والشعراء ، نجدها هنا تسلب عقل الناسك الورع فقد ذكر لنا ابن حزم [3] : أن صاحب صلاة جامع قرطبة أحب جارية حبا شديدا فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فقالت له ساخرة به، وكان عظيم اللحية، : إني استبشع عظم لحيتك ، فإن حذفت منها كان ما ترغبه. فأعمل الجملين فيها حتى لطفت، ثم دعا بجماعة شهود، وأشهدهم على عتقها، ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به، وكان من جملة من حضر المجلس أخوه ، فقال لمن حضر : أعرض عليها أني أخطبها أنا ؛ ففعل ، فرضيت الجارية ، و تزوجها في ذلك المجلس بعينه. ورضي القاضي بهذا العار الفادح ، رغم ورعه ونسكه واجتهاده و لم يعاتبها . [4]

---

[1] وناظرة تحت طي القناع دعاها إلى الله والخير داع

سمعت بابنها تبتغي منزلا لوصل التبتل والانقطاع

فجاءت تهادي كمثل الرؤوم تراعي غزالا بأعلى يفاع

أتتنا تبختر في مشيها فحلت بواد كثير السباع . المقري، نفح الطيب،ج 1 ص621.

[2] المقري ، نفسه ، ج 1، ص621.

[3] طوق الحمامة ، ص 57

[4] ابن حزم، نفسه ، ص57.

وبدت صفة الشقرة عند الجواري واضحة و مفضلة لدى الكثير، فجارية ابن حزم "نُعم "شقراء جميلة جمعت بين حسن الخلق و لطافة الخلق ويروي قصته معها بإسهاب طويل ويقول فيها :[1]

ووصف صالح ابن يزيد النفري المكنى أبو الطيب جارية شقراء بادرة من الحمام بـما يلي: فكأنها الشمس المنيرة في الضحى طلعت علينا من خلال سحاب [2]

خطب أبو المطرف الزهري جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة لما نفرت منه خاجلة قائلا: لا تختشي فابن عبد الحق أنحلنا عدلا يؤلف بين الظبي و الذيب [3].

و تبدو جارية الشاعر ابن زيدون شقراء ذات بشرة بيضاء صبية لم تتجاوز السادسة عشر مثلما جاء في وصفه لها. إن بنو أمية تميزوا بشغفهم للشقرة و توارثها خلفهم في البلاط [4]، أما الرعية فبالعكس من ذلك نلاحظ التباين في الأذواق مثل ما نلمسه عند الشعراء . فمنهم من تغزل بجارية شقراء، ومنهم من راح يتغزل بالجواري الصفراوات كابن خفاجة الأندلسي الذي تغزل بصبية صفراء اللون - -أي سوداء-تدعي عفيراء. [5] وكان للأديب القعيني أبو حفص جارية سوداء كلف بها باعها ثم ندم ، ولما حاول استرجاعها زعم المشتري أنها حامل. وجرت بينه وبين شاريها محمد بن الصباغ الصقلبي عدة مراسلات تصف هذه الجارية السوداء من استحسان و ذم و جمال وشين ما يطول ذكره ، و من ذلك أنها شبهت بالضفدعة وعاتبه بشدة الغرام بشقيقة الظلام قائلا له:

يا سوء ما اخترتها في الحب ضفدعة جحوظ عين و قَدٌ مفرط القصر [6]

أما الحكيم أبو الصلة أمية بن عبد العزيز الداني المتوفى سنة (529 هـ/1134م) فقد عشق جارية سوداء ، لكنها بدت جميلة في نظره فشبهها بالمسك، بل اعتقد هي والمسك من طينة واحدة ، وكانت تدعي "عَزٌّ" [7] كما أعجب الشيخ الفقيه "حبيب

---

[1] مهذبة بيضاء كالشمس إن بدت وسائر ربات الحجال نجوم

أطار هواها القلب عن مستقرة فبعد وقوع ظل وهو يحوم . ابن حزم، طوق الحمامة ،ص 40.

[2] ابن الخطيب ، الإحاطة مج 3 ص 373؛ انظر ترجمة النفري عند ابن الخطيب، نفسه.

[3] المقري ،نفح الطيب ،ج 3 ،ص442.

[4] ابن حزم ، الرسائل ، ص130.

[5] ابن بسام ، الذخيرة في محاسن الجزيرة ،مج3، ص359، سلمى سليمان علي ،المرجع السابق، ص 135، 136 .

[6] ابن بسام ، المصدر السابق ، مج 4، ص ص189،185.

[7] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر ، ص136

بن دحون " بالجارية "عابدة " لما حج نظرا لعلمها بالحديث الشريف. وكانت سوداء حالكة من رقيق المدينة،و قدم بها " دحون" إلى الأندلس و تزوجها و هي أم ولده "بشر" المشهور. [1] و نلاحظ في المجتمع الأندلسي الذي تعددت عناصره البشرية و اختلفت أهوائهم وميولهم ،كان إذا تسرى الرجل الحر الأبيض البشرة أو تزوج بامرأة سوداء يعتبر أمر عادي؛ أما إذا تزوج رجل أسود أو من الموالي بالمرأة البيضاء، فهذا الأمر يثير الانتقاد والسخرية، ومن أبلغ من عبر عن ذلك القاضي ابن حمدين في رجل أسود يخاصم زوجة له بيضاء قائلا: [2]

وعلى أية حال فالجارية شغلت الرجل سواء كانت بيضاء أم سوداء اللون، فالأذواق والألوان لا يفصل فيهما. و نظرا لما بلغ من الانشغال بالجواري، ما قيل عن المعتمد بن عباد عندما أرسل رسالة إلى "يوسف بن تاشفين" وكان هذا الأخير لا يكاد يعرف العربية ؛ وقد ضمن المعتمد رسالته بأبيات من الشعر لابن زيدون من نونيته المشهورة ؛ فلما قرئ على يوسف ابن تاشفين هذين البيتان ،[3] قال للقارئ يطلب منا جواري سودا وبيضا .

فهذه الرواية وأن كان يعوزها بعض التحامل والادعاء ضد المرابطين إلا إننا نلمس من سياقها اهتمام وانشغال الملوك والقادة بالجواري. وبلغ حبهم لجواريهم أن يأتوا بصور متخيلة لهن، و منها وصف الشاعر ابن خفاجة لجارية مصنوعة من ورق الريحان، وقد عطرت بأثمن العطور وقلدت حليا ثمينة. وبلغ تأثر الشعراء بجواريهم ، أنهم استعادوا الصور الشعرية من هيأتهن وأناقتهن وحليّهن. [4] و قد تتفاوت درجة هيام بعض الأندلسيين بالجواري لدرجة اختلال العقل.[5] فقد أورد ابن حزم قصة مروان بن يحي بن حدير الذي ذهب عقله لتعلقه بجارية أخيه التي منعها منه وباعها لغيره. وثبت عن ابن حدير أنه لم يكن هناك من هو أتم عقلا و أدبا منه..[6]

كما يروي ابن حزم قصة الشاعر الرمادي الذي اجتاز يوما باب العطارين بقرطبة ،فرأى جارية رائعة الحسن أخذت بلبه و بمجامع قلبه فتبعها و دار بينها حوار...و سألها : حرة أم مملوكة؟ فقالت :مملوكة و اسمها "خلوة" ... لكن أعرضت

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تح محمود مكي، ص 228.

[2] رأيت غرابا على سوسنة   فكان بشيرا بسوء السنة

فيا مرو و الساج زد عزة   و يا مكمل العاج زد مهونة.، محمد بن شريفة، تاريخ الزجل، ،ص 191.

[3] بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت   سودا وكانت بكم بيضا ليالينا. المراكشي، المعجب،ص 98.

[4] .سلمى سليمان علي ، المرجع السابق ، ص137.

[5] ابن حزم، طوق الحمامة ،ص35،34.

[6] ابن حزم، نفس المصدر ، ص 120

عن إفشاء اسم مالكها و مكان إقامتها...و حصل منها على موعد يوم الجمعة القادم ،لكن لم يحدث ذلك واضطر إلى الرحيل إلى سرقسطة بسببها و جعل منها بطلة شعره[1].

ويبدو مما سبق ذكره أن تيار الجواري كان جارفا لكثير من الرجال باختلاف مكانتهم وعقولهم و سنّهم و لذا حرص بعض الآباء على إبعاد أبنائهم عن الجواري لأنهن يشغلنهم عن طلب العلم .فالفقيه الأديب النحوي أبو عبد الله محمد بن ميمون أبعده والده وعزله عن إحدى جواريه لأنها شغلته عن طلب العلم و البحث ، فما زاده الفراق إلا تعلقا بها أكثر من ذي قبل.[2]

كما وردت إشارات تفيد على إقبال الإماء تحت ضغط السادة على ممارسة البغاء، وتحدثت عن نازلة في القرن 4ه/10م عن أمة من دنيات الوخش تتصرف في كل الأمور و لم تحجب بوجه، وقد ولدت أولادا عدة قبل تزويجها.[3] و نازلة أخرى عن رجل أثبت أن خادم زوجته زانية،هل يأمر السلطان ببيعها أم لا؟[4] إلى جانب هاتين الإشارتين المرتبطتان بالزنا أكثر من البغاء توجد إشارات صريحة إلى دفع السادة و النخاسة بجواريهم إلى ممارسة البغاء و استفادتهم ماديا من إيراداتهن من ذلك. وأشار السقطي،" إلى ممارسة النخاسين مهمة القوادة لإمائهم مقابل دراهم ،و استخدم لذلك خادم سوداء".[5]

ويبدو مما سبق انتشار هذه الظاهرة في الغرب الإسلامي والأندلس خاصة من قبل تجار الرقيق بحكم أن الأندلس كان سوقا رائجة في استيراد و تصدير الرقيق . و رغم صريح الآية القرآنية في منع هذا السلوك،لقول الله ﷻ : ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ.** ﴾.[6] تعد هذه الإشارات دليلا على بغاء الإماء تحت إكراه النخاس اليهود أو الأسياد و الغريب أن منهم مسلمون ، سعيا وراء المال دون أدنى التفات إلى تداعيات هذه الظاهرة على المجتمع من جانب في انتشار الأخلاق الفاسدة و الذميمة، و على كرامة الإماء بالأخص باعتبار أن هذا السلوك يجردهن من إنسانيتهن ويجعلهن سلعة قابلة للامتلاك والتداول لما تفيضه من الدخل لسادتهن.[7] و رغم كل ما تلقاه الجواري من المعاناة فقد تميزت البعض منهن بعدة خصال حسنة منها الوفاء لسيّدها !

---

[1] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص34، 35.
[2] المقري،نفح الطيب ،ج4، ص 115 ؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص55.
[3] الونشريسي، المعيار،ج10،ص360.
[4] الونشريسي، نفس المصدر ،ج9 ،ص 51؛ بنمليح ، الرق . ، ص421
[5] آداب الحسبة ،ص49
[6] سورة النور:الآية 33 .
[7] بنمليح ، الرق ، .ص422

وفـــــاء الجـــواري :

سجلت الجارية وفاء نادرا ، في حبها وتعلقها في الرجال ومنهن من أظهرت حبها، وبعضهن من كتمته. و من الجواري الداخلات إلى الأندلس من المشرق "قمر" البغدادية جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب مدينة إشبيلية(ت 288ه) الذي طلبها فجلبت إليه من بغداد دار السلام. و أنزلها المكانة العليا بين جواري القصر مما جعل النساء العربيات يحسدونها على ذلك. و نظرا لحسن معاملته لها فقد راحت تنظر إليه نظرة إجلال و إكبار وتفان في وفاء نادر و من قولها في سيدها:

ما في المغارب من كريم يرتجى — إلا حليف الجود إبراهيم

إني حللت لديه منزل نعمة — كل المنازل ما عداه ذميم [1]

وقد نقل لنا ابن حزم الأندلسي صورا عن وفاء الجواري لأسيادهن فمنهن جارية رائعة الجمال ،مات سيدها فبيعت في تركته فأبت أن ترضى بالرجال بعده إلى أن ماتت ، وأنها كانت تحسن الغناء فأنكرت علمها به ، ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة . و لما تمسكت برأيها ضربها سيدها عدة مرات لكن صبرت على كل ما حصل من أذى .[2] ومن الجواري الوفيات من ذرفت دموعا وبكت بكاء شديدا على فراق سيدها ـ هو المعتمد بن عباد ـ فأجابها :

ترفق بدمعك لا تفنه — فبين يديك بكاء طوي [3]

أما خبر الجارية التي عزف عنها سيدها لشيء بلغه في جهتها لم يكن يوجب السخط فباعها، فجزعت جزعا شديدا وما فراقها النحول والأسف ، ولا بان عن عينيها الدمع إلى أن سُلّت وكان ذلك سبب موتها . ولقد أخبرت ابن حزم امرأة كان يثق بها أنها لقيت تلك الجارية وهي قد صارت كالخيال نحولا ورقة، فقالت لها : أحسب هذا الذي بك من محبتك لفلان، فتنفست الصعداء ، وقالت والله لا نسيته أبدا وإن كان جفاني بلا سبب وما عاشت بعد هذا القول إلا يسيرا". [4]

إن بعض الجواري كتمن الأسرار وحافظن على الأسرار رغم تعرضهن للعقاب وذلك لشدة وفائها. فقد قيل عن امرأة موسرة، ذات جواري وخدم، شاع على إحدى جواريها أنها تعشق فتى من أهلها، ويعشقها، وأن بينهما معاني مكروهة وقيل لها : إن جاريتك فلانة تعرف ذلك وعندها جلية أمرها ، فأخذتها وكانت غليظة

---

[1] ابن عذاري ، البيان،ج 2 ص 125 ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص 35؛ محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلامية في القرن 5ه/ 11م، ص 325؛ جمعة خليل، نساء من الأندلس ص 58.

[2] طوق الحمامة ، ص 94،95؛ سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، ص109

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ص 191.

[4] ابن حز، طوق الحمامة ،ص 94،95.

فأذاقتها من أنواع الضرب والإيذاء ما لا يصبر على مثله جلداء الرجال، رجاء أن تبوح لها بشيء مما ذكر لها، فلم تفعل.إن هذه الصورة التي أبدتها هذه الجارية من التزامها الصمت، وتحملها الأذى لدليل قاطع على إخلاصها ووفائها لزميلتها و حافظت على سرها .[1] وقد أفرد ابن حزم في كتابه طوق الحمامة بابا للوفاء ضمنه مراتبه وشروطه على المحبين.[2]

فإن تميزت بعض الجواري بالوفاء للرجال الملكين لهن فبما قابل هؤلاء الرجال هذا الوفاء؟ أو على الأقل بما تميزت معاملة الجواري المملوكات في قصور الحكام والأمراء و الأغنياء؟

إن ما تصفه المصادر من حظوة الجارية عند سيدها لا يعني إطلاقا أن هذه الجارية تعيش في بحبوحة ونعيم على الدوام ؛لأن في حالات كثيرة كانت هذه المحبة تنعكس سلبا على حياتها ،بل أحيانا تفقدها حياتها تماما . ومن يطلع على عالم الجواري يجده مليء بالمأساة و كفى بالجارية أنها مملوكة، مستعبدة، فاقدة الحرية !!! و أذكر على سبيل المثال بعض من هذه المشاهد المأسوية ، و في مقدمتها بعض خفايا و أسرار قصر الخليفة عبد الرحمان الثالث الذي كان يضم عددا كبيرا من النساء..قال ابن حزم في نقط العروس:" ما سمعته من المشيخة الدانية من تلك الدولة من قطيع سطوات الناصر لدين الله لمن حمايته من النساء في سره المطابقة لما كان يبديه منها في الرجال في دهره ، ما حملوه عن خواص من أكابر خدمة الخصيان ساكني داره، ومشاهدي غيبه :

"أن جارية من عليات حظياه المعدات بعلاقته كان في خلقها بَأو لا توفيه به حقه تعاظمه . خلت به يوما من أيام أنسه بالشراب بروضة الزهراء جالسة إلى جنبه والكأس قد عملت فيه ، فألح على محياها باللثم والعض حتى كلفت من فعله . فكسرت طرفها و ثنت جيدها عابسة سروره ...فأمر الخصيان بملكها و إدانة الشمعة من وجهها و إحراق محاسنها و طمسها...و هو يعاين ذلك حتى خمشوا وجهها و أساؤوا إحراقها وقضوا عليها ...فكان هذا من أقبح فعله".[3] و حكى عنه سيافه " أبو عمران " ،أنه دخل عليه في مجلس شرابه بقصر الناعورة فوجده جالسا القرفصاء ،ليثا على براثنه و جارية كالمهاة محبوسة في أيدي الخصيان إلى ناحية تسترحمه وهو يرد عليها بأغلظ الرد... وقال للسياف :"أضرب عنق الفاسقة

---

[1] ابن حزم ، طوق الحمامة ،ص61

[2] ابن حزم ، نفس المصدر ، ص ص 92،98 ؛ أما فيما يخص وفاء الجواري في الدفاع عن موالهن أو أسيادهن في حالة الخطر ، أو توظيفها في التجسس و التفاني في أداء مهمتهن ،انظر في ذلك الفصل الثاني.

[3] ابن حيان، المقتبس،مج 5 ص 38 ؛ابن سعيد ، المغرب، ج 1 ،ص184؛ ساسي علي، المرجع السابق ص459.

...فأدناه الخادم إلى أبي عمران السياف و قد كشف عن عنقها ،فضربها ضربة قطعت رأسها..."و قد جزاه الخليفة بعطاء جزيل من ياقوت وزبرجد... [1]

أما المنصور بن أبي عامر فأمر بقتل جارية غنت غزلا قدحا في " صبح" أم هشام المؤيد و أخرج رأسها في طست لضيفه [2] إنذارا له بخطورة الموقف. و كادت الجارية " أنس القلوب" أن تلقي نفس المصير من طرف ملكها المنصور بن أبي عامر لما غنت في مجلس سمر حضره الوزير أبو المغيرة بن حزم الذي بادلها أبيات شعر أثار حفيظة المنصور الذي بادر لحسامه و أغلظ لها في كلامه بأن تصدقه نية أشواقها وحنينها. ولحسن حظها تدخل الوزير في طلب العفو و الصفح لِما رآه منها من توسل وبكاء ، فعفا عنها المنصور ووهبها لهذا الوزير[3].

أما أبو عامر محمد بن أبي عامر فكان إذا رأى جارية لا يصبر عنها و يغتم غما شديدا حتى يمتلكها، فإذا صارت إليه عادت تلك المحبة نفورا و بغضا ...و ينتهي ببيعها.[4] . و قد ماتت من محبته جوار كن علقن أوهامهن به ، و وفين له فخانهن ، وصرن رهائن البلى و قتلتهن الوحدة . ومن بينهن جارية تسمى "عفراء" التي لم تستر محبتها له و لا جفت دموعها لما انتقلت من داره إلى بيت أخر. [5] فهل لهؤلاء الجواري من سبيل للخروج من سجن العبودية الرجولية ؟

إن من رحمة الله على عباده أن أمر الله تعالى بتحرير الرقبة أو بفكها و لم يرد في القرآن تسمية الرقيق ،إنما أطلق عليه اسم الرقبة و قال الله تعالى: ﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾ [6]. و :﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾. [7]. و كثير من كفارات الذنوب ارتبطت بتحرير الرقاب، منها ، كفارة اليمين ، و قتل المؤمن خطأ ،و االظهار، ويضاف لها

[1] ابن حيان، المقتبس، ج 5 ،ص 38،39.

[2] الضيف هو: محمد بن الحسين التميمي الطبني (ت 394هـ /1003م) ينتمي إلى إحدى البيوتات الشهيرة بقرطبة المعروف ببني طبنة. انظر ابن سعيد ،ج1 ،رقم 133 ،ص206 ؛ساسي علي، المرجع السابق ص459. انظر الفصل 2

[3] المقري ، نفح الطيب، ج1 ،ص616.

[4] ابن حزم، طوق الحمامة ،ص 87.

[5] ابن حزم ، نفسه ،ص88.

[6] سورة البلد ، الآية 13.

[7] سورة النساء ، الآية 92.

المكاتبة و التدبير. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:" **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار.**" [1]

و ابتغاء في نيل الأجر و الفوز في الدار الآخرة ، فعمد الكثير من الأشخاص على فك رقاب الرقيق ذكورا أو إناثا. و في الشأن وجهت أسئلة للعلماء و الفقهاء ، فيمن الأفضل عتق الأمة أو العبد؟ [2] و يتخذ العتق أشكالا و معاني مختلفة تستوجب الإلمام بها ومعرفة مدلولاتها من الطرفين أي من طرف المالك و المملوك(ة) لتفادي كل التباس وعدم الوقوع في المخالفات و المشاكل بين الأمة و سيدها أو سيدتها . و يسجل العتق في عقد موثق [3] و الموالاة التي تستفيد بموجبه المملوكة على حريتها.[4] وهذه الإجراءات لدليل قاطع للتخفيف و وضع حد للعبودية تدريجيا لأنها استأصلت في الأمم السابقة للأمة الإسلامية و رغم ذلك يقال بأن الإسلام لم يوجد لها حلا ناجعا !.

و حفظت كتب الفقه الكثير من هذه الحالات في المجتمع الأندلسي، و رغم وجود هذه الأشكال من العتق فالأهم أنه يعتبر صك حرية المملوكة و تطبيقه على الواقع المعاش ينعكس إيجابا على وضعية الجارية ، فبموجبه تصبح المملوكة حرّة آجلا أم عاجلا حسب مضمون العقد و تلحق بالموالي، و إن كان معها بنتا صغيرة تستفيد معها من الحرية. [5]. ويلاحظ على بعض المملوكات أنهن يسجلن شروط للعتق في العقود ،و منها من إنشرطت في العقد "... إن تعوقت أو تخلفت أو أبقت فلا عتق لها" ؛ و بوضعها هذه الشروط يمكن أن تحرم نفسها فرصة حريتها مدى حياتها . و من ذلك ما ورد في نازلة بمدينة "يابرة" بالأندلس أنه ذكر إباق مملوكة وادعائها أنها حرة ، ثم تراجعت في قولها بأنها مملوكة ،فحكم عليها بالعبودية .[6]

و أفتى أبو بكر عبيد الله القرشي [7]، في أم الولد تقوم في غيبة سيدها بعدم النفقة ،أنها تعتق عليه كالزوجة و خالفه في ذلك بعض فقهاء إشبيلية. [1]. وللأمة خيار إذا

---

[1] (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) مسلم، **مختصر صحيح مسلم** ،اختصره أحمد شمس الدين،بيروت،دار الكتب العلمية،ط 1، 1419ه/1998م، ص313

[2] ابن فرحون، تبصرة الحكام ، ج 1 ص 685؛ (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) البرزلي، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام** ،ج 6 ، تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت ،دار الغرب، الإسلامي ، ط 1، 2002م ، ص 6

[3] من أنواعه العتق : عتق مؤجل وعتق بتل و عتق استرعاء : انظر ابن العطار ، كتاب الوثائق ،ص 283.

[4] ابن العطار ، نفس المصدر ص ص 270 و 288

[5] ابن العطار ،نفسه ص 281

[6] ابن رشد، فتاوى، سفر 2، م 86 ، ص 352 ؛ البرزلي ، المصدر السابق ،ج 6 ص 24.

[7] هو أحد المفتين بإشبيلية ،و كان أحد الدعاة للشبيه الداعي القائم بها باسم "هشام المخلوع.عياض، المصدر السابق ،ج 2 ،ص 317.

أعتقت تحت زوجها العبد إن أبت المقام معه، أن تطلق نفسها على ما قضى به رسول الله ﷺ .[2] ويروي ابن الخطيب كيف أن الفقيه أبو البركات بن الفخار الجذامي كان يعتق جواريه،أنه :" كان يتخذ رومية مملوكة، لايشمل منزله على أحد سواها، فإذا أنس منها الضجر للحصر و تمادي الحجاب ، أعتقها وصاحبها إلى أرضها."[3]

ويتبين من ذلك إضافة إلى العتق ، فرض الحجاب على الجواري الروميات.ومما يذكر في المعاملة الحسنة لأم الولد أنه كان يحبس لها من أملاك من طرف سيدها. ومن مسائل الحبس التي أشارت إلى ذلك في غرناطة ،أن رجلا أوصى بحبس جميع أملاكه بقرى سماها على أمي ولده ،إ حداهما تسمى **"سرية"** و الأخرى **"هناء العيش"**.[4] و يبدو من معنى اسميهما أنهما كانتا فعلا محظيتين عنده. وعلى ما تقدم ذكره ،يمكن القول أن المرأة المملوكة كانت متواجدة بصفة مكثفة و نافذة لكل شرائح المجتمع الأندلسي، مما يدفعني للقول أن المجتمع الأندلسي كان كثير جواري، الأمر الذي يجعل منها عنصرا مؤثرا في شتى الجوانب الحياتية على مر التاريخ الإسلامي للأندلس.

يتبين من خلال ما سبق أن المرأة الأندلسية عاشت وضعا اجتماعيا بمختلف مستوياته، إلا أنه لم يكن وضعا متساوي الحظوظ لأن الهيمنة كانت عربية إسلامية واضحة خاصة قبل سقوط الخلافة الأموية ثم طرأت تحولات سياسية أثرت على العناصر السكانية في المجتمع . و لكن ما تحصلت عليه المرأة المسلمة و ما أحرزته من مكاسب على مستوى الحريات و الحماية في شخصها و مكاسبها ، كان دافعا لبقية العناصر النسائية الأخرى لكي تسعي للظفر بما عندها، و ذلك بواسطة اعتناق الإسلام . و هذا ما كان يسجل في كل آونة بقرار فردي و إعلان صريح ، أو تحت تأثير المحيط العائلي بالنسبة للمملوكات من الجواري و الخدم خاصة في العهد الأموي.

إلا أن هذا التحول في تعزيز موقع المرأة المسلمة عدديا نتج عنه مخالفات في الممارسات اليومية نظرا لما حملته الحديثات العهد بالإسلام من مؤثرات و تقاليد حافظت عليها من بيئتها الأصلية ،و بدا ذلك التغير جليا في سلوك المرأة منذ القرن 5هـ/ 11م أي مع بداية عهد الطوائف . فهذا التعايش المتنوع للنساء أصبح يظهر جليا في تصرفاتها و في لباسها في بعض العادات فتأثرت النساء -أحرار وجواري- و أثرت في بعضهن البعض بمختلف العادات الموروثة و المستحدثة .

---

[1] عياض ، ترتيب المدارك ،ج 2 ص 317.

[2] ابن العطار، المصدر السابق، ص 18؛ البرزلي، المصدر السابق ،ج 6، ص20

[3] الإحاطة، ج 3، ص ص91، 95.

[4] ابن رشد، مسائل، سفر 2،م 387،ص 1207؛ الونشريسي، المعيار،ج 7، ص463، 464.

لقد ازدحمت دار المدنيات بالقيان كما ازدحمت قصور الملوك بهن وبلغت الأعداد عند بعضهم أرقاما خيالية لا يصدقها العقل ، ولا يخلو دار الرجل الفقير الحال من جارية واحدة و ـ لو لم تكن قنية ـ على الأقل. فابتذال الجواري في مجتمع كالمجتمع الأندلسي وتنوع أعمالهن من جوار للخدمة واللذة والمتعة و شاعرات و أديبات وساقيات في المجالس ومغنيات وراقصات ، شكل ظاهرة متميزة ، وتغزل الشعراء بهن لما اتصفن به من رقة طبع وحسن وظرف ، واستطعن أن يثرن في نفوس أسيادهن من الإعجاب والحب ما بدا أثره واضحا في أشعارهم علاوة على ما تمتعن به من ثقافة وتعليم وتهذيب وفن وصنعة في الموسيقى والرقص والغناء ، فراح الشعراء يولَهون ويلْهون بهن ويعبثون ويتغزلون حتى ألهاهم ذلك مسؤولياتهم و أفقد بعضهم نخوة الرجولة و الذود على البلاد. و هكذا يتضح مما سبق ذكره صورة المرأة الأندلسية في الأسرة و المجتمع و تأثيراتها من خلال الأخبار و الأشعار التي وردت في شأنها .

ثانيا: المرأة و مظاهر الحياة الاجتماعية:

الأعيـــاد و الاحتفـــالات:

تتمثل ظاهرة الاحتفال بالأعياد الدينية في الأندلس بالتعددية و الاختلاف، فقد كانت الأعياد في الأندلس تنقسم إلى أعياد إسلامية وأخرى غير إسلامية. وكان الاحتفال بالأعياد الإسلامية عاملا من أهم عوامل الوحدة بين المسلمين، وأبرز هذه الاحتفالات الإسلامية الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، [1]ومن أبرز مظاهر الاحتفال بالعيدين، خروج قاضي الجماعة بقرطبة وكبار الفقهاء لارتقاب الهلال لتحديد الشهر الهجري. ويبدأ الأهالي رجالا ونساء أول أيام العيد سواء الفطر أو الأضحى، بأداء شعائر صلاة العيد في الشريعة أو المصلى الواقع في ظاهر المدينة في حشد من المظاهر الشعبية المألوفة ويرتدي الناس أبهى الحلل وفي ذلك يقول الطرطوشي" و خروج الرجال جميعا أو أشتاتا مع النساء مختلطين للتفرج . و كذلك يفعلون في أيام العيد، ويخرجون للمصلى و يقمن فيه الخيّم للتفرج لا للصلاة". [2]

و يصور ابن قزمان عادات المدن الإسلامية في القرن 6ه/12م منها ما قبل عيد الأضحى بأربعة أيام تساق الخرفان من كل مكان إلى ميادين تُسَوَ بأخشاب ،ويذهب الناس إلى هذه الأسواق التي يشتد عليها الزحام،فيقلبون الخرفان و يساومون الباعة و يدفعون الثمن. و صباح العيد تكون الأسرة كلها مشغولة بتهيئة الضحية والكل جاهزا لإعدادها بعد الذبح قائلا :

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1 ، ص 137 ؛ ابن الخطيب ، اللّمحة البدرية، ص 27.

[2] (ابو بكر بن الوليد) الطرطوشي، **الحوادث و البدع**،تحقيق محمد الطالبين ، تونس،1959، ص 141 ؛ سحر عبد العزيز سالم، الجوانب الاجتماعية و السلبية للزواج المختلط، ص 70، 71.

وترى كبش معلق والقطيطس تحت يعوي

أنا حريان فالسروال أو في منديل خبز ملو [1] .

وفي هذا الصدد نهى ابن عبدون "مشي الرجال مع النساء في أيام العيد على طريق واحد عند جواز النهر".[2] و كان الناس يتبدلون الزيارات و يتفننون في صنع الأطعمة الشهية كل أسرة على قدر وسعها.[3] و يبدأ الحفل بالإفطار الذي يكون من قمح مهروش و حليب و يستمر الحفل إلى ساعة متأخرة من الليل ،فتزدحم طرق مدن الأندلس و يتراش الناس بماء العطر و يشربون عصير البرتقال المعطر بالزهر. وهذان العيدان هما المعتبران عند الفقهاء .[4]

و مثلما كان الأندلسيون يخرجون للتفرج نساء و أطفالا ،كانوا أيضا يخرجون إلى المقابر و لذلك نهت كتب الحسبة ما يقع من مخالفات شرعية أثناء زيارتها.[5]

كما اعتبرت ليلة السابع و العشرين من رمضان ،ليلة احتفال في المساجد و المرابط و في البيوت الأغنياء و الفقراء . و اشتهرت هذه الليلة أيضا بابتياع الحلوى و الفاكهة التي عدها البعض بدعة.[6] وإلى جانب الاحتفال بالعيدين، احتفل أهل الأندلس بيوم عاشوراء الواقع في العاشر من محرم بالصوم و هو عيد فرح لأهل السنة و بالعكس يوم حزن للشيعة .[7] كما كانوا يحتفلون بعيد المولد النبوي الشريف، وهذا الاحتفال لم تصبح له صبغة رسمية في المغرب والأندلس إلا منذ أواخر القرن السابع الهجري، وذلك عندما استنّ الشريف أبو القاسم العزفي صاحب

---

[1] الطرطوشي،الحوادث و البدع ، ص 141 ؛ ابن الخطيب اللمحة البدرية، ص 27؛ فايزة كلاس ، **الأندلس ولاية مغربية**،رسالة ماجستير ،إشراف سهيل زكار، كلية الآداب قسم التاريخ،دمشق،1993م ص8،

[2] رسالة لأولى في الحسبة ص47.

[3] سحر عبد العزيزسالم، الجوانب الإيجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس، ص 70، 71.

[4] الونشريسي ، المعيار ،ج 11، ص152 ؛ أحمد شحلان، الحياة العامة في الأندلس العصر الوسيط ص191

[5] ابن عبدون ، المصدر السابق، ص 27، 47

[6] الطرطوشي، المصدر السابق ، ص ص 140، 141؛ فايزة كلاس ، المرجع السابق، ص8، 11.

[7] لا تنس ـ لا يُنساك الرحمان ـ عاشورا و اذكره لا زلت في الأحياء مذكورا

قال الرسول ـ صلاة الله عليه تشمله ـ قولا وجدنا عليه الحق و النورا

من بات في ليل عاشوراء ذا سعة يكن بعيشته في الحول محبورا.

ابن حيان ،المقتبس،تح مكي ،1971 ، ص184 ؛ القاضي عياض ، تريب المدارك، ج 3،ص140.

سبتة و طنجة سُنة الاحتفال بذلك اليوم، بل وجعله عيدا وطنيا في إمارته وألّف بهذه المناسبة كتابا أسماه "الدّرّ المنظم في مولد النبي المعظّم". [1]

ومن مظاهر احتفال المسلمين في الأندلس بتلك الليلة أنهم كانوا يتوجّهون إلى المسجد الجامع في كل مدينة منها، حيث يقام احتفال ديني كبير يشهده الرجال والنساء. [2] و كانوا يحتفلون فيه بمختلف الأطعمة و شراء الحلوى و التزين و التنزه و ركوب الدواب واجتماع الأطفال في الكتاب، وكانت تختلط فيه النساء بالرجال في التنزه. وعرفت ليلي العيد بحفلات عزف و ضرب آلات الموسيقى. و هذه الممارسات في العيد استنكرها بعض الفقهاء لما أحدثوه من بدع. [3]. و اتخذ هذا العيد طابعا رسميا خاصة في عهد أبي الحجاج يوسف الأول و توارثه ملوك بني نصر في غرناطة وامتزج المظهر الديني بمملكة غرناطة بالمظهر الأدبي. [4]

و يؤكد النص الفقهي عن ليلة يناير بما يلي:" سؤال عن ليلة يسميها الناس ليلة الميلاد، ويجتهدون لها في الاستعداد، ويجعلونها كأحد الأعياد ، و يتهادون بينهم صنوف الأطعمة و أنواع التحف. و يترك الرجال و النساء أعمالهم في الصبيحة تعظيما لليوم و يعدونه رأس السنة". [5] و يشير النص ،أنه بالإضافة إلى الأعياد الإسلامية، شارك المسلمون في الأندلس، النصارى في احتفالاتهم، ولعل في ذلك ما يؤكّد الرأي القائل في امتزاج التقاليد المشرقية والمغربية، الأمر الذي أضفى على الحضارة الأندلسية طابعا خاصا بها. [6] و يبدو التباس الأمر عند بعض العامة من المسلمين باعتبارهم الأعياد النصرانية أعيادا لهم ؛ فكانوا يتبادلون الهدايا فيما بينهم تعبيرا عن فرحهم بتلك الأعياد، كما كانوا يتهادون فيها بشتّى أنواع الحلي والتحف النفسية.

ومن أبرز تلك الأعياد غير الإسلامية عيد النيروز أو النوروز، وهو يوم السنة الجديدة في التقويم الشمسي الفارسي، وقد اختلف المؤرخون في تحديد موعده: فبينما يميل ليفي بروفنسال إلى تحديده بيوم الاعتدال الربيعي، يحدده هنري بيريس بأول شهر يناير. و ربما كانوا يتنكرون فيه في حفل مهرجاني ويتراشون بالماء في

---

[1] ابن الأحمر، نثير فوائد الجُمان في نظم فحول الزمان ، ص 48 ؛ أحمد مختار العبادي ، **الحياة الدينة و الدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية** مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد السادس، مطبعة الأنباء، الرباط، ، ص 28..

[2] سحر عبد العزيز، الجوانب الإيجابية. ، ص 71 ؛ شحلان، الحياة العامة ،ص 192.

[3] ابن الأحمر، نثير فوائد الجُمان ، ص 48 ؛ الونشريسي، المصدر السابق،ج 11، ص278، 280.

[4] أحمد ثاني الدسوري، **الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر**،أطروحة دكتوراه ،إشراف إبراهيم حركات،جامعة محمد الخامس،، الرباط ، 2002،- 2003 ص ص 126، 128؛ أحمد مختار العبادي، الحياة الدينة و الدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية ، ص 20..

[5] الونشريسي،المصدر السابق ، ج 11 ، ص150، 151.

[6] سحر عبد العزيز سالم ، الجوانب الإيجابية ...ص 72

الطرقات والأسواق ويقدمون فيه الهدايا.[1] و يرى البعض أن الليلة التي تسبق النيروز تعتبر أنسب الليالي للزواج. ومن أمثلة إقبال أهل الأندلس على الزواج ليلة النيروز، زواج المنصور بن أبي عامر من أسماء بنت غالب الناصري.[2] لكن يبدو لي أن هذا التوقيت لا يعد قاعدة عامة ، حيث كانت تقام الأعراس على مدار العام.

وقد أورد العزفي بعض مظاهر الاحتفال بذلك اليوم، ووصف أنواع الحلوى التي تفنن أهل الأندلس في صنعها في تلك المناسبة. أما العيد النصراني الذي يلي عيد النيروز في الأهمية، هو عيد العنصرة أو عيد سان خوان أو عيد المهرجان الذي يتفق مع الاعتدال الخريفي، وبينما يسمي ليفي بروفنسال هذه الأعياد أعيادا فلكية، فإن فرناندو دي لاجرانخا يرى أن هناك أعيادا اسبانية ذات سمة دينية.[3]

كما ذكر الونشريسي أخبارا عن إقامة حفل العنصرة بإجراء الخيل و المباراة . وعدد بعض عادات كانت تقوم بها النساء في هذا اليوم الذي أصبح عطلة متعة . كما ذكر غريب بن سعيد في تقويمه المعروف بتقويم قرطبة، الاحتفال المشترك بالأعياد الموسمية و كذا بأعياد اليوم الأول من السنة و بعيد المهرجان. و يذكر أن هذه الأعياد اشترك فيها كل سكان الأندلس مع أنها كانت تحتفي بالأولوية للنصرانى.[4] و كان من مهمة رجال الحسبة الترصد لما يحدث في هذه الأعياد ، ومن ذلك منع السفلة و الصبيان من الرش بالماء في الأسواق و تزليق الطرقات يوم المهرجان واللعب بالمقارع والعصي .[5]

وكذلك احتفل أهل الأندلس بيوم الميلاد، وعلى الأخص بالليلة التي تسبق العام الجديد، وكانوا يسمونها ليلة العجوز أو الحجوز، كما احتفلوا بخميس العهد أو خميس إبريل، وفيه كانوا يكثرون من أكل المجبنات الحارة و الإسفنج، و يتنزهون رجالا ونساء جماعيا. ويتوجهون إلى المصلى للتفرج.

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص162؛ أحمد شحلان ، الحياة العامة. ، ص 193 ؛ سحر عبد العزيز، الجوانب الإيجابية. ، ص72 ،73.

[2] ابن عذاري، البيان ،ج 2، ص267؛ Peres Henri : La poesie musulmane, p271. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص 98.

[3] ابن القوطية ، تاريخ إفتتاح الأندلس، تح العربي، ص92؛ سحر، الجوانب الإيجابية. ، ص73.

[4] المعيار، ج 11 ص92، 151، 152؛ المقري ،نفح الطيب،ج 3 ،ص128. Provençal: Hist, t 1 pp 171,172

[5] الجرسيفي، الرسالة الثالثة في الحسبة، 124.

و تشير كتب الحسبة و الفتاوى على أن بعض المسلمات كن يزرن الكنائس ومنها ما ورد منعه عند ابن عبدون [1]:

" يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة ،فإن القسيسيين فسقة زناة لوطة. ، ,. يجب أن تمنع الإفرنجيات من الدخول في الكنائس إلا في يوم فضل أوعيد، فإنهن يأكلن و يشربن و يزنين مع القسيسيين؛ وما منهم واحد إلا عنده منهن اثنتان أو أكثر يبيت معهن. وقد صار هذا عرف عندهم لأنهم حرموا الحلال ، و استحلوا الحرام. ويجب أن يؤمر القسيسون بالزواج كما في ديار المشرق، ولو شاءوا لفعلوا . و يجب أن لا يترك في دار القسيس امرأة ، و لا عجوز ،و لا غيرها إن تأبى الزواج.[2]

ومن مظاهر امتزاج التقاليد المحلية بالتقاليد المشرقية الإسلامية، أن يوم الأحد كان يوم عطلة رسمية عند أهل الأندلس، الذي تعطل فيه الدوائر العامة، وتغلق الحوانيت. وقد اتبع هذا التقليد في الأندلس منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط، وأوّل من سنّه قومس بن انتيقان كاتب الأمير محمد، وظلّ متبعا في الأندلس في أيام ابن حيان نفسه. كما جرت العادة على تعطيل يوم السبت أيضا وهو يوم عطلة اليهود .و في هذان اليومين ،الأحد و السبت كانت تقام فيهما الطقوس الدينية ، وتدق الأجراس في الكنائس و تتلى التوراة في البيع قرع النواقيس دلالة واضحة على تسامح الإسلام مع الأديان الأخرى. و نلاحظ في الوقت الحالي أن بعض الدول الأوروبية تمنع بناء صوامع المساجد نهيك على منع الآذان . و يبدو أن اليوم الأحد كان مضرب مواعيد بين الناس أو بالأحرى بين الأحباء، فقال ابن حزم في ذلك:

أتَيْتي و هلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقس. [3]

ومن الأعياد الدينية اليهودية الفصح و يقع مابين 14 و 22 أفريل، يجرى الحفل بطريقة ترتيبية من أول ليلة إلى آخره. وكانوا يحيون حفلاتهم الكبرى في البيعة ،في حين كان حفل "السدر" يجري في البيت و في جوي أسري.[4] و يلي هذا العيد ، عيد "سكوت" أو " المظال" الذي ينتهي بـ "سمحت توراه " أي فرحة التوراة ، حيث تزين أماكن العبادة ... و يرقصون حاملين "لفائف التوراة" بحضور الأطفال و ورقص النساء و الرجال. و هذه عادة استنكرها الأحبار و رفضوها . ورافق هذه المناسبات الدينية المختلفة حفلات موسيقية و غنائية في الدور و القصور.[5]

---

[1] ابن عبدون ، الرسالة الأولى في الحسبة ،ص 48، 49.

[2] ابن عبدون، نفس المصدر ، ص49.

[3] سالم عبد العزيز ، تاريخ المسلمين و أثرهم في الأندلس ، ص 131.

[4] أحمد شحلان، الحياة العامة، 193.

[5] أحمد شحلان، نفس المرجع، ص 194.

كما تلتقي النساء في مناسبات أخرى ،منها مناسبة الولادة التي تعد فرصة لإقامة الاحتفالات و إيلام الولائم و دعوة المغنيين و المنشدين . و تكون الفرحة أكبر إذا كان المولود ذكر عند الأسر التي ترغب في ذلك . و أمرت كتب الحسبة للقرن 5ه/11م بإجبارية إختان النصارى كما كان يفعل بهم المعتضد عباد ،لأنهم متبعون بزعمهم لسنن عيسى عليه السلام . و عيسى قد ختن، ولهم في يوم ختانه عيد يعظمونه ويتركون سنته [1].

وكان الأندلسيون يفرحون بالمولود ذكرا أو أنثى، و يختارون للبنت أسماء ذات دلالة كأن يطلق عليها اسم إحدى شهيرات الإسلام مع كنيته تنادى بها، مثل: أم كلثوم ، عاتكة، عائشة، فاطمة، أم الحكم و أم عاصم. ومن ذلك أسماء بنات الأمير عبد الرحمان الأوسط اللاتي ذكرهم ابن حيان كلهن و عددهن خمسا و أربعين اسما [2]. أما أسماء بنات المنصور بن أبي عامر المستمدة من أسماء الزهور و هن ثلاث بنات: "بهارا، ونرجسا، و بنفسجا". [3] و يبدو أن الأسرة الأندلسية عموما لم تفرق بين البنت و الولد من خلال ما هنأ به ابن عمار المعتمد بن عباد قائلا:

أهنأ بنجليك من أنثى و ذكر لا تعدم الضوء بين الشمس و القمر [4]

أما في أسرة بني زيري، التي عاصرت أسرة المعتمد، فقد كان يفرح بالبنت بكرا أكثر من الولد. و هذا من بين المتعاهد عليه في عادات القبائل الصنهاجية، و عبر عنه الأمير عبد الله بن بلكين بما يلي:" و كن من نعمي الله علي أن رزقني بكر أولادي ابنة، لم يزل قبيلنا كله يتبرك بها و يكره أن يكون بكره ابنا ذكرا. و قد رأينا في سيف الدولة أبينا ، أن لو تتم له فرحته بذلك،على أن هذا على العموم، و إنما ذكرناه للتفاؤل، إذ قال نبينا ﷺ : **تفاءلوا و لا تطيروا."** فنحن قد تفاءلنا لاسيما بما شهر عند أهلينا و اقلوا قديما، و لو كان ضده ما ذكرناه".[5]

و تتواصل احتفالات الأسرة بفرح الاختان أو الاعذار التي تعد مناسبات تجمع بين الواجب الديني و التفاخر الاجتماعي عند الأندلسيين. ويبدو أن السلطة كانت تحرص على حضور الفقهاء إلى مثل تلك الاحتفالات و تستاء عندما يتأخر عن الحضور أحد العلماء وتسأله العذر في ذلك.[6] و من الاحتفالات الرسمية ، الحفل الذي أقامه الخليفة الناصر بمناسبة استقبال سفارة الأمبراطور قسطنطين بيزنطة

---

[1] ابن عبدون ، الرسالة الأولى في الحسبة ، ص49.

[2] ابن حيان ، المقتبس، تح مكي ، ص164.

[3] Provençal :hist. t1,p255.

[4] محمد أسعد صبحي ، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص27، 28.

[5] كاتب " التبيان"، ص199.

[6] المقري، أزهار الرياض،ج 2، ص 282 ؛ الكبيسي ، دور الفقهاء ، ص 127، 128.

و تكريم عمته " طوطة" الذي يعبر على احترام المرأة النصرانية على أرض الأندلس ويعتبرها رمز التواصل بين حضارتين مختلفتين.[1]

ـ العــادات و التقاليد و التأثيرات الاجتماعية:

و عن العادات المحلية الغربية في المجتمع الأندلسي، المتمثلة في اختلاط النساء بالرجال في شتى المناسبات، يؤكد الطرطوشي ذلك في أكثر من موضع في كتابه "الحوادث والبدع"، كما كان من الشائع رؤية لكثير من نساء الأندلس يخرجن دون خمار على وجوههنّ،كما نهى ابن عبدون نساء دور الخراج عن كشف رؤوسهن خارج الفندق و التحلي للنساء بزينتهن و منع الراقصات أن يكشفن أيضا رؤوسهن. [4]

ويسوق لنا المقري نصا يصف فيه امرأة من اشبيلية في دول الطوائف، كانت تترك ذؤابتها طويلة، وكانت أحيانا تسبل شعرها وترتدي قميصا شفافا يكاد المرء لا يفرّق بينه وبين جسمها.كما يصف لنا أنه كان في إشبيلية منتزه يعرف باسم مرج الفضة،أمعن الأمير المعتمد النظر في امرأة تصبح زوجته . ولعل قصة لقاء المعتمد بن عباد مع اعتماد الرميكية في شلب بغرب الأندلس خير دليل على ما سبق ذكره. وفي جولة أخرى للمعتمد في حي الجباسين و الجيارين في إشبيلية التقى بامرأة ذات جمال مفرط، فكشفت عن وجهها و تكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء.[5]

و يذكر ابن حزم [6] أن الشاعر الرمادي أحب فتاة بعد أن شاهدها في الطريق. أما الشاعر ابن السراج المالقي فكان يوما يتنزه على نهر مالقة فمر به سرب من الفتيات الملاح فيهن جارية حسناء تأكل الباقلاء، فاعترضها و سألها منه فدفعته إليه ،فقال فيهن شعرا.[7] وأغلب الظن أن هؤلاء النساء المتحررات لم يكن من النساء الحرائر، وربّما كنّ من الجواري والإماء أو من المولدات اللائي كنّ ينعمن بحرية تفوق حرية حرائر النساء ، فرجال الحسبة كانوا ينهون عن كثير من تصرفات النساء في المتنزهات و في الجنان وعلى ضفاف الأنهار مثل الغسل و الجلوس و الخلوة. [8] و هذا ما يبدو جليا في أشعار بعض أديبات و شاعرات

---

[1] ابن حيان ،المقتبس، ج 5، ص 47.
[4] ابن عبدون،الرسالة الأولى في الحسبة ، ص 51.
[5] المقري، نفح الطيب ،ج 4 ،ص211.
[6] طوق الحمامة ،ص 34، 35.
[7] ابن بسام ، الذخيرة، ج1، ص 551 .
[8] ابن عبدون ، المصدر السابق، ص 32، 45.

الأندلس منذ القرن 5هـ/ 11م مثل حَمْدة أو حمدونة بنت زياد المؤدب الوادي آشية و وصفها الطبيعة.[1]

ويظهر أن خروج الرجل غير المسلم برفقة امرأة مسلمة لم يكن محذورا في المجتمع ، و ذلك ما أشارت إليه فتاوى ، مفادها أن التشكي من هذه الرفقة لا يكون إلا في حالة ، إذا كان المرفق من أهل السوء و الشر. فقد سئل (فقهاء قرطبة) عن نصراني شهد عليه أنه من أهل الشر و الفساد و أنه رُئي مع امرأة مسلمة و هي سائرة معه... و قال أخو المرأة إن "سعيد العجمي" ـ و هو اسم الرجل المقصود ـ قد أخرجها وتثبت الوثيقة عليه . و شهد "لسعيد " أنه من أهل العفاف و الاستقامة و حسن المعاملة والمعاشرة للمسلمين، لا يعرفونه مختلطا بأهل الشر و لا ملتمسا به. و قد اكتفى القاضي بحبسه خمسة عشر يوما، لأنه أخفى المرأة، لا لأنه رافقها. [2]

و يضيف الونشريسي أن النصارى كانوا يشترون المسلمات لخدمتهم وهذا ما يؤكد على شيوع اختلاط المسلمات مع النصارى خاصة في الدور.[3] و تشكل هذه النازلة خطر كبير على حرمة المرأة المسلمة التي بوّدنا معرفة الظروف التي أدت إلى بيع المسلمات للكفار- النصارى ـ و من هي الأطراف المشرفة على ذلك ، ومن المستفيد من هذا البيع ، و ما نوع الخدمة التي تقوم بها المسلمات عند النصارى و ما مدى احترامهم لها؟

و من المعلوم أنه شاع في المجتمع الأندلسي الاختلاط في المرافق العامة ؛ مثل في المتنزهات والحمامات و الفنادق، واشتهر من هذه الأخيرة :" فندق بن زاغو الذي قيل فيه : "نصارى ويهود و مسلمين اَنْ لْطاف ." [4] كما ضمت بعض الفنادق نساء الخرجيات أو ما يعرف بدار الخراج . و قد نهى و منع نساء دار الخراج التي يسكن الفنادق من الظهور متكشفات الرؤوس [5] و من أشهر نساء دار الخراج "رسيس " التي كانت تركب على بغل و دخلت مع عبد الرحمان الناصر قرطبة على باب العطارين من الربض الغربي كله إلى الزاهرة في يوم سروره.[6]

و كان الحمام [7] أمرا شائعا بين المسلمين و أهل الذمة و الذي كان يخضع لضوابط الشرع الإسلامي منها مثلا ،منع دخول نساء مسلمات مع كتابيات

---

[1] انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

[2] الونشريسي، المعيار، ج 2 ص346.

[3] الونشريسي ، نفس المصدر ، ج 5 ص253

[4] ابن شريفة ، تاريخ الأمثال والأزجال، رقم 1770، ص324.

[5] ابن حزم ، رسائل ،ج2، ص 76؛ ابن عبدون، المصدر السابق ، ص 50، 51.

[6] ابن حزم ، رسائل ، ج2، ص 76.

[7] اشتهرت الأندلس بكثرة الحمامات والفنادق ، نفح الطيب ،ج1، ص163.

بغير مئزر الحمام ، و المسلمون مع الكفار في الحمام". [1] و كان للعامة حمامها الخاص حيث خصص للنساء إما حماما خاصا بهن أو تحدد لهن أوقاتا معلومة في حمام عام، مثلا يفتح للرجال صباحا ثم للنساء بعد الظهر ، أو للرجال أيام محددة للنساء أيام غيرها. ويذكر ابن عذاري،" أنه كان أيام عبد الرحمان الناصر حوالي وثلاثمائة حمام خاص بالنساء فقط". [2] و كانت امرأة تجلس في المواعيد المحددة عند حمامات النساء. [3]. وكانت حمامات النساء في غرناطة مكانا للاجتماع و التسامر. و كان بائعو أدوات الزينة و العطور و المساحيق يستفيدون كثيرا من ترددهن إلى هناك، لذا يلاحظ تدخل رجال الحسبة في هذا الشأن ومنعوا الرجال من الجلوس مقابل حمام النساء لأنه اعتبر موضع تمتع و زنى.[4]

و لا يخلو الحمام من المشاكل بين النساء و لقد تدخل الفقهاء في حل الخلافات الطارئة بين النساء. ومن مظهر ذلك ما و قع في إحدى حمامات إشبيلية ، أن امرأتين من أعيانها دخلتا الحمام و كان بينها شقاق، فأمرت إحداهما خدمها أن تضع ثيابها في وسط ثياب المرأة الأخرى . فلما خرجت و طلبت ثيابها لم تجده فقالت لصاحبة الحمام : رأيتُ فلانة دخلت الحمام و هي التي أخذت الثياب و اتهمت المرأة بالسرقة. ولكن صاحبة الحمام أنكرت ذلك قائلة لها أن المرأة من أصلح الناس ولم تكن لتسرق الثياب و أنا أغرم لك الثياب. و لم تقتنع المدعية و طلبت تفتيش المرأة و أشهدت النساء عليها، و رفع ذلك إلى قاضي إشبيلة أبي محمد بن أحوط الله الذي أمر بسجن المرأة و قيل أمر بضربها . و لما تكلم فيها الناس أطلق سراحها. لكن قام أخوها برفع دعوى في جامع إشبيلية ضد القاضي ابن أحوط الله. ثم قصد أخوها أمير المؤمنين الناصر الموحدي و هو يحاصر المهدية يشكو له ، فأكبر الناصر القضية و أكبرها الفقهاء ، و أمر أمير المؤمنين بالاقتصاص للمرأة من القاضي ، فعظم ذلك على الفقهاء فمازالوا يتلطفون مع خصمه حتى عفا عنه و بيده وكالة من أخته تقتضي ذلك .[6] و كانت هذه الحادثة في أحد حمامات إشبيلية سببا في انتقال القاضي أبن أحوط الله من الأندلس إلى إفريقية.

---

[1] الطرطوشي، الحوادث و البدع ،ص 142.

[2] البيان ، ج 2، ص 247.

[3] عبد الوهاب خلاف، **قرطبة الإسلامية في القرن 5ه/ 11م** ، تونس،الدار التونسية للنشر،1984 ص33.

[4] ابن عبدون، المصدر السابق ، ص 50، 51.

[6] البرزلي، جامع مسائل الأحكام ،ج 6 ، ص 378 ، 379.

Manuela marin, Ibn Hawt Allah (m.612h /1215)y dos mujeres de Sevilla,Al Quantara,xxx1x1,enero_juniode2008,p217,218.

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية للمرأة في بعض المدن الأندلسية،كمدينة غرناطة، بدرجة كبيرة بالجماعات النصرانية و ذلك بحكم الجوار و الاتصال المتبادل من الطرفين. و تذكر النصوص أنه في الأحياء الشعبية كان الرجال و النساء يلتقين في الأماكن العامة وفي أماكن الصلاة و في حفلات الأعراس و الأعياد و استنكر العلماء هذا الفعل لقول الرسول ﷺ : **" باعدوا بين أنفاس الرجال و النساء"..** [1]

و يلاحظ مما سبق ذكره، أن ظاهرة هذا التحرر لا تنطبق على جميع النساء، و لا على كل العصور، فالمرأة الأندلسية الحرة لم تكن في عصر الولاة، و بداية الدولة الأموية تختلط بالرجال و لا تشترك معهم في الاجتماعات العامة بشكل واسع . لكن بعد سقوط قرطبة و في عهد ملوك الطوائف و ما ولاه تراخت التقاليد الاجتماعية في الأندلس تراخيا سمح باختلاط الجنسين دون حرج أو ضيق، و ليست هناك رقابة إلا على الحرائر المحافظات اللاتي كن محتجبات على عكس الجواري. إن النساء الحرائر في هذه البيئة تصرفن وفقا لمتطلبات بناء العائلة الإسلامية المحافظة، أما الجواري والقيان والمولدات كن يخالطن الرجال على أوسع نطاق و يشاركنهم في مجالس اللهو.[2]

و عموما فقد انتشرت ظاهرة الحرية بين نساء العائلات الأرستقراطية ، و على الخصوص بين تلك التي تولت مقاليد الحكم ،و لم تشعر المرأة في هذه الأوساط بأي نقص أو عيب في سفورها و منهن بعض الأديبات و الشاعرات مثل ولادة بنت المستكفي و نزهون بنت القلاعي. [3]

ومن الأمثلة عن العادات والتقاليد المشرقية التي شاعت في المجتمع الأندلسي، هواية الصيد التي تعد من أهم وسائل التسلية عند العرب والتي انتقلت للأندلس و استمرت إلى غاية بني الأحمر. فمثلا كان الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر يركب معه الجارية " رسيس " إلى الصيد و يلهو معها و يلبسها قلنسوة و سيفا [4].

---

[1] ابن عبد الرؤوف، الرسالة الثانية في الحسبة،ص 74..

provençal : hist, t 3 pp402 ,403.

[2] بعيون سهى، **إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس،عصر ملوك الطوائف**، بيروت ،دار المعرفة،ط 1، 1429ه/ 2008م. ص446، 447.

[3] ابن بسام ، الذخيرة، مج 1، ص 267؛ ابن سعيد ، المغرب؛،ج 2،ص228؛ ابن الخطيب الإحاطة،ج 1، ص 426.

[4] ابن حيان، المقتبس، مج 5 ص37 ؛ ابن حزم ، نقط العروس، ص76 ؛ أحمد ثاني الدسوري: المرجع السابق، ص 110.

كما حظيت لعبة الشطرنج بشعبية كبيرة في الأندلس، وربما كان زرياب المغنّي هو أول من أدخلها إلى الأندلس في القرن الثالث الهجري/ 9م ، و دربوا على إتقان لعبتها بعض الجواري الماهرات لرفع ثمنهن . و انتقلت هذه اللعبة من الأندلس إلى مملكة ليون تحت اسم (Ajedrez). وقد أقبل عليها الملوك والأمراء والتجار والفقهاء، ومن الثابت تاريخيا أن العديد من ملوك الطوائف كان يقبلون على لعبة الشطرنج و لما ازدادت حرية المرأة في هذه الفترة شاركت فيها بعض الجواري اللاتي دربن على هذه اللعبة لرفع أثمانهن .[1]

تعدّ دراسة الأعياد و الحفلات في الأندلس دراسة لمظهر هام من مظاهر التاريخ الاجتماعي الأندلسي، وتأكيدا للتعايش الذي كان قائما بين التقاليد الإسلامية و الغربية ، وهذا في حد ذاته، يعدّ دليلا قويا على سياسة التسامح التي اتّبعها المسلمون مع نساء أهل الكتاب في الأندلس، و هذا ما أدى في بعض الأحيان إلى انطلاق أصوات بعض فقهاء المسلمين الغيورين على الدين، مطالبة بالكف عن مشاركة المسلمين في الأعياد لا إسلامية ، مستشهدين في ذلك بالعديد من الأحاديث النبوية.[2]

و منع تقليد المرأة المسلمة للمرأة للنصرانية في الاحتفالات و ما تتميز به في المأكل و الملبس. كما تعد الأعياد والاحتفالات من أهم المناسبات كانت تبدي فيها المرأة أجمل الثياب و أطيب العطور وأبدع التجميل؛[3] فكانت نساء غرناطة البارعات في الحسن و الإتقان ،يشهدن الحفلات العامة سافرات، وكن يضفن بحضورهن فيها روعة و سحرا و كن يتمتعن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية،[4] دون أن ننسى ما تمتعت به المرأة الأندلسية من أناقة بارزة تمثلت في اللباس و التجميل و التطيّب .

ـ اللّبـــــاس و التزيــــن

اللّبــــــاس :

يبدو أن المرأة الأندلسية لها باع طويل في الأناقة فقد حذر طارق بن زياد جنده من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان ،فلما انتصر عل لذريق سار إلى قرطبة و أخذ منها من السبي 12ألف امرأة و

---

[1] سحر عبد العزيز، الجوانب الإيجابية و السلبية. ،ص 74.
[2] ابن عبدون، رسالة في الحسبة الأولى ،ص 48،49 ؛ الطرطوشي، الحوادث و البدع ،ص 142.
[3] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 20.
[4] عبد الله عنان ،دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس ، ج7 ، ص451.

سار بهن إلى طليطلة.[1] وهو معذور في تحذيره فقد روي عن ابن حيوة عن معاذ بن جبل قال : " إني ما أخافه عليكم فتنة السراء و هي النساء ، إذا تحلين بالذهب و لبسن ريط الشام، **و** عصب اليمن .[2] والملاحظ أن المرأة بهرت الرجال بأزيائها التي اتسمت بطابع الأناقة والنفاس والإسراف. لقد لبست من أصناف وأنواع الأقمشة ما لا يوجد في بقاع العالم حيث توفر في بلدها أصناف الطرز والكساء العنبري والمريش والديباج، والديباج الرومي.[3]

كما عرفت الثياب السنوسية وثياب الخز العبيدي والملابس السحولية اليمنية، حيث وجدت في الأندلس مصانع للحلل الموشية النفيسة والموشية بالذهب ومن طراز الوطاء البسيط من الديباج الذي لا يعرف له نظير.[4] كما لبست الوشي المهلهل والثياب القلشانية والحرير الجياني والحرير الخسرواني . وكانت مدينتي وادي آش و دلاية تنتجان نوعا من الحرير كانت تفضله أميرات غرناطة و النساء الميسورات. الذي قال فيه ابن بسام : "قد ألهب بالذهب نحورها وحواشيها وقرنت بالعسجد أسافلها وأعاليها، وكحلت بأسلاك خطوطها و رسومها و وصلت بالياقوت الأحمر دوائرها ورفوفها".[5] و يوجد بقايا منها مثل الأقمشة التي عثر عليها في تابوت" دونيا ليونور" بنت ألفونسو الثامن في أراجون.[6]

و نظرا لما عرف عن قيمة الحرير،و أنه من لباس أهل الجنة، و قال فيه الرسول ﷺ:"**حرام على ذكور أمتي حِلٌّ لإناثهم.**"[9] فقد عرفت المرأة من طرازه ثمانمائة طراز . و قد تختص بأجود نوعه المرأة المحظية دون غيرها ، ومنها أن رجلا اشترى لجاريته ثوب حرير طرازيا ،كانت ملوك الأعاجم تلبسه لإرضائها.[10] كما لبست المرأة الأندلسية السقلاطون و الاصفهاني والجرجاني والمستور المكللة والثياب المعينة، والعتابي والمحاجر وصنوف أنواع الحرير الأخرى وثمة

---

[1] مجهول، تاريخ الأندلس،تح بوباية، ص155 ؛ عدنان درويش، الأندلس من نفح الطيب.، ص131

[2] ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج 4، ص299

[3] ابن عذاري، البيان،ج 1 ،ص296 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 1،ص 393
Pérès Henri : La poésie andalouse,p318

[4]ابن حيان، المقتبس،ج 5، ص 428.؛ الحميري ، الروض المعطار، ص307؛ أحمد شحلان، الحياة العامة، ص 198، 199 ؛ سحر عبد العزيز سالم، **دور الطراز في الأندلس في عصر دولة بني أمية**، مجلة دراسات أندلسية ، تونس، عدد 13، 1415ه/1995 ، ص92، 93.

[5] ابن بسام، الذخيرة ،ج3، ص434.

[6] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر ، ص 304.،305.

[9] (أبو بكر عبد الله محمّد) ابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الحديث و الآثار**،بيروت،دار الكتب العلمية،ط 1، 1416هـ/1995م، ج5،رقم 24778، ص163.

[10] السقطي ، أداب الحسبة ،ص 54؛ أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص 305.

أقمشة أخرى هي المفصص، والمقسم ، والمشوب كلها من صنوف الأنسجة التي اشتهرت بها الأندلس.[1]

ولقد ازدادت المرأة بألوان الملابس الجذابة أناقة، وأفادت من هذا التنوع والتفنن في الملابس مما دعا الشعراء إلى التغزل بملابسها. وقد روي إنها لبست القميص كما لبسه الرجل ويبدو أنها بلغت من الأناقة في الأزياء إلى درجة جعلت قميصا للصباح وآخر للمساء .[2] وقد ذكر لنا الشعراء ألوانا وأصنافا من القمصان منها الأبيض الذي يشبه الغيم الرقيق والأصفر المشبه بأشعة الشمس ومنها ذو اللون الأسود .[3]

ويفسر رينهارت دوزي [4] كلمة درع بالقميص الذي يشبه لباس القباء عند الفرس ،لا تنطبق إلا على قميص المرأة .وكثيرا ما استعمل الشعراء هذه الكلمة للإشارة إلى المرأة نفسها. و اشتهرت نساء الوجهاء بلبس معاطف و جبات من حرير مطرزة العنق والأكمام عريضة ، مع خمار أو منديل مخطط. و قلدت النصرانيات هذا اللباس وحافظن على اسمه الأصلي - Aljuba .أما لباس نساء العامة فكان جبة من الصوف أو القطن في المدن ، و معاطف قصيرة من ثوب خشن في البوادي. أما الراقصات فكن يؤثرن الحمرة من الملابس، وهذه الراقصة قد زهت بقميص أحمر يقول فيها ابن خفاجة:

وكأنها والريح عابثة بها تزهى فترقص في قميص أحمر [5]

و وردت "الحلة " كثيرا في الشعر مما يدل على تداولها بين النساء وربما كانت من أزياء المناسبات . وقد تفننوا في تطريز الرداء بخيوط من الذهب وكانت

---

[1] المقري، نفح الطيب ، ج 1، ص163، 201 ؛ عيد المبروك عمار، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس خلال العصر الموحدي**،أطروحة دكتوراه تحت إشراف محمد حمام،جامعة محمد ، الخامس، الرباط ، 2003،2002،ص 372 ؛ سحر عبد العزيز ،دور الطرز في الأندلس، ص 93.

[2] ابن بسام ،المصدر السابق ج3، ص 358 ؛ محمد مقر ،**اللباس المغربي خلال عهدي المرابطين والموحدين**،رسالة ماجستير تحت إشراف محمد حمام،جامعة محمد الخامس، الرباط، 1995، 1996، ص 75، 76.

[3] سلمى سليمان علي ، المرجع السابق ، ص194.

Supplément aux dictionnaires arabes, t1, librairie du Liban, Beyrout, 3 . 1991, p434

صالح أحمد العلي، **المنسوجات و الألبسة العربية في العهود الأولى**، شركة المطبوعات و التوزيع للنشر،ط 1، بيروت، 2003، ص 200، 2001.

[5] ابن بسام، الذخيرة ، ج3 ، ص 600؛ شحلان، الحياة العامة ص 199. ؛أحمد ثاني الدسوري،الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر، ص 110.

تشغل حاشيته وتطرز.[1] ومن التشبيهات التي وردت في الرداء قول ابن حصن الأشبيلي :

ورقت حواشي الدهر حتى كأنه رداء عروس بالعبير مرقرق

ومن عادة العروس عند زفافها لبس الملابس ذات الذيل الطويل وقد تلبس الرداء المفضفض مصبوغا بالزعفران و يقول ابن صارة في تشبيهه:

أنظر النهر في رداء عروس صبغته بزعفران العشي [2]

ويظهر أن الشعراء قد وصفوا أيضا قراطق [3] حبيباتهم ومحظياتهم وجواريهم .

كما لبست السترة و النطاق وقد ذكر الشاعر نطاقها القصير كناية عن خصرها الهضيم يقول ابن اللبانة : وحسرتاه ماذا ابتلينا به من كامل الذرع قصير النطاق

و تشكلت الملابس من مختلف الألوان كالمزعفر المصبوغ بالزعفران والعصفر. ويتضح من الأشعار أن المرأة لبست المرط وهو ملحفة يؤتزر بها .وأقمشة المرط تكون من الخز أو الصوف أو الكتان ، وهو عادة ملون، ومن ألوانه السواد والخضرة ويعتقد دوزي أن كلمة "مرط" تعني نوعا من التبان أو السروال وهو ما نسميه اليوم تنورة ويشمل الجزء الأسفل من الجسم[4] .

وكثيرا ما تطرق الشعراء إلى وشاح المرأة والوشاح : منطقة عريضة من الجلد مزركش بالأحجار الكريمة تعقده المرأة على خصرها، والوشاحان قلادتان تتوشح بهما ترسل أحدهما على جنبها الأيمن والآخر على الأيسر. ويصنع وشاح الخروج

---

[1] و قيل في التطريز: صَف كحاشية الرداء يومه صف القنا فكأنه هذاب سعيد . ؛أحمد أبو زيد، **المرية في عصر بني صمادح** (433ه - 484ه/ 1041- 1091م)،القاهرة، ط 1، 2003 - 2004، ص509؛ سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص194.؛ سحر عبد العزيز سالم ، دور الطرز في الأندلس، ص90.

[2] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، ج 2 ،ص 412؛ المقري،نفح،ج 5 ،ص 136.

[3] وذكر دوزي بأن القرطق ليس معروفا ، و هو معرب كرته ويعني ستره ومصغر كرتك يشير إلى قميص يلي الجسم مباشرة وله كمان يصلان إلى المرفقين.

Dozy :Supplément aux dictionnaires T2, p 520

[4] Dozy :ibid ,t2, p. 590 ؛ سلمى علي سليمان ، المرجع السابق ، ص196.

من كتان أبيض أو قطن أو حرير. [1] وقد كرر الشعراء لفظ ذات الوشاح في أشعارهم للدلالة على المرأة. ومنهم ابن اللبانة قائلا:

وتوشحت فكأنه في جوشن   قد قام عنبره مقام العثير

و لبست الأندلسية ثوبا مفرطا في الشفافية والخفة يدعي الغلالة . و اشتهرت غلة الحرير لباس لقنية غرناطة ولم ينافسها في ذلك إلا البلاد العراقية مقصرة عنه رقة ولدونة و عتاقة . ويرى دوزي إن الغلالة كانت صفراء على الدوام في العهود القديمة.[2]

و تسترت بالملاءة والإزار وعلى ما يبدو هناك نوع مصنوع من الحرير وله أنواع متعددة أما الشقتان اللتان تتألف منهما الملاية فهما مخيطتان معا. وكانت تطوى الملاءة أكثر من طيي عند لبسها .[3] و أيضا الإزار هو لبس من لباس النساء، وكان إزار النصرانية أزرق، و اليهودية أصفر تميزا لهن عن النساء المسلمات . و يقال عنه ، أن الإزار لهن أخلق وبهن أفلق وبهن أليق .وهو غطاء واسع تلف المرأة به جسمها كله ، وقد عرفته المرأة الأندلسية و بعض النساء عطرته وطيبته بالعطور والطيب ولبسته. [4]

و اتخذت النساء ملاحف من القطن و تصف الملحفة بسعتها و خفة نسجها. [5] ولبست شيات [6] الملف في فصل الشتاء. كما لبست البرنس الخاص بالنساء أو الجواري ، و كان على ما يبدو لباس سفر ،و من ذلك ما لبسه هشام المؤيد عندما خرج مع أهله للنزهة في قرطبة يختفي بين الجواري فلم يعرف من بينهن. [7] كما لبست نساء الموحدين البرانس السود ، لما انتقلن إلى الأندلس رفقة أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي سنة (546هـ -1151م) [8] . ولبست المرأة الأندلسية الحرير

---

[1] أحمد شحلان، الحياة العامة...، ص 200 ، راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص83.

[2] Dozy: op .cit ,t2, p. 220.؛ صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 199، 200

[3] الونشريسي، المعيار، ج 2، ص499.

[4] Dozy : Ibid , t2,p 401,402 ,؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص82

[5] الجريسفي، الرسالة الثالثة في الحسبة، ص 125؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 100. Dozy : Ibid , t2,p 617 ,618.

[6] أصل الكلمة شاية من الكلمة الإسبانية "sayo" أو "saya"، المقتبسة من الكلمة اللاتنية "sagum" تعني قميصا نسائيا واسعا بدون أزرار يلبسه أهل البادية. Dozy : Ibid ... t1 ,p212,213.

[7] ابن عذاري ، البيان،ج 3، ص42،40 ؛ أحمد ثاني الدوسري، المرجع السابق ، ص110؛ سحر عبد العزيز ، **ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي**، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ،،مصر، دار المعارف الجامعية (1414ه/ 1994م) ص 262.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،مج9، ص370.

على مختلف ألوانه وأشكالها ،ويقول الرمادي في الثوب الأزرق الذي فاق الثوب العراقي في توهج:

يا ثوبه الأزرق الذي قد فاق العراقي في السناء

ويظهر أن المرأة الأندلسية لبست الإتب ، ويقصد بالإتب كافة الملابس القصيرة التي لا تصل إلى أكثر من منتصف السيقان، و الإتب يعني أيضا نوعا من السراويل القصيرة؛ أو السروال الذي لا فتحة فيه لدخول السيقان أو أنه قميص لا كم له. وعرفت الصدار وهو الثوب الذي يبلغ الصدر أو ما تلبسه المرأة على صدرها.[1]

و لبست الزنار لزيادة أناقتها والزنار حزام يقول رينهارت دوزي إن هذه الكلمة كانت تشير في إسبانيا إلى مئزر غليظ يلبسه الفلاحون وربما تغزل أبو الصلب أمية بلابسته الغلامية فقال : وعاقد في الخضر زنارا أضرم في أحشائي النارا

و هو غير الزنار الذي فرض لباسا على أهل الذمة الذي هو عبارة عن حزام.

أما لون الثياب كان ذات الألوان الجذابة المصنوعة من نسيج مزخرف بالنقوش البديعة وقد طرزت حواشيها بالذهب الوهاج المتلألئ أيام أنسها وفرحها. أما أيام الأحزان والقرح فقد كانت تكتفي باللون الأبيض خاصة إذا حزنت على الموتى. ويبدو أنها عادة متبعة في الأندلس وبذلك خالفن المشرقيات في لبسهن السواد أيام أحزانهن، [2] و يقول الحصري الكفيف المتوفى سنة (488 هـ/1095 م) :

لئن كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

ألم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على الشباب [3]

وقد شاع تطريز الأنسجة الرفيعة وكانت لهذه الصناعة دار تعرف بدار البرد أو الطراز خاصة بالخليفة الأموي [4]. كما انتشر الطرز عند اليهود الذين أكثروا فيه من رسم الأشكال الهندسية و الزهور و الطيور والشمس .[5] واستعملت الكتابة على الملابس ككتابة الأبيات الشعرية ولم تقتصر الكتابة على ملابس الرجال بل شملت ملابس النساء ،إلا أن حكام بنو نصر منعوا تصوير الأشكال المجسمة. ومن الأميرات من طرزت ملابسها بأسلاك من الذهب، نظرا لمكانتهن

---

[1] Dozy : op .cit , t1 p823. سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص 199.

[2] المقري، نفح الطيب ،ج3، ص 400.

[3] المقري، نفسه، ج3، ص 400 .

[4] سحر عبد العزيز، دور الطرز في الأندلس، ص09، 91.

[5] أحمد شحلان، الحياة العامة... ص200، 201.

الاجتماعية ، ومنهن "ولادة" بنت المستكفي التي اختصت بنوع من الطرز [1]، فكتبت على عاتقي ثوبها وطرزته بالذهب الخالص و كتبت على الطراز الأيمن :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وآتية تيها

وكتبت على الطراز الأيسر :

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيه [2]

وقد رفلت المرأة بالحبرة وتبخترت بها . والحبرة رداء واسع مخطط موشاة من برود اليمن وربما لبسته القيان. [3] ويبدو أن بعض المعاطف كانت من النوع الرفيع وفيه يقول أبو بكر الداني (ت 507 هـ) :

غيداء جيداء لها معطف يرفل من ديباجة في اتشاح

ولا يغيب عن بالنا ما للخمار من إغراء أضفى على المرأة بهاء ولفت إليها الأنظار. والخمار عبارة عن برقع يتعلق بقمة الرأس ويغطي مقدمة العنق ويستر الذقن والفم وهو نوع من الحجاب.[4] ومما جاء في الخمار الملون قول أبي الفضل عبد الواحد الدارمي الوزير: قلت للملقى على الخدين من ورد خمارا

وقول ابن اللبانة وقد أضاف الخمار جمالا إضافيا للحسناء :

حسنت أمامي من خمار مثل ما حسن الكمي أمامه في مغفر

و كانت العروس تلبس عند زفافها خمارا معطرا و ظلت آثارها لحد الآن حيث تلبس العروس ما يسمى بـ الطرحة أو البرقع يقول ابن اللبانة :

يزف إلى الأعداء من حومة الوغي عروس خمار عطرها عطر منشم [5]

---

[1] أصابت الحرائرو الجواري في العصر العباسي حمى كتابة الأشعار على الأزياء فلا يتركن زياً إلا و نقشن عليه شيئا من مستظرف الشعر و تفننت الحرائرو الجواري بكتابة الشعر بالفضة والذهب على طرفي الأردية و الأكمام و على العصائب ، أما الجواري فلم يتورّعن عن كتابة الشعر المائع، و يبدو على "ولادة" تقليد هذا النوع من الفن ؛ انظر، سولاف فيض الله حسن، **دور الجواري و القهرمانات في دار الخلافة العباسية**(132-656هـ/ 749-1258م) ، دبي، صفاحات للدراسات و النشر،2013،ص175.

[2] ابن بسام ، الذخيرة،ج 1، ص 268، 269؛ المقري، نفح الطيب ، ج 4 ،ص205. ؛ محمد أحمد القضاة، شاعرات الأندلس ،ص 35.

[3] ابن عذاري، البيان،ج 3 ، ص 141؛ صالح أحمد العلي، المرجع السابق ، ص 73.

[4] Dozy : Supplément aux dictionnaires…T1, p404. ؛ أحمد شحلان ، الحياة العامة، ص199.

[5] سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ،ص202.

وكانت النساء يستعملن الخمار من الكتان أو من الحرير إذا خرجن، ويخفين وجوههن بطرف منه و من أنواع الخُمر ما يسمى "العتابي" .[1] ومما يلاحظ على الشعراء كثرة غزلهم بحجاب المرأة وبرقعها ونقابها يقول ابن جاخ البطليوسي الصباغ المتوفى بعد سنة (485 هـ/1092م) في المرأة ذات البرقع الذهبي :

رأيت الهوادج فيها البدور   عليها البراقع من عسجد

وتحت البراقع مقلوبها   تدب على ورد خد ندي [2]

أما "النقاب" : فهو أن تعمد المرأة إلى برقع فتنقب منه موضع العين [3] و يبدو أنه ليس خاصا بالمسلمات فقط؛ فقد اشتركت فيه النصرانيات لأغراضهن الخاصة. ويخبرنا الرحالة الأندلسي ابن جبير أن النساء الصقليات : إنتقبن بالنقب الملونة . و أن إحدى أخوات سانشو الأول ، و اسمها "الغيران " ترهبت ولبست النقاب .[4] والملاحظ عليه أن المتنقبة لم تسلم من ألسنة الشعراء ،و في ذلك قول ابن زيدون في الحسناء المنتقبة : رأيت الشمس تطلع من نقاب   وغصن البان يرفل في وشاح

وقوله أيضا : إلا كوجهك لما   أضاء تحت النقاب

ويظهر أن قسما من النساء قد تلثمن؛ واللثام نوع من الحجاب أيضا وكان يحجب من النساء الجزء الأسفل من الوجه . كما لبست ما يسمى " التخفيفة "، وهي عبارة عن ملاءة صغيرة تغطي بها رأسها.[5] و يضاف إلى ذلك أن بعض النساء كن سافرات أي يكشفن عن وجوههن مثلما ما صفهن ابن الخطيب :" و كن يسفلن عن الخد المعشوق". [6] و يتبين مما سبق أن تغزل الشعراء بالمرأة لم يقتصر على السافرة الوجه من جواري و مولدات ، بل تعداه إلى المتحجبة و المتنقبة ،و لم تسلم أي منهن من ألسنة الشعراء.

---

[1] عرفت هذه الثياب بأوروبا باسم "تابي" - Tabis- و العتابي نسبة إلى محلة العتابية بغرب بغداد ،اشتهرت بصناعة الحرير العتابي الذي انتقل إلى مصر و الأندلس. كمال السيد أبو مصطفى ،مالقة الإسلامية، ص95؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص 81،82؛ سلمى سليمان علي ، المرجع السابق ،ص202

[2] سلمى سليمان علي، نفس المرجع ، ص203.

[3] راوية عبد الحميد ، المرجع السابق، ص82

Dozy : Supplément aux dictionnairesT1, P75

[4] أحمد بوغلا : **الرحلة الأندلسية ، الأنواع و التخصص** ، ط 1، دار أبي الرقراق، الرباط ، 2008، ص 307؛ مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس، ص395.

[5] Dozy ,op.cit …t1, p386 .

[6] ، **معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار**، دراسة و ترجمة اسبانية للنص العربي ،محمّد كمال شبانة، نشر المعهد الحامعي للبحث العلمي بالمغرب ، 1397ه/1977م ، ص 67.

أما فيما يخص أسعار هذه الألبسة فهي تفاوتت تبعا للمادة المصنوعة منها و المهارة المبذولة في عملها ،و تطور الأحوال الاقتصادية العامة. و قد أثر ارتفاع مستوى المعيشة على زيادة الاهتمام بالألبسة، سواء كان في اقتناء السلع ذات الأنسجة المتنوعة والغالية أو في زخرفتها و نقوشها و وشيها ، أو في عدد ما تلبسه المرأة من ملابس خلال السنة أو في اليوم ،أو حتى المرة الواحدة ،و لا شك أنه رافق ذلك تنوع في الملبوسات من حيث خياطتها و تفصيلها.[1]

و يبدو أن ذوق المرأة في اختيار الألبسة قد تغير بعد سقوط قرطبة، ففي عهد الطوائف تأثرت بلباس الأجنبيات التي لها ألبسة خاصة بها ، لاسيما لباس الجواري العليات و الراقصات . ومن مظاهر ذلك خروجهن بألبسة شفافة و مطرزة و منهن الشاعرة " ولادة" التي خرجت على القاعدة العامة للباس المرأة وقتئذ.[2]

أما لباس نساء أهل الذمة فقد لبسن الخمار و الزنار [3] و وصف ابن جبير لباس المرأة النصرانية بما يلي : "و زي النصرانيات في هذه المدينة – صقلية- زي نساء المسلمات فصيحات الألسن ،ملتحفات، منتقبات، ...و قد لبسن ثياب الحرير المذهب ، والتحفن اللّحف الرائعة ، و انتقبن بالنقب المرونة ، و انتعلن الأخفاف المذهبة... و لبسن الحلي و استعملن الخضاب و التعطر. [4]

و لا سيما اليهوديات ، فقد عرف لباسهن بالجُلجل خارج البيت لكي يميّزن من بين نساء المسلمين .[5] ومن ألبستهن في الأعياد " الكسوة" و هي من حرير أحمر بضفائر خيوط مذهبة. و من ألبسة الفاخرة في المناسبات ترتدي اليهودية ما يسمى بـ "لكسو الكبيرة" وتستعمل عادة بدون تطريز لغير العروس. و تتكون كسوة العروس اليهودية من خمسة أجزاء هي: 1- خلطيطا أو زلطيطا أو فلطيطا. 2- كمبيز أو صدرية. 3 - وجه أو كتاف. 4 - كمام. 5- حزام. [6]

و عموما أخذ أهل الأندلس عن زرياب و بناته ، لبس كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به على مدار فصول السنة من حيث مادة نسيجه و ألوانه و شكله . [7] ويعد هذا من بقايا تأثير عادات المشرق الإسلامي على المجتمع الأندلسي ،وإن كان "بروفنسال" ينكر التأثير المشرقي على المرأة الأندلسية التي يحصره في بيئتها المتاخمة للنصارى الإسبان فقط.

---

[1] صالح أحمد العلي، المنسوجات العربية ، ص 245، 251.

[2] ابن بسام ، الذخيرة، ج 1، ص268، 269.

[3] ابن بسام، نفس المصدر،ج1، ص441.

[4] أحمد بوغلا ، الرحلة الأندلسية ، ص 177، 178.

Pérès Henri : La poésie andalouse ,p 318.

[5] الجرسيفي، الرسالة الثالثة في الحسبة، 122.

[6] أحمد شحلان ، الحياة العامة. ، ص 201.

[7] المقري، نفح الطيب ، ج3، ص128؛ خديجة قروعي،ظواهر إجتماعية، ص340.

لباس القدمين:

انتعلت نساء الأعيان الأخفاف و الجوارب وأنواع أخرى من النعال.وكانت نساء أهل الذمة يلبسن أحد الخف أسود و الأخر أبيض حتى يتميزن عن المسلمات. وعمدت بعضهن إلى اتخاذ الخفاف الصرارة، [1] التي تحدث صريرا عند المشي مما كان يلفت الانتباه إليها. ودعا الفقهاء إلى ضرورة التزامهن الأدب في الانتعال و منعهن لبس هذا النوع من النعال،و حرصا على ذلك نهوا الخرازين عن صنعها و تشددوا إلى حد العقاب. [2] لم تكتف المرأة في الوسط الميسر بزركشة ملابسها، بل راحت تزركش نعلها وقبقابها بأصداف اللؤلؤ والفضة. [3]

و ربما حرصت المرأة الأندلسية، على جمالها وزيادة أناقتها باستعمالها القبقاب لإطالة قامتها. أو لتفادي تجرير أذيال ثوبها الموشى على الأرض وحاشيته المرصوفة المشغولة بأنواع التطريز فجاءت صورة واضحة للمرأة الأنيقة في اختيار نوع الحذاء المناسب لنوع الثوب. أما نساء مدينة رُندة مثلا كن يلبسن الموق و هو عبارة عن خف غليظ تلبسه النساء فوق خف أرق منه على الأمْلد المرموق. [4] أما المرأة في العامة ،فكانت نعالها من خرق الصوف أو من الحبال و تلف سيقانها بخرق مشدودة تحميها البرد و قساوة الجو، فيما كانت ظاهرة الحفاء منتشرة بالأرياف ولدى النساء المعوزات. [5] و الظاهر في هذه الألبسة أن البعض منها كانت مشتركة بين النساء المسلمات و أهل الذمة في رخيصها و ثمينها . [6]

لقد حرصت المرأة منذ أ قدم العصور على رفع مستوى جمالها بتجملها وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله :(إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي).. وللزينة دوافعها. ولما كانت مقاييس الجمال لا تتوافر مجتمعة إلا في القليل من النساء، لذا استعانت المرأة بوسائل الزينة المختلفة ، ومنهم من علل اعتنائها بجمالها أنه كان من أجل تخليدها في شعر الغزل والتشبيب ؛ ويرى طرف آخر بأنها ليس لها من العمل العام ما يشغل فراغها ، فماذا تستطيع أن تعمل إن لم تخصص أوقاتها للزينة والملبس!.و عموما فإن لباس المرأة و زينتها تكشف لنا على عمق الترف الذي عرفته الأندلس.

---

[1] ابن عبدون ، الرسالة الأولى في الحسبة؛ الونشريسي، المعيار، ج 6 ،ص420.

[2] الونشريسي،نفس المصدر، ج 6 ، ص 420، 421.

[3] ويقال إن القبقاب كان شائع الاستعمال في أسبانيا و ترجمت كلمة : (Gano de palo) بكلمة قبقاب. Dozy : op.cit T2, p311.

[4] ابن الخطيب ، معيار الإختيار في ذكر المعهاد و الديار، ص67.

[5] الفتح بن خقان ، قلائد العقيان، ص 35.

[6] أحمد شحلان، الحياة العامة . ، ص 200.

تصفيف الشَعْر :

اهتم العرب كثيرا بالشَعر وأحبوه في المرأة فرووا عن الرسول محمد ﷺ أنه قال: **إِنَّ الشَّعْرَ الْحَسَنَ ، أَوِ الْجَمِيلَ مِنْ كِسْوَةِ اللَّهِ فَأَكْرِمُوهُ** " .[1] لذا نجد المرأة اهتمت بتمشيطه وتسريحه وظفره وصبغه وتخضيبه وتزيينه بالأمشاط والأحجار الكريمة والتيجان المرصعة بالجواهر فأحرى بهن أن يتفنن و يبتكرن الأشكال الجميلة في تصفيفه وتسريحه [2]، وربما أثر زرياب بتسريحته فيهن أكثر من تأثير فنه.

و يشير المقري ، أن أهل الأندلس كانوا قبل وفود زرياب جميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين، فلما عاين ذوو التحصيل تحذيف زرياب هو وولده ونسائه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها إلى آذانهم، وإسدالها إلى أصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم والجواري هوَت إليه أفئدتهم واستحسنوه [3]. كما اشتهرت بين نساء مدينة شاطبة بالأندلس تسريحة للشعر تعرف باسم "عمرونة شاطبة " و سميت بتسريحة العمرونة و جمعها "عمارن". هذه بعض أنواع ما عرف من تسريحة للشعر المحلية.[4]

ومن خلال الأشعار التي قيلت في المرأة وجدناها قد تأثرت إلى حد بعيد بتصفيف شعرها بتسريحات القرن 5 هـ/11م ، بتدويرها إلى آذانهن وإرسالها على أصداغهن وهو الشعر المتدلي بين العين و الأذن . وبلغ من اعتنائها به أنها غسلته بماء الورد وضمخته بالطيب والعطور[5] . و من رغبت في تطويل شعرها استعملت أنواع من الغاسول المتكون من خليط رقيق البيض و الطين الأندلسي. [6] ولم يقتصر غسل الشعر على ماء الورد بل تفننت المرأة بتعطيره بالطيب. و أكثرت من استعمال المسك الثمين في تطييبه ، و عمدت على تلوينه إما بالحناء أو بمواد أخرى و تصبغ شعرها بالسواد أو بالشقرة. ومن مظاهر رعايتها لشعرها واهتمامها به، جعلته مفرطا في طوله فقد جاوز ردفها ووصل إلى أخمص قدميها .. وقد أفرط

---

[1] ابن أبي شيبة ، ، الكتاب المصنف في الحديث و الآثار، ج5،رقم 25072،ص 189.

[2] الإدريسي ، نزهة المشتاق ،ج 1 ص231.

[3] نفح الطيب،ج 3 ص 127؛ عبد العزيز سالم، **بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار**، بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط 1، 1411ه/1991، ص 482؛ خديجة قروعي،ظواهر إجتماعية، ص334.

[4] راوية عبد الحميد، المرجع السابق، 83.

[5] حمدان حجاجي ،**حياة و أثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة** ،الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص.189

[6] الإدريسي، المصدر السابق، ج 1 ص 227، 228

الشعراء في تشبيه الشعر الأسود بلون الفحم وبالليل والدجى ، وربما شبهوه بالغسق.[1] و قيل في شأنها

لولا غفارتها وحالك شعرها   قلنا سبايا من بنات الأصغر

ولذا يبدو أن هذا المنظر لم يكن مقتصرا على الجواري لجذب الأنظار إليهن ،لأنهن يخرجن دون حجاب و يثرن إعجاب الناظرين إليهن. [2] وقد انبهروا بالشَعر الأشقر وتغزلوا به، وكثرت التشبيهات في وصفه فشبه بالتبر، والسلاسل الذهبية، وبالشفق ، و أمراء بنو أمية كانوا شغوفين بالشقرة وكانوا نزاعين لها. [3] وتبرز ظاهرة أخرى و هو الإعجاب بالشَعر المجعد القصير الأشقر الذي تغزل به "عبادة" بن ماء السماء قائلا:

وكأن التفاف شعرك جعدا   فوق وجه يضيء ضوء السراج

طبق مكفأ من التبر محضا   تحته للعيون لعبة عاج [4]

و يرى المستشرق الفرنسي هنري بيريس في تعليقه قائلا:" نجد أن المرأة السمراء ذات الشعر الطويل المثال الكلاسيكي للمرأة التي يتغنى بها الشعراء لكن القرن الحادي عشر الميلادي أظهر حبا وتعلقا بالشقراء ذات الشعر القصير. والمسألة في الحقيقة تتعلق بذوق الإنسان غير الثابت على ذوق واحد. و مثلما تغزل بالشَعر الأشقر القصير، تغزل أيضا بالشعر الأشقر الطويل. وقد شبهه بسلاسل الذهب، واجتماعه مع بياض البشرة أعطى جمالا رائعا. ونجد القينه الراقصة قد اهتمت هي الأخرى بشعرها فراحت تمشطه وتتركه مسدولا وكانت هذه التسريحة مفضلة عندهن أثناء مزاولة الرقص فقال بعض متأمليها:

كما مشطت غيد القيان شعورها   وقامت لرقص في غلائلها الخمر

أما تصفيف الشعر فكان كثيرا ما يثير إعجاب الشعراء و كيفية إرساله على أصداغهن ، بأشكال مختلفة .ورسم لنا الرمادي تسريحة أخرى للشعر الطويل الأشقر وذلك بانسدال شعر الصدغ و لويه ، وعقربة الذوائب المنسدلة على الردف وتشبيههما بالأفاعي والعقارب.وقد شبه شَعر الصدغ بالنون قائلا:

وصدغين كالنونين كالليل عقربا   على ورق إن يلق لحظا تعسجدا

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى ، **مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف**، الإسكندرية، مؤسسة الشهاب،1993. ،ص 300 ؛ سلمى علي سليمان، المرجع السابق، ص 187.

[2] سلمى علي سليمان ، نفس المرجع ص 189

[3] ابن حزم، طوق الحمامة ، ص40. ; Martinez_Gros Gabriel, **Identité Andalouse** Sindbad, Actes Sud, 1997, p 66,69,70.

[4] سلمى علي سليمان ، المرجع السابق، ص189.

ومن النساء من صففت شعرها وجعلته غدائر منسدلة مما دعا الشعراء أن يشبهوا ضفائرهن بالأساود. و منهن من أرسلته على أكتافها [1] و شبهت بعض تسريحات الشعر بقنوات العناقيد من يانع الكرم. و يصف ابن الخطيب المرأة الغرناطية فيقول :" وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن و تنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور و طيب الشذا و خفة الحركات و نبل الكلام و حسن المحاورة إلا أن الطول يندر فيهن."[2]

كما استغل الداعية محمد بن تومرت [3] (الموحدي) غطاء و تسريح شَعر المرأة المرابطية ، أحد أسباب الحملة الدعائية ضد المرابطين و التي انعكست تسريحة شعرها سلبا عليها و على دولتها. [4] و شبهها ابن تومرت بسنم الجمل... لأنها كانت تجمع شعرها فوق رأسها بشكل السنم ليرتفع بنحو ذراع و تتخذ غطاء تعصب به رأسها، وتزخرفه بأنواع من حلي الذهب و اللؤلؤ و الحجار الكريمة . [5] و انتقل هذا التجميل إلى الأندلس بانتقال بعض النساء المرابطيات مثل الأميرتين "حواء" و " مريم " إلى الأندلس. [6]

و مما سبق يتبين لنا مدى مبالغة المرأة في العناية بشعرها تنظيفا و تزينا وتصفيفا، ولذا يعد الشَعْر عنوان زينة المرأة الأندلسية و يعد الاهتمام به أحد مظاهر تأنقها وتحضرها ؛ فلفت ذلك أنظار الشعراء وأفاضوا في الحديث عن جماله، وتفننوا في تشبيهاتهم له ، ورسموا صورا رائعة لألوانه وأنواعه. كما لفتت أنظار العلماء والفقهاء فنهوا عن خروج المرأة و وقوفها عند الباب حاسرة الرأس و تماديها في إبداء شعَرها في الأعراس [7].

الحُلَـــــــــيّ:

تأتي أهمية الحلي عند المرأة من رغبتها في التزين لاكتساب إعجاب الأخريين وأيضا للاكتناز أيضا . و قد تختلف قيمة الحلي و جودتها باختلاف المواد المصنوعة منها ودقة سبكها و صياغتها من الذهب و الفضة و اللؤلؤ و من الأحجار الكريمة مثل الياقوت و الزبرجد و الزمرد الذي يعرف بالمغربي تنافس عليه الإفرنج و

---

[1] سلمى علي سليمان ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص189

[2] الإحاطة ،ج 1 ص144، 145 ؛ و اللمحة البدرية، ص29.

[3] **أعز ما يطلب**، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985،ص 247.

[4] حميدي مليكة ، المرجع السابق ، ص 297، 298.

[5] محمّد مقر، المرجع السابق ،ص 106. Dozy : Op.cit , p 239.

[6] ابن عذاري،البيان، ج 4، ص 57 ؛ حميدي، المرجع السابق ، ص ، 117،112.

[7] ابن عبدون ، رسالة الأولى في الحسبة ، ص 50، 51.

الأندلسيون والجلالقة [1] رغم غنى الأندلس بالمعادن الثمينة .[2] و من الواقع الأندلسي يبدو أن أجود أنواع الحلي و أكثرها كان من اختصاص النساء الميسورات و نساء الحكام مثل" طروب" و" الشفاء" التي اشترى لها عبد الرحمان الأوسط عقد بـ 10ألاف دينار.[3]

و امتلكت أجود عقد وقتئذ الذي كان ملك لزبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد [4] و كان يعرف هذا العقد " الثعبان" نظرا لشكله و توارثه البيت الأموي في الأندلس . وبعد سقوط قرطبة انتقل إلى أسرة بني ذي النون بطليطلة ثم انتقل إلى الأمير قدير من طرف القاضي بن جحاف في بلنسية . و اضطر هذا القاضي إلى تسليمه إلى السيد القمبطور الذي أهداه لزوجته "شيمان"، ثم انتقل إلى ألفارو دي لونا . و لبسته الملكة إيزبيلا و بعدها لم يعثر على أثره.[5] أما " مرجان " حظية الخليفة عبد الرحمان الناصر التي جمعت من الحلي ما اشترت به ليلتها من فاطمة القرشية أصبحت أم ولي العهد.

و ذكرت كتب الفقه و النوازل أنواعا من الحلي يدخل ضمن جهاز العروس أو الهبات. وتجمع المرأة بين الحليّ و التجميل و اللباس لتكتمل زينتها ، الأمر الذي لفت أنظار الأخرين، فصور الشعراء أنواع الزينة والمادة المستعملة منها ومواضع استعمالها و التغزل بما لبسته من أنواع الحلي فيما يأتي ذكره :

الأقراط: و هي حلي تعلق في أسفل الأذن و تسمى أيضا الأخراص. وتختلف أنواعها فنساء الوجهاء و الأغنياء تضع أقراطا كبيرة من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة.[6] أما المرأة المتوسطة الحال فتتخذها من الفضة أو حتى من حديد أو نحاس .بو تعد الفضة كثيرة الاستعمال من المعادن الأخرى لدى نساء العامة. وقد لبست الأقراط المصنوعة من اللآليء واستحسن القرط في آذانهن إذا كان ناطقا جائلا ، وقيل فيه :

---

[1] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 13؛ عدنان درويش، الأندلس من نفح الطيب للمقري، ص 57، 59 ،60؛ الحميري، الروض المعطار ، 485؛ أحمد شحلان، الحياة العامة...، ص 201.

[2] يروي ابن قتيبة عند فتح الأندلس، أن امرأة عطارة قدمت الأندلس و لما غادرته حملت معها من الذهب و الفضة و الآنية و الجوهر ما لا يحاط به. ،قصة فتح الأندلس من كتاب الإمامة و السياسة، ،ص 152.

[3] مجهول، أخبار مجموعة، تح الأبياري، 123؛ شطوط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح حتى السقوط، ص131

[4] ابن عذاري، البيان ،ج 2، ص 149؛ Provençal :hist …t1,p264.

[5] Provençal , ibid , t1,p264.

[6] ابن القطان ، نظم الجمان، ص 93؛ الونشريسي ، المعيار ،ج 3 ص 100؛ Dozy : Supplément aux dictionnaires,t 2, p 338.

مقرطق يبسم عن لؤلؤ   رصعه الحسن بمرجان *

و لبست الشنوف والتيجان ذات الطوابق المرصعة باللآلي بالرأس * .[1]
والأساور والوقف في المعصم .و تحلت الحسناء بالدمالج في العضد والأساور والمناطق والوشاح في الخصر[2] و لبست الخلاخل والحجول في الساق[3] . ، ويلاحظ أن معيار جمال الساق يتوقف على خرس خلخاله 4 حيث أن حلية الذراع والساق توصف بالصمت و قد سعت المرأة الأندلسية إلى لبسه وإليه أشار ابن عمار:

تشير إلي قرطاه وتصغي   خلاخله إلى نغم الوشاح [5]

كما أشارت الأشعار أنها صنعت من الذهب والفضة وطُعمت باللؤلؤ والمرجان والياقوت الأحمر والدر والزبرجد، والزمرد الأخضر، والعقيق .ولا نستغرب الأمر إذا علمنا أن الأندلس صينية في جواهر معادنها وذكرت لنا الأشعار صورا جميلة للياقوت المستعمل في الحلي المنضد بطريقة لطيفة فوق قضيب الزمرد، [6] و يرى عن بعض النساء مخالفتهن النص الشرعي في عمدهن القرع بخلاخلهن ، وللإشارة أن هذا الحلي لم يكن مقتصرا على المسلمات ،إنما لبسته كل النساء بغض النظر عن انتمائها الديني أو الاجتماعي .
و أما **خواتم** أصابع اليد فتصنع من ذهب و الفضة و الحديد . وقد تفننوا في صياغتها وفي نقش الرسوم والفصوص على الخواتم وقد أشارت الشِعر إلى خاتم ذي فص سماوي ، كما أشار إلى خواتم صيغت على شكل نجم وهلال، واستعمل السبج في فصوص الخواتم والياقوت الأحمر والدر والذهب الخالص . [7]

وأما **التـاج**: فيتكون عادة من سبعة أجزاء أو خمسة ، بشكل هيئة نباتية منبتة بأحجار كريمة. عرفته المرأة ولبسته في الأفراح والمناسبات وزينت به رأسها لذا تكرر ذكره عند الشعراء [8] و قيل في لبس التاج و الوشاح :

على خصرها فيه وشاح مفصل   وفي رأسها تاج وفي جيدها سمط [9]

---

[1] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 29.
[2] ابن الخطيب، نفسه.
[3] ابن الخطيب، نفسه ؛ خديجة قروعي،ظواهر إجتماعية،ص336،337 ، 338.
4 المقري،نفح الطيب،ج 4، ص298.
[5] سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص 209.
[6] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 29. ,Dozy : Supplément aux dictionnaires…t1, p 389.
[7]. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 134؛ سلمى سليمان علي،المرجع السابق ، ص .206.
[8] الحميري، الروض المعطار، 393.
[9] ابن سعيد ، المغرب ج 2 ، ص98.

و لا تفوتني الإشارة إلى تاج التي كانت تلبسه إيخلونة و طلبت من زوجها عبد العزيز بن موسى بن نصير لبسه حتي تمرد جنده عليه.[1]

العقـد: و هو ضرب آخر من الحلي الذي أكثر التشبيهات حوله الشعراء و يضاف له القلائد المصنوعة من الدر و اللؤلؤ. و هو عبارة عن خيط ينظم فيه اللؤلؤ ويرصع بالجواهر و الخرز، والقلائد . ويبدو أن العقد يزداد ثمنه إذا لبسته الحسناء و قيل في عنق الحسناء يستحسن العقد. والعقود قد تكون ضيقة ، تحيط بالرقبة وتسمى بالمخانق ، وإليه أشار أبو الحصن الأشبيلي :

ومشتاقة عذراء شد خناقها ولم أر عذرا مثلها كيف تخنق

وربما تزينت المرأة بـ السخاب و هو قلادة من سُك * وقرنفل ومحلب بلا جوهر ،ومثلما عرفت السخاب لبست التعاويذ والتمائم وكان يحمل لدفع مكروه أو كسب مرغوب أو استجلاب خير. رغم أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك ،قائلا من علق تميمة فلا أتم الله له و من علق وَدَعَةً فلا ودع الله له". .[2]

وهكذا تقلدت المرأة الأندلسية صنوفا مختلفة من الحلي والجواهر التي شاعت عند كل النساء بغض النظر على انتماءاتها الطائفية . وتختلف قيمة الحلي بين نساء أهل السلطة و العائلات الغنية و بين باقي نساء العامة. و يبدو ذلك من مثل العامة في الأندلس الذي يؤكد ذلك في قولهم" حليني و لا خليني." و من ذلك شكر الشاعرة مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، المهدي الذي بعث لها هدية، بأبيات قائلة:

حليتني بحليّ أصبحت زاهية بها على كل أنثى من حلي عطل

و وصف حلي نساء غرناطة في منظر بديع.[3] إلا أن في الواقع تبقى الأخلاق أنفس حلية تلبسها المرأة.

- مـــــواد التجميـــــــل

الكحـــــل :

هو من وسائل التزيق المعروفة عند الرجال و النساء، و المادة المستعملة هي حجر أسود يسحق قبل استخدامه و تسمى هذه المادة " الأثمد" [4]. قال عنه الرسول

---

* السُك :مادة من الطيب تطبخ مع المسك ورامك تجفف في هيئة حبوب تثقب تتخذ منها القلائد، وهي طيبة الريح و كلما قدم عهدها زادت طيبا.ابن منظور، لسان العرب، مج 3 ص173

[1] انظر القصة في الفصل الثاني

[2] زكي الدين المنذري، الترغيب و الترهيب، مج2، رقم 5064،ص 491.

[3] المقري، نفح الطيب، ج4 ص 291؛ ابن الخطيب، اللمحة ص 29؛ درويش،الأندلس من نفح الطيب ،ص545.

[4] المقري ، نفح الطيب،ج 1، ص 143. الحميري، الروض المعطار، ص 44. محمد أحمد أحمد، القضاة، المرجع السابق، 304

ﷺ :" إنَّ مِنْ خَيْر أَكْحالِكُم الإثْمِد ،إنه يَجْلُو البَصر ، و يُنْبِت الشَعْر". [1] و قيل في المرأة المكتحلة:

يا من تكحل طرفها بالسحر لا بالأثمد

حرصت المرأة الأندلسية على جمال عينيها لما لهما من تأثير فاعل ، ولما كان التكحل يزيدها سحرا فإنها أتقنت استعماله بطريقة أسهدت ناظرها. وداومت عليه لما للكحل من فائدة في تقوية البصر. واستعملت المرأة الأندلسية الكحل بألوانه المختلفة؛ * وربما استعملت الكحل الأزرق ولكن فضل بعض الشعراء الكحل الرباني الطبيعي على التكحل كقول القائل :

وأعشق كحلاء المدامع خلقة لئلا ترى في عينها منة الكحل . [2]

و ربما طلت جفونها بالكحل و لم تقتصر استعماله في العيون فقط بل عمّ الأهداب والحاجبان. [3] و تلجأ تارة إلى تغيير لونالعين من الزرقاء إلى سوداء ،و هذا ربما ما يفعل بالجواري للرفع من أثمنهن ، و تداول استعمال الكحل الرجال و النساء لفوائده الصحية للعين زيادة على التجمل به. [4]

الخـــال (أو النشاقة) ، و هي تنبت في أي بقعة من وجه الغيداء أو توضع اصطناعا أي ما يعرف بالوشم الذي نهى عنه الرسول ﷺ [5]. وتوضع نقطة أو نقطتان أو نقط بألوان مختلفة ومواد متنوعة أشهرها المسك لكثرة ما تردد في وصفهم وغزلهم . وللخال مكانة سواء أكان على خد امرأة أو غلام وقد شغف أبو بكر الداني بخال على خد فزاده حسنا وازداد الناظر شغفا. و قد كنيت المرأة الحسناء به ، فقيل لها ، ذات الخال. [6] وقد شبه الأسعد بن بليطة المتوفى سنة (440 هـ/1048م) خالا أسود لجارية غلامية فوقع على صدغها كأنه نقطة

---

* فالكحل الأسود كما ذكر الحميري مكانه بالأندلس بالقرب من وادي آ ش و بها جبل يعرف بجبل الكحل لا يزال ينثر منه كحل أسود يزيد بزيادة القمر وينقص بنقصانه لم يزل على ذلك من قديم الدهر. المقري، نفح الطيب ،ج 1، ص 143 ؛كمال السيد أبو مصطفى، مالقة الإسلامية...ص214.

[1] ناصر الدين الألباني، **سنن النسائي** ،مج3، مكتبة المعرفة للنشر و التوزيع ، الرياض ، 1419ه/1998م ،رقم 28، ص371

[2] سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص213.

[3]. المقري، نفح الطيب ،ج 4، ص 115؛ أحمد شحلان، الحياة العامة...، 202.

[4] السقطي، آداب الحسبة، ص52.؛ خديجة قروعي، المرجع السابق ، ص325.

[5] ناصر الدين الألباني ،سنن النسائي ،مج3،رقم 37، ص 370

[6] ابن سعيد، المغرب ،ج 2 ، ص 410.

النون. وتبدو النقط التي توضع على الوجه انتقلت إلى الجيد على شكل نقاط أو كتابات لزيادة الزينة و التأنق.[1]

و استخدمت النساء السواك للمحافظة على صحة الأسنان. و أما تزين الشفة بالحمرة ويحدد الشارب ويخط بالألوان المختلفة أو بالمسك، فهذه الزينة ربما اقتصرت على الجواري الغلاميات [2] كما كان يستعمل قشور أصل الجوز ، لصبغ شفاه خراجيات الخانات. ومن وسائل تجميل المرأة نتف الشعر من الوجه واستعمال المساحيق، ودهن الشعر، وطلي الوجه ودهنه. [3]

وهكذا تبدو المرأة مهتمة بنفسها مكملة جمالها بتزينها وزينتها و محطة أنظار إعجاب رغم تحذيرات كتب الفقه و الحسبة و حثها على عدم إبداء زينتها للأجانب إلا أنها تعدت كل الحدود لاسيما إذا كانت من الجواري فإنها لم تلتزم بضوابط الشرع الإسلامي .

الخضـــاب و الطيــــــب

الخضـــاب:

لما كان الشيب معيبا وعلامة من علامات فقد الشباب لذا كرهته المرأة وكرهه الرجل فاستعملوا الخضاب لصبغه وتغطيته. [4] وقد أقر الرسول ﷺ الخضاب بالحناء و الكتم وجميع مواد التخضيب ماعدا السواد إلا في حالات استثنائية لقوله ﷺ.:"إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحِناء و الكَتْم".[5] وقد يعلل حب المسلم للخضاب لقول الرسول ﷺ في الحديث الشريف " **غيروا هذا الشيب و جنبوه السواد**"[6]

---

[1] حمدان حجاجي ، حياة و أثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ، ص200، 201 ؛ سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي، ص 214، 215.

[2] سلمى سليمان علي، المرجع السابق ، ص 215.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ج 1 ،ص 252 ؛راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص86، 87

[4] ابن بسام ، المصدر السابق، ج1، ص 242.

[5] ابن أبي شيبة ، ، الكتاب المصنف في الحديث و الآثار، ج5،رقم 24991،ص182.

[6] مختصر صحيح مسلم ،رقم 2424، ص 460، 461..

ويرى بعضهم الآخر أن الخضاب مخادعة للنفس. لكننا نجد الخضاب والكحل منذ القدم، علامة من علامات الراحة والفرح وربما الشماتة فقد ذكر ابن عبد البر:" لما مات رسول الله ﷺ شمتت به نساء كنده وحضرموت ، وخضبن أيديهن لسرور لموته ، وضربن بالدفوف ".[1]

ويبدو الخضاب عند المرأة الأندلسية علامة من علامات الفرح أيضا لذا وجدناها تعزف عنه أثناء حزنها . وقد وردت إشارات كثيرة في كتب الحسبة ،و في شعر ملوك الطوائف تذكر الخضاب بألوانه المختلفة مثل صبغ اليد البيضاء بالخضاب الأسود أو بالحناء من أجل اللون الأحمر [2] ومثلما خضبن بنانهن، خضبن معاصمهن، وسوقهن، وربما خضبن شفاهن، لتكتسب اللون الأحمر كما استعملن قشور الجوز لصبغ الشفاه، حتى أن بعض النساء كن يفرطن في عملية التزين إفراطا كبيرا.[3]

كما تبدو أصباغ الأظافر شائعة ومستعملة عندهن ، وقد أشار إليها ابن خفاجة قائلا:

يرمى به الأمل القصي فينثني مخضوب راء الظفر والمنقار

وكانت تخضب العجائز بالحناء كما تخضب العرائس ومثلما استعملت الخضاب المرأة الحرة استعملته الجارية ،و هذا النوع من التزيق كان في متناول كل النساء مع اختلاف طرق استعماله.[4]

- <u>الطيــــــب</u> :

يعتبر من مكملات التزيق المهمة عند المرأة و يدل استعماله على الانبساط والانشراح.[5] وأحب العرب الطيب* وقد جاء عن الرسول محمّد ﷺ:"**خير طيب**

---

[1] ابن عبد البرّ، بهجة المجالس أنس المجالس، ج 1، ص743.

[2] ابن عبد الرؤوف ، الرسالة الثانية في الحسبة، ص 86، 87؛ ابن بسام ، الذخيرة، ج 1، ص 229 .

[3]ابن بسام ، نفس المصدر ، ص242؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص 85.

[4] خديجة قروعي، المرجع السابق، ص 327، 328.

[5] ابن منظور، لسان العرب، ج1 ،ص565.

* إن أصول الطيب خمسة أصناف : المسك والكافور والعود في أرض الهند، والعنبر والزعفران في الأندلس وعرف عندهم المحلب والورد الزكي العطر ، والسنبل الروحي. وعرفت الأندلس ببلد العنبر ويسفر برا وبحرا ويعد من مفاخر أهلها ؛ الإدريسي:المصدر السابق، ج 1، ص104. ابن منظور، المصدر السابق،ج 3 ،ص319؛ المقري، نفح الطيب، ج 1 ص؛141 عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية...ص30.

الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وخير طيب النساء ما أظهر لونه وخفي ريحه." [1] وقد قالت الحكماء : من طاب ريحه زاد عقله. و تشير المصادر إلى توافد النساء على باب العطارين .وكان ملتقاهن هناك لأنه كان موضعا لبيع العطور وأدوات الزينة لما عرف عنهن من الاهتمام بمكملات زينتهن فقد تطيبن بالمسك والكافور وتبخرن بالند وتعطرن بماء الورد واستعملن القرنفل والعنبر والزعفران والعود المرتل.[2]

وقد وردت إشارات في الشِعر تؤكد استعمال المرأة للطيب بأنواعه المختلفة،إلا أن كان المسك أكثر العطور استعمالا على الرغم من ارتفاع ثمنه. و يوجد أيضا عطر مميز يسمى"رشح البان" يستخدم بعد تناول وجبات الطعام .و يشهد الطيب بأنواعه على أن للمرأة خاصة و للأندلسيين عامة ذوقا خاصا قويا تميل إليه و تتذوق رائحته، ولم تبخل على نفسها بإكمال زينتها بالمواد العطرية رغم غلائها؛ بل وطأت اعتماد الرميكية و بناتها المسك والكافور بأقدامهن برفقة جواريها في أيام عزها بأشبيلية ؛و عرفت القصة "و لا يوم الطين"[3] و أشار المعتمد إلى ذلك في أبياته الرائية .[4]

وقد ينقش بالمسك على الخدود وقد يمزج المسك مع الند ويعطر به الفم. [5] واستعملت المرأة العنبر والعبير وربما عرفت ضربا آخر عن الطيب وهو الألوة [6] والتي تبخرت بها .

وقال ابن الخطيب في نساء مدينة رُندة : " و يسفرن عن الخد المعشوق و ينعش قلب المعشوق بالطيب المنشوق". [7]

و يبدو أن حياة الترف والبذخ الذي وصل أوجه في عصر الطوائف، عصر الانغماس في الملذات قد انعكس على مظهر المرأة وأناقتها في ملا بسها وتسريحة شعرها واستعمال الخضاب والتكحل والتعطر والتطيب ولبس الحلي، وما عرفته عن النسوة العربيات زيد بفعل احتكاكها بالمرأة الأجنبية ثم أنها أرادت أن تحقق طموحها في مجاراة المقاييس الجمالية التي تنسجم و ذوق المجتمع بشكل عام لأنها فعلا كانت طموحة عريضة الآمال .

---

[1] ناصر الدين الأباني، سنن النسائي ،مج3، رقم 32، ص371.

[2] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 34. علي ساسي، الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية في قرطبة ، ص 474؛ .
Pérès Henri : La poésie, p317

[3] المقري، نفح الطيب، ج 4، ص272 ؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص90.

[4] يطأن في الطين و الأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا و كفورا. المقري، نفح الطيب ، ج4 ، ص273.

[5] المقري ، أزهار الرياض ،ج 3 ص177.

[6] ابن سعيد ، المغرب ،ج 2،ص191 Dozy : Supplément aux dictionnaires…t1,P 35.

[7] معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار، ص67.

وقد تفننت المرأة في زينتها فظهرت أكثر أناقة من أختها المشرقية كما أنها لم تقتصر على الزينة المنظورة بل تفننت في الزينة المسموعة التي نهاها الله عز وجل عنها وهي (أن لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها).**﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .﴾.** [1] و يبدو مما سبق شيوع ظاهرة إضفاء الزينة المختلفة في وسط الجواري اللتي اجتهدن في إظهار جمالهن وإخفاء عيوبهن ، الأمر الذي ولد الغيرة لدى الحرائر ودفعهن إلى استخدام وسائل التزويق للظهور أمام أزواجهن بمظهر حسن ،كي لا يقدموا على اقتناء الجواري .

وهكذا عرفت المرأة الأندلسية كل تلك الأنواع من الطيب وتزينت بها ، و هي لا تختلف في معظمها على ما هو معهود في عصرنا الحالي. و تميزت بأناقتها و وضاءة ما لبسته من ثمين الخز و رقيق الحرير ببهيج ألوانه و جميل رسومه وأشكاله ، إلا أنها بدت أكثر تفننا و أناقة في تجملها في عهد ملوك الطوائف عما ما سبقه في العهد الأموي حيث تميزت بالحشمة و التستر و التزام الحجاب . وآخر نموذج لنساء الأندلس هن نساء غرناطة اللاتي وصفن ابن الخطيب بما يلي:" و حريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السِمن و تنعم الجسوم و استرسال الشعور و نقاء الثغور و طيب الشذا و خفة الحركات و نبل الكلام وحسن المحاورة ، إلا أن الطول يندر فيهن. و قد بلغن من التفنن لهذا العهد في الزينة و المظاهرة بين المصبغات، والتنافس في الذهبيات والديباجيات، و التماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة.[2] و لعلا هذا النص أصدق دليلا على محافظة المرأة الأندلسية على أناقتها إلى آخر عهد الإسلام بالأندلس.

---

[1] سورة النور: الآية : 31

[2] ابن الخطيب،اللمحة ، ص 29؛ ابن الخطيب، ريحانة الدكان، مج2، ص327.

الفصـــــــل الثــالث

إسهـــام المـــرأة الأندلسيـــة العلمـــي و الفنـــي

أولا: إسهـــــــام المـــرأة العلـــــــمي

- **تعليم المـــرأة الأندلسية**

- أسس و طرق تعليم المـــرأة الأندلسية
- الـــــرحلــــــة العلميـــــة

- **مجالات الإبداع و أهم العلوم و العالمات في الأندلس**

- إسهام المرأة الأندلسية في العلوم الدينية

- إسهام المرأة في العلوم العقلية

ثانيا إسهـــــــام المـــــرأة الفنـــــــي.

- الخط و الزخرفة
- الغناء و الطرب

تمهيـــــد

أسهمت المرأة في الأندلس مساهمة عميقة في مجالات عدة، في الأدب والعلم ،حيث تضافرت جميع عناصر التشجيع و التقدير لتحفيزها على هذا العطاء. و ليس غريبا أن تنبغ في عصر كان فيه ملوك الأندلس و عامة الناس مولعين تقريبا بالآداب و العلوم العديدة ن وقد درجوا على تشجيع كل عبقرية و تكريمها.[1] ومما لا شك فيه أن كثيرا من النساء في عهدي الخلافة و ملوك الطوائف قد انصرفن انصرافا كليا إلى العلوم و الآداب ، مما جعل ولعهن بالعلم حدثا تاريخيا عظيما.

وهؤلاء النساء الأندلسيات المثقفات ، برهن على ما أدركته المرأة في الأندلس من الاستقلال و الاعتماد على النفس، ومزاحمة الأدباء في مختلف المجالات. فكان َطَرق المرأة لباب العلم محاولة منها لتثبيت وجودها أمام الرجل و أمام المجتمع ، و هو أمر ملفت للنظر اختصت به الحضارة الإسلامية في الأندلس ، حيث تميزت ثقافة المرأة بالعمق و التنوع و تصدت لموضوعات ثقافية متعددة لدرجة أن برزت في جميعها. و أثبتت على أنها على مقدرة ممتازة و كفاءة طيبة و أنها طرفا فعالا في النهضة الثقافية التي شهدتها الأندلس. إلا أن بعد القرن 4ه/ 10م أصبحت المرأة تميل أكثر من أي وقت مضى نحو التعاطي للترف و التحضر ، وما يلحقها من لهو و عبث في مجالس اللهو والطرب و انغماس في ملذات الحياة بفحشها و خلاعتها .فما أسس هذه النهضة النسائية وما العوامل الفاعلة و المشجعة في الإبداع و ما هي أنواع العلوم التي استقطبت النساء و بالمقابل ، ما هي مجالات عطاء المرأة العلمية والثقافية؟

إسهـــــــــام المـــــرأة العلـــــــــمي

ـ تعليم المـــــرأة الأندلسية

أسس و طرق تعليم المـــرأة الأندلسية

لم تصدر هذه الثقافة المتنوعة التي حظيت بها معظم نساء الأندلس عن فراغ، وإنما كانت لها أسبابها و بواعثها و مشجعاتها التي كانت بمثابة التربة الخصبة لانطلاق و ميلاد الكثير من شهيرات الأندلس في شتى المجالات الفكرية

---

[1] كان عهد الناصر و ابنه الحكم العصر الذهبي في تاريخ الأندلس، ازدهرت الحضارة الأندلسية وبلغت ذروتها . و ظلت النهضة العلمية من بعدها أكثر من خمس قرون. خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة ، دار المعارف ،ط2، 1994. ص ص 11، 15

والعلمية و الأدبية، وهذه المصادر في أغلبها تخضع لمكونات فطرية و تعليمية مكتسبة .

فأول أسس مشاركة المرأة في الحياة العلمية و الثقافية هو وسط تربيتها و نشأتها وتعليمها ، ومنه نهلت الثقافة الأولية من القرآن و الفقه و التاريخ و حفظ الشعر وغيرها... ومن الأمور المستحسنة أن الأندلسيين لم يفرقوا في التعليم بين الرجل و المرأة و الصبي و الصبية، بل رأوا من حسن التربية أن تفقه المرأة دينها و تأخذ قسطا من الأدب . و أتاحت هذه الحرية العلمية فرصة طلب العلم للنساء في مختلف الأعمار و من مختلف الأجناس و الديانات ، إذ كانت النساء تستمعن لخطب الخلفاء والفقهاء . فتعلمن وتفقهن في الدين و زاحمن الرجال على طلب العلم في مختلف الميادين و التخصصات. أما طرق تلقين العلوم فقد أخذن النساء العلم من آبائهن أو إخوانهن أو أبنائهن أو على يد العلماء أو على يد العالمات و المؤدبات .

تلقت المرأة العلم في المرحلة الأولى من ذويها ،فنجد الكثير من بيوت الأندلسيين كونت نساء عالمات لاسيما في عهدي الإمارة و الخلافة الأموية. وتضم كتب التاريخ و التراجم خاصة أسماء لكثير من الأسر و العائلات التي اعتنت بتعليم بناتها و نسائها بصفة عامة.[1] إلا أن هناك اختلافا في أسس التلقين و أماكنه، إذ من بين هؤلاء النساء من تعلمن في دور الخاصة والقصور بطرق تختلف عن المعمول بها عند سائر العامة.و في هذا السياق يمكن لنا القول أيضا أنه كان هناك تشابه بين تلقين الجواري و الأحرار للعلم ، كما هو الشأن في بلاطات الأمويين خاصة في عهد عبد الرحمان الأوسط و عبد الرحمان الناصر(300ه-350 هـ) وبلاط الحكم المستنصر (350ه-366ه) و ابنه هشام المؤيد (366ه-406ه). كانت هذه القصور بمثابة مدرسة حقيقية لتخرج أفراد الجواري المثقفات على شاكلة الأميرات المصونات .

كما تفيد الإشارة أن هناك طريقة لتلقي العلوم عند فئة النساء أكثر حشمة ووقارا حيث كن يستمعن لحلاقات الدرس خلف ستار في آخر المجلس مثل "أم شريح" كانت تقرأ ما خف عليها ، خلف ستار بحرف نافع".[2] و كانت بعض الفقيهات يعقدن مجالس فقهية و يتصدرنها مثل أخت القاضي "منذر بن سعيد البلوطي ، كان يقصدها عجائز و صوالح نسائهم للذكر و التفقه في الدين ودراسة سير الغابرين. كما كانت بعض النساء تقوم بتعليم بنات جنسها، فقد كان لابن حزم المعلم من أهل قرطبة ابنة تقوم بالتدريس و التعليم ، و من الطبيعي أن من

---

[1] (يوسف بن علي بن إبراهم) العريني ، **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين** ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط 1، الرياض، 1416 هـ، ص 149؛ (محمد بن زين العابدين) رستم، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس**،ط 1، دار ابن حزم،بيوت،1430، 2009، ص ص 163 ، 168؛ جمعة خليل، نساء من الأندلس، ص 300 ،304.

[2] ابن عبد الملك المراكشي ، كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، السفر 8،ق 1، ص 490، 492.

تعلمهن نساء ، و كان أبوها و أخوها يعلمان التلاميذ ، و كان بيتهم أشبه بالمدرسة ، يستوعب ثلاث مجموعات ، مجموعتين من التلاميذ و مجموعة من الفتيات .[1]

كان من عادات ملوك الأندلس أن يعهدوا ببناتهم و نسائهم لمعلمات يتعاهدنهن بالتعليم والتهذيب و قراءة الشعر و حفظه. فنجد المرأة المتعلمة ، و العالمة و المعلمة. ومن مظاهر ذلك اعتناء المعتصم بن صمادح بتأديب ابنته **أم الكرام** لِما رأى فيها من ذكاء حتى نظمت الشعر الجميل وأسهمت في إنشاء الموشحات.[2] كما أشرفت النساء على تعليم العالم محمد بن حزم الذي يقول عن نفسه:" وهن علمني القرآن وروّينني كثيرا من الأشعار و دربنني في الخط ."[3]

ومن الشيوخ الذين تتلمذوا على النساء أبو داود سليمان بن نجاح المقري أخذ العروض عن" **إشراق**" (العروضية) و قرأ عليها النوادر للقالي و الكامل للمبرد وكانت تحفظ الكتابين ظاهرا.[4] أما أبو بكر عياض بن بقي فقرأ على" أم شريح" في صغره و كان يفخر بذلك و يذاكر ابنها شريحا و يقول: قرأت على أبيك و على أمك فلي مزية على أصحابك و لا يمت بمثلها أحد إليك ، فيقر له الشيخ و يصرفه.[5]

أما **أسماء** بنت أبي داوود سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر بالله، بلنسية أكثرت عن أبيها وشاركته في بعض شيوخه، وهي التي زوجها من أحمد بن محرز فتى كان يقرأ عليه،[6] . و كذا **"أمة الرحمان"** بنت أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القهار العبسي ، ذكرها العالم أبو محمد بن خزرج و قال: سمعت عليها مع ابن أخيها محمد بن عبد الملك بعض ما روته عن أبيها . و يضاف إلى هذه الكوكبة من المعلمات ، الحرة **تاج النساء** بنت رستم أخت أبي شجاع التي قرأ عليها عدد من الطلبة منهم الفقيه الحافظ عمل بن عبد المجيد بن خلف بن موسى الأزدي المالقي الرندي.[7] **فاطمة**

---

[1] منجد مصطفى بهجت ،أعلام نساء الأندلس .رقم 27، ص 114

[2] ابن سعيد، المغرب ،ج 2ص، 202.

[3] ابن حزم ،طوق الحمامة ، ص62.

[4] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة، سفر 8،. رقم 240، ص480. منجد مصطفى بهجت ، المرجع السابق ، ص 104 ؛ محمد الأمين بلغيث ، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين،** مج 2، أطروحة دكتوراه ،إشراف عبد الحميد حاجيات ، جامعة الجزائر ،1423ه-1424م/2002م -2003م. ، ص 354.

[5] منجد مصطفى بهجت ، المرجع السابق، رقم43، 119.

[6] ابن عبد المالك، المصدر السابق، سفر 8،. رقم 284، ص 495؛ منجد مصطفى، نفس المرجع ،رقم 42، ص119.

[7] ابن عبد الملك، المصدر السابق ،السفر الخامس القسم 2، ص 452؛ محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية في الأندلس.، ص 354.

بنت أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب الأنصاري الشراط عرفت "بأم الفتح" حدث عنها ابنها و أبو القاسم ابن الطيلسان و تلا عليها القرآن بقراءة ورش وقرأ عليها ما عرضت على أبيها من الكتب وسمع منها غير شيء وأجازت له بخطها وقال : أظن أبا مروان بن مسرة أجاز لها، فإنه الذي سماها ودعا لها حملها إليه أبوها يوم ولادتها وتوفيت سنة ثلاث عشرة وستمائة. [1]

و من المعلمات **سيدة** بنت عبد الغني بن عثمان العبدري ،غرناطية، تعرف بـ " **أم العلاء**" تعلمت القرآن وبرعت فيه ،و علمت في ديار الملوك عمرها كله إلى أن أقعدها عن ذلك مرض ألزمها منزلها أكثر من ثلاث سنوات ، فخلفتها على التعليم بنتان لها . و علمت بغرناطة ثم انتقلت إلى فاس ثم عادت إلى غرناطة ولحقت بتونس فعلمت بقصر ملكها.[2]

و **مريم بنت ابي يعقوب الأنصاري** لقد أجمعت المصادر على أنها كانت تعلم النساء الأدب و كانت تغدو على بنات سادة إشبيلية تعلمهن الآداب من شعر و نثر وحكمة. و كان لها بينهن منزلة محمودة لأدبها السامي وحشمتها و عفتها. فهي بحق أستاذة من أستاذة الشعر في ذلك العصر.[3] و **أم معفر** ،إحدى حرم الأمير محمد بن سعيد بن مردنيش أخذت عنها قراءة ورش **أم العز** بنت أحمد بن علي بن هديل .[4] أما **حفصة الركونية** فقد اشتهرت [5] بأستاذة عصرها. وهي بالفعل أستاذة شواعر الأندلس. أما بعد رحيلها إلى مراكش ،اتخذها أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور أستاذة لنسائه. و قال عنها ابن الخطيب: " و كانت أستاذة عصرها و انتهت إلى أن علمت النساء في دار المنصور." [6]. و **حمدة** بنت زياد بن عبد الله العوفي علمت النساء في دار المنصور الموحدي و عرفت بخنساء المغرب[7]

يبدو أن هؤلاء المؤدبات من النساء الأندلسيات كن من الأعلام ، و ممن يشار لهن بالبنان ، لأنهن كن يتميزن بالعلم الغزير و معرفة الأخبار و صنوف الآداب

---

[1] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8،ق 2، رقم 269، ص 490.

[2] ابن عبد المالك، نفس المصدر ، سفر 8، ق2،رقم 261، ص 487، 488؛ عبد الهادي التازي، **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي** ،ط 1،الدار البيضاء ، نشر الفك، 1413 ه/ 1992م، ص107، 108.

[3] المقري،نفح الطيب، ج 4، ص 291؛ جمعة خليل، نساء من الأندلس، ص265، 266.

[4] ابن عبد المالك، المصدر السابق، سفر8، ق2،رقم 246، ص483،؛ و رقم 243، ص 482.

[5] المقري، نفح الطيب،4، ص 171، 172؛ جمعة خليل، المرجع السابق ،ص191، 192.

[6] الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 1،ص493

[7] المقري، نفح الطيب،4، ص287 ؛ بن عبد الله عبد العزيز،**معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى**، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، 1070، ص 10، 11.

وخوّل لهن منح الإجازات لمن يتتلمذ على أيديهن.[1] و هذا أحسن مثال على دور الإيجابي للمرأة التي نالت حظا وافرا من التعليم و قابلته بالعطاء و نشره من خلال التدريس ومجالس الوعظ. و يستدل مما ورد ذكره تنوع العلوم و المعرفة لدى هؤلاء المربيات، فكانت الواحدة منهن تتقن العديد من المعارف، و ضم التراث الأندلسي في طياته الإرث العلمي النسوي حيث تضم كتب التراجم مصدرا خاصا من مصادر المعلومات، وكذلك المنتخبات الأدبية التي تشير إلى النساء اللواتي أسهمن في النشاطات الفكرية أو الفنية.

وقد أثمنت هذه المصادر بماهرة فائقة من قبل البحوث الأكاديمية المعاصرة فقد ذكرت 116 امرأة أندلسية في معاجم الأعلام ما بين القرنين الثاني الهجري / الثامن الميلادي م الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، و من بينهن اثنتين فقط صنفتا على أنها عالمتان ـفاطمة المغامي و حفصة بنت حمدون. و ثلاث وصفهن بأنهن يراعين العلم، بينما ذكرت أخريات لانتسابهن إلى بعض العائلات المرموقة. والنساء اللواتي أسهمن في قول الشعر 44حالة،و الأديبات 22 حالة و الكاتبات 11حالة والناسخات 4 و مؤلفات المعاجم 3 و نحويتان ،و 16 يقرأن القرآن و يعرفن معانيه و 6 كرسن حياتهن للحديث و 8 للزهد و 6 يعرفن الفقه ، 4 يعرفن التاريخ و الأخبار و وحدة تعرف الحساب ، و واحدة تعرف علم الكلام ، و واحدة تعرف علم الفرائض.[2] و يعد هذا ثمرة المظهر العلمي الذي وصفته المستشرقة "زيغريد هونكه" فقالت :" و هكذا جعلت اسبانيا التعليم للجميع مجانيا."[3]

الـــــرحلـــــــة العلميــــــــة

و بناء على ما سبق فإن المرأة الأندلسية تلقت نصيبا وافرا من العلم والمعرفة، فظهر من بين النساء العالمات والأديبات و الشاعرات و الكاتبات والخطاطات التي يأتي ذكر إسهام بعضهن. لكن هذا لم يكن من الصدفة ، إنما حصل بقدر العزيمة والإرادة الفذة التي اتصفت بها بعض النابغات وقد عانت البعض منهم مشقة جمة و تكبدت عناء العلم و طلبه فشدت الرحال و تنقلت في طلبه داخل الأندلس وخارجها . ومن نماذج على ذلك " **ابنة فايز** القرطبي التي كانت رحلتها متنوعة .في بداية مسارها العلمي أخذت علم التفسير و اللغة العربية و الشعر عن أبيها

---

[1] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، سفر 8 ، ق 2، رقم 269، 490.

[2] ماريا فيغيرا، أصلح إلى المعالي،عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس، ، ج 2، ص 1009 ؛ ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، الباب 13، ج 3، في أطباء إفريقية و الأندلس، نشره نور الدين عبد القادر و هنري جامية ، الجزائر، منشورات كلية الطب والصيدلة، 1377، 1958،ص 235 .

[3] شمس العرب تسطع على الغرب، ص 394.

فايز القرطبي، و أخذت عن زوجها أبي عبد الله بن عتاب الفقه و الرقائق، ثم ضربت في الأرض في رحلتين:

الرحلة الأولى داخل الأندلس لتأخذ علم القراءات على أشهر قارئ في زمانها و هو " أبو عمرو الداني. فقصدته على دانية، فلما وصلت وجدته في مرض موته ، وحضرت جنازته سنة 444ه/ 1052م. فسألت عن أصحابه فذكر لها أبو داود البلنسي ، فشدت رحالها على بلنسية ، و قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع.[1]

أما رحلتها الثانية ، فكانت مشرقية حيث ذهبت إلى الحج ، و غير مستبعد أنها التقت بالعلماء في رحلتها ، لكن أثناء عودتها إلى بلدها توفيت بمصر سنة 446ه/ 1054م . **و" خديجة** "بنت أبي محمد بن عبد الله بن سعيد الشنتجيالي التي شد ت الرحال في طلب العلم سمعت مع أبيها من الشيخ أبي ذر بن أحمد الهواري صحيح البخاري وغيره. وشاركت مع أبيها في السماع من شيوخه بمكة . ويقول ابن بشكوال :" رأيت سماعها في أصول أبيها بخطه ودخلت معه الأندلس وماتت بها".[2]

و رحلت **فاطمة** بنت سعد الخير إلى أصبهان و إلى بغداد و سمع منها عدد من العلماء فيهما، ثم حدثت بمصر و توفيت سنة ستمائة هجرية،(600ه) وكذاك كان شأن **"صواب** " التي رحلت إلى المشرق مع زوجها أبي عزيز الفهري الزاهد و لما عادت إلى الأندلس بقيت على اجتهادها إلى أن توفيت.[3] وهكذا بعد إكمال تعليمهن في بلدهن واصلت بعض نساء الأندلس طموحهن العلمي في المشرق و أخذن عن كبار علمائه.[4]

أما الرحلة العلمية من أوروبا إلى الأندلس حدثت نتيجة لما بلغته الأندلس من إشعاع علمي و إسهام نسوي ، و لما شاع فيها من أخبار عن التقدم العلمي في الأندلس في شتى المجلات، خصوصا في قصور حكامها و في مدنها الرئيسية. ولذا لم يقتصر التعليم في الأندلس على أبنائه و بناته ، بل شمل مجموعات متعددة من طلبة العلم من بعض الدول الأوروبية.

و بدأت موجة من البعثات العلمية تفد على الأندلس،كانت في غالبيتها ذات طابع رسمي ،أرسلت من طرف مختلف ملوك أوروبا و أمرائها مثل إنكلترا، و فرنسا، وهولندا، و بافاريا. و أخذت هذه البعثات تتزايد سنة بعد أخرى ،حتى بلغت سنة(312ه/924م) أكثر من سبعمائة (700)طالب و طالبة. و كانت إحدى هذه البعثات

---

[1] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة، سفر 8 ، ق 2، رقم 282، ص 394.

[2] ابن بشكوال ، الصلة، ج3، ص رقم 1551، ص 996.

[3] منجد مصطفى بهجت،أعلام نساء الأندلس، رقم 10،ص 111.

[4] العريني ، المرجع السابق، ص 150.

من فرنسا برئاسة **الأميرة إليزابيث** ابنة خال الملك لويس السادس. كما جاءت بعثة أخرى من سافوي و بافاريا و الرين و سكسونيا و غيرها . [1]

وبعث فيليب ملك بافاريا إلى الأمير هشام الأول بن عبد الرحمان الداخل (172-180ه/788- 796م)بكتاب يطلب فيه الإذن بإرسال بعثة علمية إلى الأندلس للإطلاع على أحوالها و أنظمتها و شرائعها و ثقافتها و الاستفادة منها. و بعد الرد بالموافقة ،أرسل الملك فيليب بعثة برئاسة وزيره الأول "ويلمبين" و يعرف عند العرب باسم وليم الأمين. وبلغ عدد البعثة مائتين و خمسة عشر (215) طالب و طالبة درسوا مختلف العلوم ، مثل صناعة النسيج،و التطريز و النقش ، والزجاج و الورق، والتمريض ووالأسلحة ، وبناء القلاع، و بناء السفن. و البعض درس علم الفلك والكيمياء و الفيزياء و العلوم الزراعية و غيرها. [2]

و قد اعتنق ثمانية أفراد منهم الإسلام و مكثوا في الأندلس منهم ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس آنذاك ، و أنجبن عددا من الأبناء، كان منهم "عباس بن فرناس" الفلكي . و لا ستبعد أن والدته كانت تعرف علم الفلك لأن هذا العلم كان من اهتمامات طلبة البعثة الأوربية التي جاءت معها .و هناك عددا من الفتيات قدمن في بعثات أخرى من فرنسا و هولندا إيطاليا و ألمانيا و بلجيكا، أقمن في الأندلس و اعتنقن الإسلام ، و تزوجن بالمسلمين ، من أمثال الأميرة "ماري غوبيه من بلجيكا ،و "روبيكا سنارت " من ألمانيا، و الراهبة "جانيت سمبسون" من إنكلترا، و"شوتا " ابنة الكون سير جاك من هولندا. [3]

و أوفد جورج ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة أخيه الأميرة "دوبان"كانت تضم ثماني عشرة فتاة من الأشراف و الأعيان . و قد توجهت البعثة إلى مدينة إشبيلية ، و رافقهن في سفرهن النبيل سيفلك رئيس موظفي القصر في ويلز. و جاءت هذه البعثة في عهد الخليفة هشام بن الحكم المستنصر. وقد حمل النبيل سفيلك رسالة إلى الخليفة من الملك جورج. مما جاء فيها :

" و لقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبان) على رأس بعثة من بنات أشراف الإنكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش، و التماس العطف لتكون مع زميلاتها

---

[1] طه عبد الواحد ذنون ، **الأصالة و التأثير أبحاث في الفكر و التراث**، بيروت ، دار المدار الإسلامي، ط1، 2011 ص 279؛ طه عبد الواحد ذنون، **أثر الأندلس في التعليم و الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى**،<u>مجلة المجمع العلمي</u>،الجزء الأول، المجلد 49، بغداد ،1432هـ/2002م ،ص 132، 133.

[2] عبد الواحد ذنون، الأصالة و التأثير ، ص 280.

[3] ذنون ، نفسه ، ص280

موضع عناية عظمتكم، و حماية الحاشية الكريمة ، و حدب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن". [1] و مما رد به الخليفة هشام :" فإننا نعلمكم بأنه سيتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت المال المسلمين تأكيدا على مودتنا لشخصكم الملكي". [2]

و يتبين من خلال هذه المراسلة الرسمية بين ملك إنكلترا و خليفة الأندلس استفادة بعض نساء أوروبا، من فيض الحضارة الإسلامية في الأندلس باعتراف ملكهم :" فأردنا لأبنائنا اقتباس هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركانها ". و مما أضفاه الخليفة هشام من كرم على الأميرة و زميلاتها ، أن أنفق على البعثة من بيت المال المسلمين .

و يحتمل أن رسالة الرد كتبتها **لبنى** ، وهي كاتبة هشام الثاني الذي حكم ما بين(366هـ 399ه/ 976مـ1009م) لأن الكاتبة لبنى توفيت في 376 ه/ 986م. وكانت كاتبة الحكم المستنصر بالله، بارعة الخط أديبة نحوية شاعرة ، لم يكن في قصرهم أنبل منها . [3] أو كتبتها **نظام** التي كانت كاتبة هشام المؤيد بقصر الخلافة بقرطبة، و كانت بليغة مدركة محبرة للرسائل . ففي عهد الخليفة هشام المؤيد و هي التي كتبت تعزي عنه عبد الملك المظفر بوفاة المنصور ابن أبي عامر في 392هـ/ 1001م و جدد له العهد بولايته. [4]

وإن صح هذا الاحتمال فيمكنني اعتبار هذه الرسالة أحد الآثار المادية للكتابة الديوانية التي تولتها إحدى الكاتبات في القصر الأموي بقرطبة. و من جهة أخرى يمكننا الاستدلال بهذه الرسالة في كون الخليفة هشام كان لا يزال يحافظ على نوع من السلطة الروحية للخلافة في ظل الدولة العامرية التي حجبته عن السلطة التنفيذية لأن الرسالة موجهة باسمه و كذا الرد عنها في وقت كان محمّد بن أبي عامر مسيطر على أجهزة الحكم .

و الأهم في هذه الرسالة أن البعثات الأوروبية للأندلس ضمت طالبات العلم ولا يستبعد أنهن شكلن نواة نهضة المرأة الأوروبية فيما بعد ،فهل بالمقابل انتقلت المرأة الأندلسية ضمن البعثات الأندلسية إلى أوروبا ؟ لم تسفر المصادر التي اطلعت عليها عن أسماء لنساء رحلن لدول أوربية لنشر العلم كما فعل بعض

---

[1] طه عبد الواحد ذنون ،أثر الأندلس في التعليم و الجامعات الأوروبية،ص 133، 134 ،و انظر مضمون الرسالة في الملحق رقم 11.

[2] ذنون ،الأصالة و التأثير ، ص 280 و أنظر الرد على الرسالة كاملا في الملحق رقم 11.

[3] ابن بشكوال، الصلة،ج 2، ص 692 ؛رضا كحالة ، أعلام النساء، ص102.

[4] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة، السفر 8، ق 2، رقم 280، ص 493 ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص 366؛ رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص 103؛ عبد الهادي التازي،المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص147.

الرجال ، وإنما النساء الأوربيات هن اللائي قصدن الأندلس، لغرض التعلم ، وبخلاف ذلك ذكرت المصادر أسماء نساء رحلن للمشرق لنفس الغرض .

مجالات الإبداع و أهم العلوم و العالمات في الأندلس

لقد أفرزت العناية الأسرية و الحكومية بتعليم المرأة على نبوغ المرأة الأندلسية في مختلف العلوم الدينية و الأدبية و اللغوية و العقلية و في الأعمال الفنية.

1 إسهام المرأة الأندلسية في العلوم الدينية

أثر العامل الديني على تشجيع تعليم المرأة و تثقيفها بثقافات العصر ،فلم تسجل كتب المصنفات معارضة الفقهاء لهذه النهضة الثقافية النسائية بالأندلس ، بل كانت تخصص لها مكان خلفي محجوب عن الأنظار للتعلم و باجتهادها و مواظبتها على الدرس استطاعت أن تحقق تفوقا في شتى فروع العلوم الشرعية ، و التي أذكر منها بعض النماذج و هي في:

علم القراءات: **"طونة"** بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع ،تكنى" أم حبيب" عاشت مابين (437ه- 506ه). وهي زوج أبي القاسم بن مدبر الخطيب المقرئ أخذت عن أبي عمر بن عبد البرّ الحافظ كثيرا من كتبه و مؤلفاته وعن أبي العباس أحمد بن عمر العذري الدلائي ، [1] وسمع زوجها أبو القاسم المقرئ بقراءتها عليهما ، كانت حسنة الخط فاضلة دينة . [2] أما **" ريحانة"** فقد درست القراءات و أخذت بعض علومها بالمريّة عن أبي عمرو، ثم قرأت عليه القراءات الأخرى غير السبع وأجازها على ذلك. [3] .

حفصة ابنة الفقيه القاضي العدل أبي عمران موسى ابن حماد الصنهاجي، ولدت سنة 519ه / م بغرناطة و هي زوجة القاضي أبي بكر محمد بن علي الغساني

[1] ابن بشكوال، الصلة، ج3، رقم 1553، ص 996،

[2] ابن بشكوال، نفس المصدر،ج3 ، رقم 1553، ص 996،997.

[3] الضبي، بغية الملتمس، رقم 1599، ص 732؛ (أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي) ابن الزبير ، **صلة الصلة،** القسم الخامس، تحقيق عبد السلام الهراس و سعيد أعراب، المغرب، مطبعة فضالة1416ه/1995م، ص308.

المرشاني . كانت فاضلة قارئة ،كاتبة ، لها معرفة جيدة بالفرائض و تذكر كثيرا من فتيا أبيها. توفيت بغرناطة و دفنت بمقبرة البيرة . [1]

أم الفتح" فاطمة" بنت أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب الأنصاري الشراط: و هي أم الأستاذ أبي القاسم بن الطيلسان قرأت على أبيها ختامات لا تحصى، و عرضت عليه "التنبيه" لمكي و" الشهاب" للقضاعي و" مختصر" ابن عبيد الطليطلي عن ظهر قلب، و قرأت القرآن أيضا على أبي عبد الله المدوري الزاهد عرضا ، و قابلت مع أبيه صحيح مسلم، و سير ابن هشام –تهذيبه- و الكامل للمبرد و نوادر البغدادي، و غير ذلك؛ توفيت عام ثلاثة عشر و ستمائة؛613هـ/ 1216م وذكر ابنها المقرئ أبو القاسم أنها كانت تتميز بقراءة ورش .[2] فهي المقرأة بنت مقرئ و والدة مقرئ.

علم الفقه

أشهر الفقيهات و هن كالتالي:

"خديجة" بنت جعفر بن نصير بن السمار التميمي :

زوجة عبد الله بن أسد الفقيه . روت عن زوجها عبد الله موطأ القعنبي قراءة عليه بلفظها في أصله . و قيدت فيه سماعها بخطها في سنة 394 –أربع و تسعين وثلاثمائة – قال عنها ابن بشكوال: "سمعت الشيخ أبا الحسن بن مغيث رحمه الله يذكرها. و ذكر لي أن الكتاب عنده، ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكر رحمه الله، ورأيت من تحسبيها كتبا كثيرة على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه".[3]

" فاطمة" بنت يحيى بن يوسف المغامي :

هي أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي . كانت خيرة فاضلة عالمة فقيهة ، استوطنت بقرطبة و بها توفيت رحمها الله سنة– تسع عشر و ثلاثمائة – (319 هـ

---

[1] ابن الزبير ، صلة الصلة ،القسم الخامس، ص 312.

[2] . ابن الزير ، نفسه ، القسم الخامس ص 314. محمد بن عزوز، **صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري**(رواية و تدريسا) ،بيروت ، دار بن حزم، ط1، 1423هـ 2002م ، ص 31 .

[3] ابن بشكوال، الصلة ، رقم 1544،ص 993؛ ابن الزبير ، المصدر السابق ، رقم 619 ص 308 ؛ الضبي ، بغية الملتمس، رقم 1600 ص 733 ، و ، رقم 619 ،ص 313. و رقم 1600 ص733.

/931م)ودفنت بالربض ،جمعت بين رواية الحديث والفقه . ونظرا لمكانتها العلمية قيل إنه لم يرى على نعش امرأة قط ما شهد على نعشها. أما" **فاطمة" بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي** أخت أبي محمد الباجي الأشبيلي بنت أبي العباس اللخمي، فهي تنتسب لإحدى الأسر العلمية في المجتمع الأندلسي المعروفة بأسرة الباجي القاطنة باشبيلية والتي أسدت للعلم و المعرفة جهودا عليّة مثمرة . ولم يقتصر دور هذه الأسرة على رجالها بل حتى على النساء ومنهن " **فاطمة**" التي شاركت أخاها أبا محمد في بعض شيوخه و أجاز لها العلامة محمد بن فُطيس الإلبيري في جميع روايته بخط يده في بعض كتبهم رحمهم الله .[1] كما قرأت عن أبيها أبي العباس أحمد بن عبد الله اللخمي المغربي الفاسي الصحيحين وأقرأها بالسبع . فتعلمت عليه وكتبت الكثير من العلم و جمعت بين رواية الحديث و القراءات. توفيت عام 560ه رحمها الله .

خيرونة الأندلسية

امرأة حظيت بتقدير الفقيه الإمام السلالجي الذي ألف لأجلها "كتاب البرهانية" في أصول الدين. وما من شك أن شخصية كالسلالجي يخص سيدة بمثل هذا التكريم إلا إذا كانت على مستوى كبير من المعرفة الدينية . ويتبين مما سبق أن بعض الفقهاء والعلماء والقضاة تقبلوا أمر مساواتهم مع النساء في الجانب العلمي ولم يجدوا غضاضة في التعامل معهن ؛ ماعدا ما ذكر عن " **ريحانة"** ، ويبدو من اسمها أنها من صنف الجواري ، التي تميزت بقوية العزيمة أمام تعنت شيخها الرافض إجازتها. فكانت تقرأ عليه القرآن بالمرية . و كانت تجلس خلف ستار فتقرأ و يشير لها بقضيب بيده إلى المواقف، فأكملت السبع عليه و لما طالبته بالإجازة امتنع .[2]

و يضاف إليهن وجود أمثلة كثيرة تدل على فعالية المرأة العالمة في الأندلس واحتلالها مكانة اجتماعية رفيعة و محترمة، و منها ما أورده المقري عن المرأة اللوشية: " أن أحد قضاة - بلدة لوشة - بالأندلس ، ، كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام و النوازل . وكانت تعرض في مجلس قضائه النوازل المستعصية الحل ، فيلجأ إلى زوجته التي تشير عليه بما يحكم به . فكتب إلي هذا القاضي أحد أصحابه مداعبا إياه بقوله:

بِلَوْشة قاض له زوجة وأحكامها في الورى ماضية

---

[1]ابن بشكوال، الصلة ، ج2، رقم 1540ص991 ؛ الضبي، بغية الملتمس، ج2، رقم1601، ص733 ،ص،547.

[2] ربيعة سعيد ، **نساء تفوقن في الأندلس، الأسس الثقافية للمرأة الأندلسية**، ص52. مجلة دعوة الحق، عدد 376، سنة 1525ه/ 2004 م.

فيا ليته لم يكن قاضيا ويـا ليتهـا كانت القاضـية

فأطلع القاضي زوجته علي الرسالة حين قرأها دون تعقيب عليها . فقالت له ناولني القلم، فناولها إياه ، فكتبت ردا علي المرسل:

هو شيخ سوء مزدري له شيوب عاصية

كـلا لئــن لم ينتــه لـنسفعـا بالناصية [1] . و رغم نبوغ هذه المرأة فإنه لم يذكر اسمها ، إنما نسبت إلى بلدتها فقيل الفقيهة اللوشية.

علم الحديث النبوي

أشهر المحدثـــــات :

عابدة المدنية :

تمثل هذه المرأة الطليعة الأولى لفقيهات الأندلس ، و إن كانت مشرقية المولد. استظهرت هذه الفقيهة آلاف الأحاديث عن مالك بن أنس. [2] و هي أُم الفقيه بشر بن حبيب ،و كان له بنت اسمها **عبدة** روت عنه الحديث ، و هي حفيدة عابدة المدنية؛ [3] وتميزت الكثيرمن الفقيهات بحفظ كتب الصحاح كما سيأتي ذكره. و من المحدثات: **"غالية** " بنت محمد المعلمة الأندلسية روت عن أصبع بن مالك الزاهد و ذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب النساء. [4] و **أمة الرحمان بنت عبد الحق** بن غالب بن عطية بن عبد الرحمان بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن خالد بن خفاف المحاربي،من غرناطة،تعرف" بأم هاني" . وقال فيها : ابن الآبار :" أم الهناء" ولم يسمها، وقد أتينا باسمها وكنيتها على الصواب . أخذت عن أبيها وأُخِذ عنها، وكانت من أهل الفهم والعقل جيدة الخط حاضرة النادرة سريعة التمثل. دخل أبوها داره بغرناطة وقد قلد قضاء المرية وعيناه تدمعان أسفا لمفارقة وطنه فأنشدته متمثلة: [5]

جاء الكتاب من الحبيب بأنه سيزورني فاستعبرت أجفاني

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تح مكي ،ط 1971، ص 228؛ المقري ، نفح الطيب ،ج3،ص294 .

[2] ابن حيان، نفسه؛ص228؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، رقم 76 ،ص 139، 140؛ الدغلي محمّد سعيد، الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها على الأدب العربي، ،ص 42؛ ربيعة سعيد ، نساء تفوقن في الأندلس ص51

[3] المقري ، نفح الطيب،ج2، ص 502.

[4] الضبي ، بغية الملتمس ،رقم 47،1594؛ ابن بشكوال، الصلة ، رقم1538، ص 991 ؛ راوية عبد الحميد شافع ، المرأة في المجتمع الأندلسي ،ص159.

[5] ابن عبد الملك، الذيل و التكملة، السفر 8 ، ق 2، ص477 .

غلب السرور على حتى إنه   من فرط عظم مسرتي أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة   تبكين في فرح وفي أحزان

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه   ودع الدموع لليلة الأحزان

ولها مصنف في القبور ، وأخر في الأدعية . تزوجها أبو علي الحسن بن محمد بن حسان. فولدت له أبا جعفر أحمد و هذا الأخير له "مصنف الجمل والتفصيل في تدبير الصحة في الإقامة والرحيل".

وخلفه عليها أبو عبد الرحمان محمد بن طاهر فولدت له أبا جعفر عبد الحق المفسر المشهور و مؤلف الأصول في صناعة العدد العملية .[1]

و"**أمة الرحمان**" بنت أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القهار العبسي : ذكرها أبو محمد بن خزرج و قال: سمعت عليها مع ابن أخيها محمد بن عبد الملك بعض ما روته عن أبيها . و كانت صوّامة قوامة و توفيت بكرا في شعبان من سنة أربعين و أربعمائة 440 هـ/1148م ، و سنها نيف و ثمانون سنة رحمها الله.

"حفصة" ابنة الأستاذ أبي عبد الله محمد بن أحمد السلمي، المعروف بابن عروس : فقد أحكمت على أبيها قراءات السبعة، وقرأت عليه كثيرا من كتب الحديث، والأدب، وغير ذلك؛ ودرست كتاب الموطأ و عرضته على خال أبيها أبي بكر يحيى بن عروس التميمي. وكانت فصيحة، سليمة اللسان من اللّحن ، و أقرأ الناس لكتاب الله عزّ جلّ – و إن صعب خطه وقلّ شكله و نقطه ،فإنها لا تتوقف ولا تتلعثم. و وفتها المنية في الخامس عشر رمضان من سنة ثمانين و خمسمائة (580هـ /1184 م) – و سنها سبع و عشرون سنة رحمها الله .[2]

أما" **مسعدة**" ابنة أبي الحسن علي بن أحمد ابن خلف الأنصاري : روت الحديث عن أبيها و عن أخيها أبي جعفر و عن زوجها أبي عبد الله النميري و

---

[1] ابن الزبير، صلة الصلة، ص 311 ؛ ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، السفر 8 ، ق 2، ص477؛ المقري، نفح الطيب، ج4،ص292؛ محمد بن زين العابدين رستم، بيوتات العلم والحديث، ص164.

[2] ابن الزبير، المصدر السابق، ص313.

كانت من ذوي الذكاء و الدين . و توفيت بغرناطة سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة (593هـ/1196).[1]

"أم العز" بنت محمد العبدري: سمعت بقراءة أبيها صحيح البخاري مرتين . وروت عن زوجها أبي الحسن ابن الزبير و عن آخرين.[2]

و **" عائشة" بنت القاضي الجليل أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل** : روت عن أبيها ـ ولم تذكر غيره و أجاز لها غيره إلا أنها لم تذكر ذلك. وكانت من الصالحات، ذاكرة لكثير من أخبار سلفها وغيرهم ، متيقظة، سنيّة فاضلة.[3]
و**أم السعد"** بنت عصام بن أحمد بن إبراهيم بن يحي بن خلصة الحميري الكتامي : وهي من قرطبة، وتعرف بسعدونة لها رواية عن أبيها و جدها و خاليها أبي القاسم عامر، و أبي حي، وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النّبي صلّى الله عليه و سلم تكملة لقول غيرها، فقالت:

سألثم التمثال إذ لم أجــــــــد   للثم نعل المصطفى من سبيل

لعـــلني أحضــــى بتقبيلــــــــه   في جنّة الفردوس أسى مقيـل

في ظل طوبى ساكنا آمنـــــــا   أسقى بأكواس من السلسبـيل

و أمســـح القلب به علّـــــــــه   يسكن ما جاش به من غليـل

فطالما استشفى من بأطلال مـــن   يهواه أهل الحب في جـــــيل

و يذكر أنها كانت أديبة شاعرة ، و هذا ما يبدو من نظمها السابق الذكر. كما ينسب الشيخ أبي محمد بن هارون القرطبي لجدته "سعدونة أبياتا هي:

آخ الرجال من الأبا   عد و الأقارب لا تقارب

[1] ابن الزبير ، صلة الصلة، القسم 5 ، رقم 630، ص 314؛ محمد بن زين العابدين رستم، المرجع السابق، ص167.

[2] ابن الزبير ، نفس المصدر ،رقم 630 ص 314 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة ، السفر الثامن ، ق 2 ، ص 482 ،483 ؛ محمد بن عزوز ، المرجع السابق ، ص 65 ؛ زين العابدين رستم، المرجع السابق ، ص164، 165.

[3] ابن الزبير ، المصدر السابق ،ق 5 ، ص 315؛ رستم زين العابدين، نفس المرجع، ص166.

إن الأقارب كالعقا رب أو أشد من العقرب

توفيت أم السعد في سنة 640ه/ 1242م.[1] و يظهر من البيتين أن "أُم سعد" تعرضت لمشاكل عائلية بوصف الأقارب بالعقارب رغم سعة علمها و ثقافتها الدينية ، إلا أنه يلاحظ أن هذا النوع من الألفاظ سيؤثر سلبا على صلة الرحم التي أوصى بها الله ﷻ .

"**فاطمة** " ابنة أبي الحسن البلنسي: كانت من كبار المحدثات أخذت العلم عن أبيها؛ واعتنت بصحيح البخاري. و هكذا حظي صحيح البخاري و موطأ مالك بعناية واهتمام أوفر من باقي كتب الصحاح الأخرى لدى عالمات الأندلس منهن عائشة بنت القاضي

و نُضار بنت الإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، كانت قارئة وخرجت لنفسها جزءا من الحديث. و كان والدها يثني عليها كثيرا،

و يقول :" ليت أخاها حيّان مثلها" ! و لما ماتت سنة 737هـ / 1336**م** وجد عليها والدها وجدا عظيما.[2]

" عزيزة " بنت محمد بن نميل : ذكرها ابن الزبير قائلا : "أنها سمعت على القاضي أبي بكر ابن العربي ، ألقيت سماعها مجلسا من حديث أبي الفوارس طراد الزينبي سمعته من لفظها ، ووقفت على خطها و كانت حسنة الخط قويمة اللسان ولم أتعرف من حالها أكثر، و أراها أخت أبي جعفر أحمد بن محمد ابن منيل من أهل مرسية" .[3]

و"علة" بنت سليمان بن منفوش مولى هرم بن سليم بن عياض القرشي العامري، شذونية. روت عن أبيها وروى عنها ابنها أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي.[4]

علم الكلام:

[1] ابن بشكوال ، الصلة ، رقم39،ص 696؛ ابن الزبير،صلة الصلة، ق5 ، رقم631 ص 315 ؛ السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء ، ص 29 ؛ المقري ، نفح الطيب، ج 4 ، ص 166 ، 167؛ محمّد بن عزوز ، المرجع السابق ، ص 31 ،32 ؛ زين العابدين رستم ،المرجع السابق، ص164.

[2] السيوطي، نزهة الجلساء، ص 83.

[3] ابن الزبير،المصدر السابق ، القسم الخامس، ص 312.

[4] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8، ق2، رقم 265 ، ص488.

بدأ انتشاره في الاتساع في القرن 6ه/12م، وتفوقت فيه **"زينب "** بنت الخليفة أبي يعقوب بن عبد المؤمن بن علي. و هذه الميرة ولدت بالأندلس و تزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص . و أخذت علم الكلام عن أبي عبد الله بن إبراهيم , و كانت عالمة صائبة الرأي معروفة بالتفوق على نساء زمانها .[1]

و هكذا عرفت نساء الأندلس إقبال على مسائل الفقه و حماسا متزايدا درسا وشرحا و حفظا و نسخا و تأليفا . و رغم تحفظ الجالية اليهودية على نسائها ، فقد ذكر دور زوجة ابن الألطراس الذي أدخل أحد المذاهب الدينية اليهودية ، و هو مذهب القرائين إلى الأندلس ؛ و تابعت زوجته هذه المهمة حتى تجذر في الأندلس والمغرب.[2]

الزهد و التصوف

كما تصف المصادر الكثير ممن ترجم لهن بالصلاح و الزهد و الورع . و من قرطبة نجد **أم الحسن** بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ بن عبد الله بن بوزع المكناسي مولى سليمان بن عبد الملك. كانت صالحة زاهدة فاضلة عاقلة ، وحجت وسمعت هنالك الحديث والفقه وعادت إلى الأندلس، ثم حجت ثانية وتوفيت بمكة شرفها الله، ودفنت هنالك،

وقال الرازي أن بقي بن مخلد سمع منها وغلط في ذلك والصواب سماعها منه .[3]

و**مسعدة** المحدثة أيضا كانت فاضلة صالحة.[4] و **فاطمة** بنت أبي القاسم تعرف بأم الفتح التي كانت تحفظ الكثير من شعر الزهاد و منه من شعر أبيها:"

سئمت الحيـاة علـى حبهــا وحق لذي السقم أن يسأمـا

فلا عيش إلا لذي صحـــة تكـون له للتقــى سلمـــا

وأنشدت على الشيخ أبي القاسم أحمد بن محمد البلوي عن ناظمها فيما أذن في روايته

عنه، وأنشدت على القاضي أبي الوليد محمد بن إسماعيل بن عفير عن أبيه لنفسه زيادة عليهما :

ولا داء إلا لمـــن لم يزل يقــارف في دينــه مأثمــا

فلست تعالـج جرح الهـوى - هديت – بمثل التقى مرهمـا [1]

---

[1] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8، رقم 258، ص 486 ؛منجد مصطفى بهجت، أعلام نساء الأندلس، ص 117

[2] بوتشيش، مباحث ، ص105.

[3]ابن عبد المالك، المصدر السابق ، السفر 8 ،ق 2، رقم 241، 481.

[4] ابن عبد المالك ، نفس المصدر السفر 8 ،ق 2،رقم 276، ص492.

" **فاطمة" بنت أبي علي حسين بن محمد بن فيره بن حيون** الصدفي ابن سكرة، مرسي ، تركها أبوها حين خرج غازيا إلى كتنده للجهاد و استشهد بها .و كانت قد قاربت الفطام وأوصى أن لا يجمع عليها فقده وفطامها فنشأت صالحة زاهدة تحفظ القرآن وتقوم عليه وتذكر كثيرا من الحديث في الأدعية وغيرها، وتوفيت بعد التسعين وخمسمائة (590ه)وقد نيفت على الثمانين.[2]

مريم بنت عبدون البجائي و هي زوجة ابن العربي والتي كان لها الأثر الكبير في انخراطه في الطريق الصوفي . و قد تتلمذ ابن العربي على شيوخ الطريق الصوفي رجالا و نساء . و من النساء ما وصفها ابن العربي بالمرأة المُحِبَة و هي **فاطمة** بنت أبي المثنى القرطبي و التي قال في حقها:" و خدمت انا بنفسي امرأة من المحبات العارفات بإشبيلية، يقال لها فاطمة بنت أبي المثنى القرطبي،خدمتها سنين و هي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس و تسعين سنة (95 سنة) . وكانت تقول لي :" أنا أمك الإلهية ، و "نور" أمك الترابية. " و إذا جاءت والدتي إلى زيارتها ، تقول لها : "يا نور ، هذا ولدي و هو أبوك، فبيره و لا تعقيه".[3]

يلاحظ أن النساء السابقة الذكر المترجم لهن لم تكن ممن أدركن الجاه و السلطان من بنات و زوجات الملوك فقط ، و أن مكانة المرأة لم تقترن بالنسب كما هو معهود ،إنما إسهام المرأة العالمة انبثق من مختلف شرائح المجتمع الأندلسي.

2 إسهام المرأة في الحركة الأدبية و اللغوية.

علوم اللّغـــــة العربية

أسهمت النساء الأندلسيات الأديبات في الحركة الأدبية بما أنتجن من أدب يجمع أكثرهن بين الفصيح المنثور و بين رقيق المنظوم ، ويلّمّ بفنون أخرى من المعرفة. وكانت النساء الجميلات لاسيما الجواري في قصور الخلفاء و الأمراء و الأغنياء يعلّمن الأدب . كما وضع الحكام الأميون خطة لتزيين قصورهم فيما يشبه قصور الخلفاء الأمويين و العباسيين في المشرق، ولأجل ذلك نقلوا كل ما هو

---

[1]ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، رقم269، ص490.

[2] ابن عبد المالك ، نفس المصدر ، السفر الثامن ، ق2، رقم 267، ص 489.انظر ملحق عالمات الأندلس، رقم 12

[3] ابن العربي، (محي الدين محمّد بن علي بن محمّد)، **الفتوحات المكية** ج 1،ج2، بيروت ،دار صادر (دت)،ص 347،348؛نزهة براضة، **الأنوثة في فكر ابن العربي**، بيروت،دار الساقي ،ط1،2008، ص 8.

جميل من المشرق من ذلك الجواري للغناء و الأدب حتى يوجدوا نواة في الأندلس تثمر فيما بعد.[1] و قد تولت الثقافة الأدبية الأندلسية الثروة العلمية الوافدة من المشرق بالشرح و الحفظ والنسخ فأفرزت عددا معتبرا من الأديبات ، و منهن ما يلي:

"إشراق السويداء "

عرفت بالعروضية ،حفظت النوادر لأبي الأعلى ، و الكامل للمبرد ، و درست **حفصة** بنت أبي عبد الله ابن عروس كتاب الموطأ , و قد أوتيت فصاحة اللسان والنطق ما لم يؤتى لغيرها ، و كانت أقرأ الناس لكتاب و إن صعب خطه و قل شكله و لفظه لا تتوقف و تتلعثم. أما **فاطمة** بنت أبي القاسم بن غالب القرطبية كانت تستظهر كتبا كثيرة منها: الشهاب للقضاعي ، و التنبيه للمكي ، و مختصر الطليكي ، و صحيح مسلم ، و السيرة لأبي إسحاق و الكامل للمبرد و النوادر للقالي

و غيرها من الكتب .[2] ولكن نشأ بعدهن جيل جديد من نساء أهل الأندلس يغنين ينشدن الشعر بالدرجة الأولى، و تميز القرنين 3 ـ 4هـ /9 – 10م عموما بقلة عدد الأديبات . و كان دور المرأة ينحصر في إلهام الشعراء ، ورفد قرائحهم بالأخيلة الجميلة أكثر من صياغتهن القصائد المختلفة.[3]

و بمطلع القرن الخامس الهجري عرفت الحضارة الإسلامية في الأندلس انتشارا واسعا و عميقا ،إذ أن الأدب شعرا و نثرا ، قد جرى على ألسنة الناس إنشادا من فيض القرائح، ونبغت في هذا الوسط كثيرات من الأديبات و البليغات و الشاعرات اللاتي كن في كثير من الحالات نظيرات للرجال المعاصرين لهن و ربما تفوقن عليهم في بعض الأحيان.

كان للنثر الفني عناية كبيرة [4] . وقد برز منذ عهد الإمارة مشاركة النساء فيه و منهن :

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 140،141، 610.

[2] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، السفر الثامن ،ق 2، ،رقم 240، ص 480 ؛ جلال الدين السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 1،ط 1، 1384ه/ 1964م. رقم 939، ص 458.

[3] سهى بعيون،إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر الطوائف ،ص 461.

[4] يقصد به أسلوب الرسائل الديوانية والإخوانيات و الوصايا و غيرها من مواضيع النثر الفني. وقد نال هذا الميدان نصيبا كبيرا من الاهتمام بعد أن اتسع نشاط الحركة العلمية، مصطفى مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي**،(د م ط) دار النهضة العربية، 1972،ص 57؛ سعد الله صالح البشيري، **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى،، 1417ه/1997، ص 204، 206

" رقية"
وهي امرأة حرة ، ابنة الوزير تمام بن عامر التي كتبت للأمير المنذر بن محمد الذي حكم ما بين (273 - 275 ه). [1] أما في عهد الخلافة الأموية برز عدد من الكتاب البلغاء الذين أثروا هذا الميدان بإنتاجهم الأدبي الرفيع ، وشاركهم بعض النساء في ميدان الكتابة الفنية. فقد اختص بعض الخلفاء بكاتبات ماهرات مثل الكاتبة " **زمرد**" التي كانت حاذقة و توفيت في 336هـ/ 947م ،و يضاف لها الكاتبة :

"مزنة"
التي فضلها عبد الرحمان الناصر دون سواها. و ربما ازدادت مكانتها بعد وفاة "زمرد". و وصفت هذه الكاتبة بالأدب الواسع و حسن الخط و لم يستغني عنها إلى أن توفيت في358هـ/968م. [2] وضم إلي قصر الخلافة الجارية الكاتبة **"كتمان"** التي اشتهرت بالفهم لدى عبد الرحمان الناصر. [3]

كما اختص الخليفة الحكم المستنصر بكاتبة تدعى **"لبنى"** التي عرفت ببراعتها في الكتابة و جودة الخط. و توفيت في 374هـ/ 984م. [4]. و اشتهرت " **نظام "** كاتبة قصر الخلافة بقرطبة في عهد الخليفة هشام المؤيد و هي التي كتبت تعزي عنه عبد الملك المظفر بوفاة المنصور ابن أبي عامر في 392هـ/ 1001م و جدد له العهد بولايته. [5] و **أميمة** " الكاتبة كان لها دور في حراسة "هشام المؤيد أيام تغييبه بدار الحسين بن يحيي. و هي التي حكى عنها ابن حيان عن زوجها التي أعلمته بخبر هشام المؤيد مخلوع المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار و إظهاره عليه. [6]

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة ، السفر الثامن ،ق 2، رقم 252، ص 485 ؛ رضا كحالة ، أعلام النساء،ص103.

[2] ابن بشكوال، الصلة،ج 2، رقم 1542،ص 992، .ابن عبد الملك المراكشي،المصدر السابق، ،ق 2، رقم 253، ص 485.

[3] ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق، رقم 273، ص 491 ؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 143.

[4] .ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ج 2، رقم 1541، ص 992 ؛ رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص102؛ يوسف فرحات، معجم الحضارة الأندلسية، ص 32؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي ، ص 109،108.

[5] ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، السفر الثامن ،ق 2،رقم 280، ص 493 ؛ سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص 366؛ رضا كحالة ، المرجع السابق، ص 103، و منهن إشراق العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمان التي توفيت في 443 هـ، انظر التازي،المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص147

[6] ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق، رقم 247، ص 483.

و **" إشراق"** السويداء و **نُظار** الأندلسية بنت الإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، التي كانت كاتبة قارئة تنظم الشعر . ماتت في سنة 737ه / 1336م[1]

و الملاحظ على خطة الكتابة أن كان لها دور حساس و بالغ الأهمية في تسيير و تسجيل أمور الدولة وكل ما يصدر من قرارات و أحكام من ولي الأمر إلى الرعية .

و رغم ما تكتسيه الكتابة من أهمية فلم تكن المرأة بمنأى من هذه الوظيفة ، بل كانت مصدر ثقة لدى بعض الخلفاء و برهنت بصدق على الشخصية العلمية للمرأة الأندلسية في الحقل الأدبي و المشاركة في إدارة دفة الحكم و منهن من استحقت لقب "قلم" ، و"انتظام " [2]. و يبدو أن للعنصر النفسي أهمية في الطموح الثقافي للمرأة الأندلسية ، و يتجلى ذلك فيما يحدو هؤلاء النساء من محاولة لإثبات الذات ، و وربما السعي وراء التفوق الذي بدأ يتقوى لديها لتعبر عن مشاعرها شعرا و نثرا.

و لعلا أهم فترات إبداع المرأة كان في القرن الربع الهجري/ العاشر الميلادي وما بعده ، حيث ظهرت كوكبة من النساء تقودهن الحرائر يساجلن الشعراء ، ويقرضن أشعار الغزل الماجن و يجاهرن بنزواتهن و عشقهن، ناهيك عن ما أبدعته الجواري في الأدب و لا سيما الشعر، أفصحت من خلاله عن عواطفها و مكنون قلبها دون أي رادع أخلاقي أو اجتماعي .و خاصة أن الحكام و الأمراء و تجار الرقيق أولوا عناية خاصة في تكوين فئة من الجواري المثقفة التي صبغت قصور الخاصة بإبداعاتهن . ونظرا لهذا السبق للجواري في الشعر ، فأتناولهن بالذكر في المجال الأدبي لما كان لهن من صدارة و تأثير في المجتمع في عهد الطوائف ثم أذكر الحرائر من أديبات وشواعر .

يعد عهد الطوائف مرحلة نبوغ الأدب النسوي في العديد من المدن الأندلسية ومنها : اشبيلية غرناطة،و قرطبة ، و المرية ... [3] و ضمت شاعرات نَعِمْن بالتسامح الديني و التساهل العرضي ، فتقوَّت شوكتهن ، و من أشهرن ما يلي:

---

[1] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة، السفر الثامن ،ق 2، رقم 240، ص 480 ؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، رقم 939، ص 458؛ السيوطي ، نزهة الجلساء في أشعار النساء ، ص96؛ و سيأتي ذكر "نُظار " لاحقا.

[2] . ابن عذاري، المصدر السابق،ج2،ص125

[3] انظر ملحق رقم 13،التوزيع الجغرافي لأديبات و شاعرات الأندلس

ـ الأدب و الشعـــر

1الجواري الشواعر

العبادية :

هي شاعرة من الجواري الأندلسيات اللائي عشن ضمن فترة القرن الخامس الهجري ،أهداها مجاهد العامري المتوفى سنة (436 هـ/ 1044م) من دانية إلى المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد المتوفى سنة (461 هـ /1068م) وسكنت إشبيلية.[1] وكانت أديبة ظريفة ، كاتبة، شاعرة من أشعر شواعر زمانها ذاكرة لكثير من اللغة فصيحة العبارة لطيفة الإشارة، حاضرة الرواية قريبة النادرة، لها إلمام تام بضروب الغناء وكانت من توقد قريحتها وحضور بديهتها، ترتجل الشعر والأمثال .[2]

وقد أَرق المعتضد ليلة لأمر حزبه وهي نائمة فقال :

تنام ومدنفها يسهر وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته على البديهة بقولها :

لئن دام هذا وهذا له سيهلك وجدا ولا يشعر[3]

لم يصل إلينا من نتائجها الشعري إلا هذا البيت ،فماذا حل بشعرها ؟ بعد إطلاعنا على أخبار هذه الجارية في بلاط العباديين يتبين لنا خضوع الملوك للمرأة الجارية واستصغارهم لملكهم أمام عاطفتهم وسلطان وجدهم فالمحبوبة عندهم مصدر للحياة والإلهام حيث سجل لنا المعتضد صورة للجواري وإن كانت ظاهرة شائعة في الأدب.[4]

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج 4 ،ص 283 ؛ زينب بنت علي بن حسين فواز العامري،معجم، أعلام النساء المسمى **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**،-ت 1332ه- تحقيق منى محمّد زياد الخراط، الرياض، مؤسسة الريان، ط 1، 1461ه/2000م، ص 327 .

[2] المقري ، نفح الطيب ،ج 4 ،ص 283 ؛ سهى بعيون ، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس، ص486.

[3] المقري ، نفح الطيب ،ج 4 ،ص 283.

[4] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي، ص236.

الرميكية

كانت جارية للرميك بن الحجاج [1]. و عن طريق الشعر تعرف بها المعتمد بن عباد وكان الشعر سبب شرائها من مولاها المذكور. [2] و ذكر أن المعتمد ركب في النهر، ومعه ابن عمار وزيره المتوفي (488هـ/1095م) و قد زردت الريح النهر، فقال المعتمد لوزيره ابن عمار.... [3]

أجز : " صنع الريح من الماء زرد"[4] ، فأطال الوزير الفكرة مع كونه شاعرا بعد أن طال التأمل انبرت امرأة من الموجودات على ضفة النهر، من الغاسلات ، فأجابت : " أي درع لقتال لو جمد". فأعجب ابن عباد من حسن ما أتت به. فنظر إليها فإذا هي في غاية الجمال. و لم يملك نفسه من شدة الدهشة، فسألها؟ أذات زوج هي ، فقالت: لا. فاشتراها و تزوجها.

و قيل تلقب بالمعتمد بعد ارتباطه بها حيث كان يلقب بالمؤيد و الظافر و اتخذ من اسمها لقبا رسميا لنفسه في تاريخ بني عباد. فاسم المعتمد على الله نسبة إلى اعتماد ،حيث يقول:

دسست اسمك الحلو في طيه و ألفت منه حروف "اعتماد"

لينتظم اسمه حروف اسمها اقترابا منها و إجلالا له و قيل أنه غيّر اسم (روميكا) إلى اعتماد. و عرفت فيما بعد بـ "السيدة الكبرى" و كانت تكني بـ " أم الربيع" [5].

و كثيرا ما كان المعتمد يأنس بها، و يستظرف نوادرها، و لم تكن لها معرفة بالغناء و إنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة. كثيرة الفكاهة لما في

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2 ص119؛ المقري، نفح الطيب، ج 4 ،ص 211.؛ زينب فواز، الدر المنثور ، ص. 72 ؛رضا كحالة، أعلام النساء، ج1 ،ص71.

[2] المقري، نفح الطيب، ج 4، ص211 ؛ الدر المنثور، ص72؛ الشكعة، الأدب الأندلسي ص، 92

[3] المقري،نفسه ،ج 4 ، ص 211 ؛ السيوطي؛ نزهة الجلساء، ص 98.

[4] الزرد يعني الدرع المزودة، سميت به للينها و تداخل بعضها في بعض، و عند العامة الحلق الصغير. و زرد الحبل و نحوه أي شدّ عقدته، و الزرد السريع الابتلاع. انظر- بطرس البستاني، **محيط المحيط**: ج2 ،بيروت ط1 ، 1780، ص162

[5] المقري، نفح الطيب،ج 4 ، ص 272، 273 ؛ السيوطي ،نزهة الجلساء، ص 98؛ الزركلي، **الأعلام** ، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ،ج 1، بيروت، دار العلم للملايين ، 1997،ص334.

كل ذلك نوادر محكية [1]. و يبدو أن أدبها الجم و ذكاءها أوصلاها بالمعتمد ، في حين لم يصل من شعرها سوى ثلاثة أبيات ليس من الشعر شيء. و لم يروى لها من الشعر شيء يذكر إلا ما قيل على لسان زوجها المعتمد. [2]

و من المأثور أنها قالت للمعتمد و قد مرض : " يا سيدي، ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك و كانت تقصد ما لنا قدرة على رضاك في حالة مرضك". و لما سجن أبو القاسم ابن عباد بأغمات. قالت له: يا سيدي لقد هُنا ، فقال:

قالت لقد هنا هنا   مولاي أين جاهنا

قلت لها إلهنا   صيرنا إلى هنا [3]

و اتفق أن السيدة الكبرى أُمُّ بثينة اعتلت فكتب المعتمد إلى الطبيب الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك راغبا في علاج زوجته اعتماد متمنيا ، مطالعة أحوالها بنفسه . فكتب إليه الوزير مؤديا حقه و مجيبا عن رسائله و مسعفا له في طلبه. إلا أن منيتها لم تمهلها فتوفيت بأغمات. [4] قبل زوجها سنة 488هـ / 1095م و دفنت فيها [5]. و جزع المعتمد عليها جزعا شديدا ولم يلبث حتى توفاه الله عز و جل في ربيع الأول من سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة 488 هـ/1095م ، و قد زار قبريهما لسان الدين بن الخطيب ذاكرا ذلك:"

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات [6] رأيت ذلك من أولى المهمات . فرأيته في ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب و إلى جنبه قبر اعتماد حظيته، مولاة رميك. و عليها هيئة التغرب و معاناة الخمول من بعد الملك ". [7] لقد زهت اعتماد في دولة بني عباد كما زهت الدولة بها. و في ذلك يقول ابن اللبانة المتوفي سنة 508هـ:

---

[1] المقري، نفح الطيب،ج 4، ص211؛ كحالة، إعلام النساء ، ج1 ،ص71.

[2] سلمى سليمان، المرأة في الشعر الأندلسي، ص239؛ محمّد أحمد القضاة ، الشاعرات الأندلسيات ،ص 33 .

[3] المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص 212 ؛ زينب الفواز، الدر المنثور، ص 73؛ حميدي ، المرجع السابق ، ص 156

[4] المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص137،136 ،القاهرة 1994.

[5] رضا كحالة، المرجع السابق ، ج1 ص71.

[6] أغمات: مدينتان- أحدهما تسمى أغمات وريكة و الأخرى أغمات هيلانة. تقع بأرض المغرب بقرب وادي درعة و بينهما و بين نفيس مرحلة. انظر الحميرى، الروض المعطار، ص46.

[7] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص127 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 ص119.

" إن الدولة العبادية بالأندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم، و جمع فضائل " و لذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه "الاعتماد، في أخبار بني عباد" [1]

يبدو أن تأثير اعتماد له صدى يذكر على العباديين، بحيث ألفت فيها كتب و سميت باسمها، ربما جمع فيها أشعارها و نوادرها الظريفة ، لكنها ضاعت و ربما يعثر عليها يوما فيرفع الحجاب و يكشف النقاب عن وجه هذه الشخصية الذكية الفذة التي شغلت المعتمد بدلالها و جمالها و ورطه بدلالها.

بثيـــــــنة بنـــت المعتـــمد بن عبـــاد:

بثينة، شاعرة نهلت الشعر من ذويها، كما ورثت الجمال عن أمها " الرميكية" . فوالدها ملك و شاعر مطبوع. والدتها شاعرة ظريفة. فجاءت نحوا منها في الجمال والنادرة و نظم الشعر و كانت حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة .[2]

إن هذه الأميرة الشاعرة ضمت تحت الشواعر الجواري على الرغم من أنها حرة من صلب الملوك. لكن الدنيا لا تدوم على حال. كما قيل – حيث وقعت أسيرة في جملة من سبي في قصر أبيها . فولع عليها المعتمد و الرميكية. و لا يعلمان ما آل إليه أمرها [3]. و بيعت من أحد تجار أشبيلية عل أنها جارية سرية و هو لا يعلم من أمرها شيئا معتقدا أنها واحدة من الجواري و أهداها لابنه [4] فلما أراد ابن التاجر الدخول عليها، و رأت الجد في الأمر امتنعت و أظهرت نسبها و قالت لا أحل لك إلا بعقد يجيزه أبي.

و أشارت عليهم بتوجيه كتاب من قِبلها لأبيها و انتظار جوابه [5]. لقد وافق الشاب على رأي بثينة و وقع عندهما كلامها موقعا عظيما و داخله سرور، فكتب خطابا ضمنت فيه قصتها كاملة و سردت ما حصل لها في أسى و حسرة بخطها و من نظمها. [6] هذه الرسالة بعثت بها إلى أبيها في منفاه تستأذنه في الزواج ممن تحب، وقد نظمت فيها مآثر و أياديه البيضاء. و تألفت من أحد عشر بيتا ربما

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص 146 ،147.

[2] المقري، نفح الطيب ،ج 4 ، ص284 .

[3] المقري ، نفسه ، ج 4 ، ص284 ؛

[4] عمر رضا كحالة ،أعلام النساء، ج1، ص 99.

[5] ا لمقري، نفح الطيب،ج 4 ، ص284، مصطفى الشكعة، الأدب االأندلسي ، ص169، 170

[6] المقري،نفسه ، ج 4 ، ص284 ؛ سهى بعيون ، المرجع السابق، ص 482.

كانت القصيدة كاملة لم يسقط منها شيء، لا ندري قد تكون أطول و لكن لم يصل إلينا منها إلا11 بيتا ، و أكتفي بذكر مطلعها :

اسمع كلامي و استمع لمقالتي   فهي السلوك بدت من الأجياد

فلما بلغته مقالة ابنته و هو بأغمات واقع في شراك الكروب و الأزمات ، يجتر أحزانه هو و اعتماد. و سرا بحياتها و وافقا على الزواج، و رأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها إذ جبر كسرها. و أشهد على نفسه بعقد نكاحها من ابن التاجر و كتب يهنئها و يتسلى بحسن عاقبة الزمان فيها. و كتب آخر رسالته ناصحا بثينة المقبلة على الزواج قائلة : [1]

بُنِيَتي كوني به برة   فقد قضى الدهر بأسعافه

و عُدت بثينة رائدة من رائدات القصة الشعرية في عصر الطوائف فقد سخرت شعرها و جعلته يقوم مقام النثر في المراسلات. و قد بلغت هذه الشاعرة من البراعة في الشاعرية و الصفاء في الأسلوب المهذب الرقيق مبلغا استطاعت فيه أن تنقل قصة واقعية من أكثر القصص في التأريخ أسى، و أخذا بمجاميع الإحساس والخواطر بإطار شعري ، فجاء شعرها مزدانا بفيض من الأسى و الرقة. و تبدو بثينة طويلة النفس، كثيرة النظم قياسا إلى زميلاتها الجواري الشواعر .[2] فمطلع القطعة الأولى في شكوى الممزوجة بالمواعظ تقول فيها:

ما يعلم المرء و الدنيا تمر به   بأن صرف ليالي الدهر محذور

أما القصيدة الثانية، فهي تبدو في غرض الفخر بأمجاد بني عباد و نعيهم تقول في مطلعها:

رب ركب قد أناخوا عيسهم   في ذرى مجدهم حين بسق

سكت الدهر زمانا عنهم   ثم أبكاهم دما حين نطق

حنق الدهر علينا فسطا   و كذا الدهر على حر حنق

و قديما كلف الملك بنا   و رأى منا شموسا فعشق[3]

و ربما أشارت هذه الأبيات إلى حقائق تاريخية منها أن حكم آل عباد دام سبعين عاما.

---

[1] المقري، نفح الطيب ، ج 4 ، ص284؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي ص 189 ، 190.

[2] محمد أحمد القضاة، الشاعرات الأندلسيات في ملوك الطوائف ،ص32.

[3] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي. ، ص344

و الحقيقة الثانية إنها عاشت في قصر والدها ثلاثا و عشرين حجة ثم وقعت في الأسر.

أي أنها حين أسرت كان لها من العمر ثلاثة و عشرون عاما و إلى ذلك أشارت قائلة

حججا عشرا، و عشرا بعدها و ثلاثين و عشرين نسق

أشرقت عشرون من أنفسنا و ثلاث نيّرات تأتلق [1]

إن هذه الشاعرة التي اتسم شعرها بالواقعية كانت طويلة النفس مبتعدة عن التزويق في التعبير وهذا النوع من الشعر القصصي قال عنه "غرسية غومس:"لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ." [2] أما ريبيرا ، فيراه وسيلة قوية من وسائل تمثيل الشعوب في كيان الأمة العربية. [3]

و قد أوردت خبر بثينة هنا لأنه يعطي فكرة عن الوضع الذي كانت تعيشه أسرة المعتمد في المنفى ، و أنها كانت تتمتع بحرية الاتصال بالمراسلات و الجواب عنها. [4]

الشواعر الحرائر

للنساء الحرائر مشاركة معتبرة في ازدهار الشعر و برز منهن شاعرات مجيدات في مختلف المدن الأندلسية منذ القرن 4هـ/10م ،أمثال ذلك؛

حسانة التميمية:

حسانة بنت أبي المخشي* عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة علقمة بن عدي بن زيد التميمي العبادي. تعد من أولى الشاعرات اللواتي اشتهرن بالأندلس و قد أشبهت أباها في قوة العارضة. عاشت حسانة في أواخر القرن الثاني و أوائل

---

[1] سلمى سليمان ، المرأة في الشعر الأندلسي ،ص344

[2] الشكعة، الشعر الأندلسي، ص 122 ؛ سلمى سليمان علي ، المرجع السابق ، ص344.

[3] بالنثيا أنخيل، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 37 ، سلمى سليمان علي ، المرجع السابق ، ص344.

[4] عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص190 .

القرن الثالث الهجري ، حيث مدحت الحَكم بن هشام و ابنه عبد الرحمان . تميزت بالجرأة و العفة ، لا تقبل الضيم و تحسن الدفاع عن حقها . توفي أبوها و تركها في رعاية الأقدار ، وهي لم تتزوج. فالتجأت إلى الأمير الحكم بن هشام ، الذي كان رغم قسوته يطرب للشعر الحسن. فكتبت إليه تمدحه [1] و تبين له أنها أصبحت وحيدة لا من يرعاها و أنها تعتمد على رعايته لها:

إني إليك أبا العاصي موجعة   أبا المخشى سقته الواكف الديم

قد كنت أرتع نعماه عاكفة   فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم

أنت الإمام الذي انقاد الأنام له   و ملكته مقاليد النهى الأمم

لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفا   آوي إليه و لا يعروني العدم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديا   حتى تذل إليك العرب و العجم .[2]

استحسن الحكم هذه الأبيات فأمر لها بإجراء مرتب. وكتب إلى عامله على ألبيرة يوصيه بها خيرا. و وقع لها بخط يده تحرير أملاكها.[3]

كما مدحت الأمير عبد الرحمان بن الحكم ، و توسلت له بما كتبه لها الحكم شاكية له ظلم عامل ألبيرة "جابر بن لبيد الذي منعها العطاء.[4] و استطاعت بذلك أن تدفع عن نفسها الظلم، و أن تعزل عامل إلبيرة الذي ظلمها ، و لم تكن تملك شيئا سوى شعرها الذي اتخذته سلاحا مدافعا عنها حين وجدت الأذن الصاغية التي تطرب للكلمة الموحية.ولما انصرفت إلى بلدها بعثت إليه بقصيدة منها :

ابن الهاشميين خير الناس مأثرة   و خير منتجع يوما لرواد

إن هز يوم الوغى أثناء صعدته   روى أنابيبها من صرف فرصاد

قل للإمام: خير الورى نسبا   مقابلا بين آباء و أجداد

جودت طبعي و لم ترض الظلامة لي   فهاك فضل ثناء رائح غاد

---

* نشأ أبو المخشي على قول الشعر واشتهر به ،إلا أنه كان جسورا على الأعراض، فقطع لسانه الأمير هشام بن عبد الرحمان و مات في دولة الحَكَم. ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 123، 124.

[1] ابن عبد الملك، الذيل و التكملة السفر8،ق2، رقم 248، ص 484؛

[2] المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص 167 ؛ مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي، ص 122.

[3] المقري، نفس المصدر ، ج4 ، ص 168 ؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص138.

[4] انظر الفصل الثاني .

فإن أقمتُ ففي نعماك عاكفة   و إن رحلتُ فقد زودتني زادي[1]

و تعد حسانة أولى الشاعرات الأندلسيات ،حيث يتسم شعرها بالأصالة و فيه كثير من طبيعة المرأة في ضعفها و حاجتها إلى الحماية و بحثها عن الكنف ، و فزعها من القهر ، و فرط ،إحساسها بالعدوان، و صراخها في طلب الغوث وجبر الصدع و إقامة العثرة.[2]

"عائشة" بنت أحمد بن محمد بن قادم .

وهي امرأة قرطبية ذكرها ابن حيان و قال عنها: لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها من يود لها فهما و علما و أدبا و شعرا و فصاحة و عفة و جزالة و حصانة . و كانت تمدح ملوك زمانها و تخاطبهم فيما يعرض لها من حاجتها، فتبلغ بيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، و لا ترد شفاعتها. و كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب و تعتني بالعلم، و لها خزانة علم كبيرة حسنة، ولها غنى و ثروة تعينها على المروءة . تصرفت في مالها أحسن تصرف، ومحاسنها كثيرة...[3]

ومن ثنايا ترجمة هذه المرأة التي عاشت في القرن 4 هـ/10 م دليل قاطع عن الحرية التي منحت للمرأة المسلمة في التعلم والتكسب وفي التصرف في مالها وفي صون كرامتها و عفتها. و يروي المقري أنها من عجائب زمانها و غرائب أوانها. و أبو عبد الله الطيب عمها ، ولو قيل إنها أشعر منه لجاز .[4] . وكان لها ارتجالا عذبا في حضرة الملوك ، فقد دخلت مرة على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ابن له فارتجلت في الحال أبياتا منها :

أراك الله فيه ما تريد   و لا برحت معاليه تزيد

فانتم آل عامر خير آل   زكا الأنباء منكم و الجدود

وليدكم لدى رأي كشيخ   و شيخكم لدى حرب وليد[5]

---

[1] المقري، نفح الطيب ،ج 4 ، ص 168.

[2] أحمد هيكل، **الأدب الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة،** القاهرة، دار المعارف، ط 16، 2008، ص 108، 109.

[3] السيوطي، نزهة الجلساء،ص61؛ سعد بو فلاقة، الشعر النسوي. ، ص 51.

[4] المقري، نفح الطيب ، ج 4 ، ص 290 ؛ رضا كحالة ، أعلام النساء ، ج3 ، ص 6.

[5] المقري، نفسه ، ج 4 ، ص 290 ؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص62؛ جمعة خليل، نساء من الأندلس، ص 302. زينب الفواز؛ الدر المنثور، ص 483، 484 .

و عرفت فهذه الشاعرة بجودة الفهم و حسن المحاضرة، والعفة و الطهر والنقاء. و لذلك لم يسمع من همساتها أغزالا كغيرها من شاعرات الأندلس .و لعل عدم زواجها هو أكبر الأسباب التي جعلها تعزف عن قول الغزل ،و توفيت عذراء سنة (400هـ/ 1009-1010 م) أربعمائة للهجرة.

"حفصة "بنت حمدون الحجارية:

شاعرة أديبة عاشت في وادي الحجارة في القرن الرابع الهجري، و كان بلدها يفخر بها [1]. و من شعرها قولها تمدح ابن جميل. و تعد رائدة شعر الغزل عند المرأة الشاعرة الأندلسية. وكتبت يوما تصف حبيبا:

لي حبيب لا يثني لعتاب و إذا ما تركته زاد تيها

قال لي : هل رأيت لي من شبيه قلت أيضا هل رأيت لي شبيه؟ [2]

"الغسانية" البجانية

هذه الشاعرة " اسمها الغسانية " و قال عنها أبو القاسم خلف بن عبد الله بن بشكوال،" ذكرها الحميدي و لم يذكر اسمها" [3] ؛ و تبعته الأديبة زينب فواز[4] المتوفاة سنة (1914م) حيث قالت : لم أقف على اسمها الحقيقي .. و الحقيقة أن اسمها واضح "الغسانية " و لقبها " البجانية" [5] ، لم تذكر سنة ولادتها ولا سنة وفاتها. و قد جاء في المغرب [6] نقلا عن حافظ الأندلس عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري. (أبي محمد المتوفي سنة (584هـ)) في المسهب ، إنها كانت في مدة ملوك الطوائف .

---

[1] ابن سعيد المغرب، ج 2، ص 37 ؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص136.

[2] المقري، نفح الطيب ،ج 4 ، ص 285.

[3] كتاب الصلة، ج3، ص 995،996 ؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 152.

[4] الحميدي، جذوة المقتبس،ج2 ، ص 651 ؛ زينب الفواز، المرجع السابق، ص 575.

[5] نسبة إلى بجانة هي كورة عظيمة في الأندلس و تشتهر بإقليم المرية. أنظر خريطة المدن الأندلسية ،رقم 9.

[6] ابن سعيد، المصدر السابق ،ج 2، ص 192.

وأشار محقق المغرب الدكتور شوقي ضيف إلى أن المقري و السيوطي ذهب سهوا حين جعلها من أهل المائة الرابعة. و تبعه بعض المحدثين في سهوه [1]. إلا أنها عدت من الشاعرات المخضرمات و دليل على ذلك من القصيدة التي مدحت بها خيران العامري المتوفي سنة (419هـ/ 1028م) . فالشاعرة سلخت أعواما من عمرها في القرن الرابع الهجري/ 10م وعاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري/ 12م .

إن هذه الشاعرة الأدبية المداحة التي مدحت الملوك، كانت مشهورة بظرفها وأدبها و جمال لطفها و بهائها و كمالها ، و كانت عالمة بضروب الشعر و روايته. و قد عارضت الشعراء. بنونيتها (الطويلة) الرائعة التي لم تصل إلينا منها إلا أبيات قليلة. عارضت بها الشاعر الأندلسي أبا عمر أحمد بن دراج القسطلي المتوفي سنة (421هـ/1030م) في الغرض نفسه لما مدح خيران العامري المتوفي (419هـ/1028م) [2]

عارضت الغسانية القصيدة القسطلية بقصيدة طويلة لم يصل إلينا منها إلا أبيات و هي عبارة عن مقدمة مدح الأمير خيران العامري المتوفي (419هـ/1028م).

أتجزع إن قالوا سترحل أظعان و كيف تطيق الصبر و يحك إذ بانوا

عهدتم والعيش في ظل وصلكم أنيق وروض الوصل أخضر فينان

ليالي سعد و لا يخاف على الهوى عتاب و لا يخشى على الوصل هجران [3]

فهذه الشاعرة الموصوفة لم يصل إلينا من شعرها إلا ستة أبيات نصت عن قوة وتمكن في الشعر.

"مريم" بنت أبي يعقوب الأنصاري القبضولي. تسمى مريم الشِلْبية نسبة لشِلْب _ Slives_،كما تعرف بالحاجة.[4]

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج 4، ص170؛ نزهة الجلساء، 93.

[2] قال: لك خير، قد أوفى بعهدك خيران و بشراك قد، آواك عز و سلطان

هو خير لا يراعي إلى صبح شاهد هو الفوز لا يبغى على الشمس برهان .

الحميدي، جذوة المقتبس ،ج2 ، ص 651؛ خليل جمعة ، نساء من الأندلس، 342.

[3] الحميدي، نفس المصدر ، ج2، 652،651؛ المقري، نفح الطيب ،ج4، ص171؛ خليل جمعة ، نساء من الأندلس ،341 ؛ محمد أحمد القضاة ، شاعرات الأندلس، ص 22

[4] الحميدي،المصدر السابق ، ج2،ص 650؛ ابن بشكوال، الصلة، ج3، رقم، 1549، ص 995.

سكنت أشبيلية و أقامت فيها و اكتسبت شهرتها منها. لقد أجمعت المصادر على أنها كانت تعلم النساء الأدب و كانت تغدو على بنات سادات إشبيلية تعلمهن الشعر فهي بحق أستاذة من أستاذة الشعر في عصرها.

كما اكتسبت بينهن صفة محمودة لنبل خلقها و حسن سيرتها. فقد كانت صدر نبهائها و أدبائها و ممن لهن قدر منجبيها ، و ربما تخرج من مدرستها طائفة من النساء الشهيرات لم يذكرن بأسمائهن . وتميزت باحترام وإجلال عظماء بلدها لأنها كما قيل احتشمت لدينها و فضلها ؛ و ربما لِسُمو أدبها و إجادة شرفها وعفتها. فهي أديبة شاعرة جزلة، و قيل عنها : سردت البديع أحسن سرد و فرست المعاني كالأسد الورد . و كانت تمدح الملوك و تساجلهم فيجيزوها من أموالهم و هداياهم ومن حليِّهم و حُلَلِهم.[1]

و بعث إليها (المهند)، و قيل : (ابن المهند) و قيل: (المهدي). بقرطاس فيه دنانير وعدد من الأبيات الشعرية، ردا على جوابها. جاء فيه ما يؤكد ظرفها و تقاها ووصولها إلى درجة من الورع: [2]

ما لي بشكر الذي أوليت من قبل لو أني حزت نطق اللسن و الحلل

يا فذة الظرف في هذا الزمان و يا وحيدة العصر في الإخلاص و العمل

أشبهت مريم العذراء في ورع وفقت خنساء في الأشعار و المثل

أجابته بسته أبيات شعرية منها :

فمالي بشكر الذي نظمت في عنقي من اللآلي و ما أوليت من قبل

من كان والده العضد المهند لم يلد من النسل غير البيض و الأسل [3]

إن الأبيات التي جاءت في مدحها بينت مكانتها الأدبية بحيث فاقت الشاعرة الخنساء في أشعارها، التي ما بقي منها إلا ثمانية أبيات، ستة منها في غرض المدح، و بيتان في الشكوى من الزمان بعد أن حجت و عمرت عمرا طويلا و أسنت.

و فيما روت عن نفسها أنها جاوزت سبعا و سبعين عاما ، قالت

---

[1] السيوطي، نزهة الجلساء، ص 78؛ عبد العزيز بنعبد الله، معجم أعلام النساء في المغرب الأقصى، ص118. انظر الفصل الثاني .

[2] المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص 291؛ يوسف فرحات ، معجم الحضارة الأندلسية ، ص 48.

[3] الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، ص 651 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 169؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص 79؛ خليل جمعة، نساء من الأندلس ، ص119.

و ما يرتجى من بنت سبعين حجة   و سبع كنسيج العنكبوت المهلهل ؟

تدب دبيب الطفل تسعى إلى العصى   و تمشي بها مشى الأسد المكبل !! [1]

قال المقري إن شهرتها كانت بعد الأربعمائة أي أنها سلخت أعواما في القرن الرابع واشتهرت في القرن الخامس، فهي من الشواعر المخضرمات في الأدب الأندلسي.

" أم علاء "بنـــت يـوسف الحجــارية

و هي شاعرة أخرى من حرائر الأندلس اللاتي فخرت بلادها و قبيلتها بها. كانت تدعى أم علاء بنت يوسف بن حرز الحجارية . [2] شهرت بهذه الكنية و لم يعرف لها غير هذا الاسم. و أطلق عليها صاحب المُغرب (البربرية). على ما يبدو كانت صاحبة قدرات فنية. حيث عدت في نظر بعض الباحثين واحدة من أرق الشاعرات عصرها، و من أصحاب الهمم ذات العزائم. و أقدرهن على التعبير عن نفسها ، فخرت بها بلادها. لما جاءت في شعرها الحسن من لفتات لوطنها و لم يصل إلينا من شعرها في هذا الغرض سوى أبيات تغنت فيها بحبها لبستانها.[3]

كانت شاعرة مكثرة القول، محسنة الشعر جيدة النظم و في شعرها تأب و تحرز وكبرياء.

ذكر السيوطي[4] أبياتا لم ترد في المغرب . و قد وصل لنا من أشعارها العذبة ثلاثة عشر بيتا منها في رجل أشيب عشقا:

الشيب لا يخدع فيه الصبا   بحيلة فاسمع إلى نصحي

فلا تكن أجهل من في الورى   يبيت في الجهل كما يُضحي [5]

---

[1] السيوطي، نزهة الجلساء ، ص 80.

[2] عرفت بالحجارية نسبة إلى بلدتها مدينة وادي الحجارة التي تقع في شمالي الأندلس. ابن سعيد ، المغرب،ج2 ص38 .

[3] المقري، نفح الطيب، ج4 ،ص 169؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 130. انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة

[4] نزهة الجلساء في أشعار النساء ، ص 26.

[5] المقري، ، نفح الطيب، ج4 ، ص 169؛ السيوطي ، نزهة الجلساء في أشعار النساء ، ص 26.

و لم تحدد سنة وفاتها بل قال عنها صاحب المغرب [1] إنها من أهل المائة الخامسة.

"أم الكرم" بنت المعتصم بن صمادح:

"أم الكرام" و هي ابنة المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي المتوفي سنة (484هـ /1091م) ملك المرية. [2] إن هذه الحرة الأميرة كانت من بيت ملك كريم. و كان والدها شاعرا رزينا. كما لاحظنا من عادة ملوك الأندلس أن يعهدوا بناتهم و نسائهم لمعلمات يتعهدن بتعليمهن و تهذيبهن ، فاعتنى والدها بتأديبها لما رأى من ذكائها ، فقالت الشعر و نظمت قصائد، ويبدو من مخايل ذكائها و فطنتها أنها لم تقتصر على قول الشعر فراحت تعمل في صنع الموشحات. و لم يصل إلينا شيْ من موشحاتها. و كل الذي وصل إلينا من إنتاجها الشعري خمسة أبيات في الغزل [3].

إن هذه الشاعرة الوشاحة التي افتخرت بها نساء العرب . وقعت في غرام فتى وسيم كان قد شهر بجماله و عرف بالسمار في دانية و راحت تشهر بحبها له وتتشوق، و تتغزل بفتاها و قيل صنعت فيه الموشحات. و لم تضع حسابا لأبيها الملك ولإخوتها الشعراء . قائلة:

يا معشر الناس ألا فاعجبوا مما جنته لوعة الحب

لولاه لم يزل ببدر الدجى من أُفقه العلوي للترب

حسبي بمن أهواه لو أنه فارقني تابعه قلبي [4]

و حينما علم والدها بأمرها خفي هذا السمار من ذلك الحين، وربما قتله فخفي أمره.

و قد يحتمل سبب اختفاء السمار لأمرين: إما أن قتله المعتصم، عندما علم بعلاقته بابنته- بوسيلة أخرى- و إما أنه خاف على نفسه فاختفى حالما ،لما تأكد من أن أباها الملك قد اطلع على قصتهما. و عموما إن الأبيات الشعرية التي نظمتها أم

[1] ابن سعيد ، المغرب ،ج 2، ص 38.
[2] المقري، نفح الطيب ،ج 4 ص170؛ السيوطي ، نزهة الجلساء في أشعار النساء، ص 25 .
[3] ابن سعيد ، المغرب ،ج 2، 202؛ خليل جمعة، نساء من الأندلس ، ص 127.
[4] المقري،نفح الطيب،ج 4 ص170؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 130.

الكرم حية أثبتت فيها الجرأة والبراعة ؛ و بدت فيها فنانة و أديبة بارزة بصرخاتها المسموعة في الغزل.[1]

"مهجة" بنت التياني

شاعرة أندلسية من حرائر قرطبة و من أديبات القرن الخامس الهجري. كانت معاصرة لأستاذتها "ولادة" . و تنتمي مهجة إلى عائلة فقيرة كادحة فوالدها كان يبيع التين ، فاكتسبت لقبها من مهنته. و عرفت بمهجة بنت التياني، و قيل أنها كانت من أجمل نساء زمانها. و أكثرهن فتنة و سحرا، و أخفهن روحا و ظرفا. [2] و كانت تدخل عند الشاعرة ولادة بنت المستكفي و بعد أن لمست هذه الأخيرة منها خفة الروح، و الظرف و استعداد لقول الشعر و الجرأة؛ تولّت تعليمها، و لازمت تأديبها. جعلت منها شاعرة مبدعة مهيبة الجانب في الغزل و الهجاء. [3]

و سرعان ما أنكرت التلميذة فضل معلمتها بعد أن أتقنت القول و اشتد ساعدها في النظر. و لما وقع خلاف بينهما هجت "مهجة" "ولادة بنت المستكفي" بقافية هجاء بذيئا فاحشا مقذعا فاقت به مشاهير الهجائين. [4] مما دعا نقاد زمانها بعد سماعهم البيتين أن يقروا لها بالتقدم حين قالت : ما نقص عنه ابن الرومي . قال بعض الأكابر : لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقدم .[5] و لم تكن مهجة سليطة اللسان مع بنات جنسها فحسب ،بل استعملت العنف مع الرجال أيضا . ومن ذلك مثلا ، أهدى لها أحد عشاقها خوخا فبدلا من شكره على هديته اللطيفة هجته هجاء مرا. [6]

و بناء على ما سبق يتبين لنا أن الحرائر من الشواعر سمت مرتبتهن الشعرية إلى مرتبة فحول الذكران من الشعراء أمثال ابن الرومي ، بل سجلت تقدما على فحول الشعراء في البيتين اللذين وصلا إلينا و عُدا من أجود الشعر و أطيبه قالتهما

---

[1] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص 267،268.

[2] ابن سعيد، المُغرب ، ،ج1ص143؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص 81 Peres Henri : La poésie andalouse , p 428.

[3] ابن سعيد ،نفسه ،ج1ص143 ؛ المقري، نفح الطيب،ج 4، ص 293 ؛ بوفلاقة ، الشعر النسوي الأندلسي، ص 114.

[4] ابن سعيد، نفس المصدر ، ج1،ص143؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 145؛ محمد أحمد القضاة، المرجع السابق،ص 37.

[5] السيوطي، نزهة الجلساء، ص 81. المقري، نفح الطيب،ج 4، ص 293 ؛ سلمى سليمان علي ، المرجع السابق، ص 270.

[6] المقري، نفح الطيب ،ج 4، ص 293 ؛ بوفلاقة ، المرجع السابق ، ص 114.

أيام صلحها و وقت تأديبها عند ولادة. حيث تلقت الشعر و نهلت الأدب منها، قائلة:

لئن حلأت عن ثغرها كل حائم   فمازال يحمي عن مُطالبها الثغر

فذلك تحميه القواضب و القنا   و هذا حماه من لواحظها السحر [1]

توفيت مهجة نحو (490هـ/1096م) بعد أن أجادت في المدح و أسرفت في الهجاء الذي ابتعدت فيه عن الحياء الذي يعد حلية المرأة و زينة أخلاقها.

"قسمونة" :

شاعرة يهودية ذكرها المقري ، لكن لم يشر إلى العصر الذي عاشت فيه .

و "قسمونة" بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعرا، واعتنى بتأديبها، رغم أن الشريعة اليهودية وأحبارها يمنعون المرأة من التعلم في المدارس كما بينا سابقا، [2] لكننا نجد أن أبا قسمونة قد اهتم بتعليم ابنته بنفسه حتى أصبحت شاعرة مقتدرة واعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسما، فأتمتها هي بقسم آخر، [3] وقال أبوها يوما : أجيزي :

لي صاحب ذو مهجة قد قابلت   نعمى بظلم واستحلت جرمها

ففكرت غير كثير وقالت:

كالشمس فيها البدر يقبس نوره أبدا   ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل، وضمها إليه، وجعل يقبل رأسها، ويقول : أنت والعشر كلمات أشعر مني. [4]

وقالت في ظبية عندها :

يا ظبية ترعى بروض دائما   إني حكيتك إلى التوحش والحور

أمسى كلانا مفردا عن صاحب   فلنصطبر أبدا على حكم القدر [1]

---

[1] ابن سعيد، المغرب ،ج1ص143 ؛ بوفلاقة ، المرجع السابق ، ص 114 .

[2] انظر الفصل الثالث من هذا البحث ، .

[3] جعل بعض الدارسين قسمونة ضمن شاعرات عصر الطوائف لأنه العصر الذي تميز بازدهار الموشحات ، و كانت قسمونة وشاحة. محمد أحمد القضاة، شاعرات الأندلس، ص 30 .

[4] السيوطي، نزهة الجلساء، ص 74،75؛ عبد الهادي التازي،المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 153.

و يبدو من خلال هذه الأبيات أن شعر قسمونة تميز بالحزن و الشكوى و القلق و هو يعبر على نفسيتها المضطربة و وحشيتها المضطربة القاتلة. وعموما أن الشاعرة قسمونة اليهودية لدليل على وجود مجالس علمية مشتركة في الأندلس بين الديانات الثلاث ، فلا مجال للاستغراب وجود شاعرات يعبرن عن مشاعرهن باللغة العربية و هن من أهل الكتاب.

" حمدة" أو حمدونة، بنت زياد بن بقي العوفي المؤدب ، وادي آشية.

ولدت قربة غرناطة بقرية بايش من وادي آش الجميل بمناظره الطبيعية، في بيت علم و أدب. وذاع صيتها وانتشر شعرها حتى لقبت بخنساء المغرب و شاعرة الأندلس. و روى عنها بعض أشعارها الأديب الكاتب أبو القاسم بن البراق. [2] تنتمي حمدة إلى شعراء القرن الخامس و عاشت في فترة ازدهر فيها الشعر و الأدب و العلم ،و كثرت المنتديات الأدبية، فكانت من أبرز شعراء وادي آش الذي فتح موهبتها الشعرية و وصفته بأجمل الأوصاف. [3]

و ترتبط الطبيعة الخلابة بهذا الوادي ارتباطا واضحا بشعر حمدونة و بنفسها. ويستهويها ماء هذا الوادي ، فتخلع ثيابها و تعوم في النهر مع صديقتها، و هذا ما يبدو من خلال الصورة التي رسمتها في شعرها عندما خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش . ومنهم من يقول أنها رأت ذات وجه وسيم أعجبتها فقالت فيه شعرا. و لكن لما مرّ ابن الخطيب بالمنطقة قال فيها ما يلي:" و اجتازينا بوادي حمّتها ... فشاهدنا به معالم الأعلام ، و حيّيْنا دار حمْدة بالسلام و تذاكرنا عِمارة نواديها ، و تناشدنا قولها ."[4]:

أباح الدمع أسراري بواد ... به للحســن آثــار بواد

فمن نهر يطوف بكل روض ... ومن روض يطوف بكل واد

ومن بين الظباء مهاة رمل ... سبت لبي وقد ملكت قيادي

لها لحظ ترقده لأمر ... وذاك اللحظ يمنعني رقادي

إذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر في جنح الدآدي

---

[1] السيوطي، نزهة الجلساء، ص 75؛ الشكعة، الأدب الأندلسي، 234؛ محمد أحمد القضاة، المرجع السابق، ص 30.

[2] ابن الأبار ،المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ص 214 ؛ ابن الزبير، صلة الصلة،القسم 5، رقم 622، ص 309، 310.

[3] السيوطي، نزهة الجلساء، ص 46؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 287، 288..

[4] ابن الخطيب، ريحانة الكُتاب و نجعة المنتاب،مج2، ص249 .

كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالحداد [1]

و إذا استندنا لرواية ابن الخطيب فإنها تؤكد لنا نسب هذه الأبيات لحَمْدة الوادي آشية.

و بهذه الأبيات صورت "حمدة "جمال المرأة الذي يسبي الألباب و يهتك الحجاب ويفشي الأسرار. وفي هذا البيت الأخير تظهر حمدونة الحِداد بلبس السواد بخلاف عادة أهل الأندلس الذين كانوا يلبسون البياض عند أحزانهم لظروف خاصة.[2]

كما نسب بعض من شعرها إلى "مهجة" بنت عبد الرزاق الغرناطية إلا أن المقري يرجحه إلى حمدة، و منه:

و لما أبى الواشون إلا فراقنا و ما لهم عندي و عندك من ثار [3]

وتعدى شعر حمدة الرقيق للطبيعة إلى رثاء صبي صغير تأسف على فراقه.

يعز علينا أن نوسدك الثرى بمجهلة لا دار فيها ول لا أهلا

و قد كنت أرجو أن يطول لك المدى و أنت تأت الردى تاته مهلا

على انه ما لذة العيش للفتى و غليته شرخا كغايته كهلا

عليك السلام كلنا أنت فاقتعد ضريحك لا حزنا تبالي و سهلا [4]

و شاع صيتها في المشرق حتى ادعى الشاعر المنازي بعض من شعرها ومنها الأبيات التالية:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم

---

[1] ابن الأبار ، المقتضب ، ص 309، 310؛ ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل و التكملة، السفر 8، ق 2، رقم 250، ص 485؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص47؛ محمد أحمد القضاة، المرجع السابق، ص 24، 25.

[2] منجد مصطفى بهجت، أعلام نساء الأندلس ، ص 102.

[3] انظر الأبيات كاملة في نفح الطيب، ج 4 ، ص287 ؛ ابن الأبار ، المقتضب، 215 ؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص45.

[4]ابن الزبير، صلة الصلة،القسم 5، رقم 622،ص 310.

حللنا دوحه فحنا علينا حُنُوَّ المرضعات على الفطيم

و عرض الأبيات كاملة على أبي العلاء المعري، [1] و هذا ما يستدل به على براعة شاعريتها حتى لقبت بخنساء المغرب و عاصرت "حمدة" أو قربت من عصرها شاعرة أخرى لا تقل عليها براعة ،و هي نزهون بنت القليعي الآتي ذكرها.

"نزهون" بنت القلاعي : *

شاعرة وشاحة من حرائر الأندلس على ما ذكرت في النفح أنها من أهل المائة الخامسة فلا بد من أن هذه الشاعرة سلخت أعواما عديدة من عمرها في القرن الخامس وعاشت النصف الأول من المائة السادسة، فهي تعد من المخضرمات في الأدب الأندلسي ومن المعمرات أيضا وقيل أنها توفيت سنة(550 هـ/1155م) ، كانت من الأدبيات الفريدات، ذات جمال فائق شارق ، وحسن رائق ونابغة من نوابغ زمانها لقد اتفق النقاد والرواة على شاعريتها واختلفوا في صفتها.و ذكر في كتاب المغرب أنها شاعرة ماجنة ، كثيرة النوادر إلا أن المقري يصفها نقلا عن المسهب بخفة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة حفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال .

و اعتبرتها زينب فواز"جوهرة لم يسمع بمثلها الدهر" ، [2] وفريدة فاقت على نساء العصر لطيفة المسامرة حسنة المحاضرة حافظة لأشعار العرب وأمثالها ولم يكن بغرناطة إذ ذاك أحد من أمثالها. إن هذه الشاعرة كانت لها حياة أدبية خاصة تعقد وسط مجالس الرجال من الوزراء والشعراء فقد قيل كان لها ناد لم يؤمه إلا الأفاضل ومجلس لم يجتمع فيه إلا عاقل كل هذا أكدته أخبارها من مساجلات أشعارها مع شعراء زمانها الذين أولعوا بأدبها ومحاضرتها و مذاكرتها.

---

[1] إلا أن الشيخ شهاب الدين أبا جعفر أحمد بن يوسف بن مالك ذكر الرعيني حمدة الوادي آشية وقال :" إن مؤرخي بلادنا قد أثبتوها لها من قبل أن يوجد المنازي." نفح الطيب ، ج 4 ، 288، 289. السيوطي، نزهة الجلساء، 51.؛ حميدي ، المرجع السابق، ص 349، 350.

* وهناك من سماها من المؤرخين ، نزهزن القليعي والقلاعية ، إلا أن ابن سعيد المتوفى (685 هـ/1286م) المؤرخ الشهير الذي أصله من نواحي غرناطة و هي المدينة التي استوطنتها نزهون سماها في بعض مؤلفاته نزهون بنت القلاعي ونزهون القليعية ، المغرب،ج 2،ص 121؛ و أخذ عنه الكثير من المؤرخين منهم السيوطي، نزهة الجلساء، ص 84 و من الدارسين منهم عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 146 .

[2] الدر المنثور ، ص 805،803.

فكان لها في مجالسهم منزلة عالية قد يكون هذا لخفة روحها وسرعة بداهتها، وحضور جوابها ، وضربها وتصريفها للأمثال بطريقة فكهة ظريفة ويبدو أنها افتخرت واعترفت بفحولة شعرها . ورطت بألفاظها التي لا تتحشم فيها، دفاعا عن كرامتها وردا لاعتبارها وتأثرا لتخديش عرضها ، إلا أن المسلطين على الأعراض المفحشين الألفاظ كانوا يأبونها ويضايقونها ويسمعونها كلمات سوقية مبتذلة الأمر الذي دعاها إلى مواجهتهم نظما بنظم ، ومناقضتهم أحيانا نثرا بنثر اضطرارا تارة واختيارا أحيانا أخر وبفضل عمرها المديد ، وخضرمتها، ومجالسها، عاشرت نزهون عددا من المشاهير واطلعت على أحوالهم.[1].

وسجلت لقاء في أحد مجالس الوزير أبي بكر بن سعيد، الأدبية وبحضوره تصدى الشاعر أبو بكر المخزومي الموروردي المدوري المتوفى سنة (540 هـ/1145م) لنزهون فأنقعها قذفا من غير ما تحفظ بعد أن سخرت منه ومن بلدته المدور وعابت عليه نشأته بين التيوس والبقر ، وسخريتها من آفة عماه فكان وقعه أشد ما يكون على رجل مكفوف ، ثم تعريضها بوالدته مما أثارت سخطه عليها [2]
.قالت نزهون للأعمى ونراك يا أستاذ قديم النغمة ، بند وغناء وطيب شراب تتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة ، وتقول ما إن يعلم إلا بالسماع ولا يبلغ إليه إلا بالعيان لكن من يجيء من حصن المدور ، وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النغم."

فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى، فقالت له : دعه فقال : من هذه ؟.

فقالت : عجوز مقام أمّك ، فقال : كذبت ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نغمة... محترفة... منها على فرسخ، فقال له أبو بكر : يا أستاذ هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأديبة.

فقال : سمعت بها لا أسمعها الله خيرا ،... فقالت له : يا شيخ سوء تناقضت.. وأي خير أفضل للمرأة. [3] و هكذا سخرت منه ثانية بطريقتها الخاصة الممزوجة بالدعابة مما دعاه أن يفكر ساعة ثم يقول معرضا بها تعريضا مقصودا للانتقاص من شرفها ، والنيل منها قائلا :

على وجه نزهون من الحسن مسحة   وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا

---

[1] ابن سعيد ، المُغرب،ج 2، ص 121؛ ابن الأبار ، المقتضب ، ص 217؛ سلمى سليمان علي،المرجع السابق، ص 284.؛ محمد أحمد القضاة ، المرجع السابق، ص 26، 27.

[2] ابن الأبار ، المقتضب، ص 217؛ ابن الخطيب الإحاطة،ج 1، ص 425. ،ضمن ترجمته للمخزومي المتوفى سنة (540هـ/1145م) ؛ السيوطي ،نزهة الجلساء، ص 85.

[3] ابن الخطيب ، الإحاطة، ص 426 ؛ بوفلاقة ، الشعر النسوي ، ص118.

قواصد نزهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا [1]

فأجابته بسرعة حاضرة ، جوابا انتقمت لهوانها وخضوعها بشعر أكثر بذاءة وأشد خشونة

" الهجاء من شعر النساء" ونكتفي بذكر بيتين للاستشهاد على ما ذكرناه : قالت :

جازيت شعرا بشعر فقل لعمري من أشعر

إن كنت في الخلق أنثى فإن شعري مذكر [2]

و يوجد في نفح الطيب أبياتا مغايرة لهذه الأبيات وربما ردت عليه في هجاء له فيها في موطن آخر أو في مجلس غير هذا المجلس أو قد يكون اختلقه الرواة عليها؛ وبعد أن فرغت من إنشادها لم يسكت المخزومي عن هزيمته وفشله ، فقال لها : اسمعي : فرد عليها بنظم أفحش ما يمكن أن تسمعه امرأة أكتفي بذكر بيت واحد منه :

ألا قل لنزهون ما لها تَجُر من التيه أذيالها

فأقسم أبو بكر بن سعيد ألا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة وطلب أن يكفا عن السباب والقدح فقال المخزومي : - أكون هجاء الأندلس... وأكف عنها دون شيء. [3]

فقال : - أنا أشتري منك عرضها، وطلب المخزومي الغلام الذي قاده إلى المنتدى ثمنا لذلك على ما يبدو أن الشاعر ونزهون قد أصلحا حالهما فيما بعد إلا أن هذه المواقف تعطينا صورة واضحة لمجالسهم الأدبية وما كان يدور فيها من مساجلات وإذا كان المخزومي ماجنا وعد من هجائي الأندلس، فقد لا يفوت مجونه مجون نزهون ، لما اقتضاه العصر من مثل ذلك ، من مهاترات.

---

[1] ابن الأبار ، المقتضب، ص 217؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص 86؛ المقري،نفح الطيب ،ج 4، ص 296؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، ج 1 ص 426؛ خليل جمعة ، المرجع السابق، ص 392، 393؛ بوفلاقة، المرجع السابق، ص120.

[2] ابن سعيد،المغرب؛،ج 1،ص228؛ ابن الخطيب الإحاطة،ج 1، ص 426.

[3] المقري، نفح الطيب،ج 4، ص297؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 1 ص427.

وصل إلينا من شعرها عشرون بيتا ، ثلاثة منها في وصف ليالي الأنس واللقاء وبيتان في الرد على عتاب أبي بكر بن سعيد ، وخمسة عشر بيتا في غرض الهجاء. و هو هجاء نم عن لا أخلاقية وتهتك للأعراض وابتذال في الأقوال وفحش وانحلال وذكر عورات وقاذورات. أما الموحشة التي قالتها في الغزل أذكر منها المقطع الأول فقط:

بأبي من هدم جسمي والقوى طرفه الأحور

وسقاني ما سقى يوم النوى ويح من غرر

كلما رمت خضوعا في الهوى تاه واستكبر

يا له من شادن صيرني عند رضوان [1]

لقد عرفت نزهون بكثرة مخالطتها للرجال ومهاراتها معهم ومما يؤثر عن لقاءاتها بهم فقد سجل التاريخ نوادر تمس الكرامة. ومن نوادرها قولها للشاعر ابن قزمان المتوفى سنة (508هـ/1113م) بعد ارتجال بديع ، وكان قبيح المنظر أشقر أزرق كبير البطن يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء. [2]

وتمضي في الدعابة والفكاهة ، فتنطق بحقه قائلة :

أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ، إلا أنك لا تسر الناظرين . فضحك الحضور منه ، وغضب ابن قزمان فقال لها :

"إن لم أسر الناظرين، فأنا أسر السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين منك يا ..." وتمكن السكر منه وتدافعوا معه حتى رموه في البركة ، ولم يخرج منها إلا وقد شرب ماء كثيرا وثيابه تهطل.

فقال : "اسمع يا وزير وأنشد أبياتا وصف نزهون فيها بأبشع الألفاظ، وخروجها عن حد الآداب لأنهم تقصدوا في هتك سترها مما دعاها أن تهتك سترهم، [3] فبدت في مجالسهم ذات قلب كبير عند اشتداد العواصف ، وصفحة من صفحات البلاغة العربية بفطنتها وفصاحتها، وكانت جريئة في قولها وقد رفعت الحياء بالوقت الذي ينبغي للمرأة أن يكون فيها الحياء .

وجازفت في أحاديثها الممزوجة بالظرف ، وبحضور جواب وسرعة بديهة... فكانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى ، فدخل عليها أبو بكر الكتندي الشاعر

---

[1] المقري، نفح الطيب ، ج 4، 208 .

[2] المقري ، نفسه ، ج 4، 208؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص 99، 100.

[3] ابن سعيد، المغرب، ج1، ص 121؛ المقري، نفح الطيب ، ج 4، 208.

الغرناطي وأراد أن يداعبه شعرا ، ويخبره بجمال نزهون ، فتنة للناظرين وإن نعمة البصر حرمته من تلك المتعة فقال :

" لو كنت تبصر من تكلمه"

فلاذ الضرير بالصمت ولم يجد جوابا، ولم يستطع القول فسارعت هي إتمامه فأجابت: "لغدوت أخرس من خلاخله" [1] وهذا حال الكفيف إذا كان لايبصر فإنه يسمع جيدا.

واشتهرت بكثرة مخالطتها ومناظرتها للشعراء وقد ألمح الوزير أبو بكر سعيد إلى كثرة زوارها وعشاقها بعد أن أقلقته الغيرة عليها فكتب إليها قائلا :

يا من له ألف خل	من عاشق وصديق
أراك خليت للنا	س منزلا في الطريق

فأجابته ببيتين تذوب عذوبة عن مكانته المميزة في قلبها إذ قالت :

حللت أبا بكر محلا منعته	سواك، وهل غير الحبيب له صدري
وإن كان لي كم من حبيب فإنما	يقدم، أهل الحق فضل أبي بكر [2]

إن هذه الشاعرة الوشاحة الصادحة السريعة البديهة التي فاقت الشعراء الكبار في مر هجائها وحضور ذهنها نراها قد خلعت عليها حلة من قبيح القول في الندوات الصاخبة بالعبث والمجون التي أقامتها في غرناطة، تلك المرأة التي امتازت بالجمال الفائق وحفظ الشعر والأمثال وصنع الموشحات واستطاعت إجازة عجز بيت على حين عجز عنه (بشار الأندلس أي أبو بكر المخزومي) واستظرافها وزراء زمانها وأولعوا بها وبمحاضرتها الشعراء لقد ورطوها فيمن أساء سمعتها وضر بمصلحتها بأساليب وألفاظ ، سببت لها قلقا، وشقاء نفسيا، واجتماعيا على الرغم من أنها ملكت حرية التعبير عن تفكيرها؛ لكنها أغفلت أن كرامة المرأة مرتبطة بحريتها في تعبيرها ، فأطلقت العنان لنفسها مع الرجال في المنتديات الشعرية معتقدة بتعظيم نفسها في الرد على الرجال أفحش الألفاظ لأنها لم تكن ترضى بالهوان.

إن من أراد تصوير المجتمع الأندلسي إبان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بتحرره ومجونه ولهوه ، وخروج المرأة فيه عن مفهوم الخجل

---

[1] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، السفر 8 ،ق2، رقم 279، ص 493؛ خليل جمعة ، المرجع السابق، ص 396، 397 ؛ منجد مصطفى المنجد ، أعلام نساء الأندلس ، ص 121.

[2] ابن الأبار ، المقتضب، ص 164؛ محمد أحمد القضاة ، المرجع السابق ، ص 26.

والحياء، فما عليه إلا أن يقف على مشارف "نزهون" حيث تتجسد أمامه بعض ملامح ذلك المجتمع.[1].

"ولادة" بنت المستكفي بالله :

هي ولادة بنت محمّد بن عبد الرحمان بن عبيد الله الناصر بن عبد الرحمان بن محمّد المرواني [2] عاشت في مدينة قرطبة عاصمة الأندلس سابقا، حيث الحضارة والخلافة والملوك و القصور و جمال الطبيعة و روعة العمران و ازدهار العلوم وسحر الشعر. و تلقت "ولادة" العلوم و الفنون و قد أحضر لها أبوها العلماء والمثقفين ،و حدب على تربيتها بما يليق ببنات الملوك . كانت "ولادة "معجبة بنفسها مفتخرة على بنات جنسها، لكنها عاشت في عصر الفتن السياسية بين ملوك الطوائف، و عمرت تسعين سنة وماتت و لم تتزوج.[3]

و ولادة ابنة "سكرى "المرورية ، وهي أمة مسيحية حبشية قيل إنها امرأة خبيثة ،والحبشية هذه أنجبت بنتا شهد لها الرجال بالسحر والحلاوة وبدت خلافا لذويها فكانت كما وصفتها الأشعار ، وكتب التراجم والأدب واحدة زمانها المشار إليها في أوانها ناهيك عن جمالها ، ومشق قوامها ورشاقة ضباها وفتنة نظراتها، ولين عطفها . و لقد وصفها ابن زيدون وصفا دقيقا أيام شبابها وأيده ابن بسام المتوفى (542هـ/1147م) بقوله كانت واحدة أقرانها فكانت طويلة القامة والعنق، بارزة الصدر دقيقة الخصر، ممتلئة الردف، عيناها حورا وان و أهدابها وطف بدت أنيقة في ثوبها المخطط الحريري الموشي بالخز . [4].

وكانت ولادة صافية البشرة بيضاء كالفضة شعرها ذهبي براق كالتبر وتزين عنقها بعقود اللؤلؤ المزدوجة والخلاخيل وهي سليلة بيت ملكي تغمرها النعمة والرفاهة. وكان لها خال أسود في خدها أضاف لها حسنا آخر لقوامها الممشوق،

---

[1] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي...ص214،215. سهى بعيون إسهام العلماء المسلمين...، ،ص465

[2] سمى والدها نفسه المستكفي بالله بعد بيعته سنة أربع عشرة وأربعمائة ولم يدم حكمه إلا سبعة عشر شهرا صعابا نكدات وقد أجمعت المصادر التاريخية التي أرخت حياته بأنه سقيم السر والعلانية. قيل عنه كان مجبولا على الجهالة عاطلا من كل خلة تدل على فضيلة ويراه المقري خاملا ساقطا ،و أنه كان ضعيف الرأي مشهورا بالتخلف والانغماس في ملاذه.:. ابن حزم، رسائله ،ج2، ص 202 ؛ نفح الطيب، ج 4 ص 208 ؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص 101.

[3] المقري، نفس المصدر ،ج 4، ص 205؛ سهى بعيون ،المرجع السابق، ص484، 485.

[4] ابن بسام ، الذخيرة، مج 1، ص 268، 270.

وخطاها الرشيقة ونظراتها الفاتنة. وتجمع إلى جمال الخلقة جمال التزين وعذوبة الحديث فهي فنانة في إظهار مواطن الحسن فيها .[1]

لقد حفل ديوان ابن زيدون بصورها ، ووصف هيامه فيها لجمالها وحسن حديثها، وأدبها، وربما لتربيتها التي عني بها والدها على عادة الملوك والوزراء وكانت أنيقة في مظهرها لبقة في تصرفاتها .. شبَت على مستوى عال من المعرفة وكان لجمالها الساحر ، وذكائها النادر ، وفتنتها للشعر وتذوقها له ، وإجادتها الغناء والضرب على الآلات الموسيقية أثر كبير في امتلاك قلوب الرجال.[2]

و لا ننسى قوة شاعريتها ومن أخبارها ما قاله الفتح بن خاقان المتوفى (529 هـ/529م) و أنها كانت في الأدب والظرف ، وتَتَميم المسمع والظرف بحيث تختلس القلوب والألباب وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب فكان لها شاعرية لا تختلف عن كثير من فحول الرجال الذين جرى حديثهم على الأفواه أعذب من حلو الشهد والمياه وفاقت البرعاء وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار البلد وكان لا يتردد عليها إلا أكابر الأساتذة ، وهي صورة واضحة لثقافة المرأة وفكرها وأدبها وحسن بيانها ، وبلاغة منطقها من أحسن الصور وأروعها والذي برزت فيه ولادة أكثر دربة وذكاء وأثبتت قدرة ومهارة ودهاء وقيل فيها :

" وأما ذكاء خاطرها وحرارة نوادرها فآية من آيات فاطرها ومنهم من وصف نباهتها وفصاحتها وحرارة نادرتها ، وجزالة منطقها لقد أثنى الفضلاء على فضلها حيث كانت شاعرة جزلة القول ، حسنة الشعر فاقت البرعاء قد يكون ذلك لمخالطتها للشعراء ومساجلتها

الأدباء ولها معهم أخبار ... ولها مع أبي الوليد أحمد بن زيدون أخبار طوال وقصار، يفوت إحصاؤها ويشق استقصاؤها."

وذكر الفتح بن خاقان إنه كان يكلف بولادة ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم وفيها خلع عذاره وهام بها كل هيام وأرسل أجمل الأشعار وأرقها، ومن قصائده الخالدة،

قصيدته القافية التي أرسلها إلى حبيبته والتي مطلعها :

إني ذكرتك بـالزهراء مشتاقا والأفق طلق ، ومرأى الأرض قد راقا

والقصيدة الثانية التي نالت شهرة عظيمة ، وثارت حولها الأساطير حتى قيل :

ما حفظها أحد إلا مات غريبا ، ولهج كثيرون بأن انسانا لا يتم له الظرف ما لم يحفظها، وهي :

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، مج1، ص 270؛ المقري، نفح الطيب ،ج 4، 208؛ سلمى سليمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص 288، 289.

[2] المقري، نفح الطيب،ج 4، 208 ؛ خليل جمعة، نساء من الأندلس، ص ص 234، 244.

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فجرت ولادة طاقة الشعر الكبرى وأشعلت جذوة الصبابة المحرقة في نفسه وروحه وقال فيها من رائع القصيد .[1]

وربما نستنتج من كل ذلك ، أن دور المرأة في بعث شعر الغزل والحث على القول فاق العهود السابقة ، فسجل لولادة هذا الدور المميز ، وكان لها الصدارة فيه ولا يغرب عن بالنا دورها الثقافي الذي أطلعنا عليه في ملازمتها لتأديب مهجة القرطبية ورعايتها وتعدها لها.

وقيل إنها أجيزت في الاقتناء والتدريس وكانت حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة، و قيل بأن النساء قلدن ولادة في محاسنها.[2] إن هذه الرائدة الفذة أصبحت في شخصيتها قدوة حسنة لبعض النساء، لذا قلدنها وكانت أشهرن وأشعرهن وأجملن ، لذا هذى باسمها ، وتصرف على حكمها الرجال، فشعرها كان يلقى ترحيبا وتشجيعا من الوزراء والأدباء الذين يفدون على منتداها.[3] ، وقد أبلغ ابن زيدون أن عبد الله محمد البطليوس المتوفى سنة (490 هـ/1096م) اتصل بولادة فكتب إليه قصيدة طويلة ، وكان يكنى بأبي عبد الإله أكتفي بذكر مطلعها :

أبا عبد الإله اسمع   وخذ بمقالتي أودع

واقصر بعدها أزود   وطر في إثرها أوقع

على ما يبدو أن سبب شهرتها وامتيازها على غيرها من شاعرات الأندلس لما قاله فيها من رائع القصيدة. فاستأثرت من دونهن بمزيد من الاهتمام من مؤرخي الأدب وناقديه وأصحاب الرواية والأخبار القدامى ، كذلك انفردت ولادة في بحوث ومقالات المحدثين وكثيرا ما تعرضت شخصيتها للدرس والتحليل من المستشرقين الأجانب والعرب الباحثين إلا أن جل التهم التي لحقت بها في الدراسات الحديثة أطلقها الباحثون دون دراسة لظروف العصر وميزاته كما أنهم ابتعدوا عن الظروف التي أحاطت بالمرأة ، وما وصلت إليه من رقي عقلي وثقافي متنوع المشارب تشرئب له الأعناق ، ولم يحط أحدهم علما بطريقة تزينها وأناقتها التي

---

[1] المقري، نفح الطيب،ج 4، ص ص 205 ، 207. محمد أحمد القضاة، شاعرات الأندلس، ص 36، 37.

[2] سلمى سليمان علي ، المرجع السابق، ص 292، 293.

[3] ولم يكن ابن زيدون وحده فارس هذا الميدان، وإنما كان ابن القلانس وأبو عامر بن عبدوس الوزير المتوفى سنة (472 هـ/1079م) الذي كان أحد أعيان قرطبة المشهورين فراحوا يتنافسون على قلبها ولم يحض به إلا ابن زيدون ، لأن جل أشعارها وردت فيه، المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص 206، 207.

فاقت فرنسا في العصر الحديث فجاءت أحكامهم بعيدة عن واقع المرأة في الأندلس [1]

"حفصة" الركونية

الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال و الحسب و المال من أديبات غرناطة ، وتنسب إلى ركانة "Requana". [2] يبدو من خلال هذا النسب ليست من أصول غرناطية، إنما جاءتها صغيرة ، أو جاء أسلافها، لأن المصادر المتوفرة لم تذكر تاريخ ولادتها و لا مكانه . وإنما بعض الدارسين يحددون تاريخ ولادتها في حدود (530ه/ 1135م). أما تاريخ وفاتها فهو معروف و محدد في سنة 586هـ/ 1190م. لكن نسبتها إلى ركونة ترجع لولادتها فيها ، حيث جاءت صغيرة مع أبيها إلى غرناطة ،و نشأت وتعلمت ، وبالتالي تكون حفصة ركونية المولد غرناطية المنشأ. وعموما لقد عاشت في القرن السادس الهجري و في غرناطة ،كما عاصرت دولتي المرابطين و الموحدين ، إلا أنها شهرتها برزت في عهد الموحدين. أثنى عليها جُل المؤرخين ،على أنها كانت فريدة زمانها في الحسن و الظرف و الأدب و اللذوعية، جيدة البديهة ، سريعة و رخيمة الشعر ، رقيقة النظم و النثر.[3]

قرأت حفصة كثيرا في مبدأ أمرها ،و حفظت كثيرا من جواهر الأدب، ومن روائع أدبيات العرب ، فعلا صوتها. فلم تكن أستاذة النساء فقط ، ووإنما كانت أستاذة شواعر عصرها . و لعلاها بقيت بعد الأديبة حمدة بنت زياد العوفي[4] و لم تعتبر حفصة أشعر شواعر الأندلس على الإطلاق بما امتلكته من مواهب فقط ؛ إنما اشتهرت أيضا بعلاقتها مع الشاعر الوزير أبي جعفر بن سعيد ، الذي نظمت أغلب شعرها فيه . وجدت حفصة في أبي جعفر فتى أحلامها ، وبسطت له حبل الجرأة وهو أمر لم تعهده المرأة العربية ، ومما قالت :

فعندما تريد زيارتها تطلبه إلى ما تشتهي أبدا يميل

[1] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ... ص 294.

[2] ركانة أو ركونة ، بلدة أندلسية قديمة تقع على بعد 69 كلم إلى شرق بلنسية و هي ذات طبيعة ساحرة، وخضرة ممتدة. الحموي، معجم البلدان ، ج 3 ، ص63.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة ، مج 1 ، ص 492؛ المقري، نفح الطيب،4، ص 171، 172 ؛ خليل جمعة ، نساء من الأندلس ص191، 192.

[4] ابن الزبير ،صلة الصلة ، ص 313؛ ابن الأبار ، المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ص219؛ كحالة ، أعلام النساء ، ج 1، ص267 خليل جمعة ، المرجع السابق، ص 197، 198.

فعجل بالجواب فما جميل   إباؤك عن بثينة يا جميل [1]

لقد خرجت حفصة على التقاليد المرأة العربية، فمن باب المراعاة لجنسها يفترض أن لا تبوح بمكنون فؤادها ،و الأفضل أن تكون مطلوبة لا طالبة، و مرغوبة لا راغبة، وأن تتظاهر بكونها معشوقة لا عاشقة ، إلا أنها تحدت كل ذلك . و هذا من بين ما ميز الأدب الأندلسي ، فالمرأة هي التي تبوح بمكنون فؤادها و تسترجع لحظات صفوها وتتغزل بمن تحب.[2] فقد فاقت حفصة أية شاعرة أخرى بجرأتها في الهجوم على معاني العشق، فهي تصرح و لا تلمح و لا تكني ، و تسمع لنفسها بزيارة أبي جعفر في بيته دون موعد. و هو ما عبرت عنه بما يلي:

زائر قد أتى بجيد الغزال   مطلع تحت جنحه للهلال

بلحاظ من سحر بابل صيغت   و رضاب يفوق بنت الدّوالي

ما ترى في دخوله بعد إذن   أو تراه لعارض في انفصال [3]

غير أن علاقتها قد أصيبت بفتور عندما بلغها أن حبيبها أبا جعفر قد تعلق بجارية سوداء . فكتبت إليه:

يا أظرف الناس قبل حال   أوقعه نحوه القدر

عشقت سوداء مثل ليل   بدائع الحسن قد ستر

بالله ، قل لي و أنت أدرى   بكل من هام في الصور

من الذي هام في جنان   لا نوار فيه و لا زهر [4]

---

[1] انظر شعرها عند المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص 178 ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ،ص 166. السيوطي، نزهة الجلساء، ص 40.

[2] السيوطي ، نفس المصدر ،ص 29؛ الشكعة ، الأدب الأندلسي ، موضوعاته و فنونه ، ص225.

[3] ابن سعيد ، المغرب ،ج 2 ص، 134 ؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص 43؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 179.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة ،مج 1 ، ص 492.

وعتابها هذا يشبه عتاب " ولادة " التي عتبت "ابن زيدون " الذي مال إلى جاريتها السوداء. وتكررت نفس الحادثة في ميل بعض الشعراء إلى الجواري و منهن الخادمات السود ، رغم ما تمتعت به الحرائر من جمال و مال و حسب و أدب.

لكن تصالحت فيما بعد حفصة مع أبي جعفر و عادت علاقتها إلى ما كانت عليه، إلا أنها كانت دوما تخاف غيرة و حسد الناس و عبرت عن ذلك في بعض أشعارها .[1] وفعلا وقعت فيما تخوفت منه ،حين اقتحم السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن أمير غرناطة عالمهما، ودخل في صراع مع أبي جعفر على حب حفصة الركونية، فنغص عليها حياتها .

و لما خافت على أبي جعفر من بطش الأمير، ابتعدت عنه شهرين ثم تواصلا بأبيات شعرية. و كانت تسمي من يترصد لقاؤهما بالحائل ، وتقول فيه: " لقد سمعنا (بالوارش) على الطعام و(الواغل) على الشراب ، ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما.[2] إلا أن حياة حفصة أصيبت بتكدير و تنغيص بعد مقتل حبيبها أبي جعفر سنة 559ه/1198م ، فحزنت عليه كثيرا . و جهرت بالحزن و البكاء المر رغم تهديدها بالقتل من أمير غرناطة قاتل حبيبها. وذلك ما يبدو من خلال استقراء شعرها:

هددوني من أجل لبس الحداد لحبيب أردوه لي بالحداد

رحم الله من يجود بدمع أو ينوح على قتيل العادي

وسقته بمثل جود يديه حيث أضحى من البلاد الغوادي [3]

و أضحت تبيت ساهرة ترقب النجوم و تقول فيه شعرا. و في الأخير نجح الأمير الموحدي السيد أبو سعيد التخلص من أبي جعفر منافسه في حب حفصة مستغلا نفوذه السياسي ، لكنه أخفق في أن يستولي على قلبها. و لم تستطيع مواصلة حياتها في الأندلس بعد ما حدث لها ، فرحلت إلى مراكش عاصمة الموحدين . و عندما سمع المنصور الموحدي شعرها، عرف فضلها وأدبها فأكرمها و حرر لها

---

[1] السيوطي، نزهة الجلساء، ص42؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص ص،174، 175، 176، 177.

[2] المقري ، نفح الطيب، ص 175 ؛ بوفلاقة ، المرجع السابق، ص172.

[3] ابن سعيد، المغرب، ج 2 ص، 134 .

أملاكها ، واتخذها أستاذة لنسائه في دار الخلافة . وأمضت بقية عمرها في قصر الخلافة بمراكش إلى أن وفتها المنية .[1]

" أم الحسن" بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي:

من أهل لوشة، نشأت في حجر أبيها الذي حرس على تعليمها فنون من الطلب من قراءة القرآن و الطب و وتنظيم الشعر ، حتى قيل عنها هي ثالثة حمدة و ولادة و فاضلة الأدب و المجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة و أولدت أبكار قبل سن الولادة.[2] و لما قدم والدها من المغرب ، وحدث بخبرها المغرب توجه بعض الصدور إلى اختبارها ومطالعة أخبارها ، إستنبل أغراضها و استحسنها، و استطرف لسانها...

و من شعرها في غرض المدح:

إن قال الناس رب فضيلة حاز العلا و المجد منه أصيل

فأقول رضوان وحيد زمان إن الزمان يمثله بخيل [3]

و عموما لقد أثبتت المرأة الأندلسية القدرة على قول الشعر من خلال النتف الشعرية التي ذكرها المؤرخون في مصادرهم. و برهنت على أنها تملك موهبة لا تقل أهمية عن موهبة الرجل من حيث القدرة على العطاء. فكان نتاجها الشعري قيِّما يعبر عن ثقافتها و فهمها و وعيها. لقد أسهمت الشاعرات في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة من الموضوعات و أغراض مختلفة من مدح و هجاء و غزل و طبيعة ، ومقطوعات جذابة من فن القصيدة، فكان إثراؤهن للشعر أمرا بيّنا في مجتمع كاد كله أن يقول شعرا.[4]

و هكذا ظلت حواضر الأندلس [5] تنجب شاعرات ينعمن بالتسامح الديني ، والتساهل العرضي ، فتقوت شوكتهن انطلاقا من القرن الخامس الهجري/ 11م. كما تضاعف عددهن فنلن عناية الرواة منذ هذا القرن و ما بعده ، مما جعل عددهن

---

[1] اختلف في سنة وفاتها،قيل في 580هـ أو 581هـ حسب ابن الزبير في صلة الصلة ، ص 314 وعند ابن الخطيب، الإحاطة،مج 1 ،ص494.

[2]ابن الخطيب، ،**تاج المحلى في مساجلة القدح المعلى،** تحقيق محمّد عبد الله عنان،القاهرة مكتبة الخانجي،ط1،1401ه/ 1981م، ص 410.؛ ابن الخطيب ،الإحاطة، مج1، ص 430.

[3]ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج1، ص 431.

[4] الشكعة ، صور من الأدب الأندلسي، ص87 ؛ سهىً بيون، المرجع السابق، 461.

[5] انظر خريطة المدن الأندلسية ، رقم 9. و ملحق رقم 13.

يربو عن الستين أديبة بين مكثرة و مقلة شاعرة و ناثرة ، انبرين للقول في جل أغراض الشعر و نلن ما ناله شعراء الأندلس في بعضها .[1]

العلـــــــوم العقلــــــية:

الطـــــــب

و لم يقتصر إقبال المرأة الأندلسية على العلوم الدينية و الأدبية فقط ، بل أثبتت ذكائها و حذقها و استيعابها لعلوم الأكثر تعقيدا، و حظيت بمراتب عليا في علم الطب والهندسة و علم الفلك. فاشتهرت أسماء لامعة في الطب مثل نساء بيت ابن زهر وهما ،إبنة أبي العلاء بن زهر و والدتها " **أم عمرو بنت أبي مروان** بن زهر في مجال طب النساء. و كانت تطببان نساء المنصور بن يوسف بن علي بن عبد المؤمن.[2]

كما تفوقت في مجال الطب جارية ابن هذيل و برعت في علم الطبيعة وهيئة تشريح الأعضاء الباطنة. [3] و ينطبق نفس الشأن **لأم الحسن** بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي التي درسها والدها الطب ففهمت أغراضه و عملت أسبابه وأغراضه. [4] كما ظهرت إحدى الوافدات "سارة الحلبية كأديبة و طبيبة ، و هناك اسم آخر مغمور لم يكسب شهرة السابقات لإهمال الرواة له ، و هي **مكية** بنت عمر بن هانئ التجيبي الأندلسي التي كانت ترتاد مجالس الحكيم أبي عبد الله الأشقر ، طبيب المرية فحفظت عنه الكثير من علمه و سمع عنها .[5]

و أثناء رحلتها لحج بيت الله الحرام ، نزلت بالإسكندرية و نقلت لأهل المنطقة حكمة و مقولة شهيرة عن الطبيب الحكيم أبي عبد الله الأشقر، أنه كان يقول :" من أكل الخبز بالزبيب لم يحتاج أبدا إلى طبيب." و بقيت مقولتها سارية في أهل الإسكندرية ؛ ثم توجهت إلى الحجاز للحج.[6] و يؤكد الطب الحديث حاليا منافع صحية في شأن هاتين المادتين : الخبز والزبيب.

الحســـــاب

---

[1] ربيعة سعيد عصامة ، نساء تفوقن في الأندلس، ص56.

[2] ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج3، ص 235 ،العريني ، المرجع السابق، ص 151.

[3] ابن بسام ، الذخيرة ، ج 3، ص 70.

[4] ابن الخطيب ، الإحاطة، ج 1، ص 430.

[5] السلفي، أخبار و تراجم السلفي، ، تحقيق إحسان عباس، ، رقم 82، ص 126.

[6] السلفي ، نفسه ، رقم 82، ص 126.

إن **لبنى** كاتبة الحكم المستنصر كانت بصيرة بالحساب و قال عنها ابن الأبار " لم يكن في قصرهم أنبل منها". [1] و امتازت جارية أخرى للحكم حيث تولى تعليمها التعديل و خدمة الأسطرلاب ، الذي هو آلة لرصد النجوم و استخراج البرج الذي تكون الشمس فيه ، و معرفة أوقات الصلاة بمعرفة مغيب الشفق و طلوع الفجر وغيرها.[2]

وكانت الثقافة العامة تتصل بمعرفتهن بالحكايات و الأخبار ، و أيام العرب ، وحفظ الأمثال و النسب و اعتمادهن في ذلك على الثقافة المشرقية اشتهرت منهن **قلم** جارية عبد الرحمان الأوسط. [3] و **عبدة** التي كانت تروي الأخبار عن أبيها .[4] و**نزهة الوهابية** جارية الكاتب أبي عبد الله محمد بن وهب الحميري- كاتب الوزير أبي محمد بن مسلمة- كانت إحدى عجائب القيان ، حذقا ، و حسنا وظرفا ، تنشد الأشعار. و إضافة لذلك كانت تورد الحكايات و الأخبار و تذكر أيام العرب. و تشارك في حفظ الأمثال و النسب .[5]

أما **فتحونة** و هي بنت جعفر بن جعفر و تكنى "بأم الفتح" ، من مدينة مُرسية ؛ أديبة تاريخية لها مصنف في قيان الأندلس ،عارضت به كتاب أبي الفرج الأصفهاني بعنوان " الإماء الشواعر ."[6] إلا أن كتابها لم يبق له أثر .

إسهـــــام المـــــــرأة الفنـــــــي.

الخــــط

كانت النساء شديدة الحرص على الكتب و صيانتها و الخوف من ضياعها لما لهن من إحساس واعي بقيمتها التراثية و التاريخية. فأم العلاء العبدرية و هي السيدة بنت عبد الغاني نسخت أكثر من مرة كتاب إحياء علوم الدين للغزالي و غيره

[1] الضبي، بغية الملتمس، رقم 1596، ص732 ؛ ابن بشكوال ،الصلة، ج3، رقم 1541، ص 992؛ ابن عبد الملك، الذيل و التكملة ، سفر 8، ق2، رقم 274، ص492؛ منجد مصطفى ، ص 51.

[2] ابن عبد الملك ، المصدر السابق ، سفر 8،ق2، رقم 285، ص 395. منجد مصطفى ، المرجع السابق، ص 51.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء ،ج1، ص114؛ ابن عذاري ، البيان،ج 2 ،ص 125.

[4] ابن عبد الملك، المصدر السابق ، سفر 8، ق 2 ، رقم 263، ص 488.

[5] منجد مصطفى بهجت ، المرجع السابق، ص111.

[6] ابن عبد الملك ، المصدر السابق ، سفر 8، ق 2، رقم 272، ص 491؛ منجد مصطفى بهجت، نفس المرجع ، ص110

من كتب الآداب و الشريعة. كما عرف من هذه الأديبة ولع كبير في اقتناء الكتب و جمع نفائسها. و كان في الربض الشرقي لقرطبة 170 امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي [1]. في عهد الحكم المستنصر (350ه- 366ه)حفز الهمم و أغدق الصلات مع تشجيع النساخ و المؤلفين بصنوف من التقدير و المكافآت. و من أشهر الخطاطات،

"عائشة" بنت أحمد بن محمد بن قادم:

و كانت حسنة الخط تكتب المصاحف و الدفاتر وتجمع الكتب و تعتني بالعلم، و لها خزانة علم كبيرة حسنة، و لها غنى و ثروة تعينها على المروءة . تصرفت في مالها أحسن تصرف، و محاسنها كثيرة.[2]

و عزيزة "بنت محمد بن نميل، ووقفت على خطها و كانت حسنة الخط قويمة اللسان كذا شأن **" فاطمة"** بنت زكريا بنت عبد الله الكاتب المعروف بالشبلاري مولى بني أمية ، تجيد الخط و تحسن القول.[3]

إن الخطاطات والناسخات الأندلسيات كثيرات منهن ذوات التخصص مثل" **البهاء"** المتخصصة في كتابة المصاحف [4] و" فاطمة" بنت أحمد زويتن الفاسي التي كتبت بخطها نسخة من صحيح البخاري في خمسة أجزاء. و**" طونة"** بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع :السابقة الذكر ضمن المقرآت و" **أمة الرحمن** " بنت أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية المحاربي السابقة الذكر مع المحدثات. و"**ريحانة"** جارية الطبيب أبي عبد الله الكتاني ممن خلدتهن أقلام المؤرخين، وغيرهن كثيرات لا يتسع المجال لذكرهن [5].

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص 299.

[2] ابن بشكوال، الصلة، ج2، رقم 1543 ، ص992؛ المقري، نفح الطيب،ج4، ص 290.

[3] ابن بشكوال نفس المصدر ،ج2، رقم 1548، ص 994.

[4] ابن عبد الملك المراكشي،الذيل و التكملة، السفر8، ص 484؛ منجد مصطفى ، المرجع السابق، رقم 22، ص 113.

[5] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، رقم 1553، ص 997؛ الضبي ، بغية الملتمس، ص رقم 1599، ص732.

" صفية "بنت عبد الله الرّبي

التي كانت موصوفة بحسن الخط، و كانت أديبة شاعرة، فقد ورد أن امرأة قد عابت خطها حسدا ،ربما لما كان سائدا من منافسة حادة في هذا الفن، فرد ت عليها بثلاثة أبيات تقول فيها:

و عائبة خطي فقلت لها أقصري	فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها	وقربت أقلامي و رقي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها	ليبدو لها خطي و قلت لها انظري

توفيت "صفية" سنة 417ه/ 1026م. [1] و يبدو التحول جليا في القرن 6ه / 12م و عدم الاهتمام بالخط فبعدما راج استعماله في القرن 4ه/10م و اشتداد المنافسة عليه بين النساء الخطاطات خاصة في قرطبة ،كسدت صنعته ؛ و في هذا الشأن قالت

"أم الحسن" بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي لما سألها أحدهم عن الخط ، وهو أكدس بضاعة جلبت و أشح درة حلبت ، فأنشدته من نظمها:

الخط ليس له في العلم فائدة	و إنما هو تزيين بقرطاس
والدرس سؤلي و لا أبغي به بدلا	بقدر علم لفتى يسمو على الناس

فرغم أنها كانت تحسن الخط إلا أنها فضلت عليه مجالس العلم . [2] في حين كان الخط في عهد الأمويين رائجا وتنافست النساء على تعلمه من أجل نسخ الكتب الدينية بالدرجة الأولى ، أصبح في عهد بني نصر أقل رواجا و تدولا بناء على ما قالته أم الحسن ، أو ربما يرجع ذلك إلى قلة حلقات الدرس للنساء ففضلت أم الحسن التعليم عن الخط، لأن في هذا العصر سجل تراجعا واضحا في الإسهام العلمي للمرأة.

---

[1] الضبي ،بغية الملتمس ، رقم 1545، ص 993 ؛ بوفلاقة ، المرجع السابق، ص70.
[2]ابن الخطيب ، الإحاطة ،ج 1، ص 431 .

الغناء

يعد الغناء و الطرب من النشاطات الثقافية المتصلة بالأدب و الشعر ، حيث اشتهر عدد من أعلام نساء الأندلس بالغناء و اقتصر في معظمه على الجواري . كما اشتهر الأندلسيون بحب الغناء وعشق المغنيات وشاع اقتناؤهن من المشرق مهما تكلف الثمن ،إضافة إلى اقتناء الجواري بصورة عامة فكن يملأن القصور. [1] وقد يكون لحياة الترف والبذخ وطبيعة البلاد الجميلة السبب الرئيسي في أن جعلت المرأة الأندلسية هي الأخرى تشغف بالغناء وتحترفه، كما شغفت به أختها المشرقية والدليل على شغفهن هو وجود أدوات الطرب في بلادهم ما لم يوجد في غيرها من البلدان. [2]

و يشير إلى ذلك صاحب العقد الفريد حيث يقول :"ما خلق الله شيئا أوقع في القلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما إذا كان من وجه حسن" . و لذلك تطلع الأمراء إلى شراء الجواري المشرقيات ممن يحسن الغناء ؛ خاصة من خريجات المعاهد في بغداد و المدينة ، كما تطلع بعض من كسدت سوقهم في الغناء بالمشرق للهجرة الأندلس. [3] فأولى الجواري المغنيات التي جلبت إلى الأندلس هي:

العجفاء التي كانت في دار مسلم بن يحي مولى بني زهرة . و رغم ما وصفت به من عيوب جسمية و اسمها يدل على ذلك ؛ إلا أن صوتها و أدبها خيب كل الظنون ، و أصبح كل من سمع صوتها و غنائها إلا وتردد على مجلس غنائها ؛ثم بيعت العجفاء للأمير عبد الرحمان بن معاوية واقتصر غناءها على القصر الأموي فقط.[4]

و كان الحكم بن هشام شغوفا بالجواري و الغناء،و المغنيات و كان منهن ثلاثة : "**عزيز** " و " **بهجة** " (أو مهجة) و " **فاتن**" ،إلا أنه لم يذكر أصل بلدهن. [5] وكان الحكم الأول يقترح على هؤلاء المغنيات الشعر التي تغنيه كل واحدة . وكان معجبا **بعزيز** لأنها أكثر حذاقة . و أمر لها بعشرة آلاف درهم

---

[1] المقري،نفح الطيب ،ج3، ص140؛ إحسان عباس، **أخبار الغناء و المغنيين في الأندلس**(138هـ/539هـ)مجلة الأبحاث ،تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت الجزء1،سنة 16،دار الكتاب ،بيروت آذار ،1963 ،ص 4؛

[2] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص 18.

[3] لومبارد ، الجغرافية التاريخية، ص 258.

[4] المقري، نفح الطيب،ج 3 ، ص 141، 142؛ أحمد مختار العبادي ، الحياة الدينة و الدنيوية في مملكة غرناطة ، ص 24.

[5] إحسان عباس، أخبار الغناء ،ص 4؛ منجد مصطفى ، المرجع السابق ، ص104

، و كارة جليلة من القماش وزاد في قدر جرياتها ثم نقلها إلى خواص الحظايا و أمهات أولاده .

كما اقترح على **"مهجة "** نظم صوت من شعر جرير و من شعر أبي تمام . وجمع مرة جواريه و أمرهن أن يغنين في شعر الفرزدق، يعملن فيه أصواتا أجدن ألحانها وأقمن أوزانها . و كانت **" مهجة "** أوقعهن على نفسه، فقال لها اقترحي حكمك ، فقالت لا يغنين اليوم إلا من أصواتي،فأمرهن بذلك و أمرها بأن تلقي عليهن حتى حفظن ذلك عنها. [1]

و نستنتج من هذا المشهد الغنائي أن كل مغنية محسنة كانت تستقل بطريقتها في الغناء ، كما تستقلن بأصوات تأخذ عنها و كن يتقاضين جرايات محددة و جوائز على ذلك . و هذا الجو الغنائي في قصر الحكم الأول جذب إليه عدد ما المغنين من المشرق. [2] و شارك الحَكَم الأول في الشغف بالغناء ابنه " المغيرة" الذي كان لديه من الجواري واحدة تدعى **" رغد"** كانت تتقن الطرب و كانت غالبة على المغيرة و حاكمة عليه لو كلفته بذل نفسه لما بخل عليها. [3] .

و ربما لا تغني القيان أي الجواري المغنيات قصائد الزهد بل الأشعار المطربة المثيرة الطبع إلى العشق ، نظرا لوجود فرق بين الجارية القينة والملهية والمغنية، يقول ابن بسام وأعد له القينات والملهيات والمغنيات، فوكسه في الصبا بعد المشيب وعرف شغفه بالبطالة فقصدها. وربما تختص القينة بالغناء فقط. والدليل الآخر على رواج الغناء هو استقدام القينات المدربات من الحجاز أي من المدينة وبناء دار لهن ملحقة بقصر عبد الرحمن الأوسط سميت بدار المدنيات ، و من أشهرهن ،

فضل المدينة التي حصلت على ثقافة شعرية وموسيقية فائقة. و كانت لأحدى بنات هارون الرشيد فمنشؤها و تعلمها ببغداد و درجت من هناك إلى المدينة، فازدادت طبقتها في الغناء ، و اشتريت هناك للأمير عبد الرحمان بن الحكم(الثاني) مع صاحبتها **"علم "** و صواحب غيرها. وكان عبد الرحمان الأوسط يؤثرهن بجودة غنائهن و نصاعة ظرفهن و براعة أدبهن. [4] .

وقلم الأندلسية رومية الأصل من سبي البشكنس ، حملت وهي صغيرة إلى المشرق. و في المدينة تم تعليمها الغناء فحذقته وعادت إلى وطنها لتسحر

---

[1] إحسان عباس، أخبار الغناء ، ص 5

[2] هما : علون و زرقون و كاتبه زرياب نفسه يقترح عليه الهجرة. إحسان، نفس المرجع ،ص 6.

[3] إحسان عباس، نفسه ، ص 6

[4] المقري، نفح الطيب،ج 3، ص 140 .

بغنائها. و تميزت "قلم" بحذاقة الأداء و اللحن ، و كانت ثالثة الحضوة عند الأمير عبد الرحمان الثاني و هي أم ابنه إبان. [1]

ولقدوم زرياب* [2] وتلاميذه أثر واضح على الموسيقى والغناء ، يحكى انه كان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريته "غزلان" و "هنيدة" فتأخذان عودهما ويأخذ عوده ، فيطارحهما ليلته و يكتب الشعر ثم يعود سريعا إلى مضجعه... ولا يخفى أثر جاريته **متعة** التي علمها أحسن أغانيه، وابنتيه **حمدونة** التي أتقنت صناعة الغناء و تقدمت على أختها **علية** ، و علم جارية له تسمى "**منفعة** " أحسن أغانيه وأهداها لعبد الرحمان بن الحكم واستقدم علون و زرقون أيام الحكم بن هشام فكان لهم أثر كبير على الغناء والذي عزز اهتمامهم بالغناء عنايتهم البالغة وحرصهم الشديد على تعليمهن وتدريبهن على فنون الموسيقى. [3] و ممن تخرجن على يده "مصابيح" واقترن ذكر **" مصابيح** جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قهليل التي كانت غاية في الاستحسان و النبل و طيبة الصوت ، بابن عبد ربِّه الذي صُد عن سماعها فكتب لسيدها ما يلي:

"يا من يضن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخل من أحد لو أن أسماع أهل أرض قاطبة أصغت إلى الصوت." فخرج ابن قهليل حافيا إليه لما وقف عن ذلك أدخله إلى محله و تمتع من سماعها.[4] و كثير من أمهات أولاد الحكام كن في الأصل مغنيات ، مثل **"غزلان** " أم الأمير المطرف بن محمد بن عبد الرحمان الأوسط و عرف بابن غزلان نسبة لأمه التي كانت مغنية محسنة و عوادة أديبة. [5] مثلما كانت " **مرجان"** أم الخليفة الحَكَم المستنصر ابن عبد الرحمان الناصر من أروع الجواري المغنيات و من بين عوامل ارتقائها صدارة حريم الناصر إتقانها الغناء و العود ، و صبح أم هشام المؤيد . [6]

---

[1] ابن عذاري ، البيان،ج 2 ص 125؛ ابن الخطيب ،أعمال الأعلام، ص 35 .

*هو علي بن نافع الملقب بزرياب ، مولى المهدي العباسي و غلام إسحاق الموصلي . غلب عليه لقب زرياب لسواد لونه . قدم من المشرق إلي الأندلس، بعدما استدعاه منصور اليهودي رسول الحكم . وكان شاعرا و رئيسا من رؤساء الفن الغنائي. أدخل عادات مشرقية جديدة للأندلس، توفي سنة238 هـ . ابن حيان المقتبس ،تح مكي، ص 221؛ ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبد الله أنيس ، ص 112، 113؛ ابن سعيد، المغرب،ج 1 ،ص 51 ؛

[2] المقري، نفح الطيب،ج 3 ، 122؛ دوزي ،تاريخ مسلمي الأندلس، ج 1، ص 76،77.

[3] المقري، نفس المصدر، ج 3، ص 24؛ إحسان عباس، أخبار الغناء .ص 6؛ أحمد مختار العبادي ، الحياة الدينة ، والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية ،ص25.

[4] المقري، نفح الطيب، ج 3، 131؛ إحسان عباس ، المرجع السابق، ص 10؛ منجد مصطفى، المرجع السابق ،ص113، 114 ؛ دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 286.

[5] ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص 98؛ المقري، نفح الطيب،ج 3، ص 581.

[6] ابن حيان ،المقتبس، ج 5، ص 11.

و هكذا أصبح الغناء عنصرا هاما في حياة الأندلسيين من الحكام و غيرهم من الأمراء و الأميرات و عوام الناس* . و من نساء الخاصة المغنيات " **حفنى العامرية**" و هي إحدى كرائم المظفر عبد الملك بن أبي عامر كانت تلحن أبياتا بطريقتها الخاصة؛

و **قمر البغدادية** من الجواري التي بذل صاحبها أموالا عظيمة لشرائها و استقرت في بلاطه بإشبيلية . ومن أشهر غنائها في مدحه و لما قدمت إلى الأندلس ازدرى بها نساء العرب، وأخذن يتهامسن إذا مرت ويتغامزن إذا غنت، فقالت

قالوا أتت قمر في زي أطمار   من بعد ما هتكت قلبا بأشفار

لو يعقلون لما عابوا غريبتهم   لله من أمة تزري بأحرار [1]

أما في عصر الطوائف و في عهد بني جوهر و بني عباد ثم العهد المرابطي فلم تكن قرطبة منطقة جذب فني ، بل عظمت اشبيلية على حساب مكانة قرطبة في هذا المجال.

ولما انقسمت الأندلس إلى دويلات متنافسة أصبح في بلاط كل أمير حاشية من المغنيين و المغنيات و الأدباء و العلماء. كما نشطت تجارة الرقيق و حرص النخاسون على تعليم الجواري الروميات الغناء و غيرها من ضروب الثقافة من أجل كسب الأموال الوفيرة عند بيعهن و دسهن في قصور الحكام؛ و منها لما استأثر الأمير عبد الله بالحكم في دولة بني زيري في غرناطة ضاق وزيره به ذرعا ، فنصحه أقرانه بإشغال الأمير بالنساء و التعجيل له بابتياع الرقيق الملهيات لكي ينفسح له مجال النفوذ و التجسس عليه . [2] و بالعكس من ذلك تنافس بعض الأمراء في اقتناء الجواري المحسنات ومنهم المعتضد بن عباد المتوفى سنة(461 هـ/1068م) الذي أقدم على شراء قينة الوزير عبد الرحيم من قرطبة إثر وفاته لما وصفت له بالحذق في صناعتها.

---

* سيتثنى من الحكام الذين لم يشجعوا الغناء : عبد الرحمان الداخل في بداية إمارته والمنذر بن محمد، و الأمير عبد الله، و الحكم المستنصر الذي كان منصرفا إلى العلم ، و في دولة بني نصر . السلطان أبو الوليد إسماعيل الأول بن فرج . المقري،نفح الطيب، ج 3، ص 42 . ابن الأحمر ، نثير فوائد الجُمان، ص18؛ إحسان عباس ، المرجع السابق، ص11. و بعض الأمراء كانوا علماء بالغناء ومولعين بالألحان. و منهم هشام المؤيد الذي كان ملازما للمغني سعيد بن كامل الذي كان يعلم جواري هشام طرائق الغناء. المقري، نفح الطيب، ج 3، ص150

[1] ابن عذاري، البيان،ج2،ص128، 129؛ محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلامية في القرن 5ه/ 11م، ص 325؛ دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 286؛ إحسان عباس، أخبار الغناء، ص 11، 12. (انظر الفصل الثالث من هذا البحث،)

[2] الأمير عبد الله ، كتاب التبيان ،ص 85؛ ابن سعيد ،المغرب ج2 ،ص 13؛ رجب،العلاقات، ص299.

ويبدو أن تمركز القيان الشهيرات كان في قرطبة لأن المعتضد أرسل يطلب جارية زامرة و جارية قينة ، أو ربما لتميز قيان قرطبة واشتهارهن بطرب الرفيع عما ساد في إشبيلية آنذاك . مثلما اشتهر هذيل بن رزين صاحب السهلة بشراء الجواري المغنيات المحسنات و يطلبهن من كل جهة، و دفع في إحداهن ذات الجمال و طيب الغناء ثلاثة آلاف دينار. [1].

و لم يكد هذا العصر يبدأ حتى وضعت معالم الموشح محققا للنوبة التي أرادها زرياب.. وكان زرياب يلحن الموشح و يلقنه للقيان لتغنيه. لكن أكثر ما كان يلحن للغناء الشعر لذلك تنافس الشعراء في ذلك ، فمثلا أكثر غناء قيان المعتمد بن عباد كان من شعره إذ كان يقترحه على جواريه ، و من أشهرهن " **سعدى**" المغنية. [2]. أما بلاط المستعين بالله بن هود بسرقسطة ، فاشتهر بالموشحات ؛ لوفود عليه الشاعر الوشاح أبو بكر بن الكميث بن الحسن البطليوسي . من مقاطع الموشح تغني فتاة بحب فتى أسمر قائلة:

شدوته معلمنا كخود تغنيه

نون كرنون أن خلال إلا الفتى السمرال

يبدو إقبال الأندلسيين على الفن الغنائي كان إقبالا ليس فيه استنكار أو تأثم كبير، رغم أن المذهب الفقهي السائد هو المذهب المالكي و هو أشد المذاهب الفقهية في تحريم آلات الموسيقى. [3] و من الدلالة على عدم التحرج و سماع الغناء والإعجاب به بعض شواهد على ذلك منها ، قصة قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى الذي سمع جارية تغني عند بني حدير :

"طابت بطيب لثائك الأقداح و زهت بحمرة خدك التفاح"

فكتب القاضي الأبيات في يده و خرج للصلاة على جنازة وكبر للصلاة هي مكتوبة على باطن كفه. [4]

مثلما حدث مع الفقيه ابن عبد ربه مع الجارية "مصابيح " السالفة الذكر. و أورد ابن حزم خبر رجل مشرقي دخل الأندلس ، وسكن قرطبة على شاطئ الوادي ، وكانت له جارية مدنية طيبة الصوت تقرأ القرآن و تغني ، فدعا قاضي المدينة ابن السليم فأسمعه قراءتها و غنائها. ويصف ابن حزم مجالس الغناء و يذكر ما كان يردد فيها من شعر و يصور شدة تأثره بما كان يسمعه. و ربما قلة التشدد في سماع الغناء ساهم في شيوع هذا الفن في أوساط المجتمع الأندلسي. و يذكر

---

[1] إحسان عباس ،أخبار الغناء ، ص12؛ انظر عن الجواري الفصل 3،

[2] أنظر إحسان عباس ، نفسه ، ص ،ص 13، 15،14، 16.

[3] ابن عبدون، الرسالة الأولى في الحسبة ، ص 54 ؛ عياض، ترتيب المدارك، ج2،ص 86؛

[4] ابن حزم ، الرسائل ،ج2 ، ص222. الحميدي ،جذوة المقتبس، ص 48؛ عياض،المصدر السابق ، ج2،ص89؛ دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص285.

التجيبي - و هو شارح المختار من شعر بشار - حينما كان يمرض في مالقة ، أنه كانت تخفق حوله في الليل أوتار العيدان والطنابير و المعازف من كل ناحية .[1]

اشتهرت مجالس الموسيقى و الطرب لدى خلفاء و الأمراء و لم تنفصل عن مجالس الشرب و اللهو التي تعتبر مكملة لها ، و قد تتحول بعض المجالس إلى خراب إذا حل به سخط الله عزّ و جلّ مثلما حدث للأمير أبو عثمان سعيد بن الخير بن الحَكَم الذي انهارت على مجلسه الستارة السامية- وهو ما يعرف" بأوركسترا الغرفة حاليا" - التي بناها و علاها و خصصها للهوه. فخر المجلس على ما كان فيه من نسائه و خدمه. و حصيلته موت كل من كان فيه ، منهم 14 من جواريه ، ولم ينجو من هذا الحادث سوى الأمير و جارية اسمها " **منتهى المنى**" أم ولده مروان. لكن يبدو أن هذا الأمير لم يعتبر بما حدث له لشغفه بالغناء ، فقد عوضه أخوه ما ضاع منه و خلف له بكل جارية ضاعت اثنين أي 28 جارية في المجموع.[2]

و هذا ما يفسر الأعداد الضخمة للجواري المملوكات في القصور و التي اختصت في الثقافة الترفيهية فقط وحتى في فترات الصعبة مثل فترة الفتنة القرطبية في الربع الأول من القرن 5ه/ 11م لم ينقطع هذا النوع من مجالس اللهو والخمر التي تضم مجموعة من الجواري منهن المغنية و الراقصة و الساقية والخادمات و الغلمان؛ في وقت كان الناس في المحنة و الموت ، لم تنقطع مجاس اللهو و الغناء.

أما في القرن 5ه/11م و ما يليه فقد اهتم ملوك الطوائف بالموسيقى و الغناء بوجه عام بشكل منقطع النظير . فإن كان ملوك الطوائف يتطاحنوا في النهار على المجال الحيوي ،فإن مجالس الأنس و طرب القينات كانت متنفسهم في الليالي. واشتهرت مدينة إشبيلية على مدن الأندلس بالفن الغنائي حسب ما قيل عن ذلك : " إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، و إن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية" .[3]

فما هو حال المرأة المغنية – القينة- و الراقصة و الساقية في مجالس اللهو الأندلسية؟ إن كل أنظار و أسماع و نفوس الحاضرين في مجلس اللهو متعلقة بالقينة بالدرجة الأولى. وليس مستبعد عنها إذا غنت طربت البعض و استنفرها البعض الأخر! فالغناء الهادف إما يطرب أو يغضب ، أو يرفع أو يضع مكانة

---

[1] إحسان عباس،أخبار الغناء،ص، 16، 17؛ دويدار المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 287.

[2] ابن حيان ، المقتبس، تح مكي ، ط، 1971، ص 224.

[3] راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص77، محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلامية في القرن 5ه/ 11م، ص 320.

القينة. و أحسن مثال على ما سبق ذكره عن الجارية المغنية " مرجان " و فاطمة الحرة سيدة قصر عبد الرحمان الناصر، و كيف استطاع غناء "مرجان" أن يخدر قلب سيدتها الحرة زوجة الناصر و بنت عمه و تغتر بمنزلتها و قرابتها للناصر، فباعت لها ليلتها التي دفعت مقابلها ثمنا غاليا و أبغضها الناصر طول حياتها إلى أن توفيت..[1]

كما لقيت الجارية المغنية التي دست في مجلس أنس المنصور محمد ابن أبي عامر حتفها ، و أخرج رأسها في طست لمن أعجب بها، لما لمحت بغنائها للسيدة صبح.[2]

أما أنس القلوب و كانت أيضا جارية عند المنصور بن أبي عامر و حملت اسما لطيف فذاع صيتها . و في أحد مجالس الشراب بعد أن دارت الكؤوس غنت أنس القلوب بحضور سيدها المنصور :

قدم الليل عند سير النهار   و بدا البدر مثل نصف سوار

فكأن النهار صفحة خد   و كأن الظلام خط عذار [3]

و عندما أنشدت أغنيتها هذه أعجب بها أبو المغيرة [4] عبد الوهاب بن حزم * . وكان حاضرا فارتجل على الفور أبياتا بعد أن عرف المعني بالأبيات:

كيف كيف؟ الوصول للأقمار   بين سحر القنا و بين الشفار

لو علمنا بأن حبك حق   لطلبنا الحياة منك بثار

و إذا ما الكرام هموا بشيء   خاطروا بالنفوس في الأخطار

فلما سمعه المنصور بن أبي عامر غضب و أراد أن يقتل الجارية ، لكنها بكت. فأمرها بالاعتراف و قال: قولي و اصدقي إلى من تشيرين بهذا الشوق و الحنين ؟

---

[1] ابن حيان ، المقتبس، ج5، ص11،10.

[2] انظر قصتهما فيما سبق.

[3] المقري، نفح الطيب الطيب،ج 4 ، ص284 ؛ رضا كحالة ، أعلام النساء، ج1 ،ص97-98-99.

[4] عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص161.

*أبو المغيرة: عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمد بن حزم و هو ابن عم ابن الفقيه ابن حزم الظاهري (ت 456) . وكان من المتقدمين في الشعر و الآداب و البلاغة. و كان شاعرا وجدانيا فحلا مكثرا غير أن شهرة ابن عمه غطت عليه فخمل ذكره.. ولد بقرطبة. و هرب إلى بلاد الثغر (شمال الأندلس) وتوفي بطليطلة في سنة 420هـ /1029م . الحميدي، جذوة المقتبس ، ترجمة رقم 658 ، ص461.

فقالت الجارية: " إن كان الكذب أنجي فالصدق أحرى و أولى، و الله ما كانت إلا نظرة ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لساني و برح الشوق بكتماني، و العفو مضمون لديك عند المقدرة، و الصفح معلوم منك عند المعذرة. ثم بكت عذرة. ثم بكت فكأن دمعها درر تناثر من عقد أو طل تساقط من ورد. [1]

إن أنس القلوب أبدت ذكاء مفرطا، فهي على ما يبدو موهوبة فطنة، سريعة الخاطر. سخرت شاعريتها بذكائها فاستطاعت أن تصل إلى من تبتغي و تحقق آمالها .. دون عناء .

و لم يصل إلينا من شعرها إلا تسعة أبيات، ثلاثة منها نسبت إلى أبي المغيرة و قد وضعها على لسانها. لقد اعتدت الجارية بنفسها بحيث أصبحت تستغل الشعر للإفصاح عن عاطفتها و غرامها، و تتخذه وسيلة للغناء و لتصوير جمالها و ما أوتيت من سحر فتنة، لتقتنص قلوب الرجال و تدعوهم للإعراب عن اقتناعهم بمواهبها .[2]

و **"غاية المنى"** جارية أندلسية متأدبة. لبيبة، تقول الشعر و تحسن المحاضرة و الغناء [3]. **و** متخرجة في فنون الغناء، لها صوت حسن و صنعة جيدة بالأصوات، و كان أكثر غنائها من أصوات عريب [4]. لذا رجح أحد الباحثين على أنها من مولدات المشرق، لغنائها من أصواتهم. لكننا نراه مغاليا في نسبتها للشرق بسبب تأثرها بمطربيهم -(عريب) كما أن **عريبا** كانت من مطربات القرن الثالث الهجري - . و غاية المنى عاشت ضمن فترة القرن الخامس الهجري، لأنها عاصرت المعتصم بالله أبا يحيى محمد بن معن بن صمادح المتوفي سنة (484هـ /1091م).

إن هذه الشاعرة أندلسية لكنها- قد تأثرت بأصوات زرياب بعد أن ترك أكثر من مائة لحن. و أضاف إلى العود الوتر الخامس .. و قلده الأندلسيون و تأثروا به و منهم الجارية غاية المنى و لو أنه في الأصل لم نتمكن من الوصول إلى درجة تأثرها سواء كان التأثر بعريب أو بزرياب؛ لأننا لم نحصل ولم نطلع على أية أغنية من أغانيها. عندما سيقت غاية المنى إلى المعتصم بن صمادح و كانت، لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة. أمر باختبار ذكائها، و طلب أن تحمل إلى الأستاذ

---

[1] رضا كحالة، أعلام النساء،ج1 ،ص97-98-99 ؛ خليل جمعة، نساء من الأندلس، ص 153، 154؛ عبد الهادي التازي ، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 153.

[2] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ص 249 ؛ خليل جمعة ، نساء من الأندلس ،ص 155، 156.

[3] المقري، نفح الطيب،ج 4، ص 286 ؛ رضا كحالة،المرجع السابق، ج4 ص5 ؛عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 151.

[4] زيب الفواز، الدر المنثور، ص355.

ابن الفراء الخطيب و كان كفيفا. [1] فلما وصلت إليه قال: ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى، فقال أجيزي:-

سل الهوى غاية المنى　　　من كسا جسمي الضنا

فقالت تجيزه:

و أراني متيما　　　يقول الهوى أنا

فحكى ذلك لابن صمادح ، فاشتراها بمائة ألف درهم، و كانت محظية عنده إلى أن ماتت[2]. و لم تذكر سنة وفاتها. إن هذه الجارية الشاعرة المغنية. السريعة الخاطر لم يقع بين أيدينا من آثار شعرها سوى هذا البيت اليتيم. الذي دل على رقة الشعور و رفاهة الإحساس و خفة الروح و قوة الظرف. و لابد أن يكون لها شعر آخر، و لا ندري ماذا حل به ؟ و أين ذهب انتاجها ؟

و منهن العوادة **"هند"** و هي جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي التي كتب إليها أبو عامر ابن يَنّق* يدعوها للحضور عنده بعودها :

يا هند هل لك في فتية　　　نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا　　　نغمات عودك في الثقيل الأول

فكتبت إليه في ظهر رقعته:

يا سيدا حاز العلا عن سادة　　　شم الأنوف من الطراز الأول

حسبي من الإسراع نحوك أنني　　　كنتُ الجواب مع الرسول المقبل [3]

و هكذا يبدو إسراع **هند** تلبية الطلب نظرا لتعودها على حضور مجالس الأنس وبراعتها في استعمال العود. وكان بعض أمراء المرابطين لا يجدون غضاضة

---

[1] ابن عبد المالك، الذيل و التكملة، سفر 8، ق2، رقم266، ص 488. ؛ و المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص 287؛ رضا كحالة، المرجع السابق ،ج5 ص5؛ بوفلاقة ،الشعر النسوي في الأندلس، ص95، 96؛ منجد مصطفى بهجت، أعلام نساء الأندلس ، ص118.

[2] ابن عبد المالك ،المصدر السابق ، سفر 8،ق2، رقم266، ص 488، 489؛ زينب الفواز،الدر المنثور،ص355 ؛ خليل جمعة ، المرجع السابق، 335، 336. محمد أحمد القضاة، شاعرات الأندلس،ص23 .

* أبو عامر، محمد بن يحي بن محمد بن خليفة بن ينق من شاطبة ، له نشاطات في الطب ، وصنف في الحماسة ، و ملوك الأندلس و شعرائها . توفي سنة 547هـ/1152م. ابن الأبار ، **المعجم في أصحاب القاضي الصفدي** ، تح إبراهيم الأبياري ، دار اكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتان اللبناني ، بيروت ط 1، 1410ه/ 1989م، رقم 145، ص 169.

[3] ابن الأبار ، المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ص 218 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 293، 294؛ منجد مصطفى بهجت،أعلام نساء الأندلس ، ص 122.

في قضاء الليالي بين الغناء و اللهو مثل الأمير ابن تيفلويت صاحب سرقسطة الذي كانت تطربه قينة من القينات المجيدات للشعر و الغناء .[1]

و إن كان المتعارف عليه في مجالس الأنس هو الصحبة إلا أن بعض المغنيات نغصت على بعض السامرين أنسهم. فمن المغنيات من فرقت بين الأحبة ،مثل **عتبة** و هي جارية الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي. قيل كانت جارية سوداء، بديعة الغناء. و في أحد مجالس اللهو و الأنس، وبعد أن سعد ابن زيدون بلقائه مع صاحبته ولادة. غنت " عتبة " و ترنمت منشدة :[2]

أحبتنا، إني بلغت مؤملي و ساعدني دهرى و واصلني حبي

و جاء يهنيني البشير بقربه فأعيته نفسي و زدت له قلبي

فطلب ابن زيدون من عتبة الإعادة ، بغير علم ولادة. فضجرت الأخيرة و ظهر عليها التجهم و غارت غيرة شديدة، بعد أن ظهر لولادة منه ميل إلى الجارية. و كان هذا سببا في نفور ولادة من حبها لابن زيدون .

وقد يحتمل أن البيتين الذين غنتهما "عتبة" صاغهما ابن زيدون لتشدو بهما "عتبة" وصيفة ولادة في خلسات اللقاء. و علق الدكتور إحسان عباس بقوله على أنهما من شعره و ليس ثمة ما يؤكد ذلك ، و لا نعلم أيهم نظم الأبيات و لكننا نعتقد أنها من نظم "عتبة". وإلا لِما لم تخبر "عتبة" مولاتها بأن الأبيات من نظم ابن زيدون بعد أن انهالت عليها ضربا. و ربما وجدتا حلا للإشكال الذي وقع بينهما.[3]

كما كانت الجارية المغنية " بزيعة" التي تدعى "الإمام "سببا في قطع العلاقات بين أميرين و أخوين و هما عثمان بن الأمير محمد و أخوه الضيف إبراهيم ، لما غنت له :

و يفرح قلبي أن أرى الزور منكم و يزداد عندي من أحبكم قربا.

ولما انصرف ضيوفه ، انهال عثمان ضربا بالسوط على الجارية قائلا له أنها تهوى أخوه من خلال ما غنته. وكانت مجالس الأنس تنعقد باستمرار و دون انقطاع ، وفي إحدى المرات دخل إبراهيم على مجلس أنس أخيه عثمان ، فقال هذا الأخير للجارية هاتي كل حسن عندك ، فاندفعت تغني :

لما رأيت مجوه الطير قلت لها لا مرحبا بغراب البين و الصرد

---

[1] المقري، نفح الطيب،ج4، ص 293، 294 .

[2] محمد أحمد القضاة، شاعرات الأندلس ،ص37.

[3] سلمى سليمان علي ، المرجع السابق، ص 252،253.

فقام إبراهيم مغاضبا رافعا صوته: يا أخي ألدخولي تغني مثل هذا؟ فقال له أخوه عثمان : يا سيدي أدبها و اضربها خمسمائة سوط. و كاد يفعل ذلك بهذه المغنية الشقية لولا تدخل أحد الجلساء و الإلحاح عليه في ذلك قائلا له:" لا تهلك الشقية مرتين فقد نالها السوط بسبب غنائها لك منذ أيام ،فلو رمتك بالحجارة ، لكانت معذورة .فاستدرك غيرة أخيه عليه ، و قطع عهدا على نفسه أن لا يدخل داره بعد ما حدث. [1]

ومن المغنيات من أنشدت أبياتا أثارت فيها سخط الحاضرين واشمئزازهم وتطيرهم وتشاؤمهم، وقد ذكر لنا المقري ،أن جارية غنت أمام المعتمد بن عباد بأبيات فوقع في قلبه أنها عرضت بسادتها، فلم يملك غضبه، ورمى بها في النهر، فهلكت والأبيات هي :

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم   ولووا عمائمهم على الأقمار

وتقلدوا يوم الوغي هندية   أمضى إذا انتضيت من الأقدار

إن خوفك لقيت كل كريهة   أو أمنوك حللت دار قرار [2]

وتطير الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه واستحالت مسرته وتجهمت أسرته عندما سمع مغنية تنشد :

إن شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر   فانظر إلى أي حال أصبح الطلل

فتغير وجهه وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت :

يا لهف نفسي على حال أفرقة   على المقلين من أهل المروءة [3]

و لا يستبعد استغلال بعض المغنيات للتجسس في قصورالحكام من طرف المعارضين لسياستهم ، و لما ينكشف أمر المغنية تلقى حتفها ، مثل الجارية التي غنت للمعتمد بن عباد تفتخر بالمرابطين فرمى بها في الوادي.

و لم يقتصر سماع الأغاني في المجال الجغرافي الأندلسي ، إنما انتقل إلى المناطق النصرانية ، فقد حدث تاجر الرقيق ابن الكتاني :" أنه شهد مجلس غناء عند بنت شانجة ملك البشكنس زوجة شانجة بن غرسية ، و رأى في المجلس عدة قنيات مسلمات من اللواتي وهبهن المستعين (سليمان بن الحكم) لشانجة أيام

---

[1] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح العربي، ص92.
[2] ابن القوطية ، نفس المصدر ، تح عبد الله أنيس ،ص141
[3] المقري، نفح الطيب،ج 4، ص 94.

إمارته بقرطبة ، و أن بنت شانجة أَوْمأت إلى جارية منهن فأخذت العود و غنت [1] بهذه الأبيات معبرة عن أشواقها:

خليلي ما الريح تأتي كأنما — يخالطها عند الهبوب خلوق

أم الريح جاءت من بلاد أحبتي — فاحسبها ريح الأحبة تسوق

وهذا دليل على ما مدى ما بلغه الغناء العربي في بيئة غير عربية ناهيك على انتشاره في البيئة الأندلسية.

أما الفئات العامة في الأندلس فقد أوجدت لنفسها أغاني بلغة الدارجة و كانت ترددها في الأعياد و الأعراس و في مواسم قطف العنب و الزيتون و غيرها من المناسبات . و يبدو أن القرابة بين هذه الأغاني " العامية" و الأغاني " الأعجمية " كانت وثيقة في ألحانها و طرق إنشادها مما ساهم في توسيع دائرتها في كل أوساط سكان الأندلس .[2]. فمثلا تتشكل المجوعات الغنائية في أعياد الميلاد من الرجال والنساء و الأطفال نواة للبهجة ، و هم يستخدمون آلات متعددة منها الأجراس والقيثارة و الدف و آلات الإيقاع بكافة أنواعها بما في ذلك الإستعانة بالأدوات المنزلية مثل "المقلاة" و الزجاجات الفارغة في مشهد مثير يندمج فيه المتفرج بالتصفيق و الهتافات الحماسية [3].

ومن الطبيعي أن تثير القيان الفرح والسرور بنفس السامع وربما أثرن الحنين والشجون، ومن ذائعات السرور بأصواتهن يقول التطيلي :

وقد حسدتك القيان الحنين — فهلا حسدت السرور القيانا

ويبدو أن التطيلي شغف بحب القينة "**الذيذة**" وأنها تركته لعذابه بين غليان فؤاده وانسكاب دموعه وقد تغزل بخال لها ولا ندري هذا الخال كان طبيعيا أم وضع لزيادة الجمال والحسن تماشيا مع متطلبات القيان وقد اعترف بحبه لها وكان يكنيها **بأم الوفاء** . وتظهر لنا صفات القينة المثقلة في الحب، الجافية. [4]

وقد اكتملت صورة المغنيات عند ابن حمديس فظهرت محاسن أجسامهن وأصواتهن وزينتهن حيث تزين بأثمن الأحجار وقد خضبن البنان وانشدن أحسن الألحان فجاءت صورتهن تسر الكئيب. ومنهن من امتازت بجمال نادر كبياض البشرة وصفائها مع احمرار وجناتها، ورشاقة قدها وطول قامتها فظهرت صورة رائعة في الحسن وفيها قال بن فتح التبهرتي :

---

[1] إحسان عباس ، أخبار الغناء ، ص 18.

[2] إحسان عباس، نفس المرجع ،ص 17.

[3] سلوى حفيظ، **تأثير الفلامنكو على الغناء النسائي المغاربي**، المجلة التاريخية المغاربية ، العددان ، 91- 92، السنة 25، زغوان، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، ، ماي 1998، ص 396

[4] سلمى سليمان على ، المرأة في الشعر الأندلسي، ص 144.

الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها هيفاء غير مناص [1]

وربما اشتهرت القيان بجمالهن الفتان مما دعا الشاعر ابن عمار إلى جعل الأغصان تحاكي جمالهن، وإليهن يعود الفضل. وتغزل يوسف بن هارون الرمادي بسواد شعر القيان ومثله قوله في قينة خضبت بنانها وتعطرت:

وأوتار مخضوب البنان كأنما حمام وصبرى حين طل هديله

وقد لعبت القنية **جوهرة** دورا في حياة المعتمد بن عباد العاطفية ويبدو دلالها عليه واضحا فعذابها يلذ له لشدة تعلقه بها يقول :

جوهر قد عذبتني منك تمادي الغضب

فزفرتي في صعد وعبرتي في صبب [2]

وربما كان لجمال القينة أثر في سماعها، يشد صوتها السامع لها أيضا يقول ابن عمار :

نفس إذا عذبتها تهواك ويهزها طرب إلى لقياك

عجبا لهذا الوصل أصبح بيننا متعذرا ومناي فيه مناك [3]

وبنقل لنا الرمادي صورة المطربة العازفة التي لثمت أصابعها الأوتار لثما وسيطرت على الغناء فجلبت الأنظار إليها قائلا :

تلثم الأوتار منها بنانا يعدل الأفواه إلا الرضاب

تسبق الأبصار من وحي صوت تحسب الترجيع منه انتباها [4]

لقد بدا الغناء في الفترة المدروسة مدعاة للتفاؤل والسعد وبابا من أبواب مدح الملوك والرؤساء والقينة ذات باع طويل في الغناء والعزف والطرب، قد أحسنت الضرب على العود وغنت بصوت شجي رخيم، وربما وضعت لحنا بارعا منتظما، مما جعلها غالية الثمن عالية الشأن سامية المرتبة. أثرت القينة على رجال الدولة في البيئة الأندلسية كما أنها أوحت للشاعر النظم البديع بجمال معانيه وسبك ديباجته وحنو موسيقاه وألحانه، وذلك لأن الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن

---

1 سلمى سليمان على ،نفس المرجع .، ص 145

2 ابن بسام ،الذخيرة، ج3، ص 405 .

3 ابن الأبار،الحلة السيراء، ج 2 ، ص 164.

4 سلمى سليمان على ، المرجع السابق ،ص 147.

مصالح الجسم. ولذا حظر أبو الوليد اسماعيل بن فرج في دولة بني الأحمر ،تجلي القينيات للرجال في الولائم و الاحتفالات ، و قصر طربهن على جنسهن فقط.[1]

يمكن أن نقول أن الشعر الأندلسي مدين للمرأة الجارية، سواء أكانت مغنية أم راقصة أم ساقية .و قد رامت إليه القينة بما اكتسبته من موهبة وفطنة وإتقان في الصنعة ، والجودة في الغناء ووضع في الألحان، واختيار المعنى ونظم الأشعار والضرب على العود، بحس مرهف شجي. و بالمقابل لم يشار إلى المغنية النواحة أو ما يسمى بغناء النواح .

لقد شغف الأندلسيون بالمغنيات واغرموا بالموسيقى والرقص والغناء و ما رافقه من طرب ، ولم تقتصر انعقاد مجالسهم على قصور الملوك بل شملت عامة الناس ، وخلد فن الرسم بعض مشاهد مجالس الأنس و الطرب و منها ما يوجد على صندوق من الخشب محفوظ بدير سانتا ماريا دي أويرتا من القرن الثامن الهجري ، تكسوه رقائق من العاج و يزدان أحد جانبيه الكبيرين برسم داخل أقواس مفصصة يمثل أحدهما منظر عوادة متربعة تمسك عودا و تلعب بأوتار ، و الثانية تمسك قانونا .

وفي نفس الفترة الزمنية وجد صندوق خشبي في كاتدرائية سمورة ، رسمت على كل جانبيه الكبيرتين صورة عوادتين تعزفان على العود . و إلى جوار كل عوادة قارورة نبيذ . أما الجانبين الصغيرين فيزدان كل منها بصورة رجلين بينهما قارورة نبيذ، و على جانب من الغطاء صورة امرأة تعزف على القانون.[2] وما يزال يحفظ لنا التاريخ مرثية الثلاث الآنسات المسلمات – las tres morillas – عائشة و فاطمة و مريم.[3] . لقد ظلت المرأة هي الحامل الأساسي لجزء من الذاكرة الشعبية و لذا قيل في هذا الصدد" إن فن اللهو و الموسيقى و المرأة هو الثالوث الباقي حينما تندثر الحضارات ."[4] أو بالأحرى هو الثالوث المدمر للحضارات.

الرقص :

---

[1] أحمد محمّد الطوخي ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، 36.

[2] سالم ، بحوث، ص 472؛ Pérès Henri : La poésie ,p377.

[3] و الأغنية من كلمات العباس بن الأحنف غناها في بلاط هارون الرشيد و نقلها زرياب إلى الأندلس و انتقلت إلى بلاط المستعين بن سليمان في قرطبة في 408هـ/ 1017م فعارضها بمقطع مغاير لها. سلوى حفيظ ، تأثير الفلامنكو، ص 401 .انظر الأغنية في الملحق رقم، 14 .

[4] سلوى حفيظ، نفس المرجع ،ص 402.

شاركت الجارية في الاحتفالات العامة بالرقص والغناء . و كثرت الراقصات المشهورات بجمال الطبع وحسن الصنعة و الحذاقة، باللعب بالسيوف وبلغن في إتقان الرقص وسرعة الحركة التعبيرية والإدلال بها ما لم تبلغه أختها المشرقية. كما شاع الرقص التعبيري الذي أشبه ما يكون بالرقص التمثيلي، ذلك ما جاء به ابن حمديس في وصف مغنية ترافقها الراقصات وهن يتلوين كالأفاعي دلالة على تمكنهن في هذا الفن وكن يشرن بأملهن إلى كل عضو، فإذا ذكرت المغنية دمعا يشرن إلى العين وإذا وصفت وجدا أشرن إلى القلب، فجسد تذلل المحب وتذلل المحبوب في حركاتهن، وما يحل بالعاشق والمعشوق من تعذيب الهوى، يقول :

توافق بالرقص أقدامهن يطأن بها نغمات الذنوب

يشرن إلى كل عضو بما يحل به في الهوى من كروب

ومثله قوله في الرقص التعبيري :

وراقصة بالسحر في حركاتها تقيم به وزن الغناء على حد

منغمة ألفاظها بترنم كسا معبرا من عزة ذلة العبد

وتحسبها عما تشير بأنمل إلى ما يلاقي كل عضو من الوجد [1]

وربما لبسن الملابس الطويلة ذات الطيات الكثيرة ونثرن العطور الثمينة وقد تكون من المسك ، فعند حركتهن تفوح رائحة زكية وفي وصف مثل هذا المشهد الراقص يقول :

ومن راقصات ساحبات ذيولها شواد بمسك في العبير تنضح

كما جررت أذيالها في هديلها حمائم أيك أو طواويس تبذخ [2]

وليس مفروضا أن تكون الراقصة من الجواري الحسان ، فمن الممكن جدا مزج بين الجميلة و القبيحة في مجلس واحد . وصفهم الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال بما يلي:

و ليلة طولها علي سنة بات بها الجفن نادبا و سنه

بأربع بينهن واحدة كسيئات و بينها حسنة

و من أمثلة ذلك ضم أحد مجالس اللهو راقصات قباح الوجوه ، فقال الأديب بن أبي الخصال:

جاء علي بملهيات للهم و القبح جامعات

---

[1] سلمى سليمان على ، المرأة في الشعر الأندلسي.، ص 150.

[2] راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص77

لم يلتفت نظري إليها   إلا تذكرت سيئاتي [1]

ويبدو أن الغناء المصحوب بالرقص قد شاع في المجتمع خاصة في عصر الطوائف و ما يليه من عهود حيث كانت مجالس الأنس والطرب تلتف حول القينيات تخص بغناء الأشعار، التي اشتملت على المدح ووصف القصور والحدائق ومجالس الشرب في الولائم و قد نهى ابن عبدون الراقصات من كشف رؤوسهن. [2] و استمر هذا الفن في التطور بعد أن وضعت أصوله وأرقامه الموسيقية، ودخلت بعض الألحان من الفرس والرومان واليونان وما زاده زرياب في أوتار العود وترا خامسا اختراعا منه، وحفظه لعشرة آلاف صوت من الأغاني بألحانها مع التشجيع المادي و المعنوي الذي أنيط بهذه الثقافة الترفيهية.

ولم تقتصر مجالس اللّهو على الانعقاد في القصور و الدور، بل تعدته إلى الأماكن العامة من متنزهات و حدائق و أنهار. و لا يستبعد أثر طبيعة الأندلس في إثارة غريزة الأندلسيين و حبهم للهو و الطرب حيثما حلّوا ، و لذا فقد تشعب عن الملاحة النهرية الترفيهية بالأندلس ظواهر اجتماعية و ثقافية من قبيل معاقرة الخمر واصطحاب الجواري الملهيات في رحلات انتظمت على طول مجاري الأنهار الكبرى منها الوادي الكبير و الذي من أعظم مراسيه ، مرسى إشبيلية .

و وصف بعض الشعراء تلك الرحلات التي اعتدوا المشاركة فيها نهارا و ليلا. ولم تثني ظلمة الليل عزم بعضهم عن ركوب الزوارق و معاقرة الخمر إذا استعانوا بإيقاد الشموع طيلة الرحلة و كانوا يصطحبون معهم العبيد و القيان إلى جانب خدمة المركب. [3] و قد نهت كتب الحسبة النواتية عل أن لا يجوز امرأة يظهر عليها سمة الفجور و يجب أن يعرف بها الأمين على الوادي.[4] كما نهيت النساء من الجلوس على ضفة النهر في فصل الصيف ، إذا ظهر الرجال فيه. [5]

و من أثار الغناء الباقية و الذي ما يزال محفوظا على شكل الفن التشكيلي في لوحة من العاج كانت في الأصل لأحد الجانبين العريضين لصندوق من العاج يحتفظ بهما اليوم متحف المتروبوليتان بنيويورك ، تمثل مناظر الرقص و اللعب بالسيف . ويظهر من خلال شجرة الحياة تتوسط راقصا و راقصة يلعبان بالسيف لعبة الديك . وتغطي اللاعبة رأسها بخمار ، و تنحني

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة ، ج3، ص ص 517، 518، 519.

[2] ابن عبدون ، الرسالة 1 في الحسبة، ص 51؛ إبراهيم القادري بوتشيش ، **أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط دولة الإسلام بالأندلس** بحوث ندوة الأندلس الدرس و التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية 1414ه/1994م، ص 32، 33.

[3] عبد السلام الجعماطي : **دراسات في تاريخ الملاحة البحرية و علوم البحار بالغرب الإسلامي،** دار الكتب العلمية ، ط 1، بيروت 2012، ص 137.

[4] ابن عبدون ،الرسالة 1 في الحسبة، ص 56، 57.

[5] ابن عبدون ،نفس المصدر ، ص46.

بساقها الأخرى حتى تكاد تلمس الأرض ركبتيها على النحو المعروف في رقصة الدبكة اللبنانية. [1].

و من الرقصات ذات الملامح العربية الموجودة ، رقصة الخوتا -Jota- عرفت منذ القرن التاسع الميلادي تحت حكم الأمويين بالأندلس. و أول من ابتدعها هو موسيقي عربي يدعى " ابن خوتا " من مدينة بلنسية. و في رقصة "الخوتا" يتقابل الراقص و الراقصة وجها لوجه ، و تؤدى على شكل دائري و يلتف على إثرها عازفو القيتار و الدفوف و ما تزال متداولة في المواسم و الأعياد. [2]

أما رقصة " الفندنجو – Fandango- هي في الأصل من روما لكنها ازدهرت في عصر تشجيع الحكام الأمويين للموسيقى و اهتمامهم بها و ما تزال متداولة لحد الآن في منطقة الباسك الإسبانية . [3]

السقايـــــة:

كانت تصطفى الساقية في الأندلس من بين الجواري الصبايا الشابات الموسومات بالجمال الخلاب الفاتنات الساحرات ذوات القدود الممشوقة الهيفاء والبشرة الصافية البيضاء، مع توافر القابلية والتمكن من الخفة والذل والغنج . وغصت مجالسهم بالأنس والطرب والخمور وكانت تتألف الجارية الساقية بينهم، ومنهن من كابدت السهر مع الندماء وجالستهم وسهرت على راحتهم وخدمتهم، ويظهر أنها تربي منذ نعومة أظفارها على ارتياد مجالس الخمر فتألف السهر إلى ساعة متأخرة، تلك هي الساقية **أسماء** الطفلة الصغيرة العجيبة الخلق قامت طول الليل تسقي الندمان . [4]

أفدى أ سماء من نديم — ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها — وهي لعمري من العجائب

---

[1] عبد العزيز سالم، بحوث.،ص 73. هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى من الرقص التي عرفتها الأندلس و ما تزال بعض ملامحها إلى حد الآن. و تعتبر إسبانيا البلد الأوروبي الذي يتمتع بعدد من الرقصات ، حتى كاد أن يقال : إذا كانت فرنسا هي مرضعة الرقص ، فإن اسبانيا هي الأم الحقيقية له. سلوى حفيظ : المرجع السابق، ص 390 ، 396 . و أن الرقص الأندلسي هو الرقص التقليدي الوحيد الذي لا يزال يمارس اليوم و من أشهرها ، رقصة الفلامنكو flamenco. سلوى حفيظ، تأثير الفلامنكو ، 399.

[2] سلوى حفيظ ، نفس المرجع ، ص 397.

[3] سلوى حفيظ ، نفسه ، ص 397.

[4] المقري، نفح الطيب، ج3، ص244؛ راوية عبد الحميد، المرجع السابق، ص.52

قالوا تجافى الرقاد عنها   فقلت : لا ترقد الكواكب

ولمكانة الجارية الساقية، أكثر الشعراء من وصفها وتغزلوا بها حسيا فجاء وصفهم لحمرة خدها وتورده ، وهيف قدها ورشاقته .

وتطالعنا ساقية أخرى ، نجدها ساقية للقهوة وليس للخمر ويظهر أن القهوة كانت تدار في مجالس أنسهم أيضا، لأن هذه الصبية الصغيرة الشقراء، أرعبها لمع البرق، لحداثة سنها فقال فيها المعتمد :

ريعت من البرق و في كفها   برق من القهوة لماع

يا ليت شعري وهي شمس الضحى   كيف من الأنوار ترتاع [1]

وكانت مجالس الأنس محفزا من محفزات وصف الساقية والتغزل بها، ويبدو للساقي أثر على النديم وللمنادمة حق، وقد يطيب المدام بطيب المدام. وقد تفننت الساقية بمظهرها ولباسها ومشيتها وطريقة تصفيف شعرها، فنجد صورة لعذراء شقراء لبست ملابس صبية وعرقبت شعرها ووضعته على صدغها وفيها يقول ابن شهيد :

وريب قام فينا ساقيا   كالرشا أرضع بين الربرب

صبية دون الصبايا قصصت   فأتت غيداء في شكل الصبي

فتح الورد على صفحتها   وحماه صدغها بالعقرب

فمشت نحوى وقد ملكتها   بمشية العصفور نحو الثعلب

ويصور لنا ابن حمد يس صورة حسية حية لساقية تظهر يدها وكأنها فم يتكلم قائلا :

يا حسن ساقية تمد أنا ملا   بعروس راح في عقد حباب

تسقيك شمس سلافة عنبية   طلعت على فلك من العناب

وكأنما يدها فم متكلم   بالسحر فيه مقول المضراب

ولا يقتصر السقاة على النساء وحدهن، بل كان بعض الغلمان يقومون بهذه المهمة الماجنة .

---

[1] ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج2 ، ص 10

و نجد المعتمد بن عباد شرب كأسه في صحبة جاريته **"وداد"** ربما كانت ساقية في مجالسه ، وقد شكا من جفائها ، فشرب الكأس وتذكرها قائلا :

اشرب الكأس من وداد ودادك   وتأنس بذكرها في انفرادك

قمر غاب عن جفونك مرا   ه وسكناه من سواد فؤادك [1]

كما كانت للجواري وظيفة إدارة حانات الخمور، في ذلك قال ابن اللبانة المتوفى (507 هـ/1113م) :

ولرب ربة حانة نبهتها   والجو لؤلؤ طله قد رضرضا.

و يبدو من خلال الشواهد التاريخية أن هؤلاء الشغوفين بمجالس الأنس و اللهو ضربوا عرض الحائط كل القيم الأخلاقية و الإنسانية و استغلوا الجواري على نطاق واسع في وظائف مختلفة دون مبالاة بالظروف الصحية و النفسية للجارية و القيم الأخلاقية . و غضوا النظر عن سن الجارية التي تكابد الليالي الطوال في خدمة الساهرين . فضم مجلس اللهو عدد كبير من الجواري منهن المغنية في مقدمتهم ـ القنيةـ و الراقصة و الساقية و الزامرة و العوادة، والغلامية .[2]

وتظهر صورة الجارية الغلامية واضحة عند بعض الشعراء ، فيصورها بملابس الصبايا الغلمان وقد وضعت خالا أسود من المسك على خدها وخطت شاربا أخضر فوق فمها الصغير وشعرها الذي أكسب مشطها المصنوع من العنبر رائحة عطرة بعد أن ضمخته بالطيب .[3]

و هكذا فقد تعددت وظائف الجواري في مجالس الأنس و الطرب و لذا قيل ، إن فن اللهو و الموسيقى و المرأة هو الثالوث الباقي في انداثر الحضارات. و إن يبدو واقعه في الأندلس عكس هذه المقولة لأن هذا الثالوث هو من بين العوامل المدمرة لحضارة الإسلام في الأندلس. فقد اشتهرت بعض المدن الأندلسية بكثرة الملاهي وأماكن الدعارة مثل " بُرْشانة" فقيل عنها مدينة المجون بها بسوق و للفسوق ألف سوق . و على وجوه نسوانها طلاقة ، و في ألسنتهم ذلاقة و لهن- بالسفرة في الفقراء- علاقة [4]. و مدينة " أبدة" التي عرفت بملاهيها و راقصاتها . أما إشبيلية فكانت مضرب الأمثال في الخلاعة. [5] و انتشرت عدة عادات

---

[1] محمّد أسعد صبحي ، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص89.

[2] عبد العزيز سالم ، مباحث، ص 71.

[3] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي، ص153، 154.

[4] ابن الخطيب لسان الدين، معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار ،ص 59.

[5] المقري، نفح الطيب،ج 1 ، ص 311؛ و، ج3 ص 217 .

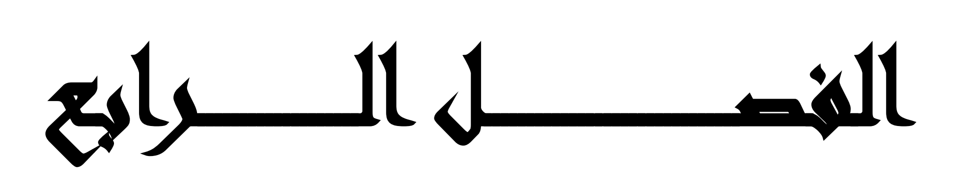
أخلاقية سيئة على مستوى الخاصة والعامة إلى هامش مجالس الغناء و الطرب و معاقرة الخمر حتى في أحلك اللحظات .

رغم كل جهود الفقهاء و العلماء و المحتسبين في ردع مفاسد الخمر و الغناء و ما انجر عليهما من تدني أخلاق و سلوك الناس. و في ذلك قال ابن عبدون : " و بالجملة فإن الناس قد فسدت أديانهم ، إنما ... الدنيا الفانية و الزمان على أخره. و خلاف هذه الأشياء هو ابتداء الهرج ، و داعية الفساد ، و انقضاء العالم . و لا يصلح هذه الأمة إلا نبيّ بإذن الله ، فإن لم يكن زمن نبيّ فالقاضي مسؤول عن ذلك كلّه".[1]

ويبدو أن هذا الوضع الذي اتسعت دائرته منذ مرحلة الطوائف و هو الذي كان موضوع دراسة و تحليل الأدباء و الشعراء المعاصرين و اهتموا بإبراز دور المرأة و حريتها في المجتمع . و غضوا في معظمهم الطرف عن مرحلة الخلافة حيث التزمت معظم النساء بالحشمة و الآداب . و لم تشهد المرأة انفلات أخلاقي إلا بعد تفكك الوحدة السياسية للأندلس و سقوط قرطبة في 422ه/ 1031م . فازدادت فمظاهر اللهو انتشارا في المجتمع و لم تبق مقتصرة على المجالس في القصور و الدور،إنما تعدته إلى مجالس على ضفاف الأنهار و في المنتزهات و أماكن الاستجمام ... و حتى في المقابر ! و لهذا اعتبر الفساد الأخلاقي و الوهن النفسي من كثرة اللهو و تراجع الوازع الديني هما من الأسباب المساهمة في سقوط الأندلس .

---

[1] رسالة الأولى في الحسبة، ص60.


الفصل الرابع

إسهام المرأة في الحياة الإقتصادية و مكانتها في الفكر الأندلسي ماضيا و حاضرا

أولا: الإسهام المرأة في الحياة الإقتصادية

- مصادر الثروة المالية للمرأة الأندلسية.
- النشاط الاقتصادي للمرأة الأندلسية.
- نمـــــــاذج من نساء أعمــال في الأندلس

ثانيا: مكانـــة المــــــرأة في الفكر الأندلسي ماضيا و حاضرا.

- المـــــــرأة في الفكر الأندلسي ماضيا
- مكـــانة المـــــرأة بعد وفاتها
- المــــــرأة الأندلسية في الفكر المعاصر

أولا: إسهام المرأة في الحياة الاقتصادية

1-مصادر الثروة المالية للمرأة الأندلسية

يتبين من خلال كتب النوازل حرص الأسرة الأندلسية على توفير الحياة الكريمة لأفرادها و من بينهم البنت التي ترث أموالا من الغير ، لا يحق لوالدها التصرف في تلك الأموال ،أو الأملاك ، فهي ملك خاص لها.[1] و تشكلت ثروة المرأة من مصادر مختلفة و هي : الهبات و الصدقات و الوقف و الإرث داخل نطاق الأسرة . و كانت تمنح من طرف الأب إلى بنته أو بناته أو من الأم إلى بناتها أو من الزوج لزوجته. و بذلك امتلكت المرأة الأندلسية المال و العقار الذي خول لها النفوذ الاجتماعي ، لذا يمكن لنا البحث عن مدى تمتع هذه المرأة بحرية التصرف في أموالها و مدى بتحقيقها للاستقلالية مالية عن الرجل حفاظا على مصادر ثروتها ؟.

الهبات:

تطلعنا كتب الفتوى و النوازل على الكمّ الهائل لثروة المرأة و أنواعها، و ما يطرأ عليه من محاولات غصب و استلاب و سبل إنفاقها.

امتلكت المرأة الذهب و الفضة و الحلي من الهبة أو الصداق و نحلة زواج ، ومن ذلك أن رجلا من طلبة العلم أشهد في صحته ذهبا سماه على ابنتيه الصغيرتين، و هبه جدهما هبة لله عزّ و جلّ . كما أوصت امرأة بذهب معلوم لورثتها. وفي إشبيلية وهب رجل اسمه أيوب لابنته المسماة عائشة أموالا وأملاكا . و اشترط الأب في عقد الهبة أنه في حالة وفاة ابنته عائشة الموهوب لها من غير ولد فإن الهبة المذكورة ترجع إلى حفيدته " **أمة الرحمان**" المدعو بقنة

---

[1] الونشريسي، المعيار ، ج6، ص 432. Lagardère Vincent: histoire et société en occident musulman , p 117,218.

بنت أحمد، و إن لم تكن **"قنة"** على قيد الحياة عند موت **عائشة** ، فإن الهبة تورث عن عائشة لمن يحق لها من ورثتها. ووتصدق رجل على بنته بتابوت في بيته يحوي حليا و وثيابا .

و تسجل الهبات في عقود أمام شهود عدول [1]

كما تشمل الهبات الزوجة في عقود مسجلة ، منها ،أن زوج اشترى دارا و وهبها لزوجته بدون أي شرط. و منهم من ساق لزوجته نصف قرية . [2] لكن لا يستبعد أن تقيد الهبة بشرط ،كالذي وهب لزوجته النصرانية دارا بشرط اعتناقها الإسلام ، فأسلمت ؛ وأمثلة أخرى كثيرة . رجلا وهب لابنته –في صحته و جواز عقله- رباعا مكونة من دار و ثلاث حوانيت. وكما اعتنت المرأة بالحفدة فوهبت إحداهن ميراثها في ابنتها لحفدتها بني ابنتها و المتمثل في نصف جنة بغلتها. [3].

الصدقـــــات:

الأب يتصدق عل بناته بالثياب و الحلي و الشورة في صحته**.** و الرجل يقر لزوجته بدار يحملها محمل الصدقة. [4]. و في إحدى وثائق بن العطار تصدق فلان بن فلان على ابنتيه فلانة و فلانة الصغيرات و الأبكار في حجره بجميع الدار التي بوضع كذا بحاضرة كذا بحومة مسجد كذا، بحقولها ومنافعها و مرافقها الداخلة و الخارجة عنها ...صدقة لله عزّ وجلّ. كما تصدق آخر بدار على أبنائه الصغار ولد و بنت خوفا من نوائب الزمن. [5] . وتصدق أب على ابنته الكبرى بأرض مسماة ، وعن طريق الصدقات امتلكت بعض النساء جنات و رباع و قطعان من المواشي [6]

الوقـــــف

كما لجأ بعض الأندلسيين إلى وقف على نسائهم و بناتهم بعض الأملاك والعقارات. و يعد الحبس -أي الوقف- من أهم المصادر المكونة لثروة المرأة . وكان المُحبس يلجأ إلى توثيق ذلك في عقود مسجلة بأسماء الأشخاص المعنيين وأسماء الشهود على ذلك و تضبط بتواريخ تسجيلها.[1] و لذا فكتب الوثائق و النوازل

---

[1] ابن رشد، فتاوى، مسألة 348، ص 1118، مسألة 62، ص 303 ؛كمال السيد أبو مصطفى ، صور من المجتمع الأندلسي.ص 22، 23.

[2] ابن الحاج ،نوازل ، ص 4، 6.

[3] ابن رشد، فتاوى، مسألة 71، ص 323.

[4] ابن بشتغير، نوازل ،رقم 171، ص 250، رقم 178، ص 252

[5] ابن العطار ، كتاب الوثائق و السجلات ، ص 211، 218.

[6] ابن ورد ، أجوبة، مسألة 80، ص 133 ؛ ابن رشد، فتاوى، مسألة 62،ص 303.

[1] أحمد الطاهري ، **الفلاحة و العمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، من نظام التثمير التعاقدي إلى نمط الانزال الاقطاعي،** مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2004، ص 76.

تذكر كثير من حالات الوقف أو الحبس على أفراد الأسرة، ولذا فاستقاء المعلومات منها أولى ؛ مع تبيان ذلك من خلال نماذج منتقاة من بعض المصادر على مر التاريخ الإسلامي للأندلس. و من فوائد التوثيق الحفاظ على الحقوق ، ومن ذلك أن امرأة كانت تجهل ملكيتها لعقار مسجل في الوثائق باسمها.[1]

و في هذا الصدد أن رجلا حبس الأرض على ابنتيه فلانة و فلانة و على بنيها وبني بنيها ما تناسلوا ، فإذا انقرضوا رجعت على الفقراء. و رجل أخر نحل ابنتيه أرضا بتاريخ محدد ، ثم ابتاعت الأختين الأرض و تداولتا الأملاك بينهما. وهذا ما يدل على حرية تصرف المرأة في أملاكها [2]. كما تعد بعض المشاكل أو الظروف الصعبة سببا في استعطاف الآباء على البنات ، ومن ذلك مثلا مرض يصيب البنت فينغص عليها حياتها و لذا يلجأ الأب إلى منحها نصف قرية،و حبسها عليها بشرط على أن لا يتركها زوجها . [3] و هكذا حافظ الأب على زوج ابنته الذي ربما أبدى تضمرا من زوجته المريضة. كما يلاحظ كثرة الأوقاف ذات الطابع العائلي على الأبناء و البنات منها ، من حبس على ابنته و عقبها ضياعا و مستغلات. [4] " و قد احتوت الضيعة على موضع السقي ،و الأرض الطيبة و فيها أشجار التين والزيتون و التوت و أنواع الفواكه و بالإضافة إلى الدور و الأبراج ، تنتج كل عام القمح و الشعير و الكتان وأنواع الحبوب ."[5]

كما تضمن الوقف أنواع من الحلي و الأموال والعقارات والحقول الواسعة [6] ، وأحيانا يتعدى الحبس على البنت إلى أولادها، فمنهم من حبس حبسا مؤبدا على ابنته وعلى كل ولد يحدث له بعدها من ذكر أو أنثى، ثم على أعقابهم وأعقاب أعقابهم [7]. والشواهد على ذلك كثيرة أذكر البعض منها:

أن المسمى محمد بن خليفة عقد في صحته وجواز أمره لابنته **نجمة** الصغيرة في حجره، ولِما يحدث لها من ذكر أو أنثى في جميع الفندق الذي ببطليوس بقرب

---

[1] انظر الملحق رقم 15.

[2] ابن بشتغير، نوازل، رقم 135 ،ص 235 .

[3] ابن ورد، أجوبة ،م 38، ص 100

[4] ابن رشد، فتاوى ،ج 1، ص 164.

[5] ابن الحاج، المصدر السابق، ص 39.

[6] ابن رشد، فتاوى، سفر 3، رقم 610 ،ص 1598 ؛ و سفر 1 م 146 ص 620؛ ابن بشتغير، المصدر السابق ، رقم 172 ص 250، و رقم 173 ص 251.

[7] ابن رشد، الفتاوى، س 1، م 146، ص 620؛ الجزيري، المقصد المحمود ،مج 2، ص399.
Lagardère Vincent: **histoire et société en occident musulman**, p 217
.

ابن رشد، الفتاوى، س 3، مسألة 650، ص 1634.

الصباغين[1]... و رجل أخر أشهد في صحته أن جميع الحلي وثياب داره هبة منه لابنتيه، وهما صغيرتان[2]، ورجل نحل ابنتيه أرضا والنّحلة مؤرّخة.[3]

كما اهتم الأندلسيون بتوفير الدار لبناتهم ، و نلاحظ حرص المرأة الكبير على ضمان المسكن ،[4] و من أمثلة ذلك ما أشارت إليه الفتوى التي تذكر أن رجلا اشترى دارا و سكنها مع زوجه و سجل في العقد أن الدار لزوجته اشتراها بمالها و أمرها .[5] و نظرا لأهمية نجد حتى بعض اليهود انتهجوا طريقة الحبس مثل المسلمين حيث يذكر الونشريسي،" أن يهوديا حبس عقارا على بنته و بعد موتها يبقى حبسا على فقراء المسلمين".[6] ويبدو على هذا اليهودي تخوفه على مستقبل ابنته من أهلها أو انتقاما من ذوي ملته أوقف العقار على فقراء المسلمين الذي ربما كان يجاورهم.

الإرث

إن مسائل و فتاوى الإرث كثيرة نظرا للخلافات الناتجة على اقتسامه بين أفراد الأسر و العائلات . و في معظمها تتمحور حول نصيب المرأة و تصرفها في مالها في الكثير من الأسر الأندلسية الثرية. ومن أمثلة ذلك أسرة بنو الخطاب بن عبد الجبار المولدون في مرسية ،*[7] و التي من مصادر ثرائها العريض يرجع إلى توارثهم لأملاك جدهم من الأم[8] وهي بنت تدمير[9].

[1] ابن رشد، الفتاوى ، س 3، مسألة 650 ص 1634.

[2] ابن بشتغير،المصدر السابق، رقم 173، ص 251، و رقم 175، ص 251.

[3] ابن بشتغير، نفس المصدر، رقم 135 ص 235 ؛ لويس سيكو دي لوثينا ، وثاق عربية غرناطية ، رقم 61،ص 105.

[4] ابن سهل ، ديوان الأحكام الكبرى ، ص 584.

[5] ابن رشد، فتاوى، سفر 2، مسألة رقم 332، ص 1092؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام، مج 2، رقم 256، ص 960؛ الونشريسي ، المعيار، ج 6، ص 476، 478.

[6] المصدر السابق ،ج 7 ، ص 59، 60.

* ينتسبون إلى جدهم الأول عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن تدمير الذي أصهر القمط القوطي تدمير بن عبدوش حاكم إقليم تدمير بشرق الأندلس بزواجه من إحدى بناته. و كان عبد الجبار أحد كبار جند الشاميين الذين دخلوا مع بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس. العذري، نصوص عن الأندلس، ص15.

[7] إن عبد الجبار بن خطاب صاهر تدمير صاحب أوريولة. العذري، نصوص عن الأندلس، ص 15؛ سحر سالم ، الجوانب الإيجابية ...، ص 52

[8] هو تدمير بن عبدوش أو ابن غندريش ،كان قائدا من كبار قواد القوط و أسند إليه حكم "أو ريولة" بشرق الأندلس فيما بعد . و أطلق اسم تدمير على الكورة التي تولى حكمها . العذري، المصدر السابق ، ص 4 ، و كان مهر ابنة تدمير قريتين . إحداهما قرية "ترسة" المجاورة

و أما فيما يخص تقدير حجم الممتلكات، فقد تملك المرأة قرية بأكملها إرثا من ذويها ، مثل ما أثبتته بعض النوازل أن إحدى النساء ورثت قرية كانت لأبيها مالا و ملكا.. كما تشير نازلة أخرى عن تفاصيل إرث لأم ناجية الموسومة **بهيتي** بنت محمد بن حمدون المعافري التي ورثت ممتلكات شاسعة بالجهة الشرقية القريبة من إشبيلية .[1] و من الأمهات من استرجعت أملاكها، فابتاعت من حفيدتها ابنة ابنتها جميع أملاكها التي ورثتها من أمها. كما طالب امرأة أخرى أخيها في أملاك لأبيهما بقرية معينة .[2] و ذكر في مسألة أخرى أنه لما مات الزوج ورثته ابنته و زوجته جميع ما ترك.[3]

و ورثت عائشة أم محمد بن عامر من أملاك زوجها بقرية شتيمة بن خليف من إحدى أقاليم قرطبة مبالغ مالية معتبرة حين باع الورثة جميع الأملاك التي هلك عنها زوجها.[4] أما في عهد بني نصر ، فقد ورثت أم الفتح بنت الشيخ المرحوم أبي القاسم الحناط، جميع الفدان بقرى بسانة من القنب ، والنصف من جميع الفدان بالجباسين من خارج غرناطة ، و نصف أصول الزيتون بينها و بين أخيها ، وجميع قطرة الكرم ببليانة وجميع الكرم بالغروس ببليانة من حوز الكدية بمجاورة أخيها.[5]

كما يظهر حجم ممتلكات المرأة من خلال المقاسمة بين الشركاء من أراضي وأرحاء و حوانيت .[6] و من خلال فتاوى عن الشركة مسألة نزلت في بطليوس في جماعة اشتركت في حمام و منهم إناث صغار و رثوا حصصهم في الحمام عن أبيهم . كما أثبت بعض العقود ملكية المرأة لفندق من خلال عقد حبس لمحمد بن خليفة لابنته **نجمة** الصغيرة و لعاقبها في جميع الفندق الذي ببطليوس بقرب الصباغين ، و أن تصرفه في كراء الفندق إنما هو لابنته نجمة[7]

لمدينة إلش و الثانية هي قرية "بتل الخطاب" التي تبعد عن أوريولة بثمانية أميال.، العذري، المصدر السابق ، ص 15.

[1] نوازل ابن الحاج، ص 7، 8، 9؛ ابن رشد ، فتاوى،ج2،ص1261. أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، ص 68، 69، انظر الملحق رقم 16.

[2] ابن بشتغير ، نوازل ،رقم 37، ص 188 ، و رقم 341، ص 324؛ ابن رشد، فتاوى، ج 1، مسألة 78، ص 280.

[3] ابن بشتغير، المصدر السابق ،رقم 789، ص 506.

[4] ابن العطار ، كتاب الوثائق و السجلات ،ص 22، 23.

[5] دي لوثينا، وثائق عربية غرناطية، ص 105.

[6] ابن العطار، المصدر السابق ،ص 186؛ ابن رشد، فتاوى ، مسألة 64،ص 308.

[7] ابن رشد، فتاوى ، السفر 8، ص 1634، 1635.

و يوجد في شرق الجزيرة مواضع مستملكة عندهم يكتبونها في صدقات نسائهم ، و يبدو أن هذا الأمر أصبح عرفا متداولا لديهم .[1] و يبدو مما سبق ذكره أن الإرث كان يشمل كل أفراد الأسرة الأندلسية وكان يشكل إما عامل قربى و مودة في حالة التراضي بينهم ، و إما عامل تباغضا وقطع صلة الرحم في حالة حدوث عكس ذلك سبب .

ثانيا:النشاط الاقتصادي للمرأة الأندلسية

مارست المرأة الأندلسية حرفا متنوعة وفقا لحاجتها و قدراتها و مهارتها و من تلك الحرف ،الطباخة و الخبازة و الرقامة و اللّبانة و الحجامة و الصرافة و الدلالة والماشطة و المغنية و النائحة و الكاهنة و المعلمة و المستخدمة و عاملة في صناعة في الغزل و نسيج القطن و الصوف و الكتان و في صناعة الطراز ،[2] حتى انتسب بعض الأشخاص إلى الحرف و الصناعات التي كانوا يمارسونها .فلماذا استطاعت المرأة الأندلسية أن تمارس هذه الأنشطة؟

و قد ظهر هذا الانتساب في المجتمع الأندلسي منذ القرن 3ه / 9م، و لكنه كان أوسع تداولا في القرن 4ه/ 10م ،إذ نجد في بعض كتب التراجم و الأدب و التاريخ ألقابا تدل على التسمية بالحِرف و الصناعات فلقب الأديب أبو بكر بن عيسى الداني بابن اللبنة نسبة لولدته التي كانت تبيع اللبن حتى غلب اسم اللبن عليها و نسب أولادها به إليها .[3] أما الأديبة مهجة القرطبية فقد لقبت ببنت التياني لأن أبوها كان يبيع التين في قرطبة[4]. و الفقيه الكاتب أبو بكر محمد بن يحي الشلطيشي المعروف بابن القابلة عاش في عهد دولة بني غانية.[5]

---

[1] العذري، نصوص عن الأندلس ،ص 125.

[2] ابن حزم ، طوق الحمامة ص97؛ ابن عبد الرؤوف،**الرسالة الثانية في آداب الحسبة والمحتسب** ، ص 87.

(جهادغالب مصطفى) الزغلول، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**،ط1 مركز الأفق،أربد،الأردن،1421ه2001م،ص254؛ أحمد شحلان ، الحياة العامة في الأندلس العصر الوسيط، ص 205.

[3] ابن بسام، الذخيرة، ج3، ص 429 ؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 131.

[4] ابن سعيد، المغرب، ج 1، تح شوقي ضيف، ص 143؛ (جهاد غالب مصطفى)الزغلول،المرجع السابق،ص 259

[5] ابن بسام، المصدر السابق ، ج 4، ص 227، ابن سعيد، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 352، 353.

النشــــــاط الفلاحـــــــي:

لعبت المرأة الأندلسية الريفية دورا كبيرا في تنمية المجتمع الريفي ، فإلى جانب مسؤوليتها في رعاية كل أفراد الأسرة ،قامت بدور كبير من أجل توفير الاحتياجات المادية للأسرة ،حيث ساعدت الزوج في العمل الزراعي ، و امتلكت الأراضي الزراعية و مارست الزراعة كشريك للرجال ، وكان لها استقلالها المادي، و تمتعت بحرية التصرف في مالها ، إن شاءت وهبته لزوجها ،و إن شاءت تصدقت. و لقد ترعرعت المرأة الريفية في مساحات خضراء واسعة نظرا لما اشتهرت به الأندلس من سهول خصبة و مناخ ملائم لعدة محاصيل زراعية و أودية وفيرة المياه ، بالإضافة إلى توفرها على ثروة حيوانية متنوعة.

و يتبين من الكتب الفقهية امتلاك بعض النساء لأراض زراعية متفاوتة المساحة ولثروة الحيوانية هامة .[1] و يلاحظ من خلال الوثائق سيادة الملكية الفردية الشاسعة أحيانا في بوادي الأندلس ، و منها نستخلص إنه امتلكت امرأة نصف أرض ، واشترى زوجها النصف الأخر، لكن بعد سنين تشاجرت معه ، و كشفت أمره بأنه اشترى الأرض بمالها و بأمرها .[2]

كما شاركت المرأة في خدمة الأرض ،و منها ما ورد عن قوم ذوي قرابة كانت لهم أملاك مشتركة ،و يحرث كل واحد منهم ما أمكنه على سبيل التوسع ، ويتداولون حرثها و زرعها عام بعام مدة 10 سنين ، و كانت توجد من بينهم امرأة . و لما توفيت هذه المرأة أظهر ابن أخيها عقد صدقتها عليه ، لكي يأخذ نصيبه مع الشركة.[3] و تشير نازلة أخرى إلى طبيعة العلاقة بين صاحب الأرض و المرأة المستأجرة ؛ أن:" امرأة زرعت الأرض في حصة رجل من القرية ،فلما كثر الإنتاج ، أكرت هذه المرأة المزارعة تلك الحصة المتفق عليها لمدة عامين بمبلغ قدر بعشرة مثاقيل.[4]

و خصصت كتب الفقه جانبا هاما لملكية العقارات و التي من خلالها يبرز مدى مشاركة المرأة في النشاط الفلاحي ، و يمكن الاستدل بعض الأمثلة منها على سبيل الاستعراض و ليس على سبيل الاستقصاء. ومن ذلك أن بعض النساء امتلكن الجنان ورباع و أراضي شاسعة محددة المكان و المساحة في عقود

---

[1] ابن القاسم ، المقصد المحمود، مخ ، و 10.

[2] ابن بشتغير، نوازل ، رقم 21، ص 225.

[3] ابن رشد، فتاوى ،مسألة 31، ص 206.

[4] الونشريسي، المعيار،ج 8، ص 166؛ بوتشيش إبراهيم القادري، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي،** بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط1 ، 2002 .ص 38.

الملكية . كما أن بعض النساء تزوجن على عدد مسمى من الأراضي و يبدو على معظمهن أنهن من بنات الوجهاء و الأمراء الفقهاء و القضاة [1].

كما تم عقد الزواج على صداق من ماشية و من ذلك :"تزوج فلان بن فلان الفلاني فلانة بنت فلان على كذا رأسا من غنم –ضأن أو معز – أو بقر أو إبل [2]".

و قد وردت نازلة عند ابن الحاج في امرأة تملك بقرة و أودعتها شريك لها لمدة ثلاثة أشهر ؛لكن الشريك كان يخفى عنها حمل البقرة و ابتاعها منها بثمن زهيد . بعد ثلاث سنوات أصبح الشاري يمتلك ثلاث رؤوس من البقر ،و لما تفطنت المرأة لذلك رفعت دعوى للقاضي الذي أصدر فتوى في شأنها . [3] و تبين من هذه الحادثة كيفية تحايل الرجل على المرأة و استفادته بثلاث رؤوس من البقر لم يتم الاتفاق عليها ، و هذا سلوك هذا الرجل ليس من أخلاقيات المسلم المؤتمن و الصدوق.

في نفس السياق الإشارة لعدة حالات منها : "أن رجلا حبس الأرض على ابنتيه فلانة وفلانة و على بنيها و بني بنيها ما تناسلوا ، فإذا انقرضوا رجعت على الفقراء". وامرأة تطالب من أخيها حقها في أملاك لأبيها بقرية من الميراث". [4] . و يذكر ابن العطار في بعض الوثائق مشاركة المرأة في النشاط الزراعي ومشاركتها في قسمة الأرض.[5] وعموما فإن هذه النماذج ما هي إلا بعض الأدلة التي توضح مدى حرص المرأة و لا سيما المرأة الريفية على المحافظة على أملاكها و حقها في الميراث من أراضي زراعية أو ثروة حيوانية .

أما الإشراف على خدمة الأرض فكانت إما تقوم المرأة عليها بنفسها ، أو تعين عليها بعض موكليها. و من أشهر النساء اللائي اشتهرن بملكية الأراضي الشاسعة ، الشاعرة الشلبية التي تظلمت من ولاة بلدها وصاحب خراجها و كتبت شعرا في ذلك ، إلى المنصور أبي يوسف يعقوب الموحدي تشتكي له ،قائلة : [6]

قد آن أن تبكي العيون الآبية ولقد أرى أن الحجارة باكيـة

يا قاصد المصر الذي يرجى به إن قدر الرحمان رفع كراهيـة

---

[1] ابن رشد ، مسائل ابن رشد ، ج1، مسألة 62، ص 245، 303، 532؛ مسألة 140، ص 608. ابن ورد ، أجوبة، م 80، ص 133؛ (عز الدين أحمد)موسى ، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6ه/12م**، القاهرة، دار الشروق، 1983، ص 165.

[2] الجزيري، المقصد المحمود، مج 1 ص 43.

[3] ابن الحاج ، نوازل، و 106، 107.

[4] ابن بشتغير، نوازل ، رقم، 135، ص 235. و رقم 798، ص 506.

[5] ابن العطار ، كتاب الوثائق والسجلات، ، ص 58، 66، 186

[6] المقري، نفح الطيب، ج4 ،ص294.

ناد الإمام إذا وقفت ببابه يا راعيا إن الرعية فانيه

أرسلتها هملا ولا مرعى لها وتركتها نهب السباع العافيه

شلب كلا شلب وكانت جنة فأعادها الطاغون نارا حاميه

خافوا وما خافوا عقوبة ربهم والله لا تخفى عليه خافيه [1]

وهكذا يتبين من خلال هذه الأبيات معاناة الشاعرة و هي ترى جنتها بشِلْب تحترق من جراء تعسف جند الموحدين في الأندلس، الذين ظلموها و أعاثوا الفساد ، و ربما لم تكن الشاعرة الشلبية الوحيدة التي تضررت و فقدت أرضها فربما وجدت أخريات لم تصلنا معاناتهن .

أما الشاعرة **أم علاء** بنت يوسف الحجارية فقد كانت تملك بستانا ؛ و تغنت بحبها .[2]

قائلة: لله بستاني إذا يهفو به القصب المندى

فكأنما كف الريا ح قد أسندت بندا فبندا [3]

من خلال البيتين المتبقيين من شعرها ، يتبين نوع مزروعات بستانها الذي هو القصب و الذي اشتهر في الأندلس. و نأسف على أن القصيدة ليست كاملة ، لنتعرف من خلال على أنواع المحاصيل التي كانت تزرعها هذه الشاعرة.[4]

و من جهة أخرى فإن نساء العامة الفقيرات و ربات البيوت ، كن يجتهدن بالقليل بما امتلكن ويثابرن على العمل من أجل توفير رزق العيال ، و منهن صنعت الجبن و أطلق عليهن اسم "المجبنات" ،و وصف حالهن أحد الشعراء ما يلي:

و مصفرة الخدين مطوية الحشا على الجبن و المصفر يؤذن بالخوف

لها هيئة كالشمس عند طلوعها و لكنها في الحين تغرب في الجوف

ومن النساء من كان مصدر رزقهن بيع اللبن مثل أم الأديب أبو بكر بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة [5] فقيل عنه، أن أمّه كانت امرأة برْزة [6] فارسة

---

[1] ابن عبد الملك، الذيل و التكملة ، السفر 8، ق2، رقم 286، 495 ؛ منجد مصطفى بهجت ، المرجع السابق، ص103، 115..

[2] المقري، نفح الطيب، ج4 ،ص 169. عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 130.

[3] ابن سعيد، المغرب،ج 2، تح شوقي ضيف ، ص 193؛ بوفلاقة ، المرجع السابق، ص131.

[4] انظر موقع وادي الحجارة في الخريطة رقم 9.

[5] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 165؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج1 ، ص158.

[6] البرزة التي تفوق أصحابها فضلا و شجاعة. ابن منظور ، المصدر السابق ، مج1، 207.

الدكان وصاحبة مكيال و ميزان ، و كانت امرأة صدق و في حرفتها صاحبة حق ، مشتغلة ببيع لبنها ،و مقبلة على ما يعنيها من زمنها".[1] و استرزقت النساء من الأرحاء ومنهن امرأة امتلكت حصة معلومة في رحى مع رجل على الإشاعة فكانت تستغله.[2]

أما مساهمة المرأة الريفية في مواسم جني المحاصيل الزراعية ،فكانت واسعة النطاق، ومنها مشاركتها في جني محصول العنب و عصره* ، و يعد العنب المحصول الرئيسي في بعض المناطق مثل غرناطة و مالقة ، حيث كان السكان رجالا و نساء ينتقلون إلى حقول العنب لعدة أيام يجمعون خلالها محصولهم في جوّ يسوده الغناء و الرقص الجماعي. و هذه العادة ما تزال مستمرة في غرناطة وسائر مدن إسبانيا حتى اليوم.[3]. و كذلك كان يقام في أيام جني محصول التين والزيتون * *، عيد يحتفل به أهل المنطقة المنتجة له ، و يشربون عصيره وسط جو من الفرح والمرح.[4] و هكذا شكلت المرأة يد عاملة مهمة و رخيصة لا يستغنى عنها في مواسم جني الثمار.و كان أوكل للمرأة في الأرياف مهمة الإشراف على حراسة البساتين.[5]

و تشير المصادر إلى أن الأسر بأكملها كانت تقوم باستغلال الأراضي واستثمارها في مالقة ،و تميزت بسعة الحال وكثرة المال و الماشية و الحرث ، ومن تلك الأسر ، أذكر أسرة القاضي الشهير النباهي.[6].

---

[1] ابن بسام الذخيرة، ج3،ص429

[2] ابن رشد، فتاوى مسألة 18، 183.

* شملت زراعة العنب مساحة شاسعة في الأقاليم الجنوبية خاصة ،حيث تسمح المعطيات المناخية بنموه. وكان يشكل إلى جانب الحبوب و أشجار الزيتون الثلاثية المميزة للمشهد الزراعي في هذا المجال الجغرافي. نكادي يوسف ، **الزراعة في الأندلس**، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات ، سلسلة المعرفة الأندلسية-2- ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط 2، 2009، ص 150.

[3] ابن سعيد ، المغرب،ج 1 ص 423 ؛ العبادي، الإسلام في أرض الأندلس،ص 106، 107. عويس حسن محمد قرين، **المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية** (128هـ-756/422ه م- 1021م) رسالة ماجستير ،إشراف محمّد بركات البيلي، كلية الاداب ،جامعة القاهرة،، مصر 1997م ،ص 195.

مريم الطويل ، مملكة غرناطة، ص 259.

** انتشرت أشجار التين في كل من شذونة و دانية و بلنسية و تميز تين مالقة بالوفرة و الجودة ، وكان يحمل إلى بلاد مصر و الشام و العراق . ابن الخطيب، معيار الاختيار ، ص 56 ، 57، 61، 63؛ نكادي يوسف ، المرجع السابق، ص 152.

[4] ابن سعيد، المصدر السابق ،ج 1 ص 423

[5] ابن الخطيب، الإحاطة ،مج 2 ، ص 162.

[6] النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، ص146، 147. خالد عبد الله الشريف، مدينة مالقة، ص200

كما اشتهرت كل من المرية و إشبيلية و مالقة وغرناطة بجمال طبيعتها و بمنتجاتها الفلاحية . ومن طرائف تنافس أهل الأندلس في التفاخر ببلداتهم ، أن رجل من أهل المرية ركب في وادي إشبيلية ، و لما مرّ بمنزل بشنتبوس غنى بصوت مرتفع :

خلين من واد و من قوارب و من نزاها في شنتبوس

غرس الحبق الذي في داري أحب عندي من العروس [1]

فأخرجت جارية رأسها من نافذة المنزل قائلة له : من أي بلد أنت يا من غنى؟ فقال من المرية. فقالت له : وما أعجبك في بلدك حتى تفضله على وادي إشبيلية؟ ثم أجابته مدافعة عن بلدها إشبيلية بما يلي:

إن وجهها النهر العذب ، و قفاها بجبال الرحمة أشجار التين و العنب .

و لا تقع العين إلا على خضرة أيام الفرج، و أين إشبيلية من المرية؟

و هكذا تبدو هذه المرأة الأندلسية مفتخرة ببلدتها مدافعة عن بيئتها و بمنتجاتها مثل التين و العنب و نوار الحبق.

النشـــاط الصناعـــــي:

رغم أن الزراعة شكلت عصب الحياة الأساسي بالنسبة للمجتمع الأندلسي ، فإن الشرائح الاجتماعية في الأندلس أولت عناية خاصة للصناعة و رفعتها إلى مستوى التمجيد و يتبين ذلك من حرص المجتمع على تعلم فنونها. [2] وكان للمرأة إسهام جليّ في فعاليتها، و اعتبرت المرأة من الأيدي العاملة و العناصر المهمة التي يتوقف عليها نجاح أي مشروع صناعي أو إخفائه، و أن مشاركة النساء الأندلسيات في هذا الميدان تعد فريدة من نوعها و تدل على رغبتها في سد وقت فراغها ومساعدة الرجل في توفير لقمة العيش.

و من أهم الصناعات التي استحوذت على اليد العاملة النسائية ،هي صناعة المنسوجات بأنواعها المختلفة ، و رغم أن صناعة المنسوجات كانت تعد فن مشرقي الأصل إلا أنها انتقلت إلى الأندلس. و يعود الفضل في نقالها للأندلس لخلفاء بني أمية الذين أنشئوا دار الطراز ؛[3] إلا أن دار الطراز تطورت عبر التاريخ الاقتصادي للأندلس، ففي عهد الخليفة الناصر بلغت دار الطراز أوج ازدهارها في نسج ما يحتاج إليه من الخلع و الكسي ، وملابس الحرم و غيرها

---

[1] العروس من منتزهات إشبيلة الشهيرة .

[2] بوتشيش، إضاءات ، ص 85، 86.

[3] ابن حيان ، **المقتبس**، تح عبد الرحمان الحجي ،ط، بيروت ، 1965، ص66؛ سحر (عبد العزيز سالم)، دور الطراز في الأندلس ، ص87، 88.

و أصبحت تشمل على آلاف من الخلق أي رجالا و نساء الذين يعملون بها أنواعا من الصنائع. وتواصل نشاطها الاقتصادي في عهد ابنه الحكم المستنصر بالله و من بعده ابنه هشام المؤيد *، كذلك استمر الأمر في عهد المنصور بن أبي عامر. [1].

و إضافة إلى دار طراز الخاصة بقرطبة و بإشبيلية ، فقد تعددت دور طراز العامة التي خصصت لأهل الأندلس ، وكانت موزعة على معظم مدن الأندلس بالإضافة إلى بعض التجمعات العمرانية التي كانت لديها أنوال لنسج المنسوجات الكتانية أو القطنية أو الحريرية. [2]

و لصناعه الصوف و القطن و الكتان علاقة وطيدة بطبيعة الأندلس ، فوفرة التربة الصالحة و المياه و قسوة المناخ في فصل الشتاء و الحاجة إلى الدفء دفعت الرجال و النساء إلى العمل في غزل الصوف و الصناعات النسيجية. [3]. و اشتهر في هذا الميدان معظم سكان مدينة المرية [4] التي يقول عنها الزهري: "أن أهلها كلهم رجالا و نساء صناع بأيديهم و أكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سومه . و قيل عن المرية مفتاح الرزق و الكسب ، و موطن الحذاق من أصحاب الصناعات". [5]

يظهر مما سبق أن صناعة النسيج هي التي امتصت معظم اليد العاملة النسائية ، و ربما يعود هذا الاختيار لفطرة في المرأة و لحكمة إلاهية حيث ضرب الله ﷻ مثلا في كتابه بالمرأة العاملة بجد قال تعالى : ﴿ **و لا تَكونوا كالّتِي نَقضَت غَزْلَها مِن بعْد قُوَةٍ أَنْكاثا**﴾.[6] و من ذلك افتخار و اعتزاز المنصور محمد بن أبي عامر بعمل أمه ، قائلا "...فإنما أنا ابن امرأة من تميم طالما تقوتت من

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ص 40؛ سحر عبد العزيز، دور الطراز ، ص89، 90، 91.

[2] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص 9؛ الزهري ، جغرافية الأندلس ، ص94،82، 102، عنان، نهاية الأندلس، ص 447

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص 325؛ خالد عبد الله الشريف ، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف، ص 275؛ بو تشيش، إضاءات ، ص 93،92؛ سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، ص112.

[4] و يضاف إليها عدة مدن منها:بجانة، مالقة ومريسة ، و سرقسطة و غرناطة و إشبيلية و قرطبة وبطليوس و شنترين و لشبونة وغيرها من المدن الأخرى. العذري، المصدر السابق، ص22، 23. سحر عبد العزيز سالم ، دور الطراز في الأندلس في عصر دولة بني أمية ، ص93.

[5] كتاب الجعْرافية ، ص،101، 102؛ بوتشيش، إضاءات ، ص 89 ؛ سحر عبد العزيز سالم ، دور الطراز في الأندلس ،ص94.

[6] سورة النحل: الآية 92.

غزلها ، أغدو به إلى السوق و أنا أفرح الناس بمكانه ." [1]. و لما مات كفن بقطعة قماش من نسيج غزل ابنتيه . [2]

و ذكر الخشني أنه لما ولي الإمارة هشام بن عبد الرحمان أرسل يطلب القاضي مصعب بن عمران . فوجده الرسول في ضيعته و زوجته تنسج في منسج لها و مصعب بيدي المنسج يعمل لها الوشايع . ففتحت المرأة أصابعها في المنسج ، و قالت لزوجها : ترد القضاء أيضا على هذا الأمير كما رددته على أبيه ثم ترجع إلى وشايع المنسج.[3]

يتبين من هذا النص أن صناعة النسيج لم تقتصر على نساء العامة أو الأسر الفقيرة فهذه زوجة القاضي امتهنتها في منزلها و يؤكد ذلك تصرف القاضي إبراهيم بن العباس الذي كان يجلس في بيته بين الناس – ربما للقضاء- و خادمه تنسج في ناحية البيت.. [4] أما أبو بكار المرواني الزاهد في الحياة فكان يستعين في معيشته بما يعود من بيع غزل زوجته و ابنته ، و يقول إن الاستغناء عن الناس خير كثير... وحتى بعد استشهاده بقيت الزوجة الأرملة تسترزق من بيع غزلها وزاهدة مثل زوجها ، ورفضت صداقات الآخرين . [5] و يبدو أن هذه الصناعة كانت مصدر رزق الزهاد ، كما شكلت صناعة النسيج مصدر رزق لبنات المعتمد بن عباد في منفاهن بالمغرب الأقصى ، و قال فيهن المعتمد :

ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس لا يملكن قطميرا [6]

ومن قصتهن يبدو على أن صناعة الغزل كانت مهنة الفقيرات المعوزات تستعين بها في الحياة نظرا لبساطة هذه الصناعة و لانتشارها الواسع فهي متناول نساء العامة من أجل الاسترزاق.

أما المرأة اليهودية فإنها لم تعفى من مهنة الغزل، مثلما أكد الحبر أليعازر (ALIEZER)،:" و على زوجها أن يرغمها عليه، لأن البطالة تقود إلى الفساد".[7] ويظهر من هذه التعاليم إجبارية هذه الصناعة على المرأة اليهودية ، التي لم تبرز في الحياة العامة للجالية اليهودية مثلما برز رجالها خاصة في النشاط التجاري.

---

[1] ابن حيان، المقتبس ،تح مكي، ص 13؛ أحمد الطاهري، **عامة قرطبة في عصر الخلافة ، دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي،** الرباط ، منشورات عكاظ ، 1989، ص 200.

[2] ابن عذاري،البيان ،ج2، ص 288.

[3] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص 43.

[4] الخشني ، نفسه ، ص 179.

[5] المقري، نفح الطيب، ج 3،ص334.

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص 136.

[7] ساسي علي ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية ،ص 460؛ عمر بنميرة، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية ،ص 65.

ومن مظاهر اهتمام المرأة بصناعة الغزل و النسيج اهتمامها الزائد بتخصيب بيض دود الحرير و ذلك لملائمة المناخ و العناية بزراعة أشجار التوت على مساحة واسعة لأن دود القز يتغذى على أوراق التوت ، . و لا يخفى أن لدود الحرير دورا فعالا في إنتاج مادة الحرير الخام التي تعد مادة أولية في صناعة المنسوجات الحريرية الناعمة ؛ و التي تدخل في لباس العامة و الخاصة لنساء الأندلس طبقا لنوع و جودة الحرير . وربما لأن لبس الحرير في الإسلام حلال على الإناث فقط لما جاء في الحديث النبوي: عن علي بن أبي طالب قال. :أخذ أن رسول الله ﷺ حريرا بشماله و ذهبا بيمينه ثم رفع بهما يديه و قال : " إن هؤلاء حرام على ذكور أمتي و حِلٌّ لإناثهم ." [1]

فربما قاد هذا الحكم الإلهي النساء بشكل خاص إلى الاهتمام بتربية دودة القز المنتجة للحرير حيث تبدأ النساء في مستهل شهر فبراير في تحضين بيض الحرير في ورق التوت. يفقس البيض في شهر مارس من كل سنة ثم تقطف النساء شرانق الحرير التي تعتبر المادة الأولية في صناعة نسيج الحرير. [2]

و اختصت بعض المناطق بتربية دود الحرير منها منطقة "جيان" التي ضمت أكثر من ثلاثة آلاف قرية يربى بها دود القز إضافة إلى عدة قرى منها "بسطة" و"وادي آش" و "جبل شلير" و قرية المرية ، مما يستوجب توظيف يد عاملة نسائية مكثفة ما بين شهرين فيفري و مارس ،أي هذا النشاط يستغرق مدة شهرين من أجل تزويد صناعة الحرير بالمادة الخام . [3]

و كان ملاك الأراضي يقدمون بذور أشجار التوت لمن يرغب في زراعتها رجالا و نساء مقابل تقديمهم نصف أو ثلاثة أو ثلثي أرباح موسم الشرانق و الربع الأخير مكافأة لهم. و نظرا لبراعة المرأة الريفية في تربية دودة الحرير فقد

---

[1] ابن ماجة، صحيح سنن ابن ماجة، مج3، رقم 2912، ص 197.

[2] Vincent Lagardère :Campagnes et paysans d'Al-Andalus,8è-15èS Maisonneuve&Larose,Paris,1993 , p 394 .
كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الإقتصادي في دولتي المرابطين و الموحدين ، ص 190. خالد عبد الله الشريف، مدينة مالقة، ص 270 ؛ محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس، 531.

[3] ابن الحاج ، نوازل ، و 36؛ الإدريسي ،نزهة المشتاق ، ج 2،ص568؛ (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله) **العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر2**، تحقيق عبد الله بن يحي السرحي ،أبو ضبي، إصدارات المجمع الثقافي، 1427ه/2006م ، ص 117؛ المقري ، نفح الطيب ،ج3، ص 217؛ كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة، 1993، ص 190؛ سحر السيد عبد العزيز سالم ، دور الطراز في الأندلس في عصر دولة بني أمية، ص 95؛ نكادي يوسف ،المرجع السابق ، ص 153.

اختصت المرأة في ممارسة هذه الحرفة أكثر من الرجل .[1] و لذا كان بعض الرجال يستغلوا جهد النساء و من ذلك أن وصي فاطمة بنت عيسى بن القاسم قبض منها مبلغ مالي في رطلين من قز الحرير الأحمر الجياني الطيب ، و باعه في سوق الغزل، هذا الأمر تتطلب إفتاء في معرفة الحكم الشرعي .[2]

أما في عصر بني الأحمر تطورت صناعة الحرير و منسوجاته المختلفة وصدر الكثير منها للممالك النصرانية و للدول الإسلامية .و من مميزات منسوجات بني الأحمر اختفاء رسوم الحيوانات التي كانت تزين الثياب الحريرية من قبل ، وحلت محاها الزخارف الهندسية المختلفة.[3] و يروى عن ابن سعيد لما زار قرية نارجة بضواحي مالقة ، قال :" اجتزت في إحدى المرات أنا و والدي قرية نارجة ، فرأيت جماعات كبيرة من الأهالي نصبوا خيامهم في مكان مكشوف متسع في بطن وادي القرية و قاموا جميعا بجمع و غزل و صباغة الحرير. . و أما صباغة الحرير فبرع فيها الأندلسيون رجالا و نساء و كانت تخضع لمعايير وموازيين دقيقة في مزج بعض النباتات الخاصة مثل الزعفران للحصول على اللون المرغوب فيه .[4]

أما أنواع المنسوجات الأندلسية فهي عديدة و متنوعة منها ما دخل في صناعة الأفرشة و الأغطية و القنوع للرجال و النساء و الملابس المتنوعة لكل فئات سكان الأندلس .و ذكر الإدريسي "أن المرية احتوت على أنواع من الصناعات منها ثمانمائة طرز للحرير . و لجودة حريرها كانت مقصد الفتيات لتجهيز أنفسهن قبل الزواج".[5] أما صناعة المعاطف الشتوية و المانعة لنفوذ الماء ،فيضاف إلى مادة الحرير مادة الصمغ التي يستوردها الصناع الأندلسيون من

---

[1] Lagardère Vincent :Campagnes et paysans d’Al-Andalus,p395, ؛ خالد عبد الله الشريف ، مدينة مالقة، ص 262، 271 ؛ حسين محمد قرين عويس، المرجع السابق، ص 162.

[2] ابن الحاج ، نوازل ، و 34.

[3] ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 356 ؛ خالد عبد الله الشريف،المرجع السابق ، ص 270.

[4] المقري، نفح الطيب، ج 1 ص178؛ عنان،نهاية الأندلس، ص447. Lagardère, Campagnes et paysans, p407.

[5] نزهة المشتاق ، ص 197. الزهري ،كتاب الجغرافية، ص 101. Lagardère,Campagnes et paysans d’Al-Andalus ,p404

مدينة أودغشت بصحراء السودان الغربي و الذي يعد مادة ضرورية لتلميع الأقمشة الحريرية .[1]

و يشير البكري إلى الجبل المشرف على المدينة تنبت فيه أشجار" الصمغ" الذي يجلب إلى الأندلس يصمغ بها الديباج". كانت هذه المدينة مركزا تجاريا هاما لمنتجات المنطقة و تصدر كميات منها في تجارتها الخارجية خاصة الذهب و سلع أخرى منها جلد اللمط، والعاج، و الملح و العبيد. .[2] و تتصدر أشجار الصمغ قائمة صادرات أودغشت إلى الأندلس بالأخص ، نظرا لمهارة صناع الأندلس الذين ينتجون بواسطة مزج كميات من الحرير بكميات من الصمغ السوداني - طبقا لمقادير محددة - نوع من قماش الحرير المشمع الغالي الثمن الذي يدخل في صناعات الملابس الشتوية.[3]

وتظهر ضرورة هذه الصناعة و نوعية الديباج فيما يميز درجة الحرارة من انخفاض وقسوة فصل الشتاء في الأندلس، فيزداد الطلب على هذا النوع من نسيج الحرير المشمع . و من جهة أخرى يعد الصمغ مصدر رزق معتبر للتجار لا سيما اليهود الذي كانوا وسطاء في التجارة بين الأندلس و المغرب و السودان الغربي ؛ واشتهرت مدينة غرناطة بتصديرها الكتان و الحرير إلى سائر بلاد الأندلس والمغرب.[4]

و لا تقل صناعة غزل الكتان أهمية عن صناعة الحرير في الأندلس ، فلقد اشتهرت قرطبة و غرناطة و كور ألبيرة بزراعة الكتان بجودة الثياب و الكسي من لين الكتان .[5] وتظهر مشاركة النساء فيها معتبرة ، و إن لم يفترض أن معظم اليد العاملة من النساء خاصة في المراحل الأولى من غزل خيوط الكتان. و أمر ابن عبد الرؤوف بائعوا الغزل بتيبيس الغزل في الشمس لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليتحسن وجهه و يزيد وزنه.[6]

---

[1] لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص 293.

[2] البكري، نزهة المشتاق، ص159؛ الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الإقتصادية و الاجتماعية** ، الكويت، عالم المعرفة، 1426ه/ 2005م، ص 168، 176؛ جميلة بن موسى ، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي و السودان الغربي من القرن 9م- 11م** ، الجزائر ، منشورات بلوتو، ط1، 2011، ص ص 193، 200 ؛ص 223، 226.

[3] Lagardère, Campagnes et paysans ,p404.

[4] الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص96.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 113؛ ابن الحاج ، نوازل ، ص 38؛ الزهري، المصدر السابق،ص96 ؛ نكادي يوسف، المرجع السابق ، ص154.

Lagardère : Campagnes et paysans d'Al-Andalus ,p407.

[6] ابن عبد الرؤوف ، الرسالة الثانية في الحسبة ، ص 87.

و في شأن بعض العاملات في غزل الكتان ، وردت فتوى عن صحة صيام المرأة التي تغزل الكتان .لأن النساء أثناء الغزل يشددن أحد أطراف خيوط الكتان بأفواههن و الطرف الأخر بأيدهن .فقيل لهن إذا كان الكتان من نوع الكتان المصري – أي على طبيعته- فالصيام صحيح ؛ أما إذا كان تغزل الكتان الذمي و تجد المرأة ذوق الكتان يتسرب في فمها و تشعر بذوق مالِح في حلقها ، فصيامها باطل.[1]

لكن يلاحظ أن هذه الفتوى استثنت من بينهن النساء الفقيرات .و يبدو من خلال هذا النص مدى مرونة الفتوى لصالح المشتغلات الفقيرات اللائي ربما يسعين لكسب قوتهن أو أنهن يتميزن بغزل الكتان المصري فقط ، و أما الكتان الذمي فلم يكن على طبيعته لأنه يضاف له الملح. من خلال هذه الفتوى نستنتج أيضا اختلاف كيفية معالجة القطن بين المسلمين و الذميين .

أما منسوجات الكتان فكان الإقبال عليها صيفا و شتاء لأن ثياب الكتان تحافظ على اعتدال الحرارة و البرودة ، و الرطوبة و الجفاف ، و هي ذات نوعية متفاوتة الجودة. واشتهرت بلنسية بنسج الثياب الغالية من الكتان.[2] واقتناء الرفيع من منسوجات الكتان كان في متناول نساء الخاصة فقط نظرا لارتفاع ثمنه ، مثل ما جاء ذكره ضمن جهاز العروس في أحدى الفتاوى.[3]

و تظهر براعة بعض النساء في خياطة الجلد من خلال ما أورده ابن حيان عن الأمير عبد الرحمان الثاني عندما طلب لبس نوع من الثوب ، فقيل له أن خياطة الجلد لم تتممه في الوقت المحدد ، و ذلك لدقة صنع الثوب و الأناة لنقشه و تعذر جمع الأيدي عليه ، فضلا على عمل القلنسوة التي يستأنف تجسيدها لحاجبه من فضل الثوب ..[4] ومما سبق ذكره تبدو مساهمة المرأة جلية في مختلف أنواع الصناعات ، الغذائية و النسيجية و الجلدية التي ساهمت بقسط منها في صادرات الأندلس مع البلدان الأخرى.

النـــــــشاط التجـــــــاري

المـــــرأة و الســـــوق :

إن أولى الإشارات لنشاط المرأة التجاري ، هو النص المصدري الذي يفيد:" أن امرأة عطارة دخلت الأندلس أيام الفتح ، فخرجت بخمسمائة رأس و ما

---

[1] الونشريسي، المعيار، ج 1، ص 336. . Lagardère :ibid, p437

[2] الزهري، كتاب الجغرافية ، ص 102.

Lagardère :ibid, p439.

[3] الونشريسي، المصدر السابق ، ج 3 ،ص 78-79.

[4] ابن حيان، المقتبس ، تح مكي ، ص 162

لا يحصى من الذهب و الفضة و الآنية و الجوهر". [1] رغم أنه لم يفصح عن اسمها و لا انتمائها القبلي المغربي، لكن يستدل به عن خوض المرأة ميدان السوق. وعموما عُرفت أسواق الأندلس بتنظيمها حسب الأمكنة و الأزمة و الوظيفة و حسب نوعية البضائع المعروضة للبيع. ومن مظاهر دقة تنظيم السوق وجود قيساريات متخصصة في بيع السلع مثل قيسارية خاصة لبيع المنسوجات الحريرية و الكتانية و القطنية ، و أخرى قيسارية الذهب ،و أخرى لبيع الصوف و العطور و أنواع التوابل ، و أخرى لبيع الفواكه و الخضروات والطيور، و لبعض المأكولات مثل المجبنات ، و غيرها.... بالإضافة إلى جهة مخصصة لبيع الجواري و العبيد . [2]

تختلف مقاصد المرأة في الحياة و باختلاف نشاطها بين المدينة و الريف . ففي المدينة تتوفر الكثير من متطلبات الحياة و بالتالي تترفع المرأة عن ممارسة الكثير من الأعمال مثل البيع عكس المرأة الريفية . و إذا قصدت المرأة في الحضر السوق ففي غلب الأحيان لشراء بعض لوازمها منها العطور و زيوت و صابون و توابل و بخور ، اللباس .. بحيث كان يوجد في السوق جهة مخصصة تعرف بباب العطارين في كل أسواق المدن الأندلسية الكبرى. [3] و تترد د عليه معظم النساء [4] ، و عبارة ـ معظم ـ يحتمل احتوائها على كل النساء من بائعة و مشترية و سمسارة و دلالة [5]. كما كانت المرأة تبرم الصفقات و منها أن رجلا أسلم لامرأة ذهبا في قمح و باع منها قمحا بذهب إلى أجل في عقد واحد . [6]

أما في الريف فإن المرأة تقوم بالأعمال المنزلية كلها من إعداد الطعام وعمل الخبز و تربية الأطفال و يضاف لها حلب البقر و الماعز، و تعمل المخيض من الحليب و الزبدة و السمن و الجبن و تربي طيور دواجن متنوعة ، و تغزل القطن و الكتان و الحرير.و كانت هي المسؤولة الأولى عن تسويق منتجات الأسرة ، فتحمل بعض النساء في الصباح الباكر بعض ما حضرته من حليب و مشتقاته الغزل و العسل و الزيت ، تحملها إلى سوق القرية. و أما النساء اللاتي سكن في

---

[1] ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس ،ص 152.

[2] السقطي، آداب الحسبة ، ص ص 48 ؛ بو تشيش، إضاءات ، ص 100؛ طريس بالباس ، الحواضر الأندلسية،ج 1 ، ص474، 473 ، 475.

[3] بقيت حوانيت العطارين بغرناطة في مكانها حتى سقوط المدينة ، و ذلك لورودها في وثيقة سنة 1528م و التي تذكر "زقاق العطارين ..." انظر طريس بالباس : نفس المرجع ، ص 482، 483.

[4] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 34 ؛ العمري ، مسالك الأبصار، ص 122؛ بوتشيش، اضاءات ، ص 100 ؛ محمد رضا عبد العال : **النظام القضائي في عهد الخلافة الأموية،(316ه- 447ه/929م-1055م)**، رسالة ماجستير في الأدب و التاريخ الإسلامي ،إشراف محمد أمين صالح، جامعة القاهرة ،1406، 1982،ص106.

[5] عز الدين موسى ،النشاط الاقتصادي،ص 266،

[6] ابن الحاج ، نوازل ، و 34.

والمنازل بمجاورة طريق المسافرين ،فكانت تقوم ببيع الخبز و الفواكه و الجبن والبيض و ضروب من الأطعمة التي تحضرها تبيعها إلى المسافرين.[1]

وفي هذا الصدد يصور لنا الأديب ابن اللبانة الصعوبات و المشقة في الحياة بما يلاقيه كالمرأة الشقية في الحياة، و ربما أحسن مثال كان لديه هو صورة أمّه اللبانة:

أنا كالمرأة ألقى كل وجه بمثاله [2]

و في أغلب الأحيان كانت بعض النساء تذهب باكرة إلى المدينة المجاورة حيث تجد في أسواقها قبول على عرضهن أكثر وأسعارا مرتفعة مما في القرية . و كان في أسواق المدن الأندلسية أماكن خاصة للنساء يجتمعن فيها لبيع منتجاهن مثل الغزل أو لشراء ما يلزمهن. و كثيرا ما كانت تتعرض النساء المنتجات للتفتيش و المراقبة من طرف رجال الحسبة مثل سائر الباعة ، نظرا لما يحدث من غش وتدليس .[3].

و كان ابن عبد الرؤوف يأمر بائعو الغزل بتبييس الغزل للشمس لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليتحسن وجهه و يزيد وزنه . كما نهي أن لا يباع غزل القطن و لا الكتان مكببا، لأن النساء يدلسن فيه ليزيد لهن في الوزن ، هذا لمحاربة الغش . ومنع النساء من بيعه إنما يوكل بيعه لرجال مسنين ذوي الأمانة و الثقة.[4] وينبغي أن يكون لهن موضع يجتمعن فيه لبيع غزلهن.[5]

و حددت لهن أوامر و نواهي في حالة وجود مخلفات حيث يتعرضن لعقوبات يشرف عليها أمناء السوق و منها الأمينة في أمور ذات الخصوصية المحضة للنساء . فقد أمروا عن بيع اللبن الحليب بالزبد و السمن ، و أن لا يخلطوا الطازج بالقديم و لا بالماء ، و لا المخيض بالشراز ، و لا الطيب منه بالرديء .

---

[1] المقري، نفح الطيب،ج1 ، ص226 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق ،ص 565، 568. حسن محمد قرين عويس، المرجع السابق ، ص 162.

[2] ابن بسام ، الذخيرة ، ج 3، ص 444.

[3] ابن عبد الرؤوف ، الرسالة الثانية في الحسبة ،ص 87، 92؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين و بداية الموحدين ، ص303 ؛طريس بالباس ، المرجع السابق ،ج 1 ، ص 497.

[4] ابن عبد الرؤوف ، ، الرسالة الثانية في الحسبة ، ص87.

Rachel Arié : le traité de la Hisba d'Ibn Abd Al Ra'uf , Hesperis Tamuda,vol 1, fax-1 ; Editions techniques Nord Africaine ,rabat, 1960,p37 . Lagardère :Campagne…p436.

[5] ابن عبدون ، الرسالة الأولى في الحسبة ، ص 55؛ ابن عبد الرؤوف ، المصدر السابق،ص 87؛

و أمروا بإتخاذ محارة مثقبة القاع لقطع الرائب و العقيد لتنزل من ذلك الثقيب ميصمها ، و تنظيف أوانيهم و غسلها و تغطيتها بين أيديهم و تعاهدهم بالذب عنها و عن تنظيف مساحتهم التي يكونون بها.[1] و هكذا يؤكد على أهمية النظافة التي تعد إحدى مظاهر حضارة المسلمة الأندلسية . و لم يكن يخالطن في عملية البيع و الشراء إلا الشيوخ الثقات المعروفون بأمانتهم وفضلهم ،و امتثالا لأمر الرسول ﷺ : " **باعدوا بين أنفاس الرجال و أنفاس النساء .** "[2]

و عموما فإن المشهد العام للأسواق في المدن الأندلسية كان يزداد حركة في الأيام التي تسبق الأعياد المختلفة و في يوم الجمعة . و في الأماكن المجاورة للقيساريات و سوق الملابس حيث يقيم الباعة الذين يتجاذبون العملاء ، و كان يبلغ الازدحام أوجه ساعة العصر حيث تسمع أصوات مزايدات الدلالين المرتفعة. و تسمع كذلك أصوات العرافين الذين يحثون الناس على التقدم لمعرفة طالعهم ومنهم نساء ،حيث كان رجال الحسبة لهم بالمرصاد.[3]

أما من الجانب الأخلاقي فإن بعض الرجال المعجبين بالنساء يتابعونهن بالسير خلفهن مع ترديد بعض الألفاظ و الكلمات على سبيل المداعبة ، و هنا يبرز دور المحتسب صاحب السوق في منع مثل هذه الأفعال الشائنة و يمنع الشباب من التعرض للنساء في الأسواق و الطرق . و هذا مما يؤكده المقري ،أن إحدى الماجنات لما تبعها الشاعر الزجال بن قزمان طلبت منه أن يتبعها إلى سوق صاغة الذهب بإشبيلية. و طلبت من صائغ من صياغها أن يصنع لها فص الخاتم مشيرة إلى عين ابن قزمان الذي كان أحولا.[4]

و كان بعض النساء يتابعون الطريق بالوقوف على الأبواب المنازل مكشوفات الوجه، و لذا يرى ابن عبد الرؤوف منع النساء من هذا الفعل لما فيه من كشف و عدم الاستتار و قطع الطرازات عن السوق لفساد أخلاقهن.[5] كما كان المحتسب في كل مدينة يقوم بتأدية دوره بنهي القادمين من الكور و مدن

---

[1]ابن عبد الرؤوف، الرسالة الثانية في الحسبة ، ص 92.

[2] ابن عبد الرؤوف ، نفس المصدر ، ص 87.؛ Rachel Arié : opcit, p 38.

[3] ابن عبد الرؤوف ، المصدر السابق ، ص 87 ؛ طريس بالباس ، المرجع السابق ، ص 501، 502. محمد رضا عبد العال ، المرجع السابق ، ص 106.

[4] نفح الطيب، ج 4، ص 297.

[5] ابن عبدون، رسالة الأولى في الحسبة، ص 47؛ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 113.

أندلسية أخرى و أهل الريف من الممثلين و المهرجين الهزليين الاستخفاف بالنساء و الاختلاط بهن .[1]

و مما سبق يستنتج أن المرأة كانت عنصر فعال في التجارة الريفية لما تمتعت به من مكانة اجتماعية و اقتصادية ، و ما توفر لها من حرية في العمل والخروج والاختلاط ، و كانت سافرة الوجه في معظم أعمالها و كانت تلبس كسوة و سراويل ، وفي قدميها جوارب؛ أما على رأسها فتضع ما يسمى بالكنبوش أو القب و ما يتلاءم و طبيعة نشاطها الاقتصادي.

و خصص مكان في جهة معينة من السوق لبيع الجواري - المرأة المملوكة - التي اعتبرت إحدى البضائع التي راجت في أسواق النخاسة في مدن عديدة من الأندلس. و طرحت للعرض لكن ليس كسلعة مادية إنما قيد البيع بمجموعة من الشروط والأحكام الشرعية.على الرغم من بيع الجواري في الأسواق إلا أن الإسلام منحها كافة الحقوق كبشر و ليس كسلعة مادية دون إحساس أو شعور. [2]

المـــــرأة -الجارية- بين العرض و الطلب:

في مرحلة فتح الأندلس وعصر الولاة كانت تنصب أماكن لبيع الجواري بعد انتهاء المعارك أو في الأسواق العامة، لكن في الفترات اللاحقة خصصت أماكن لهذا الغرض عرفت بأسواق الرقيق [3] و الأكثر من ذلك خصصت ما يعرف "بدار البنات" وهي أماكن لبيع البنات و التي تعد مجمعات لرقيق الإناث التي تجلب من مواطن مختلفة عبر مسالك التجارة آنذاك من أوروبا النصرانية أو من جليقية أو من السودان أو من سبي الحروب مباشرة، [4]

---

[1] ابن عبد الرؤوف، الرسالة الثانية في الحسبة ، ص 51؛ السقطي، آداب الحسبة، ص 67؛ حسن محمد قرين عويس، المرجع السابق ، ص 162 ؛ طريس بالباس ، المرجع السابق ،ج1، ص499.

[2] مجهول، **إسعاف الشفيق بأدلة النقل و العقل لبيع الرقيق**، مكتبة الأسد الوطنية ، دمشق، سوريا، رقم 0994 الرقم المصغر الميكروفيلم، رقم 10277، و6،7.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص147.

[4] ابن حوقل، صورة الأرض ، ص 110 ؛ مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار** تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية ، 1986 ، ص216؛ ابن عذاري،البيان ، ج 2، ص 81. كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي ص 348؛ بن مليح، المرجع السابق، ص ص 213، 219.
MAURICE Lombard : l' islam dans sa première grandeur,(8è-11èS),flammarion,1971,p213.

و من الممكن أن تصبح المرأة الحرة أسيرة الفتن و الحروب الأهلية مملوكة، فهذا ابن عبد الجبار اشتد كرهه للبربر في الفتنة بين العامة و البربر، فسبى نساء البربر و باعهن في دار البنات... [1] مما استدعى الأمر إلى الاستفتاء في نوازل تخص بيع الأحرار زمن الفتن. واختلاف فقهاء الجزيرة في مسألة جارية و انتشر القول فيها إلى العدوة. [2]

و اشتهرت في الأندلس عدة مدن بأسواق النخاسة أو الرقيق.. [3] و قيل أن معظم نساء " غرناطة " و "ألمرية" جواري وهذا مما يستدل على كثرة الرقيق الأنثوي فيهما وعلى مختلف أنواعه. [4] و في هذه الأسواق تجمع جنسيات مختلفة من الجواري التي تعاني من مأساة اجتماعية بين معاملة النخاس و السمسار و الشاري !!!. فما هي أحوال الجارية بين هذه الثلاثية؟ وما وضعيتها في محطات ثلاث تتجاذبها حرس النخاس على بيعها وأنانية التاجر أو السمسار في غلو سعرها و ورغبة الشاري في اقتناء أجودها بأقل التكاليف إشباعا لرغبته.

1- الجـارية والنخـــــاس:

قيل:" إن الأمة تشترى بالعين وترد بالعيب ، والحرّة غلٌّ في عنق من صارت إليه". [5]

كانت ملكية الجارية تتنقل شأنها شأن المواد الأخرى، مثل تقديمها هدية وعربون محبة بين بعض الناس، و لا تستطيع أن تقف بوجه سيدها سواء بالقبول أو الرفض. وكان يخصص لهن دور تباع فيها القيان وتسمى بدور المدنيات لذا أصبحت تجارتهن رائجة و أسواقهن عامرة ببيعهن ويتردد عليها ناس كثيرون على

Manuela marin :**encyclopedie Al Andalus et Andalousiens** ,trad . , p 56 de l'espagnol par Anne Marie lapillonne,Ed sud _Alif,Toubkal

[1] ابن عذاري، البيان ،ج3،ص81؛ الونشريسي، المعيار،ج9،ص238،224،222،220،218.

[2] ابن الحاج ،نوازل ، و 21؛ الونشريسي، نفس المصدر، ج 5 ، ص 285،281.

[3] ابن العطار ، كتاب الوثائق والسجلات ، ص 281؛ ابن رشد ، فتاوى،س2،مسألة 7،ص 167. ابن بسام ، الذخيرة، ج 3، ص359 ؛ الونشريسي،المصدر السابق، ج 9، ص263؛ البرزلي، ،جامع مسائل الأحكام، ج 6 ،ص11؛ أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 224.

[4] ابن حزم ، رسائل،ج 1،ص69،68؛ ابن الخطيب ، الإحاطة،مج3 ،ص373؛ مريم قاسم الطويل ، مملكة غرناطة، ص 258 ؛ و مريم قاسم الطويل، مملكة المرية، ص79.

[5] ابن عبد ربه الأندلسي ،العقد الفريد،ج 4 ،ص 320 .

مختلف مستوياتهم ومن هؤلاء يوجد رجال الحسبة و أمينات السوق للمراقبة .[1]

و أوردت المصادر أن تجار الرقيق في مدينة مالقة كانوا يعمدون إلى كثير من وسائل التدليس ومن ذلك أنهم كانوا ينصبون بسوقهم امرأة يسمونها الأمينة توافق في نكر مذهبهم ،و تشهد في استبراء الخدم بمقتضى مرادهم، و بحسب ما يعطى مشتريهن، و يقصد التعجيل بالاجتماع بهن . و يلجأ بعض النخاس إلى سقي الجارية مباشرة بعد طهرها شرابا لمنع الحمل. [2] و كانوا يلجأ ون إلى تحمير الخدود ودهن وجوه السودان وأطرافهم و تسويد الشعر وذلك باستخدام مواد مختلفة من أصباغ والأدهان و الطيب . ولذلك ترصد ت الحسبة لهؤلاء التجار و حملت مسؤولية المحتسب على ذلك بتعيين امرأة "أمينة" من ثقات المسلمين الخيار أهل الدين والمروءة يؤمن عليها مكر ذلك الصنف من النخاسين. [3]

ولم تغفل كتب الوثائق عن التدقيق في وصف الجواري لتثبيت سلامة عقد بيعهن.[4] فذكر ابن العطار في وثيقة بيع أمة جليقية من وخش الرقيق وصفا دقيقا يميزها عن باقي الجواري. [5]

-2- الجـــــارية و الشاري:

إن الذي يهم التاجر أو النخاس هو ثمن الجارية من أجل الربح ، فكان السماسرة يعرضون الجواري الحسان للبيع بالمزايدة و ذلك بعد تعليمهن شتى الفنون.و من هؤلاء التجار الأديب محمد بن الكتاني كان يشتري القيان و الجواري الحسان ،ثم يقوم بتعليمهن و تدريسهن مختلف أنواع العلوم حتى إذا برعن فيها باعهن بأثمان باهظة. و يقول في إحدى رسائله لأحد اصدقائه:" في ملكي الآن أربع جاريات روميات كن بالأمس جاهلات ، وهن الآن عالمات..." . هذا النوع من الجواري الذي تنافس في اقتنائه الأمراء والأغنياء.

و استنادا إلى المصادر التاريخية، يعتبر " الأمير هذيل بن خلف "* أول من بالغ في ثمن شراء القيان بالأندلس ، لما اشترى جارية أبي عبد الله محمد بن

---

[1] السقطي، آداب الحسبة، ص48.

[2] السقطي ،نفسه ، ص 48؛ الجزيري، المقصد المحمود، مج 1 ، ص 255، 256.

[3] السقطي، نفس المصدر ، ص 50 ، 51؛ المراكشي، وثائق المرابطين و الموحدين ، ص 338، 339، 343 ؛ كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص300؛ سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، ص144

[4] عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين و الموحدين ص298.

[5] ابن العطار، كتاب الوثائق و السجلات ،ص 33. المراكشي، نفس المصدر ، ص 351، 352.

الكتاني،بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء ثمنها .أعطاه فيها ثلاث آلاف دينار[1]. و إذا رجعنا لسعر الجارية عند الفتح الإسلامي للأندلس فلم يكن يبلغ سعرها سوى خمسين درهما و هذا بشهادة موسى بن نصير الذي قال: " و لقد رأيت العلية و الوصيفة الفارة و الجارية الحسناء ، و إن كثر ما تبلغ خمسين درهما . [2] ثم تراوح ثمنها مابين خمسين دينارا إلى ألفين و خمسين دينارا في عهد الخلافة. وعموما وصل سعر الجارية إلى ثلاثة آلاف دينار خاصة في عهد الطوائف ، و ذلك تبعا لسنها و جمالها وثقافتها وتنافس الأمراء في اقتناء الجود منها. [3]

فالوزير أبو الحسن المعروف بالمصحفي اشترى جارية بمائتين و خمسين دينارا مرابطيا و قيل كانت مع تمام محاسنها و بديع جمالها ،ربيّت بمصر. فكانت إذا تكلمت أسحرت سامعها لعذوبة ألفاظها و حلاوة منطقها، فكانت بذلك تامة الصفات.[4] و ابن صمادح اشترى جاريته الشهيرة "غاية المنى " بمائة ألف دينار.[5] وهكذا يحدد سعر الجواري الحسان حسب جمالهن و ثقافتهن و مهارتهن و أصولهن . وحدث في مستويات العامة في الأندلس أن يباع الرقيق مقايضة و ذلك ببيع الرقيق كيلا أو وزنا بالقمح ، و أجاز ذلك بعض الفقهاء.[6] و لذا راج سوق الجواري رواجا عظيما ،وتنافس الناس في اقتناء الجميلات والموهوبات كل حسب مكانته و قدرته الشرائية و متفادين أي عيب جسمي يظهر في الجارية [7].

ومن مشاهد السوق في الحرص على اقتناء أجود الجواري ما رواه ابن الخطيب عن الفقيه أبو بكر البرذي قائلا:" مشيت يوما إلى سوق الرقيق لأخذ حق

---

*هو هذيل بن خلف بن لب بن رزين البربري مؤسس دولة آل رزين بالأندلس سنة(403ه/ 1012م)لما بايعه أهل " شنتمرية " فأحكم نظامها .كان ملكا هماما كريما ،بارع الجمال ،حسن الخلق . و كان أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات و اقتناء الجواري . ولم يزل على حاله إلى أن مات سنة 436ه/1044م، دامت دولته 33 سنة كلها آمنة هادئة. ابن عذاري ،البيان ،ج3 ص181، 182،183؛ عنان ،دولة الطوائف، ص 253 ، 254؛ خير الدين الزركلي ، الأعلام، ج8 ص 79.

[1] ابن بسام ، الذخيرة ، ج 3، ص70.

[2] ابن قتيبة، فتح الأندلس، ص 176

[3] ابن عذاري، المصدر السابق،ج3 ،ص 308 ؛خلاص، إشبيلية في القرن 5 هـ ، ص92

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق ،مج 1، ص 31.

[5] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة، سفر 8 ،ق2 ،ص489؛ سلمى سليمان علي، المرجع السابق، ص 251.

[6] ابن الحاج ، نوازل ، ص 21.

[7]عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين و الموحدين ، ص 365، 369، 370.

فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عسجدية اللون حديثة عهد بالصون متمايلة القد ،قيمة النهد بلحظ قد أوتي من السحر أوفر حظ و فم كشرطة رشحت بدم ،داخله سمطان لولاهما ما عرف النظم ، و لا حكم على الدّر للعظم و في صدغها لامان ما خطّ شكلهما قلم، و لا مثلهما حلم... و تسوم فيها أهل السوم و كل فيها يزيد ...إلى أن جاء فتى فعد المال عدا و لم يجد غيره من التسليم بدا... ففاتتني، فالله، الله، تدارك أخاك سريعا قبل أن تلقيه من الوجد صريعا، و استنزله خادما قبل أن تصبح عليه نادما."[1]

ولذا أولت كتب الأحكام و الوثائق و النوازل و الحسبة و الفقه و غيرها أهمية بالغة بالموضوع و تحدثت عن تراتبية جنسية الرقيق و تفصح عن وجود جنس أفضل من آخر. وأول ما يطرح عند البيع هو جنس الأمة مثل جليقية أو إفرنجية أو بربرية أو مشرقية ...وأول تراتب هو التمييز بين درجة الرقيق، فصنفته كتب الفقه إلي درجتين أولى و ثانية و هما كالتالي:

تصنيـــــف الجــــواري

جواري الدرجة الأولى:

و هن عليّة الرقيق و سميت الأمة منهن بـ : الرابعة أو الرائعة أو الرفيعة مخصصة للتسري وهي ذات أوصاف محددة في عقد البيع.[2] و في هذا الصنف قيل أن المثل الأعلى في الجارية:

" أن تكون من أصل بربري فرقت بلادها في التاسعة من عمرها، و مكثت ثلاث سنين المدينة، ومثلها في مكة و رحلت إلى العراق في السادسة عشر من عمرها لتتثقف بثقافته ،فإذا بيعت في الخامسة و العشرين فكانت قد جمعت بين جودة الأصل و دلال المدنيات و رقة المكيات و ثقافة العراقيات . و يوضح السقطي سمعة المولدة البربرية:" فالبربريات أطبع الخلق على الطاعة و أنشطهم للعمل و أصلحهم للتوليد واللذة، و أحسنهم للولد، و بعدهن اليمنيات ويشبههن بالعرب." [3].

و مثلما حدد لكل جنس صفة، حددت الوظيفة في نظر العارفين ذلك الوقت. فذكر السقطي ما نصه:"فجعلت الخادم البربرية للّذة، والرومية لحطة المال و الخزينة، والتركية لإنجاب الولد، والفرنجية للرضاعة، والمكية للغناء ، والمدنية

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة ،ج 3،ص373.

[2] ابن العطار، كتاب الوثائق و السجلات ، ص 285؛ عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين ، ص338 ؛ خلاص ، إشبيلية في القرن 5 هـ ، ص97.

[3] السقطي ، أداب الحسبة ، ص50 ؛ أحمد أمين، **ضحى الإسلام**،ج 1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 10،(د ت ط) ص 87.

للشكل والعراقية للطرب.[1]. على أساس هذا التفاضل بلغت أسعار بيع الجارية أرقاما خيالية".[2]

و اعتبرت كنموذج لأغلى جارية في هذا الصنف جارية " الأمير هذيل" و هي "ريحانة" السالف الذكر التي بيعت بثلاث آلاف دينار. فبما استحقت هذه الجارية تلك المكانة ،و ما هي الأوصاف التي أهلتها لذلك.؟

وفي شأنها ، يقول ابن بسام " كانت واحدة من القيان في وقتها ، لا نظير لها في معناها، لم يرى أخف منها روحا، و لا املح حركة، و لا ألين إشارة، و لا أطيب غناء ،و لا أجود كتبة، و لا أملح خطا، ولا أبرع أدبا ،و لا أحضر شاهدا على ساتر ما تحسنه و تدعيه، مع السلامة في من اللحن فيما تكتبه و تغنيه، إلى الشروع في علم صالح من الطب . ينبسط بها المدخل إلى علم الطبيعة و هيئة تشريح الأعضاء الباطنة...إلى حركة بديعة في معالجة صناعة الثقاف ـ أي تقويم الرماح وتسويتها ـ والمجاولة أي: الطواف والدوران ، والمجاولة بالسيف:ـ اللعب به و إدارته على جوانبه ـ وبالجحفة :ـ المناوشة بالعصي و السيوف،أو تقاذف الكرة وغير ذلك من أنواع اللعب بالسيوف والأسنة و الخناجر المرهفة وغيرها من اللعب. و لم يسمع لها نظير و لا مثيل و لا عديل." و يبدو أن الكتاني بالغ في تسطير تلك الأوصاف ،إلا انه يبدو لنا صدق بعض ما وصفه إذا ما سلمنا بأن الأمير"هذيل" هو الذي اشترى الجارية "ريحانة " بأغلى ثمن. [3]

ويظهر من خلال أوصافها في النص أنها كانت لا تعرف علم التجويد و من أجل ذلك ابتاع لها " الأمير هذيل" كثير من المحسنات المشهورات بالتجويد و طلبهن من كل مكان. وهذه الجارية المحظية هي التي حدثت عن مولاها "هذيل " وكشفت سر بيته و عدد جواريه و أنه اجتمع في بيته مائة و خمسون حظيّة ، و من الصقلب ستون وصيفا ، لم تجمع عند أحد من نظرائه. [4] ولا يبدو هذا الأمر غريبا أو صعبا على الأمير هذيل إذ تشير إحدى البرديات العربية إلى أن أحد أفراد عائلة بنو رزين الذين اشتهروا بشراء الجواري من مصر ، حيث تذكر أن عبد الله بن رزين و ربما يمت بالقرابة للأمير هذيل بن خلف بن لب بن رزين البربري ،اشترى جارية اسمها "يُمن" بإثنى عشر دينار و نصف دينار و قيراطين سنة سبعة و خمسين و مئاتين للهجرة (257هـ/ 871م) كما هو مسجل في العقد ، إضافة إلى جملة من الشروط وأسماء الشهود.[5] و أمكنني نص البردية من

---

[1] السقطي ، أداب الحسبة ، ص 49.

[2] لومبارد ،الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي ،ص258.

[3] ابن بسام ، الذخيرة ، ج 3، ص 70

[4] ابن بسام ، نفسه ، ج 3، ص 70.

[5] انظر نص البردية ،ملحق 17، جميلة بن موسى ، **الإسلام و الرقيق و نصوص أوراق البردي** العربية،مقال بمجلة الباحث، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة، الجزائر، العدد، الخامس ،جوان ـ ديسمبر، 2011م، ص 204، 205.

التعرف عن الفرق الشاسع في ثمن بيع الجارية في مصر ،ثم ارتفاعه الفاحش عند إعادة بيعها في الأندلس حيث راجت سوق الرقيق.

إذن الجارية "ريحانة" تأتي في المرتبة الأولى إذ قدر ثمنها بثلاث آلاف دينار، وتليها مرتبة جارية الوزير"المصحفي" التي قيل عنها،ما أبصرت عيناه قط أكمل منها قدا و لا أصبح خدا و لا أحسن مبسما و لا أملح أجفانا ولا أتم محاسن و كان مولعا بها بخيلا بمفارقتها. كما يصف ابن شهيد إحدى الجواري وصفا دقيقا و مفصلا وطويلا [1] وكان الأغنياء إذا أعجبتهم جارية يبذلون فيها أموالهم حتى يحصلوا عليها، بل أكثر من ذلك ، فإن الأمير المنذر بن عبد الرحمان الأوسط عرضت عليه جارية اسمها "طرب" فلما أعجبته ضاعف ثمنها أكثر مما طلب بائعها.

و إذا فرضنا أن سعر الجارية تجاوز بضع مئات من الدنانير ،فإن الحصول على هذا المبلغ حلم يستحيل تحقيقه بالنسبة للأكثرية الساحقة من الناس و لا سيما للعامة. وإذا اعتبرنا انخفاض سعر الجارية إلى عشرين دينار في عهد المنصور بن أبي عامر ـوالذي سمي بالجلاب لكثرة ما جلب من السبايا ـ ، و علاوة عما كانت تحوّله تجارة الرقيق ،[2] فيبدو أن هذا السعر ، كان حد أدنى يضرب به المثل لأرخص أنواع جواري الخدمة في قصور الأغنياء و ليس للعليات، أو ربما هذا السعر كان يعادل مورد البائع في السوق أو الحرفي في بضعة شهور فقط في عهد المنصور بن أبي عامر. [3] .. وقد نجم عن ذلك انتشار ظاهرة امتلاك الجواري في كل الأوساط المترفة و تعداها للعامة. لكن في الواقع وباستثناء عهد ابن أبي عامر فأن متوسط ثمن جواري العلية تراوح ما بين خمسين درهم عند الفتح وستين دينار في الفترات اللاحقة و لذا كثر عددهن في دور الأغنياء بالأخص.

جـــــواري الدرجة الثانيـــة:

عرف هذا الصنف ، بـ وخش الرقيق ـ . أو الدَنيات ، وأطلق هذا المصطلح على أراذل العبيد ذكورا وإناثا . ويدخل ضمنهم الخدم و العبيد المكلفون بالأعمال الوضيعة التي استنكف السادة و السيدات القيام بها. و أورد ابن العطار [4] وثيقة بيع أمة من وخش الرقيق جليقية الأصل ..و قد يذكر مصطلح الوخش للأمة مقرونا

[1] الإدريسي ، نزهة المشتاق،مج 1، ص 31؛ ابن شهيد الأندلسي، ديوانه و رسائله ، ص 192.
[2] المراكشي ، المعجب ، ص 60.
[3] خلاص، إشبيلية ، ص 92؛ مريم قاسم الطويل؛ المرية في عهد بني صمادح، ص 79
[4] كتاب الوثائق و السجلات، ص 33.

بسواد لونها و من ذلك ما ورد عن رجل ابتاع من رجل أمة سوداء. وأيضا عن مسألة عيب في أمة سوداء من وخش الرقيق.[1]

و هؤلاء الإماء ـ الجواري ـ اللائي يمتهن الخدمة أو يهبن ضمن صداق الحرائر لخدمتهن وربما ممن لا يصلحن للتسلية والمتعة ومشاغلهن في الأعمال المرهقة والأعمال الضعيفة.[2] أما طريقة الحصول عليهن من السبي والسلب أو بيع في الأسواق، أو يقدمن كهدايا لخدمة الزوجات والخليلات والتابعات . و أثمانهن عموما دون ثمن جواري العلية.

ولتوضيح صورة إحدى أماء الوخش استندت إلى وثيقة من وثائق ابن العطار[3] و التي وصفها قائلا : " قنواء ،وهي التي في وسط أنفها إرتفاع في العظم،أو شمّاء وهي التي طرف أنفها مرتفع و قصبة الأنف معتدلة أو خنساء، [أو وقصاء] و هي القصيرة الأنف، أو عيناء و هي الكبيرة العينين، أو بلجاء و هي التي لا شعر بين حاجبيها، أو مقرونة الحاجبين، أو صهباء و هي التي شعرها بين السواد و الشقر، أو سبطة الشعر مع اسوداده، نقية اللون أسيلة الخدّ [أو وجناء]،أو زجّاء و هي رقيقة طرف الحاجبين، أو نجلاء و هي واسعة العينين، حسنة القدّ ، ممتلئة الجسم ، حديثة السن أو كاعب ..." و غيرها من نعوت الجواري.[4]

فهذا العقد بمثابة بطاقة تعريف للجارية بحيث لا يمكن أن تلتبس أوصافها مع جارية أخرى و يتعرف عليها صاحبها إذا أبقت و حجته العقد الذي بحوزته . و يمكن للشاري أن يرفع قضية إن وجد عيبا في الجارية أو أثار مرض أو كسر أو كيّ لم يصرح به في العقد عند البيع. و قد تعرض المعنية بالأمر على من وثقت بها من النساء لتنظر في تلك العيوب و في حالات أخرى على الأطباء لإثبات ذلك.[5]

و لذا كانت تُعَين امرأة تعرف بأمينة السوق تشرف على الرقيق من الإناث نظرا لتجاوزات عديدة في بيع الجواري[6] .

---

[1] ابن الحاج ، نوازل ، و 18؛ الجزيري، المقصد المحمود، مج 1، 253؛ الونشريسي، المعيار ج6 ص 246 ؛ عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، ص 298.

[2] الونشريس، المصدر السابق ، ج 3، ص307؛ خلاص، المرجع السابق ،ص 97.

[3] ابن العطار، المصدر السابق ، ص 33.

[4]. عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين ، ص 319، 321.

[5] محمد عبد الوهاب خلاف، **وثائق في الطب الإسلامي و وظيفته في معاونة القضاء في الأندلس**، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لابن سهل (أبو الأصبغ عيسى) ، القاهرة ، المركز العربي الدولي للإعلام ، ط 1، 1982، ص 51، 60، 61، 68، 69، 75.

[6]السقطي، آداب الحسبة ، ص 56.

إن تجارة الجواري تمثل ظاهرة أساسية بارزة في تاريخ الاقتصاد الأندلسي ، ويبدو أن الحاجات الاقتصادية و الاجتماعية لهذه الفئة طغت على ما جاء به الإسلام من مختلف الوسائل لإعطاء هذه الفئة الاجتماعية حقوقها ، و تيسير انتقالها من حالة العبودية إلى حالة الحرية [1] ، لاسيما أن مديري هذه التجارة هم أكثرهم تجار يهود . لكن الملاحظ في سوق الجواري ،إن تجار اليهود متحفظين جدا على نساء بني جلدتهم و لم تذكر المصادر التاريخية و الفقهية في عرضها لأنواع أو جنسيات أو أصول الجواري من هن يهوديات بخلاف ذكر النصرانيات، ثم المسلمات إثر النزاعات السياسية الداخلية في الأندلس أو مع النصارى. وربما كان تجار اليهود يشترون حرية الجارية اليهودية بالمال صيانة لها.

أما فيما يخص صادرات الأندلس فقد ساهمت المرأة ببعض المنتجات ، منها مثلا المنسوجات خاصة الحريرية التي تزايد عليها الطلب في بقاع العالم آنذاك . واشتهرت موانئ ألمرية و مالقة في تصدير الحرير للمشرق الإسلامي ولاسيما إلى مصر و وصلت حتى ما وراء خرسان . [2] أما شاطبة فكانت مركز شحن التجار بالأمتعة إلى غانة و بلاد السودان وإلى جميع بلاد المغرب. [3] و اعتبر الحرير الخام ومنسوجاته أحد الموارد الاقتصادية الهامة في دولة بني نصر حيث تهافت عليه التجار الإيطاليين و في مقدمتهم تجار مدينة جنوة التي كانت تستورد خام الحرير وأضحت من أوائل المدن الأوربية المنتجة للمنسوجات الحريرية.[4]

الحرية الاقتصادية

تمتعت المرأة بالحرية الاقتصادية و الاستقلالية المالية [5] و بالأخص التصرف في ممتلكاتها و ضبط العقود و الوصايا و إدارة تجارتها ، و السيطرة المستقلة

---

[1] الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الإقتصادية والاجتماعية** ، الكويت، عالم المعرفة، 1426ه/ 2005 م. ، ص 81.

[2] Goitein S D :Letters of Medieval jewish Traders, p26, 225.

[3] العذري، نصوص عن الأندلس ص19.

[4] عنان ،نهاية الأندلس ، ص448. Lagardère :Campagne,p403 .

[5] من ذلك ما طالبت به سارة القوطية من عمها،نصيبها من أراضي ورثتها من والدها عرفت " بصفايا الملوك " و كان في مجملها ثلاث آلاف ضيعة. ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس،تح عبد الله أنيس ،ص74. Provençal: hist,t 1p, 358 .

Sanchez Albornoz : opcit, p38.

* خصصت كتب الأحكام حيزا مهما لمعالجة فقه الوكالات ، و تتضمن كتب العقود و الشروط صيغا لنماذج من عقود الوكالات ...ومن بينها وكالات التفويض التي تعتبر الواحدة منها بمثابة وكالة تامة و مطلقة ، يصبح بمقتضاها الشخص الذي حظي بالثقة المتصرف الرئيسي في تدبير استغلالية موكله و هذا ما ينطبق على وكالة "صبح" للمنصور محمد بن أبي عامر.

على ثروتها المالية مثل الأدبية "الشلبية". [1] و كان لها وكلاء * على ممتلكاتها تشهد عليها النصوص التاريخية ، ومنها أن المنصور بن أبي عامر تصرف أول أمره في الوكالة للسيدة "صبح" أم هشام و النظر في أموالها و ضياعها .[2] و أحيانا تكون المرأة هي المدبرة في تجارتها ، و ساعية إلى المطالبة بحقوقها المهضومة. [3] كما كانت تعقد شراكة مع زوجها في جميع أموالهما وفيها العروض والأطعمة على اختلاف ضروبها و الحيوان و العبيد. [4] مثلما يتضح ذلك من خلال نوازل الوقف المتضمنة حبس رجل خمس حوانيت بحاضرة غرناطة على ابنه وعلى عقبه الذكور و الإناث ما تناسلوا .ونازلة أخرى حبس رجل على ابنته نصف جميع حظه في حمام و على عقبها بعد موتها ما تناسلوا [5] .

كما أثبت بعض العقود ملكية المرأة لفندق من خلال عقد حبس لمحمد بن خليفة لابنته نجمة الصغيرة و لعاقبها في جميع الفندق الذي ببطليوس بقرب الصباغين ، وأن تصرفه في كراء الفندق إنما هو لابنته نجمة .[6] أما في حالة وفاة الأب وبقي لليتامى دون وصي ، فتقدم أمهم [7] ، و ذلك واضح من وثيقة عربية غرناطية " ... أنه بحال احتياج و افتقار وصيا عليهم ينظر في مالهم و كافة أحوالهم وضروريات أمورهم و ينفذ القسم عليهم في متروك والدهم ، و أن أحق الناس وأولاهم بالتقديم عليهم أمهم المباركة عائشة ابنة إبراهيم بن ثابت لثقتها و أمانتها و حسن نظرها وأهليتها لذلك".[8]

ولم تسلم المرأة البسيطة من تحامل الانتهازيين على أملاكها ، ومما ذكر في ذلك أن امرأة و رثت أموالا و عقارا مع أبنائها الذين هم في حضانتها و لم يكن لهم قط تعلق و لا خدمة لسلطان ، تجاسر عليهم احد المتنفذين ، فأغار عليهم و أخذ منهم

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج4 ،ص 169؛ عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 130؛ منجد مصطفى بهجت، المرجع السابق، ص 115.

[2] انظر ما سبق ذكره في فصل الثاني.

[3]ابن رشد ، فتاوى، سفر 2، ص 724، 725، 1217.

[4] الجزيري، المقصد المحمود مج 1 ، ص 169، 212؛ ابن ورد ، المصدر السابق ، مسألة 68، ص 124.

[5] ابن رشد، فتاوى، سفر1، رقم 148، ص 624، و مسألة 154، ص 667.

[6] ابن رشد ، نفس المصدر ،السفر 8، ص 1634، 1635 .

[7] الجزيري ، المصدر السابق، ،مج1 ، ص 166.

[8] دي لوثينا ، وثائق عربية غرناطية ، رقم 1، ص 3، 4.

أموالهم وتسبب بهم إلى أمهم و أغرمها مالا و باع عليها تحت الإكراه و الضغط.[1]

فقد كانت النساء الميسورات تقرض أزواجهن و يسجل القرض في عقد يضمن لها أموالها فهذه فاطمة ابنة محمد الخليع تقرض زوجها مائة دينار واحدة ، وخمسة وسبعين دينارا و نصف دينار فضية عشرية ترتبت لها قبله عن ثمن منشف حرير وفرخة شرب صفراء جديد و من ست أواني بأوقية واحدة ، و نصف أوقية من الذهب بطرفيها و رداء كتان محشاة دون رقم ، و ستة أرباع من الصوف المغسول قبضها منها . و أشهد على ذلك في عقد بمحضر الزوجة و موافقتها. و هما بحال صحة و جواز في 14 ربيع الأول 859ه/ 22 فبراير 1455م.[2]

كما أشهد زوج بتنازل عن ملكه وفاء بدين زوجته، و الزوجين المذكورين هما الشيخ حسن بن سعيد بن رزيق و زوجته عائشة بنت المارتيشي ، أما قيمة الدين فقدرت بعشرين دينارا من الذهب ، رغم أن الزوج أنفق هذا المال على أسرته. ومقابل القرض ملكها أملاك عقارية منها نصف الدار عينها لها.[3] و هكذا سجل في هذا العقد اسم ولقب الطرفين و مبلغ الدين ، و كيفية تسديده ،حافظا حقوق المرأة كاملة و غير منقوصة ،و حبذا لو يطلع المستشرقين علي هذه العقود ليقفوا على مدى حماية الدولة الإسلامية لحقوق المرأة المسلمة ؛ و مراجعة نظرتهم لمعاملة المرأة في الإسلام.

كما كانت تشترك مع القوم في استثمار أراضي زراعية ، و في بيع و شراء وكراء العقارات . و من عبارات العقود في هذا المجال :" البائعة على نفسها و على بنيها فلان و فلانة ."[4] ويفهم من شكوى إحدى النساء من أن بناء الفرن بقرب دارها ضرر عليها لأنه يَحُط من ثمن دارها .[5] و من النساء الجريئات في المطالبة بحقوقهن، الشاعرة أسماء العامرية التي كانت تسكن بإشبلية، خاطبت عبد المؤمن بن علي برسالة تسأله فيها رفع الإنزال عن دارها والاعتقال عن مالها.[6]

كان بيع و شراء العقارات يسجل في عقود و يخضع لعادات و تقاليد تلزم الأطراف المبرمة لها نساء و رجالا العمل به ،سواء ما تعلق منها بعقود بيع عقار

---

[1] أحمد الطاهري ، الفلاحة والعمران الريفي ،ص102.

[2] دي لوثينا ، وثائق عربية غرناطية ، رقم 9، ص 22.

[3] دي لوثينا ، نفس المصدر . رقم 62، ص 106

[4] الجزيري، المقصد المحمود ، مج 1 ،ص 169، ص 289 ،293.

[5] ابن رشد، نوازل ، ص 14،13، 53، 55 ؛ الطاهري أحمد، عامة قرطبة، ص 167.

[6] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، السفر 8، ق2،رقم 239، ص480.وانظر الفصل الثاني.

في المدينة أو بعقار زراعي. و خلص الباحث لويس دي لاكونتي فيما جمعه من وثائق عربية غرناطية إلى القول بوجود "مظاهر تتصل بالحياة الاجتماعية و العادات والتقاليد التي جرى عليها أهل غرناطة ...فمن ذلك أنه عندما يحرر عقد بيع عقار في المدينة يشترط فيه أن يكون دفع الثمن منجما على الشهور ، تكون هذه الشهور هي قمرية،كلما انقض منها شهر حلّ موعد أداء جزء من الثمن. أما إذا كان البيع عقارا زراعيا فإن الحساب يكون على أساس نهاية السنة الزراعية، و كانت هذه السنة تنتهي في شهر أكتوبر في الأندلس ..." إن هذا التقليد أو هذه العادة صار قانونا ملزما عند الأندلسيين.

و يتضح ذلك من خلال العقد الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى على الله على محمّد و آله : باع المعلم أبو الحسن علي بن الأحسن الحسيني من ربيبته أم الفتح بنت محمد الشلباني جميع المصرية بزنقة المريني بربض باب الطوابين داخل غرناطة ، قبيلها أبو الحداد ، جوفيها ابن سعيد ،شرقيها الزنقة ، غربيها البائع بحقوقها و حرمها و مدخلها و مخرجها بيعا تاما بثمن قدره ثمانية و عشرمن دينارا من الذهب بالصرف المعتاد، قبض منها و من صفتها عشرة دنانير و أبرأها فيها ، عشرة دنانير منها يدفع عند أكتوبر الثاني من هنا لتاريخه، و ثمانية الدنانير الباقية يتدفع عند انقضاء أكتوبر الثالث من هنا لتاريخه،

و بذلك خلص للمبتاعة تملك المصرية المبيعة خلوصا تاما على السنة و المرجع و الدرك ، و بعد النظر و التقليب و العلم بأن تحتها لدى البائع ربع دار صغيرة فرضتها و التمزتها عرفا قدرة ، ، وأشهدا به منّ عرفها في السادس لشوال عام خمسة و ثمانين ثمانمائة .(9 دجنبر 1408 م)."[1] و يتبين من خلال الوثيقة اعتماد الأندلسيين السنة الزراعية التي تنتهي بانتهاء شهر أكتوبر لأداء المستحقات المترتبة عن بيع عقار زراعي .و تضمن هذا البيان عادة من مروءة و حسن تدبير و تقدير. فالفلاح في نهاية الموسم الزراعي يستجمع أنفاسه ، و يجمع محصوله ، و يكون في أتم استعداد لأداء ما التزم بدفعه. [2]

و من مظاهر استقلالية المرأة الاقتصادية أنها تمتعت بحرية السفر و الترحال حتى في أحلك الظروف السياسية . فلم تمنع فتنة ابن حفصون النساء

---

[1] قاسم الحسيني، **الأندلس الإنسان و المكان** ،، ، مطبعة بني أزناسن ، الرباط ، ط1 ،2007، ص 98.

[2] قاسم الحسيني ، نفس المرجع ، ص 99.

من ذلك ،إذ كانت المرأة في أيامه تجيء بالمال و المتاع من بلد منفردة ، لا يتعرض لها أحد من خلق الله ، و من يجرأ على ذلك كانت عقوبته السيف ، يصدق المرأة ولا الرجل ولا الصبي ،. و ما كان يطلب في ذلك شاهدا إلا الشكوى.[1] ورغم أمر الفقهاء للأزواج بعدم السماح لزوجاتهم من ممارسة التجارة . فإنه لم يعارض أحد منهم عن اشتغال المرأة في الأنشطة المتعددة في قطاع الخدمات.

الخدمـــات العامة:

مارست المرأة حرفا متعددة فكانت الطبيبة ، و القابلة ، و الحجامة و الحاضنة ومربية أولاد العائلات الميسورة و المرضعة و خادمة البيوت في العائلات الموسرات و الطباخة والراقصة في الحفلات و الأعراس. و الحلاقة ، و خدامة الحمام ، وناسخة الكتب ...و النائحة في المآتم .[2]

الطبيبـــــة

إن هذه الخدمة بقدر ما هي جليلة و ضرورية فهي حساسة و خطيرة ، ولذا قال ابن عبدون الحريص على سلامه أفراد المجتمع الصحية و النفسية بكل مسؤولية:" صناعة الطب فيه إتلاف المهج ، وخطا الطبيب التراب يستره ، و لا يتسور فيه إلا بعلم ، لا سيما النساء ؛ فالجهل و الخطأ فيهن أكثر".[3] و يفهم من النص ، أن شدة الحذر من هذه المهمة انعكس على قلة عدد الطبيبات الأندلسيات ، وكانت بعض النساء تعالج عند الأطباء.

---

[1] ابن عذاري، البيان ، ج 2 ص 114.

[2] ابن حزم، طوق الحمامة ، ص 97.

[3] ابن عبدون ،الرسالة الأولى في الحسبة ، ص 46.

* أسرة بنو زهر عرقية في مهنة الطب ، توارثه الأبناء عن الأجداد رجالا و نساء . و من أعلام هذه المهنة : أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء ، يعرف عند الأوروبيين بـAvenzoar توفي في 557ه/1162م. و أبو بكر محمد المعروف بالحفيد بن زهر، عاش مابين(507ه-595ه/1110م- 1198م) و هو أخ "أم عمر الطبيبة، ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ،ص245.

Jaquart Danielle et François Micheau : **La medécine arabe et l'occident médiéval**,maisonneuve et la rose , Paris,1996, pp 142,143.

محمد الأمين بلغيث ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، مج 2 م ،ص 470.

و وردت إشارات تؤكد على ممارسة المرأة لحرفة الطب التي تتلقى بمقابلها أجرة منها المداواة و الممرضة و القابلة. و من الطبيبات : - **أم عمرو** بنت أبي مروان بن زهر و أخت أبي بكر ابن زهر . * كانت متقدمة في الطب ماهرة في التدبير والعلاج، وحظيت بذلك عند أمراء الموحدين بني عبد المؤمن. فكانت تلج قصورهم وتنظر في علاج مرضى نسائهم وأطفالهم وإمائهم، و تارة تستفتى في الطب لرجالهم فتزيد بذلك مكانة إلى مكانتها التي يقتضيها مجدها المؤثل و شرفها المؤصل، وتوفيت بعد الثمانين وخمسمائة. 580ه/ 1184م [1] ثم خلفتها ابنتها في تطبيب نساء المنصور الموحدي اللائي لم يبتغين العلاج إلا عند أخت أبي بكر بن زهر ثم بعد وفاتها ابنتها[2]

كما اشتهرت **الأديبة "أم الحسن"** بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي التي درسها أبوها الطب ففهمت أغراضه ، و علمت أسبابه وأعراضه ،فبرعت فيه. [3]

و اشتهرت جارية الأمير هذيل بمعرفتها للعلوم الطبيعة و بتشريح الأعضاء الباطنية. [4] لكن يبدو جليا أن عدد الطبيبات كان يعد على الأصابع على عكس النساء المختصات بالعلوم الدينية و الأدبية

<u>القــابلـــــــة :</u>

انتشرت هذه المهنة في أوساط الخاصة و العامة وحيث اقترنت بمهنة الطب مثل ما كانت تقوم به أم عمرو بنت زهر. و قد تتحمل القابلة مسؤولياتها عند ارتكاب أخطاء . فقد ذكر ابن عبدون أنه يجب أن يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء و في حكم من المحكومات عند امرأة قابلة خيرة قد عرف القاضي فضلها ، أن يجعل لها القاضي أجرة على ذلك من بيت المال

---

[1] ابن عبد الملك، الذيل و التكملة ، سفر 8، ق2،رقم 245، ص 483.

[2]ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،ص105. عبد العزيز بن عبد الله ، **الطب والأطباء بالمغرب** ، الرباط ، المطبعة الاقتصادية، 1960، ص 5، 6؛ فضيلة بوعمران، **الطب العربي في الأندلس،** مقدمة لكتاب التسيير في المداواة و التدبير لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر الإيادي الأندلسي، منشورات ثلة ، الجزائر ، 2007، ص23، 24

[3]ابن الخطيب، **تاج المحلى في مساجلة القدح المعلى،** تحقيق محمّد عبد الله عنان،القاهرة مكتبة الخانجي،ط1401،1ه/ 1981م، ص410؛ ابن الخطيب، الإحاطة،مج1، ص 430.

[4] ابن بسام ، الذخيرة ، ج 3، ص 70.

المسلمين. و يبرز دور القابلة في العائلات و في الأسواق وذلك بمراقبتها للإناث من الرقيق خاصة في مسألة الاستبراء.[1]

الحجامـــــة :

حرفة امتهنها الرجال و النساء ، و كانت المرأة الحجامة تختص بمداواة النساء لكن هذا لم يمنع المرأة أن تحتجم عند رجل بشرط أن لا يخلو بها في حنوته أو تكون حجامتها في السوق و في موضع ينظر إليه و ترمقه الأبصار.[2]
و قال الشاعر أبو بكر بن البكي (ت 560هـ/1164م) ممجدا هذه الحرفة ما يلي:

قالوا الكتابة أعلى خطة — قلت الحجامة أعلى عند أقوام

لا تحسبوا المجد في طرس و لا في قلم — المجد في صوفة أو مبضع دام[3]

و يشير البيتين أن الحجام أصبح ينتفع في عصره من هذه المهنة أكثر من الكاتب أو الأديب فاستحق تفضيل الشاعر للحجامة عن الأدب، أو ربما انتشرت الأمراض في عصره. يبدو من هذا العلاج أنه ضروري لما يفقد الإنسان صحته فلا يرى الشفاء إلا في الحجامة لقوله ﷺ :" **إن كان شيء من أدويتكم خير، ففي شَرْطَة مَحْجَم أو شربة عسل أو لذعة نار، و ما أحب أن أكتوي".**[4] ، و عموما فأن الحجامة مارسها الرجال و النساء ،لم تفقد أهميتها عبر الزمن فما تزال لحد الساعة علاج ناجع لكثير من الأمراض المستعصية و هي من الطب النبوي المتفق عليه .

الحـــاضنـــــة:

وردت في كتب الفقه بعض المسائل فيما يخص الحاضنة أو المربية، والمرضعة . و ورد في فتاوى ابن رشد أن الحاضنة أو المربية إذا لم تكن قرابة

---

[1] السقطي ، آداب الحسبة ، ص48 . Provençal :histoire,t3,p 315.

[2] ابن عبدون ،الرسالة 1 في الحسبة ، ص 46.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي ، ص 85.

[4] صحيح مسلم، رقم 2525، ص480.

وطلبت زيارة أهلها من النساء ،ألا يحال بينها و بين من تأنس بها و ترجو الانتفاع برؤيتها .

و بذلك قد ضمن لها بعض حقوقها. و يضيف أنه ، قد عُلم بمستقر العادة أن الحاضنة أحب في المحضونة و أنفع عليها و انفع لها من كثير من قرابتها وذوي محارمها من الرضاعة .[1] و أن الحاضنة إذا سافرت إلى موضع لا يكون لها حمل المُحضن إليه ، أو تخرج إلى الضيعة ثم ترجع هل بإمكانها الرجوع إلى حضانتها؟[2]

أما مسائل الرضاعة فهي كثيرة ، و أورد الجزيري في شأنها عقد إجارة ظئر الذي تضمن ما يلي:"استأجر فلان فلانة بنت فلان لترضع له ابنه فلانا في دارها حولين كاملين ، وتغسل خرقه و لفائفه و تُحميه بكذا دينار مقسطة على شهور الحولين ،يدفع إليها في كل شهر منها."[3] و يتبين من خلال العقد[4] مدى العناية بالمرضعة من حيث نوع الغذاء مثل دقيق القمح الطيب و الزيت الأخضر الطيب ، و كميته التامة ، و نوع اللباس في فصلي الصيف و الشتاء من غطاء الرأس إلى لباس القدمين .و ركزت الوثيقة عل لباس الشتاء نظرا لقسوة البرد لحماية المرضعة ، لأن حمايتها تعني حماية الرضيع . كما يتحمل الزوج دفع نفقة الرضاعة في حالة انفصاله عن زوجته ، و منها رجل فقير دفع لزوجته ما يلي[5]

و مهنة الحضانة قديمة في التاريخ الأندلسي و منتشرة في العائلات الميسورة بالأخص. و من العائلات الأندلسية التي أثرت في تسميتها و تربية أولادها إحدى الحاضنات هي عائلة الرشاطي مثلا. و من أشهر نسائها التي حفظت بعض أخبار العائلة هي ، **أسماء** بنت علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمية، مَرَوية - نسبة إلى اَلمرية – الرشاطية. و يذكر ابن عبد الملك ما يلي:" و حكى أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي في كتابه "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار، في أنساب الصحابة ورواة الآثار" نسبته الرشاطي. وقال – ونقلته من خطه- : هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها و قد كنت أظن أنها نسبة إلى موضع أو بلد ، فسألت عن ذلك أبي ، رحمه الله فقال : هذه نسبة قد شهرنا بها نحن وآباؤنا ولا أعلم لها أصلا، فسألت عن ذلك **أسماء** عمة أبي رحمهما الله، فقالت إن أحد أجدادنا كانت به في جسمه شامة كبيرة هي التي تعرف بالوردة ويسميها العجم "رشته"- -Rosseta

[1] ا بن رشد، فتاوى ، سفر2، م 286، ص 991.
[2] ابن رشد، نفس المصدر ، سفر2، ص 1370.

[3] الجزيري، المقصد المحمود ،مج 2، ص 338.
[4] انظر ملحق رقم 18.
[5]. Lagardère Vincent: histoire et société en occident musulman , p216 ,217 .

وكانت له في صغره خادم عجمية تحضنه وتكفله فكانت عندما تخدّعه وتلاعبه تقول له : رشطاله، وكثر ذلك منها حتى غلب عليه وقيل رشاطي.[1] قال صاحب الكتاب عن أسماء : لولا الإفادة بهذه الحكاية عن هذه المرأة لم أذكرها لأني لم أتحقق كونها من أهل العلم فإن كان يوجد أشباه هذه الحكاية عند من ليس من أهل العلم فلا تكون من شرط الكتاب. [2]

و قد استخدمت كثير من النساء الجواري في تربية أبناء الحكام و الأمراء والخاصة . وعن مهنة تربية الأطفال و نتائجها على الطفل أولا و على الأسرة والمجتمع ثانيا، اخترت مثالين فقد من المجتمع الأندلسي. ؛ الأول عن حاكم ، والثاني عن عالم ، تربيا في أحضان الجواري المربيات و نتائج تلك التربية في تكوين الشخصية نفسيا و خلقيا و هما:

الأول هو يحي بن إسماعيل بن ذي النون صاحب طليطلة ، والملقب بالقادر الذي ربي في حجر النساء و الدايات. و نشأ بين الخصيان و الغانيات. و لما أصبح حاكما غلب عليه كل خصي و مولد، وكل كان يدبر ملكه على إرادته، [3] وضعف شخصيته واستهتاره ، كانت نتيجة تربية هذا النوع من النساء سلبا عليه. أما المثال الثاني فهو العلامة والفقيه محمّد بن حزم ، فقد تربى بين نساء ـ جواري ـ عالمات و مؤدبات ؛ حيث قال عنهن :" وهن علمنني القرآن وروّينني كثيرا من الأشعار و دربنني في الخط ." . فغرسن فيه حب العلم ، [4] وساهمن في تكوين شخصيته الفذة . و بفضل تعليمهن له واصل مشواره العلمي الذي كُلل بإنتاج فكري غزير ما يزال إلى حد الساعة ينتفع به . و هكذا كان تأثير الجواري على أبناء الأسر الحاكمة أو الأسر الميسورة سلبا أو إيجابا.

<u>النـــــــاسخـــــة:</u>

اعتبرت حرفة النسخ أحد مصادر الرزق لدى الكثير من النساء الناسخات من العوام .أما نساء الخاصة فاعتبرن نسخ الكتب منها المصاحف و كتب الفقه من أعمال البر و التقرب بها إلى الله رجاء في نيل الثواب الحسن . و يبدو من

---

[1] ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، السفر8، ق2،رقم 237، ص478، 479؛ منجد مصطفى بهجت، أعلام النساء. رقم 48 ، ص120.
[2] ابن عبد الملك ، نفس المصدر ، السفر8، ص 479.
[3] ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص 78، 79.
[4] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص 62

خلال تراجم العالمات أن معظمهن اقترن علمهن بالخط . فكانت مقرأة و محدثة وخطاطة تنسخ المصاحف .مثل : "**صفية** "بنت عبد الله الرّبي و "**عائشة**" بنت أحمد بن محمد بن قادم و " **عزيزة** "بنت محمد بن نميل **فاطمة**" بنت زكريا بنت عبد الله :(الكاتب المعروف بالشبلاري) و امتلكن مكتبات معتبرة ،إما بنسخ الكتب أو بشرائها. [1]

شارك في فن النسخ الرجال و النساء على حد السواء . و اشتهرت قرطبة بكثرة النساء الناسخات حتى تبوأت البعض منهن منزلة علية نظرا لبراعتهن وجودة خطهن .[2] . و قيل أن الربض الشرقي من قرطبة فقط كان يوجد به مائة و سبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي. فإذا كان هذا العدد خاص بربض واحد لقرطبة [3]، فنتساءل عن أرباضها العشرون الأخرى و ما احتوته من الناسخات ، فلا شك فيه أن عددهن كان أضعاف مضاعفة. و ما ميز عمل النسخ أن الناس فضلوا الكتب التي نسختها النساء لأنها نظيفة و متقنة . كما أن أثمانها منخفضة عن تلك التي يبيعها النساخ من الرجال . يبدو أن النساء يقتنعن بالثمن الزهيد رغم جودة النسخ ، إما لحاجتهن الماسة للمال أو لكثرة العرض فتضطر الناسخة لبيع ما نسخت من كتب وتفادي كسادها .

المغنيـــــــة :

اشتهر الكثير من أهل الأندلس بميلهم إلى الغناء، ومن مظاهر ذلك ما ذكر عن مدينة بلنسية ، التي اتخذ أهلها أسباب الراحة و الفرج ، و لا تكاد تجد من يستطيع على شيء من دنياه إلا و قد اتخذ عند نفسه مغنية و أكثر من ذلك. و تتفاخر أهلها بكثرة الأغاني . وبلغ ثمن المغنية في بلنسية أكثر من ألف مثقال طيبة، و أما ما دون الألف فكثيرات.[4] و لذا لجأ بعض الأندلسيين إلى الاستفتاء في مشروعية دخلهم من الغناء ، و هل يمكن لسيد المغنية الانتفاع من أجرتها التي تتلقاها من غنائها في الأعراس و في المناسبات الأسرية السعيدة ،و هل يحل وراثتها .؟ [5]. و لم تغفل كتب الحسبة عن هذا النوع من النشاط النسوي ، فقد حددت بعض الضوابط و منها حركة المغنية وتصرفاتها في المناسبات التي تستدعى إليها. [1]

---

[1] انظر ما سبق في الفصل 4.
[2] ابن بشكوال ، الصلة، ص 696؛ المقري، نفح الطيب، ج 4 ، ص290.
[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص 299.
[4] العذري ،نصوص عن الأندلس ، ص 18.
[5] الونشريسي، المعيار ، ج5، ص188.
[1] السقطي، آداب الحسبة، ص 48.

أما في قصور الحكام و إضافة إلى الغناء فكانت تمنح المرأة الجارية وظائف عديدة و متنوعة مثل القرمانية و الراشدة و الخزانة و الماشطة ، و الكاتبة . وتحفظ لنا الوثائق لعقد إجارة خادم توضح لنا أنواع الأنشطة التي تقوم بها خادمات البيوت مثل ما نصت عليه هذه الوثيقة :" استأجر فلان فلانة بنت فلان لخدمة بيته من العجن و الخبز و الطبخ و الكنس و فرش السرير و استقاء الماء و غسل الثياب و الغزل والنسيج و غير ذلك من التصرف داخلة و خارجة لمدة كذا أولها كذا بكذا وكذا دينارا يدفعها في وقت كذا ، و عليه نفقتها و كسوتها للمهنة و اللباس والرقاد لمدة المذكورة إجارة صحيحة". [1]

و هكذا يفرض على هذه الخادمة في عقد الشغل برنامج شغل المنزل اليومي المكثف تدفع جزء من أجرتها مقابل المبيت و المأكل والملبس. و يتبين لنا مما سبق أن المرأة الأندلسية مارست عدة أنشطة وفقا لمتطلبات حجاتها اليومية أو تلبية لخدمة مجتمعها و اعتبرت عنصرا فعالا في العملية الإنتاجية الاقتصادية

ثالثا: نمـــــــاذج من نساء أعمـــال في الأندلس

و من خلال تراجم نساء الأندلس ، وصف العديد منهن بالصلاح و الزهد والورع ، و حب الأعمال الصالحات و تقديم النشطات الإنسانية، ومنهن أم الحسن، ومسعدة المحدثة، ... و قد نسب إلي عدد منهن بناء المساجد و الإنفاق عليها. وصفت "**الشفاء**" بكثرة أوقافها على المساجد . و نسب إلى "**فخر**" مسجد رفيع وأمهات المساجد ،و إلى "**شعاع** " القرطبية مسجد بربض الرصافة . و اتخذت بعض النساء مساجد جوار بيوتهن ومنهن" **نظيرة** "أم الحسن أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي . [2]

ففيما وظفت المرأة الأندلسية ثروتها المالية؟ وما نوع المشاريع التي استقطبت اهتمامها ؟ و بالتالي هل كان مال المرأة عنصر فعال في استثمار المشاريع لصالح المجتمع الأندلسي ؟

تمتعت بعض نساء الأندلس بثراء واسع و صرفت الأموال في الأعمال الخيرية ومنها صدقات التطوع التي يدخل فيها جميع وجوه الإنفاق والبر و

---

[1] الجزيري ، المقصد المحمود ، مج 1، ص 326.

[2] منجد مصطفى بهجت، أعلام النساء. ص114.

الخيرات والحسنات، سواء على ذويها المحتاجين أو على الفقراء و المساكين أو على المرضى . و سعت المرأة المسلمة على هذا النوع من الإنفاق ، لأن الإسلام حث عليه ، مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.** ﴾[1] و ﴿**يا أيُّها الَذين أمَنُوا أنْفِقوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُم .**﴾ [2] كما حث الرسول الكريم ﷺ على الصدقة. والغاية من الصدقة سواء أكان واجبا أو تطوعا ، هو إيجاد توازن اجتماعي يقرب بين أفراد الأسرة من جهة و بين أفراد المجتمع أغنياءهم و فقرائهم من جهة أخرى .

و قد ساهمت المرأة في كلتا الحالتين في حدود إمكاناتها و قدرتها المادية والمعنوية . فعلى مستوى نساء الخاصة نلاحظ عطف المرأة سواء كانت أما أو أختا أو زوجة على ذويها . و منها امرأة حبست على ابنة صغيرة دارها التي تسكن فيها . و جعلت قبض ذلك إلى زوجها والد الصبية. .. كما تصدقت الأم على البنت بمائة مثقال - دينار من الذهب- و وهب الأب لابنته قبل وفاته حليا و ثيابا. كما وهبت أختا لأخيها مالا . و امرأة أخرى تحملت نفقة أخيها مدة حياته . و امرأة أخرى تصدقت على زوجها بثلث مالها.[3] و منها رجل اشترى بمال زوجته دارا.

و إذا أصيبت المرأة بمرض تزداد رأفة و صدقة على المحتاجين من المساكين أو المرضى . و تطلعنا إحدى الفتاوى أن امرأة أمتعت زوجها كل أملاكها، لكن لما مرضت عدلت عن ذلك و تصدقت بثلثها للمساكين.[4].

و من جهة أخرى فإن نساء الحكام و الأمراء و من أمهات الأولاد ، أوقفن أموالا طائلة على الصالح العام بإسهامهن في أعمال البر لا سيما إذا وضعت ولد ليكون ولي العهد مثل بناء المساجد ، و كذا الشأن لنساء الخاصة الميسورات و وقف المنيات مثل" منية عجب" و منية أم سلمة الغربي في احد أركان قرطبة. [5]

ومن نساء البلاط الأموي عدة نساء تنافسن بينهن على بناء المساجد و أعمال الخير الذي بلغ أشده ، نظرا للأهمية الكبيرة للمسجد في حياة المسلمين . فهو المكان الذي يؤدون فيه عبادتهم و يتلقون فيه دينهم ، و فيه يتقاضون و يتعلمون ويجتمعون و يتشاورون في أمورهم ، فهو بحق قلب المدينة المسلمة لا في موقعه فقط ، بل في دفعه و مهمته . و يدخل هذا العمل في باب الصدقة الجارية. و من نماذج ذلك مسجد عجب، [1] و يقول ابن سعيد عن أبي المطرف عبد

---

[1] سورة آل عمران ، الآية 92.

[2] سورة البقرة ، الآية 267.

[3] ابن بشتغير،نوازل ،رقم 58،ص 196 و رقم 138،ص 237. و رقم 153، 244،و رقم 163، ص247.

[4] ابن رشد، فتاوى ، م 307، ص 1043، ابن بشتغير، المصدر السابق، رقم 62، ص197

[5] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص 122؛ ابن سهل ، ديوان الأحكام الكبرى ديوان الأحكام الكبرى ، ص681.

[1] ابن سهل ، نفس المصدر ، ص 623.

الرحمان بن الحكم ، (حكم ما بين 206هـ – 238هـ /821م-852م) " و تولع جواريه ببناء المساجد و فعل الخير".[1]

و من جواريه ما قدمته الجارية **الشفاء** من أعمال جليلة ، و كانت عند الأمير عبد الرحمان بن الحاكم الذي أعتقها و تزوجها . و كانت من أجمل النساء عقلا و دينا و فضلا. و كانت أكثر نسائه وقفا على المساجد . و إليها ينسب المسجد الذي في الربض الغربي من قرطبة. و كان الأمير عبد الرحمان الأوسط يحملها معه في بعض غزواته لأجل مرضها. و في إحدى غزواته وافتها المنية بفج البشرى من حوز طليطلة ، فدفنت هناك و صار قبرها معروفا بالمنطقة. . و هي التي كفلت الأمير محمد بن عبد الرحمان في صغره لما توفيت أمّه. و لما أصبح الأمير محمّد حاكم الدولة الأموية بعد وفاة أبيه ، حرر سكان القرية التي دفنت فيها مربيته الشفاء من المغارم لصيانتهم قبر "الشفاء" و تجديدهم لرسمه.[2] . و هكذا يبقى فضل "**الشفاء** " و إحسانها جاريا حتى بعد موتها.

أما الجارية "**طروب**" السالفة الذكر فينسب إليها المسجد بقصر الربض الغربي و لها آثار سواه [3]. و جاريته **فخر** [4] لها مسجد رفيع على أمهات المساجد بقرطبة ، و هي أم ولده بشر أبي الوليد الأديب الشاعر.[5] و قد شملت قرطبة عند انتهائها في التوسع والعمارة إلى واحد و عشرون ربضا منها ربض مسجد "أم سلمة". [6]

وكذا الأميرة "**البهاء**" وهي ابنة الأمير عبد الرحمان الأوسط، [7]. كانت خيرة زاهدة متبتلة شديدة الرغبة في الخير و إليها ينسب المسجد الذي بربض الرصافة ،. وتوفيت في (رجب سنة 305ه /ديسمبر 917 م) لأول دولة الناصر فلم يتخلف أحد عن جنازتها. [1]

---

[1] المغرب في حلى المغرب ،ج1، ص 41.

[2] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس، ص 117 ؛ ابن حيان، المقتبس، تح مكي ص 149 ؛ ابن سعيد ،المصدر السابق ،ج 1 ص 52؛ ؛ عبد الله عنان ، دولة الإسلام، ج 2، 274.

[3] ابن الأبار ، الحلة السيراء ،ج1، ص 114؛ ابن عذاري، البيان ، ج2 ، ص 92.

[4] اسمها في المقتبس فجر ،ص 10، 15. Provençal :hist .esp.mus,t3,p

[5] منجد مصطفى ، أعلام نساء الأندلس ، رقم 9، ص 109.

[6] المقري ، نفح الطيب ،ج 1، ص 463.

[7] لم تذكر البهاء ضمن عدد بنات عبد الرحمان الخمسة الأربعين اللاتي ذكرهن ابن حيان في المقتبس، تح محمود مكي، ص 164.

[1] ابن الأبار، التكملة ، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة، السفر8، ص 484. منجد مصطفى ؛ المرجع السابق ، رقم 22، ص 113.

و من أعمال البر للجارية **مرجان** أم ولد الخليفة عبد الرحمان الثالث –الناصر- ، و مما أورده ابن حيان في هذا الشأن: " و من آثارها كان المسجد الأكبر المنسوب إلى السيدة بالربض الغربي الذي عض الخراب اليوم عليه. و قد كان أوسع مساجد قرطبة بناء وأحسنها عمارة ، يتكفل بمصالحه و أحواضه و سدنته ، و غاشي وفوده عليه، وقفها الجليل الذي وقفته عليه ، و على غيره من مساجدها من حقولها العظيمة القدر والوافية الغلة بطرف قرطبة الغربي ،مستمر الإنفاق عليه و على غيره من وافي غلتها مر السنين" [1]

و من أعمال الجارية **مشتاق** أم ولد الخليفة عبد الرحمان الناصر و هي أم ابنه المغيرة، تجديد جدران مسجد بقرطبة ، و أضافت بناء مقصورة للصلاة خاصة بالنساء. و الاستدلال على ذلك يوجد بقايا نص أثري مسجل فيه ما يلي: " بسمله ... و لا حول و لا قوة إلا بالله العظيم أمرت السيدة مشتاق أم الأخ المغيرة بعمل هذا المنار المنضمة له و تجديد طُرر هذا المسجد فتم بعون الله على يدي جعفر بن عبد الرحمان فتاها في شهر رمضان ... - ن و ثلاث مائة."[2] و تم هذا الإنجاز بأموالها الخاصة ، ما بين سنتي(350 هـ و 366هـ /961م-976م). و بناء على هذا التأريخ فهو يفترض إتمامه في عهد الخليفة الحَكَم المستنصر بالله.[3] و يضاف إلى هذه المجموعة من المساجد ،مسجد "أم هشام" .[4]

كما تشهد الكتابة المتبقية في أحد مساجد إشبيلية على أن صومعة المسجد قد أمرت ببنائها إعتماد الرميكية زوج المعتمد بن عباد ، حيث تنص اللائحة على ما يلي :" بسمله...و صلى الله على محمد خاتم النبيين .أمرت السيدة الكبرى أم الرشيد أبي الحسين عبيد الله بن المعتمد على الله المؤيد بنصر الله أبي القاسم محمد بن عباد أدام الله تأييده و أمره وإعزازها بإقامة هذه الصومعة بمسجدها صانه الله طال.(طلبا : lisez) لجزيل الثواب فتمت بعون الله على يدي الوزير الكاتب الأمين أبي القاسم بن حجاج وفقه الله . و ذلك في شعبان من عام ثمانية و سبعين و أربع مائة (478ه/1085م)."[5]

رغم أنه لم يذكر اسم إعتماد لكنها نسبت إلى ابنها الرشيد و لقبت بالسيدة الكبرى في بعض المصادر العربية. وكانت نفقات مساجد اشبيلية و منها مسجد السيدة

[1] ابن حيان ، المقتبس ،ج 5 ، ص13.

[2] Provençal : inscriptions arabes, n°18,p 24.

[3] Provençal ,ibid, p 24,26.

[4] ابن سهل، المصدر السابق ، ص 626

[5] Provençal : ibid , n° 32,P 40 .

تعتمد على الأحباس.[1] ويشيد العذري " بجامع إشبيلية ... و أن صومعته من أتقن الصوامع وأبدعها عملا و ألطفها صنعا معقودة."[2]

و أذكر من بعض أعمال نساء الخاصة " **شعاع"** و هي جارية قاسم بن أصبغ ، من قرطبة التي سمعت من مولاها . و كانت صالحة و لها مسجد بربض الرصافة من قرطبة.[3] أما أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي **نظيرة أم الحسن ،** كانت مقيمة بفحص البلوط، و كان لها مسجد بجوار ببيتها و يقصدها عجائز ناحيتها نسائهم الصالحات للذكر و التفقه في الدين و الدراسة.[4]

و من الأعمال الخيرية ما وقفته نساء البلاط على الصالح العام مثل حقول السيدة " مرجان " الواسعة و الوفيرة الغلة بقرطبة ، و منها بمقبرة الربض. و هذه التربة كانت حصينة الأبواب منيعة الأسوار. و بداخلها تحصن القاضي محمد بن زرب لما ثارت عليه العامة . كما تركت وصية لابنها وليّ العهد تمثلت في مبالغ مالية عظيمة سبلتها في وجوه زكية من أبواب البر.[5]

إن الحقول العظيمة التي أصبحت تملكها مرجان ، بعد أن أصبحت أم ولد وولادتها ولي العهد الحكم ، تدخل ضمن ما كان يقطعه الخليفة لأفراد الأسرة الحاكمة ، و هي من نوع الإقطاعات المدنية.[6]

و نظرا لأهمية الماء و دوره في حياة الإنسان ، فقد اقترن انتشار السقايات بالوقف،[7] خاصة في محيط المساجد .و قد تقترن ثقافة الماء لدى الخاصة من أمراء و حاشيتهم و غيرهم من علية المجتمع الأندلسي بتجهيز القصور والمتجمعات بمنشآت مائية تعبر عن الترف أكثر من الحاجة المادية اليومية،[8] وضرورة الماء، أضف إلى ذلك ،الماء بين التضامن و النزاعات في المجتمع الأندلسي،[1] لفت اهتمام بعض النساء في التطوع بتوفير الماء للصالح العام، و من نساء الخاصة التي ساهمت في هذا الميدان السيدة " **صبح** " أم الخليفة هشام

---

[1] أحمد الطاهري، الفلاحة و العمران القروي بالأندلس، ص 75.

[2] العذري ، المصدر السابق ، ص 97.

[3] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة ، سفر 8، ق 2 ، رقم 262، ص488. منجد مصطفى بهجت ، المرجع السابق، رقم 65، ص 123.

[4] منجد مصطفى ، نفس المرجع ، ص 114.

[5] ابن حيان، المقتبس،ج 5، ص13 ؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، ص 79 .

[6] الجنحاني الحبيب، **الحياة الاقتصادية من خلال المقتبس،** مجلة المناهل ، عدد 29 سنة 11، 1404ه/ 1984، ص 346.

[7] الونشريسي، المعيار ،ج 6 ،98.

[8] سعيد بنحمادة ،**الماء و الإنسان في الأندلس** ،خلال القرنين 7-8ه /13- 14 م ، ط 1، دار الطليعة ، بيروت ، 2007، ص121، 125

[1] سعيد بنحمادة ، نفس المرجع ، ص 64، 70.

المؤيد التي أمرت ببناء ساقية . و ما يزال يوجد نص أثري يدل على ذلك في إشبيلية ،يعرفنا به الباحث ليفي بروفنسال بما يلي:

" بسمله... أمرت ببنيان هذه السقاية السيدة أعزها الله الوالدة أم أمير المؤمنين المؤيد بالله هشام بن الحكم أطال الله بقاه رجا منها ثواب الله الجزيل أجره العظيم .فتمت بعون الله و تأييده على يدي صنيعتها صاحب الشرطة و قاضي أهل كور "إستيجة" و" قرمونة" و أعمالها أحمد بن عبد الله بن موسى و ذلك في شهر ربيع الآخر سنة سبع و ستين و ثلث مائة 367ه." - وما يوافق سنة 977م. -و هذا النص من 11 عشر سطرا مكتوبا بالخط الكوفي على قطعة من الرخام الأبيض ، موجود حاليا بالجدار الخارجي لساحة كنيسة سنتا كروز بإستجة [1] .

و من خلال آثار أعمال البر العمرانية المتبقية ،يبدو أن معظم أمهات الأولاد اهتموا ببناء المساجد أو العناية بها. و في شأن إسلام "صبح" لم تفصل المصادر على أنها أسلمت إنما قيل أن الخليفة الحكم المستنصر لم يعتقها لنصرانيتها رغم أنها أنجبت له ولي العهد الذي انتظره طويلا . و من جهة أخرى لما توفيت صلى عليها المنصور بن أبي عامر ،ويظهر من فعله هذا أنها كانت مسلمة ، لأنه لا يصلي المسلمون على ذمي.

و إضافة لما سبق فقد ساهمت المرأة بجملة من الأعمال الخيرية الأخرى منها حبس أو وقف الكتب لتعم الفائدة و ينتفع المسلمون بالعلم . مثل الأميرة **البهاء** وكانت تكتب المصاحف و تحبسها.[2]

و الأميرة "زينب" ابنة إبراهيم بن تيفلويت أخت حواء زوج أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، كانت من أهل الخير والتصاون والصدقات والنوافل تقوم على كثير من الخير، و عنها يقول أبو إسحاق الخفاجي من قصيدة :

مشهورة في الفضل قدما والنهي   والنبل شهرة غرة في أدهم

تولى الأيادي عن يد نزل الندى   منها بمنزلة المحب المكرم

ملكت به الأحرار أكرم حرة   بسط المقل بها يمين المنعم

حمل الثناء بها القريض و إنما   حمل الحديث رواية عن مسلم. [1]

---

[1] Provençal : inscriptions arabes, n° 30, p 37.

[2] ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل و التكملة، السفر8، ق2، ص 484. منجد مصطفى ، أعلام نساء الأندلس، المرجع السابق، رقم 22، ص 113.انظر عن ذلك الفصل الرابع

[1] ابن عبد الملك، نفس المصدر ، سفر8، رقم 289، ص 498، 499.

و لا تقل الأحباس ذات الطابع الاجتماعي أهمية عن ما سبق ذكره لاسيما الأحباس المخصصة للصالح العام ، مثل الأحباس المخصصة للمرضى التي تستعمل في توفير الموارد الكافية لعزل العلل المعدية و تعميم مداواة و تدبير الصحة. و برعت في هذا النوع من الأحباس الجارية " **الشفاء**" التي وقفت أموالا معتبرة على المرضى والضعفاء. من الأعمال البر فك الرقبة أي العبيد – الآية- تقربا لله تعالى أو جزاء للعبد على الخدمة و الوفاء ، و من ذلك أن السيدة "صبح"حررت الفتى "ميسور" وأصبح يسمى "الجعفري" نسبة لها.[1] يبدو أن المسلمين كانوا أكثر حرصا على فك أسراهم من النصارى حيث ازداد حجم الأوقاف الموجهة لفداء الأسرى الذين وقعوا في قبضة النصارى بدار الحرب منذ القرن 5هـ/11م ،و هي من القضايا التي أصبحت من الظواهر المؤلمة .[2]

و من النساء اللائي بذلن أموالهن في فك الأسرى من قبضة النصارى ، منهن سيدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري، من أهل غرناطة، و التي تعرف بأم العلاء- السابقة الذكر- [3] قيل عنها أنها لم تزل قائمة على السعي في الخيرات والتوفر على أعمال البر والإيثار بما تملك وفك الرقاب من الأسر وغير ذلك من أعمال البر المذكورة، وتوفيت على تلك الحال عصر يوم الثلاثاء لخمس خلون من محرم سبع وأربعين وستمائة، ودفنت لصلاة الظهر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة من المصلى خارج تونس. [4] كما حاول الخليفة الناصر فك الأسرى بمال إحدى جواريه ، [5] و نستدل بهذه النماذج السابقة الذكر أن إسهام النساء في هذا العمل الخيري كان منتشرا ومرغوب فيه بين مختلف فئات النساء و على نطاق واسع.

ثالثا:مكانـــــة المـــــــرأة في الفكر الأندلسي

[1] عمر لطف ، تاريخ الصقالبة ، 47.
[2] الونشريسي، المعيار،ج 7 ، ص 140؛ أحمد الطاهري، الفلاحة و العمران القروي بالأندلس، ص 78.
[3] انظر عنها الفصل الرابع .
[4] ابن عبد الملك، الذيل و التكملة، سفر8،ق2، رقم 261 ، ص 487، 488.؛ منجد مصطفى، المرجع السابق، رقم 63، ص 123.
[5] المقري، نفح الطيب ،ص 423

إن رسول الله محمّد بن عبد الله ﷺ، أنصف المرأة في كل مراحل حياتها أُماً وأختا و زوجة و بنتا و نصرها ظالمة و مظلومة و قال في معاملتها :ما أكرمهن إلا كريم ..." فهل كان الفكر الأندلسي في مستوى إكرام المرأة؟ هذا ما أحاول رصد بعض معانيه من المجتمع الأندلسي من مواقف السلطة السياسية و الدينية والاجتماعية تجاه المرأة .

المرأة و السلطة السياسية :

كان من حق المرأة الأندلسية إذا وقع عليها ظلم من أي إنسان قريب أو بعيد، أن تشكو إلى القاضي مظلمتها ؛فينظر القاضي في مظلمتها بعين العدل .و تميزت عدالة القضاء الإسلامي في الأندلس بالصرامة في تنفيذ الأحكام .

فمن أخلاقيات المجتمع الأندلسي احترام الأم و سماع شكواها عند الحكام والتشدد في عقاب من يعقها . و من مظاهر ذلك عدة مشاهد اخترت منها بعض الحالات للحكام في عهود مختلفة و منها ما يلي:

عهد الحكم بن هشام(الربضي)

أبو المخشى، * شاعر أندلسي مجيد و هو والد الشاعرة حسانة التميمية التي عاشت في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة. قطع لسانه الأمير هشام بن عبد الرحمان الداخل لأسباب ، و منها تعرضه لشرف إحدى النساء الصالحات .[1]

---

*هو عاصم بن زيد بن يحي بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن محمد التميمي من أهل إلبيرة ،كنيته أبو المخشى. عاش في عهد عبد الرحمان الداخل و توفي سنة 180هـ. ابن حزم ، رسائله، ج2 ، ص48. و لما مات بعثت ابنته الشاعرة حسانة بقصيدة إلى الحكم بن هشام. انظرعنها ما سبق في الفصل 4. و من أسباب حقد هشام على أبي المخشى موالاة هذا الأخير لسليمان بن عبد الرحمان . و كان بين الأخوين هشام و سليمان مشاحنة و منافسة شديدة . و لما بلغ هشام أن أبا المخشى قد عرض به عندما مدح أخوه سليمان اشتد غضبه من البيت الشعري الذي كان يعنيه :

" و ليسوا مثل من بان سيل عرفا يقلب مقلة فيها أعوانه"

و كان هشام أحول فاغتاظ لذلك و انتهز قذفه للمرأة فأشفى بها غليله ابن الخطيب، الإحاطة مج 4 ص 232. . و لكنه عولج فنبت شيء من لسانه و أصبح يتكلم. وفي شأنه استفتي الإمام مالك بن أنس : " قد بلغني أن رجلا بالأندلس نبت لسانه أو أكثره بعد ما قطع ، فأمكنه الكلام . وأشار إليه في فتواه في التأني بدية اللسان .مالك بن أنس ، **المدونة الكبرى**،مج 6، بيروت، دار صادر،،(دت) ص311. ،ابن الخطيب ، الإحاطة ،مج 4، ص 232.

و يقال أنه كان في لسانه بذاءة زايدة يتسرع به إلى من لم يوافقه من الناس فيهاجمهم و يقذف نساءهم و يهتك حرمهم . استدعاه والي ماردة الأمير هشام بن عبد الرحمان الأول- و ذلك في حياة أبيه – فسافر إليه طمعا في نبله . و لما دخل عليه قال له يا أبا المخشى :" إن المرأة الصالحة التي هجوت ابنها فقذفتها ، فأفحشت في سبها ، قد أخلصت دعاءها لله في أن ينتقم لها منك ، فاستجاب لها و تأذن بالاقتصاص لها على يدي منك .ثم أمر رجاله فقطع لسانه وسُملت عيناه و بقي زمنا ممثلا به .[1]

يبدو أن الحماية القانونية للمرأة المسلمة راعتها الأحكام القضائية ، ولم يتهاون بعض القضاة في تطبيقها على الواقع المعاش ولم ينحازوا للحكام. و من وقائع ذلك تطبيق الحكم على "الأمير الحكم الربضي". و ذلك عندما اغتصب جارية و أخذها عنوة بدون رضاها من صاحبها ،لأنها راقته بعد أن أرسلها له عاملها على "جيان" . و حاول صاحبها استردادها بلا جدوى ، ولذا لجأ إلى القضاء . فما كان من القاضي إلى أن أمر برد الجارية لصاحبها؛ لكن حاول الأمير الحكم الربضي التحايل على حكم القاضي وعرض شراء الجارية بأكثر من ثمنها إلا أن صاحبها تمسك بها. و وقال القاضي للحكم :" أيها الأمير إنه لا يتم عدل في العامة دون إقامته في الخاصة ." و خيره بين أن يُخرج الجارية لصاحبها أو يعتزل القضاء . فعرض الحكم الربضي حلا آخر ؛ و هو أن تُخير الجارية بينه و بين صاحبها . فأخرجت الجارية من قصر الحكم أمام القاضي للفصل في الخلاف، فاختارت صاحبها ، فردت إليه .[2]

و هكذا ضمن القضاء الإسلامي حرية الاختيار لهذه الجارية التي لم يغريها قصر الحكم و فضلت الرجوع لسيدها الأول.

عهد المنصور بن أبي عامر

أن دعوة الأمّ العطوف لأبنائها تعد الدعاء المستجاب في كل مكان وزمان، ولذلك فإن رضا الوالدين يستوجب رضا الله عزّ وجلّ لمن برَّ بهما . فإذا أسر الابن فقلب الأم مأسور مع ولدها و لا يهنأ لها عيش و لا يطيب حتى تطمئن على

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج4 ، ص 167 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة مج 4 ،ص231؛ يوسف فرحات ، معجم الحضارة الأندلسية، ص 40.

[1] المقري، نفح الطيب، ج4 ، ص 167 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة مج 4 ،ص231.

[2] مجهول ، أخبار مجموعة ،تح الأبياري، ص 113، 114؛ ابن عذاري، البيان ، ج 2 ، ص 87.

سلامته. ومن ذلك ما حدث في عهد المنصور محمد بن أبي عامر حين عاد من بعض غزواته،لقيته امرأة نقمت عليه بلوغ مناه و شهواته قائلة له:

" يا منصور اسمع ندائي،فأنت في طيب عيش ،و أنا في بكائي ". فسألها عن مصيبتها، فذكرت له أن لها ولدا أسيرا،وأنها لا يهنأ عيشها لعقده و أنشدته ما يلي:

أيا ويح الشجيّ من الخليّ و بالي الربع من إحدى بالي

فرحب المنصور بها و أرق لحالها و خرج بجنده إلى المدينة التي أسر فيها ابنها . وخلص جميع ما كان فيها من الأسرى. وقال لحال المرأة : إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا".[1]

و من مآثر المنصور في السلم ،أن رفعت إليه رقعة استعطاف لأمّ رجل مسجون ؛كان ابن أبي عامر حانقا عليه لجرم استعظمه منه. فلما رأى رقعة المرأة تذكر السجين واشتد غضبه عليه، فأخذ القلم و أراد أن يكتب يصلب،فكتب ،يطلق،و دفعها لحاجبه.

فقال له الحاجب بعد قراءة الرقعة ،أ يطلق ؟أجابه المنصور: يصلب ! وأعاد الكتابة ثانية وثالثة سهوا ــ يطلق بدل يصلب ــ فلما رآه خطه في الثالثة عجب لذلك متأملا ما صدر منه ثم قال: "نعم يطلق على رغم مني ،فمن أراد الله سبحانه إطلاقه لا أقدر أنا على منعه. [2]

أما زوجة محمد فصاد المنصور بن أبي عامر و خادمه وأمينه على نفسه التي ظلمها زوجها، فاشتكته للقاضي محمد بن زرب ،و لما أبى محمد الفصاد الاعتراف سجنه القاضي... و في إحدى الأيام طلبه المنصور إلى الفصد فوجده في السجن، فأمر بإخراجه لأداء مهمته. و انتهز هذا الفصاد فرصة وجوده مع المنصور للتشكي من القاضي لتخفيف الحكم. فقال له المنصور بن أبي عامر:"يا محمد إنه القاضي و هو في عدله... عد إلى محبسك أو اعترف بالحق فهو الذي يطلقك." [1] ولما بلغت القاضي شكوى الفصاد لابن أبي عامر ،زاد شدة في حكمه حتى صالحه مع زوجه.

عهد باديس بن حبوس

---

[1] المقري ، نفح الطيب، ج1 ،ص597.

[2] الحميدي، جذوة المقتبس ، ص112 ،113؛ ابن حزم، رسائله ، ج 2، ص226؛ (محمد بن علي) ابن الأزرق الغرناطي ، **بدائع السلك في طبائع الملك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم AMSS 05937 ، و 199.

[1] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس ص 14 ؛ ابن عذاري، البيان ،ج 2،ص290. الكبيسي،المرجع السابق ، ص98.

من أمثلة ذلك ما حدث في عهد باديس بن حبوس الذي يضرب به المثل في شدة القسوة و سفك الدماء؛ أنه وقفت له يوما عجوز تشكي عقوق ابنها ، و أنه مدّ يده لضربها ، فأحضر باديس الإبن و أمر بضرب عنقه. فقالت له يا مولاي ما أردت إلا ضربه بالسوط وأدبه. فقال لها : لست بمعلم صبيان ، و ضرب عنقه. [1]

و من مظاهر إكرام الأندلسيين المرأة والسهر على راحتها ،اهتمامهم بالعمارة الأندلسية، و تصميم الدور و المنازل رغبة في توفير راحة المرأة . فكانت المنازل على نوعين هما ، منازل الخاصة ومنازل العامة. فمنازل نساء الخاصة تتكون من طبقين أو أكثر ،حيث يزين الطبق العلوي فيها شماسات أو شراجيب ، أو مظلات بارزة إلى الخارج ، تشاهد منها المرأة ما يحدث في الخارج دون أن يشاهدها أحد من المارة. أما الأجزاء الداخلية لهذه المنازل ، فهي عبارة عن أحواش ، أو صحون داخلية مزينة بنافورات المياه ، والورود و الأزهار و الرياحين ، مما يجعلها قاعة استقبال جميلة ومريحة تتوفر فيها التهوية خاصة في فصل الصيف. فيكون المنظر مجمع فيه بهجة للناظرين ، و بخاصة لسيدة الدار. أما منازل نساء العامة فهي بسيطة تحتوي على نوافذ صغيرة و خالية من الزخارف . [2]

و لقد التزم النمط العمراني بتخطيط خاص و التزام الآداب و الأخلاق الإسلامية. و اهتم رجال الحسبة بمراقبة النسيج العمراني في الأرياف و المدن [3]. وقد حفلت كتب النوازل و الحسبة بهذا الأمر ،فمثلا في منع المباني ألا تكون لها نوافذ أو أبواب تطل على الجيران ، وكذا منع المباني التي تطل على المقابر أن لا تكون لها نوافذ أو أبواب تفتح أو تطل عليها. و يؤمر أصحابها بإزالة المخالفات أو بسد الكوى و النوافذ حتى لا تكشف النساء.[4] وكانت الدور أو "دويرات " خاصة بالأسرة الواحدة ، كما كانت هناك دور مشتركة تستأجر للعديد من الأسر. أن هذه الدور كانت تجمع بين المسلمين و النصارى و اليهود رغم وجود رباع خاصة باليهود.[1]

و تميزت قصور الأندلس و دورها بجودة الأثاث و إبداع صناعته مثل الحائطية و البسط لأن الأندلس كانت تشتهر بأنواع من صناعة الزرابي و الأثاث.

---

[1] ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ،ص 106، 107 .

[2] أحمد شحلان، الحياة العامة في الأندلس، ص173.

[3] ابن سهل ، ديوان الأحكام الكبرى ، ص351،349.

[4] ابن سهل ، نفس المصدر ، ص662.

[1] الونشريسي ، المعيار، ج 5، ص 208.

أما عند العامة فتميز أثاثها بالبساطة مثل الحصير و التليس ـ و هو سجاد غليظ ذو لوان مختلفة، وغيرها من الأثاث والأدوات المنزلية. فكان مطبخ العائلات الغنية يزخر بأكواب الذهب و الفضة والزجاج و التحف المعدنية و أواني الخزف المزخرفة بالأشكال الهندسية و الحيوانية ، أو الموشاة بالأشعار ، و المائدة و الأريكة الفاخرة .[1]

وفي هذه المنازل كانت النساء الميسورات يقضين أوقاتهن في الحديث أو نظم الشعر أو تفنن في الخط ، أو التجميل أو التطريز على قطائف غالية . أما النساء الرقيقات الحال كن يشتغلن بالحياكة و الغزل، و لذا كانت المرأة البسيطة تخصص مكانا للمغزل و النول في أحد زوايا البيت. وكان مطبخها يحتوي على قناني الكرنب المملوءة ماء أو زيتا، و أواني الفخار من كل حجم. [2]

و هذا الأثاث المنزلي والأدوات المنزلية مشتركة لدى نساء المسلمين وأهل الذمة دون تمييز كل حسب وضعها المادي و الاجتماعي. و كذا الأمر بالنسبة لإعداد مائدة الطعام ، نظرا لتنوع المحاصيل الزراعة المعيشية ، و توفر المواد الاستهلاكية من اللحوم مثل البقر والغنم و الأرنب و الدجاج و الحمام، و الأسماك المتنوعة التي تحتاج إلى التوابل والأفاويه و الخلول المتوفرة في المطبخ الأندلسي ، و وجود خضر و فواكه ،فقد تفننت المرأة الأندلسية في إعداد أصناف من الأطعمة العادية و أطعمة الأعياد و الحفلات و المناسبات السعيدة .[3]

و من الملاحظ على بعض الأطعمة أنها معقدة و تحتاج إلى مواد كثيرة و غنية ليست في متناول الجميع ؛ كما تحتاج إلى وقت طويل للتهيئة و الطبخ و حرصا دقيقا وعناية فائقة لإنجاحها مثل، " طعام الملوك" الإبراهيمية و " الجوذابة" وخصوصا اللحوم المشوية أو الحيوانات المحشوة كالكبش المحشو بالدجاج و الحمام و الفراخ والعصافير و الزرازير؛ و "المري النقيع " و "المري المطبوخ".[1] وإلى جانب ذلك توجد أطعمة أخرى بسيطة و سهلة

---

[1] أحمد شحلان، الحياة العامة في الأندلس، ص 176.

[2] أحمد شحلان، نفس المرجع ،ص 176 .

[3]ابن رزين التجيبي ، **فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان ، صورة من فن الطبخ في الأندلس و المغرب في بداية عصر بني مرين** ،تحقيق محمد بن شقرون وأشرف على إعداده إحسان عباس ، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط 2 ، 1984، ص 18، 19.

[1] ابن رزين التجيبي، نفس المصدر ، ص129، 132، 133، 262، 266.

التحضير.[1] بالإضافة الثريد وإلى صنوف من الخبز والمجبنات و الإسفنج والحلويات .[2]

و من المجمعات السكانية في الأندلس التي خلدت إحدى نساء الأندلس ، مدينة الزهراء؛ إذ تشير بعض الروايات أن مدينة الزهراء كانت بادرة تكريم الخليفة الناصر لأحدى جارياته التي تحمل نفس الاسم " الزهراء" . [3] أما سبب بناء المدينة فيقال أنه كان للناصر سُرّيّة ماتت و تركت مالا كثيرا . فأراد أن يفك بذلك المال أسرى المسلمين . و طلب في الأسرى من بلاد الفرج فلم يجد أسير، فشكر الله تعالى على ذلك. فقالت له جاريته **"الزهراء"** و كان يقربها : اشتهيت لو بنيت لي بالمال مدينة تسميها باسمي ، و تكون خاصة لي ، فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل، وشمال قرطبة ، و أتقن بناءها وجعلها متنزها و مسكنا للزهراء. [4]

و نقل إليها حاشية أرباب دولته، و نقش صورتها على الباب . و إن كان ورد الاختلاف حول التسمية ، هل المدينة اسمها الزهراء أم تمثال المرأة المسماة الزهراء؟ [5] و لما تم البناء نقش صورة الزهراء على بابها مبالغة في حبه للزهراء؛ وحسب الاعتقاد السائد أن هذا التمثال لم يكن قد صنع خصيصا للزهراء . و انه لا يعدو أن يكون تمثالا رومانيا قد نصب على أحد أبواب مدينة الزهراء تقليدا للتمثال المنصوب على باب القنطرة بقرطبة .[6]

و يبدو أن أهل الأندلس اعتادوا تزيين منشآتهم بالتماثيل القديمة خاصة التي تمثل النساء مثل التمثال الذي زين به حمام الشاطرة بإشبيلية يمثل امرأة من مرمر كاملة القد و حسنة الجسم، وجميلة الوجه.و أغلب الضن أن التمثال الذي كان ينتصب على أحد أبواب " مدينة بجانة" كان تمثالا قديما يشبه تمثال مدينة الزهراء.[1]

و لما تم بناء المدينة، قعدت الزهراء في مجلسها و نظرت إلى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الأسود ، فقالت :"يا سيدي ، ألا ترى في حسن هذه

---

[1] ابن رزين التجيبي ،نفس المصدر، ص 53،49، 58. 87؛ خديجة قروعي، ظواهر اجتماعية، ص378،

[2] ابن رزين التجيبي، نفس المصدر ، ص 63، 244. خديجة قروعي، المرجع السابق،ص368، 369،375.

[3] ابن عذاري ،البيان، مج 2، ص231 ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص298.

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 111 ؛ المقري، أزهار الرياض ، ج2، ص 268 ؛ المقري، نفح الطيب،ج1، ص 523.

[5] إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، ص 299 ؛ سالم ،تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، 308.

[6] عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس،** بيروت، دار النهضة العربية،ط 1، 1969، ص 24.

[1] سالم ، نفس المرجع ، ص 25.

الجارية الحسناء- تعني المدينة- في حجر ذلك الزنجي؟ و لم يستحسن الناصر ملاحظتها، فأمر خدامه بإزالة الجبل ، لكن أشار عليه جلساؤه من استحالة ذلك ، وما يقدر عليه إلا خالقه . و في محاولة له إزالة تلك الصورة التي استغربتها جاريته ، أمر بقع أشجار الجبل الأصلية و غرس بدلها أشجار التين و اللوز. فأصبح منظر المدينة أحسن مما كان عليه لاسيما في وقت إزهار شجر اللوز الذي يخفي نوعا ما سواد الجبل .[1] إلا أن البعض يستبعد أن يكون الناصر رضخ لرغبة حظية عنده ببناء مدينة خاصة لها .

وبناء هذه المدينة له علاقة بالضغط البشري على عاصمة الخلافة ، لا سيما أنه نقل إليها إدارة الدولة و حاشيته و معاونيه.[2] و رغم تضارب الآراء فإن هذه المدينة تعد من روائع العمارة المدنية الأندلسية التي خلدت اسم الجارية الزهراء .

المـــــــرأة و سلطة الفقهاء

إن شخصية المرأة الأندلسية كانت حاضرة في مختلف المجالات ، و كانت قوية في معظم الحالات، و لم تكن دوما طيعة بل تجاوزت بجرأتها الحد و شذت بعض النساء عن تلك القاعدة . ومما أورده الخشني من بعض الحالات تشهد على تخلق المرأة و استطالتها على الزوج . فما موقف الفقهاء و العلماء من هذا التصرف و ما موقف السلطة من القاضي المعني بالأمر؟

و من هذا النموذج نشير إلى المرأة "كفات" زوجة القاضي محمد بن زياد اللخمي ، التي يبدو أنها كانت سليطة اللسان و شرسة و مسيطرة عليه ، حتى أن ألسنة أهل قرطبة آخذته بأفعالها . و اقترح زياد لتولي القضاء لدى الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط الذي لم يوافق على توليته القضاء و الصلاة كما كان من قبل و ذلك لسيرته غير المحمودة و تسلط زوجته عليه. و برر الأمير موقفه قائلا: يكفيه الصلاة فقط، فإنني لم أنس ما كانت الناس تقوله في امرأته"كفات" و سيطرتها عليه.[3]

و هكذا فأن سوء سيرة هذه المرأة مع زوجها القاضي أثر سلبا على وظيفته؛ فإذا كان هذا المثال عن علاقة قاضي مع زوجته ، فما هو موقف القاضي مع بعض الزوجات اللائي يتسلطن بألسنهن عليه؟

في هذا الصدد أورد القاضي الخُشني حالتين جرتا في هذا المعنى في مجلس أحد القضاة و خلاصتهما كالتالي:

---

[1] المقري، أزهار الرياض ، ص524

[2] إبراهيم بيضون ، المرجع السابق ، ص 299.

[3] الخشني، قضاة قرطبة ، ص 60،61.

الحالة الأولى:

تقدمت امرأة أمام القاضي أسلم بن عبد العزيز - عزل في سنة - مطالبة الفرض على زوجها . فاستجاب لها القاضي و دعا مستشاره أبو عبد الله محمد بن قاسم ليفرض لها ، إلا أنها رفضت ما قرره القاضي و استقلت الفرض .

و قالت :" ما ثم أحد يتكلم لله ". و لما سمع القاضي أسلم بن عبد العزيز صلفها ، دعا بسوط و قنع رأسها ضربا ، فجعلت كمها على رأسها حتى فرغ من الضرب؛ فقالت له : أحسنت يا قاضي ، هكذا يفعل القضاة ، بالله الذي لا إله إلا هو لا قبلتُ هذا الفرض الذي فرض لي . وازدادت غيظا .[1] يبدو من خلال جواب المرأة بعد ما ضربها، أن هذا الحُكم كان نادر الوقوع ، و أن القضاة لا يباشرون القمع و الكبح بهذه الصفة في حق النساء.

الحالة الثانية: قال أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة عنها ما يلي: "

تقدمت امرأة إلى قاضي الجماعة أحمد بن بقي – تولى خطة القضاء في 314ه/ 926م - في خصومة مع زوجها ، و استطالت علي القاضي بلسانها و آذته بصلفها . فنظر إليها وقال لها : اقصري و إلا عاقبتك . فانكسرت شيئا ثم عاودت الصلف ثلاث مرات . فزجرها أكثر من مرة مرددا :" أنت ظالمة ثلاث مرات " دون أن يقوى على أكثر من ذلك . و كان أحمد بن بقي أكثر رفقا و رأفة أمام انفعال هذه المرأة . و لما سمع بما فعله أسلم بن عبد العزيز بالمرأة ، قال الله المستعان و أسأل الله التوفيق .[2]

وتحاكمت امرأة إلى القاضي أبي محمد عبد الله اللأزدي الأصبحي و كانت ذات جمال و نادرة. فحكم القاضي لزوجها عليها، فقالت له:" من يضيع قلبه كل طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا، و هي تشير إلى قوله:

أين قلبي أضاعه كل طرف فاتر يصرع الحليم لديه

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا أي صبر ترى يكون عليه

و لم يعاتبها القاضي على ما تجرأت به عليه أمام الملأ.[1]

يتبين مما سبق ذكره عن بعض نماذج النساء ، تكرر استطالتهن على القضاة ؛ لكن تصرف القضاة اتجاه هذا النوع من السلوك يختلف من قاضي لأخر، ومن ذلك يلاحظ نبذ أحمد بن بقي استعمال العنف و الضرب و إنما يحبذ صرفهن أو زجرهن بالكلام فقط ؛ و ذلك لمكانة القاضي الدينية و العلمية والاجتماعية والتي تستوجب الاحترام و التقدير من طرف الخاصة و العامة.

---

[1] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص 166.

[2] الخشني ، نفس المصدر ، ص 165، 166.

[1] المقري ، نفح الطيب ،ج 3، ص 404. 405.

ومن جانب أخر ، كان بعض العلماء و القضاة و الصلحاء يساهمون في مساعدة النساء المهمومات في تفريج كربهن و مؤازرتهن في الشدائد لاسيما في حالات الغزو النصراني على ديار المسلمين. حيث اشتدت صرخات النساء .

و ما أكثر صرخات الأمهات و شكواهن من شراسة العدو ولجوئهن إلى الفقهاء والعلماء للتخفيف من ألامهن والتماس دعائهم لاستجابة الله لهم حتى يفك قيد أسراهم. و يبادرن بتقديم كل ما يمتلكن فداء لفلذات أكبادهن. و من مشاهد هذه المأساة ، إنه جاءت امرأة إلى الفقيه بقي بن مخلد [1] وقالت له:"إن ابني قد أسرته الفرنج ،إني لا أنام من شوقي إليه،ولي دويرة أريد أن أبيعها لأفكه بها .فإن الرأي أن تشير إلى من يأخذها و يسعى في فك أسره ،فليس لي ليل ولا نهار،و لا صبر و لا قرار." فرقى الفقيه لحالها و دعا الله لها و انصرفت عنه.[2]

وما لبثت مدة طويلة حتى رجعت إليه وابنها معها وقالت للفقيه اسمع منه يرحمك الله !وحينئذ قص عليه ابنها كيف نجا، ": و ذلك أنه كان في خدمة الملك ، وكان مقيد الرجلين و ذات يوم سقط القيد من رجله، ـــ صادف دعاء الشيخ ـــ فأعيد توثيق قيوده ثانية و ثالثة لكن كان يسقط في كل مرة، فتعجبوا منه و سألوا رهبانهم فقالوا له ؛هل لك والدة؟ فأجبهم بنعم. فقال له الرهبان : وافق دعاؤها الإجابة ، أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك . فأطلق سراحه و أوصلوه إلى ناحية المسلمين. [3] و يبدو من سؤال الراهب للأسير ، أن مكانة الأم و إجلال قدرها و الانتفاع بدعائها يوجد أيضا في غير المجتمع المسلم ، و نظرا لإيمانهم بذلك أطلقوا سراحه عطفا بأمّه.

المـــــــرأة و الأدباء

[1] بقي بن مخلد أبي عبد الرحمان القرطبي من أئمة الدين والزهاد الصالحين . تعلم على أهل بلده ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم.ولما رجع إلى الأندلس ملأها علما جما و صارت الأندلس دار حديث وإسناد ،و كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك و أصحابه. عاش بقي بن مخلد في عهد محمد بن عبد الرحمان الأموي. (ت 276 هـ/ 889م) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص 274، 277 ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ،ج1، ص 169 ،171؛ الضبي، بغية الملتمس ،ج 1 ،ص 301 ،303 .

[2] الحميدي،المصدر السابق، رقم 331،ص257

[3] الحميدي ، نفسه ،رقم 331،ص257؛ المقري، نفح ،ج2،ص519.

المرأة هي ملهمة الأديب في كل أحواله و قد سبق أن استشهدت بكثير من صور المرأة لدى الأدباء ،[1] لكن تختلف نظرتهم إلى المرأة باختلاف عشرتهم لها. و قد أوردت في ثنايا هذه الدراسة مجموعة من أشعار الرجال في النساء في مواطن كثيرة نظرا لما تضمنه من وصف للمرأة خاصة لمظهرها الخارجي .
و من أشهر ما قيل عن المرأة الأندلسية بصفة عامة مدحا أو ذما:

وصية لسان الدين بن الخطيب لأبنائه:

و طاعة النساء شرٌ ما أفسد بين الإخوان و إذا أعظم النساء أمرا فاحقروه [2]

و جاء عن المقري.:

مطاوعة النساء إلى الندامة و توقع المهانة و الغرامة

فلا تطع الهوى فيهن و اعدل ففي العدل الترضي و السلامة [3]

و قول الشاعر الأندلسي أبي الحداد الوادي آشي في النساء :

خن عهدها مثلما خانتك منتصفا و امنح بنسيان و سلوان

فالغيد كالروض في خَلق وخُلق إن مرّ حان أتى من بعده حان [4]

المـــــــرأة و العلمـــــــاء و المتصوفـة:

المـــرأة و العلماء:

شغلت المرأة العلماء في كل أحوالها الدينية و الدنيوية و من أشهر أراء العلماء في المرأة الأندلسية ما يلي:

---

[1] انظر على سبيل المثال الفصل الرابع من هذا البحث.
[2] المقري، نفح الطيب، ج7 ، ص 404.
[3] المقري، نفس المصدر ، ج5، ص 565
[4] المقري، نفسه ، ج 3 ، ص505.

- موقف ابن حزم من المرأة

اشتهر محمد بن حزم بكتابه طوق الحمامة الذي استعرض فيه عدة شخصيات نسائية بوصفهن يمتلكن ثلاثة أبعاد. فهن صادقات و يعاملن مثلهن مثل الرجال بدرجة متساوية من الاهتمام الذي يظهره بحياتهن و مشاعرهن .و إنه يكرس الكثير من الاهتمام بالخصائص المميزة و السيكولوجية و الاهتمامات الخاصة بالنساء و بالأدوار التي لعبتها .و يبدو أنه يبجل الخصائص الايجابية للنساء كما خبرها في زمانه و المزايا والقدرات الخاصة التي تمتلكها النساء .

و ابن حزم من الذين رفضوا فكرة "الرجال أفضل من النساء في قدرة كبت العواطف...و يعتقد أن الرجال و النساء معرضون بصورة متساوية في ارتكاب المعصية . و ليس هناك رجل و لا امرأة مهما توفر الواحد منها على قدر عال من ضبط النفس محصنا ، لأن الخالق قد خلق الرجال و النساء على هذه الشاكلة.[1]

و من الناحية الايجابية فان ابن حزم يظن انه ليس مستبعد أن تكون فضيلة الصلاح موجودة في الرجال و النساء . و في تعريفه الصلاح بالنسبة للمرأة يقول" إن الصالحة من النساء هي التي إذا ضبطت انضبطت ، و إذا انقطعت عنها الذرائع أمسكت ".

أما تعريفه لفعل المعصية لكلا الجنسين ، يخص المرأة أنها مصونة و من الصعب عليها أن تصبح شريرة و فاسدة ، و إذا أرادت ذلك فعليها أن تهيأ نفسها بصورة عقلية تماما. إن المرأة الفاسدة هي تلك التي تعمل على تجاوز كل تلك المحظورات من أجل تحقيق أغراضها .[1] وعموما فإن ابن حزم يستعمل في وصف الرجال تعبيرا أقوى من ذلك التعبير الذي يستخدمه لوصف المرأة.

موقف ابن رشد الحفيد:

لم يتعرض ابن رشد (520 -595 هـ/1126 - 1198م) لقضايا المرأة بشكل مباشر إلا في فقرة موجزة في سياق اختصاره لكتاب" السياسة" لأفلاطون حيث كتب فقرة تبرز مدى أصالة فكره وعمق آرائه وجرأة مواقفه مقارنة مع خطاب الفقهاء التقليديين الذين كرسوا الكثير من التصورات القبلية ـ الذكورية المتحيزة ضد المرأة. فإذا كان هؤلاء قد أدمجوا الكثير من التصورات الخاصة و الذاتية ضمن

[1]... لويس أ-غيفين ، **أدب الحب و "طوق الحمامة " لابن حزم** ، مج 1، مقال ضمن : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،تحرير سلمى الجيوسي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، 1999 ، 623.

[1] غيفين ، أدب الحب و "طوق الحمامة ، ص 624.

خطاباتهم "الشرعية" لتغدو جزءاً من المعتقدات الدينية بالنسبة لعامة الناس، بل ولدى فئات كثيرة من النخب المتعلقة من الجنسين، فإن ابن رشد لم يتردد في بيان تهافتها ونفيها في ضوء منطق العقل ومقاصد الشريعة وتجارب الحياة الإنسانية .

ـ "وعندما طرح أفلاطون مسألة ما إذا كان من الواجب أن تشارك النساء الرجال في مهام حفظ المدينة، أم أنه من الأفضل جعل مهمتهن مقصورة على الإنجاب وتدبير البيت.... الخ،

و تدخل ابن رشد ليبدي رأيه من خلال أربع ملاحظات".[1]

ـ الأولى : من الناحية المبدئية: "قلت إن النساء من جهة أنهن والرجال نوع واحد من الغاية الإنسانية، فإنهن بالضرورة يشتركن وإياهم فيها (في الأفعال الإنسانية)، وإن اختلفن عنهم بعض الاختلاف. أعني أن الرجال أكثر كداً في الأعمال الإنسانية من النساء، وإن لم يكن من غير الممتنع أن تكون النساء أكثر حذقاً في بعض الأعمال، كما يظن ذلك في فن الموسيقى العملية، ولذا يقال إن الألحان تبلغ كمالها إذا أنشأها الرجال وعملتها النساء.

فإذا كان كذلك، وكان طبع النساء والرجال طبعاً واحداً في النوع، وكان الطبع الواحد بالنوع إنما يقصد به في المدينة العمل، فمن البين إذن أن النساء يقمن في هذه المدينة بالأعمال نفسها التي يقوم بها الرجال. إلا أنّه بما أنهن أضعف منهم فقد ينبغي أن يكلفن من الأعمال بأقلها مشقة".[2].

ـ الثانية : من الناحية العملية: "إنا نرى نساءً يشاركن الرجال في الصنائع، إلا أنهن في هذا أقل منهم قوة، وإن كان معظم النساء أشد حذقاً من الرجال في بعض الصنائع، كما في صناعة النسيج والخياطة وغيرهما. وأما اشتراكهن في صناعة الحرب و التي لا شك أنها تتطلب القوة البدنية والمهارة الذهنية، يؤكد أن النساء يشاركن فيها كما الرجال، والشاهد عنده" حال ساكني البراري وأهل الثغور" كما يقول. فالمثل هنا بليغ الدلالة في المستويين النظري والواقعي، لأن سكان هذه المناطق عادة ما يكونون في علاقات توتر وصراع مع غيرهم، إما بحكم نمط العيش القاسي في البيئات الصحراوية، أو بحكم مجاورة الخصوم والأعداء على الحدود، وبالتالي فإن مشاركة المرأة في العمل الحربي أمر واقع وضروري في

---

[1] أحمد شحلان ، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، سلسلة التراث الفلسفي العربي،مؤلفات ابن رشد(3) ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1998، ص 124.

[2] شحلان ، نفسه ،ص 124.

الوقت نفسه . ومثل هذا ما جبلت عليه بعض النساء من الذكاء وحسن الاستعداد، فلا يمتنع أن يكون لذلك بينهن حكيمات أو صاحبات رياسة". [1]

ـ الثالثة: من الناحية الشرعية: فإنه "لما ظُنَّ أن يكون هذا الصنف نادراً في النساء، منعت بعض الشرائع أن يجعل فيهن الإمامة، أعني الإمامة الكبرى، ولإمكان وجود هذا بينهن أبعدت ذلك بعض الشرائع".[2]

ـ أما الملاحظة الرابعة فتتعلق بوضعية المرأة في المجتمع الأندلسي بصفة خاصة يقول: "وإنما زالت كفاية النساء في هذه المدن (أي مدن الأندلس) لأنهن اتُّخذن للنسل وللقيام بأزواجهن، وكذا للإنجاب والرضاعة والتربية، فكان ذلك مبطلاً لأفعالهن [الأخرى] .ولما لم تكن النساء في هذه المدن مهيئات على نحو من الفضائل الإنسانية، كان الغالب عليهن فيها أن يشبهن الأعشاب . ولكونهن حملاً ثقيلاً على الرجال صرن سبباً من أسباب فقر هذه المدن. وبالرغم من أن الأحياء منهن فيها ضعف عدد الرجال، فإنهن لا يقمن بجلائل الأعمال الضرورية، وإنما ينتدبن في الغالب لأقل الأعمال، كما في صناعة الغزل والنسيج، عندما تدعو الحاجة إلى الأموال بسبب الإنفاق، وهذا كله بين بنفسه". [3]

ان ابن رشد المفكر كان يعي جيداً أهمية دور المرأة في الأسرة والمدينة والدولة، وهذا الوعي هو الذي دفعه إلى معاينة القضية من منظور شمولي جديد لا نجد ما يوازيه في عمقه وجرأته لدى غيره من المفكرين المسلمين، ودونما إتباع لأفلاطون في كل ما قال بشأن المرأة .

المـــــــرأة و المتصوفة

بلغ تيار التصوف مرحلة جديدة في القرن 6ه/ 11م، أصبح يقوم على نظريات فلسفية عند عدد كبير من المتصوفة ، بلغت ذروتها عند ابن العربي* و غيره من أصحاب وحدة الوجود الذين أصبحت لهو مدارسهم و نظريتهم المنفردة في التصوف . و قد انعكس ذلك بدوره على الشعر .فظهرت لديهم قصيدة التصوف المبنية على لغة الرمز و الإشارة . و اتخذ الشعراء الصوفيون الشعر للتعبير على

[1] أحمد شحلان، نفسه ، ص124.
[2] شحلان، نفس المرجع ،ص125.
[3] شحلان، الضروري في السياسة ، ص 125؛

نظريتهم وآرائهم الصوفية و عن وجدانهم و أحوالهم بطريقة الرمز، و من بين الرموز المستعملة رمز المرأة .[1]

في هذا الصدد ذكر ابن العربي في إحدى قصائده من الصفات الأنثوية من بدور، و خدور و شموس ، و من مشاهد الطبيعية كالبروق و الرعود و الرياح

والسماء والرى و الرياض و الفياض ... كل ذلك اتخذ مجازا للتعبير عن أفكاره وأحواله الصوفية .

و قال :" و ليس في العالم مخلوق أعظم قوة من المرأة لسر لا يعرفه إلا من عرف فيها وجد العالم و بأي حركة الحق تعالى."[2]

و لما كان الحب عند الصوفية عبادة للسر الإلهي ، مجسدا في جمال المرأة وحسنها ، فإن هذا الحسن يصبح قبسا إشعاعيا من الجمالية ، و بالتالي أجمل وأعظم مظهرا من مظاهر الألوهية المبدعة. ويقول في ذلك ابن العربي:" فشهوده في المرأة أتم وأكمل...إذ لا يشاهد هذا الحق مجردا عن المواد أبدا ، فإن الله بالذات غني عن العالمين ، و إذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعا، و لم تكن المادة إلا في مادة ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود و أكمله ، و هو نظير التوجه الإلهي عن من خلقه على صورته." و من يعود إلى النصوص الأدبية الصوفية يظفر بشعر وفير بدت فيه المرأة رمزا موحيا دالا على الحب الإلهي. [3] و على ما يبدو أن الفتاة التي تدعى "النظام " هي التي ألهمت ابن العربي فكتب أشعاره و قصائده الغزلية منها:

بأبي طفلة لعوب تهادي   من بنات الخدور بين الغواني

كما قال:" سلام على سلمى ومن حل بالحمى   و حق لمثلي رقة أن يُسلما[1]

و ما سلمى في الأبيات الشعرية إلا إسقاط الاغتراب ذي طابع عاطفي و جداني ، يلوح لوحدة جوهرية كامنة في الأنثى بوصفها رمزا على الحب الإلهي.

---

* هو القاضي محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المعروف بابن العربي، من أهل التفنن في العلم و الاستبحار فيها .له تأليف جمة كثيرة منها: أحكام القرآن و القبس على الموطأ وعرضة الأحوذي ، توفي 543هـ/ 1148م. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس ، ص 150.

[1] فاطمة طحطاح ، **صورة المرأة في الشعر الحسيين الحسية و الرمزية،** مقال ضمن ندوة 1، " الحضارة الإسلامية في الأندلس و مظاهر التسامح، الدار البيضاء،مطبعة الأمنية ، 2003، ص 520.

[2] ابن العربي، **الفتوحات المكية** ج 1، بيروت ،دار صادر (دت) ،ص217.

[3] انظر القصيدة في الملحق رقم 20.

[1] نزهة براضة، **الأنوثة في فكر ابن العربي،** ، بيروت،دار الساقي،ط1، ،2008م، ص8.

و لما كانت المرأة مظهرا جليا للجمال الإلهي المطلق، وظف شعراء الصوفية أساليب و ألفاظ غزلية متعددة للتعبير عن تعلقهم بالذات الإلهية و رمزوا لمحبوبهم بأسماء ليلى و لبنى وهند [1]...و من ذلك ما قاله أبو مدين شعيب :

تقول (الناس) قد تملكه الهوى أجل لست في ليلى بأول من جُنا

خفيت بها عن كل من علم الورى و أظهر لبنى و المراد سوى لبنى

و قد عبر أبو الحسن بن الفخار الإشبيلي أحسن تعبير ، حتى تغنى بجمال محبوبته ، ووصف تعلقه بهذا الجمال و هيامه:

جمال حبيبتي للغرام دعاني فيا عاذلي قلبي عليه دعاني

وهكذا وصف شعراء الصوفية الجمال الإلهي من خلال المرأة كرمز للتجلي.

و بالتالي فحب المرأة عند الصوفية حب مرتبط كليا بنظرتهم الجمالية للكون والوجود ، إذ يرفعها أعلى المراتب في الوجود ، مرتبة الكمال الوجودي وفي ذلك يقول ابن عربي:" من عرف قدر النساء و سرهن لم يزهد في حبهن ، بل من كمال العرف حبهن فإنه ميراث نبوي و حب إلهي." [2] و يمجد ذلك بما يلي:

إنا إناث لما فينا يولّده فلنحمد الله ما في الكون من رجل

إن الرجال الذين العرف عيّنهم هم الإناث وهم نفسي وهم أملي [3]

إن حب المرأة و الطبيعة عند الصوفية ، و تعبير عن نظريتهم الجمالية للكون والعالم بغية الولوج في عالم الألوهية و الجمال المطلق ، ذلك لكون المرأة صورة نموذجية يتحقق فيها الارتباط بين الألوهية و الطبيعة ، و هي إشارة إلى المحبوب أو دليل عليه لأن الجمال المطلق يبدو في كل المخلوقات . [1]

مكـــانة المـــــرأة بعد وفاتها

---

[1]فاطمة طحطاح ، صورة المرأة في الشعر الحسيين ، 519.

[2] ابن العربي، الفتوحات المكية ج 2 ص 190؛ نزهة براضة، المرجع السابق، ص 233؛ الجيلالي سلطاني، **رمز المرأة في الشعر الصوفي الأندلسي في القرن 6ه**، مقال مرقون ضمن أعمال ملتقى دولي : الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن 6ه / 12م، بالجزائر العاصمة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، أيام 14، 15 ، و 16 لبيع الأول 1428ه/ 2، 3، و 4 أفريل 2007م، ص 6، 7.

[3] نزهة براضة، المرجع السابق، ص 6.

[1] نزهة براضة ،نفس المرجع ،ص245 ؛ سلطاني ، المرجع السابق ،ص 11.

يوجد ثلاث محطات تعد أهم الأحداث في حياة الإنسان وهي: الميلاد ، والزواج ، و الموت ، وإن كان للميلاد و الموت لا دخل للإنسان فيهما . فالميلاد بداية الحياة، و الزواج مرحلة النضج و السعادة و إنجاب الذرية و تحمل المسؤولية، بينما الموت نهاية المطاف الذي لا بد منه، حيث قال الله ﷻ : ﴿ **و ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا و من يريد ثواب الدنيا نؤتيه منها و من ثواب الآخرة نؤتيه منها و سنجزي الشاكرين**﴾ .[1] لقد سبق الحديث عن مظاهر الاحتفال بالمناسبات السعيدة و ما صاحبها من عادات وتقاليد و بدع ميزت المجتمع الأندلسي نظرا لاحتوائه على أجناس مختلفة و تداخلها نتيجة تزاوج و انصهار هذه الأجناس وذوبانها في المجتمع الأندلسي. و في هذا المبحث أحاول إبراز آخر محطة من حياة المرأة و أهم ما ميز المناسبات الحزينة و بعض مظاهر الطقوس الجنائزية.

تشييـــــــع جنــــــــــازة الـــــمرأة

إن الموت حق على كل حيّ ، رغم تعدد أسبابه حيث قال الله ﷻ **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ و إِنَمَا تُوَفُّونَ أُجوُرَكُم يَوْمَ القِيامَةِ﴾** [2]، والأسباب التي أدت إلى موت المرأة كثيرة ومختلفة مثلما قيل:" تتعدد الأسباب و الموت واحد" ، و لذا سأحاول ذكر البعض من حالاتها منها الموت العادي و الموت المفاجئ، فمثلا ذكر رجل رمى بحجر فوقع على رأس امرأة مجهولة فماتت.[3] كما أن ابن سهل حبس رجلا اسمه بشر بن عبدوس لقتله امرأة إلا أنه لم يفسح عن سبب قتلها . و يضاف لذلك أن رجلان قتلا أختهما و طرحاها في الغدير و اتهماها بالمكروه. كما اتهم فطيس بن عيسى بن فطيس بذبح زوجته" رحيمة بنت عبد الرحمان بن عبد الله بن خالد بن شهيد في داره بشرقي مدينة قرطبة في شهر رمضان عام 462ه/1069 م. ويتبين لنا مما سبق اختلاف أسباب موت المرأة مابين القتل و الغرق و الذبح ، و الهدم في حالة السلم ويختلف ذلك أثناء الفتن و الحروب .[1]

كما يختلف موكب تشييع الجنازة حسب مكانة المرأة الاجتماعية ، فإن كانت من أهل رجال الدولة أو العلماء أو الفقهاء أو الصلحاء مثل موت بنت الإمام محمد عمة الناصر التي أذته ،[2] فلم يتخلف كبار الدولة عن تشييع جنازتها

---

[1] سورة آل عمران : 145

[2] سورة آل عمران، الآية 185.

[3] ابن سهل، ديوان الأحكام، ص 695، 696؛ محمد عبد الوهاب خلاف، ، **وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس**، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لابن سهل (أبو الأصبغ عيسى) ، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ط 1، 1980، ص 47.

[1] انظر في ذلك الفصل الثاني

[2] ابن عذاري،البيان ، ج2 ،ص 206.

و اعتنى المؤرخون بذكر مظاهر جنائزهن مثل وفاة البهاء بنت عبد الرحمان بن الحكم جنازة كبيرة. [1] و وفاة عائشة بنت الناصر.[2] . فقد مشى الأمير الحكم بن هشام في جنازة زوجة الفقيه طالوت بن عبد الجبار راجلا من مقبرة الربض ،ثم انصرف معه إلى منزله مشاركة منه في حزن الفقيه على زوجته. [3]

و عندما توفيت **البهاء"** بنت الخليفة عبد الرحمان الثاني في سنة (305هـ/918م) لم يتخلف أحد عن جنازتها نظرا لعظم شأنها وصلاحها ولما

قدمته من خير وبرّ للصالح العام كما سبق ذكره. [4] و لما توفيت **السيدة "صبح "** أم هشام المؤيد في 338ه/998م، احتفل المنصور بن أبي عامر في جنازتها و مشى فيها حافيا مبالغة في الحزن ،و صلى عليها و وزع خمسمائة ألف دينار على قبرها.[5]

و لم يقتصر الأمر على نساء الحكام و الخاصة ، بل كانت بعض النساء اللاتي عرف عنهن الصلاح يتزاحم عليها المشيعون من الرجال و النساء و الصبيان ، ومنهن:

- فاطمة" بنت زكريا بنت عبد الله :(الكاتب المعروف بالشبلاري مولى بني أمية)، التي عمرت عمرا كثيرا و استكملت أربعا و تسعين سنة(94 سنة)، توفيت في جمادى الأول سنة سبع و عشرين و أربعمائة- (427 هـ- 1035م)، و دفنت بمقبرة أم سلمة وشهد جنازتها جمع من الناس لمكانتها الاجتماعية وفضلها و ماتت بكرا رحمها الله. [1]

و **فاطمة** أخت الفقيه يوسف بن يحي المغامي التي لم يرى على نعش امرأة قط ما رؤي على نعشها. [2] و كان النساء يجتمعون لنعي موتاهم في المنازل ، و من العادات قراءة القرآن في المنزل و يستأجرون لذلك قراء نساء للنساء ، و أحيانا يقرأ عميان الرجال للنساء ، و أحيانا يقرؤون القرآن على قبر الميت ، و كثيرا ما كانت المآتم فرصة لانتقام الخصوم و الأخذ بالثأر و للمؤامرات سياسية ،

---

[1] ابن عذاري، نفس المصدر ، ج2، ص171.

[2] ابن عذاري، نفسه، ج2، ص171.

[3] ابن سهل ، المصدر السابق ، ص ص 701، 705.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2 ،ص171؛ مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج1 ، ص 277.

[5] عبد الوهاب خلاف ، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ، ص 90، مجهول، جغرافية و تاريخ الأندلس، تح عبد القادر بوباية، ص 302؛ عصمت دندش ، **من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس "طقوس الجنائز"** مجلة دراسات أندلسية ، تونس، عدد 13، سنة 1995، ص 28.

[1] ابن بشكوال، الصلة، ج 3، ص994.

[2] ابن بشكوال، نفسه ، ح3، ص 991.

منها ما حدث لعجب زوجة ابن موسى بن قسي.[1] أما النساء فمنعن من إتباع الجنازة .[2]

و بعد الدفن يتلقى أهل الميتة التعازي سواء عند المقبرة أو في المنزل أو ترسل تعزية إذا تعذر الحضور.و هناك نماذج كثيرة لكل ظرف ، منها أن أبا الوليد بن زيدون عندما توفيت ابنته ،و بعد الفراغ من دفنها و قف الناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم؛ فقيل ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد.[3] كما تحفل المصادر الأدبية و غيرها بما يسمى بأدب التعازي ، و برع فيه كثير من

كتاب الأندلس و من ذلك رسائل التعزي: للوزير الكاتب أبي محمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري(ت 474هـ /1081 م)،

قال: "و اتصل بي وفاة الوالدة ، فساءني يعلم الله أن يطرق خطب حماك ، و يطأ رزء ذراك ، مشاركة لك في المهم و وقوعها معك تحت الحادث الملم، إلا أنني أرجو أن تشد له عزائم عزائك... و النساء كيف كانت مراتبهن و أكرم و إن جلت منازلهن ،لم يغلق عليهن كأبواب التراب و لم يسدل دونهن كستور القبور، و ربّ أًم مبرورة ، وأخت كبيرة قد نازعت منزعا من الصيانة ، و ذهبت مذهبا من مباح الديانة ، ودّ ابنها و أخوها قبل ذلك لو طواها كفن و وراها جنن ، ففقدهن أصون لهن و أولى بهن."[4]

و لا يخلو ديوان شعر من أشعار قيلت في العزاء أو الرثاء، وأصدقه ما نظم ممن له صلة بالمتوفاة لأنه نابع من قلب محزون لفقد حبيب أو صديق؛ و لذلك اخترت بعض النماذج منها: رثاء الأم ، و الزوجة ، والبنت و الأخت .

من الطبيعي أن يكون رثاء الشاعر لوالدته أصدق رثاء لأنه يتفجر من معاناة حقيقية فيعكس صورتها. و من الأمهات من تميزن بالخصال الحميدة الفاضلة و فاقت الرجال بتلك الشمائل و مما قاله الشاعر التطيلي -ت 525هـ

يا قبر أُمّْ عليّ هل علمت بها	إنَّ السيادة بين الشرب و المدر
أنثى و لكن إذا عدوا فضائلها	لم يدع الفضل من أنثى و لا ذكر [1]

---

[1] العذري،نصوص عن الأندلس ، ص 31؛ الونشريسي ، المعيار، ج 1، ص 323.

[2] عياض، ترتيب المدارك، ج2،ص316،315.

[3] دندش ، طقوس الجنائز، ص32.

[4] ابن بسام ، الذخيرة، ج 3 ، ص 139، 140.

[1] سلمى سليمان علي ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص 55.

من رثاء الشعراء لنساء الخاصة ، رثاء ابن زيدون لأم المعتضد بن عباد، كما رثى الشاعر أبو بكر عبد الصمد والدة المعتمد بن عباد . وقد رثى الشاعر التطيلي زوجته بقصيدة طويلة رثاء الزوج المخلص الوفي قائلا:

ذكرتك ذكرى المرء حاجة نفسه ‏ ‏ ‏ و قد قيل إن الميت منقطع الذكر

و و الله ما وفيت رزءك حقه ‏ ‏ ‏ و لكنه شيء أقمت به عذري [1]

و أنشد أحمد بن محمد الخولاني المعروف بابن الأبار ، قصيدة يعزي فيها الرئيس أبو الوليد إسماعيل بن حبيب جارية ماتت عنده. [2]

و ذكر أن أبا بكر محمد بن محرز المعروف بالمنتانجش بلغ به الحزن على زوجته بنت الحضرمي مبلغا كبيرا ،فكان يذهب إلى قبرها كل صباح حتى أكمل سبعة أيام ؛ ويرتجل قطعة شعر منه:

يا ربة القبر، فوق القبر ذو حُرق ‏ ‏ ‏ يبكي له القبر من شجو و من شجن

تباينت فيك أحوالي أسى فمضى ‏ ‏ ‏ إلى لقائك صبري طالب الوسن

و خالف القلب فيك العين من كمد ‏ ‏ ‏ فاسود بالغم و ابيضت من الحزن[3]

و رثى الرحالة ابن جبير * زوجته عاتكة أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي . وكان كلفا بها ، فعظم وجده عليها . [1] و يقول ابن عبد الملك أنه وقف على جزء من مصنف ضخم لابن جبير بعنوان: " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح" في زوجه أم المجد. [2]

و هذا ما يدل بصدق على صلاح هذه الزوجة و على وفاء زوجها لها بعد موتها ، فأهدى لها هذا المصنف تخليدا لذكراها.

كما وجد الآباء على بناتهم ومنهم عبد الله بن محمد بن سارة البكري(ت 519ه/) قال في موت ابنته:

---

[1] سلمى سليمان ، نفس المرجع ، ص ص 76،77

[2] الحميدي،جذوة المقتبس،ج1، ص 183

[3] دندش ، طقوس الجنائز، ص32،

* هو محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد ...الكناني ، أديب شاعر مجيد الأخلاق. رحل ثلاث مرات من الأندلس إلى المشرق و حج في كل واحدة منها. و كانت رحلته الثالثة بعد وفاة زوجته . ابن الخطيب، الإحاطة ،مج 2، ص230، 231.

[1] ابن الخطيب، نفسه ،مج 2، ص 231، 232 .

[2] ابن الخطيب ، نفسه ،مج 2 ، ص 234.

ألا يا موت كنت بنا رؤوفا   فجددت السرور لنا بزورة

خمدنا سعيك المسكور لما   كفيت مؤنة و سترت عورة

فأنكحنا الضريح بلا صداق   و جهزنا العروس بغير شورة [1]

و رثى أبو حيان محمد بن يوسف بن علي يوسف بن حيان النفزي الأثري الغرناطي ابنته **نُضَار** توفيت في حياة والدها ، فوجد عليها وجدا عظيما و لم يلبث أن انقطع عند قبرها و لازمه مدة سنة. [2]

و قال في شأنها الصفدي : لما توفيت كُتِبت لوالدها بقصيدة أولها :

بكينا باللجين على نُضار   فسيل الدمع في الخدين جاري

فيا لله جارية تولت   فبكيها بأدمعنا الجواري [3]

و لم يحتمل أبو حيان فراق ابنته فخرج من الأندلس ، و كأن كل شيء في الأندلس هو نضار، فاستوطن القاهرة بعد حجه، حاملا معه في غربته ذكرى ابنته نضار.[4]

أما المثال عن الأخت المرثية، فهي أخت عبد الرحمان بن محمد الملقب بالمرتضى فحينما توفيت مشى في جنازتها إلى غاية لحدها وندب الشعراء إلى رثائها و تأبينها و إيضاح فضائلها . [5]

أما عند العامة فقد ذكرت طقوس امرأة من الطبقة الدنيا و عدت من عجائب الزمن لقيام أهلها بنعيها و دعوة علية القوم إلى جنازتها: " من غرائب الدهر... أن هلكت عجوز لبني كوثر ، فاهتبل بنونها في السعي لها ،و إنذار طبقات الناس لشهود جنازتها بأنفسهم و المشي على أعاظم القرية بنعيها. فسارعت طبقاتهم لشهود جنازتهم . فجيء بسريرها وابن جوهر الوزير يقدم حضاريها ماشيا عل قدميه، قد ائتسى به كل ذي منزلة رفيعة . و وقف على جثتها إلى أن ووريت و انفض جمعها؛ ثم ضرب على قبرها قبة عالية تمهيدا للمبيت عليها طول أسبوعها و مدة زيارة قبرها، حسبما كانت تفعله الجبابرة في العصور الخالية عل قبور الملوك الأعز. [1]

---

[1]ابن الخطيب ، نفسه ، مج 3، ص 439.
[2] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 559؛ السيوطي ، نزهة الجلساء ، ص96.
[3] المقري، نفح الطيب ،ج 2، ص 560
[4] المقري، نفسه ،ج 2 ،ص 563؛ ابن عبد المالك ، الذيل و التكملة،السفر8،ق1 ،رقم 240، ص 480 .
[5] سلمى سليمان علي ، المرجع السابق، ص 66.

[1] ابن بسام ، الذخيرة ،مج 1 ، ص 369

و يضيف :" نقضى العجب بمشاهدة هذه النادرة في امرأة من نساء حثالة العامة ، مرددة في الخمول ، و لم يكن قط بينها و بين النباهة من كلا طرفيها نسبة في الدولة القريبة و لا البعيدة، و لا ظفرت ببعل مثر و لا ذرية نبيهة . عهدي ببعلها الشيخ مطرف... أحد سماسرة البُر بقرطبة ..."[1] و في هذا إشارة إلى بعض العادات لم تكن معممة في الجنائز بين مختلف أفراد المجتمع و منها مثلا ضرب على قبرها قبة عالية تمهيدا للمبيت عليها طول أسبوعها و مدة زيارة قبرها ، ولم تشاهد هذه الظاهرة لدى نساء الخاصة مثلا.

مقــابر النســـــــاء

عرف الأندلسيون منذ الفتح تحديد أماكن تكون مقبرة للمسلمين؛ و يمكن أن تتقارب مقبرة المسلمين مع مقبرة أخرى لأهل الذمة . و المقابر عادة ما تكون

خارج المدينة أو خارج أسوارها بجوار أحد أبوابها . و قد خلّد الأندلسيون نسائهم أن سموا بعض مقابر المسلمين "بأسماء نساء أندلسيات و منها:

مقبرة **أم سلمة:** سميت هذه المقبرة على اسم أميرة تقية و هي ابنة خالة و زوجة الأمير محمد الأول و كانت من أوسع مقابر قرطبة ، إن لم تكن أكبرها على الإطلاق ، واقعة في شمال المدينة بربض مسجد أم سلامة . وكان موضعها حسب ما ذكره ابن الأبار ، في الجهة المقابلة لباب اليهود أو باب لُيُون.[1]

مقبرة **مُتعة:** تنسب إلى اسم جارية كانت عند الحكم الأول . و هي التي تحملت نفقات إنشاء المقبرة و بناء مسجد . و كانت توجد بالقرب منها مقبرة المستعربين ، التي صدرت في حقها فتوى من ابن سهل ،تمنع المستعربين، من دفن موتاهم هناك ،جوابا على الشكاية التي رفعها ضدهم المحتسب ،لأنهم كانوا

---

[1] ابن بسام ، نفسه ؛ دندش ، طقوس الجنائز، ص 30.

[1] ابن حيان ، المقتبس، تح حجي ، ص 92؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص466. طريس بالباس، المرجع السابق، ج1، ص 109، 410 ؛ دندش ، طقوس الجنائز ، ص 21.

يقتحمون مقبرة المسلمين بالعربات التي كانت تحمل جثمان موتاهم لدفنها في مقبرتهم النصرانية .[1]

مقبرة **مُعمَّرة** أنشئت على نفقتها ، وهي جارية لعبد الرحمان الثاني. و قد دفن فيها سنة 361ه/ 971م الخُشني ،صاحب كتاب " تاريخ قضاة قرطبة". فهذه بعض المقابر التي حملت اسم لبعض النساء .

و عموما كانت تتخذ شواهد القبور من الرخام الفاخر المصقول الذي اشتهرت به مدينة المرية و غيرها من مدن الأندلسية . أما ما احتوته المقابر من جثمان النساء فهو المتمثل فيما عثر عليه من أثار المقابر ؛ حيث تطلعنا الكثير من شواهد القبور المخلدة لأسماء بعض النساء من مختلف فئات المجتمع. و معظم ما نقش على شواهد القبر، اسم المتوفاة و تاريخ الوفاة وآية قرآنية تشهد على إسلام المتوفاة وعلى صلاحها و إيمانها بالقدر؛ أو نقش عليها بعض فضائل الميتة و ذكر بعض خصالها[2].

ومن الباحثين الذين اهتموا بالآثار الأندلسية ليفي بروفنسال الذي يطلعنا على محتوى ما عثر عليه فيذكر ما يلي:

"بلغ عدد شواهد قبور النساء التي عثر عليها في الأندلس حسبما أورده في كتابه : 17 لنساء العامة ، منها(7) شواهد لنساء الخاصة ،(3) منهن لأم ولد لخلفاء بني أمية في قرطبة في القرن(4ه/ 10م.) (رقم 3،2، 19) . و واحدة (1) لمعتقة الأمير من بني حمود في منتصف القرن 5ه/ 11م. رقم 118) و واحدة لأم ولد المعتصم من المرية. (رقم 121) و ابنة لأمير مرابطي (رقم24) و أميرة من بيت ابن مردنيش المتوفية سنة 557ه(رقم 102) .[3]

إن الكتابات على النصب ،تفيدنا في معرفة شيء عن حياة الأموات عبر الكتابة على قبورهم باعتبارها مصدر معلوماتي لما عرفته بعض المدن الأندلسية و منها :

<u>- في المرية:</u>

توجد ثلاثة ألواح لنساء من عائلات المملكتين الطائفتين الأخيرتين بالمرية ومالقة ، و يتعلق الأمر هنا بالأميرة **أسماء** و **هَيَآل** جاريتا الأمير المعتصم

---

[1] ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى،ص 626،627. طريس بالباس، الحواضر الأندلسية،ج1 ص 414.

[2] دندش ، طقوس الجنائز ، ص23. Provençal : inscriptions, p 20.

[3] Provençal : ibid, p 20.

(ت 484ه/ 1091م) ،و جارية عتيقة اسمها **إحورار** ، كانت للأمير الحمودي إدريس بن يحي بن علي بن حمود .[1]

- في إشبيلية:

- 1 - وجد بقايا قبر بدون اسم هو :

" قبر إحدى المسلمات توفيت في 505ه، مكتوب عليه ما يلي:

بسمله...يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور."

2- " هذا قبر **مريم** بنت ميمون . توفيت لعشر بقين لجمادى الآخر ،سنة خمس وخمسة مائة رحمة...الله و المسلمين" [2] .

3- **في مقاطعة كاستيون castellon**

بسمله ...يا أيها الناس أن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور.

هذا قبر **غصن** ابنة فرج توفيت ليلة الأربعاء لستة خلت لشوال الذي من سنة ثلاثة و خمسين و أربع مائة فرحم الله من دعا لها بالرحمة آمين ربّ العالمين و صلى الله على محمد (453ه) [3]..

في قرطبة

4- قبر إحدى أم أولاد الحكم

...1...2...هذا قبر **شكرا** البلاطية 3...أم ابن الحكم أمير المؤمنين رحمة الله عليهم أجمعين و توفيت ...يوم... [1]

و شاهدة قبر لامرأة لم يتبين اسمها ، وبقيت بعض الكتابة التي تشير أنها عاشت في القرن 5هـ، و هذا نص المتبقي:

... و أربع مائة كانت تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمد عبده ورسوله على هاذه الشهادة حَييت و عليها ماتت إن شاء الله. [1] .

---

[1] طريس بالباس ، الحواضر الأندلسية،ج1 ، ص431

[2] Provençal , inscriptions , n°32 , p 42

[3] Provençal, i bid,n°88 , p 87

[1] Provençal , i bid , n°19 ,P26

في المرية:

-قبر **الفاضلة** بنت ذي الوزارتين القائد الأجل المجاهد أبي عثمان سعد بن مردنيش بن محمد توفيت ...557ه.[2]

طليطلة:

1 -هذا قبر **فاطمة** بنت عبد الله بن عبدة . .توفيت رحمها الله آخر شهر شوال اثنين وعشرين و أربع مائة . (422ه) .[3]

طليطلة

2 ـ بسمله ... و صلى الله على محمد هذا قبر **بدر** بنت الأمير أبي الحسن بن تائشا الصنهاجي ، توفيت رحمها الله ليلة الاثنين نصف ربيع الآخرسنة ست و تسعين و لأربع مائة.(496ه)

و على حواف القبر مكتوب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم شهد الله أنه لا إله إلاّ هو و الملائكة و وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. صدق الله .

نقش العياد.

و تفيدنا بمعلومة تاريخية و هي اسم الأمير المرابطي في هذه الفترة[4]

طليطلة:

3ـ لتاريخ الصفر هذا القبر **لشمسي** ابنة الشيخ رحمها الله و جعل الجنة مأواها يوم أربع وعشرين أغشت ثمانية و تسعين ومائة و ألف. (1198ه) .[5]

طليطلة:

4 ـ بسمله...تصليه... يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر **زهرة** بنت محمد بن محمد رحمها توفيت و هي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله في عام ستين و ستمائة .(660ه) .[1] هذه بعض بقايا من مقابر أندلسية عثر عليها مختصون في

---

[1] Provençal. , inscriptions , n° 25 , p31

[2] Provençal : ibid , n°102 , p 98.

[3] Provençal : ibid, n° 56, p 46

[4] Provençal : ibid ,n° 24, p31.

[5] Provençal. : ibid, n° 82, p 79.

[1] Provençal , ibid n° 83, p 80

علم الآثار ؛ و التي كانت في دولة الإسلام في الأندلس محطة اهتمام و مراقبة من طرف رجال الحسبة. فكان يمنع الشبان أيام العيد الجلوس في المقابر لاعتراض النساء ، و الجلوس على أفنية القبور لمراودة النساء في سائر الأيام . و كان المحتسب يتعهد ذلك مرتين في اليوم .[1] و أغرب ما كان يحدث من مخالفات في المقابر ، في مدينة إشبيلية . فكان يعاب على أهل بلدها السكنى على ظهور الموتى لقوم يشربون الخمر، و ربما يفسدون ؛ و قد أحدثوا فيها خلوات و سروبا...[2]

و من أشهر ما تميز به الأندلسيون رجالا و نساء لبس البياض في مأتمهم خلافا لما ساد في البلاد لإسلامية الأخرى ؛ حتى قيل في ذلك:

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب

لبستم في مآتمكم بياضا فجئتم منه في زي غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن و لا حزن أشد من المشيب. [3]

و إذا كان البيض يرمز للحزن، فإنه كان من الألوان المحببة لأهل الأندلس إذ يمثل الطهر والنقاء .و يظهر على أهل الأندلس أنهم متمسكين بتطبيق الحديث الشريف،إذ روى عن ابن عباس أنه قال،:قال رسول ﷺ " خير ثيابكم البياض، فالبسوه وكفنوا فيها موتاكم".[4]

و اتخذ النساء من زيارة المقابر فرصة للخروج و المجون و التبرج و محادثة الرجال الأجانب ومزحهن وملاعبتهن و كثرة الضحك مع الغناء في موضع الخشوع و الاعتبار ؛ مما استوجب النهي على ذلك . [1]

و هذا الأمر الذي لفت نظر ابن قزمان ، فيصور لنا المشهد و ما فيه من تناقض الحياة:

---

[1] ابن عبدون، الرسالة الأولى في الحسبة، ص 27.

[2] ابن عبدون، نفس المصدر، ص 26.

[3] المقري، نفح الطيب ،ج ،1 ص225 . ؛ سحر عبد العزيز ، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي،ص257

[4] صحيح سنن ابن ماجة، رقم 2885، ص 189، 190.

[1] ابن عبدون، المصدر السابق ، ص 27، 28.

كل وجه مزين ليلة العيـد ةُ بَرَا

و البْكا بالمقابر على الَحْباب ذ مَرا

احتفال الفجايع فاحتفال المَسَر

ودموع التراحم في ثياب الشطر[1]

و تبقى شواهد قبور النساء تشهد عليهن باعتبارها مادة أثرية ذات قيمة تاريخية ، نستدل بها في إثبات بعض الحقائق التاريخية التي ذكرتها أو سكتت عنها المصادر المكتوبة، مثل اسم " شكرى البلاطية" أم ولد الحكم المستنصر و اسم الأمير المرابطي أبي الحسن بن تائشا الصنهاجي. رغم أن بعض المسلمين رفضوا البناء على القبور لما نهى عليه الشرع في ذلك ، ومنهم حنش بن عبد الله الصنعاني و علي بن رباح اللخمي التابعين الجليلين .

و لما أراد بعض أمراء سرقسطة البناء على قبريهما ، أتته امرأة صالحة و أخبرته أنهما أتياها في المنام و أخبراها أنهما يكرهان أن يبنى على قبريهما شيء و أن تترك كما هي. فامتنع الأمير من بنيان القبرين ، و ذلك لما اتسمت به هذه المرأة من تدين و صلاح فصدق ما رأته في منامها و امتثل لنصيحتها.[2]

المــــــرأة الأندلسية فى الفكر المعاصر

شكلت المرأة الأندلسية إحدى محاور الصراع ، القائم منذ أمد بين الباحثين كل حسب قناعته و مراميه ، نظرا للمكانة التي احتلتها المرأة في المجتمع و تمتعها بالحرية في التنقل ، و تأثير المولدات في طبع المجتمع بالصبغة الإسبانية من عادات و سلوك و خاصة الحفاظ على اللغة الدارجة الرومانسية . فاتخذ منها بعض دعاة الاستمرارية [1] و التواصل بالحضارة الغربية أداة للتدليل على غلبة المؤثرات المحلية, ومعللين موقفهم ذلك بكون الفاتحين لم يكونوا مصحوبين بزوجاتهم و بأنهم أقدموا بصفة مبكرة على اتخاذ نسائهم من المحليات (الإسبانيات) ليواصلوا بشراهة في سبي المحليات و اتخاذهن زوجات و جواري على الدوام .

---

[1] فايزة كلاس، الأندلس ولاية مغربية، ص11

[2] العذري، نصوص عن الأندلس ، ص23.

[1] مثل ألبرنوس ،و سيموني ، و ريبيرا ، و بيريس و غيرهم .

و أن الميل إلى الشقرة كانت هي الطاغية عليهم و اللغة المحلية الدارجة و المتمثلة في الرومانسية هي الفاشية فيهم؛ زاعمين بذلك بأن المرأة الاسبانية أي المحلية بتلك الصورة كانت أداة انصهار العناصر الخارجية و بالتالي أداة تواصل للموروث البيولوجي ،[1] الذي أفصحت عنه التأثيرات الخلقية ، حيث غلبت الشقرة على العديد من العناصر كما كشف عن ذلك ابن حزم .[2] و للموروث الثقافي الأخلاقي المحلي الذي ترجم عنه هامش الحرية التي تمتعت به المرأة الأندلسية والنزعة الفردوية في الزاوج .[3]

هذا في حين قدم دعاة القطيعة و غلبة العناصر الشرقية ، هيمنة العادات العربية الإسلامية و المتمثلة في المحافظة على أسبقية النسب من جهة الأب ، و عادة تعدد الزوجات و التسري ، و اتخاذ الحجاب و التربية و التكوين على أسس عربية إسلامية و يقولوا بغلبة المؤثرات الشرقية ، ليفندوا مزاعم الفريق الأول، الذي يؤكد على انصهار دماء المسلمين مع النصارى ، وبالتالي ذوبان المؤثرات الشرقية الضعيفة أمام تيار التأثير الإسباني الغربي القوي . ولم تكن وضعية المرأة الأندلسية في نظرهم تختلف في شيء من أختها في المشرق. في حين نحا فريق آخر منحى معتدل ، وقال بالاختلاف النسبي للمرأة الأندلسية بالنسبة لمثيلتها في المشرق.

لئن نجح هذا الفريق أو ذاك في إماطة اللثام عن عدة جوانب خفية عن حياة المرأة الأندلسية ، فكل عالج طرحه حسب نظرته الخاصة مما أدى بهم إلى الانقسام في معظمهم وراء فرضياتهم معرضين عن دقائق الواقع المحلي وتعقيداته و تشعباته ، و الذي لا يمكن اختزاله بأية حال من هذا الطرح أو ذاك و هو يتضمن من الحقائق و التعبيرات ما يتسع لهذه الفرضيات و أكثر ، و يتطلب بالتالي معالجة متأنية و مجزأة إن لزم للوقوف على حقيقة الوضع .

و من المظاهر الاجتماعية التي أسالت حبر الدارسين المحدثين هي حرية المرأة في الأندلس بين التشريق و التغريب ، فانقسم الباحثون في معالجة هذا الطرح بين مؤيد ومعارض. فالمؤيد يريد أن يوضح بجلاء مدى تأثير الغرب الإسباني على حرية المرأة الأندلسية- الإسبانية المسلمة- ، [1] والمعارض يريد أن يوضح مدى محافظة المرأة و إن لم يقصد تزمت الإسلام و المسلمين في المحافظة عليها .[2]

---

[1] Sanchez Albornoz : Espagne musulmane ,p 269.

[2] طوق الحمامة ، ص 40.

[3] ساسي علي، الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية في قرطبة خلا 4ه/10م ، ص 451، 452.

[1] Pérès Henri : La poésie andalouse , p399.

[2] Sanchez Albornoz : Espagne musulmane ,p 272 .

و يتبين من خلال وجهتي نظر الطرفين أن من أبرز المؤيدين لحرية المرأة الأندلسية المسلمة الكاتب الفرنسي هنري بيريس من خلال تناوله في كتابه :الشعر الأندلسي في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث خصص فصلا عنونه " المرأة والحب" و يرى أن المرأة قد نالت قدرا كبيرا من الحرية و العمل و الثقافة . ولعبت دورا هاما يفوق ما لعبته نظيرتها في المشرق. و أن المرأة الأندلسية لم تكن سجينة بيتها كما هو موجود في العادات المشرقية.[1] بينما ينقل بيير غيشار آراء سابقه " بيريس" ، و لكن يضيف بعض أرائه هو مثل:" أن المسلمين في إسبانيا يتركون للمرأة حرية غربية للسير في الطرقات و من الصعب التوفيق بينها و بين الآداب الإسلامية . و أن ما يمنح لها من احترام إنما ينبثق من المعتقدات الإسبانية بصورة واضحة .[2]

و يضاف لهذين الكاتبين المؤرخ الإسباني "سانشيث ألبورنث بتأييده لرأي "بيريس؛ في أن حرية المرأة الأندلسية مشبعة بجذورها و إيحاءات غربية ، بل نصرانية أيضا . و يتضح هذا من خلال الدور الذي لعبته المرأة في تكوين العنصر الأندلسي المولد . و يؤكد ألبورنث على تميز المشاعر العاطفية للمرأة الأندلسية ، مستشهدا على ذلك بتدعيم فكرته بمعظم شخصيات الأندلس الذين تربوا تربية إسبانية لأمهات أندلسيات أمثال ابن حزم، و ابن زيدون ، و ابن اللبانة وغيرهم... و أن لهم مفهوما غربيا للحب النابع من البيئة الأوروبية الغربية ، بل وحتى النصرانية أحيانا.[3]

و أما المستشرق الإسباني "ريبرا" فيرى أن البيئة الإسلامية متشددة على المرأة سواء كانت في المشرق أو في المغرب الإسلاميين . و تتمحور نظرته لهذا التشدد في وضعية المرأة ودورها في المجتمع . و يؤكد أنه لم توجد بارقة ضوء لانتشالها من الوضع المزري المتردي الذي وجدت فيه. فهي تساوي الخدم في المرتبة لدى رب البيت . و انحصرت مهمتها في إرضاع الأطفال. و كانت حياتها تمضي بطيئة كئيبة ، تدور كلها في فلك مزاج زوجها و إرضائه . فقد كانت محبوسة و معزولة ، و لا ترى العالم الخارجي أبدا . و يرجع أسباب تدني و ضع المرأة إلى أن النساء كن ضعف الرجال ، و أن طبيعتهن لا تؤهلهن لممارسة الأعمال ، التي يقوم بها الرجال و يرضين دائما بأنصاف الأعمال و التي تكون غير ضرورية.[1]

---

[1] Pérès ,op.cit , pp 397,431.
[2] Guichard , structures . p 125.
[3] Guichard , ibid, p 165.
Sanchez Albornoz , Espagne musulmane ,p 413,414.
[1] Ribera :Disertaciones y Oposculos ,T 1, p 348. نقلا عن راوية عبد الحميد : المرأة في المجتمع الأندلسي ، ص 47.

و بين مؤيد الرأي الأول للحرية المفرطة إلى درجة الانحلالية في الأندلس ؛ والرأي الثاني المجحف لدور المرأة عامة و المتشدد؛ يبرز رأيا أكثر اعتدالا يمثله "بيير غيشار" من خلال تحليله لأراء سابقيه عن حرية المرأة فيقول:" أن التضارب الكبير بين الدراسات التي تناولت وضع المرأة الإسبانية المسلمة ، و أثر الغرب في وضعها و حريتها ، و أنها اكتسبت قدرا أكبر من الحرية في الأندلس بالمقارنة بالمرأة في المشرق، مستمدة ذلك من البيئة المحلية ، مع المحافظة على تقاليدها الإسلامية ... وأن المرأة الأندلسية لم تتنكر لجدودها ، و قد تمكنت من الإنصياغ لأحكام و قوانيين الإسلام دون أن تتخلى عن عادات الحرية و الاستقلالية المتوارثة من البيئة المحلية الأوربية".[1]

ومن خلال فصول هذا البحث الذي يجلي إسهامات المرأة يتضح لاسيما في الفصل الرابع ما لا يدع مجالا للشك أن روعة الأدب النسوي الذي لا يمكن أن يخرج من نساء مضطهدات و مكبوتات ، و متحجرات الأذهان بمكوثهن في البيوت ، بل هذا الأدب نابع من نساء لهن عقول صافية ملّمة بأحداث بيئتهن ومدركة بكل مجريات الأمور السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية.
يبدو لي أن هنري بيريس ركز في دراسته على فترة زمنية معينة و هي القرن 5ه / 11 م، حيث طرأ تحول على البنية الاجتماعية و أصبح معظم عناصر النساء من المولدين نتيجة الزواج المختلط. و اتصفت بعض شاعرات وقتئذ بنوع من الحرية المفرطة و الإباحية مثل "ولادة" بنت المستكفي و "نزهون" القلاعية اتخذهما هنري بيريس صورة عامة للمرأة الأندلسية ؛ فحين وجدت شاعرات في نفس المجال الزمني التزمن الآداب و الاحتشام.[2]

كما تطرق بعضهم إلى اللغة المتداولة في الأندلس ، و زعم بروفنسال أن اللغة العربية اندثرت تماما و ذلك نتيجة الزواج المختلط . و ربت الأم المولدة أبنائها على لهجتها العامية ، و هي ما عرفت بلغة "الرومنسية" . و لم يبق في الأندلس منذ القرن 5ه /11م من يتكلم اللغة العربية . و لكن بالرجوع إلى ابن الخطيب (الذي عاش في القرن الثامن الهجري/الربع عشر ميلادي) والذي يصف لنا المجتمع الأندلسي في أواخر عهوده ، أنه كان يتمتع بصفات أخلاقية،قائلا: "وصورهم الحسنة...و ألسنتهم العربية الفصيحة وأنسابهم العربية و فيهم كثير من البربر والمهاجرين. "[1] و نساؤهم يتميزن بالجمال و السحر ، و اعتدال السمن ، و نعومة الجسم ، ورشاقة الحركة، و نبل الكلام ، وحسن المحاورة، مع ندرة الطول فيهن . وقد بلغن في التفنن في الزينة شأوا بعيدا، يسرفن في

---

[1] Pérès Henri ,op.cit ,p 284 ; Guichard : op.cit, p 173, 174.

[2] انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

[1] الإحاطة ،ج 1 ص 140.

الأصباغ و العطور ، و التزين بنفيس الحلي". [1] و عموما إن المجتمع الأندلسي بمختلف عناصرهم الأصلية والدخيلة، كان قد استحال بمضي الزمن ، و تعاقب الحوادث و الدول ، و المؤثرات الاجتماعية و الإقليمية، إلى أمة عربية إسلامية ذات طابع مستقل و مميزات خاصة.

و يبدو لي أن طرحهم للمرأة و الحب، يرجع لتأثير البيئة الأندلسية و ليس للدين الإسلامي الذي يجهلونه و لم يقفوا على حقائقه و أن سيد الخلق و حبيب الحق نبينا محمّد ﷺ كان يجهر بحبه لأمِّنا عائشة رضي اللهُ عنها، لأن في وقتنا الحالي مع ما نشهده من تطورات و تحولات على سيكولوجية المرأة ؛ نجد مثلا في البلدان المسلمة اختلاف في ماهية الحب ، فنجد مثلا في المشرق و في مصر بالتحديد التحدث عن الحب دون حياء و لا أدنى حرج و المرأة المصرية أكثر حرية وجرأة و استقلالية في ذلك ، بينما التحدث عنه في بلاد المغرب ، ما يزال بصفة محتشمة و بتحفظ نسبيا. و هذا ما يبدو لي أن توسع دائرة انتشار ظاهرة الحب في البلاد الإسلامية تخضع للعادات و الأعراف المحلية و ليست محظورة من طرف الدين الإسلامي الذي يدعو للعفة ؛ وإنما الاختلاف يرجع بالدرجة الأولى لتأثير الذهنية السائدة في كل بلد .

أما واقعه في الأندلس فيرجع سببه إلى وجود عناصر سكانية مختلطة تختلف في نواياها و ميولها و عقيدتها ، و أن الدين الإسلامي حضن كل العناصر وصهرهم في بوتقة واحدة ، و كان أعم و أشمل دين لهؤلاء السكان من الديانات الأخرى، و لم يكن عثرة أمام تحرر المرأة ، بل هو محررها . و كانت المرأة المسلمة و المرأة الأندلسية عامة في بلاد الأندلس تعيش عزة كرامتها وحريتها في العصر الوسيط - بالموازاة على ما ساد أوروبا في نفس المجال الزمني من احتقار للمرأة و هضم حقوقها ، و هذا لم يعم الأندلس التي كانت تعرف أوج ازدهارها و رقي نسائها في مختلف مجالات الحياة .

و ما الحرية التي نالتها المرأة الغربية إلا بعد الاحتكاك و تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية عامة و بمؤسسات الأندلس خاصة .[1] ثم انتقلت التحولات فيما بعد للدول الأوربية التي عرفت ميلاد عصر النهضة المتأثر في بعض مظاهره بالحضارة العربية الإسلامية و منها تحسين أوضاع المرأة الأوروبية.

---

[1] ابن الخطيب، نفس المصدر ، ج 1 ، ص 141.؛ أحمد مختار العبادي ، الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية ، ص 21.

[1] انظر فحوى رسالة ملك انجلترا للخليفة هشام المؤيد . ف 4 و الملحق ، رقم 11.


الخاتمة

يتبين من خلال دراسة موضوع " **الإسهامات الحضارية للمرأة الأندلسية من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة** " (مابين 92هـ 897هـ / 711م – 1492م)، ما يلي :

- أسهام المرأة الأندلسية في مختلف الجوانب الحياتية في الحضارة الأندلسية ، بل أن المرأة كانت هي نبض حياة حضارة الأندلس نظرا لتعدي دورها الجانب الأسري و الاجتماعي إلى دائرة العمل السياسي و الاقتصادي والفكري و الثقافي .ورغم التفوق الحضاري للمرأة الأندلسية ، يقف الباحث المتتبع لواقعها المعاش على واقع تعددي متحول متداخل لا يكاد يستقر على حال.

فمن الناحية الدينية يكشف الواقع ، تعايش المرأة المسلمة مع نساء ينتمين إلى ديانات مختلفة –يهودية و نصرانية أساسا و لهن أوضاعهن الخاصة بهن ،بالإضافة إلى بعض المجوسيات اللاتي أورد بشأنهن ابن العطار وثيقة في إسلام المجوسية والتي كان عددهن يزيد أو يقل حسب التيار المغذي لتواجدهن والمتمثل في الغزوات على الأندلس بالأساس.

أما من الناحية القانونية ، فقد تواجدت إلى جانب المرأة الحرة المسلمة والكتابية مجموعة كبيرة من المملوكات التي كن في وضعية دونية بالنسبة للحرائر ، لكنهن على حظ وافر من المعرفة و الأهمية و الجرأة و الإقدام لتحسين حالهن.

أما من الناحية الاجتماعية ، فقد كان انتماء المرأة الاجتماعي وفقا للتقسيمات السائدة و خصوصياتها متمثلة في المرأة لدى الخاصة والمرأة لدى العامة ، والمرأة الحرّة و المملوكة و المرأة الحضرية والريفية. و خلاصة القول إن واقع المرأة الأندلسية كان واقعا تعدديا ، تعايشت فيه أصناف متعددة من النساء بتعدد الحالات و الوضعيات تعايشا سلميا.

و فيما يخص إسهام المرأة في الحياة السياسية والعسكرية ؛ لقد توصلت الدراسة التي اهتمت بالموضوع إلى ما يلي:

- يتبين من خلال الدراسة أن إسهام المرأة في المجتمع الأندلسي كان منذ مرحلة الفتح و عهد الولاة حيث وقعت مؤامرة شاركت فيها المرأة المملوكة ، وبرز دورها في الجانب السياسي، و ذلك بعدما تزوج وال الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير "إيخلونا" زوجة لذريق ملك إسبانيا سابقا – وأصبحت أم ولده. و اعتبرت تصرفاتها مع زوجها و طاعته لها، سببا مباشرا في حدوث أول جريمة سياسية في الأندلس . لكنني بعد التأكد من النصوص المصدرية ، وقفت على حقيقة مفادها، أن امرأة نصرانية أخرى تزوجها أحد الجند و هو زياد بن النابغة التميمي، استعملت للتجسس على الحياة الأسرية الخاصة لعبد العزيز بن موسى بن نصير بحكم صداقتها مع "إيخلونا" ("أم عاصم")؛ و هي أول من يتحمل جزء من المسؤولية في الجريمة لأنها كانت تنقل أخبار خلوة الوالي عبد العزيز التي لا يمكن الإطلاع عليها غيرها، و هي التي أججت نار المؤامرة. و يبدو لي أن عدم اتهامها و السكوت عن تجسسها يعود لكونها زوجة أحد القادة الكبار الذين قتلوا الوالي عبد العزيز بن موسى، فكتموا سرها و انصب الاتهام على" أم عاصم" فقط لأن لهذه الجريمة اعتبارات سياسية.

- كما يعد زواج الفاتحين الأوائل من نساء إسبانيات فاتحة للزواج المختلط الذي يعد الركيزة الأساسية في بناء الأمة الأندلسية . و أهم زيجة التي كان لها الأثر البعيد المدى هي زواج " سارة القوطية " الأول من عيسى بن مزاحم جد المؤرخ أبو بكر ابن القوطية، ثم من عمير بن سعيد زوجها الثاني و هو جد لأسر عريقة هي :بني سعيد و بني حجاج، و بني مسلمة، وبني حجر الجزر الذين شرفوا في الأندلس من بين عائلات المولدين .

- تدخل الجواري، أمهات الأولاد، في أمور السياسية للدولة ،ومن النماذج المدروسة والخطيرة على الإمارة الأموية هي الجارية "طروب" ومحاولتها قتل الأمير عبد الرحمان الثاني بالتآمر مع كبار فتيان الصقالبة ،"نصر "الخصي. ودور الجارية "مرجان" في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر و سعيها في إقصاء مكانة الحرة فاطمة القرشية عن القصر؛ و كذا الجارية " صبح" مع الخليفة الحَكَم المستنصر و الحاجب المنصور بن أبي عامر ، والجارية" الذلفاء" أُمّ عبد الملك المظفر بن محمّد بن أبي عامر التي ساندت ابن عبد الجبار في ثورة قرطبة ضد عبد الرحمان شنجول، ابن ضرتها " عبدة" انتقاما لمقتل ولدها عبد الملك بن أبي عامر و تأجيج فتنة قرطبة.

- واستهتار اعتماد الرميكية مع المعتمد بن عباد حتى رفع عنها القضاة والعلماء شكواهم ليوسف بن تاشفين أمير المرابطين .وفي أخر دولة بني نصر برز صراع عسكري دموي أسري عنيف بسبب تنافس الجارية " ثريا" مع ضرتها "عائشة الحرة و أصل الخلاف بين كل هذه النماذج السابقة الذكر هو من أجل أخذ ولاية العهد لأبنائهن و تثبيت نفوذهن السياسي.

- تحالف سيدات القصر و أمهات الأولاد في كثير من الأحيان مع الفقهاء والعلماء نظرا لمكانتهم الدينية و مركزهم الاجتماعي و تقريبهم من الحكام مثل " الذلفاء " التي تعاونت مع الفقيه أبو حاتم بن ذكوان صاحب المظالم ، لإثبات تهمة تآمر الوزير عيسى بن سعيد ضد الحجابة العامرية والذي تم إعدامه بأمرها . وأيضا "صبح " مع القاضي ابن سليم . وبعض أمهات الأولاد كانت سببا في عزل القضاة عن منصبهم مثل " عجب " التي طلبت من القاضي محمد بن زياد الشفاعة لابن أخيها لكي لا ينفذ فيه حكم الإعدام، و لما اكتشفت مؤامرتها تم عزل القاضي محمد بن زياد مع القضاة المتآمرين معها.

أما اعتماد الرميكية فكانت من وراء قتل الشاعر ابن عمار و الثأر لكرامتها ،بعد ما هجاها في قصيدته قائلا": تخيرها من بنات الهجان رميكية ما تساوي عقالا ". وورطت المعتمد في الخلاعة والاستهتار والمجاهرة.

- تآمر أمهات أولاد الحكام بعض الصقالبة الخصيان لتحقيق أغرضهن مثل طروب مع نصر الخصي.

- مشاركة المرأة في كل مظاهر الحرب من قتل و أسر و نفي و فداء ؛فاقتحمت ميدان الحرب و شاركت في القتال مباشرة ومنهن جَمْلة أو" جَمِلة "أخت ابن عبد الجبار قادت ثورة المولدين إلى جانب أخيها في عهد الإمارة الأموية ، و رغم بُعْد نظرها و نصائحها لأخيها بعدم الخروج عن طاعة الأمير، إلا أن عاطفتها الأخوية تغلبت عن سداد رأيها و ساندت أخوها في قتال مرير إلى أن وقعت في أسر النصارى ، وأرغمت على التنصر.

- تعرض المرأة للسبي و الإقامة الجبرية و النفي من بلدها مثل" أُمّ الأمير عبد الله "بن الزيري التي تعد أول امرأة يطبق عليها هذا الإجراء السياسي ،كما نفيت اعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد إلى أغمات بالمغرب الأقصى ؛ وكذا عائشة الحرة التي ستكون فاتحة لهجرة الكثير من الأندلس نحو المغرب بعد استسلام ابنها . أما أشد المأساة هي سبي المسلمات إثر الغارات النصرانية على ممتلكات المسلمين خاصة على الثغور حيث اجتهدت الدولة في فك أسرهن زمن قوتها. كما اجتهد الأندلسيون رجلا و نساء في فداء الأسرى ، والأَمَر في ذلك هو تضاعفت ظاهرة السبي إلى غاية نهاية دولة الإسلام في الأندلس سنة 897ه/ 1492م ؛ وهذا الموضوع سيبقى مجالا مفتوحا في مواصلة البحث من خلال المصادر عن مصير المرأة المورسكية .

- و ما يثير الإنتباه عن دور المرأة في المجتمع منذ المرحلة الأولى في تكوين أسرتها، هو حرصها و حرص أهلها على الحفاظ على حقوقها و صيانة كرامتها بتوثيق شروطها في عقد زواجها التي تحتفظ بنسخة منه؛ تماشيا مع حرص المجتمع الأندلسي وتمسكه بعملية التوثيق لكل مظاهر حياته صيانة للحقوق والواجبات لكل أفراد الأسرة و منها المرأة بالأخص، و اشتمل التوثيق عقود الزواج و الطلاق و الخلع والحضانة و الملكية العقارية... و لم تختلف

العقود في مضامينها رغم فوارق الزمن تبقى دوما متمسكة بالكتاب و السنة و خاصة الفقه المالكي في مضامينها .

- و تبين لي من خلال دراسة نموذج عقد الزواج في القرن 4هـ/ 10م أن مضامينه أحسن بكثير من عقود الزواج الحالية ، و ذلك لكون التوثيق يفرض تسجيل كل الشروط المتفق عليها و إلزامية العمل على أساسها و الوفاء بها سواء للرجل أو للمرأة . أما عقود الزواج عندنا حاليا فهي لا تقيد الشروط التي يتم الاتفاق عليها بين الزوجين ، و يتم ذلك بطريقة عُرْفية ضمن ما يسمى عندنا "قْطيع الشرط " الذي يتم شفويا ، و هذه الطريقة لا يحمد عقباها في حالة حدوث انفصال لأن الزوجة لا تمتلك وثيقة رسمية تثبت الشروط المتفق عليها إذا رفعت دعوة قضائية ، و بالتالي يحتمل ضياع بعض حقوقها، أو تفتري على الزوج شروطا لم يتم الإتفاق عليها!

أما فيما يخص المشاكل الأسرية فكانت كثيرة و متشعبة و يتضح ذلك من خلال تكرار حالات الطلاق الكثيرة أو الخلع الذي يبدو منتشرا في المجتمع و ما نتج عنه من مشاكل أخرى كحضانة الأطفال و المسكن والميراث.، و أحينا تتفاقم المشكل بين الزوجين حتى تبلغ اللعان .

- أما فيما يخص حركية المرأة و حريتها ، فقد كانت تفرض عليها الرقابة الدينية و الأخلاقية والقيود الاجتماعية و هذا ما نجد صداه في كتب الحسبة التي يبدو من خلالها تمتع المرأة بنصيب من الحرية مقيدة بضوابط يفرضها الدين الإسلامي بالدرجة الأولى و المذهب السني ثم أعراف و تقاليد المجتمع الأندلسي. كما خضعت المرأة لمراقبة سلوكها ضمن الممارسة اليومية كخروجها للعمل أو في الأعياد و الاحتفالات و زيارة المقابر و الحمامات و الخروج للمنتزهات خاصة على ضفاف الأنهار ، و هذا ما يوحي وقوع الاختلاط و كشف ستر النساء. فكان الفقهاء و رجال الحسبة حريصين كل الحرص على الحفاظ على كرامة وشرف المرأة المسلمة بالدرجة الأولى ومنعها مثلا من الدخول للكنائس في الأعياد النصرانية ؛ و بدى الحرص حتى على المرأة النصرانية و تحذيرها من الخلوة مع القسيسين الفساق لأنهم غير مؤتمنين عليهن. و هذا من أروع ما صانته الشريعة الإسلامية لأهل الذمة للحفاظ على مجتمع طيب الأعراق .

لكن نظرا للحروب و الفتن و انفصام عقد الخلافة الأموية و ما نتج من تحولات سياسية في القرن 5ه/11م، انعكس كل ذلك على وضع المرأة التي أصبحت أكثر تحررا سواء في خروجها أو في سلوكها أو في لباسها . و من الأمثلة البارزة عن تحرر المرأة و كسرها لكل قيود المجتمع المسلم "نزهون القليعية" و " ولادة بنت المستكفي التي تناولتهما عدة دراسات أدبية و اعتبرتها رمزا للتحرر ، و إن كان تصرف "ولادة" يعد رمزا للانتقام من المجتمع و ما حدث لأسرتها من تشتت ، فتشتت بها السبل في عصر لم يبالي حكامه بالقيم الروحية والأخلاقية بقدر ما أهمهم الملك و المناصب و التباهي و الترف.

- شغل الزواج المختلط الفقهاء خاصة لما وجدت حالات زواج المرأة المسلمة بغير المسلم لكون هذا النوع من الزواج خارج على الكتاب و السنة وخافوا من نتيجة هذا الاختلاط و عواقبه السلبية على تربية الأبناء، في حين لم يجدوا غضاضة في زواج المسلم بالمرأة بالكتابية خاصة النصرانية و الذي سجل أرقاما قياسية و شمل ذلك كل فئات المجتمع نظرا لتدفق مورد السبي.

و اتخذت إيماء الدرجة الأولى – العليات- للحريم و إيماء الدرجة الثانية – الوخش- للخدمة. و لما اتسعت دائرة التسري لدى الخاصة والعائلات الميسورة من العوام ،نتج جيل جديد من الزواج المختلط وأصبح المجتمع الأندلسي مولدا في معظمه منذ القرن 3هـ/9م. و كانت المرأة المولدة أكثر حركية و حرية في المجتمع منذ عهد ملوك الطوائف.

- و شكلت ظاهرة التسري إحدى مخاوف الزوجة على حياتها الزوجية و بلغ بها الأمر إلى الاشتراط من زوجها بعدم التسري و تسجيل ذلك في عقد زواجها أي قبل البناء بها. و ما هذا التخوف إلا نتيجة لما عرفته الأسر الأندلسية على مختلف مستوياتها الاجتماعية من صراع حاد بين الجارية أو الخادمة و سيدتها . والنماذج عن هذا الصراع كثيرة انعكست سلبا على العلاقات الأسرية والاجتماعية التي استمرت إلى نهاية دولة الإسلام في الأندلس و الذي مثلها صراع عائشة الحرة مع أم الولد "ثريا" في دولة بني نصر.

و بالمقبال كان للتسري نتائج إيجابية على الجارية –ملك اليمين- حيث حررها الإسلام من العبودية ، لأن سيّدها إذا ما استأثر بها لنفسه تنجب أولادا أحرارا. وبمجرد إنجابها تصبح أم ولد، و لا يصح له أن يبيعها أو يهبها أو يزوجها لغيره و تعتق فور موته. وهو بذلك يمنعها من إنجاب العبيد ، لأنه إذا ما زوجها لعبد أو سيد ، فإن أولادها يكونون أرقاء، حيث أن الأولاد يتبعون أمّهم في الرق والحرية.و بذلك يرفع الشرع الإسلامي عن الأمة نير العبودية و يكرمها و يؤمن لها راعيا يحصنها من الفحشاء و المنكر .

يتضح من المصادر التاريخية ،أن البيت الأموي الحاكم تكوّن في معظمه من الجواري الحسان الشقروات، و الحقيقة التي أريد إثباتها هي:

- أن أمهات أولاد حكام بني أمية لم يكن من بينهن جواري من إفرنجه كما ادعى ليفي بروفاسال و تابعه في ذلك بعض الدارسين ، إنما كن إسبانيات الأصل. وهذا لا ينفي وجود جواري إفرنجيات أصبحن أمهات أولاد للأمراء في غير البيت الأموي الحاكم. و لإثبات ذلك أعدت جدولا يبين أصل أمهات الأولاد لحكام بني أمية من عهد الإمارة إلى سقط الخلافة الأموية(138ه- 422هـ / 756م-1031م)

- أن من بين أمهات أولاد البيت الأموي الحاكم ،امرأة بربرية الأصل وهي " أَثْل" التي باعها خالها لأحد أعيان البيت الأموي ،ثم اتخذها الأمير محمّد أم ولده وأنجبت له الأمير المنذر. وهي المرأة الطموحة و الجريئة و هي الوحيدة غير الشقراء في بلاط حكام بني أموية ، بدليل أن ابنها الأمير المنذر أسمر،

كما ورد ذلك عند ابن حزم الأندلسي . لكن الأمر المدهش أن بعض الدراسات عن حريم البيت الأموي أو عن الزواج المختلط في الأندلس تعتبر -"أثْل" - إفرنجية رغم أن خبرها في المصادر الأندلسية واضح وجليّ في نسبتها إلى بربر الأندلس و تم بيعها من طرف خالها برغبة منها.

و أهم شيء أثار انتباهي خلال البحث هو الوقوف على تلك الإشارات التي أثبتت أن هناك من ساهم في منح بنات المسلمين لخدمة النصارى إضافة إلى تزويج بعض المسلمين بناتهن من النصارى، الأمر الذي يفقد المرأة المسلمة دينها و المبادئ التي يجب أن تربي عليها أولادها مستقبلا، و هذا أيضا ما يتنافى تماما مع العرف والشرع و لم يكن معهودا من قبل . ومما يوضح لنا أيضا الوضع المتدني الذي وصل إليه الأمراء المسلمون من حاجتهم للنصارى من أجل البقاء على العرش والسطو على بعضهم البعض بعدما كانوا أسيّاد الموقف يدحضون فلول النصارى شمالا ويقيّدون تصرفاتهم و تحركاتهم حفاظ على الإسلام وعزته و دفاعا عن الحُرم وفك أسرهن .

- لقد نتج عن تشجيع الحكام للعلم و تسهيل متناوله لكل أفراد المجتمع ، ظهور بيئة احتضنت كل الراغبين في طلب العلم ذكورا و إناثا على اختلاف أصولهم وأوضاعهم منذ المراحل الأولى. وتدرجت المرأة في طلب العلم و الإجازة ، وشدت الرحلة العلمية داخل الأندلس ثم للمشرق، فانبثق من هذه البيئة العلمية ثلة من النساء المتعلمات و العالمات ومقرآت و محدثات و فقيهات و الأديبات وشاعرات و الزاهدات والخطاطات بشكل منقطع النظير. ولذا كانت الأندلس مركز جذب لطلبة العلم و منهم بعض الأميرات و الفتيات الأوروبيات خاصة من انكلترا و فرنسا اللائي نهلن من العلوم المختلفة في قرطبة وإشبيلية.

يبدو أن الأدب و الشعر ضم أكبر نسبة من النساء في عهد الطوائف(30 حالة) إذا ما قورن بالقرنين هـ3-4هـ/ 9 -10م . و خاضت المرأة كل أغراض الشعر المعروفة من المدح و الفخر والرثاء و الغزل ...و يعد ما بقي من أشعارهن مادة أولية تسفر على أحوالهن و على بعض الأحداث التاريخية، مثل قصيدة "بثينة " بنت المعتمد بن عباد التي تصف لنا ملحمة اقتحام جند المرابطين لقصر أبيها وكيفية أسرها وبيعها في سوق الرقيق ، ثم اشتراها أحد كبار البلد و أهداها لابنه.

وأشارت الشاعرة "حفصة الكونية للعلامة السلطانية عند الموحدين "الحمد لله وحده" .في شعرها " قائلة : تخط يمناك فيه الحمد لله وحده .

مثلما صورت لنا الشاعرة "الشلبية" سياسة ظلم بعض الولاة الموحدين وحجز أملاكها. واستطاعت بجرأتها و بلبقة و فصاحة لسانها استرجاع أملاكها. و لذا فالشعر النسوي الأندلسي المتبقي منه القليل، يعتبر لسان حال لحياة بعض الشاعرات و الأديبات آنذاك.

- و يلاحظ أن الإقبال على العلوم العقلية كالطب و الحساب و الهندسة كان ضئيلا بالمقارنة لإقبالهن على العلوم الدينية و الأدبية. و أكثر أصناف النساء المتعلمات هن الجواري ، نظرا الاعتناء الكبير والمتزايد بتعليمهن لغرض تجاري و أكثر ما لقنَّ تعلم اللغة العربية و الشعر و الغناء. و كانت تصرف أموالا طائلة لتعليمهن فمنهن من أرسلت إلى المشرق لتعلم الغناء مثل الجارية "قلم"، ومنهن من جلبت من المشرق مثل "قمر". و خصص للجواري مكان عرف" بدار المدنيات" في عهد عبد الرحمان الأوسط و كلما ارتقت الجارية في التعلم وأتقنت أصناف العلوم ارتفع ثمنها و استأثر بها الحكام و الأمراء.

و لذا بلغت الجارية المملوكة في المجال الفني مكانة أرفع من المرأة الحرة ، لتأهيلها لغرض الغناء و الطرب. فكان لا يخلو مجلسا من قينة و عوادة وراقصة ومجموعة من الجواري لترديد النغم و فرقة للرقص. و يضاف لمجالس اللهو، الساقية و الغلمانية و أم الخبائث (الخمر) المتلفة للعقل و الرشد ؛ ضاربين ضرب الحائط كل الحدود الشرعية. و هذا النوع من مجالس اللّهو زادت وتيرة انتشاره في المجتمع رغم محاربته ، وهو الذي سيشكل أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس لما وهنت الهمم و انخفض الوازع الديني و سيطر الثالوث الخطير البذخ و الغناء و الخمر.

- أما النشاط الاقتصادي فبرزت فيه المرأة الريفية بالدرجة الأولى لمشاركتها الفعالة في مختلف الأنشطة الاقتصادية، بناء على ما أشارت إليه كتب الحسبة من تحديد تنقلاتها و مراقبة بيعها و شرائها في الأسواق ، لا سيما لمادتي القطن و الكتان لِمَا يتحايلن في زيادة وزنهما ، و نظرا لاشتغالهن الواسع في صناعة النسيج ، بالإضافة إلى تحديد المعايير الأخلاقية الملزمة داخل الأسواق وخارجها. و في كل الأحوال تمتعت المرأة بالحرية الاقتصادية والاستقلالية المالية و بالأخص التصرف في ممتلكاتها و ضبط العقود والوصايا و الوكالة و إدارة تجارتها بنفسها ، و السيطرة المستقلة على ثروتها المالية و لم تخذلها الجرأة في المطالبة بحق ملكيتها لدى الحكام عند هضم حقوقها و التعدي على أملاكها. وكانت تعقد شراكة مع الزوج فلا يهضم حقوقها ، عكس ما نعرفه اليوم حيث يستولي الرجل على أموال المرأة دون استشارتها.

- و تكلل عطاء المرأة الأندلسية بإسهامها في أعمال البر و الخير . و قد أوردت كتب الفقه الكثير من مظاهر الوقف تصدقت بها نساء ميسورات وصالحات لفائدة المحتاجين ، و من خلالها يتبين لنا مدى خيرية المرأة و إسهامها في التكافل الاجتماعي ، وأنها كانت عنصرا بناء و واعية لمتطلبات فئة المعوزين. و يتبين من خلال سعي المرأة و بذل المال لفك الأسرى وعيها في نصرة أمتها الإسلامية من جهة؛ و ابتغاء الدار الآخرة و نيل رضا الله تعالى من جهة أخرى.

وتخليدا لمآثرها حملت بعض المنشآت العمرانية أسماء نساء اللائي مولناها مثل الحقول، كحقول الجارية" مرجان" أو منية "عجب ، وسميت بعض المساجد بأسمائهن مثل مسجد " الشفاء" ومسجد "طروب" ، ومسجد "البهاء" وغيرهن كثيرات ، و بعض المواقع مثل، جزيرة "أم حكيم" ربض "أم سلمة" ؛ أو بناء ساقية ماء- نافورة- مثل التي حبستها السيّدة "صبح" للصالح العام نظرا لضرورية هذه المادة في الحياة .

و قد وقفت بعض الأبحاث الأثرية الحالية على مجموعة من الآثار العمرانية التي تثبت ذلك و هذا يؤكد صحة النقل التاريخي و حقيقة إسهام المرأة الأندلسية في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس الموعودة ، فأثارهن تدل عليهن.

- لقد خلد الفكر الأندلسي صورة المرأة الأندلسية أمّا و أختا وزوجة و بنتا ، وحرة، و جارية ؛ في حياتها و بعد موتها من خلال أشعار الأدباء و الشعراء، والعلماء و الفلاسفة و المتصوفة في كتابتهم و اتخذوها رمزا للتعبير على نظرياتهم و آرائهم في الحياة و عن وجدانهم وأحوالهم، أمثال ابن حزم و ابن رشد وابن العربي. كما خلد الأندلسيون ذكر المرأة بعد موتها، من خلال الآثار المتبقية على شواهد القبور.

- و أما الفكر الغربي المعاصر فتجاذبه أراء مختلفة في تحديد أصل انتماء المرأة الأندلسية المسلمة و التأثيرات المكونة لشخصيتها بين الحضارة المشرقية والبيئة الأندلسية ؛و الاتجاه الأكثر اعتدالا هو القائل: "... أن المرأة الأندلسية- الإسبانية- لم تتنكر لجذورها ، و قد تمكنت من الانصياع لأحكام وقوانين الإسلام دون أن تتخلى عن عادات الحرية و الاستقلالية المتوارثة من البيئة المحلية الأوربية ".

- إن هذا الطرح الأخير لا يزال يحتاج إلى دراسة معمقة من طرف الباحثين بالاعتماد على المصادر الفقهية لاسيما منها كتب النوازل و الفتاوى والأحكام ، لأن معظم الدراسات الغربية و حتى التاريخية لم يعتمد عليها بالقدر الكافي لإثبات الحقائق التاريخية ، وأيضا باعتبار أن هذا الصنف من المصادر يعد المعبر بحق على حال المجتمع الأندلسي المسلم . و على كل حال فإن المرأة الأندلسية تبقى تمت بصلتها المتينة للعروبة و الإسلام إلى أخر لحظة لها على أرض الأندلس التي مثلتها "عائشة الحرة" مدافعة عن العروبة و الإسلام ،

و بقي عتابها لابنها لما بكى، مضرب المثل لحد الساعة ، ويبقى آخر مكان الذي فرقاه في الأندلس يحمل في طياته اسم العروبة -و هو " زفرة العربي"- ليومنا هذا.

كما لنا أن نتصور من خلال الحرية المادية و الاجتماعية التي حققتها المرأة الأندلسية التأثيرات التي سوف تكون لها على النساء الأخريات خاصة منها المرأة المغربية التي أصبحت تتطلع إلى هذه الحرية و ترى فيها المنفذ الرئيسي لإثبات قدرتها و دورها داخل المجتمع المغربي ، هذا ما يحتاج فعلا إلى دراسات أخرى تظهر لنا البعد الحضاري لهذا التأثير و نتائجه .

و السؤال الذي يبقى مطروحا دائما ، هل تحرر المرأة الأندلسية كان سببا في زوال و تدهور الدولة؛ و إلا لماذا سقطت دولة الأندلس في الوقت الذي تعتبر المرأة فيه العضد القوي و الساعد الأيمن لكل قوة برزت على أرض الأندلس عبر التاريخ.؟

- و هناك أيضا خلل يجب تحديده عبر البحث المعمق لمعرفة سبب انحراف الرجل وعدم قدرته على كبح شهواته و لو كلفه ذلك سيادة الدولة و عزة الإسلام والمسلمين ، و ذاك ما حدث مثلا في أواخر عهد مملكة بني نصر . و لماذا لم يكن بالإمكان مواجهة خطط اليهود و النصارى الذين رأوا في المرأة السبيل الأمثل لإسقاط دولة الإسلام. مثلما عبر عليه العالم و الفقيه الباجي بقوله:" كان أخطر ما في الزواج بالنصرانيات، ما كان من بنات أمراء النصارى وملوكهم الشديدي الحقد على الإسلام ؛ إذ كونت تلكم الزوجات جبهة داخلية خطيرة ضد الإسلام تنخر همم الرجال وتفت في عضد الحكام والقواد و تدفعهم بعيدا عن الحق الذي يرضي الله عزّ وجلّ".

- و البحث أبرز عدة جوانب أساسية يمكن الاعتماد عليها مستقبلا بالتفصيل لإظهار الأسباب الرئيسية التي دفعت بالمسلمين إلى الانهزام أمام النصارى والتحولات الطارئة على وضعية المرأة و الانقلاب الداخلي الذي حدث في المجتمع الأندلسي و عدم القدرة على تقييد كل التصرفات و التحركات التي من شأنها التمسك بالدين و سنة النبّي صلى الله عليه و سلم قبل سقوط غرناطة في سنة 897هـ /1492م.


الملاحق

ملحق رقم 1: **عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير حاكم شرق الأندلس**

(معاهدة تدمير)

بسم الله الرحمان الرحيم، هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل إلى الصلح أن له عهد الله و ميثاقه ، و ما بعث به أنبياءه و رسله ، و أن له ذمة الله عزّ وجلّ ، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا يقدم له وألا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، أن لا يُسْبون و لا يفرق بينهم و بين نسائهم و أولادهم ، و لا يقتلون و لا تحرق كنائسهم ، و لا يكرهون على دينهم ، و أن صلحهم على سبع مدائن: أوريولة ، و مُولة، و لورقة ، وبَلْنَتلة ، لقنت ، و إيهْ ، و إلْش، أنه لا يدع حفظ العهد ، و لا يحل له ما انعقد، يصحح الذي فرضناه عليه و ألزمناه أمره، و لا يكتمنا خبرا علمه، و أن عليه و على أصحابه غُرم الجزية ، من ذلك على كل حرّ: دينار و أربعة أمداد من قمح، وأربعة أمداد من شعير ، و أربعة أقساط خل و قسطا عسل و قسط زيت ، و على كل عبد نصف هذا.

شهد على ذلك عثمان بن عبد الله القرشي ، و حبيب بن أبي عبدة القرشي و سعدان بن عبد الله الربعي و سليمان بن قيس التجيبي و يحي بن يعمر السهمي و بشر بن قيس اللخمي و يعيش بن عبد الله الأزدي و أبو عا صم الهذلي ، و كتب في رجب سنة أربع و تسعين.

العذري ، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيغ الأخبار و تنويع الآثار**، ص ص 4، 5.

ملحق:رقم**2**

وثيقة عقد زواج امرأة مسلمة:

"أصدق فلان بن فلان الفلاني زوجه فلانة بنت فلان الفلاني أصدقها كذا وكذا دراهم بدخل أربعين من الضرب الجاري بقرطبة في حين تاريخ هذا الكتاب، النقد من ذلك كذا وكذا دينار دراهم قبضها لفلانة فلان أبوها فلان، إذ هي بكر في حجر وولاية نظره، وصارت بيده ليجهّزها بها إليه، وأبرأه منها فبرئ إلى كذا وكذا دينارا دراهم من الصفة المذكورة مؤخرة عن النكاح ومؤجلة عليه كذا عاما، أوّلها شهر كذا من سنة كذا.

والتزم فلان بن فلان لزوجه فلانة، طائعا متبرّعا استجلابا لمودّتها **ألاّ** يتزوج ليها، **ولا** يتسرّى معها، **ولا** يتّخذ أم ولد، فإن فعل شيئا من ذلك فأمرها بيدها، والداخلة عليها بنكاح طالق، أم الولد حرّة لوجه الله العظيم، وأمر السُّرية بيدها، إن شاءت باعت وإن شاءت أعتقت عليه. **وألاّ** يغيب عنها غيبة متصلة قريبة أو بعيدة أكثر من ستة أشهر، إلا في أداء حجة الفريضة عن نفسه، فإنّ له في ذلك مغيب ثلاثة أعوام إذ أعلم ذلك من سفوه فاصلا إليه قاصدا نحوه مجريا لنفقتها وكسوتها وسكناها، فمتى زاد عن هذين الأجلين أو أحدهما فأمرها بيدها، والقول قولها عند المنقضي من أحجلها، بعد أن تحلف في بيتها بمحضر شاهدي عدل يعرفانها بالله لغاب عنها أكثر مما شرطه لها، ويكون أمرها بيدها، ولها التّلوّم عليه ما شاءت، لا يقطع تلومها شرطها، **وألاّ** يرحّلها من دارها التي بحاضرة كذا إلا بإرادتها ورضاها، فإن رحلها مكرهة فأمرها بيدها، وإن هي طاعت له بالرحيل فرحلها ثم سألته الرجعة فلم يرجعها من يوم تسأله ذلك إلى انقضاء ثلاثين يوما فأمرها بيدها، وعليه مؤونة انتقالها ذاهبة وراجعة، **ولا** يمنعها من زيارة جميع أهلها من النساء وذوي محارمها من الرجال، وألاّ يمنعهم من زيارتها فيما يحصن ويجمل من التزاور بين الآهلين والقربات، فإن فعل شيئا من ذلك فأمرها بيدها.

وعليه أن يحسن صحبتها ويجمّل بالمعروف عشرتها جهده، كما أمره الله تبارك وتعالى، وله عليها مثل ذلك، وعلم فلان أن زوجه فلانة هذه ممّن لا تخدم نفسها وأنها مخدومة لحالها ومنصبها، فأقرّ أنه ممن يستطيع إخدامها وأن ماله يتّسع لذلك، فطاع بالتزام إخدامها، تزوجها بكلمة الله عز وجل للزوجات على أزواجهن من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أنكحه إياها أبوها فلان بن فلان بكرا في

حجره، وتحت ولاية نظره صحيحة في جسمها، بما ملكه الله عز وجل من بضعها، وجعل بيده من عقد نكاحها، شهد على إشهاد الناكح، فلان بن فلان، والمنكح فلان بن فلان، المذكورين في هذا الكتاب على أنفسهما بما ذكر عنهما فيه من سمع ذلك منهما وعرفهما، وهما بحال الصحة وجواز الأمر، وذلك في شهر كذا من سنة كذا".

ابن العطار ، كتاب الوثائق و السجلات ، ص ص 7 ، 10.

ملحق رقم **3** **وثيقة عقد زواج من القرن 6ه/ 12م ،**

أصدقها كذا دينار من سكة كذا نقدا...قبضه للمنكحة المذكورة والدها فلان ليحملها إلى زوجها المذكور ... و بقي كذا...مؤخرا عن...المذكور إلى انقضاء أربعة أعوام أولها تاريخ هذا الكتاب . ب... الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم لتكون عنده بأمانة الله . النكاح المذكور لزوجه المذكورة بعد أن ملك عصمتها ، فإن **لا** يتزوج عليها و **لا** يتسرى و **لا** يتخذ أم ولد عليها ، فإن جعل شيء من ذلك فالداخلة عليها بنكاح أو مراجعة طالق ، و السرية وأم الولد حرّتان لوجه الله تعالى . و **لا** يضرها في نفسها وأخذ شيء من مالها فإن جعل شيء في ذلك فأمرها بيدها .

و إن كان يغيب عنها بعيدا أو في (-) طائعا أو مكرها حيث ما توجد من أسفاره أن **لا** يزيد ستة أشهر أو في أداء حجة الفريضة عن نفسه خاصة فإنه له في ذلك مغيب ثلاثة أعوام ، فإن زاد على هذين الأجلين أو أحدهما فأمرهما بيدها و القول قولها في المنقض من أجلها مع يمينها في بيتها بما يجب ، ثم يكون أمرها بيدها و أن يراجعها من موضع كذا بإذنها و رضاها فإن رّحلها مكرهة فأمرها بيدها و عليه مؤنة انتقالها ، و أن **لا** يمنعها زيارة أهلها من النساء و ذوي محارمها من الرجال فيما يحسن ويحمد بين الأهلين و القرابة

عن القاضي أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم : المقصد المحمود في تلخيص العقود ، مخ، ص 1.

ملحق رقم: 4 عقد زواج نصري

عقد زواج نصري ، جرت رسومه في قصر الحمراء بغرناطة في 24 صفر 753هـ/ بين السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن الأحمر ملك غرناطة ، بصفته وليا على أخته و بين الرئيس أبي الحسن بن جعفر بن نصر.

بعد البسملة...

" ... و رآى مولانا ـ أيده الله، ...و أوجب له العقد السَّني و الأملاك السُّني في أخته الحرة ، الجليلة،الطاهرة المعظمة، ...، و عرفها انتقالها أضعاف ما عرفه في منشأ المجد ، إيجابا حالفته السعود ...و أسس بنيانه على تقوى الله و رضوانه الذي تؤسس عليه العقود الدينية و العهود ...و انعقد بينها الإملاك السعيد ، على الحرة الجليلة المخطوبة المسماة ، على صداق أوجبت السنة تعيين مقدمه و تاليه، و بينت نقده و كاليه، و أجرى قبوله من المقام الكيم اليوسفي حرس الله أسباب معاليه، فجرى رفده الذي يصله و احسانه الذي يوليه ، مبلغه بين نقد حاضر و كالي مستأخر، ألفا دينار، اثنان من الذهب العين.، كذا، و كذا. على هذا انعقد النكاح ، و به تم، و بسببه كمل. و لو كان هذا الصداق يوازي مقدارا ، أو يكافئ منصبا ملوكيا ...تزوجها بكلمة الله التي علت على جميع الكلام، و على سنة سيدنا و مولانا محمد رسول الله المنبعث للعرب و العجم الماحي بنور الله أسداف الظلم،، و بما أخذه الله عز وجل ـ للزوجات على أزواجهن في كتابه العزيز... ، من الإمساك بالمعروف أو ما بعده. فليعاملها بما يجب لمنصبها الكبير و مجدها الشهير...عقد عليها هذا الإملاك السعيد وكيل المولى أخيها ، وهو فلان، بما بيده من مقامه التفويض العام الذي من فصوله إنكاح من يرجع إلى نظره ـ أيده الله بنسب أو ملك أو ولاء ـ حسبما يعرفه الشهود، و هي بكر في حجر المقام المولوي، و تحت ولاية نظره العلى، و بعد تقدم الاستئمار، و اقتضاء الإذن من مقامها الرفيع المقدار و تحصيل ما يجب في هذا الحال شرعا على حسب الاختيار. و الله تعالى يجعل هذا العقد المبارك أسعد عقد جادت البركات الهامية أرجاه... شهد على الرئيس الكذا و الوكيل بما فيه عنهما من أشهاده به ، وهما بحال كمال الإشهاد، في الرابع و العشرين لصفر عام اثنتين و خمسين و سبعمائة.

ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان ،تح محمد كمال شبانة، ص 52، 53.

ملحق رقم 5

عقد زواج ،18 جمادى الثانية 11/842 نوفمبر 1438م.

بسم الله الرحمان الرحيم
صلى الله على محمد و على آل محمد
الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين و جعل نسله من سلالة من ماء مهين و جعل إلى ذلك النكاح الذي دعا إليه و شاع من فضله فقال تعالى مجده في كتابه "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث وباع" و الصلاة و السلام على محمد رسوله و سلم و على أهله و خاصة أصحابه من المهاجرين و الأنصار أحبابه و أوليائه ، أما بعد فإن علي بن موسى بن إبراهيم بن عبيد الله اللّخمي قد أنكح الشاب أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المعروف بالحكيم ببنته فاطمة بكرا تحت حجره حلا للنكاح لفقد موانعه على صداق ست مائة دينارعشرية قبض أبو الزوجة عليٌّ من العدد الذكور ثلاث مائة و خمسة و سبعين دينارا. فبرئ الزوج ابن إبراهيم منها و باقي العدد المذكور وقدره مائتان و خمسة و عشرون دينارا إلى تمام عامين من تأريخ هذا الكتاب ، و أمضت أم الزوج وصيه عائشة بنت أبي عبد الله بن فضل عقد نكاحه بما رجته من عفته و الغنى الموعود به و عموم نفعه في ثبوته و صلاحه، و نحل الزوجة على الجنة في المنية المحدودة في جنوب لأخت الناحل وفي شمالها بها لأبي الحسن و في شرقيها بها لورثة أبي الحسن المريد و في غربيها بها لأبي عبد الله بن مشرف و لبنته نحلة في هذا النكاح أوجب عليها. شهد على الولي أبي الزوجة عَليّ صحيحا نافذ التصرف على الزوج الناكح إبراهيم و على أمه بوصية لما لها على إمضائه من التقديم صحيحين نافذين في هذا النكاح الزوج بالعقد و الوصي بالتسليم ، يوم السبت الثامن عشر لجمادى الآخرة سنة اثنين و أربعين و ثماني مائة(11 نوفبر 1438)
[توقيعات غير مقروءة]

لويس سيكو دي لوثينا، وثائق عربية مرابطية ،رقم 4 ص 8.

ملحق رقم 6 وثيقة طلاق في 2 لبيع الأول 879هـ/ 17 يوليو 1474 م.

بسم الله الرحمان الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم
هذه نسخة رسم اختلاع قيد من أسطر صداق محمد بن أحمد الأشكر و **عائشة** بنت أبي عثمان سعد بن أحمد المؤذن: الحمد لله اختلعت الزوجة المذكورة في هذا الصداق لزوجها المذكور معها فيه بخراج عدتها منه إلى تمامها و إن كان طالت و بكل حق لها قبله في هذا الصداق و ما غيره من كالئ و سواه و إن ظهر بها حمل منه فإنها تخلع به إلى وضعه ومن بعد الوضع إلى بلوغ الذكر الحلم و دخول الزوج بالأنثى و على أن يكون بنتها فاطمة في حضنتها و كفالتها و تحت تماونها و إنفاقها على اي حال كانت من تزويج و غيره و من غير أن يبوب والدها في شيء إلى سقوط النفقة عنه شرعا و بمحضر والدها و أمها فاطمة بنت احمد الشرقي و موافقتهما على ما ذكر . و ضمنا مرجع دركها في ذلك كله ضمانا تاما متى لحق و بأي وجه لحق و أسقطوا الضعف و العدم الأسقاط التام فإن قاموا به فسلموا الحمد ان كان و العتب لوالدها و أسقطوا عنها فيهما الحضانة و عملت ذلك كله طائعة متبرعة من غير إكراه و لا ضرر لحقها بوجه ، و أسقط والجها عن الزوج الرجل ما وجب له قبله بسبب سكانه بداره بباب البنود بداخل غرناطة مدة سكناه بها الأسقاط التام و على ذلك كله و بسببه أوقع عليها الزوج الرجل طلقة واحدة أولى ملكها بها أمر نفسها و عرفوا قدرره و أشهدوا به من عرفهما بحال صحة و جواز في الثامن لربيع الأول عام تسعهدة و سبين و ثماني مائة (17 يولية 1474م).
[توقيعات غير مقروءة]

لويس سيكو دي لوثينا وثائق عربية مرابطية ،رقم 32، ص ص59،60

ملحق رقم: رقم 7

عقد زواج كتابية :

و عقد نكاح الكتابية كعقد نكاح المسلمة ، تكتب العقد على ما تقدم فإن كان لها ولي [قلت :" انكحه إياها أخوها شقيقها النصراني أو اليهودي و إن لم يكن لها ولي] قلت انكحه إياه فلان بن فلان الأسقف ، بعد أن فوضت ذلك إليه ، إن لم يكن لها ولي ، و رضيت بالزواج المذكور ن وعلمت انه مسلم يلزمها الاغتسال له من حيض أو نفاس و يجبرها على ذلك فرضيت به على ذلك، و بما بذله لها مهرا، وطاعت له باجتناب أكل ما يحرم عليه ، و الا تقرب ما يكره قربه المسلم ، [ثيب أو بكر ، من خلو من الزوجة و العدة ، صحيحة الجسم و العقل. " فإذا أرخت فلا يكون الشهد إلا مسلمين."

الجزيري : المقصد ،مج1 ،ص 33

ملحق رقم: **8** **الضرر: إثبات الضرر**

حيثما زوجة تثبت الضرر و لم يكن لها به شرط صدر

قيل لها الطلاق كالملتزم و قيل بعد رفعه للحكام

و يزجر القاضي بما يشاء و بالطلاق إن يعد قضاؤه

و إن ثبوت ضرر لزوجة و رفعُها تكرر

فالحكمان بعد -- بينها بمقتضى القرآن

(محمد بن علي) بن الأزرق الغرناطي : بدائع السلك في طباع الملك، مخ، ص 20.

ملحق رقم: 9 اللـعـان

" ... أن يحلف عبد الرحمان في الجامع في أثر صلاة ، و استحب أن يكون أثر صلاة العصر يقول: أشهد بالله إنه لمن الصادقين ما هذا الحمل مني، و يشير إليه ، أني اعتزلتها في المدة التي ذكرت و استبرأتها فيها بثلاث حيض . و قال أصبغ وأوجب أن يزيد في يمينه لزنت ، وهو لابن القاسم في المدونة، ثم يثني و يثلث و يربع كذلك ، و يقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كانمن الكاذبين في شيء من ذلك . و تقول في إنكار الحمل أشهد بالله أنه لمن الكاذبين و ما زنيت هكذا في الأربع ، و تقول في الخامسة غضب الله عليها أن كان من الصادقين، ثم تقع الفرقةبينها و لا تحل له أبدا ، و لها السكنى إللى أن تضع حملها و لا نفقة لها .

الونشريسي: المعيار ج 5 ص 68، 69

ملحق رقم 10 أمهات أولاد أمراء و خلفاء بني أمية في الأندلس

الخليفة	أم الأمير أو الخليفة	أصولها	جواري الخليفة	االمصادر
عبدالرحمان بن معاوية(الداخل، الأول) (138هـ/176 هـ)	راح	بربرية	العجفاء	الحميدي،جذوة المقتبس،ج1،ص37
هشام بن عبد الرحمان الأول(176هـ /180هـ)	،حوراء	اسبانية		- الحميدي،جذوة المقتبس،ج1،39.
الحَكَم بن هشام- الأول- 180ه/206هـ)	زخرف	ا سبانية	عجب	الحميدي،جذوة المقتبس،ج1،39.
عبد الرحمان الأوسط-2- بن الحكم الأول(206هـ /238هـ)	حلاوة	اسبانية	طروب، الشفاء، قلم،فضل، المؤمرة ، مدثرة، فجر	الحميدي،جذوة المقتبس،ج1،39.
محمّد بن عبد الرحمان الثاني(238هـ /273هـ)	تهتز	اسبانية	-	الحميدي،جذوة المقتبس،ج1،40.
المنذر بن محمّد (273هـ/ 300هـ)	أثل	بربرية	-	- مجهول،تاريخ افتتاح الأندلس،تح بوباية،ص197
عبد الله بن محمّد	عشارأو بهار	اسبانية		- ابن حزم، الرسائل ،ج2،ص193

محمّد بن عبد الله عبد الرحمان بن	دُر	شكنسية إسبانية	-	ابن حيان، المقتبس، ج 5، ص402.
محمّد(الناصر) (300هـ/ 350هـ)	مزنة أومارية	ـاسبانية (رومية)	مشتاق،	ابن حيان، المقتبس، ج 5،ص8.
الحكم المستنصر بالله(350هـ/ 366هـ)	مرجان	ـاسبانية ـرومية	شكرى البلاطية	الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1،ص43.
هشام المؤيد بالله،- 366هـ/399هـ/	صبح	بشكنسية -اسبانية-		الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1،ص 46.
فترة سيطرة الحجابة العامرية(366هـ / 399هـ)	-	-	-	-
المغيرة بن عبد الرحمان الناصر	مشتاق	اسبانية		الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1 ،49.
محمّد بن هشام المهدي 399ه-400ه	مزْنة	اسبانية		
سليمان بن الحكم المستعين				الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1 ،ص49

400هـ-407هـ				
عبد الرحمان بن هشام المستظهر- 414هـ/	- غاية	-	-	الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1 ، ص52
محمّد بن عبد الرحمان المستكفي	حوراء	رومية	سكرى	الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1،58.
هشام بن محمّد المعتد،413هـ	عاتب	رومية		الحميدي ،جذوة المقتبس،ج1 ،ص59.

جدول من إنجاز الباحثة

ملحق رقم 11 رسالة من الملك إنكلترا جورج الثاني

من جورج الثاني ملك إنكلترا و الغال و السويد و النرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثاني الجليل المقام . بعد التعظيم و التوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم و الصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشرأنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركانها ، و لقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبان) على رأس بعثة من بنات أشراف الإنكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش، و التماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، و حماية الحاشية الكريمة ، و حدب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن . و لقد أرفقت مع الأميرة السفيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم و الحب الخالص."

من خادمكم المطيع جورج.

رد الخليفة هشام على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة:

"بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على نبيه سيد المرسلين و بعد ،

إلى ملك إنكلترا و اسكنديناقيا الأجل

لقد اطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشونة(أي أركان الدولة) على طلبكم ، و عليه فإننا نعلمكم بأنه سيتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت المال المسلمين تأكيدا على مودتنا لشخصكم الملكي.

أما هديتكم فقد تلقينها بسرور زائد. و بالمقابلة ؛أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية ، وهو من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم، و فيها المغزى الكامل للتدليل على اتفاقنا و محبتنا و السلام.

خليفة رسول الله على ديار الأندلس هشام".

John Doinburth , Arabs :Element of supremcy in the Mediaeval Centuries,

نقلا عن: عبد الواحد ذنون طه: الأصالة و التأثير : أبحاث في الفكر و التراث ،ص 280-281.

ملحق رقم: 12 التوزيع الجغرافي لعالمات الأندلس

الاسم	الزمان	المكان	المجال الثقافي	المصدر
عائشة بنت أحمد	ت400 هـ	قرطبة	مقرأة، شاعرة ،أديبة	ابن بشكوال، الصلة،ج3،ص 992
البهاء بنت عبد الرحمان الثاني	ت 305ه	قرطبة	خطاطة، زاهدة	ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر8، ص 484
طونة" بنت عبد العزيز(أم حبيب)	عاشت مابين (506ه -/437 هـ)	-	القراءة -الخط	ابن بشكوال، الصلة، ج3، رقم 1553، ص 996
عابدة المدنية زوجة دحون	-	قرطبة	محدثة و زاهدة	المقري، نفس المصدر، ج 3، رقم 76 ،ص 139، 140
أسماء بنت أبي داوود سليمان	-	بلنسية	مقرأة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8،. رقم 284، ص 495؛
فاطمة بنت زكريا (الشبلاري)	427هـ	قرطبة	عالمة كاتبة، -خطاطة	ابن بشكوال، الصلة، ج3،ص 994

أم الحسن بنت القاضي الطنجالي	-	غرناطة	مقرأة، شاعرة ،أديبة، الطب	ابن الخطيب ، الإحاطة ،ج 1، ص 431
فاطمة" بنت أبي علي حسين بن محمد بن فيره بن حيون	590ه	مرسية	حافظة للقرآن و الحديث و صالحة	ابن عبد المالك ، نفس المصدر ، رقم 267، ص 489
أم شريح	-	إشبيلية	- مقرأة - محدثة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر8،ص494
إشراق	-	بلنسية	-اللغة العربية و الآداب - الخط - العلم العروض	بن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر8،ص480 .
رقية	-	قرطبة	كاتبة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر8،ص485 .
زمرد	336ه	قرطبة	كاتبة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر8،ص485
مزنة قلم	عهد عبد الرحمان الناصر	قرطبة	كاتبة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر8، ص492،
كتمان	عهد عبد الرحمان	قرطبة	كاتبة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة

	الناصر			، سفر8،ص 491.
نُظار	737ه	غرناطة	عالمة	السيوطي، نزهة الجلساء، ص 83
لبنى	376ه	قرطبة	العروض، الخط ، الحساب	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8، ص492.
فاطمة بنت أبي القاسم (أم الفتح)	613 ه ت	قرطبة	القراءات السبع -علوم اللغة	ابن الزير ، صلة الصلة ، القسم الخامس 5
سيّدة بنت عبد الغني العبدري... (أم العلاء)،	647هـ	مرسية	-علوم القرآن -أستاذة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8،ص487.
أم معفر	.	بلنسية	قراءة ورش	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8،ص483.
ابنة فايز القرطبي	440هـ	قرطبة	القراءات السبع -رواية الحديث	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8، رقم 282 ، ص494
خديجة "بنت أبي محمد الشنتجيالي	-	غرناطة	صحيح البخاري	ابن بشكوال،الصلة مج2،ص996
حفصة أبي عمران موسى ابن حماد	519هـ	غرناطة	-قارئة -محدثة، - كاتبة	ابن الزبير ، صلة الصلة،ص 312

ريحانة	.	المرية	القراءات السبع	الضبي، بغية الملتمس، رقم 1599، ص 732؛
عائشة بنت أحمد بن خليل	.	قرطبة	رواية الحديث	ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص 315؛
أم السعد بنت عصام الكتامي	ت640ه	قرطبة	شاعرة متدينة	ابن بشكوال ، الصلة ، رقم39،ص 696
فاطمة ابنة أبي الحسن البلنسي		بلنسية	الفقه و العناية بصحيحي البخاري و مالك	-
عزيزة بنت محمد بن نميل	-	مرسية	-الفقه -الخط	ابن الزبيرصلة الصلة، القسم الخامس، ص 312
علة بنت سليمان بن منفوش	-	شذوذة	رواية الحديث النبوي	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8، رقم 265 ، ص488
نظام	-	قرطبة	كتابة لقصر الخلافة	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة ، سفر 8، ص493
ليلى	توفيت قبل 528هـ	مرسية	عالمة ، فقيهة، أديبة	ابن الزبير،صلة الصلة، القسم الخامس، ص309.

فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي	ت 319	قرطبة	فقيهة	ابن الزبير،صلة الصلة، القسم الخامس،ص 308 .
فتحونة بنت جعفر بن جعفر (أم الفتح)	-	مُرسية	أديبة و تاريخية لها مصنف في قيان الأندلس	ابن عبد المالك، الذيل و التكملة سفر8،ص491 .
صفية "بنت عبد الله الرّبي	ت417 ه	مدينة"رية" الجزيرة الخضراء	-الخط - الشعر	ابن بشكوال، الصلة،ج2،ص 993
خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي	كانت حيةسنة 394ه	-	حدثت بموطأ القعنبي	ابن بشكوال، الصلة لضبي،بغية الملتمس،ج2 ص993
فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي	ت 560ه	إشبيلية	عالمة و فقيهة	ابن بشكوال، الصلة لضبي،بغية الملتمس،ج2 ،ص 994
خيرونةالأندلسية	-	الأندلس و المغرب	علم الكلام	
تاج النساء بنت رستم			-علم القراءات - معلمة	بن عبد الملك، المصدر السابق ،السفر الخامس القسم 2، ص 452
عبدة بنت بشر بن حبيب	-	قرطبة	-رواية الأخبار و الشعر-	ابن عبد الملك، الذيل و التكملة، السفر

				8 ق ،2ص488،
راضية(نجم)	423ه	قرطبة	رواية الحديث	ابن بشكوال،الصلة ،ج3،ص994
أمة الرحمان بنت عبد الحق بن غالب بن عطية (أم الهناء)	-	وادي آش غرناطة	عالمة -الخط	ابن عبد الملك، الذيل و التكملة، السفر 8 ، ق 2، ص477
مسعدة" ابنة أبي الحسن علي بن أحمد ابن خلف	ت593ه -	غرناطة	-رواية الحديث	ابن الزبير ، نفس المصدر ، رقم 630، ص 314؛
أ م عمرو بنت أبي مروان بن زهر	توفيت بعد 580ه -	إشبيلية	الطب	ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج3، ص 235
مكية بنت عمر بن هانئ التجيبي الأندلسي	.	المرية	الطب	السلفي، أخبار و تراجم السلفي
نظيرة أم الحسن			-عالمة - واعضة	ابن الأبار،التكملة

أمة الرحمان بنت أحمد بن عبد القهار العبسي	440هـ	قرطبة	عالمة	ابن الزبير، صلة الصلة،
حفصة بن الأستاذ ابن العروس	ت580هـ		-القراءات السبع -الخط	ابن الزبير، المصدر السابق، ص313.
الفقيهة اللوشية	-	غرناطة -لَوْشة	الفقه	المقري ، نفح الطيب ،ج3،ص294
أم العز بنت محمد العبدري	-	دانية	علم الحديث،صحيح البخاري	ابن الزبير ،صلة الصلة، رقم 630 ص 314

جدول من انجاز الباحثة

ملحق رقم: 13 **التوزيع الجغرافي لأديبات و شاعرات الأندلس**

الاسم	المكان	المجال الثقافي	المصدر
حسانة التميمية	إلبيرة	شاعرة (حرة)	المقري، نفح، ج 4 ، ص 167
عائشة بنت أحمد بن محمّدالقرطبية	قرطبة	شاعرة(حرة)	السيوطي، نزهة الجلساء،ص61
حفصة بنت حمدون الحجارية	وادي الحجارة	شاعرة(حرة)	ابن سعيد المغرب، ج 2، ص 37 ؛
صفية بنت عبد الله الربي		شاعرة وخطاطة(حرة)	الضبي ،بغية الملتمس ، رقم 1545، ص 993
الغسانية البجانية	ـبجانةـ المريةـ	شاعرة(حرة)	ابن بشكوال ابن سعيد المغرب، ج 2، ص 37 ؛
مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري	شِلْب ـ غرب قرطبةـ	أديبة و شاعرة(حرة)	الحميدي، جذوة المقتبس ، ج2،ص 650
أم علاء بنــت يــوسف الحجــارية	وادي الحجارة	شاعرة (حرة)	بن سعيد ، المغرب،ج2 ص38 .
أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح	المرية	شاعرة(حرة)	نزهة الجلساء في أشعار النساء، ص 25
العبادية	إشبيلية	شاعرة –(جارية)	المقري، نفح، ج

			4،ص 283
بثينة بنت المعتمد بن عباد	إشبيلية	أديبة و الشاعرة (جارية)	المقري، نفح ،ج 4 ، ص284
قمر البغدادية، جارية إبراهيم بن حجاج	إشبيلية	شاعرة و مغنية (جارية)	ابن عذاري، البيان،ج2،ص 128، 129؛
حمدة أو حمدونة، بنت زياد الوادي آشية	وادي آش ـ غرناطة ـ	شاعرة (حرة)	ابن الأبار ،المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ص214
مهجة بنت التياني	قرطبة	شاعرة(حرة)	ابن سعيد،المغرب ،ج1ص143
مهجة بنت عبد الرازق الغرناطية	قرطبة	شاعرة (حرة)	المقري، نفح الطيب ،ج4،ص293
زينب بنت فروة المرية	المرية	شاعرة(حرة)	ابن عبد الملك، المصدر السابق ،السفر الخامس القسم 2،ص487
ولادة بنت المستكفي بالله	قرطبة	أديبة و شاعرة (حرة)	ابن بسام ، الذخيرة، مج 1، ص 268، 270.
أنس القولب	قرطبة	شاعرة و مغنية (جارية)	المقري، نفح ،ج 4 ، ص284
عتبة	قرطبة	شاعرة (جارية)	ابن بسام ، الذخيرة، مج 1، ص 268، 270.
قسمونة بنت إسماعيل اليهودي	غرناطة	شاعرة (حرة)	السيوطي، نزهة الجلساء،
حفصة الكونية	غرناطة	أديبة و شاعرة(حرة)	ابن الخطيب، الإحاطة ، مج 1

			، ص 492
أسماء العامرية	إشبيلية	شاعرة(حرة)	ابن عبد الملك، المصدر السابق ،السفر الخامس القسم 2،ص480
نزهون بنت القلاع	غرناطة	أديبة و شاعرة(حرة)	ابن الأبار ، المقتضب ، ص 217
غاية المنى	المرية	شاعرة (جارية)	ابن عبد الملك، المصدر السابق ،السفر الخامس القسم 2
اعتماد الرميكية	إشبيلية	شاعرة(جارية)	ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2

جدول من إنجاز الباحثة

ملحق رقم 14 . **أغنية ثلاث فتيات مسلمات**

ثلاث فتيات مسلمات عشقنني في خيان

عائشة فاطمة و مريم

ثلاث فتيات مسلمات رائعات الجمال

ذهبن يجمعن الزيتون فوجدنه

قد جمع بخيان

عائشة فاطمة و مريم

ثلاث فتيات مسلمات تنبضن

بالحيوية ذهبن يجمعن التفاح

فوجدنه قد جمع بخيان

عائشة فاطمة و مريم

سألتهن من أنتن أيتها الحسان

اللاتي ملكن من قلبي كل مكان

أجبن مسيحيات مسلمات من قبل وكنا في خيان

عائشة فاطمة و مريم.

سلوى حفيظ ، الفلامنكو، ص 402.بالعربية و الإسبانية

Las tres morillas me Enamoran

tres morillas me Enamoran en Jaén

Aicha Fatima Meriam

tres morillastan gorrids

iban a cogero –livas

y falla balas cogidas en Jaèn

AichaFatimaMeriam

tres morillastan lozanas Iban

a goger Manganas y cogidas

las Fallan enJaén

Aicha Fatima Meriam

Di jeles quien sois senoras

De mewda Raba doras

cristianas queramos moras en Jaén

Aicha Fatima Meriam

عن : سلوى حفيظ ، الفلامنكو، ص 402.

ملحق رقم-15 **امتلاك العقار**

بسم الله الرحمان الرحيم ، يشهد من تسمى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون ناجية المعروفة بهبتي ابنة محمد بن حمدون المعافري بعينها و اسمها ، و يعرفونها جاهلة بما لها العقار الذي بقرية (ربوش) المعروفة بحارة ربوش المعروفة بحارة بني سليم من إقليم الشرف من كورة إشبيلية لا تحيط و لا تقف على معرفة قيمته ، وأنها غير بصيرة بشىء منه ممن غلب عليها الجهل به و بقيمته، و بقدره ، و أنها لا تقف له و لا لشيء منه على قيمته إذ هي ممن لا تباشر بيدها ، و لا غيره من الوجوه التي يتوصل بها إلى معرفة قيم الأموال العقار و لم تزل أم ناجية المذكورة على ما وصف من حالها إلى الآن كل ذلك في علمهم ،شهد بذلك كله من علمه حسب نصه المحتسب فيه ، و أحاط علما به و معرفة له، و أوقع على ذلك شهادته في هذا الكتب في جمادى الأولى سنة أبع و تسعين و أربعمائة" .

نوازل ابن الحاج ص 105.

ملحق رقم: 16

رسم إثبات ملكية أرض لإحدى النساء في قرية مريانة الغافقي

"يشهد من يتسمى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون المال العقار الذي لأمر ناجية المعروف بهبتي ابنة محمد بن فرج بحارة يونس المعروفة ببني سالم من قرية مريانة الغافقي من إقليم الشرف كورة إشبيلية منه فدان بمقربة من دور الحارة المذكورة و بغربها فيه من شجر الزيتون مائة أصل واحدة و خمسة أصول(...) و القبلة مال لابن شجرة ، وفي الجوف مال للسلطان و في الشرق جنان شرقية أصلان من شجر الزيتون و نقيلات زيتون حديثة الغرس يسيرة الخطب بعضها لم يأخذ عددها خمس نقيلة أو نحو . ومن المال الذكور ثلاثة عشر أصلا من زيتون و شجرتا تين بقرب ما تقوم حدها في القبلة الطريق ثم جنان آخر و مشجرة بالتين من المال الذكور دار بالحارة المذكورة فوق هذا قائمة البنيان فيها ثلاث بيوت مقرمدة و أسطوان مقمرد .و في ظهر القرية المذكورة حاكور (...)فيه ثلاث شجرات و يحوزون جميع المال الموصوف فوق هذا هو الآن على ما كان عليه في عام تسعين و أربعمائة في أحوالها كلها لم يحدث فيه من عام تسعين المذكورة إلى حد الآن زيادة لا في حال و لا في عدد إلا ما غرس من النقل المذكور منذ عام أو نحوه متقدم التاريخ هذا الكتب لا قدر لها في جميع المال المذكور لا بزيادة في قيمة و لا نقص إلا ما أصلح في الدار من سد ثلم كان في حيطانها كل ذلك في علمهم يعرفون بذلك كله بالوقف إليه و التعيين له و التكرر عليه. شهد بذلك كله من عرفه حسب نصه و أوقع شهادته في هذا الكتب إذ سألها في المحرم سنة خمس و تسعين و أربعمائة ".

نوازل ابن الحاج:ص 104.

ملحق رقم 17 : **عقد بيع جارية من خلال بردية عربية**

الوثيقة محفوظة في مكتبة المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو (و.م. أ) مؤرخة بشهر جمادى الآخرة سنة(275ه/871م)

تحمل رقم التسجيل (p.chi.o.r.ins.inv17680) أطوالها 15.5/20 سم قوامها 15 سطر حالتها جيدة

-النص :

1) بسم الله الرحمن]ال[رحيم

2) هذا ما أشترا عبد الله بن رزين الـ...] من [من محمد بن احمد...

3) جارية ...]ت[سما يمن باثني عشرة دينر و نصف دينر و قيراطين

4) و قبض محمد بن أحمد الثمن تاما وافيا و قبض عبد الله بن رزين

5) الجارية وصارت إليه و في ملكه و ضمن له محمد بن أحمد جنون

6) أو عشا إباق أو عيب في فرج أو دعوان فيه أو حرة و لا سرق

7) فيه و لا كاهى و لا حبلى و برئ محمد بن أحمد إلى عبد الله بن رزين من الصكك و الفدع والكي

8) والآثار و من كل عيب ماخلا هذه الخصال المسماه في هذا

9) الكتاب وذلك في جمادى الآخر من سنة سبع وخمسين ومايتى

10) شهد عبد الله بن رخشى على اقرارهم بجميع ما في هذا الكتاب

11) و كتب شهادته بخطه في جمادى الآخر سنة سبعه

12) و خمسين و ما يتى و شهد الحسين بن أحمد بجميع

13) ما في هذا الكتاب و كتب بخطه لا إله إلا الله

14) و شهد جعفر بن أحمد بجميع ما في هذا الكتاب و كتب شهادته

عن بن موسى، **الإسلام و الرقيق و نصوص أوراق البردي العربية**، مجلة الباحث،ص204. ،

ملحق رقم 18 عقد استئجار مرضعة

" استأجر فلان بن فلانة لترضع له ابنه فلانا في داره أو دارها بموضع كذا حولين كاملين أولهما تاريخ هذا الكتاب و تغسل غرقه و لفائفه و تحمه في أوقات تحميمه بكذا و كذا دينار مقسطة عل شهور الحولين المذكورين يدفع إليها في كل شهر منها كذا و عليه نفقتها و كسوتها إن كانت في داره قلت و عليه أن يدفع إليها نفقتها في كل شهر منها و ذلك ربعان من دقيق القمح الجيد و الطحن و ربع الربع من الزيت الأخضر الطيب و ربعان من القمح و من الكسوة في الشتاء صدرة كتان و محشوة و قناع و وقاية لرأسها و قرقا. و في الصيف كذا و للرقاد كذا تذكر من ذلك ما يقع من الإنفاق عليه ثم تقول إجارة صحيحة عرفا قدرها بلا شرط و لا منتوية و لا خيار. و قبضت فلانة المذكورة الصبي المذكور و تولت رضاعته لأول المذكورة و عليها في ذلك تقوى الله و بذل النصيحة وإخلاص النية..."

الجزيري: المقصد المحمود ،مج 2، ص 338 تح فايز ، و، نقلا عن بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي ،قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع و الحضارة، ص 131 اعتمادا على نسخة مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط ص 131.

ملحق رقم 19 إنجازات المرأة الأندلسية العمرانية

إسهامات المرأة في البناء و التشييد	وضعيتهن القانونية	صفتهن الاجتماعية	منشآتهن	الفترة	المكان
عجب	جارية	أم ولد الحكم الأول	مصحة لمرضى البرص	822-796	قرطبة
طروب	جارية	أم ولد الحكم الثاني	مسجد	822- 852	قرطبة في جهة الربض الغربي
فجر	جارية	محظية عبد الرحمن الثاني	مسجد	822 – 858	قرطبة
متعة	جارية	محظية عبد الرحمن الثاني	مسجد و مقبرة	822- 852	قرطبة
الشفاء	جارية	أم ولد عبد الرحمن الثاني	مسجد	822- 852	قرطبة
البهاء	حرة	أميرة و ابنة عبد الرحمن الثاني	مسجد	-	قرطبة
أم سلمة	حرة	أم ولد محمّد	مسجد	852-886	قرطبة عند ربض

		الأول			الرصافة
غزلان	حرة	أم ولد محمّد الأول	مسجد	852-886	قرطبة
مرجان	جارية	أم ولد عبد الرحمن الثالث	مسجد	912-961	قرطبة جهة الربض الغربي
مشتاق	جارية	أم ولد عبد الرحمن الثالث	منبر	961-976	قرطبة
صبيحة (صبح)	جارية	أم ولد الحكم الثاني	نافورة	967-977	إستجة
شعاع	جارية	أمة القاسم بن الاصبغ	مسجد	القرن العاش الميلادي	قرطبة عند ربض الرصافة
اعتماد الرميكية	جارية	أم ولد المعتمد بن عباد	مسجد و منبر	-	إشبيلية
نظيرة أم الحسن	حرة	أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي	مسجد		حص البلوط

نقلا عن سناء الشعيري، المرأة في الأندلس ، ص 41، بتصرف

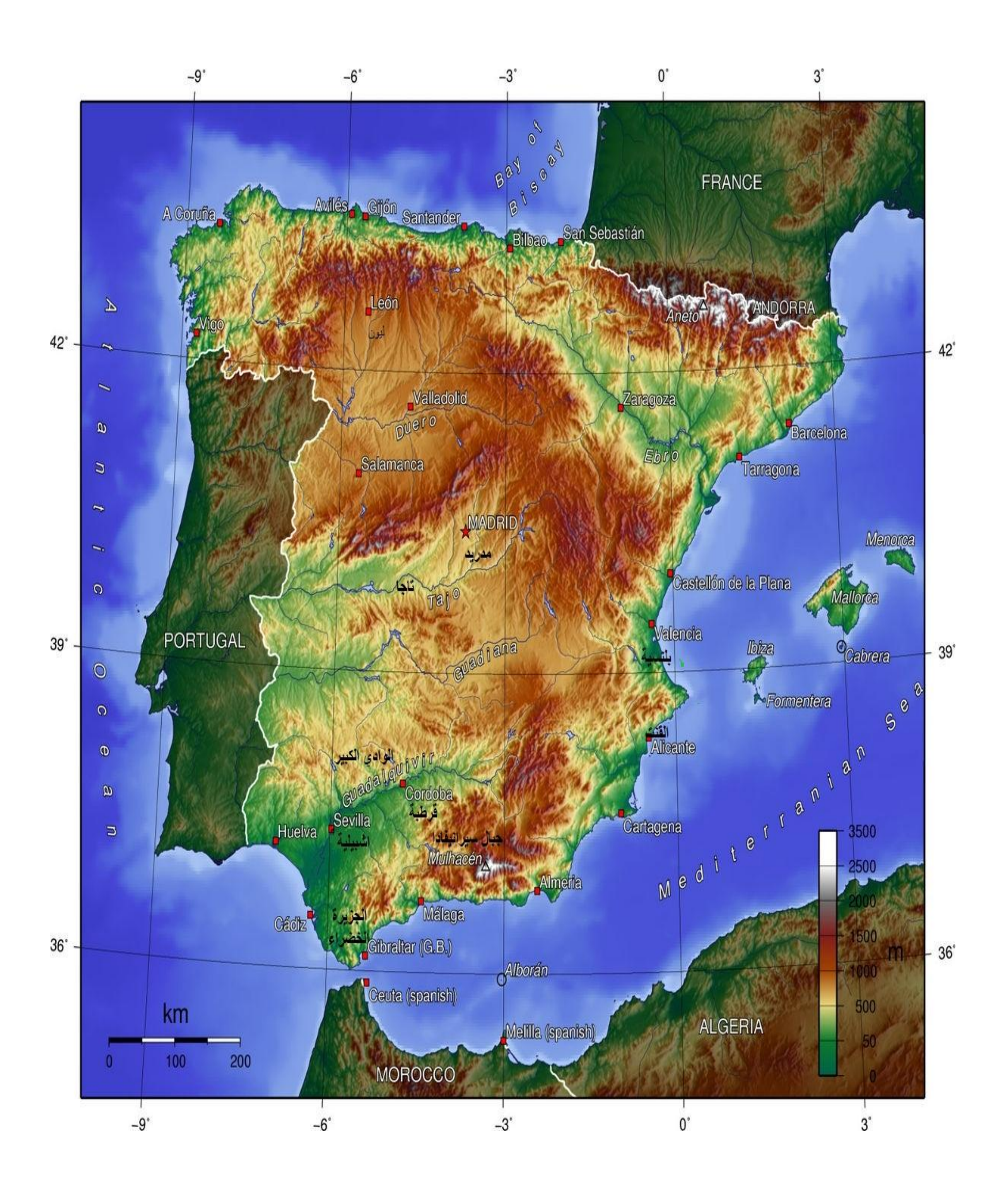
ملحق رقم 20 رمز المرأة في شعر ابن العربي

غادة تاهت الحسان بها	و زها نورها على القمر
هي أسنى من المها سنا	صورة لا تقاس بالصور
فلك النور دون أحَمُصها	تاجها خرج عن الأكدر
إن سرت في الظمير يجرحها	ذلك الوهم كيف بالبصر
طلب النعت أن يبينها	فتعالت فتاعلت، فعاد ذا حصر

ابن العربي:ديوان ترجمان الأشواق ، ص 86، 87.

الخرائط

خريطة رقم: 01 **خريطة التضاريس لشبه الجزيرة الإيبيرية**



Firas.tayyib@hukam.netموقع الأنترنيت

خريطة رقم: 02 فتح الأندلس

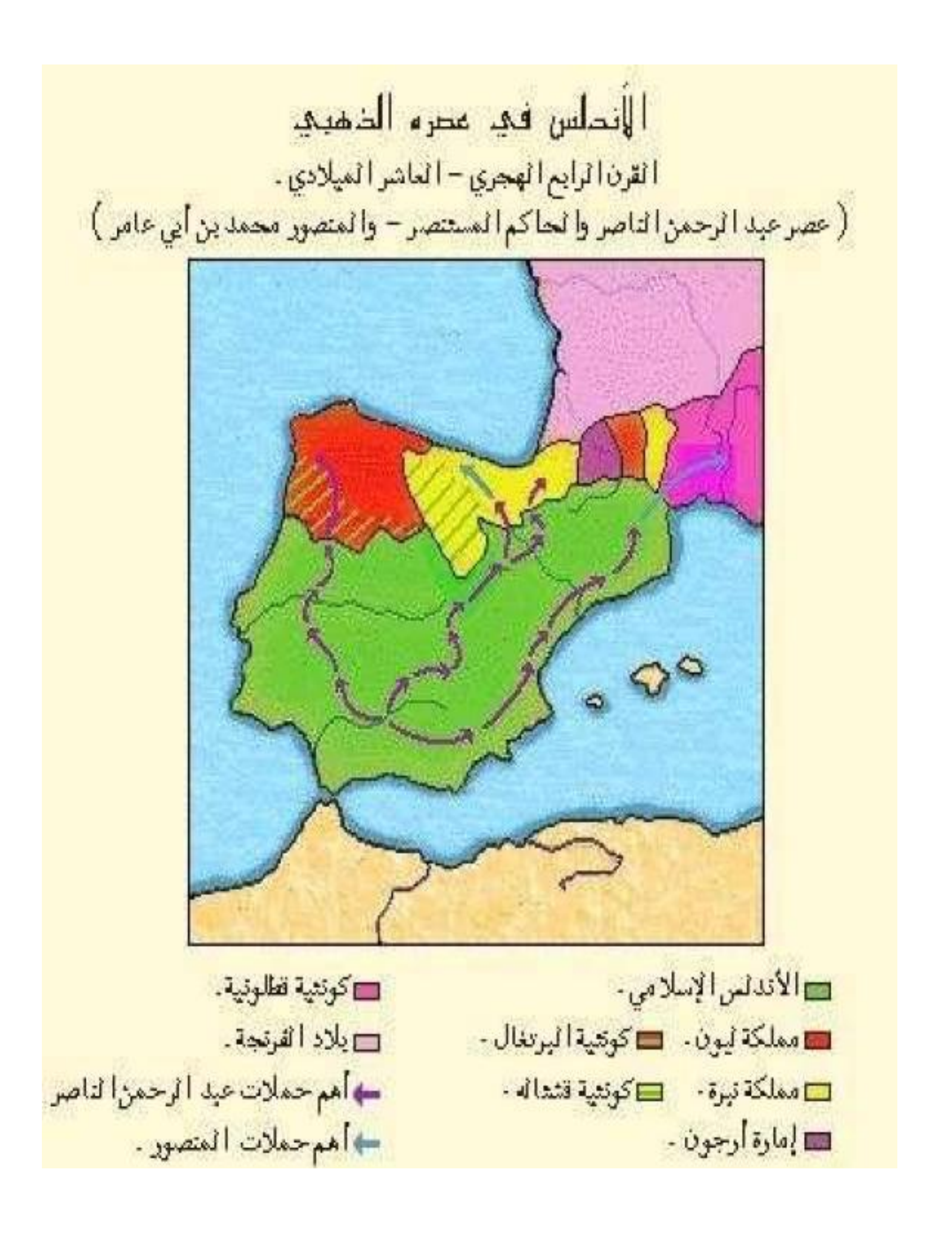


Firas.tayyib@hukam.netموقع الأنترنيت،

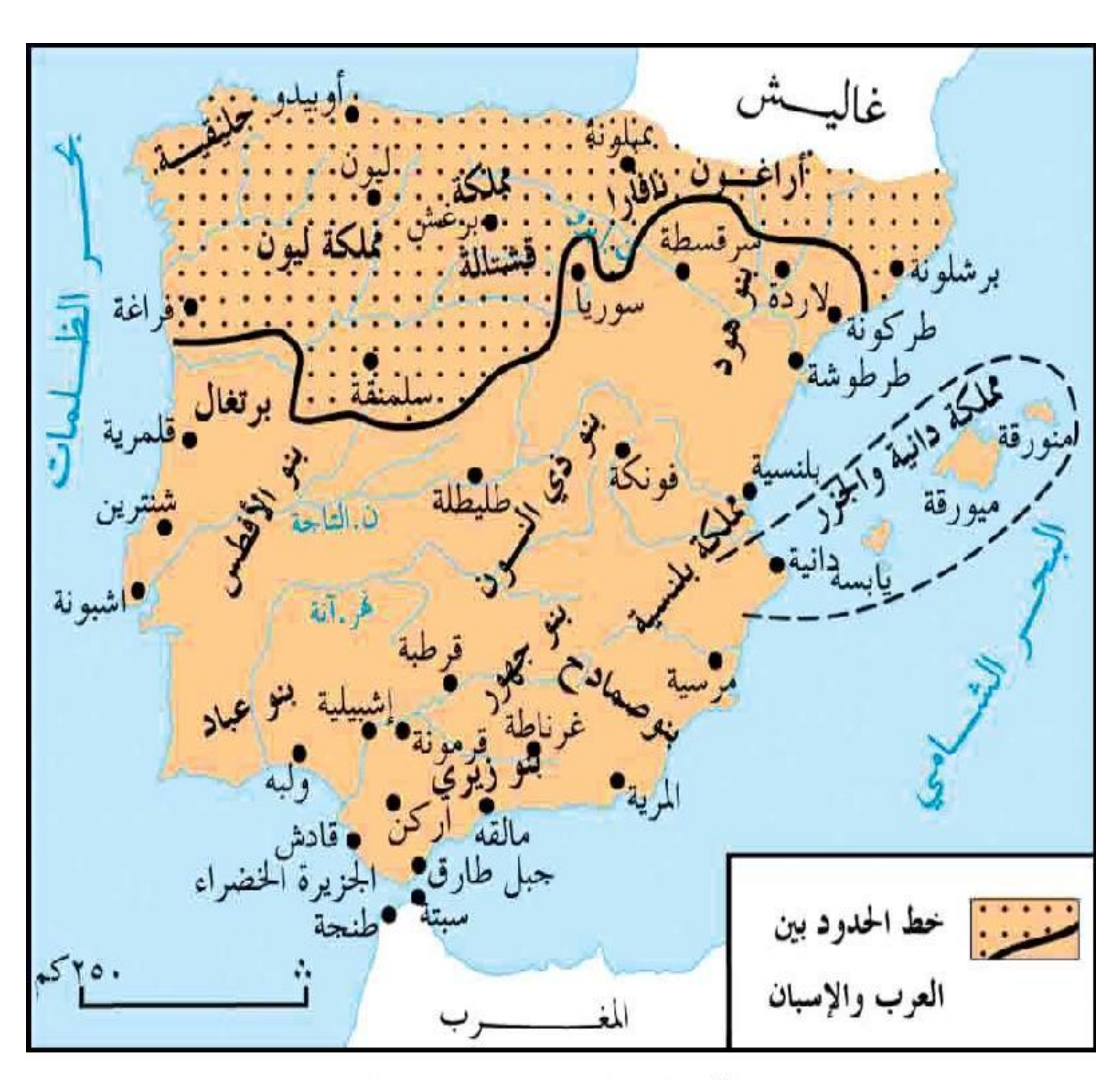
خريطة رقم: 03 

موقع الأنترنيتFiras.tayyib@hukam.net

خريطة رقم:4


الأندلس في عصره الذهبي
القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي.
(عصر عبد الرحمن الناصر والحاكم المستنصر - والمنصور محمد بن أبي عامر)
الأندلس الإسلامي.
مملكة ليون.
كونتية البرتغال.
مملكة نبرة.
كونتية قشتالة.
إمارة أرجون.
كونتية قطلونية.
بلاد الفرنجة.
أهم حملات عبد الرحمن الناصر
أهم حملات المنصور.

خريطة رقم: 05   ملوك الطوائف



الأندلس في عصر الطوائف

خريطة رقم: 06 الأندلس تحت الحكم المرابطي



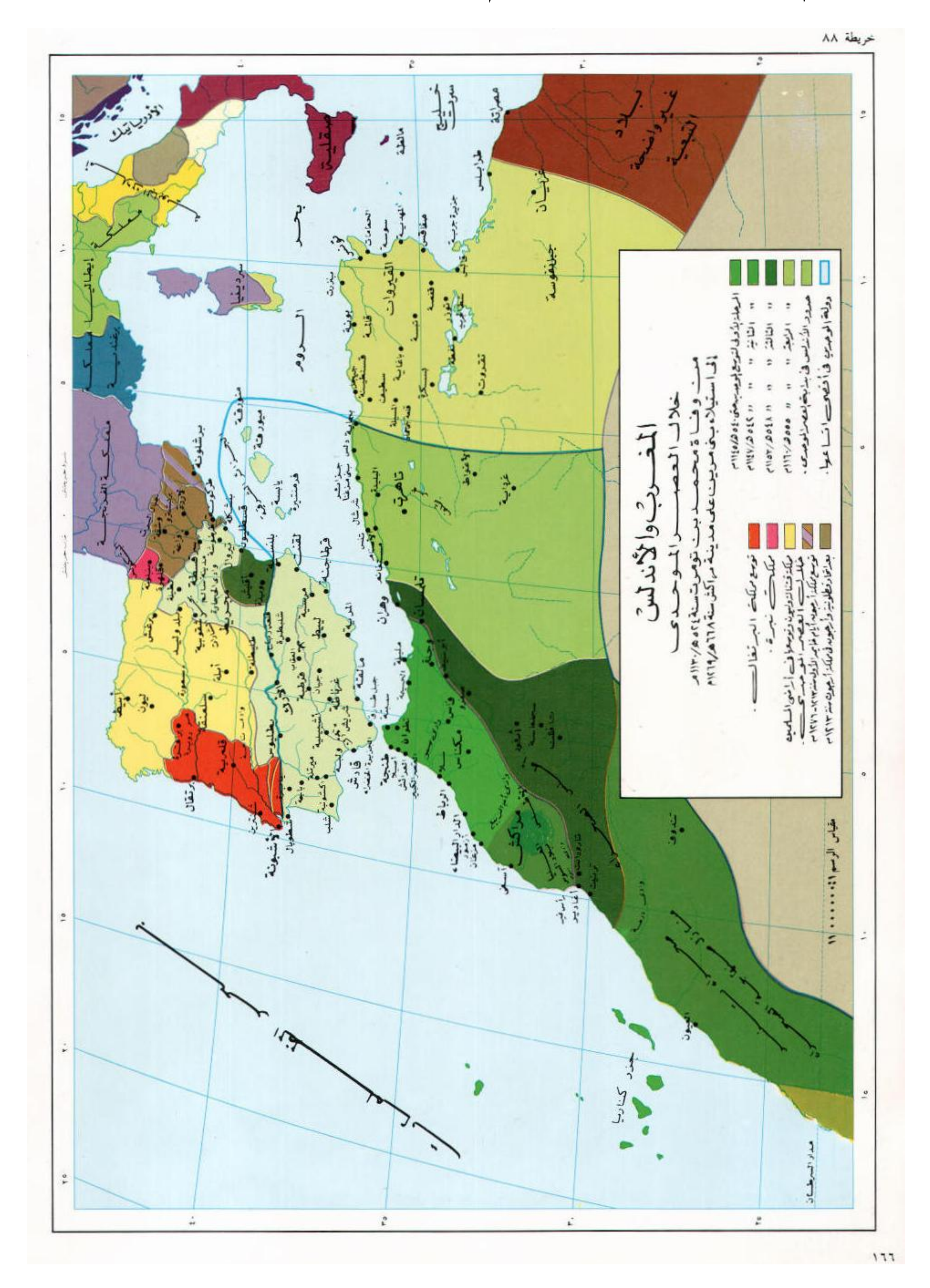
موقع الأنترنيت Firas.tayyib@hukam.net

خريطة رقم: 07 أهم المعارك و الأحداث في الأندلس



Firas.tayyib@hukam.netموقع الأنترنيت

خريطة رقم: 08 الأندلس تحت حكم الموحدين



موقع الأنترنيتFiras.tayyib@hukam.net

خريطة رقم: 09 المدن الأندلسية



Firas.tayyib@hukam.netموقع الأنترنيت

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

القـــرآن الكريـم

المصادر العربية :

أولا: المخطوطـــــــات:

1 - ابن الأزرق الغرناطي (محمد بن علي) ،(836هـ/1991م)

بدائع السلك في طبائع الملك، مخ بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم AMSS 05937 .

2- ابن الحاج (أبو عبد الله بن خلف)، ت 529هـ/1135م

نوازل ابن الحاج ،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، المغرب الأقصى تحت رقم: 55.

3- ابن عاصم (محمد بن محمد القيسي) ،

تحفة الحكام في نكت العقود و الأحكام، المكتبة الوطنية بتونس ، تحت رقم20247

4- ابن القاسم (أبو الحسن علي بن يحي) ، (ت585هـ/1189م)

المقصد المحمود في تلخيص العقود بما يتعلق بها 5- من الفقه و التقييد، المكتبة الوطنية بتونس ،مخطوط تحت رقم 11077

6- مجهـــــــــــول ،

إسعاف الشفيق بأدلة النقل و العقل لبيع الرقيق، مكتبة الأسد الوطنية ، دمشق، سوريا، رقم 0994 الرقم المصغر الميكروفيلم: 10277.

ثانيا: المصـــــادر العربية المطبوعــــــة:

1 -**ابن الأبار** (أبو عبد الله)(ت658 هـ/ 1260م) ،

كتاب الحلة السيراء ، 2ج ، تحقيق حسين مؤنس القاهرة ،دار المعارف ط 2، 1985 .

-2 ——————

المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار اكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتان اللبناني ، بيروت ط 3، 1410ه/ 1989م .

-3 ——————

التكملة لكتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار اكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ط 1، 1410ه/ 1989م .

-4 —————— ،

المعجم في أصحاب القاضي الصفدي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار اكتاب المصري ،القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ط 1، 1410 ه/ 1989م .

5- **ابن الأثير**(عز الدين) ت 630هـ،
الكامل في التاريخ، راجعه و صححه محمّد
يوسف الدقاق، مج 5،4،10،98،7بيروت،ط3، دار الكتب العلمية ، 1418ه/1998م

6-**ابن الأحمر** (الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد)،

نثير فرائد الجُمان في نظم فحول الزمان ،تق
محمّد رضوان الداية،دارالثقافة،(دم)، 1967

7- **ابن أبي أصيبعة** (أحمد بن القاسم ت 677ه/ 1278م) ،
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، الباب 13، في
أطباء إفريقية و الأندلس، نشره نور الدين عبد القادر و هنري جامية ، الجزائر، منشورات كلية الطب و الصيدلة، 1377 ه/1958م

8- ابن أبي زرع(علي الفاسي)،(ت726ه/1324م)

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار
ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بن منصور ،الرباط ، المطبعة الملكية ،ط2، 1420 هـ/ 1999م.

9- ابن أبي شيبة، (أبو بكر عبد الله محمّد) (ت 235هـ/849م)

الكتاب المصنف في الحاديث و الآثار، ج 5
،بيروت،دارالكتب العلمية،ط1، 1416 هـ/1995م

10- **الإدريسي**(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 2،(دم) عالم
الكتب ، ط 1 ، 1989.

11- بن أنس (مالك)

الموطأ ج 2 ،صححه وخرج أحاديثه و
علق عليها، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية(دت

12- ————

المدونة الكبرى،مج 6، بيروت، دار صادر،،(دت)

13- الألباني ناصر الدين

سنن النسائي ،مج3، مكتبة المعرفة للنشر و
التوزيع ، الرياض ، 1419ه/1998م

14- الباجي(أبو الوليد سليمان بن خلف):

فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل
عند الفقهاء و الحكام تقيق، الباتول بن علي ، المملكة المغربية
الأوقاف و الشؤون الدينية،1410ه/1990.

15- البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) _ت 841ه/1438م-

فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام، ج6،
تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ، ط 1،
2002م.

16- ابن بسام (أبي الحسن علي الشنتريني):

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1 ، م1
،تحقيق إحسان عباس بيروت، دار الثقافة 1417هـ/ 1997م .

17- ابن بشتغير(أحمد بن سعيد اللورقي المالكي) – ت 516هـ:

نوازل، دراسة و تحقيق وتعليق قطب الريسوني،
بيروت، دار ابن حزم، ط 1، 1429ه/ 2008م.

18- ابن بشكوال (أبو القاسم)

الصلة، 3 مج ، تحقيق إبراهيم الأبياري،القاهرة
دار الكتاب المصري، بيروت ،دار الكتاب اللبناني، ط2، 1410ه/ 1989م.

19- البكري (أبو عبيد الله)(ت 487ه/1094م):

المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب،
أدريان – باريس 1965.

20- (أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي ، ت 458ه)،

السنن الكبرى ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا،
ج 7، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1420ه/ 1999م.

21- التجيبي (ابن رزين) ،

فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان ،
صورة من فن الطبخ في الأندلس و المغرب في بداية عصر بني مرين ،تحقيق محمد بن شقرون وأشرف على إعداده إحسان عباس ، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط 2 ، 1984.

22- أبو عبد الله التنسي،

تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب الدر و العقيان) تحقيق
عبد الحميد حاجيات، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984

23- ابن تومرت محمّد ،

أعز ما يطلب ، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985

24- الجزيري (علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي)،

المقصد المحمود في تلخيص العقود، 2مج ،تحقيق فايز بن مرزوق بن بركي السلمي ، أطروحة دكتوراه تحت إشراف محمد نبيل غنايم ،جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،1422هـ

25- ابن حجر العسقلاني،

فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مج 7 ، القاهرة ، دار البيان العربي ،2007.

26- ابن حزم(أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن غالب الأندلسي) (-384هـ-456هـ)،

طوق الحمامة في الأُلفة و الأُلاَّف جمعه وحققه عفيف نايف حاطوم ، بيروت ، دار صادر،ط 2، 1427ه/ 2006م.

27- ــــــــــــــــ،

جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة و ضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418ه/ 1998م.

28- ــــــــــــــــ **جمهرة أنساب العرب،**تحقيق و تعليق عبد السلام محمّد هارون، القاهرة، دار المعارف ، ط 7، 2010م

29- ــــــــــــــــ،

رسائل ابن حزم ،ج2،تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط 2، 1987.

31- الحموي ياقوت ،

معجم البلدان، مج ،8 بيروت دار صادر ط2 199

30 الحميدي (أبو عبد الله محمّد)،

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ج1 ،ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة دار الكتاب المصرين بيروت دار الكتب اللبناني، ط2، 1410ه/ 1989م .

31- الحميري (عبد المنعم) ،

الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس، بيروت ،مؤسسة ناصر للثقافة،(دت)

32- ابن حوقل، أبو القسم النصيبي:

صورة الأرض ،مج1، دار صادر بيروت ط2 (د ت ط) ط1 مطبعة بريل ليدن 1938

33- ابن حيان (أبو مروان القرطبي) (عاش ما بين377ه- 469/ 987-1076م)،

المقتبس من أنباء أهل الأندلس[من 232ه - 238ه] ،تحقيق و تقديم و تعليق محمود علي مكي،القاهرة ،1390 ه/ 1971م

34- ___________ ،

المقتبس في أنباء أهل الأندلس الأندلس، بيروت ، الدار العربية للكتاب، 1393ه/ **1973**م.

35- ـــــــــــــــ ،

المقتبس في أنباء أهل الأندلس ،ج5 ،(من 300ه – 330ه) نشره شالميتا بالتعاون مع ف. كورينطي و م.صبح و غيرهما، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، كلية الآداب ، الرباط، 1979 .

36- ـــــــــــــــ ،

المقتبس في أنباء أهل الأندلس الأندلس، من سنة 360ه-364ه تحقيق عبد الرحمان الحجي،بيروت، الدار العربية للكتاب،1983.

37- ـــــــــــــــ ،

المقتبس تحقيق عبد الرحمان الحجي ،ط، بيروت ، 1965

38- **ابن خاقان**(أبو النصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي) ت 529هـ/1135م ،

مطمح الأنفس و مسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس، دراسة و تحقيق محمّد علي شوابكة، بيروت، دار عمار، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1،1403هـ/1983م .

39- **ابن خرداذبة** (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) **:**

المسالك و الممالك .تح : محمد مخزوم ط1، دار الإحياء التراث العلمي .

40- الخُشني (أبو عبد الله محمد) ت 456ه/ 1083م،

قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، دار المصرية للتأليف و الترجمة ، 1966.

41- ابن خلدون عبد الرحمان ، (732-808هـ/1332-1406م)

تاريخ ابن خلدون ،المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار،بيروت،دار الفكر،1421هـ/2000م

42- ابن الخطيب (لسان الدين) 713هـ/ 776هـ:

تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، ط 2، دار المكشوف ، 1956 .

43- ــــــــــــــــــ،

الإحاطة في أخبار غرناطة، 4 أجزاء،تحقيق عبد الله عنان ،القاهرة، ط1، 1397ه،1977.

44- ــــــــــــــــــ :

معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، دراسة و ترجمة اسبانية للنص العربي ،محمّد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب ، 1397ه/1977م .

45 - ــــــــــــــــــ ،

نُفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، نشر و تعليق أحمد مختار العبادي ،الدار البيضاء، دار النشر المغربية، (دت ط)،

46- ــــــــــــــــــ ،

كُناسة الدكان بعد انتقال السكان،حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري،تحقيق كمال محمّد شبانة، مراجعة حسن محمود،دار الكتاب العربي للطباعة و النشر،

47- ــــــــــــــــــ،

اللمحة البدرية في الدولة النصرية،صححه و وضع فهارسه و نشره محب الدين الخطيب، القاهرة،المطبعة السلفية و مكتبتها1347هـ.

48- ـــــــــــــــــ،

ريحانة الكُتاب و نجعة المنتاب،مج2، تحقيق محمّد عبد الله عنان،القاهرة مكتبة الخانجي،ط 1 ،1401 هـ/ 1981م.

49- ـــــــــــــــــ،

تاج المحلى في مساجلة القدح المعلى، تحقيق محمّد عبد الله عنان،القاهرة مكتبة الخانجي،ط1401،1ه/ 1981م.

50- ابن خلكان (شمس الدين) (608- -681ه) ص159

وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس ، بيروت، دار صادر،1414ه/1994م

51- الربوة (شمس الدين)،

نخبة الدهر في عجائب البر و البحر،بيروت، دار إحياء العربي ط 2 1419ه / 1998.

52- **ابن رجب** الحنبلي،

جامع العلوم و الحكم، تحقيق محمّد تامر، القاهرة، دار البيان العربي، 2005.

53- **ابن رشد**((أبو الوليد)-ت مابين 520ه-530 /1126-1135م)

فتاوى ابن رشد، 3 أسفار، تحقيق المختار بن طاهر التليلي، ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1407ه/ 1987م.[**ف4/3**

54- ـــــــــــــــــ،

مسائل ابن رشد، مج 2، تح محمد الخطيب التجكاني، بيروت، دار الغرب و دار الأفاق ، الجديدة ط1414،2ه/ 1993.

55- ابن عبد الرؤوف،

الرسالة الثانية في آداب الحسبة و المحتسب،
تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955 .

56- **ابن الزبير**(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي(628ه-708ه)

صلة الصلة ، القسم الخامس ،تحقيق عبد السلام الهراس و سعيد أعراب، المغرب، مطبعة فضالة،1416 هـ/1995م.

57- **الزيري** عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبو س ،آخر ملوك بني زيري بغرناطة،

مذكراته المسماة بكتاب " التبيان"، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال، مصر، دار المعارف،(دت).

58- الزهري (أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر) ،

كتاب الجغرافية، تحقيق محمّد حاج صادق،الظاهر ، مكتبة الثقافة الدينية،(دت).

59- **أبو داود**، (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) ،

سنن أبي داود ، تحقيق سليمان الأرناووط و كامل قرة بللي، دار الرسالة العلمية، ط1، 1430ه/ 2009م

60- دي لوثينا (لويس سيكو) Luis Seco de Lucena،

وثائق عربية غرناطية من القرن9ه/15م، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، 1380هـ/ 1961م.

61- **ابن سراج** الأندلسي(أبو القاسم- ت 848هـ) ،

فتاوى علماء غرناطة، جمع ودراسة و تحقيق
محمّد أبوالأجفان،أبوضبي المجمع الثقافي ، 1420 هـ/2000م.

62- ابن سعيد المغربي ،

المغرب في حلى المغرب، جزأين، تحقيق
شوقي الضيف. القاهرة ،دار المعارف ،(دت)،

63- السقطي(أبو عبد الله) ،

كتاب آداب الحسبة،تحقيق ليفي
بروفنسال و كولان، باريس، إرنست لروا،(دت).

64- **السلفي،** أحمد بن محمّد بن احمد بن محمّد بن إبراهيم سلفه) ت567ه/م1171م

أخبار و تراجم السلفي، مستخرجة من السفر
للسلفي، تحقيق إحسان عباس، بيروت ، دار الثقافة،المكتبة الأندلسية ، رقم 7، ط1، 1963

65- **ابن السماك** العاملي،

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق
عبد القادر بوباية، بيروت ،دار الكتب العلمية،2010 .

66- **ابن سهل** (أبي الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسري الجياني) (عاش ما بين 413 ه – 486ه)

ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام و قطر من سير الحكام،تحقيق يحي مراد ، القاهرة ، دار الحديث ، 1428-2007م .

67- ——————— ،

وثائق في الطب الإسلامي و وظيفته في معاونة القضاء في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ط 1، 1982،

68- ——————— ،

وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ط 1، 1980.

69- **السيوطي**(جلال الدين) - ت 911ه/1505م –

بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 1،ط 1، 1384ه/ 1964م.

70- ——————— ،

نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار المكشوف، 1958.

71- ——————— ،

نزهة المتأمل و المرشد المتأهل في الخاطب و المتزوج ،تحقيق محمّد التونجي، ،بيروت، دار أمواج للطباعة و النشر و التوزيع، ط2 ،1989.

72- **ابن شهيد** الأندلسي، (أبو عامر بن عبد الملك : (382ه / 426ه)،

ديوانه و رسائله ، جمع و تحقيق ديب محيّ الدين ،
بيروت، المكتبة العصرية، ط 1 ، 1417ه/1997م.

73- صاعد الأندلسي،

طبقات الأمم تحقيق حياة بوعلوان، بيروت
،دار الطليعة للطباعة و النشر،ط1، 1985.

74- الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير) ،

تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك مج
2،(224ه/310ه)بيروت،دار الكتب العلمية، 1417ه/1997 **م.**

75- ————— ،

تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل
القرآن، مج2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1418ه/ 1997م .

76- الطرطوشي، أبو بكر بن الوليد:

الحوادث و البدع،تق محمد الطالبين تونس،1959.

77- الضبي(أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة) - ت599ه/1203م-،

بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق
الابياري، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب
اللبناني،ط 2، 1410ه/ 1989.

78- ابن عبد الحكم ،

فتوح مصر و المغرب ،تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينة ، 1425ه/ 2004م.

79- **ابن عبد ربه** الأندلسي(أبو عمر أحمد بن محمد) ،

كتاب العقد الفريد ، مج 3، مراجعة و تحقيق، محمد صقر، القاهرة ، مكتبة مصر ، ط 1 ، 1429 ه/ 2008م.

80- **ابن عبد الملك** (أبو عبد الله محمَّد الأنصاري الأوسي المراكشي)،

الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، السفر 8 القسم الأول ،تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، مطبعة ، دار المعارف الجديدة، 1984.

81- ____________ ،

الذيل و التكملة ، السفر الخامس،القسم الأول ،تحقيق إحسان عباس،بيروت ،دار الثقافة،1965

82- ابن **عبدون** ، و ابن عبد الرؤوف و الجرسيفي ،

ثلاث رسائل في آداب الحسبة و المحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955.

83- ابن العربي، (محي الدين محمّد بن علي بن محمّد)

الفتوحات المكية ج 1،ج2، بيروت ،دار صادر (دت).

84- **ابن عساكر** عبد الله و أبي بكر بن خميس،

أعلام مالقة، تقديم و تعليق عبد الله المرابط الترغي، بيروت،دار الغرب الإسلامي ودار الأمان ، ط 1، 1420ه/ 1999م.

85- ابن عذاري المراكشي،

البيان المغرب و في أخبار المغرب الأندلس، 4مج
، مج4،تح ج . س. كولان و ليفي برزفنسال، بيروت ، دار الثقافة،ط 5، 1418ه/ 1998م.

86- ـــــــــــ ،

البيان المغرب قسم الموحدين ،تقيق إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر و عبد القادر زمامة ، بيروت ،دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985 .

87- **العذري** (أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي) ،

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيغ الأخبار و تنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،(د ت).

89- **ابن العطار** (محمد بن أحمد الأموي) –عاش مابين 330 ه- 399هـ - ،

كتاب الوثائق و السجلات، تحقيق و نشر، ب. شالميتا و ف . كورينطي، مدريد ، مجمع الموثقين المجريطي ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، 1983

90- **العمري**(شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله- ت749ه) ،

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر2، تحقيق عبد الله بن يحي السرحي ،أبو ضبي، إصدارات المجمع الثقافي، 1427ه/2006م

91- **عياض** (أبو الفضل موسى اليحصبي - توفي 544ه)،

ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مج 1،2، تحقيق محمد سالم هشام، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1418ه/ 1998م .

92 - **ابن غالب** ،

قطعة **من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس و مدنها بعد الأربعمائة** ، لطفي عبد البديع ،مجلة معهد المخطوطات العربية، مج1، ج 2، مطبعة مصر، رمضان 1375، مايو1955م .

93- ابن فرحون (أبو عبد الله بن محمّد)،

تبصرة الحكام في أصول الأقضية و مناهج الأحكام،ج2،تخريج الأحاديث جمال مرعثلي، بيروت،دار الكتب العلمية،1416ه/1995م

94- **ابن الفرضي** أبو الوليد عبد الله بن محمّد. (351ه-403ه/962م- م)

تاريخ علماء الأندلس 3 أجزاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني،ط 2، 1410ه/ 1989.

95- ابن قتيبة،

قصة فتح الأندلس عن كتاب الإمامة و السياسة ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مراجعة عمر فاروق الطباع، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ط 1 ، 1415ه/ 1994م.

96- ابن قزمان القرطبي،

ديوان ابن قزمان : إصابة الأغراض في ذكر الأغراض(إمام الزجالين ت 555ه/ 1160م)، تحقيق فيديريكو كوُرِيَّنْتي ، دار أبي الرقرقاق للطباعة و النشر ،(دم ط) 1334ه-2013م

97- ابن القطان، (أبو علي الحسن) ،

كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي ،تطوان ، مطبعة المهدية ،(دت).

98- ابن القوطية (أبو بكر)،

تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مراجعة عمر فاروق الطباع، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ط 1 ، 1415 هـ/ 1994م.

99- ابن القوطة أبو بكر،

تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

100- ابن **الكردبوس،**

تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامي، مدريد 1971

101- ابن **ماجة،** (أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني (ت 275ه)

صحيح سنن ابن ماجة، مج3، تأليف ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع لصاحبها سعد عبد الرحمان الراشد ،ط1، 1417ه/ 1997م.

102- مجهول،

أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بينهم،تحقيق الأبياري ، القاهرة ،دار الكتاب المصري ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، ط2، 1410ه/ 1989م .

103- **مجهول**

فتح الأندلس تحقيق ، لويس مولينا ، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، 1994.

104- مجاهد مجهول،

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق محمّد رضوان الداية، آخر أيام غرناطة ، دار الفكر ، دمشق، دار المعاصر ، بيروت، ط2 ، 2002.

105- مجهول- كان بقيد الحياة في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي،

[جغرافية] وتاريخ الأندلس،دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية،مؤسسة البلاغ للنشر و الدراسات والأبحاث،الجزائر،2013.

106- مجهول ،

تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية ،بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ، 2007.

107- مجهول ،

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية ، 1986.

108- **المقري** ،(شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني – ت1041ه)،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب"، 8 مج ، تحقيق إحسان عباس، بيروت ،دار صادر ، ط 2 1997.

109- ———— ،

أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، طبعة مزيدة و منقحة تحقيق على عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،ط 1، 1431ه، 2010م.

110- المقديسي شمس الدين ،

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت (دت ط).

111- المراكشي عبد الواحد ،

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد زينهم محمد عزب، القاهرة ،دار الفرجاني، 1994.

112- ـــــــــــــــ،

وثائق المرابطين و الموحدين ،تح حسين مؤنس ، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة1997.

113- مسلم ،(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) ،

صحيح مسلم ،بشرح النووي و حققه و فهرسه عصام الصباطي و حازم محمّد و عماد عامر، مج 4، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1415هـ/ 1994م.

114- ـــــــــــــــ

مختصر صحيح مسلم ،اختصره أحمد شمس الدين،بيروت،دار الكتب العلمية،ط 1، 1419ه/1998م.

115- المنذري (زكي الدين عبد العظيم عبد القوي)- ت 656هـ - ،

الترغيب و الترهيب من الحديث الشريف،خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد حلمي، 2مج ، دار التقوى ،(دم) ، (دت) .

116- المواق محمّد و محمّد الرصاع،

الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية،(886هـ/1481م)،
تحقيق محمّد حسن، بيروت،دار المدار الإسلامي، ط1 ،2007.

117- النباهي أبو الحسن بن عبد الله المالقي(ت 713ه/1313م)

تاريخ قضاة الأندلس:و سماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي،بيروت، دار الآفاق الجديدة ، ط5، 1403ه/1983م.

118- ابن هشام(أبو محمد المعافري)،

السيرة النبوية ، ج 3 ،المنصورة،مصر دار الغد الجديد، ط 1 ،1424 ه/2003م.

119- ابن ورد الأندلسي ،

السؤالات ذوات الأفنان، تح محمد الشريف (أبو القاسم أحمد): ت - 540ه/ 1146م - **أجوبة ابن ورد الأندلسي** التميمي، **المسماة بـ: الجوابات الحسان عن** ، الرباط، طوب بريس، ط1، 2008.

120- الونشريسي (أبو العباس محمّد بن يحي) ،

المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس و المغرب ، ، خرجه جماعة من الفقهاء باشتراك محمّد الحجي، الرباط ،نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1401هـ/ 1981.

ثانيا: المراجع العربية و المترجمة

1 -الألباني محمّد ناصر الدين ،

سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المعارف للنشر والتوزيع، ط2، الرياض ،1425ه/2004.

2 -________،

سنن النسائي ،مج3، مكتبة المعرفة للنشر و التوزيع ، الرياض ، 1419ه/1998م

3 -أشباخ يوسف ،

الأندلس في عهد المرابطين،ترجمة عبد الله عنان،مؤسسة الخانجي ،القاهرة،1985 .

4 -أرسلان شكيب ،

الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، ج1، مصر المطبعة الرحمانية، ط1، 1355هـ/ 1936م.

5 - أدهم علي ،

منصور الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، 1974 .

6 -**أمين** أحمد ،

ضحى الإسلام،ج 1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 10،(د ت ط).

7 -بالباس طريس ليوبوردو ،

الحواضر الأندلسية ،ج 1 ، ترجمة محمد يعلى ، الرباط، دار أبي قراقر، ط1، 2007.

8 -**بالنثيا** أنخيل جنثالث،

تاريخ الفكر الأندلسي ، تر، حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1955.

9 -البشيري سعد الله صالح ،

الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى،، 1417ه/1997**.**

10 - براضة نزهة

الأنوثة في فكر ابن العربي، بيروت،دار الساقي،ط1، ،2008م

11 - بروكلمان كارل،

تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس و منير البعلبكي، بيروت، ،ط13، (دت).

12 - بلغيث محمد الأمين ،

دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، الجزائر ، دار التنوير للنشر والتوزيع، 1406ه/ 2006م.

-13 ———— ،

نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، الجزائر دار الخلدونية ، ط 1،1428ه/ 2007م .

14 - بليغ أحمد فؤاد ،

مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة ، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1 ، القاهرة 2003.

15 - بعيون سهى،

إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس،عصر ملوك الطوائف، بيروت ،دار المعرفة،ط 1، 1429ه/ 2008م.

16 - **بنحمادة** سعيد ،

الماء و الإنسان في الأندلس ،خلال القرنين 7-8ه /13- 14 م ، ط 1، دار الطليعة ، بيروت ، 2007.

17 - بن شريفة محمّد ،

تاريخ الأمثال و الأزجال في الأندلس و المغرب- بحوث و نصوص-،منشورات وزارة الثقافة ، الرباط ،2006.

18 - بن عبد الله عبد العزيز،

معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، 1070 .

19 - ـــــــــــــــــــــ ،

الطب والأطباء بالمغرب ، الرباط ، المطبعة الاقتصادية، 1960،

20 - بن عزوز محمّد ،

صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري (رواية و تدريسا) ، بيروت، دار ابن حزم ،ط1، 1423ه/ 2002م .

21 - عبد الإله بن مليح ،

الرق في بلاد المغرب و الأندلس ، بيروت،مؤسسة الانتشار العربي، ط1،2004.

22-بوتشيش إبراهيم القادري،

إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط1 ، 2002 .

23 ———————— ،

مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت ، دار الطليعة 1998م .

24 - بوعمران فضيلة ،

الطب العربي في الأندلس، مقدمة لكتاب التسيير في المداواة و التدبير لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر الإيادي الأندلسي، منشورات ثلة ، الجزائر ، 2007.

25 - بوغلا أحمد ،

الرحلة الأندلسية ، الأنواع و التخصص ، ط 1، دار أبي الرقراق، الرباط ، 2008 .

26 - بوفلاقة سعد ،

الشعر الأندلسي الأندلسي، (أغراضه و خصائصه الفنية)، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995.

27- بيضون إبراهيم ،

الدولة العربية في إسبانية، من الفتح حتى سقوط الخلافة ،(92-466ه/ 711-1031م)، بيروت ، دار النهضة العربية، 1406ه-/ 1986م.

28- بيهم محمد جميل ،

المرأة في حضارة العرب و العرب في تاريخ المرأة، ط 1،دار النشر للجامعيين بيروت، 1962.

29- التازي عبد الهادي ،

التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ،مج6 عهد الموحدين المملكة المغربية،(د م ط) 1407 ه/ 1987

30- ——————— ،

المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي ،ط 1،الدار البيضاء ، نشر الفك، 1413 ه/ 1992م .

31 ـ جبري عبد المنعم،

المرأة عبر التاريخ البشري، دمشق، صفحات للدراسة و النشر،ط 2، 2009.

32- الجعماطي عبد السلام ،

دراسات في تاريخ الملاحة البحرية و علوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية ، ط 1، بيروت 2012.

33- جمعة أحمد خليل ،

نساء من الأندلس،بيروت ، اليمامة للنشر و التوزيع، ط1، 1431ه/ 2001 .

34- الحبيب الجنحاني،

المجتمع العربي الإسلامي الحياة الإقتصادية والاجتماعية ، الكويت، عالم المعرفة، 1426ه/ 2005 م.

35- الحجي عبد الرحمان علي،

التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق،دار القلم، ط 5، 1418ه/1997.

36- حجاجي حمدان ،

حياة و أثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ،الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982 .

37- حسن علي حسن،

الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، عصر المرابطين و الوحدين، مكتبة الخانجي،ط1، 1980.

38- حسين عبد الرزاق،

الأندلس في الشعر العربي المعاصر،الكويت،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، 2004.

39- الحسيني قاسم ،

الأندلس الإنسان و المكان ، مطبعة بني أزناسن ، الرباط ، ط1 ،2007 .

40- حقي محمد

البربر في الأندلس،الدار البيضاء، المكتبة التاريخية،ط 11422ه/2001م .

41- الحموي ياقوت ،

معجم البلدان،مج 1،دار صادر، بيروت، ط 2.

42- خلاص صالح ،

إشبيلية في القرن الخامس الهجري ،دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد ،(414 ه/ 461م) بيروت ، دار الثقافة ،(دت).

43- حميدي مليكة:

المرأة المغربية في عهد المرابطين،(448ه-541-/ 1056 م- 1146م الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة،1432ه/ 2011م.

44- الخالدي خلد يونس ،

اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة و الإعلام ، ط 1، 2002.

45- خالد بن عبد الكريم محمد بكر

النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة(138– 316 هـ/ 755– 928م)، ط 1، مكتبة الملك بن عبد العزيز الرياض ،1414 هـ/ 1993م .

46- خالد بن عبد الله الشريف،

مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها(دراسةسياسية والاقتصادية)892/422هـ،ط 1 ، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية،المملكة العربية السعودية،1430هـ/ 2009م.

47- خلاف ، محمد عبد الوهاب

قرطبة الإسلامية في القرن 5هـ/11م، تونس،الدار التونسية للنشر،1984م

48- خليل ابراهيم السمرائي و عبد الواحد ذنون و ناطق صالح مطلوب ،
تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،بيروت ، دار الكتاب الجديد،ط 1، 2000

49- خليل شوقي ،
مصرع غرناطة ،أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر ، بيروت،دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ط2، 1998 .

50- ريبيرا خوليان ،
التربية الإسلامية في الأندلس، ير الطاهر أحمد مكي، القاهرة ، دار المعارف ،ط2، 1994.

51- رجب محمد عبد الحليم ،
العلاقات بين الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف، القاهرة دار الكتاب المصري، بيروت دار الكتاب اللبناني، (دت) .

52- راوية عبد الحميد شافع ،
المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة ،(92-422 هـ/ 711 – 1031م) الهرم ، مصر،عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، 2006م.

53- رستم محمّد بن زين العابدين ،
بيوتات العلم والحديث في الأندلس،ط 1، دار ابن حزم،بيوت،1430، 2009 .

54- زبيب نجيب ،

الموسوعة العامة تاريخ المغرب و الأندلس ،5 أجزاء ،تقديم أحمد بن سودة، بيروت ، دار الأمير، ، ط 1، 1415ه/ 1990/،.

55- الزعفراني حاييم ،
يهود الأندلس و المغرب، 2ج ، باريس، ميزو ناف و لغوز، ترجمة أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط، 1996

56- الزغلول غالب مصطفى ،

الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،ط1 مركز الأفق،أربد،الأردن،1421ه2001م.

57- أبو زيد أحمد ،

المرية في عصر بني صمادح (433ه - 484ه/ 1041-1091 ، القاهرة، ط 1، 2003 .

58- ــــــــــــ ،

سببية الموت و القتل عند الأندلسيين دار الحسين للطباعة و النشر ،ط 1 1427 هـ/2006م.

59- الدغلي محمّد سعيد،

الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها على في الأدب العربي، دار أسامة،ط1، 1404هـ/1984م.

60- دندش، (عصمت عبد اللطيف

الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي،لبنان، 1408ه/ 1988م.

61-درويش عدنان و محمد المصري،

الأندلس من نفح الطيب للمقري،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، 1990 .

62- درويش هدى ،

أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس – دراسة عن يهود المارنواس ، الجيزة، ،ط1 ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، 2008.ـــف1/ 20

63- ديب علي حسن ،

المرأة اليهودية بين فضائح التوراة و قصة الحخامات، دمشق ، صفحات للدراسة و النشر، ط1، 2007م.

64- ديج إسماعيل ،

المرأة في التوراة، الطبعة الأولى ،1999م

65- دوزي رينهرت ،

المسلمون في الأندلس المسيحيون و المولدون ، ج 1 ترجمة حسن حبشي، (د م ط) الهيئة المصرية العامة، 1994

66- ــــــــــــــــــــــــ،

المسلمون في الأندلس ، ج3 ،ترجمة حسن حبشي ،(د م ط) الهيئة المصرية العامة، 1995 .

67- دويدار حسين يوسف ،

المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138- 422ه/ 755م - 1030 م) مصر، ط 1، مطبعة الحسين الإسلامية ، 1414ه/1994م

68- دي لوثينا (لويس سيكو) ، الحموديون سادة مالقة و الجزيرة الخضراء،ترجمة عدنان محمّد آل طعمة، دمشق،دار سعد الدين،ط1،1992.

69- ذنون عبد الواحد طه ،

الأصالة و التأثير أبحاث في الفكر و التراث، بيروت ، دار المدار الإسلامي، ط1، 2011. ---ف6/4

70- ــــــــــــــــــــــــ،

دراسات أندلسية، بيروت ،المدار الإسلامي، ط2004،1.

71- سالم عبد العزيز ،

تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس إسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،1985 .

72- ــــــــــــــــــــــــ،

تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس،(من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية ، مصر ، مكتبة الأنجرو مصرية ، ط2 ، 1986.

73- ــــــــــــــ،

تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية،ط 1، 1969.---ف48/5

74- ــــــــــــــ،

بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط 1، 1411ه/1991.

75- ــــــــــــــ،

المغرب الكبير،ج2،بيروت،دار النهضة العربية، 1991م .

76- سلمى سليمان علي ،

المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف، القاهرة، مكتبة الثقافة، ط1 1426ه/2006م.

77- سعد زغلول عبد الحميد ،

تاريخ المغرب العربي،ج4،الإسكندرية،منشأة المعارف،1995.

78- سعدون نصر الله،

تاريخ العرب السياسي في الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية 1998.

79- السمرائي خليل ابراهيم و عبد الواحد ذنون و ناطق صالح مطلوب:

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،بيروت ،
دار الكتاب الجديد،ط 1، 2000.

80- الشامي أحمد ،

التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام،دراسة مقارنة،كلية الأدب،جامعة الزقازيق،مصر،1982.

81- شبارو عصام محمد،

الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، بيروت دار النهضة العربية ط 1 ،1423هـ/ 2002 م.

82- شحلان أحمد ،

الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، سلسلة التراث الفلسفي العربي،مؤلفات ابن رشد(3) ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1998 .

83- الشعيري سناء ،

المرأة في الأندلس، منشورات مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات، الرباط، مطبعةالأمنية،2009

84- الشكعة مصطفى ،

الأدب الأندلسي و موضوعاته و فنونه ،(د م ط)
دار النهضة العربية، 1972.

85- شومان نعيمة ،

المرأة في العصر الحجري و المرأة في الإسلام،
بيروت ، دار الفرابي، ط 1، 2011م

86- صبحي(محمّد أسعد أبو حسين) ،

صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين،إربد ،الأردن،عالم الكتب الحديث 1427هـ/ 2005.

87- صبري محمد ،

التلمود شريعة بني إسرائيل ..حقائق و وقائع،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2001

88- الطاهري أحمد،

فتح الأندلس و التحاق الغرب بدار الإسلام، موسى بن نصير و طارق بن زياد،،ط 1، مطبعة غرافيسا، ش. م، اسبانيا، 2011.

89- ـــــــــــــ ،

عامة قرطبة في عصر الخلافة ، دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي، الرباط ، منشورات عكاظ ، 1989

90- ـــــــــــــ،

الفلاحة و العمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، من نظام التثمير التعاقدي إلى نمط الانزال الاقطاعي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2004.

91- الطوخي أحمد محمد ،

مظاهر الحضارة الأندلسية في عصر بني الأحمر، الإسكندرية، مؤسسة شهاب الجامعة، ، 1997.

92- الطويل مريم قاسم ،

مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح
،(443 – 484ه/ 1051- 1091م)، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، بيروت ،دار الكتب العلمية، ط 1، 1414ه/ 1994م

93- ـــــــــــــ ،

مملكة غرناطة، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، بيروت ،دار الكتب العلمية، ط 1، 1414ه/ 1994م .

94- العبادي أحمد مختار،

في التاريخ العباسي و الأندلسي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، (د ت) .

95- ـــــــــــــ ،

في تاريخ المغرب و الأندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، (د ت).

96- عبد الرزاق حسين،

الأندلس في الشعر العربي المعاصر،الكويت،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، 2004

97- بن عبد الله عبد العزيز،

معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى،
المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، 1970.

98- ـــــــــــــ

الطب الأطباء بالمغرب
،الرباط،المطبعة،الاقتصادية، 1960.

99- بن عزوز محمَد

صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري(رواية و تدريسا) ،بيروت ، دار بن حزم ،ط1، 1423هـ 2002م.

100- عبود خازن ،

الخلفاء و الأمراء والوزراء العشاق، بيروت، دار الكتب الحديثة ، ط 1، 1419ه /1999م.

101- العريني(يوسف بن علي بن إبراهم)،

الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط 1، الرياض، 1416 هـ .

102- العلي صالح أحمد،

المنسوجات و الألبسة العربية في العهود الأولى، شركة المطبوعات و التوزيع للنشر،ط 1، بيروت، 2003.

103- عنان محمد عبد الله ،

دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ، القسم الأول، من الفتح إلى بداية الناصر،القاهرة ،مكتبة الخانجي،ط4، 1417 ه/1997.

104- ———————— ،

دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية و الدولة العامرية، العصر الأول، القسم الثاني، القاهرة ، مكتبة الخانجي،ط 4 ،1417ه/1997 .

105- ———————— ،

دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس1960

106- ـــــــــــــــ،

دولة الإسلام في الأندلس،دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،ج3 ، مكتبة الخانجي مع الاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م.

107- ـــــــــــــــ،

دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين و بداية الدولة الموحدين،ج4، مكتبة الخانجي مع الاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م.

108- ـــــــــــــــ،

دولة الإسلام في الأندلس،**عصر الموحدين**،ج5، مكتبة الخانجي مع الاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م.

109- ـــــــــــــــ،

دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين و انهيار الأندلس،ج 6 ، مكتبة الخانجي مع الاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،2001 م.

110- ـــــــــــــــ،

دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين، ج7 مصر، الهيئة المصرية للكتاب ،2001.

111- ـــــــــــــــ،

تراجم إسلامية شرقية و أندلسية، القاهرة ،مكتبة الخانجي، ط 2 ،1390ه/1970.

112- فرحات يوسف ،

معجم الحضارة الأندلسية ،بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 2000 م.

113- فيض الله حسن ، سولاف ،

دور الجواري و القهرمانات في دار الخلافة العباسية(132-656هـ/ 749-1258م) ، دبي، صفحات للدراسات و النشر،2013

114- فواز (زينب بنت علي بن حسين العامري)،

معجم أعلام النساء المسمى **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**،-ت 1332ه- تحقيق منى محمّد زياد الخراط،الرياض،مؤسسة الريان،ط1، 1461ه/2000م .

115- فيلالي عبد العزيز ،

العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و **دول المغرب**، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع ، ط2، 1999 .

116- قروعي خديجة ،

ظواهر اجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس، من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة(96ه/711م-316 ه/929م)، دمشق، دار النايـة،و دار محاكاة، ط1433،1ه/2012م .

117- الكبيسي خليل إبراهيم ،

دور الفقهاء في الحياة السياسية و الاجتماعية في الأندلس في عصري الإمارة و الخلافة ، دار البشائر الإسلامية ،ط 1 بيروت، 1425ه/ 2004م.

118- كحالة عمر رضا ،

أعلام النساء في عالمي العرب و الإسلام، مؤسسة الرسالة ،ج2، بيروت، ط1402،4ه،/1982.

119- كرراز فوزية

دور المرأة في الغرب الإسلامي،(من القرن 5ه إلى منتصف القرن 7ه/ 11م ـ 13 م)،دار الأديب للنشر و التوزيع، وهران، 2006 .

120- كواتي مسعود ،

اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، الجزائر ، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، 1421ه/ 2000م.

121- لمبارد موريس،

الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمان حميدة ، بيروت ، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر،،ط 2، 1419ه/ 1998.

122- لطف عمر مصطفى ،

تاريخ الصقالبة في الأندلس دراسة تاريخية جديدة،ط 1 ، مركز البرنس للطباعة، (د.م. ط.) 1423هـ/2003م .

123- محمود (حسن أحمد)،

تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ، 1411 هـ/ 1991م.

124- مسعد سامية مصطفى ،

التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، الهرم ،2007

125- ــــــــــــــــ ،

صور من المجتمع الأندلسي،رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، مصر،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، ط 1، 1997.

126- المغربي محمد عبد الشافي ،

مملكة الخزر اليهودية و علاقتها بالبيزنطيين و المسلمين في العصور الوسطى ، الاسكندرية ،دار الوفاء، 2002 .

127- أبو مصطفى كمال السيد:

تاريخ الأندلس الإقتصادي في دولتي المرابطين و الموحدين، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب،(دت)

128- ــــــــــــــــ

جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة، 1997.

129- ــــــــــــــــ ،

مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف، الإسكندرية، مؤسسة الشهاب،1993

130- ــــــــــــــــ

تاريخ و حضارة الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة،1993.

131- مكي الطاهر أحمد ،

دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة،
القاهرة، دار المعارف ، ط 1، 1980.

132- ———— :

دراسات عن ابن حزم و كتابه طوق الحمامة،
مكتبة وهبة، القاهرة ،ط2،1397ه/ 1977م .

133- المرنيسي فاطمة ،

سلطنات منسيات، نساء حاكمات في بلاد الإسلام ،ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل ، الدار البيضاء ،نشر الفنك، ط1، ،2000

134- منتغمري وات ،

في تاريخ اسبانيا الإسلامية: (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)، ترجمة ، محمد رضا المصري بيروت ،شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، ط 2، 1998.

135- ابن موسى جميلة ،

تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي و السودان الغربي من القرن 9م- 11م ، الجزائر ، منشورات ، بلوتو، ط1،2011 .

136- موسى(عز الدين أحمد)

النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6ه/12م، القاهرة، دار الشروق، 1983.

137- مؤنس حسين ،

معالم تاريخ المغرب و الأندلس،
القاهرة،دار الرشاد،ط 1433،6ه/2003م .

138- ———— ،

شيوخ العصر في الأندلس، القاهرة،
دار الرشاد، ط 2 ، 1417ه/ 1997م.

139- ـــــــــــــــ ،
موسوعة تاريخ الأندلس، ج 1 مكتبة الثقافة الدينية
، القاهرة ،1416ه/ 1996م .

140- ـــــــــــــــ ،
فجر الأندلس:- دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأمية (711ه - 752ه) القاهرة ، دار الرشاد، ط 3، 1426ه/ 2005م.

141- نعنعي عبد المجيد ،
الإسلام في طليطلة، دارالنهضة العربية،بيروت،(د ت).

142- الهاشمي عبد المنعم ،
أزواج النبي، الكويت، مكتبة ابن كثير،بيروت ، دار ابن حزم، ط1425،1.

143- نكادي يوسف ،
الزراعة في الأندلس، منشورات مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات ، سلسلة المعرفة الأندلسية-2- ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط 2، 2009 .

144- الهرفي سلامة أحمد سليمان،
دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين- دراسة سياسية و حضارية-،بيروت، دار الندوة الجديدة،1405هـ/1985م.

145- هيشكوك وديوس ،

التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى،
ترجمة قاسم، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر، 1999م.

146- هونكه زغاريد ،

شمس العرب تسطع على الغرب، نقله فاروق
بيضون و كمال دسوقي ، مراجعة مارون عيسى الخوري ،بيروت ، دار صادر ، ط9، 2000.

147- هيكل محمد خير ،

الجهاد و القتال في السياسة الشرعية،
بيروت ، دار البيارق و دار ابن حزم ،ط2 ،1418هـ/1996م .

<u>الــــــرسائـــــل الجـــــــامعية</u>

<u>أطروحات دكتوراه</u>

1 -بلغيث محمد الأمين ،

الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين،2 مج
،أطروحة دكتوراه ،إشراف عبد الحميد حاجيات ، جامعة الجزائر ،1423ه-1424م/2002م -2003م.

2 -جاد الله:

الوضع السياسي و الاجتماعي لغرناطة في القرن 5ه، ج
2، أطروحة دكتوراه،تحت إشراف عبد الهادي التازي،جامعة محمّد الخامس، الرباط، 1417ه - 1418ه/ 1996، 1997م

3 -حوالف عكاشة :

جهود الفقهاء المالكية بالأندلس إلى نهايةالقرن4ه/ 10م،أطروحة دكتورة إشراف لشهب أبو بكر، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، وهران 1427ه --1428ه/ 2006-2007م.

4 -ساسي علي ،

الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية في قرطبة خلال 4ه/10م ،ج 1 أطروحة الدكتوراه الموحدة، إشراف منيرة شابوتو، جامعة تونس . 1997

5 -**الدسوري** أحمد ثاني:

الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر،أطروحة دكتوراه، إشراف إبراهيم حركات،جامعة محمد الخامس،، الرباط ، 2002،- 2003.

6 -بن عامر توفيق

الحضارة ا لإسلامية و تجارة الرق خلال القرنين الثالث و الرابع للهجرة ، سلسلة 8، مج 7، أطروحة دكتوراه دولة ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، 1996.

7 -فايز بن مرزوق بن بركي السلمي:

المقصد المحمود في تلخيص العقود للجزيري(علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي)، 2 مج ، أطروحة دكتوراه تحت إشراف محمد نبيل غنايم ،جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،1422هـ

8 -المبروك عمار عيد:

الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الأندلس خلال العصر الموحدي،أطروحة دكتوراه تحت إشراف محمد حمام،جامعة محمد ، الخامس، الرباط ، 2002،2003.

رسائل الماجستير

1-عبد العال (محمد رضا):

النظام القضائي في عهد الخلافة الأموية،(316ه-447 هـ/929م-1055م)، رسالة ماجستير في الأدب و التاريخ الإسلامي ،إشراف محمد أمين صالح، جامعة القاهرة ،1406، 1982.

2 -عويس حسن محمّد قرين

المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية(128ه-422ه/756م-1021م)رسالة ماجستير ،إشراف محمّد بركات البيلي،كلية الآداب ،جامعة القاهرة،1997

3 -مقر محمّد:

اللباس المغربي خلال عهدي المرابطين والموحدين،رسالة **ماجستير** تحت إشراف محمد حمام،جامعة محمد الخامس، الرباط، 1995، 1996 .

4 -كحيلة (عبد الرحمن رضا عبادة)،

المولدون في التاريخ الأندلسي منذ الفتح حتى نهاية عصر الإمارة (92 هـ - 711م/316هـ - 929م) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف أحمد السيد دراج، جامعة القاهرة، 1398ه/1978م.

5 - كلاس فايزة

الأندلس ولاية مغربية،إشراف سهيل زكار، كلية الآداب ،قسم التاريخ ،جامعة دمشق،1413هـ/ 1993م.

المراجع الأجنبية:

1-Albornoz ClaudioSanchez :**L'Espagne musulmane** ,trad :Claude Faraggi,opu/publisud, 1985 .

2- Cahen Claude , **l'islam des origines au début de l'empire** Ottmane, Hachette,1995.

3- Conrad Philippe : « **Histoire de la Reconsquista** », Que sais-je ? PUF Paris, 1998

4- Courbage(Youssef) et Philippe Fargues , **Chretiens et Juifs dans L'Islam arabe et turc**, ED Payot et rivages, Paris 1997.

6- Dozy(rainat): **Supplément aux dictionnaires arabes**, t1, librairie du Liban, Beyrout, 1991,

7- Duby(Georges)et Perrot(Michelle), **Histoire des femmes en Occident**, 2è :le moyen Age ,ed,Perrin, France,2002

8- DUFOURCQ(CHARLES EMMANUEL): L**A VIE QUOTIDIENNE DANS L'EUROPE MEDIEVAL SOUS DOMINATION ARABE**, PARIS ,1975.

9- Guichard Pierre **: Structures sociales orientales et occidental dans l'Espagne musulmane,** Mouton.Paris.Lahaye.1977 **.**

10- Goitein,SD **:Letters of Medieval jewish Traders**, **.**Princeton University Press, , Princeton, New Jersey,1973

10- Jaquart Danielle et François Micheau : **La medécine arabe et l'occident médiéva**l,maisonneuve et la rose , Paris,1996

11- LAFUENTE JOSE LUIS CORRAL: **HISTORIA DE ZARAGOZA(**714-1118),ED,AYUNTAMIENTO 1ED,ZARAGOZA,1998 .

12- LAGARDERE VINCENT **, HISTOIRE ET SOCIETE EN OCCIDENT MUSULMAN AU MOYEN AGE ,ANALYSE** DU MI'YAR D'AL WANSHARISI,MADRID ,1995 .

13- ___________ : **CAMPAGNES ET PAYSANS D'AL-ANDALUS**,8E-15ES, MAISONNEUVE&LAROSE,PARIS,1993 .

14- LOMBARD MAURICE,L'ISLAM DANS SA PREMIERE GRANDEUR 8E_9ESIECLE, FLAMMARION, PRINTED IN FRANCE, 1971.

15- MACHORDOM COMINS ALVARO , **GRANADA EL ULTIMO REY ANDALUSI** , ESPANA, 1996.

16- MANUELA MARIN : **ENCYCLOPEDIE AL ANDALUS ET ANDALOUSIENS** ,TRAD DE L'ESPAGNOL PAR ANNE MARIE LAPILLONNE,ED SUD _ALIF,TOUBKAL

17- MARTINEZ_GROS GABRIEL, **IDENTITE ANDALOUSE** ; SINDBAD, ACTES SUD, 1997 .

18- MIQUEL ANDRE : **L'ISLAM ET SA CIVILISATION, 5E &10 SIECLE**, AVEC LA COLLABORATION D HENRY LAURENS, PARIS, ARMAND COLIN, 1977.

19- Neuman(A.A) THE JEWES IN SPAIN : their social political and cultural life during the midlle Age, vol 2, Philadelphie, 1944.

20- Norman Daniel : **The Arabs and Médiéval Europe**, Longman, librairie,1986.

21- Peres Henri**: La poésie andalouse en arabe classique au 11è siecle, ses aspects généraux** ses principaux thèmes et sa valeur documentaire,2è ed, Adrien_Maisonneuve,Paris, 1953 **.**

22- Picard Christophe: **L'Océan Atlantique musulman de la conquète à l'epoque** Almohade(vavigation etvmise en valeur des cotes d'Alndalus et du maghreb occidental(Portugal, Espagne ,maroc)Paris, maisonneuve &Larose,1997 .

.

23- Provençal E.Levi: **Histoire de l' Espagne Musulmane** ,t1 , Paris, maisonneuve &Larose,1999**.**

24-________ :**l' Espagne Musulmane au 10è siècle**, Larose, Paris, 1932, maisonneuve &Larose, paris, 1996

25- _________ : I**nscriptions arabes d'Espagn**e ,E,J,Brill Leyden-Hollande, et imprimerie orientalisme,e Larose, paris, 1931 .

26 -Senac philippe et Laliena Carlos : **Musulmans et Chretiens dans le haut Moyen Age aux origines de la reconquete Argonaise**, Minerve, 1991

27-Terrasse Henri **:L'Espagne du Moyen Age civilisations** et arts, Arthure, Fayard 1966

28- __________ : l'Islam d'Espagne, une rencontre de l'orient et de l'occident. Librairie Plon, Paris 6e, 1958 .

المقالات العربية:

1 -**بالنثيا** رفييل ،:

إشبيلية الإسلامية،تاريخها السياسي و الاجتماعي و الثقافي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،أط2، 1999 (ص ص 217- 232) **.**

2 -بلبع محمد توفيق ،

غرناطة و قصر الحمراء ،المجلة التاريخية المصرية،مج 16 ،القاهرة،مطبعة جامعة عين الشمس،1969.

3 -بنميرة عمر،

جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس ألإسلامية، مجلة دراسات أندلسية ، تونس ،عدد 14، سنة 1416ه / 1995م

4 -بهجت مصطفى منجد ،

أعلام نساء الأندلس مستلة من كتاب التكملة لابن الأبار (ت 658ه)، مجلة المورد، بغداد، مج 19، عدد1، 1990.

5 -بوتشيش إبراهيم القادري

المرابطون و سياسية التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، تونس ،عدد 11، سنة 1414ه/ 1994م.

6 ــــــــــــــ،

أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط دولة الإسلام بالأندلس ، بحوث ندوة الأندلس الدرس و التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية 1414ه/1994م، (عدد ص 18 -36) .

7 ــــــــــــــ،

محطات في تاريخ التسامح بين الأديان بالأندلس مجلة دراسات أندلسية، تونس ،عدد 31، سنة 1425هـ/ 2004م

8 الجنحاني الحبيب ،

الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمان الناصر من_خلال المقتبس لابن حيان،مجلة المناهل، عدد 29،سنة 11 ،وزارة الشؤون الثقافية، الرباط ،1404ه/1984م

7 حفيظ سلوى ،

تأثير الفلامنكو على الغناء النسائي المغاربي، المجلة التاريخية المغاربية ، العددان ، 91- 92، السنة 25، زغوان، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، ، ماي 1998 .

8ـدليين ريموند شاين ،

اليهود في إسبانيا المسلمة ،مقال ضمن : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج1 ،تحرير سلمى الجيوسي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2 1999 .

9 ـدندش عصمت ،

من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس "طقوس الجنائز" مجلة دراسات أندلسية ، تونس، عدد 13، سنة 1995، ص 21. (المقال صص 20-35)

10 ذنون طه عبد الواحد ،

أثر الأندلس في التعليم و الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى،مجلة المجمع العلمي،الجزء الأول، المجلد 49، بغداد ،1432هـ/2002م.

11- رحمة الله مليحة ،

الحياة الإجتماعية كما وردت في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذاري المراكشي، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد44، السنة السادسة عشرة، 1412هـ/1991م، (ص 109-127)

12- سحر السيد عبد العزيز سالم ،

دور الطراز في الأندلس في عصر دولة بني أمية، تونس، مجلة دراسات أندلسية ، عدد 13، سنة 1415ه/ 1995م.

13- ———— ،

ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس الدرس و التاريخ، دار المعارف الجامعية،مصر،(1414ه/ 1994م)

14- ———— ،

الجوانب الايجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس (أدبية –اجتماعية) ندوة الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 48، الرباط، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، ، 1995 .

15 - سعيد ربيعة ،

نساء تفوقن في الأندلس، الأسس الثقافية للمرأة الأندلسية، مجلة دعوة الحق، عدد 376، سنة 1525ه/ 2004 م.

16- سلطاني الجيلالي:

رمز المرأة في الشعر الصوفي الأندلسي في القرن
6ه، مقال مرقون ضمن أعمال ملتقى دولي : الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن 6ه / 12م، بالجزائر العاصمة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، أيام 14، 15 ، و 16 لبيع الأول 1428ه/ 2، 3، و 4 أفريل 2007م .

17-السياجي محمد بن صالح ،

أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس،مجلة البيان، العدد 48 ،1412ه/ 1992، ص20.(عدد ص المقال من ص 16- 24)

18- شحلان أحمد،

الحياة العامة في أندلس عصر الوسيط،،مقال ضمن(ص ص 169 – 211) ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس و مظاهر التسامح ، تنسيق عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء ، مطبعة الأمنية، ط 1، 2003.

19- العبادي أحمد مختار ،

الإسلام في أرض الأندلس، عالم الفكر،مج10،ع 2، الكويت، 1986

20ـــــــــــــــــ ، **الحياة الدينة و الدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية** ، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد السادس ، مطبعة الأنباء، الرباط، 1412 هـ/1991م .

21- عباس إحسان،

أخبار الغناء و المغنيين في الأندلس (138هـ/539هـ) مجلة الأبحاث ،تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، الجزء1،سنة 16،دار الكتاب ،بيروت آذار ،1963 .

22- غنيمة أحمد،

حركة شهداء قرطبة خلال القرن الثالث الهجري –التاسع ميلادي. مقال بمجلة الآداب و العلوم الانسانية ، العدد 4،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ،1425ه/ 2004 .

23- غيفين لويس- أ- :

أدب الحب و "طوق الحمامة " لابن حزم ، مج 1، تحريرسلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،أط2، 1999.

24- طحطاح فاطمة ،

صورة المرأة في الشعر الحسيبين الحسية و الرمزية، مقال ضمن ندوة 1، " الحضارة الإسلامية في الأندلس و مظاهر التسامح، الدار البيضاء،مطبعة الأمنية ، 2003 **.**

26- فورار محمد لخضر،

الشريف الطليق الأندلسي، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع5 ،ديسمبر 2003.

27 - فيغيرا ماريا ج. ، أصلح للمعالي :

عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس ، تحريرسلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،أط2، 1999. (ج2، **ص ص 995، - 1013)**

28- القضاة محمد أحمد ،

شاعرات الأندلس، مجلة آفاق و التراث السنة الثانية،العدد7، 1415هـ /1994م .

29- المغراوي محمّد ،

نظرات في تاريخ المرأة الأندلسية ، كراسات أندلسية ،
ضمن منشورات مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات، الرباط،
العدد 2، 2006.

30- بن موسى جميلة ،

الإسلام و الرقيق و نصوص أوراق البردي العربية،
مجلة الباحث، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة، الجزائر، العدد، الخامس ،جوان - ديسمبر، 2011م،(ص ص 183 - 223)

31- أبو مصطفى كمال السيد ،

صورة من المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف المرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي، المجلة التاريخية المصرية،
المجلد37، 1990،(ص10-41) .

32- مكي محمود ،

التسامح الإسلامي ،الأندلس نموذجا ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مج 1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط2، 1999 .

33- الوراكلي حسن ،

فضاء التواصل الحضاري بين المسلمين و أهل الذمة ،
ضمن : ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس و مظاهر التسامح ، تنسيق عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء ، مطبعة الأمنية، ط 1، 2003.

المقلات الأجنبية

1- Manuel Marin :**Ibn__Hawt Allah**(m.612h /1215)y dos mujeres
2- de Sevilla,Al Quantara xxx1x 1,enero_juniode 2008

2-___________, **UNA VIDA DE MUJER**: **SUBH** ,Madrid ,digital.CSIC.ES /BITSTREAM/ 1061 / MARIN 2-E8T . PDF.M.MARIN ,1997

3-____________ **,HUBO UN ARTE DE VIVIR** ? HESPERIA CULTURAS DEL MEDITERRANEO ,ISSN,1698-8795,N°1,2005 .

4- Perez Alcade Juan Ignacio **: como se desarrollan los juicios en Al Andalus** , hesperia culturas del mediterraneo,n 3, 2006

5- Provençal Levi :**la toma de Al Andalus** ,vol xiii,fasc 1 ;Madrid 1948 .

6-__________ : **«La Mora Zaida, fille d'al Murtamid**, hespéris,t xviii ,3è trim ,faxicule 2, 1934

7- ___________ : **«La Mora Zaida » : femme d'Alphonse VI** de castille, et leur fils : « L'Infant D.Sancho **»,** In Hesperis, .T.XVI, fascicule I, 1er Trim, IMP: A. Tayone, 1934.

8-___________: encyclopédie de l'islam : art mozarabe , t 8, maison neuve & brill, leiden,1993.

9-Rachel Arié : **le traité de la Hisba d'Ibn Abd Al Ra'uf** , Hesperis Tamuda,vol 1, fax-1 ; Editions techniques Nord Africaine ,rabat, 1960.

المعاجـــــــم و الموسوعات

1 -بطرس البستاني ،
محيط المحيط: ج2 ،بيروت ط1 ، 1780.

2 - الزركلي،
الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعبين و المستشرقين ، 8مج، بيروت، دار العلم للملايين ، ط 12، 1997

3 -ابن منظور ،
لسان العرب ،دار الجيل ودار لسان ،بيروت، 1408ه/ 1988**م.**

4 - الموسوعة العربية الميسرة،
7مج،بيروت، المكتبة العصرية،ط 1، 1431 هـ/2010 **م.**

5 -موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ

، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حُميد و
عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن ملوح،مج 1، جدة، دار
الوسيلة للنشر و التوزيع، ط8 ،1433ه /2012م .

6 - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،

-8Encyclopédie de L'islam T7, maison neuve & brill, leiden,1993.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأعلام

فهرس القبائل و الشعوب

فهرس الأماكن و المدن و المواقع

فهرس المواضيع

فهرس الآيات القرآنية

سوره البقرة

سورة: النساء

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

الآية:25. ص225

﴿واهجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَاكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾

الآية34 ص194

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

الآية 92، ص237

سورة آل عمران

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. ﴾

، الآية 92. ص383

﴿و ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا و من يريد ثواب الدنيا نؤتيه منها و من ثواب الآخرة نؤتيه منها و سنجزي الشاكرين﴾

الآية 145 ص 404

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ و إِنَمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

الآية 185 ص404

سورة المائدة

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ . ﴾

الآية5 ص 203

سورة النحل

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

الآية 92 ص357

سورة النور

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ﴾

الآية 33 ص 2

﴿أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِالتَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. ﴾

الآية : 31 ص 269

الفرقان

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

الآية 54 ص18

سورة :الأحزاب

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

الآية : 21 ص166

﴿... وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ ...﴾

الآية :50. ص222

سورة الرحمان

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ ،

الآية 26، 27 ص16

سورة الحجرات :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .﴾

الآية ، 13 ص 36

سورة التحريم

﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَاراً.﴾

الآية 5. ص221

سورة البلد

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ .﴾

الآية 13. ص237

فهـــــرس الأعـــلام

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ن

هـ

و

ي

فهرس القبائل و الشعوب

ب

ج

ح

ر

ز

ص

ط

ع

ن

و

فهرس الأماكن و المدن و المواقع

أ

ب

س

ش

ط

ق

ك

ل

م

فهــــرس المواضيــع

الفـــــــصل الأول:

الفـــــــــصل الثانـــــــــي

الفـــــــصل الـــــــثالـــــث

الفـــــــصل الرابـــــــع

الإسهام المرأة فى الحياة الإقتصادية و مكانتها فى الفكر الأندلسى...

تمَّت بحَمْد

الله

و عِزَّته